



THE BOOK WAS DRENCHED

TIGHT BINDING BOOK



★

190237

★

- ۴۹ ذکر نایب و عظیم و سحر و جادو
 ۵۱ ذکر الیم و ذکر یاقوت و صفت
 ۵۲ ذکر الوتیه و صفت
 ۵۵ ذکر اسباب و صفت
 ۶۱ ذکر خاوری و صفت
 ۶۴ ذکر قوتی و صفت
 ۶۵ ذکر لک و صفت
 ۷۰ ذکر آرزو و صفت
 ۷۱ ذکر نایب و عظیم و سحر و جادو
 ۷۱ ذکر خور و صفت
 ۷۵ ذکر خور و صفت

مَقَلَمَة

العلامة ابن خلدون

تأليف العلامة ابن خلدون
مطبعة المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٨٨٦

طبع بالمطبعة الادبية في بيروت طبعة اولى سنة ١٨٧٩

تم طبعة ثانية سنة ١٨٨٦

١٠٠ الجزء الاول

من
كتاب العبر وديوان المبتدأ والمخبر

في
ايام العرب والعجم والبربر
ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر

وهو
تاريخ وحيد عصره والعلامة
عبد الرحمن ابن حلدون
المعري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول العبد الفقير الى الله تعالى العلي بطلبو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون
المختصر في هذه الله

الحمد لله الذي له العزة والحجوت * ويظهر الملك والمالكوت * وله الاسماء المحسنة
والسموات * العالم فلا يقرب عنه ما نظهره الحوى او يحويه السكوت * القادر فلا يهره
شيء في السموات والارض ولا يعوت * أنشأ من الارض سما * واستمرها فيها أحياء
وأما ويسر لها منها اربابا وقسا * تكسها الارحام والبيوت * ويكملها الرق والقوت *
وتليها الابام والقوت * وتعتبرها الاحال التي حط عليها كتابها الملقوت * وله القماء
والنوت * وهو الهادي الذي لا يموت * والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الهادي
العرني المكتوب في التوراة والاعمال المعوت * الذي تحصى لفضله لكونه قبل ان
تتعاقد الاحاد والسموت * ويتشابه رجل والجهوت " * وعلى آله واصحابه
الدين لم في صحته واتساعه الاثر البعيد والصيت * والتسلل الجمع في مظاهرتهم
ولعدوم التعلل الشبهة * صلى الله عليه وعليهم ما انصل بالاسلام هذه المجموت * وانقطع
بالكفر حلة المنتوت * وسلم كثيرا

اما بعد فان من التاريخ من السور التي تندو له الام والاحمال وتند اليه الركائب
والرجال * وتسمو الى معرفته الهوقفة والاعمال * وتسام في الملوك والاقبال *
وتساوى في منه العلماء والرجال * ادهو في طاهره لا يزيد على اخراج عن الايام
والدول * والسوايق من القرون الاول * نمو فيها الاقوال * وتصرب فيها الامثال *
ونظرف بها الادبية اذا غصها الاحتمال * ونوودي لها شأن الحليقة كيف تقلت بها
الاحوال * واتسع للدول فيها الطاق والجمال * وعمرها الارض حتى نادى بهم

١ مودة اليهموت هو انشور اي الحوت الذي على ظهره ارض الدنيا وحى انسا لونها كما في
المرور وروح السان والجمعة ومعلوم ان سنة ويطر رجل الذي هو في املاك الساج مونا بعيدا قال
التمتد المحاسني في حاشيته على السوايق اه في اول سورة من اليهموت فتح انشاء انصية وسيكون الهام
وما اشهر من ان الله الموحدة عطل على ما ذكره الغافل الحصى ومثله في روح السان قاله نصر الموريني
افره المصحح الثاني

الارتحال * وحان منهم الروال * وفي ماطو نظر وتحقيق * وتعليل للكائنات * ومسابها
 دقيق * وعلم بكميات الوقائع وإسهابها عميق * فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وحدير
 بان بعد في علمها وخلق * وإن محول المورخين في الاسلام قد استوعبوا أخبار الأيام
 وجمعوها * وسطروها في صححات الدعائر وأودعوها * وغلطها المتطلون بفسائن من
 الباطل وهما فيها وأدعوها * ورخارف من الروايات المصنعة لبقوها ووضعوها *
 واقتفى تلك الآثار الكثير من بعدهم وأتبعوها * وأدوها اليأس كما سمعوها * ولم يلاحظوا
 أسباب الوقائع والأحوال ولم يدعوها * فإلا رصفوا ترهات الأحاديث ولهم دفعوها *
 فالتحقيق قليل * وظرف التنقيح في الغالب قليل * والعلم والوهم يسبب للأخبار
 وخليل * والتقليد عريق في الأدبيين وسدل * والتضل على الدون عريض طويل *
 ومرعى المحل بين الأمام وحيد وبيل * وإحق لا يتأوم ساقطه بالغالط يقذف شهاب
 الطرئ تصانعه * والباطل انه هو يلبى وبقل * والصديقه تفد التحجج اذا تمثل * والعلم
 يحلوا صححات القلوب ويد تل *

هنا وقد دون الناس في الأخبار ما أكثروا * وجمعوا تاريخ الأمم والدول في
 العام وسطروا * في الدين دهميا * مثل الذب * والإمامة المعنوية * واستدعوا دعاويهم
 من قديم في صحفهم المتأخرة * هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الأمانيل ولا
 حركات العوامل * مثل ابن السخري والطبري وابن الكثير ومحمد بن عمر البغدادي
 وسيف بن عمر الأسدي والمسعودي وغيرهم من المساهرين * المميزين عن أجيالهم *
 وإن كان في كتب المسعودي والبغدادي من الملعون والمعمور ما هو معروف عند الأتات *
 ومشهور بين أخصه الثقات * آداب أئمة أئمتهم قول أئمتهم * واقتناء * منهم
 في التصنيف وإتباع آثارهم * في النائد الضعيف قسطنطين * في تربيتهم فيما يذوقون من
 اعتبارهم * فلعبران طبايع في أحوالهم ترجع إليها الأخبار * وتعمل عليها الروايات
 والآثار * ثم إن أكبر التواريخ هوالة عامة المأمع والمسالك * لعموم الدولتين صدر
 الاسلام هي الأفاق والممالك * وتناولها العبد من العايات في المآخذ المبارك * ومن
 هوالة من استوعب أقد الملة من الدول والأمم * والأمر العام * كالمسعودي
 ومن بمحاجة وحال من بعدهم من عدل عن الأطلاقة إلى التقيد * ووقف في العموم
 والإحاطة عن السأور العبد * فبعد شوارد عصره * واستوعب أخبار أقد وقطره *
 واقتصر على تاريخ دولته ومصره * كما فعل أبو حيان مؤرخ الأندلس والدولة الأموية

بها وان الرقيق مؤرخ افریقیة والدولة التي كانت بالقيروان ثم لم يات من بعد هؤلاء
 الا مقلدوهم وبلد الطمع والعقل او مثله * يجمع على ذلك الموائل * ويخندي منه المتناهي *
 ويذهل عما احاطه الابام من الاحوال * واستندلت به من عوائد الامم والاجيال * فيعملون
 الاحمار عن الدول * وحكايات الوقائع في العصور الاول * صوراً قد تحردت عن
 مواضعها * وصفا انتصبت من اعمالها * ومعارف تستكر للجهل بطاريفها وتلاذدها * اما
 في حوادثها لم تعلم اصولها * واداع لم تعتبر احكامها ولا تحققت فصولها * يكررون في
 موضوعاتها الاحمار المتداولة ماعياها * اتاعاً بل عبي من المتقدمين بشانها * ويفعلون
 امر الاحيال الناشئة في ديوانها * بما اعور عليهم من تراحمها * فتستعجم صحتها عن بيانها *
 ثم اذا تعرضوا لذكر العولمة نسفوا احمارها سفا * محافطين على نقلها وهما او صدقا *
 لا يتعصون لبدانها * ولا يذكرون السب الذي رفع من رايها * واطهر من آياتها * ولا
 علة الوقوف عند عايتها * فيبقى الماطر متطلعا لحد الى اقتفاء احوال ماضي الدول
 ومراتبها * مستأ عن اسباب تراحمها او تعاقبها * ساحتاً عن المقع في نايها او تناسها *
 حسماً يذكر ذلك كله في مقدمة الكتاب ثم جاء آخرون بافراط الاحصار * وذهلوا الى
 الاكتفاء * باسماء الملوك والاقصصار * مقتضوعة عن الاسباب والاحمار * موضوعاً عليها اعداد
 ايامهم بحروف العبار * كما فعله ابن رشيقي في ميران العمل * ومن اقتفى هذا الاثر من
 العمل * وليس يعتد به * مثال * ولا يعتد لم توت ولا انتقال * لما اذهلوا من الموائد *
 واحلوا بالمذاهب المعروفة المؤرخين والعوائد .

ولما طالعت كتب القوم * وسرت غور الامس واليوم * سهت عن الفريجة من سنة
 العملة واليوم * وسمت التصبيع من منسي وانه الملس احسن السوم * فانتات في التاريخ
 كتاباً * رفعت به عن احوال الناشئة من الاحيال سخماً * وقصته في الاحمار والاعشار
 ما نأياً * ولا دبت فيه لا وليه الدول والعران عللاً * واسأاً * وبيتة على احمار الامم الذين
 عمروا العرب في هذه الاعصار * ومازوا اكاف الصواحي منه والامصار * وما كان لهم من
 الدول الضوال او القصار * ومن سلف لهم من الملوك والانصار * وهما العرب في العر *
 ادها الحيلان الادان عرف بالمعرب ما واهما وطال فيه على الاحقاب متواها * حتى لا يكاد
 يتصور فيه ما عداها * ولا يعرف اهلها من الاجيال الا كمن سواها * مهدت مباحية تذبذباً *
 وقرنة لافهام العلماء والحاسة تفریباً * وسلكت في ترتيبه وتوبيه مسلکاً عربياً * واخترعته
 من بين المباحي مذهباً عجيباً * وطريقة متدعة واسلوفا * وشرحت فيه من احوال العرمان

والتمدن وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض النائية ما يمتنع لعل الكوائن
في سبيلها* ويعترف كيف دخل أهل الدول من دولها* حتى تنزع من التقليد يدك*
وتقف على أحوال ما قبلك من الأيام والأجيال وما بعدك ورثة على مقدمة وثلة كتب
المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مبادئه والإلماع بمغالب المؤرخين .
الكتاب الأول في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية مع الملك
والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم وما لذلك من العلل والأسباب
الكتاب الثاني في أخبار العرب وأحوالهم ودولهم منذ مبدأ الخليقة إلى هذا العهد
وفيه الإلماع ببعض من عاصرهم من الأمم المشاهير ودولهم مثل النبط والسريانيين
والفرس وسبي إسرائيل والقطب واليونان والروم والترك والأفريقية

الكتاب الثالث في أخبار البربر ومواليهم من زناهم وذكر أحوالهم وأجاليهم وما كان
بديار المغرب خاصة من الملك والدول ثم كانت الرحلة إلى المشرق لاحتناء إمارته*
وقضاء الفرض والهناء في مطافه ومراره* والوقوف على آثاره في دواوينه وإسواره*
فردت ما نقص من أخبار ملوك العجم تلك الديار* ودول الترك فيها ملكوه من
القطار* وأنعت بها ما كتبت في تلك الأمطار* وأدركتها في ذكر المقاصير من تلك
الأجيال من أم السواح* وملوك الأمصار والسواح* سالكاً سبيل الاختصار والتلخيص*
مفتدياً بالمرام السهل من العويص* داخلاً من باب الأسباب على العصور إلى الأخبار
على المحصور فاستوعب أخبار الخليقة استيعاباً* وفل من الحكم النافذة صواباً* وأعطى
لحوادث الدول عللاً وأسباباً* فأصبح للحكمة صولتاً* وللناريخ جراً

ولما كان مشغلاً على أخبار العرب والبربر* من أهل المشرق والور* والإلماع من
عاصرهم من الدول الكبر* وأفصح بالذكرى والعمر* في متد الأحوال وما بعدها من
المغرب* سميت كتاب العرب* وديوان المتدا والحد* في أيام العرب والعجم والبربر* ومن
عاصرهم من قوى السلطان الأكبر* ولم أترك شيئاً في أولية الأجيال والدول* وتعاصر
الأمم الأولى* وأسباب التصرف والحوال* في القرون الخالية والمثل* وما يعرض في
العمران من دولة وملة* ومدينة وحلة* وعزة وذلة* وكثرة وقلة* وعلم وصناعة*
وكسب وإضاعة* وأحوال متقلبة متشعبة* وبلد وحضر* وواقع ومتظر* ولا استوعبت
جملة* وأوفحت رايته وعلله* فجاء هذا الكتاب فينا بما ضمت من العلوم الغربية* والحكم
المحبوبة القريبة* وأنا من بعدها موثق بالقصور* بين أهل العصور* معترف بالهجر عن

المضاء* في مثل هذا القضاء* راغب من اهل اليد البيضاء* والمعارف المتسعة القضاء*
 في النظر* يعين الاتقاد لا يعين الارضاء* والتفقد لما يعثرون عليه بالاصلاح* والاضضاء*
 فالضاعة بين اهل العلم مزجاة* والاعتراف من اللوم منجاة* والحسن من الاخوان مرجاة*
 والله اسأل ان يجعل اعمالنا خالصة لوجهه الكريم وهو حسبي ونعم الوكيل
 وبعد ان استوفيت علاجه* واشرت مشكاته للمستبصرين واذكت سراجة*
 فوافحت بين العلوم طريقة ومنهاجة* واوتعت في قضاء المعارف نطاقة* وادرت
 سياجة* اتخفت بهذه النسخة منه^(١) خزانة مولانا السلطان الامام المجاهد* الفاضل
 الماهر* الفعلي مدخل الغائم* ولوث الغائم* بجلى القات الزاهد* المتوخى تركه
 المناقب والمجاهد* وكرم الثمائل والشواهد* باجل من القلائد* في غور الولايد*
 المتناول بالمعزم القوي الساعد* والجد المواقى المساعد* والجد الطارف والتالد*
 ذوايب ملصهم الراسي القواعد* الكرم المعاني والمصاعد* جامع اثبات العلوم
 والفوائد* وباطن شمل المعارف الشلود* ومظهر الايات الربانية* في فضل المدارك
 الانسانية* معركه التاميم الماقد* ورايه الصبح المعاهد* البير المقامب* والعقائد*
 موراثه الواضح المرئد* ونعمته العذبة الموارد* ووطنه الكامن بالمرصد للشئد*

١ قوله اتخمت بهذه النسخة من الحج واحد في نسخة بخط بعض علماء الحارثة ربادة قبل قوله اتخمت
 وبعد قوله واشرت بصلحه ونصها التفت له الكف الذي يلج يعين الاستنصار مودة . ولخط بداركو
 الشريعة معياره الصحيح وقانونه . ويبرزت في المعارف عما دونه . صرحت فكري في مصا الوحد . واحلت
 نظري ليل التام والهمود . بين التهام والحدود . في الظلام الركع والسعود . وانظما اهل الكرم والجمود .
 حتى وقف الاختيار ساحة الكمال . وطامن الامكار بموقف الامال . وطمرت ايدي المساعي والاعتال .
 بمندى المعارف مشرقة ميو عرر المجال موحدا في العلوم الوارثة الطلال . من البهيم والغال . فلتحت
 معطي الامكار في عرصاتها . وحلوت بحاس الانظار على مصانها . واتخت بديلا لها مقاصد ايرها . واطلعت
 كوكبا وقادا في افق خزانها وصالها . ليكون آية للعقلاء يهتدون بناره . ويعرفون مصل المدارك
 الانسانية في اثره . وفي خزانة مولانا السلطان الامام المجاهد . الفاضل الماهر . الى اخر العود المذكورة هنا
 ثم قال الخليفة امير المؤمنين المتوكل على رب العالمين ابو الصاس احمد اس مولانا الامير الطاهر المقدس
 ابي عبد الله محمد اس مولانا الخليفة المقدس امير المؤمنين ابي يحيى ابي بكر اس الخلفاء الراشدين . من
 ائمة المؤمنين الذين جددوا الدين . وهوى السبل للمهندسين . وبمحا انار الفاء المسدين من الحسمة
 والمعتدين . سلاة اليها المحض والعاروق . والسجة البامية على تلك المقارس الزاكية والعروق . والور
 المثالي من تلك الاشعة والثروق . فاوردته من مودعها الى البلى بحيث مقر الهدى . ورياض المحلوف
 عصلة الدى . الى احراما ذكرها الا انه لم يقيد الامامة بالفارسية لكن النسخة المذكورة محصورة عن
 هذه النسخة المنقولة من خزنة الكتب الفارسية ولم يقل فيها ثم كانت الرحلة الى المشرق الخ

ورحمته الكريمة المفالد * التي وسعت صلاح الزمان الفاسد * واستقامة المائت من
 الاحوال والعوائد * وذهبت بالخطوب الكوار * وخلصت على الزمان روي الشهاب
 المعاند * وحنه التي لا يبطلها انكار الجاحد ولا شبهات المعاند * (امير المؤمنين) اس
 فارس عد العزيز ابن مولانا السلطان المعظم الشهير الشهيد ابي سالم ابراهيم اس مولانا
 السلطان المقدس امير المؤمنين * ابي الحسن اس السادة الاعلام من ملوك بني مرين * الذين
 جددوا الدين * وهمو السبل للهدى * وبمحو اثار الفناء المفسدين * بافاء الله على الامة
 ظلاله * وبلغه في نصر دعوة الاسلام اماله * وبعثته الى حرايتهم الموقفة لطيفة العلم بجماع
 القرويين من مدينة فاس حصرة ملكهم * وكربي سلطانهم * حيث مقر الهدى * ورياض
 المعارف خصلة لدى * وفضاء الاسرار الرامية فسج لدى * والامامة الكريمة العارسية ^(١)
 العريزة ان شاء الله سطرها الشريف * وفصلها العمي عن الشريف * تسط لة من العاية
 هاد * وتسع لة في جائب القبول * اما * فتوضح بها ادلة على رسوخه وانتهاد * وفي
 سوقها نبقى بصائع الكتاب * وعلى حصرتها نعكم ركائب العلوم والآداب * ومن مدد
 بصائرنا المبيرة مناجم الفرائح والالباب * والله يوزعنا شكر ربنا * ويوفر لنا خطوط
 المؤهب من رحمته * ويمينا على حقوق خدمتها * ويخلصنا من السافين في ميدانها
 المحلين في حرمها * ويصلي على اهل ايمانها * وما اوى من الاسلام الى حرم عالها *
 لوس حمايتها وحرمها * وهو سبحانه المستول ان يجعل اعمالنا خالصة في وجهها * رتبة
 من شوائب الغفلة وشبهاتها * وهو حسبنا ونعم الوكيل

المقدمة

في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والامانع لما يعرض للمؤرخين
 من المغالط والاهام وذكر شي من اسبابها

اعلم ان من التاريخ في غير المذهب حم العوائد شريف الغاية اذ هو يوقنا على
 احوال الماضين من الامم في اخلاقهم - والاسياف في سيرهم - والملوك في دولهم وسياساتهم -
 حتى نتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يروم في احوال الدين والدنيا فهو محتاج الى آخذ
 متعددة ومعارف متنوعة وحس نظرو ثبتت بينهما صاحبهما الى الحق ويتكأن به عن
 المزلات والمغالط لان الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم اصول العادة وقواعد

السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتاع الانساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد
 والمحاضر بالناهب فربما لم يؤمن فيها من العنور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق
 وكثيراً ما وقع للمورخين والمفسرين ولجبة النقل من المغالطة في الحكايات والوقائع لاجتماعهم فيها
 على مجرد النقل غشاً او سمياً ولم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها باشباها ولا سبروها بمعار
 الحكمة والوهف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاختيار فضلوا عن الحق
 ونأهوا في ينمائه الوهم الغلط سيما في احصاء الاعداد من مالا مال والعناكر اذا عرضت
 في الحكايات اذ هي مظنة الكتب ومطية الهذر ولا بد من ردها الى اصول وعرضها على
 القواعد وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المورخين في جيوش بني اسرائيل وان موسى
 عليه السلام احصاهم في النجف بعد ان اجاز من يطبق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين
 فما فوقها فكانوا ستمائة الف او يزيدون ويذهل في ذلك عن تقدير مضر والشام واناساعها
 لمثل هذا العدد من الجيوش لكل مملكة من الممالك حصة من الحماية تنسج لها وتقوم
 بوظائفها وتضيق عما فوقها تفهد بذلك العوائد المعروفة والاحوال المملوكة ثم ان مثل
 هذه الجيوش البالغة الى مثله هذا العدد بعد ان يقع بينها زحف او قتال لضيق شاحة
 الارض عنها وتعدّها اذا اصطفت عن مدى البصر مرتين او ثلاثاً او ازيد فكيف يقتل
 هذان الفريقان او تكون غلبة احد الصنين وشي من جوانبها لا يشعر بالجناب الاخر
 والمحاضر يشهد لذلك في الماضي اشبه بالآتي من الماء بالماء ولقد كان ملك النرس ودولتهم
 اعظم من ملك بني اسرائيل كثير يشهد لذلك بما كانت من غلب مختصر لم والتهامو
 بلادهم واستيلائو على اهرم وتخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم وسلطانهم وهو من بعض
 عمال مملكة فارس يقال انه كان مرزبان المغرب من غزوهم وكانت ممالكهم بالعراقين
 وخراسان وما وراء النهر والابواب اوسع من ممالك بني اسرائيل بكثير ومع ذلك لم تبلغ
 جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريباً منه واعظم ما كانت جموعهم بالقاسية مائة
 وعشرون الفا كلهم متبوع على ما نقله سيف قال وكانوا في اتباعهم اكثر من مائتي الف
 وعن عائشة والزهرى فان جموع رستم الذين زحف بهم سعد بالقاسية انما كانوا ستين
 الفا كلهم متبوع وايضاً فلو بلغ بنو اسرائيل مثل هذا العدد لاتسع فطاق ملكهم وانفج مدى
 دولتهم فان العائلات والممالك في الدول على منسبة الحماية والقبيل القاطنين بها في قتلها
 وكثيرتها حسباً نبين في فصل الممالك من الكتاب الاول والقيم لم تنسج ممالكهم الى غير
 الارض وفلسطين من الشام وبلاد يثرب وخيبر من الحجاز على ما هو المعروف وايضاً

فالذي بين موسى واسرائيل انما هو اربعة آباء على ما ذكره المحققون فانه موسى بن عمران
 ابن يصر بن قاهت بنح المام وكسرهما ابن لاوي بكسر الواو ونحها ابن يعقوب وهو
 اسرائيل الله هكذا نسبة في التوراة والدة بينها على ما نقله المسعودي قال دخل اسرائيل
 مصر مع ولده الاسباط ولولدهم حين اتوا الى يوسف سبعين نفساً وكان مقامهم بمصر الى
 ان خرجوا مع موسى عليه السلام الى التيه مائتين وعشرين سنة تداوهم ملوك القبط من
 الفراعنة وبعدها ان ينشعب للنسل في اربعة اجيال الى مثل هذا العدد وان زعموا ان
 عدد تلك الجيوش انما كان في زمن سليمان ومن بعده فبعيد ايضاً اذ ليس بين سليمان
 واسرائيل الا احد عشر اياً فانه سليمان بن داود بن يشا بن عوفيد ويقال ابن عوفيد
 ابن باعز ويقال بوعز بن سلون بن نحشون بن عميتونف ويقال حيتا ذاب بن رم بن
 حصرون ويقال خيرون بن بارس ويقال يروش بن يهوذا بن يعقوب ولا ينشعب
 النسل في احد عشر من الولد الى مثل هذا العدد الذي زعموا اليه المئتين والآلاف
 فربما يكون واما لن يجاوز الى ما بعدها من عقود الاعداد فبعيد واعتبر ذلك في الحاضر
 المشاهد والقرى المعروف بنجد زعمهم باطلاً ونظلم كاذباً والذي ثبت في الاسرائيليات
 ان جنود سليمان كانت اثني عشر الفا خاصة وان مقرباته كانت الفاربعة فريس مرتبطة
 على ابوابه هذا هو الصحيح من اخبارهم ولا يلتفت الى خرافات العامة منهم وسبب ايام
 سليمان (عليه السلام) وملكه كان عتفون دولتهم واتساع ملكهم هذا وقد نجد الكفاية من
 اهل العصر اذا افاضوا في الحديث عن عساكر الدول التي لهدم او قريباً منه وتفاوضوا
 في الاخبار عن جيوش المسلمين او النصارى او اخطوا في احصاء اموال الجبابرة
 وخراج السلطان ونفقات المترفين وبضائع الاغنياء المورسين توغلو في العدد وتجاوزوا
 حدود العوائد وطاوعوا وساسوا الاغراب فانما استكشفت اصحاب الدوليين عن
 عساكرهم واستنبطت احوال اهل الثروة في بضائعهم وفوائدهم واستخيلت عوائد المترفين
 في نفقاتهم لم نجد معشار ما يعدونه وما ذلك الا لولوع النفس بالفرائب وسهولة التجاوز
 على اللسان والفتلة على المتعصب والمتشد حتى لا يجاسب نفسه على خطأ ولا عمد ولا يطالبها
 في الخبر بتوسط ولا عالة ولا يرجعها الى بحث وتفتيش فيرسل عنائه ويسم في مرائع
 الكذب لسانه ويخذ آيات الله هزماً ويشغري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وحسبك
 بها صفة خاسرة ومن الاخبار الهامية للمورخين ما ينقلونه كافة في اخبار التبايع ملوك
 اليمن وجزيرة العرب انهم كانوا يغزون من قرام باليمن الى افريقية والبربر من بلاد

المغرب وإن أفرقني بن قيس بن صفي من أعظم ملوكهم الأول وكان لهد موي علي
 السلام أهقبة بقليل غزا أفرقية وأنحن في البر بزوانة للذي سماه بهذا الاسم حين سنع
 رطائهم وقال ما هذا البرية فأخذ هذا الاسم عنود عوايو من حيث أنه لما انصرف من
 المغرب حجز هنالك قبائل من حمير فاقاموا بها واضططوا باهلها ومنهم صنهاجة وكنانة
 ومن هذا صلب الطبري والمجرجاني والسعودي وابن الكلبي والبيلي الى ان صنهاجة وكنانة
 من حمير وتلباه نسبة البر وهو الصحيح وذكر المسعودي أيضاً ان ذا الانظار من
 ملوكهم قبله أفرقش وكان على عهد سليمان (عليه السلام) غزا المغرب ودوخه وكذلك
 ذكر مثله عن باسرايته من بعده وأنه بلغ وادي الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلماً
 لكثرة الرمل فرجع وكذلك يقولون في تبع الآخر وهو اسعد ابوكرب وكان على عهد
 يستأنف من ملوك الفرس الكجانية انه ملك الموصل وأذربيجان ولفي الترك فزهم وأنحن
 ثم غرام ثانية وثالثة كذلك وأنه بعد ذلك اغزى ثلاثة من بني بلاد فارس وإلى بلاد
 الصفد من بلاد ام الترك وراء النهر وإلى بلاد الروم فللك الأولى البلاد الى سمرقند
 وقطع المفازة الى الصين فوجد اخاه الثاني الذي غزا الى سمرقند قد سبقه اليها فاتحنا في
 بلاد الصين ورجعا جميعاً بالغنائم وتركوا ببلاد الصين قبائل من حمير فم بها الى هذا
 العهد وبلغ الثالث الى قسطنطينية فدرسها ودوخ بلاد الروم ورجع وهذه الاخبار
 كلها بعيدة عن الصحة معرفة في الوم والغلط واشبه باحداث القصص الموضوعة وذلك
 ان ملك التبايعه انما كان بحزيرة العرب وقرارهم وكرسيم بصنعاء اليمن وحزيرة العرب
 يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها فبحر الهند من الجنوب وبحر فارس المابط منه الى البصرة
 من المشرق وبحر السويس المابط منه الى السويس من اعمال مصر من جهة المغرب كما
 تراه في مصور الجغرافيا فلا يجد الساكنون من اليمن الى المغرب طريقاً من غير السويس
 والمسلكت هناك ما بين بحر السويس والبحر الشامي قدر مرحلتين فما دونها ويبعدان
 عن هذا المسلك ملك عظيم في عساكر موفورة من غير ان تصير من اعمالها هنا ممنوع في
 العادة وقد كان يملك الاعمال العاقبة وكنعان بالشام والتبط بمصر ثم ملك العاقبة
 مصر وملك بنو اسرائيل الشام ولم ينقل قط ان التبايعه حاربوا واحداً من هؤلاء الام ولا
 ملكوا شيئاً من تلك الاعمال وايضاً فالشقة من البحر إلى المغرب بعيدة والازودة والعلوفة
 للعساكر كثيرة فاذا ساروا في غير اعمالهم احتاجوا الى انتهاب الزرع والنم وانتهاب البلاد
 فيما يهرون عليه ولا يفي ذلك للازودة والعلوفة عادة وإن نقلوا كاهنهم من ذلك من

اعلم فلا نفي لم الرجل ينقلو فلا سلطان يروا في طريقهم كلها باغمال قد ملكوها ونزعوها
 لتكون الميرة منها وان قلنا ان تلك العساكر هم هؤلاء الامم من غير ان نعيم فحصل لم
 الميرة بالمسألة فذلك ابعد واشد امتناعاً فدل على ان هذه الاخبار واهية او موضوعة .
 واما وادي الرمل الذي يجهز السالك فلم يجمع قط ذكره في المغرب على كثرة سالكيه
 ومن يقص طرقه من الركاب والقرى في كل عصر وكل جهة وهو على ما ذكره من
 الغربة تنوفر الدواعي على نقله واما غزوم بلاد الشرق وارض الترك وان كانت طريفة
 اوسع من مسالك السويس الا ان الثقة هنا ابعد وام فارس والروم معترضون فيها
 دون الترك ولم ينقل قط ان التابعة ملكوا بلاد فارس ولا بلاد الروم وانما كانوا يحاربون
 اهل فارس على حدود بلاد العراق وما بين البحرين والحيرة والجزيرة بين دجلة والفرات
 وما بينهما في الاعمال وقد وقع ذلك بين ذي الاذعان منهم وكيككوس من ملوك الكمانية
 وبين تبع الاصغراني كرب ويستأسف منهم ايضا ومع ملوك الطوائف بعد الكمانية
 والساسانية من بعدهم بمجاورة ارض فارس بالغزو الى بلاد الترك والتبني هو ممنوع عاقض
 اجل الامم المهترضة منهم والحاجة الى الأرودة والطوائف مع بعد الثقة كما مر فالاخبار
 بذلك واهية مدخولة وهي لو كانت صحيحة للنقل لكأن ذلك قادحاً فيها فكيف وهي لم
 تنقل من وجه صحيح وقول ابن اسحاق في خبر يثرب والوس والخزرج ان تبعاً الاخر
 سار الى المشرق محمولاً على العراق وبلاد فارس واما بلاد الترك والتبني فلا يصح
 غزوم اليها بوجه لما تقدم فلا نفي بما يلقى اليك من ذلك وتأمل الاخبار واعرضها على
 القوانين الصحيحة يقع لك تحصيلها باحسن وجه والله الهادي الى الصواب فصل . وابعده
 من ذلك واعرق في الروم ما يتناقله المفسرون في تفسير سورة والفجر في قوله تعالى ام
 تركب فعل ربك بعد ارم ذات المهاد فيملون لنظة ارم اسماً لمدينة وصفت بانها ذات
 عماد اي اساطين وينقلون انه كان لعاد بن عوص بن ارم ابنان هما شديد وشداد ملكا
 من بعده وهلك شديد فخلص الملك لشداد ودانت له ملوكهم وسمع وصف الجنة فقال
 لأبنتين مثلها فبنى مدينة ارم في صحارى عدن في مدة ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة
 وانها مدينة عظيمة قصورها من الذهب واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف
 الشجر والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته حتى اذا كان منها على مسيرة
 يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا كلهم ذكر ذلك الطبري والعمالي والمخضري
 وغيرهم من المفسرين وينقلون عن عبد الله بن قلابه من الصحابة انه خرج في طلب اهل

له فوقع عليها وحمل منها ما قدر عليه وبلغ خبره الى معلوبة فاحضره وقص عليه فبحث
عن كعب الاخبار وساله عن ذلك فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من
المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبو خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل
له ثم التفت فابصر ابن قلابه فقال هنا والله ذلك الرجل. وهذه المدينة لم يسمع لها خبر
من يؤمنه في شيء من بقاع الارض. وصحارى عدن التي زعموا انها بنيت فيها هي في وسط
البحر وما زال عمران متعاقبا والادلاء تقص طرقه فن كل وجه ولم ينقل عن هذه المدينة
خبر ولا ذكرها احد من الاخباريين ولا من الامم ولو قالوا انها قريت فيما درس من
الآثار لكان اشبه الا ان ظاهر كلامهم انها موجودة وبعضهم يقول انها دمشق بناء على
ان قوم عاد ملكوها وقد ينسب الى الهذيان بعضهم الى انها غائبة وانما يعثر عليها اهل الرياضة
والسحر مزاعم كلها اشبه بالمخراقات والذي حمل المفسرين على ذلك ما اقتضته صناعة
الإغراب في لفظة ذات العماد ارم وحملوا العماد على الاساطين فتعين ان يكون
بناء ورشح لم ذلك قراءة ابن الزبير عاد ارم على الاضافة من غير تكوين ثم وقفوا على
تلك الحكايات التي هي اشبه بالاقتصاص الموضوعة التي هي اقرب الى الكتب المتقولة
في عداد المضحكات والا فالعماد هي عاد الاخية بل الخيل وان اريد بها الاساطين فلا
يدخ في وصفهم بانهم اهل بناء واساطين على العموم بما اشتهر من قوتهم لانه بناء خاص في
مدينة معينة او غيرها وان اضيفت كما في قراءة ابن الزبير فعلى اضافة النصيلة الى القيلة
كما نقول قريش كنانة والباس مضرورة تزار واي ضرورة الى هذا الحمل البعيد
الذي تحملت لتوجيهه لا مثال هذه الحكايات الواهية التي يتره كتاب الله عن مثلها لبعدها
عن الصحة - ومن الحكايات المدخولة للمورخين ما يتقوونه كافة في سبب نكبة الرشيد
للبرامكة من قصة العباس اخيه مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاة وانه لكلفوا بمكانها من
معارفته اياها الخمر اذن لها في عقد النكاح دون الخلوة حرصا على اجتماعها في مجلس وان
العباسة تحملت عليه في الناس الخلوة لما شغفها من حيو حتى واقعا (زعموا في حال السكر)
فحملت ووثنى بذلك للرشيد فاستغضب وهبها ذلك من منصب العباسية في دهنها
وابويها وجلاها وانما بنت عبدالله بن عباس ليس بينها وبينه الا امار بعقر جال ثم اشراف
الدين وعظما الملة من بعده. والعباسة بنت محمد المهدي ابن عبدالله الي جعفر المنصور
ابن محمد المجاهد ابن علي الي الخلفاء ابن عبدالله ترجمان القرآن ابن العباس عم
النبي (صلم) ابنة خليفة اخي خليفة محنوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة

الرسول وعمومته وإقامة الملة ونور الوحي ومهبط الملائكة من سائر جهاتها قربة عهد
ببداوة العربوية وسداجة الدين البعثة عن غلبة الترف ومراعاة التواضع فحين يطلب
الصون والعفاف اذا ذهب عنها او اين توجد الطهارة والذكاء اذا فقدت من بينها او كيف
تلم نسبها بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها للعربي بمولى الى الهيم بملك كجد من النرس او بولاء
جدها من عمومة الرسول واشراف قريش وغاية أن جذبت دولتهم بضيق موضع ابيو
واستخلصتهم ورفقهم الى منازل الاشراف فكيف يصوغ من الرشيد ان يصهر الى مولى
الاعاجم على بعد همتو وعظم اباؤهم ولو نظر المتأمل في ذلك نظر المنصف وقابس العباة
بابنة ملك من عطاء ملوك زمانه لاستدرك لما عن مثله مع مولى من مولى دولتها وفي
سلطان قوما واستنكروا^١ ولج في تكذيبه وأين قدر العباة والرشيد من الناس وإنما نكب
البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واجتياهم اموال الجباية حتى كانت الرشيد
يطلب السير من المال فلا يصل اليه فليلق على امره ويشاركه في سلطانه ولم يكن له
معهم تصرف في امور ملكه فعظمت اثارهم وبعدهم وعمر و مراتب الدولة وخططها
بالرواسيع من ولدهم وصنائعهم واحنازوها عن سوام من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة
وسيف وقلم . يقال انه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيسا من
بين صاحب سيف وصاحب قلم زاحوا فيها اهل الدولة بالناكب ودفعوم عنها بالراح
لمكان ابيهم يحيى من كدالة هارون ولي عهد وخليفة حتى شب في تجرع ودرج من عشو
وغلب على امره وكان يدعو يا أبتة فتوجه اليه الاثنا من السلطان اليهم وعظمت الدالة
منهم وانبسط الجاه عندهم وانصرفت نخوم الوجوه وخضعت لم الرقاب وقصرت عليهم
الآمال ونظمت اليهم من اقصى القوم هذا يا الملوك وتحف الامراء ونسبت الى خزائنهم
في سبيل التزلف والاستمال اموال الجباية واقاضوا في رجال الشيعة وعطاء القراة العطاء
وطوقوم المن وكسبو من بيوتات الاشراف المعدم فكوا العاني ومدحوا بما لم يمدح به
خلينهم واستول لعنائهم المجاوز والصلوات واستولوا على القرى والضياح من الضواحي
والامصار في سائر الممالك حتى اسفوا البطانة واحقدوا الخاصة واغصوا اهل الولاية فكشفت
لم وجوه المنافسة والحسد ودبت الى مهادم الوثير من الدولة عقارب السعاية حتى لقد
كان بنو قحطبة اخوال جعفر من اعظم الساعين عليهم لم يعطهم لما وقر في نفوسهم من
الحسد غواطف الرحم ولا وزعهم اواصر القرابة وقارن ذلك عند تحننهم نواشي الغيرة
والاستنكاف من الجحور والانتة وكان الحنود التي بعثتها منهم صفائر الدالة وانتهى بها

الإصرار علي شأنهم الى كباثر المخالفة كقتهم في يحيى بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب أخي محمد المهدي الملقب بالنفس الزكية الخازج على المنصور ويحيى هذا هو الذي استنزله الفضل بن يحيى من بلاد الديلم على امان الرشيد بخطوه وبذل لهم فيه الف الف درهم على ما ذكره الطبري ودفعه الرشيد الى جعفر وجعل اعتقاله بداره والي نظره فحجته مدة ثم حلت الدالة على تخليه بسيلو والاستبداد بجعل عقابو حرماً لدماء اهل البيت بزعمو ودلالة على السلطان في حكمه. وشالة الرشيد عنه لما وفي به اليو ففطن وقال اطلقته فابدى له وجه الاستحسان واسرها في نفوسه فاوجد السيل بذلك على نفوسه وقومو حتى ثل عرشهم والقيت عليهم ساردهم وخسفت الارض بهم وبدارهم وذهبت سلفنا ومثلاً للاخرين ابائهم ومن نامل اخبارهم واستقصى سير الدولة وسيرهم وجد ذلك محقق الاثر مهد الاسباب . فانظر ما هلة ابن عبد ريو في مفاوضة الرشيد عم جده داود بن علي في شان نكبتهم وما ذكره في باب الشعراء في كتاب العقد في محاوره الاصمعي للرشيد وللفضل بن يحيى في سمرهم تنهم انه انما قيلتهم الغيرة والمنافسة في الاستبداد من الخليفة فمن دونه وكذلك ما تمحىل به اعداؤهم من ~~الملك~~ فبقا دسوسه للمفتين من للشعر احياناً على اسماعه للخليفة وتحرىك حناظله لم وهو قوله

ليست هنداً انجزت بنا ما تعدد وشتت انفسنا ما نجد
واستبقت مرة واحدة انما العاجز من لا يستفيد

وان الرشيد لما سمعها قال لري والله اني عاجز حتى يمشوا بامثال هذه كامن غيرنو وسلطوا عليهم باس اتقاو نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال وأما ما ثوّه يوايحكاية من معاقره الرشيد الخمر واقتران سكره بسكر النتمان فحاشا الله ما علمنا عليه من سوء وابن هذا من حال الرشيد وقيامو بما يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والاولياء ومحاوراته للفضل بن عياض وابن السبائك والعري ومكانيتو سفيان الثوري وبكاؤهم من مواعظهم ودعاؤهم بمكة في طوافو وما كان عليه من العبادة والمحافظة على اوقات الصلوات وشهود الصبح لاول وقتها — حكى الطبري وغيره انه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة ناقلة وكان يقرؤ عاماً ويجمع عاماً ولقد زجر ابن ابي مريم مضحكة في سمره حين تعرض له بمثل ذلك في الصلاة لما سمعه يقرأ وما لي لا اعبد الذي فطرني وقال والله ما احري لم فاما لك الرشيد ان ضحك ثم التفت اليو مضطرباً وقال يا ابن ابي مريم في الصلاة ايضاً اياك اياك والقرآن والدين ولك ما شئت بعدها وايضاً فقد

كان من العلم والسداجة بمكان لقرب عهده من سلفه المتفطين لذلك ولم يكن بينه وبين
 عهده أبي جعفر بعيد زمن انما خلفه غلاماً وقد كان ابو جعفر بمكان من العلم والدين قبل
 المخلافة وبعدها هو القاتل لما لك حين اشار عليه بتأليف الموطن يا ابا عبد الله انه لم يبق
 على وجه الارض اعلم مني ومنك وافي قد شغلني المخلافة فضع انت للناس كتاباً يتفهمون
 به ويتجنب فيه رخص ابن عباس وشذائد ابن عمرو وطه للناس توطئة قال خالك فوالله
 لقد علمني التصنيف يومئذ ولقد ادركة ابنة المهدي ابو الرشيد هذا وهو يتورع عن كسوة
 المجديد لعياله من بيت المال ودخل عليه يوماً وهو مجلسه يبشر الخياطين في ارقاع
 الخلفان من ثياب عياله فاستنكب المهدي من ذلك وقال يا امير المؤمنين علي كسوة هذه
 العيال عامنا هذا من عطائي فقال له لك ذلك ولم يصد عنه ولا سمح بالاتفاق فيو من
 اموال المسلمين فكيف يلبي بالرشيد على قرب العهد من هذا الخبنة وابوتو وما ربي عليه
 من امثال هذه السر في اهل بيته والتخلق بها ان يعاقر الخمر او يباهر بها وقد كانت
 حالة الإشراف من العرب الجاهلية في اجتناب الخمر معلومة ولم يكن الكرم شجرة هو كان
 شربها مذمة عند الكثير منهم والرشيد واباؤه كانوا على شئ من اجتناب المذمومات
 في دينهم ودنياهم والتخلق بالهامد واصاف الكمال ونزعات العرب وانظر ما نقله
 الطبري والمسعودي في قصة جبريل بن بختيشوع الطيب حين احضره السمك في
 مائدة فحماه عنه ثم امر صاحب المائدة بحمله الى منزله وفطن الرشيد وارتاب به ودرس
 خادمة حتى عابته بتناوله فاعاد ابن بختيشوع للاعتذار ثلاث قطع من السمك في ثلاثة
 اقداح خلط احداها بالسم المالح بالتوابل والبقول والبارد والحلوى وصب على الثانية
 ماء مثلاً وعلى الثالثة خمرًا صرًا وقال في الاول والثاني هذا طعام امير المؤمنين ان
 خلط السمك بغيره ولم يخلطه وقال في الثالث هذا طعام ابن بختيشوع ودفعها الى صاحب
 المائدة حتى اذا اتته الرشيد واحضره للتوزيع احضر ثلاثة اقداح فوجد صاحب الخمر
 قد اخلط واماع وثبتت ووجد الآخرين قد فسدوا وتغيرت رائحتها فكانت له في ذلك
 معذرة وتبين من ذلك ان حال الرشيد في اجتناب الخمر كانت معروفة عند بطائفة
 واهل مائدتو ولقد ثبت عنه انه عهد بحبس ابي نواس لما بلغه من انها كوفي المعافرة حتى
 ناب واقبل وانما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب اهل العراق وفتاوبهم فيها
 معروفة واما الخمر الصرف فلا سبل الى انها موبى ولا تقليد الاخيار الواهية فيها فلم يكن
 الرجل يحمي بواقع محرماً من اكبر الكبائر عند اهل الملة ولقد كان اولئك القوم كلهم

بمخافة من ارتكاب السرف والترف في ملابسهم وزينتهم وسائر متناولهم لما كانوا عليهم من خشونة البهاوة وسذاجة الدين التي لم ينفقوها بعد فما ظنك بما يخرج عن الاياحة الى الخطر وعن الخلية الى الحرمة ولقد اتفق المؤرخون الطبري والمسعودي وغيرهم على ان جميع من سلف من خلفاء بني أمية وبني العباس إنما كانوا يركبون بالخلية الخفيفة من اللصبة في المناطق والسيوف واللبجم والسروج وان أول خليفة أحدث الركوب بجلية الذهب هو المعتز بن المتوكل ثامن الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان عالم أيضاً في ملابسهم فما ظنك بمشاريعهم ويتبين ذلك بآتم من هذا اذا فهمت طبيعة الدولة في اولها من البداوة والمضاضة كما نشرح في مسائل الكتاب الاول ان شاء الله والله الهادي الى الصواب . ويناسب هذا او قريب منه ما ينقلونه كخافه عن يحيى بن اكرم قاضي المامون وصاحبه وانه كان يعاقر الخمر وانه شكر ليلة مع شربه فدخن في الریحان حتى افاق وينشدون على لسانه ياسيدي وامير الناس كلهم قد جار في حكمهم كان يستقيني اني غفلت عن الساقى فصيرفني كما تراني سلب العقل والدين .

وحال ابن اكرم والمأمون في ذلك من حال الرشيد وشراهم إنما كان التيهي ولم يكن محظوراً عندهم واما السكر فليس من شأنهم ومحاربة للمأمون إنما كانت خلة في الدين ولقد ثبت انه كان ينام معه في البيت ونقل في فضائل المامون وحسن عشرته انه اتى ذات ليلة عطشان فقام يخبس ويأمنس الاناء مخافة ان يوقظ يحيى بن اكرم وثبت انها كانا يصلحان الصبح جميعاً فان هذا من المعافاة وايضاً فان يحيى بن اكرم كان من عليّة اهل الحديث وقد اتى عليه الامام احمد بن حنبل واسماعيل القاضي وخرج عنه الترمذي كتابه الجامع وذكر المزني الحافظ ان البخاري روى عنه في غير الجامع ما قدح فيه قدح في جميعهم وكذلك ما ينزهه الجان بالبل الى الغلمان بهتاناً على الله وقرية على العلماء ويستندون في ذلك الى اخبار النصاص الواهية التي لعلها من افتراء اعدائهم فانه كان محسوداً في كماله وخلته للسلطان وكان مقامه من العلم والدين منزهاً عن مثل ذلك ولقد ذكر لابن حنبل ما يرموه به الناس فقال سبحان الله سبحان الله ومن يقول هذا وانكر ذلك انكاراً شديداً واتي عليه اسماعيل القاضي فقيل له ما كان يقال فيه فقال معاذ الله ان تحول عدالة مثله بتكذيب باغ وجاسد وقال ايضاً يحيى بن اكرم ابرأ الى الله من ان يكون في شيء مما كان يرمى به من امر الغلمان ولقد كنت اقف على سرائره فاجده شديد الخوف من الله لكنه كانت فيه دعابة وحسن خلق فرمي يارمي به وذكره ابن حبان في الثقات وقال لا يشتغل بما يحكي

عنه لازماً أكثرها لا يصح عنه ومن أحوال هذه الحكايات ما نقله ابن عبد ربه صاحب العقد
من حديث الزبير في سبب اصهار المأمون الى الحسن بن سهل في بتو بوران وأنه عثر
في بعض الليالي في تطوافه بسكك بغداد في زنبيل مدني من بعض السطوح بمعالي وجدل
مغارة القتل من الحرير فاعتقه وتناول المعالي فأهتزت وذهب يوصداً الى مجلس شانه
كذا ووصف من زينة فرشو وتنضيد أبنيتو وجمال روثيتو ما يستوقف الطرف وبملك
النفس وإن امرأة برزت له من ظل الستور في ذلك المجلس رائحة الجمال فتأنة المحاسن فحجبت
ودعته الى المنادة فلم يزل يعاقرها الخمر حتى الصباح ورجع الى اصحابه بمكانهم من انتظاره
وقد شغفته حباً بعته على الاصهار الى ايها وابن هذا كله من حال المأمون المعروفة في
دينه وعلوه واقفاؤه سنن الخلفاء الراشدين من آبائهم واخذوا بسير الخلفاء الاربعه اركان
الملة ومناظرته العلماء وحفظه لحمد الله تعالى في صلواته واحكامه فكيف نضج عنه احوال
الفساق المستهترين^(١) في التطواف بالليل وطروق المنازل وغشيان السمرسيل عشاق
الاعراب وابن ذلك من منصب ابنه الحسن بن سهل وشرفها وما كان يدار ايها من الصون
والعفاف وامثال هذه الحكايات كثيرة وفي كتب المؤرخين مسروقة وانما يعث على وضعها
والحديث بها الانهاك في اللذات المحرمة وهتك فناع الخدرا وتعللون بالثأسي بالقوم
فما ياتونه من طاعة لذاتهم فلذلك ترام كثيراً ما يلجئون باشياء هذه الاخبار وينقرون
عنها عند تصفهم لا وراق الدواوين ولو اتيسلوا بهم في غير هذا من احوالهم وصفات الكمال
اللائقة بهم المشهورة عنهم لكان خيراً لهم لو كانوا يعلمون ولقد عدلت يوماً بعض الامراء
من ابناء الملوك في كلهم يعلم الغناء ولوعه بالاونار وقلت له ليس هذا من شانك ولا يليق
بمنصبك فقال لي افلا ترى الى ابراهيم بن المهدي كيف كان امام هذه الصناعة ورئيس
المغنين في زمانه فقلت له باسبحان الله وهلا ناسيت بايو واخيه او ما رأيت كيف قد
ذلك بابرهم عن مناصبهم فصم عن عذلي واعرض والله يهدي من يشاء ومن الاخبار
الواهية ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين والاثبات في العبيد بين خلفاء الشيعة بالقيروان
والقاهرة من تفهم عن اهل البيت صلوات الله عليهم والطقن في نسبهم الى اسماعيل الامام
ابن جعفر الصادق يعتمدون في ذلك على احاديث لفتت للمستضعفين من خلفاء بني العباس
تزلوا اليهم بالندح فبين ناصبهم وتفتت في الشتم بعدوم حسبنا نذكر بعض هذه الاحاديث
في اخبارهم ويغفلون عن التفتن لشواهد الواقعات وادلة الاحوال التي اقتضت خلاف
١ المستهتر بالشيء بالفتح المولع به لا يبالي بما فعل فيه وشتم له والذي كثرة اباطله او قاموس

ذلك من تكذيب دعواه والرد عليهم فانهم متفقون في حديثهم عن مبدأ دولة الشيعة ان
 ابا عبد الله الحنبل لما دعي بكتامة للرعي من اهل محمد واشهر خبره وعلم تحوته على عييد
 الله المهدي وابنه ابي القاسم خشيما على انفسهما فهربا من المشرق محل الخلافة واجتازا بمصر
 وانها خرجا من الاسكندرية في زبي النجار وفي يديهما الى عيسى النوشري عامل مصر
 والاسكندرية فشرح في طلبها الخجالة حتى اذا ادركا خفي حالهما على تابعيها بما لبسوا به من
 القنطرة والزبي فافلتقا الى المغرب وان المعتضد وعزى الى الاغالبية امرأه افر يقيا بالقيروان
 وبني مدرار امرأه سجماسة باخذ الافاق عليها واذكاه العيون في طلبها فعثر اليسع صاحب
 سجماسة من آل مدرار على خفي مكانها ببلده واعتقلها مرضاة للخليفة هذا قبل ان تظهر
 الشيعة على الاغالبية بالقيروان ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بالمغرب
 وافريقية ثم باليمن ثم بالاسكندرية ثم بمصر والشام والحجاز وقاصموه بني العباس في مالک
 الاسلام حتى الابلقة وكادوا يلجون عليهم مواطنهم ويزابلون مع امرهم ولقد اظهر دعوتهم
 ببغداد وعراقها الامير البساسيري من مؤالي الديلم المتفيلين على خلفاء بني العباس في
 مغاضبة جرت بينه وبين امراء العجم وخطب لم على منابرها حولا كاملا ولم زال بين
 العباس يفتنهم بمكانهم ودولتهم وملوك بني امية وراء البحر ينادون بالويل والحرب منهم
 وكيف يقع هذا كله لدعي في النسب يكذب في انحال الامراء عثر حال القرطبي اذ كان
 دعيا في اتسابه كيف تلاشت دعوته وتفرقت اتباعه وظهر سر يعا على خبيثهم ومكرم فسادت
 عاقبتهم وذاقوا وبال امرهم ولو كان امر العبيد ين كذلك لعرف ولو بعد مهلة

ومها تكن عند امرىء من خلقه وان حالها تخفى على الناس تعلم
 فقد انصلت دولهم نحو ما مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام ابراهيم عليه السلام
 ومصلاة وموطن الرسول صلى الله عليه وسلم ومدفنة وموقف الحجج ومهبط الملائكة ثم
 انقرض امرهم وشيعتهم في ذلك كله على اتم ما كانوا عليه من الطاعة لم والمحبة فيهم
 واعتقادهم بنسب الامام اسماعيل بن جعفر الصادق ولقد خرجوا مرارا بعد ذهاب الدولة
 ودروس اثرها داعين الى بدعتهم هاتفين باسماء صبيان من اعقابهم يزعمون استحقاقهم
 للخلافة ويذهبون الى تعيينهم بالوصية من سلف قبلهم من الائمة ولوارثا بها في نسبهم لما
 ركبو اعناق الاخطار في الانتصار لم فصاحب البدع لا يلبس في امره ولا يشبه في بدعته
 ولا يكذب نفسه فيما ينقله والعجب من القاضي ابي بكر الباقلاني شيخ النظار من المتكلمين
 يخرج الى هذه المقالة المرفوعة ويرى هذا الراي الضعيف فان كان ذلك لما كانوا عليه

من الاتحاد في الدين والتحق في الرافضة فليس ذلك بدافع في صدر دعوتهم وليس اثبات
متسهم بالذي يغني عنهم من الله شيئاً في كفرهم فقد قال تعالى لنوح عليه السلام في شأن
ابنه انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم وقال صلى الله
عليه وسلم لفاطمة يعظها يا فاطمة اعلمي فلن اغني عنك من الله شيئاً ومتى عرف امرهم
قضية واستيقن امراً وجب عليهم ان يصدعوا الله يقول الحق وهو يهدي السبيل والقيم
كانوا في مجال لظنون الدول بهم وتحت رقبة من الطغاة لتوفر شيعتهم وانتشارهم في
القاصية بدعوتهم وتكرار خروجهم مرة بعد اخرى فلذت رجالهم بالاخفاء ولم يكادوا
يعرفون كاقيل

فلو تسأل الايام ما اسمي ما درت وابن مكاني ما عرفني مكانيا
حتى لقد سمى محمد بن اسماعيل الامام جد عبيد الله المهدي بالكنية سنة بذلك شيعتهم
لما اتفقوا عليهم من اخفائهم من المتغلبين عليهم فتوصل شيعه بن العباس بذلك عند
ظهورهم الى الطعن في نسبهم وازدلتوا بهذا الرأي القائل للمستضعفين من خلفائهم واعجب
بواولياؤهم وامراء دولتهم المتولون لحروبهم مع الاعناء يدفعون به عن انفسهم وسلطانهم
معرفة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر والحجاز من البربر الكتائبين
شيعه العبيديين واهل دعوتهم حتى لقد اجمل القضاء ببغداد بنفيهم عن هذا النسب
وشهد بذلك عندهم من اعلام الناس جماعة منهم الشريف الرضي واخوه المرتضي وابن
الطحاوي ومن العلماء ابو حامد الاسفرايني والقنوري والصبري وابن الاكفاني والايوردي
وابو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم من اعلام الامة ببغداد في يوم مشهود وذلك
سنة ستين واربعائة في ايام القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف
بين الناس ببغداد وغالبها شيعة بني العباس الطاعنون في هذا النسب فثقله الاخبار يون
كما سمعوه ورووه حسبا وعرفوا الحق من ورائه وفي كتاب المعتضد في شأن عبيد الله الى ابن
الاعلى بالقيروان وابن مذرر بجملاسة اصدق شاهد وأوضح دليل على صحة نسبهم فالمعتضد
اقعد ينسب اهل البيت من كل احد والدولة والسلطان سوق للعالم تجلب اليه بضائع
العلوم والصنائع وتلبس فيه ضوال الحكم وتحدي اليه ركائب الروايات والاخبار وما
نثق فيها نثق عند الكافة فان تزهت الدولة عن التعسف والميل والافس والفسفة
وسكنت النهج الامم ولم تجر^(١) عن قصد السبيل نثق في سوقها لابرز الخالص والمجيبين

المصطفى وإن ذهبت مع الأغراض والحقود وماجت بهامسة البغي والباطل تنفج البهرج
 والزناقب والناقد البصير فسطاس نظره وميزان مجتوئ ملتسو ومثل هذا وأبعد منه كثيراً
 ما يحتاج به الطاعنون في نسب ادریس بن ادریس بن عبد الله بن حسن بن الحسن
 ابن علي بن ابي طالب (رضوان الله عليهم) الإمام جعد ايو بالمغرب الأقصى ويعرضون
 بعرض محمد بالتظن في المحمل الخلف عن ادریس الاكبر انه لراشد مولاہم فبهم الله
 وأبعدهم ما أجهلهم ما ما يظنون ان ادریس الاكبر كان اصهاره في البربروانة منذ دخل
 المغرب الى ان توفاه الله عز وجل عريق في البدو وان حال البادية في مثل ذلك غير
 خافية الا لما كان لم يبق فيها الريب واحوال حرمهم اجمعين برأى من جاراعن
 ومسمع من جيرانهم لتلاصق المجدران وتطامن البنيان وعدم الفواصل بين المساكن
 وقد كان راشد يتولى بمخدمة الحرم اجمع من بعد مولاہم بمشهمن اوليائهم وشجعهم ومراقبة
 من كافتهم وقد اتفق برابة المغرب الأقصى عامة على معة ادریس الاصغر من بعد ايو
 وانوه طاعتهم عن رضى واصناف ويايوع على الموت الأسمر وخاضوا دونه بحار المنايا في
 حروبه وغزواته ولو خدعوا انفسهم بمثل هذه الرية او قرعت اسماهم ولو من عدو
 كاشع او منافق مرتاب الخلف عن ذلك ولو بعضهم كلا والله انما صدرت هذه الكلمات
 من بني العباس اقتالهم ومن بني الاغلب عاالم كانوا بافرقية وولائهم وذلك انما فر
 ادریس الاكبر الى المغرب من وقعة بن اوعز الهادي الى الاغلبة ان يقعدوا له بالمرصد
 وينكوا عليه الميون فلم يظفروا بيو وخلص الى المغرب فتم امره وظهرت دعوته وظهر
 الرشيد من بعد ذلك على ما كان من واضح مولاہم وعاملهم على الاسكندرية من دسيسة
 التشيع للعلوية وادهانوا في نجاه ادریس الى المغرب فقتله ورس الشاخ من موالى المهدي
 ايو للفتيل على قتل ادریس فاطهر اللهاق بوالبراة من بني العباس موالیه فاشتمل عليه
 ادریس وخطبته بنفسه وناولته الشاخ في بعض خلواته ما استهلكه به ووقع خبر مهلكه من
 بني العباس احسن المواقع لما رجوه من قطع اسباب الدعوة العلوية بالمغرب واقتلاع
 جرثومتها ولما نادى اليهم خبر المحمل الخلف لادریس فلم يكن لهم الا كلاً ولا اذا بالدعوة
 قد عادت والشيعه بالمغرب قد ظهرت وحولتهم بادریس بر ادریس قد تجددت فكان
 ذلك عليهم انكى من وقع السهام وكان القتل والهرم قد نزل بدولة العرب عن ان يسموا
 الى القاصية فلم يكن متبى قدرة الرشيد على ادریس الاكبر بمكانه من قاصية المغرب
 واشتال البربر عليه الا القليل في اهلاكو بالسموم فعند ذلك فرعوا الى اوليائهم من الاغلبة

بأفريقية في سد تلك الفرجة من ناخيتهم وحسم الداء المتوقع بالدولة من قبلهم واقتلاع تلك الشقوق قبل ان تنفج منهم يخاطبهم بذلك المأمون ومن بعده من خلفائهم فكان الاغلبة عن براية المغرب الأقصى اعجزوا مثلها من الزبون على مليوكم احوج لما طرق الخلافة من انتراء ممالك الصحر على سديها وانتظامهم صهوة الغلب عليها ونصرتهم احكامها طوع اغراضهم في رجالها ونجابتها واهل خططها وسائر نقضها وابراها كما قال شاعرهم

خليفة في قنصر بين وصيف وبغا
يقول ما قاله كما تقول البيضا

فخشي هؤلاء الامراء الاغلبة بادر السعابات وتلوا بالمعاذير فطوروا باحتقار المغرب واهلوا وطورا بالارهاب بشأن ادريس الخارج به ومن قام مقامه من اعقابو بخاطبوتهم بجاوزه حدود القوم من علو وينفذون سكتة في تخنم وهذا يوم ومرتفع جباياتهم نعرضا باستغفاله وتهميلا باشتداد شوكتو وتعظيلا لما دفعوا اليوم مطالبته ومراسمه ويدقلب الدعوة ان الجحش اليه وطورا يطعنون في نسب ادريس بمثل ذلك الطعن الكاذب تخفيضا لشأنه لا يبالون بصدق من كذب لبعده المسافة وأفن عقول من خلف من صيته بني العباس ومالكهم العجم في القول من كل قائل والسمع لكل ناعق ولم يزل هذا داهم حتى انقضى امر الاغلبة ففرغت هذه الكلمة الشنعاء اماع الفوغاء وضرت عليها بعض الطاعنين اذنة واعتدوها ذريعة الى النيل من خلفهم عند المناقصة وما لم فقيم الله والعقول عن مقاصد الشريعة فلا تعارض فيها بين المقتطوع والمظنون وادريس ولد على فراش ابيه والولد للفراش على ان تنزبه اهل البيت عن مثل هذا من عقائد اهل الايمان فانه سبحانه قد اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ففراش ادريس طاهر من الدنس ومنزه عن الرجس بحكم القرآن ومن اعتقد خلاف هذا فقد باء بائه وولج الكفر من بابه وانما اطبت في هذا الردس الا ابواب الريب ودفعاً في صدر الحاسد لما سمعته اذناي من قاتلو المعتدي عليهم القادح في نسبهم بفرقتو وينقله بزعمو عن بعض مورخي المغرب ممن اغترف عن اهل البيت وارتاب في الايمان بسلفهم والا فالهمل منزع عن ذلك معصوم منه ونفي العيب حيث يستعمل العيب لعب كحي جادلت عنهم في الحياة الدنيا وارجوان يجادلوا عني يوم القيامة ولعلهم ان اكثر الطاعنين في نسبهم انما هم المحسدة لاعتقاب ادريس هذا من منتم الى اهل البيت او دخيل فيهم فان ادعاء هذا النسب الكرم دعوى شرف عريض على

الام والاجمال من اهل الافاق فتعرض التهمة فيه ولما كان نسب بني ادريس هؤلاء
بمواطنهم من فارس وسائر ديار المغرب قد بلغ من الشهرة والوضوح مبلغاً لا يكاد يلحق ولا
يطمح احد في دركو اذ هو قل الامة والجيل من الخلف عن الامة والجيل من السلف
وبيت جدهم ادريس مختف فليس وموسسها بين يوعهم ومسجده لصق محلتهم ودروهم
وسيفة متخفي براس الماذنة العظمى من قرار بلدهم وغير ذلك من اثاره التي جاوزت
اخبارها حدود التواتر مرات وكادت تلحق بالعين فاذا نظر غيرهم من اهل هذا النسب الى
ما اتاهم اثمهم امثالها وما عضد شرفهم النبوي من جلال الملك الذي كان لسلفهم بالمغرب
واستيقن انه بمنزل عن ذلك وانه لا يبلغ مد احداهم ولا تصيغه وان غاية امر المنتمين
الى البيت الكرم من لم يجهل له امثال هذه الشواهد ان يعلم لهم حالهم لان الناس
مصدقون في انسابهم ويؤمن ما بين العلم والظن واليقين والتسليم فاذا علم بذلك من
نفسه غص بريقه وود كثير منهم لو يردونهم عن شرفهم ذلك سوقه ووضعا^(١) جسداً من
عند انفسهم فيرجعون الى العناد وارتكاب اللجاج والبهت بمثل هذا الطعن النازل والقول
المكذوب تعالاً بالمساواة في الظنة والمشابهة في تطرق الاحتمال وفيها لم ذلك فليس
في المغرب فيما نعلمه من اهل هذا البيت الكرم من يبلغ في صراحة نسبة ووضوحه مبالغ
اعقاب ادريس هذا من آكل الحسن وكبراهم لهذا العهد بنو عمران بناس من ولد يحيى
الحوطي بن محمد بن يحيى العوام بن القاسم بن ادريس بن ادريس وهم نقباء اهل البيت
هناك والساكنون ببیت جدهم ادريس ولم السيادة على اهل المغرب كافة حسبما نذكرهم
عند ذكر الادارة ان شاء الله تعالى ويلحق بهذه المقالات الفاسدة والمذاهب الفائلة
ما يتناوله ضعفه الراي من فقهاء المغرب من القدرح في الامام المهدي صاحب دولة
الموحدين ونسبوا الى الشعوذة والتليس فيما اتاه من القيام بالتحديد الحق والنبي على
اهل البني قبله وتكذيبهم لجميع مدعياته في ذلك حتى فيما يزعم الموحدون اتباعه من
انتسابه في اهل البيت وانما حمل الفقهاء على تكذيبهم كما كن في نفوسهم من حسده على شانه
فانهم لما رأوا من انفسهم مناهضة في العلم والفتيا وفي الدين برعهم ثم امتاز عنهم باثة
متبوع الراي مسموع القول موطوء العقب نفسوا ذلك عليهم وبغضوا منه بالقدرح في مذاهبه
والتكذيب لمدعياته وايضاً فكانوا يونسون من ملوك لمتونة اعدائهم تجلة وكرامة لم تكن لهم
من غيرهم لما كانوا علو من السذاجة والفتال الديانة فكان لحيلة العلم بدولتهم مكان من

الوجهة ولا تنساب للشورى كل في بلده وعلى قدره في قومه فاصبحوا بذلك شيعه لهم
ومحرراً لمبدوم وتقبلوا على المهدي ما جاء به من خلافتهم والتربس عليهم والمناصب لم تشيعاً
للمتونه وتصبأوا دولتهم ومكان الرجل غير مكانهم وحال على غير معتقداً منهم وما ظنك برجل
نقم على اهل الدولة ما نقم من احوالهم وخالف اجتهادهم فها هم فنأدى في قومه ودعا الى
جهادهم بنفسه فاقبلت الدولة من اصولها وجعل عاليها سافلها اعظم ما كانت قوة واشد شوكة
واغز انصاراً وحامية وتساقطت في ذلك من اتباعه نفوس لا يصبها الا خالفها قد بايعوه
على الموت ووقوه بانفسهم من الملكة وتقربوا الى الله تعالى بانلاف مهجهم في اظهار تلك
الدعوة والعصب لتلك الكلمة حتى علت على الكلم ودالت بالصدوتين من الدول وهو
بمحالة من التفش والحصر والصبر على المكاره والتقليل من الدنيا حتى قبضه الله وليس على
شيء من الحظ والمتاع في دينه حتى الولد الذي ربما تملح اليه النفوس وتغادع عن تنبيه
فليت شعري ما الذي قصد بذلك أن لم يكن وجه الله وهو لم يحصل له حظ من الدنيا
في عاجله ومع هذا فلم كان قصده غير صالح لما تمهارة وانفسحت دعوتة سنة الله التي قد
خلت في عبادته ولما انكارهم نسبة في اهل البيت فلا تعصده خجة لم مع انه ان ثبت انه
ادعاء واتسب اليه فلا دليل يقوم على بطلان لان الناس مصدقون في انسابهم وان قالوا
ان الرئاسة لا تكون على قوم في غير اهل جلدتهم كما هو الصحيح حسبا ياتي في الفصل
الاول من هذا الكتاب والرجل قد رأس سائر المصامدة ودانوا باتباعه ولا تقياد اليه
والى عصائيه من هرغة حتى تم امر الله في دجوتوه فاعلم ان هذا النسب الناجي لم يكن امر
المهدي يتوقف عليه ولا اتبعت الناس بسببه وإنما كان اتباعهم له بعصية الهرغبة والمصودية
ومكانة منها ورسوم شجرتوه فيها وكان ذلك النسب الناجي خفياً قد درس عند الناس
وبقي عنده وعند عشرته يتناقلونه بينهم فيكون النسب الاول ككلمة انسلخ منه وليس جلدة
هولاء وظهر فيها فلا يضره الانتساب الاول في عصبيتوه اذ هو مجهول عند اهل العصابة
ومثل هذا واقع كثيراً اذا كان النسب الاول خفياً وانظر قصة عرغبة وجرير في رئاسة
نجيلة وكيف كان عرغبة من الازد وليس جلدة بجيلة حتى تنازع مع جرير رياستهم عند
عمر رضى الله عنه كما هو مذكور فتعلم منه وجه الحق والله الهادي للصواب وقد كدنا ان
نخرج عن غرض الكتاب بالاطناب في هذه المخالط فقد زلت اقدام كثير من الانبيات
والمورخين الحفاظ في مثل هذه الاحاديث والاراء وعلقت افكارهم وظلها عنهم الكفاة
من ضعفة النظر والغفلة عن القياس وتلقوا هم ايضاً كذلك من غير محت ولا روية

واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ وأهيا محطاً وناظرة مرتبكا وعدة من بنيان
العامه فاذا ايجناح صاحب هذا الفن الى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف
الامم والبقاع والاعصار في السبر والاخلاق والعوائد والفعل والمذاهب وسائر الاحوال
والاحاطة بالماض من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الطالب من الوفاق اويون ما بينها
من المخلاف وتطليل المنق منها والمختلف والقيام على اصول الدول والممل ومبادي ظهورها
وانحباب حدودها ودواعي كونها واحوال القائمين بها واخبارهم حتى يكون مستوعبا لاسباب
كل حادث واقفا على اصول كل خبره وحديثه بفرض خبر المقتول على ما عنده من
القواعد والاصول فان واقفا وجري على مقتضاها كان صحيحا والا زينة واستغنى عنه
وما استكبر القدماء علم التاريخ الا لذلك حتى انقله الطبري والبخاري وابن اسحاق من
قبلها وامثالهم من علماء الامم وقد ذهل الكثير عن هذا السرفيد حتى صار انتقاله مجمله
واستغف العوام ومن لا رسوخ له في المعارف مطالعة وحملته والنحوض فيه والتطفل عليه
فاختلط المرجى بالهمل واللباب بالقشر والصادق بالكاذب والى الله عاقبة الامور ومن
الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الاحوال في الامم والاجال بتبدل الاعضاء
ومرور الايام وهو داء دوي شديد الخفا اذ لا يقع الا بعد احتجاب متطاولة فلا يكاد
يتفطن له الا الاحاد من اهل الخلقة وذلك ان احوال العالم والامم وعوائدهم ونظمهم
لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر انما هو اختلاف على الايام والازمنة وانتقال من
حال الى حال وكما يكون ذلك في الاشخاص والافاق والامصار فكذلك يقع في الافاق
والاقطار والازمنة والدول سنة الله التي قد دخلت في عبادته وقد كانت في العالم امم
الفرس الاولى والسريانيون والنبط والتبابعة وبنو اسرائيل والنبط وكانوا على احوال
خاصة بهم في دولهم وممالكهم وسياساتهم وصنائعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم وسائر مشاركاتهم
مع ابناء جنسهم واحوال اعقارهم للعالم تشهد بها آثارهم ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية
والروم والعرب فتبدلت تلك الاحوال وانقلبت بها العوائد الى ما يجانسها او يشابهها
والى ما يباينها او يباعدها ثم جاء الاسلام بدولته فانتقلت تلك الاحوال اجمع انقلابا
اخرى وصارت الى ما اكثره متعارف لهذا العهد ياخذ الخلف عن السلف ثم درست
دولة العرب وياهم ونهبت الاسلاف الذين شيدوا عزمهم ومهدوا ملكهم وصار الامر في
ايدي سوام من العجم مثل الترك بالشرق والبربر بالمغرب والفرنجية بالشمال فنهبت
بذاهبهم امم وانقلبت احوال وعوائد نسي شأنها واغفل امرها والسبب الشائع في تبدل

الاحوال والعوائد ان عوائد كل جبل تابعة لعوائد سلطانها كما يقال في الامثال المحكية
 الناس على دين الملك واهل الملك والسلطان اذا استولوا على الدولة والامر فلا بد من ان
 يفرغوا الى عوائد من قبلهم ويأخذون الكثير منها ولا يغفلون عوائد جبلهم مع ذلك فيقع
 في عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجبل الاول فاذا جاءت دولة اخرى من بعدهم
 ومزجت من عوائدهم وعوائد ما خلفت ايضا بعض الشيء وكانت الاولوية اشد مخالفة
 ثم لا يزال التدرج في المخالفة حتى ينتهي الى المباشرة بالجمل فاما الامم والانجال
 فتعاقب في الملك والسلطان لاتزال المخالفة في العوائد والاحوال واقعة والقياس
 والمحاكاة للانسان طبيعة معروفة ومن الغلط غير مأمونة مخرجة مع الذهول والغفلة عن
 قصده وتعود به عن مرأوه فرما يسمع السامع كثيراً من اخبار الماضين ولا يتفطن لما
 وقع من تغير الاحوال وانتقالها فيغيرها لاول وهلة على ما عرف وقيسها بما شهد وقد
 يكون الفرق بينهما كثيراً فيقع في هوة من الغلط فن هذا الباب ما ينقله المورخون من احوال
 المحاج وان اباه كل من المعلمين مع ان التعليم لهذا العهد من جملة الصنائع المعاشية البعيدة
 من اعتزاز اهل العvisية والمعلم مستضعف مسكون منقطع الخدم^(١) فيتشوف الكثير من
 المستضعفين اهل الحرف والصنائع المعاشية ان ينال الرتب التي ليسوا لها باهل ويعدونها
 من المكنات لم يذهب بهم وساوس المطامع وربما انقطع حبها من ايديهم فسقطوا في
 هوة المملكة والتلف ولا يعلمون استعمالها في حقهم وانهم اهل حرف وصنائع للمعاش
 وان التعليم صدر الاسلام والدولتين لم يكن كذلك ولم يكن العلم بالجملة صناعة انما كان
 نقلاً لما سمع مع الشارع وتعلماً لما جهل من الدين على جهة البلاغ فكان اهل الانساب
 والعvisية الذين قاموا بالعلم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على
 معنى التبليغ المخبري لا على وجه التعليم الصناعي اذ هو كتابهم المنزل على الرسول منهم وبه
 هدايتهم والاسلام دينهم فاتلوا عليه وقتلوا واخصوا به من بين الامم وشرفوا فيمحصون
 على تبليغ ذلك وتفهيمه للامة لا تصدم عنه لائمة الكبر ولا يزعهم عاذل الائمة ويشهد
 لذلك بعث النبي صلى الله عليه وسلم كبار اصحابه مع وفود العرب يعلمونهم حدود الاسلام
 وما جاء به من شرائع الدين بعث في ذلك من اصحابه العشرة فمن بعدهم فلما استقر الاسلام
 وشجبت عروق الملة حتى تناولها الامم البغيدة من ايدي اهلها واستغلت بمرور الايام
 احوالها وكثرت استنباط الاحكام الشرعية من النصوص لتعدد الوقايح وتلاحقها فاحتاج

ذلك لقانون بجنطة من الخطأ وصار العلم ملكة يحتاج الى التعلم فاصبح من جملة الصنائع
والحرف كما ياتي ذكره في فصل العلم والتعليم واشتغل اهل العصية بالقيام بالملك والعلطان
فدفع تعلم من قام به من موانع واصبح حرفة للمعاش وشغف انوف المترفين واهل السلطان
عن التصدي للتعليم واختص انحال بالمستضعفين . صار منجطة محقرا عند اهل العصية
والملك والنجماج بن يوسف كان ابو من سادات ثقيف واشراهم ومكانهم من عصبية
العزب ومنافقة قريش في الشرف ماعلت ولم يكن تعلية للفران على ما هو الامر
عليه لهذا العهد مع انه حرفة للمعاش وانما كان على ما وصفناه من الامر الاول في الاسلام
ومن هذا الباب ايضا ما يتوهمه المتصفون لكتب التاريخ اذا سمعوا احوال القضاة وما
كانوا عليه من الرئاسة في الحروب وقود العساكر فتراحم بهم وسواس بهم الى مثل تلك الرتب
يحسبون ان الشأن خطلة القضاء لهذا العهد على ما كان عليه من قبل ويظنون بان
ابي عامر صاحب هشام المستبد عليا وابن عباد من ملوك الطوائف باشيلية اذا سمعوا ان
اباهم كانوا قضاة اتهم مثل القضاء لهذا العهد ولا يتفطنون لما وقع في رتبة القضاء من
مخالفة العوائد كما نبينه في فصل القضاء من الكتاب الاول وابن ابي عامر وابن عباد كانا
من قبائل العرب القاطنين بالدولة الاموية بالاندلس واهل عصبيتها وكان مكانهم فيها
معلوما ولم يكن نيلهم لما نالوه من الرئاسة والملك بجنطة القضاء كما هي لهذا العهد بل لما كان
القضاء في الامر المتقدم لاهل العصية من قبل الدولة ومواليها كما هي الوزارة لعهدنا
بالمغرب وانظر خروجهم بالساكر في الطوائف وتقليد عظام الامور التي لا تقلد الا
لمن له الفتي فيها بالعصية فيغلط السامع في ذلك ويحمل الاحوال على غير ما هي واكثر
ما يقع في هذا الغلط ضعفاء البصائر من اهل الاندلس لهذا العهد لفقدان العصبية في
مواطنهم منذ اعصار بعيدة بنفاعة العرب ودولتهم بها وخروجهم عن ملكة اهل العصبية (١)

١ العصبية بتحقون التعصب وهو ان يذب الرجل عن حرم صاحبه ويشمر عن ساق الجدي في نصره منسوبة الى
العصبة بحركة وهم اقارب الرجل من قبل ابويولاهم للذين عن حرم من هو متهم وفي هذا المعنى ممدوحة واما
العصبية المنسوبة في الحديث الى الجاهل الصغير ليس منان دعا الى عصبية وليس منان قاتل على عصبية وليس منان
مات على عصبية فهي تعصب رجال لقبيلة على رجال قبيلة اخرى لغير دينه كما كهن يقع من قيام سعد على حرام
نسبة الى العصبية بمعنى قوم الرجل الذين يتعصبون له ولو من غير اقارب وظللكا كان ومظلوما وفي الفتاوى والبحرية
من موافق قبول الشهادة بالعصية وهي ان يخفى الرجل الرجل لانه من بني فلان او من قبيلة كذا والوجه في ذلك
ظاهرا هو ارتكاب الحرم في الحديث ليس منان دعا الى عصبية وهو موجب للفسق ولا شهادة لمركبو . قاله
الاستاذ ابو الوفاء

من البربر فبقيت انسابهم العريضة محفوظة والذريعة الى العز من العصية والناسر مفقودة بل صاروا من جملة الرعايا المتخاذلين الذين تبعهم القهر ورثوا المذلة بحسب ان انسابهم مع مخالطة الدولة هي التي يكون لهم بها القلب والتمسك فيجد اهل الحرف والصانع منهم متصدعين لذلك ساعين في نيلها فاما من باشر احوال القبائل والعصية ودولهم بالعدوة الغربية وكيف يكون التغلب بين الامم والعناصر فقلما يغلطون في ذلك فيخطئون في اعتبارهم ومن هذا الباب ايضا ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول ونسب ملوكها فيذكرون اسماء ونسب واباء وامه ونسأه ولقبه وخاتمه وقاضيه وحاجبه ووزيره كل ذلك تقليد للمورخين الدوليين من غير تفتن لمقاصدهم والمورخون لذلك العهد كانوا يضعون تواريخهم لاهل الدولة وبنائها منشوقون الى سير اسلافهم ومعرفة احوالهم ليقفوا آثارهم وينسجوا على منوالهم حتى في اصطناع الرجال من خلف دولتهم وتقليد الخطوط والمراتب لاهل صنائعهم وذوهم والقضاة ايضا كانوا من اهل عصية الدولة وفي عداد الوزراء كما ذكرناه لك فيحتاجون الى ذكر ذلك كله واما حين تباينت الدول وتباعد ما بين العضود ووقف الغرض على معرفة الملوك بانفسهم خاصة ونسب الدول بعضها من بعض في قوتها وغلبيتها ومن كان بناهضها من الامم او يتصر عنها فما الفائدة المصنف في هذا العهد في ذكر الابناء والنساء ونقش الخاتم واللقب والقاضي والوزير والحاجب من دولة قديمة لا يعرف فيها اصولهم ولا انسابهم ولا مقاماتهم انما حملهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين الاقدمين والذهول عن تحري الاغراض من التاريخ اللهم الا ذكر الوزراء الذين عظمت آثارهم وعنت عن الملوك اخیارهم كالحجاج وبنو المهلب والبرامكة وبنو سهل بن نوحث وكافور الاخشيدي وابن أبي عامر وامثالهم فغير نكير الالماع بابائهم والاشارة الى احوالهم لا تنظامهم في عداد الملوك. ولندكر هنا فائدة نغم كلانا في هذا الفصل بها وهي ان التاريخ انما هو ذكر الاخبار الخاصة بعصر او جيل فاما ذكر الاحوال العامة للافاق والاجبال والاعصار فهو اس للمورخ ينبغي عليه اكثر مقاصده وتبيين به اخباره وقد كان الناس يفرقونه بالتأليف كما فعله المسعودي في كتاب مروج الذهب شرح فيه احوال الامم والافاق لعهد في عصر الثلاثين والثلاثمائة غربا وشرقا وذكر غلهم وعواندهم ووصف البلدان والجمال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصار اماما للمورخين يرجعون اليه واصلا يعولون في تحقيق الكثير من اخبارهم عليه ثم جاء البكري من بعده ففعل مثل ذلك في المسالك والممالك خاصة دون غيرها من

الاحوال لان الام والاجمال لعهده لم يقع فيها كثير انتقل ولا عظيم تغير واما لهذا العهد
 وهو اخر المائة الثامنة فقد انقلب احوال المغرب الذي نحن شاهدوه وتبدلت بالجملة
 واعراض من اجمال البربر اهله على القدم بما طرأ فيه من لدن المائة الخامسة من اجمال
 العرب بما كسروهم وغلبوهم وانتزعوا منهم عامة الاوطان وشاركهم فيها بقي من البلدان
 ملكهم هذا الى ما ينزل بالعمران شرقاً وغرباً في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون
 الجاف الذي تخيف الام وذهب باهل الجبل وطوى كثيراً من محاسن العمران ومحاها
 وجاء للدول على حين هزمها وبلغ الغاية من مداها ففصل من ظلالها وقل من حدها
 وابوه من سلطانها وتداغت الى الثلاثي والاضمحلال اموالها وانتقض عمران الارض
 بانتقاص البشر فخربت الامصار والمصانع ودرست السبل والامام وخلت الديار والمنازل
 وضعت الدول والقبائل وتبدل الساكن وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب
 لكن على نسبه ومقدار عمران وكأني نادى لسان الكون في العالم بالخمبول والانقباض فيادر
 بالاجابة والله وارث الارض ومن عليها واذا تبدلت الاحوال جملة فكأنما تبدل المخلوق من اصله
 وتحول العالم بأسره وكأنه خلق جديد ونشأ متأنفة وعالم محدث فاحتاج لهذا العهد من
 يدون احوال الخليفة والافاق واجيالها والعوائد والفعل التي تبدلت لاهلها وبقيت مسلك
 المسعودي لعصره ليكون اصلاً يقتدي به من يأتي من المؤرخين من بعده وانا ذاكر في
 كتابي هذا ما أمكنني منه في هذا القطر المغربي اما صريحاً او مندرجاً في اخباره وتلويحاً
 لاخصاص قصدي في التاليف بالمغرب واحوال اجيالهم واموهم وذكر ممالكهم ودولهم دون
 ما سواه من الاقطار لعدم اطلاعي على احوال المشرق وامواله وان الاخبار المتناقلة لاني
 كنه ما اریده منه والمسعودي انما استوفى ذلك لبعده رحلتهم ونقلهم في البلاد كما ذكر في
 كتابه مع انه لما ذكر المغرب قصر في استيفاء احواله وفوق كل ذي علم عليم ومرء العلم
 كله الى الله والبشر عاجز قاصر والاعتراف متعين واجب ومن كان الله في عون تيسرت
 عليه المذاهب وانفجحت له المساعي والمطالب ونحن آخذون بعون الله فيما رمناه من
 اغراض التاليف والله المستد والمعين وعاء التكلان وقد بقي علينا ان نقدم مقدمة في
 كيفية وضع الحروف التي ليست من لغات العرب اذا عرضت في كتابنا هذا
 اعلم ان الحروف في النطق كما يأتي شرحه بعد في كينيات الاصوات الخارجة من
 الحنجرة تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهاة واطراف اللسان مع الحنك والمخلف
 على الاضراس او بقرع الشفتين ايضاً فتتغير كينيات الاصوات بتغير ذلك القرع وتجي

الحروف متماثلة في السمع وتركب منها الكلمات الدالة على ما في الفصائل وليست الام كلها متساوية في النطق بتلك الحروف فقد يكون لامة من الحروف ما ليس لامة اخرى والحروف التي نطقت بها العرب هي ثمانية وعشرون حرفاً كما عرفت ونجد للعبرانيين حروفاً ليست في لغتنا وفي لغتنا ايضاً حروف ليست في لغتهم وكذلك الافنجج والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم ثم ان اهل الكتاب من العرب اصطلمهم في الدلالة على حروفهم المسموعة باوضاع حروف مكتوبة متميزة باشخاصها كوضع الفسوماه وجيم وزاء وطاء الى اخر الثمانية والعشرين واذا تعرض لم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي مملأً عن الدلالة الكتابية مغفلاً عن البيان وربما يرسه بعض الكتاب بشكل الحرف الذي يكتبه من لغتنا قبله او بعده وليس ذلك بكاف في الدلالة بل هو تغيير للحرف من اصله ولما كان كتابنا مشتملاً على اخبار البربر ونقص العجم وكانت تعرض لنا في اسمائهم او بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح اوضاعنا اضطررنا الى بيانهم ولم نكتفر برسم الحرف الذي يليه كما قلناه لانه عندنا غير واف بالدلالة عليه فاصطلمت في كتابي هذا على ان اضع ذلك الحرف العجمي بما يدل على الحرفين اللذين يكتبانه ليتوسط الفاري بالنطق به بين مخرجي ذينك الحرفين فتصّل ناديتنا وانما اقتبست ذلك من رسم اهل المصحف حروف الاشنام كالصراط في قراءة خلف فان النطق بصاده فيها معجم متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصادورسوها في داخلها شكل الزاي ودل ذلك عندم على التوسط بين الحرفين فكذلك رسمت انه كل حرف يتوسط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم او القاف مثل اسم بلكين فاضعها كافاً وانقطعتا بنقطة الجيم واحدة من اسفل او بنقطة القاف واحدة من فوق او اثنتين فيدل ذلك على انه متوسط بين الكاف والجيم او القاف وهذا الحرف اكثر ما يجيء في لغة البربر وما جاء من غيره فعلى هذا التباس اضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين معاً ليعلم الفاري انه متوسط فينطق به كذلك فيكون قد دللنا عليه ولو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانبه لكنا قد صرفناه من مخرجه الى مخرج الحرف الذي من لغتنا وغيرنا لغة القوم فاعلم ذلك والله الموفق للصواب بمنه وفضله

الكتاب الاول

في طيعة العمران في المخلقة وما يعرض فيها من البدو والمحضرات والتغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من الجبل والاسباب

اعلم انه لما كانت حقيقة التاريخ انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمرات
العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل النوح والانس والعصيات
واصناف التغليات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول
ومراتبها وما ينقطة البشر باعمالهم ومساعيمهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر
ما يحدث من ذلك العمران بطبيعتهم من الاحوال. ولما كان الكذب متطرقاً للخبر
بطبيعتهم وله اسباب تقتضيه. فمنها الشيعات للاراء والمذاهب فان النفس اذا كانت على
حال الاعتدال في قبول الخبر اعطته حقة من التحيص والنظر حتى تبين صدقه من
كذبه واذا خامرها تشيع لرأي او تحلة قبلت ما يوافقها من الاخبار لاول وهلة وكان ذلك
الميل والتشيع غطاء على عين يهيم بها عن الاتقاد والتحيص فنفع في قبول الكذب
ونقله. ومن الاسباب المقتضية للكذب في الاخبار ايضاً الثقة بالنقلين وتحيص ذلك
يرجع الى التعديل والتجريح. ومنها للذهول عن المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد
بما عين او سمع وينقل الخبر على ما في ظنّه وتخمينه فيقع في الكذب. ومنها تورم الصدق
وهو كثير وإنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالنقلين. ومنها الجهل بتطبيق الاحوال
على الوقائع لاجل ما يداخلها من التليس والتصنع فيقلبه الخبر كما راها وهي بالتصنع على
غير الحق في نفسه. ومنها تقرب الناس في الأكثر لاصحاب التحلة والمراتب بالشامخ والمدح
وتحسين الاحوال واشاعة الذكر بذلك فيستفيض الاخبار بها على غير حقيقة فالنفس
مولعة بحب الثناء والناس متطلعون الى الدنيا واسمايتها من جاه او ثروة وليسوا في الأكثر
براغبين في الفضائل ولا متنافسين في اهلها. ومن الاسباب المقتضية له ايضاً وهي سابقة
على جميع ما تقدم الجهل بطبائع الاحوال في العمران فان كل جاد من المحوادث ذاتاً
كان او فعلاً لا بد له من طبيعة فحصة في ذاته وفيها يعرض له من احوالها فاذا كان السامع
عارفاً بطبائع المحوادث والاحوال في الوجود ومقتضياتها اعانه ذلك في تحيص الخبر على
تمييز الصدق من الكذب وهذا البغ في التحيص من كل وجه يعرض وكثيراً ما يعرض
للسامعين قبول الاخبار المستحيلة وينقلونها وتوثر عنهم كما نقله المسعودي عن الاسكندر
لما صدته دواب البحر عن بناء الاسكندرية وكيف اتخذ تابوت الخشب وفي باطنه
صندوق الزجاج وخصص فيه الى قعر البحر حتى صور تلك الدواب الشيطانية التي يراها
وعمل نماثيلها من اجساد معدنية ونصبها حذاء البنيان ففرت تلك الدواب حين خرجت
وعابتها وتم له بناؤها في حكاية طويلة من احاديث خرافة مسخولة من قبل اتخاذ التابوت

الزجاجي ومصادمة البحر وامواجه يحرمو ومن قبل ان الملوك لا تحمل انفسها على مثل هذا
 الغرور ومن اعتمد منهم فقد عرض نفسه للهلكة وانتقاض العقدة واجتماع الناس الى غيره
 وفي ذلك اتلافة ولا يتظرون به رجوعه من غروره ذلك طرفة عين ومن قبل ان
 الجن لا يعرف لما صور ولا تماثيل تخلص بها انما هي قادرة على التشكل وما يذكر من
 كثرة الروموس لما فاما المراد بالبشاعة والتهويل لا انه حقيقة . وهذه كلم اتاحده في تلك
 الحكاية والقادح المحيل لما من طريق الوجود ابين من هذا كله وهو ان المنفس في المأمول
 كان في الصندوق يضيئ عليه الهواء النفس الطبيعي وتنفخ روحه بسرعة لقلوبه^(١) فيفقد
 صاحبه الهواء البارد المعدل لمزاج الرئة والروح القلبي ويهلك مكانه وهذا هو السبب
 في هلاك اهل الحامات اذا اطبقت عليهم عن الهواء البارد والتدلين في الابار والمطامر
 العميقة المهي اذ سجن هو واما بالعفونة ولم تدخلها الرياح فتتلفها فان التدلي
 فيها يهلك الحينو وهذا السبب يكون موت المحوت اذا فارق الجرفان الهواء لا يكتوي
 في تعديل ريمو اذ هو حار بافراط والماء الذي يعدله بارد والهواء الذي خرج اليو حار
 فيستولي الحار على روحه الحيواني ويهلك دفعه وموت هلاك المصعوقين وامثال ذلك
 ومن الاخبار المستغيلة ما نقله المسعودي ايضا في مثال الزرور الذي برومة تجتمع اليو
 الزرارير في يوم معلوم من السنة حاملة للزيتون ومنه يتخذون زيتهم وانظر ما بعد ذلك
 عن الجري الطبيعي في اتخاذ الزيت . ومنها ما نقله البكري في بناء المدينة المسماة ذات
 الابواب تحيط بأكثر من ثلاثين مرحلة وتشتمل على عشرة الاف باب والمدن انما اتخذت
 للتحصن والاعتصام كما يأتي وهذا خرجت عن ان يحاط بها فلا يكون فيها حصن ولا
 معصم وكما نقله المسعودي ايضا في حديث مدينة الفحاص وانها مدينة كل بناها نحاس
 بصحراء مجلماسة ظفر بها موسى بن نصير في غزوة الى المغرب وانها مغلقة الابواب وان
 الصاعد اليها من اسوارها اذا اشرف على الحائط صفق ورمى بنفسه فلا يرجع اخر الدهر
 في حديث مستحيل عادة من خرافات القضاة وصحراء مجلماسة قد نفصها الركاب
 والادلاء ولم ينفوا هذه المدينة على خبر ثم ان هذه الاحوال التي ذكرها عنها كلها مستحيل
 عادة منافع الامور الطبيعية في بناء المدن واخطاها وان المعادن غاية الموجود منها ان يصرف
 في الآنية والخرى^(٢) واما تشييد مدينة منها فكما تراه من الاستحالة والبعد وامثال ذلك
 كثيرة ونحصة انما هو بمعرفة طبائع العمران وهو احسن الوجوه واوثقها في تخيص الاخبار

وتغيز صدقها من كذبها وهو سابق على التمهيص بتعديل الرواة ولا يرجع الى تعديل
 الرواة حتى يعلم ان ذلك الخبر في نفسه ممكن او ممنوع وإما اذا كان مستحيلاً فلا فائدة
 للنظر في التعديل والتجريح ولقد عدا أهل النظر من المطاعين في الخبر استحالة مدلول
 اللفظ وتاويله ان يؤول بما لا يقبل العقل وإنما كان التعديل والتجريح هو المعتمد في صحة
 الاخبار الشرعية فلان معظمها تكاليف انشائية اوجب الشارع العمل بها حتى حصل
 الظن بصدقها وسبيل صحة الظن الثقة بالرواة بالعدالة والضبط وإما الاخبار عن
 الواقعات فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب ان ينظر في إمكان
 وقوعه وصار فيها ذلك إجماع من التعديل ومقدماً عليه اذ فائدة الانشاء مقتبسة منه فقط
 وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة وإذا كان ذلك فالقانون في تمييز الحق من الباطل
 في الاخبار بالامكان والاستحالة ان ينظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران ويميز ما
 يلحقه من الاحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضاً لا يعتد به وما لا يمكن ان يعرض
 له وإذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانوناً في تمييز الحق من الباطل في الاخبار والصدق
 من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه ويحتمد فاذا سمعنا عن شيء من الاحوال
 الواقعة في العمران علماً ما نحكم بقوله ما نحكم بتزيينه وكان ذلك لنا معياراً صحيحاً يخبري
 به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه وهذا هو غرض هذا الكتاب الاول
 من تأليفنا وكأن هذا علم مستقل بنفسه فانه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع
 الانساني وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والاحوال لذاته واحدة بعد اخرى
 وهذا شان كل علم من العلوم وضعياً كان او عقلياً. واعلم ان الكلام في هذا الغرض
 مستحدث الصنعة غريب النزعة عزيز الفائدة اعثر عليه البحث وأدّى اليه الفوص وليس
 من علم الخطابة الذي هو احد العلوم المنطقية فان موضوع الخطابة انما هو الاقوال المقتنة
 النافعة في استمالة الجمهور الى رأي او صدم عنه ولا هو ايضاً من علم السياسة المدنية اذ
 السياسة المدنية هي تدبير المنزل أو المدينة بما يجب بمقتضى الاخلاق والحكمة ليعمل الجمهور
 على منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه فقد خالف موضوعه موضوع هذين الفنين
 اللذين ربما يشبهانه وكأنه علم مستنبط النشأة ولعمري لم اقف على الكلام في منغاه لاحد
 من الخليفة ما احري لفعلتهم عن ذلك وليس الظن بهم او لعلمهم كسبوا في هذا الغرض
 واستوفوه ولم يصل اليها فالعلوم كثيرة والحكام في ام النوع الانساني متعددون وما لم
 يصل اليها من العلوم أكثر ما وصل فابن علوم الفرس التي امر عمر رضي الله عنه بهوما

عند الفتح وابن علوم الكلدانيين والسريانيين واهل بابل وما ظهر عليهم من آثارها وتناجها
وابن علوم القبط ومن قبلهم واتنا وصل اليها علوم امة واحدة وهم يونان خاصة لكلف
المأمون باخراجها من لغتهم واقتداره على ذلك بكثرة المترجمين وبذل الاموال فيها
ولم تنف على شيء من علوم غيرهم وانما كانت كل حقيقة متعلقة بطبيعة يصلح ان يبحث عما
يعرض لها من العوارض لذاتها وجب ان يكون باعتبار كل مفهوم وحقيقة علم من العلوم
بخصه لكن الحكماء لعلم انما لاحظوا في ذلك العناية بالثمرات وهذا انما ثمرته في الاختيار
فقط كما رايت وان كانت مسائله في ذاتها وفي اختصاصها شريفة لكن ثمرته تصحج الاخبار
وهي ضعيفة فلها هجرون والله اعلم وما اوتيت من العلم الا قليلاً . وهذا الفن الذي لاح لنا
النظر فيه نجد منه مسائل تجري بالعرض لاهل العلوم في براهين علومهم وهي من جنس
مسائله بالموضوع والطالب مثل ما يذكره الحكماء والعلماء في اثبات النبوة من ان البشر
متعاونون في وجودهم فيحتاجون فهدا الى المحاكم والوزاع ومثل ما يذكر في اصول الفقه
في باب اثبات اللغات ان الناس يحتاجون الى العبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون
والاجتماع وتبيان العبارات اخف ومثل ما يذكره الفقهاء في تحليل الاحكام الشرعية
بالمقاصد في ان الزنا مخلط للانساب مفسد للنوع وان القتل ايضاً مفسد للنوع وان
الظلم موهن بحراب العرمان المفضي لفساد النوع وغير ذلك من سائر المقاصد الشرعية
في الاحكام فانها كلها مبنية على المحافظة على العرمان فكان لما النظر فيما يعرض له وهو
ظاهر من كلامنا هذا في هذه المسائل الممثلة وكذلك ايضاً يقع اليها التليل من مسائله في
كلمات متفرقة لحكماء الخليفة لكنهم لم يستوفوه فمن كلام الموبدان بهرام بن بهرام في
حكاية اليوم التي نقلها المسعودي . ايها الملك انت الملك لا يثم عزه الا بالشرعية والقيام
الله بطاعته والتصرف تحت امره ونهيه ولا تقوم للشرعية الا بالملك ولا عز للملك الا
بالرجال ولا تقوم للرجال الا بالمال ولا سبيل للمال الا بالعارة ولا سبيل للعارة الا
بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليفة نصبة الرب وجعل له قياً وهو الملك .
ومن كلام انوشروان في هذا المعنى بعينه الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج
والخراج بالعارة والعارة بالعدل والعدل باصلاح العمال واصلاح العمال باستقامة الوزراء
وراس الكل بافتقاد الملك حال رعيته بنفسه واقتداره على تاديبها حتى يملكها ولا تملكه .
وفي الكتاب المنسوب لارسطو في السياسة المتداول بين الناس جزء صالح منه الا انه غير
مستوف ولا معطى حقاً من البراهين ومختلط بغيره وقد اشار في ذلك الكتاب الى هذه

الكلمات التي قلناها عن الموبدان ونوشروا وجعلها في الدائرة القريبة التي اعظم القول فيها وهو قوله . العالم بستان سياحة الدولة الدولة سلطان عجي به السنة السنة سياسة بسوسها الملك الملك نظام بعضه الجند الجند احوال يكلمهم المال المال رزق تجمعهم الزعجة الزعجة هيد يكتمهم العدل العدل مالوفيو قوموم العالم العالم بستان ثم ترجع الى اول الكلام . فخذ ثمان . كلمات حكيمه سياسة ارتباط بعضها ببعض وارتدت اعجازها الى صدورهما وانصلت في دائرة لا يتعين طرفها فخر بثوره عليها وعظم من قوائدها . وانت اذا تأملت كلامنا في فصل الدول والملك واعطيت حق من التصريح والتهم عثرت في اثناؤ على تفسير هذه الكلمات وتفصيل اجمالها مستوفى بيتا باو عيب بيان ووضح دليل وبرهان اطلعنا الله عليه من غير تعليم ارسطو ولا افاده موبدان وكذلك نجد في كلام ابن المقفع وما يستطرد في رسائله من ذكر السياسات الكثير من مسائل كتابنا هذا غير مبرهنة كما برهناه انما يجليها في الذكر على معنى الخطابة في اسلوب الترسل وبلاغة الكلام وكذلك جوء القاضي ابو بكر الطرطوشي في كتاب سراج الملوك وبؤيه على ابواب تقرب من ابواب كتابنا هذا ومسائله لكنه لم يصادف فيه الرمية ولا اصاب الشاكلة ولا استوفى المسائل ولا اوضح الادلة انما يوجب الباب للمسئلة ثم يستكفر من الاحاديث والاثار وينقل كلمات متفرقة لحكام الفرس مثل بزرجمهر والموبدان وحكام الهند والماثور عن انايال وهرمس وغيرهم من اكابر الخليفة ولا يكشف عن التحقيق فتنا على ولا يرفع بالبراهين الطبيعية حجبا انما هو نقل وتركيب شبيه بالمواعظ وكأنه جوم على الغرض ولم يصادفه ولا تحقق قصده ولا استوفى مسائلة ونحن آلهنا الله الى ذلك الهاما واعثرنا على علم جعلنا بين بكرة وجهنة خبزه فان كنت قد استوفيت مسائلة وميزت عن سائر الصنائع انظاره واتجاهه فتوفيق من الله وهداية وان فاني شي في احصائه واشتبهت بغيره في مسائله فللناظر الحق اصلاحه ولي الفضل لاني نهجت له السبل واوضحت له الطريق والله يهدي بنوره من يشاء . ونحن الان نبين في هذا الكتاب ما يعرض للبشر في اجتماعهم من احوال العران في الملك والكسب والعلوم والصنائع بوجود برهانية يتضح بها التحقيق في معارف الخاصة والعامة ويندفع بها الاوهام وترفع الشكوك . ونقول لما كان الانسان متميزا عن سائر الحيوانات بخواص اخص بها فيها العلوم والصنائع التي هي نتيجة الفكر الذي تميز به عن الحيوانات وشرف بوصفه على المخلوقات ومنها الحاجة الى الحكم الزارع والسلطان القاهر اذ لا يمكن وجوده دون ذلك من بين الحيوانات كلها الا ما يقال عن النحل والجراد

وهذه وإن كان لها مثل ذلك فبطريق الهامي لا يفكر وزوجة ومنها السعي في المعاش
والاعمال في تحصيله من وجوهه واكتساب اسبابه لما جعل الله فيه من الافتقار الى
الغذاء في حياته وبقائه وهذه الى الناس وطليق قال تعالى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى
ومنها العمران وهو التنازل والتنازل في مصر او حلة للانس بالشجر والخصاء الحاجات
لما في طباعهم من التعلمون على المعاش كما نبينه ومن هذا العمران ما يكون بدوياً وهو
الذي يكون في الضواحي وفي الجبال وفي الحقل المتجمعة في القفار واطراف الرمال ومنه
ما يكون حضرياً وهو الذي بالامصار والقرى والمدن والمدائر للاعتماد بها والتحصن
بمجرانها وله في كل هذه الاحوال امور تعرض من حيث الاجتماع عروفاً ذاتياً فلا
جرم انحصر الكلام في هذا الكتاب في ستة فصول. الاول في العمران البشري على الجملة
واصنافه وقسطه من الارض. والثاني في العمران البدوي وذكر القبائل والامم الوحشية
والثالث في الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية. والرابع في العمران
الحضري والبلدان والامصار. والخامس في الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه
والسادس في العلوم واكتسابها وتعلمها. وقد قدمت العمران البدوي لانه سابق على
جميعها كما نبين لك بعد وكذا تقدم الملك على البلدان والامصار واما تقدم المعاش فلان
المعاش ضروري طبيعي وتعلم العلم كالتجربة او حاجي والطبيعي اقدم من الكسبي وجعلت
الصنائع مع الكسب لانها منه ببعض الوجوه ومن حيث العمران كما نبين لك بعد والله
الموفق للصواب والمعين عليه

الفصل الاول

من الكتاب الاول

في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات

الاولى في ان الاجتماع الانساني ضروري ويعبر الحكاء عن هذا بقولهم الانسان مدني
بالطبع اي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران
ويبانه ان الله سبحانه خلق الانسان وركبه على صورة لا يصح حياها وبقاؤها الا بالغذاء
وهذه الى الناس فطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله الا ان قدرة الواحد من
البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه ولو فرضنا
منه اقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلاً فلا يحصل الا بعلاج كثير من

العجين والعين والطبخ وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين والآلات
 لانهم الا بصناعات متعددة من حديد وفضة وخوري سبائكها باكله حيا من غير علاج
 فهو ايضا يحتاج في تحصيله ايضا حيا الى اعمال اخرى اكثر من هذه من الزراعة والحصاد
 والدراس الذي يخرج الحب من غلاف المنبل ويحتاج كل واحد من هذه آلات متعددة
 وصناعات كثيرة من الاولى بكثير ويستعمل ان تفي بذلك كلك او ببعض قدرة الواحد
 فلا بد من اجتماع القدر الكثيرة من ابناء جنس ليحصل القوت له ولم فيحصل بالتعاون
 قدر الكفاية من الحاجة لاكثر منهم باضعاف وكذلك يحتاج كل واحد منهم ايضا في
 للدفاع عن نفسه الى الاستعانة بابناء جنس لان الله سبحانه لما ركب الطباع في الحيوانات
 كلها وقسم القدر بينها جعل حظوظ كثيرة من الحيوانات العجم من القدرة اكل من
 حظ الانسان فقدرته الفرس مثلاً اعظم بكثير من قدرة الانسان وكذا قدرة الحمار والثور
 وقدرة الاسد والفيل اضعاف من قدرته . ولما كان العدوان طبعاً في الحيوان جعل
 لكل واحد منها عضواً يختص بمدافعته ما يصل اليه من عادية غيره . وجعل للانسان
 عوضاً من ذلك كله الفكر واليد فاليد مهيئة للصناعات بخدمة الفكر والصناعات تحصل له
 الآلات التي تنوب له عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع مثل الرماح التي
 تنوب عن القرون الناحية والسيوف النائية عن المخالب الجارحة والثراس النائية عن
 البشرات الجاسية الى غير ذلك وغيره مما ذكره جالينوس في كتاب منافع الاعضاء فالواحد
 من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها
 وحده بالجملة ولا تفي قدرته ايضا باستعمال الآلات المعدة للدفاع لكثرتها وكثرة
 الصناعات والمواعين المعدة لها فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه بابناء جنس وما لم يكن
 هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم حياته لما رغبة الله تعالى عليه من الحاجة
 الى الغذاء في حياته ولا يحصل له ايضا دفاع عن نفسه لفقدان السلاح فيكون فريسة
 للحيوانات وبما جلة الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر وانما كان التعاون حصل
 له القوت للغذاء والسلاح للدفاع وتمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه فان هذا
 الاجتماع ضروري للنوع الانساني والا لم يكمل وجوده وما اراده الله من اعظام العالم
 بهم واستخلافوا ابام وهذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعاً لهذا العلم وفي هذا الكلام
 نوع اثبات للموضوع في فنو الذي هو موضوع له وهذا وان لم يكن واجباً على صاحب الفن
 لما نقرر في الصناعة المنطقية انه ليس على صاحب علم اثبات الموضوع في ذلك العلم فليس

ايضاً من المنوعات عندهم فيكون اثباته من التبرعات والله الموفق بفضلوه ثم ان
هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما قررناه وثم عثران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع
بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست السلاح التي جعلت
دافعة لعدوان الحيوانات الهيم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لانها موجودة لجميعهم
فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع
الحيوانات عن مداركهم والهمامهم فيكون ذلك الوازع واحداً منهم يكون له عليهم الغلبة
والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل احد الى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك وقد
تبين لك بهذا ان للانسان خاصة طبيعية ولا بد له منها وقد يوجد في بعض الحيوانات
الهيم على ما ذكره الحكماء كما في النحل والجراد لما استقرئ فيها من الحكم والانتقاد والاتباع
لرئيس من اشخاصها يتميز عنهم في خلقه وجماله الا ان ذلك موجود لغير الانسان يقتضي
القطرة والهداية لا يقتضي الفكرة والسياسة اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وتريد الفلاسفة
على هذا البرهان حيث يحاولون اثبات النبوة بالدليل العقلي وانها خاصة طبيعية للانسان
فيقررون هذا البرهان الى غايته وانه لا بد للبشر من الحكم الوازع ثم يقولون بعد ذلك
وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله يأتي به واحد من البشر وانه لا بد ان
يكون يتميزاً عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايتو ليقيم التسليم له والقبول منه حتى يتم
الحكم فيهم وعليهم من غير انكار ولا تزيف وهذه القضية للحكام غير برهانية كما تراه اذ
الوجود وحياة البشر قد تنم من دون ذلك بما يفرضه المحاكم لنفسواو بالعصية التي
يقنذبها على قهرهم وحملهم على جادته فاهل الكتاب والمتبعون للانبيا قليلون بالنسبة
الى المجوس الذين ليس لهم كتاب فانهم اكثر اهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدول
والاثر فضلاً عن الحياة وكذلك هي لم هذا العهد في الاقاليم المخترقة في الشمال والجنوب بخلاف
حياة البشر فوضى دون وازع لم البتة فانه يمتنع وبهذا تبين لك غلطهم في وجوب النبوات
وانه ليس بعقلي وانما مدركة الشرع كما هو مذهب السلف من الامة والله ولي التوفيق والهداية

المقدمة الثانية

في قسط العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه

من الاشجار والانبهار والاقاليم

اعلم انه قد تبين في كتب الحكماء الناظرين في احوال العالم ان شكل الارض

كروي وإنما مصفوفة بعنصر الماء كانتا عتبة طافية عليهما فلتحسر الماء عن بعض جوانبها
 لما اراد الله من تكوين الحيوانات فيها وعمرانها بالنوع البشري الذي له الخلافة على
 سائرهما وقد يتوهم من ذلك أن الماء تحت الأرض وليس بصحيح وإنما تحت الطبعي
 قلب الأرض ويوسط كرتها الذي هو مركزها والكل يطلب بما فيه من الفل وما عدا ذلك
 من جوانبها ولها الماء المحيط بها فهو فوق الأرض وإن قيل في شيء منها أنه تحت الأرض
 فبلاضافة إلى جهة أخرى منه. وأما الذي انحسر عنه الماء من الأرض فهو النصف من
 سطح كرتها في شكل دائرة أحاط العنصر المائي بها من جميع جهاتها بجزء يسمى البحر
 المحيط ويسمى أيضاً ليلابه بتفخيم اللام الثانية ويسمى أوقيانوس أسماً أعجمياً ويقال له
 البحر الأخضر والأسود ثم إن هذا المكتشف من الأرض للعران فيه التفار والخلاء أكثر
 من عمرانها والحق أن من جهة الجنوب منه أكثر من جهة الشمال وإنما المصور منه قطعة أميل
 إلى الجانب الشمالي على شكل مسطح كروي ينتهي من جهة الجنوب إلى خط الاستواء ومن جهة
 الشمال إلى خط كروي ووراء الجبال الفاصلة بينه وبين الماء العنصري الذي بينهما
 سد يأجوج ومأجوج وهذه الجبال مائلة إلى جهة المشرق وينتهي من المشرق والمغرب
 إلى عنصر الماء أيضاً بقطعتين من الدائرة المحيطة وهذا المكتشف من الأرض قالوا هو
 مقدار النصف من الكرة أو أقل والمصور منه مقدار ربعه وهو المنقسم بالأقاليم السبعة
 وخط الاستواء ينقسم الأرض بنصفين من المغرب إلى المشرق وهو طول الأرض وأكبر
 خط في كرتها كما إن منطقة فلك البروج ودائرة معدل النهار أكبر خط في الفلك ومنطقة
 البروج منقسمة بثلاثمائة وستين درجة والدرجة من مسافة الأرض خمسة وعشرون فرسخاً
 والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع في ثلاثة أميال لأن الميل أربعة آلاف ذراع والذراع أربعة
 وعشرون إصبعاً والإصبع ست حبات شعير مصفوفة ملصقة بعضها إلى بعض ظهراً لبطن
 وبين دائرة معدل النهار التي تقسم الفلك بنصفين وتسامت خط الاستواء من الأرض وبين
 كل واحد من القطبتين تسعون درجة لكن العارة في الجهة الشمالية من خط الاستواء أربع
 وستون درجة والباقي منها خلافاً لعارة فيو لشدة البرد والجحود كما كانت الجهة الجنوبية
 خلافاً كلها لشدة الحر كما نبين ذلك كلما شاء الله تعالى. ثم إن الخبرين عن هذا المصور
 وحدوده وما فيه من الأمصار والمدن والجبال والبحار والأنهار والتفار والرمال مثل
 بطليموس في كتاب الجغرافيا وصاحب كتاب زجار من بعده قسموا هذا المصور
 بسبعة أقسام يسمونها الأقاليم السبعة بمحدود وهيبة بين المشرق والمغرب متساوية

في العرض مختلفة في الطول فلاقليم الأول أطول ما بعده وهكذا الثاني إلى آخرها فيكون السابع أقصر لما اقتضاه وضع الدائرة الناشئة عن انحسار الماء عن كرو الأرض وكل واحد من هذه الأقاليم عند منقسم بعشرة أجزاء من المغرب إلى المشرق على التوالي وفي كل جزء المنجز عن أحواله وأحوال عمرانها وفي ذكره أن هذا البحر المحيط يخرج منه من جهة المغرب في الأقليم الرابع البحر الرومي المعروف بيبس في خليج متضيق في عرض اثني عشر ميلاً أو نحوها ما بين طنجة وطريف ويسمى الزقاق ثم يذهب مشرقاً وينفتح إلى عرض ستين ميلاً ونهايته في آخر الجزء الرابع من الأقليم الرابع على ألف فرسخ ومائة وستين فرسخاً من مبدئيه وعليه هنالك سواحل الشام وعليه من جهة الجنوب سواحل المغرب ولها طنجة عند الخليج ثم إفريقية ثم برقة إلى الإسكندرية ومن جهة الشمال سواحل القسطنطينية عند الخليج ثم البنادقة ثم رومة ثم إفريقية ثم الاندلس إلى طريف عند الزقاق قبالة طنجة ويسمى هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة عامرة كإرمل إفريطش وقبرص وصقلية وميورقة وسردانية ودانية قالوا ويخرج منه في جهة الشمال بحران آخران من خليجين أحدهما مناسمت للقسطنطينية يبدأ من هذا البحر متضيقاً في عرض رمية السهم ويمر ثلاثة بحار فيتصل بالقسطنطينية ثم ينفتح في عرض أربعة أميال ويمر في جريه ستين ميلاً ويسمى خليج القسطنطينية ثم يخرج من فوهة عرضها ستة أميال فيمد بجرنيطش وهو بحر يخرف من هنالك في يدهو إلى ناحية الشرق فيمر بأرض هرقلية وينتهي إلى بلاد الخزرية على ألف وثلاثين ميل من فوهته وعليه من الجانبين أمم من الروم والترك وبرجان والروس والبحر الثاني من خليجي هذا البحر الرومي وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على سمت الشمال فإذا انتهى إلى سمت الجبل انخرط في سمت المغرب إلى بلاد البنادقة وينتهي إلى بلادانكلاية على ألف ومائة ميل من مبدئيه وعلى حافته من البنادقة والروم وغيرهم أمم ويسمى خليج البنادقة قالوا وينساح من هذا البحر المحيط أيضاً من الشرق وعلى ثلاث عشرة درجة في الشمال من خط الاستواء بحر عظيم متسع يمر إلى الجنوب قليلاً حتى ينتهي إلى الأقليم الأول ثم يمر فيه مغرباً إلى أن ينتهي في الجزء الخامس منه إلى بلاد الحبشة والزيغ وإلى بلاد باب المندب منه على أربعة آلاف فرسخ وخمسة آلاف فرسخ من مبدئيه ويسمى البحر الصيني والهندي والبحشي وعليه من جهة الجنوب بلاد الزيغ وبلاد بربر التي ذكرها امره القيس في شعره وليسوا من البربر الذين هم قبائل المغرب ثم بلد مقدشو ثم بلد سفالة

وارض الزاب واق وام اخر ليس بعدهم الا القنار والحلاه وعليه من جهة الشمال الصين
 من عند مبدئهم ثم الهند ثم السند ثم سواحل اليمن من الاحفاف وزيد وغيرها ثم بلاد
 الزنج عند نهايتهم وبعدهم الحبشة . قالوا ويخرج من هذا البحر الحبشي بحران آخران
 احدهما يخرج من نهايتهم عند باب المندب فيبدأ متصفاً ثم يمر مستجراً الى ناحية الشمال
 ومغرباً قليلاً الى ان ينتهي الى مدينة القلزم في الجزء الخامس من الاقليم الثاني على الف
 واربعائة ميل من مبدئهم ويسمى بحر القلزم وبحر الهويوس وبينه وبين فسطاط مصر
 من هنالك ثلاث مراحل وعليه من جهة الشرق سواحل اليمن ثم الحجاز وجدة ثم مدين
 دياره وفاران عند نهايتهم ومن جهة الغرب سواحل الصعيد وعذاب وسواكن وزيلع
 ثم بلاد الحبشة عند مبدئهم واخره عند القلزم بسامت البحر الرومي عند العريش وبينها
 نحو ست مراحل وما زال الملوك في الاسلام وقبله يرومون خرق ما بينهما ولم يتم ذلك
 والبحر الثاني من هذا البحر الحبشي ويسمى الخليج الاخضر يخرج ما بين بلاد السند والاحفاف
 من اليمن ويمر الى ناحية الشمال مغرباً قليلاً الى ان ينتهي الى الابله من سواحل البصرة
 في الجزء السادس من الاقليم الثاني على اربعمائة فرسخ واربعين فرسخاً من مبدئهم ويسمى
 بحر فارس وعليه من جهة الشرق سواحل السند ومكران وكرمان وفارس والابله عند
 نهايتهم من جهة الغرب سواحل البحرين واليامة وعمان والشحر والاحفاف عند مبدئهم
 وفيما بين بحر فارس والقلزم جزيرة العرب كلها دخلت من البر في البحر يحيط بها البحر
 الحبشي من الجنوب وبحر القلزم من الغرب وبحر فارس من الشرق وتفضي الى العراق
 بين الشام والبصرة على الف وخمسمائة ميل بينهما وهنالك الكوفة والقاسية وبغداد
 وابيان كسرى والحيرة ووراء ذلك لم الا عاجم من الترك والحزر وغيرهم في جزيرة العرب بلاد
 الحجاز في جهة الغرب منها وبلاد اليامة والبحرين وعمان في جهة الشرق منها وبلاد اليمن
 في جهة الجنوب منها وسواحل على البحر الحبشي . قالوا وفي هذا المصمر بحر اخر منقطع
 من سائر البحار في ناحية الشمال باوض الديلم يسمى بحر جرجان وطبرستان طول الف
 ميل في عرض ستمائة ميل في غربيها اذربيجان والديلم وفي شرقيها ارض الترك وخوارزم
 وفي جنوبيها طبرستان وفي شماليها ارض الخزر واللات . هذه جملة البحار المشهورة التي
 ذكرها اهل الجغرافيا . قالوا وفي هذا الجزء المصمر انهار كثيرة اعظمها اربعة انهار وهي
 النيل والفرات ودجلة ونهر الخ المسمى جيحون . فاما النيل فيبدأ من جبل عظيم وراء
 خط الاستواء بست عشرة درجة على سمت الجزء الرابع من الاقليم الاول ويسمى جبل

القمولا يعلم في الارض جبل اعلی منه تخرج منه عيون كثيرة فيصب بعضها في بحيرة
 هناك وبعضها في اخرى ثم تخرج انهار من البحرين تنصب كلها في بحيرة واحدة
 عند خط الاستواء على عشر مراحل من الجبل ويخرج من هذه البحيرة نهرا ان يذهب
 احدها الى ناحية الشمال على ستو وعمر بلاد النوبة ثم بلاد مصر فاذا جاوزها تشعب في
 شعب متقاربة يسمى كل واحد منها خليفاً وتنصب كلها في البحر الرومي عند الاسكندرية
 ويسمى نيل مصر وعليه الصعيد من شرقه والواحات من غربه ويذهب الاخر منعطفاً
 الى المغرب ثم يمر على ستو الى ان يصب في البحر المحيط وهو نهر السودان وامهم كلهم على
 ضفتيه. واما الفرات فبدأ من بلاد ارمينية في الجزء السادس من الاقليم الخامس
 وبرز جنوباً في ارض الروم وملطية الى منبج ثم يمر بصفين ثم بالركة ثم بالكونة الى ان
 ينتهي الى البطحاء التي بين البصرة واسط ومن هناك يصب في البحر الحبشي وتجلب
 اليه في طريقه انهار كثيرة ويخرج منه انهار اخرى تنصب في دجلة. واما دجلة
 فبدأها عين ببلاد خلاط من ارمينية ايضاً وتمر على سمت الجنوب بالموصل واخرى بجان
 وبغداد الى واسط فتتفرق الى خلمان كلها تنصب في بحيرة البصرة وتفضي الى بحر فارس
 وفوق الشرق على بين الفرات ويجلب اليه انهار كثيرة عظيمة من كل جانب
 وفيها بين الفرات ودجلة من اول جزيرة الموصل قبالة الشام من عدوق الفرات وقبالة
 اذربيجان من عدوق دجلة. واما نهر جيحون فبدأ من بلخ في الجزء الثامن من الاقليم
 الثالث من عيون هناك كثيرة وتجلب اليه انهار عظام ويذهب من الجنوب الى الشمال
 فيمر ببلاد خراسان ثم يخرج منها الى بلاد خوارزم في الجزء الثامن من الاقليم الخامس
 فيصب في بحيرة الجرجانية التي باسفل مدينتها وهي مسهرة شهر في مثلها والبا ينصب نهر
 فرغانة والشاش الآتي من بلاد الترك وعلى غربي نهر جيحون بلاد خراسان وخوارزم وعلى
 شرقه بلاد بخارى وترمد ومرقند ومن هنالك الى ما وراء بلاد الترك وفرغانة
 والخزنجية وامم الاعاجم وقد ذكر ذلك كله بطليموس في كتابه والشريف في كتاب زجار
 وصوروا في الجغرافيا جميع ما في المعمور من الجبال والبحار والادوية واستوفوا من ذلك
 ما لا حاجة لنا بولطول ولان عنايتنا في الاكثر انما هي بالمغرب الذي هو وطن البربر
 وبلاوطان التي للعرب من المشرق والله الموفق

تكملة لهذه المقدمة الثانية

في أن الربع الشمالي من الارض أكثر عمراتاً من الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك

ونحن نرى بالمشاهدة الاخبار المتواترة أن الأول والثاني من الاقاليم المعصورة أقل عمراتاً مما بعدها وما وجد من عمرات في تلك الخلافة والقفار والرمال والبحر الهندي الذي في الشرق منها أيام هذين الاقليمين واناسيها ليست لم الكثرة البالغة وامصاره ومدنه كذلك والثالث والرابع وما بعدها بخلاف ذلك فالقفار فيها قليلة والرمال كذلك او معدومة واصحابها واناسيها تجوز الحد من الكثرة وامصارها ومدنها تجاوز الحد عدداً والعمران فيها مندرج ما بين الثالث والسادس والجنوب خلافاً له وقد ذكر كثير من الحكماء أن ذلك لافراط الحر وقلة ميل الشمس فيها عن سمت الروموس فلنوضح ذلك ببرهانين وبتيين منه سبب كثرة العارة فيما بين الثالث والرابع من جانب الشمال الى الخامس والسابع فنقول انه قطبي الفلك الجنوبي والشمالي اذا كانا على الافق شمالاً دائرة عظيمة تقسم الفلك بنصفين في اعظم النواير المائة من المشرق الى المغرب ونسبى دائرة معدل النهار وقد تبين في موضعه من الهيئة أن الفلك الاعلى متحرك من المشرق الى المغرب حركة يومية يحرك بها سائر الافلاك في جوفه قهراً وهذه الحركة محسوسة وكذلك تبين أن للكواكب في افلاكها حركة مخالفة لهذه الحركة فهي من المغرب الى المشرق ويختلف آمادها باختلاف حركة الكواكب في السرعة والبطء وممرات هذه الكواكب في افلاكها تباين بها كلها دائرة عظيمة من الفلك الاعلى تقسم بنصفين وفي دائرة فلك البروج منقسمة باثني عشر برجاً وهي على ما تبين في موضعه مقاطعة لدائرة معدل النهار على نقطتين متقابلتين من البروج هما أول الحمل وأول الميزان فتقسمها دائرة معدل النهار بنصفين نصف مائل عن معدل النهار الى الشمال وهو من أول الحمل الى آخر السنبلة ونصف مائل عنه الى الجنوب وهو من أول الميزان الى آخر الحوت واذا وقع القطبان على الافق في جميع نواحي الارض كان على سطح الارض خط واحد يسامت دائرة معدل النهار يمر من المغرب الى المشرق ويسمى خط الاستواء ووقع هذا الخط بالرصد على ما زعموا في مبدأ الاقليم الاول من الاقاليم السبعة والعمران كلة في الجهة الشمالية عنه والقطب الشمالي يرتفع عن آفاق هذا المعمور بالتدرج الى ان ينتهي ارتفاعه الى اربع وستين درجة وهناك

ينقطع العمران وهو آخر الاقليم السابع وإذا ارتفع على الافق تسعين درجة وهي التي بين القطب ودائرة معدل النهار صار القطب على سمت الزموس وصارت دائرة معدل النهار على الافق وبقيت ستة من البروج فوق الافق وهي الشمالية وستة تحت الافق وهي الجنوبية والعمارة فيما بين الاربعة والستين الى التسعين ممتعة لان المحر والبرد حينئذ لا يحصلان صمتجون لبعده الزمان بينهما فلا يحصل التكوين فاذا الشمس تسامت الزموس على خط الاستواء في رأس الحمل والميزان ثم تميل عن المسامنة الى رأس السرطان ورأس الجدي ويكون نهاية ميلها عن دائرة معدل النهار اربعا وعشرين درجة ثم اذا ارتفع القطب الشمالي عن الافق مالت دائرة معدل النهار عن سمت الزموس بمقدار ارتفاعه وانخفض القطب الجنوبي كذلك بمقدار متساو في الثلاثة وهو المسمى عند اهل المواقيت عرض البلد وإذا مالت دائرة معدل النهار عن سمت الزموس علت عليها البروج الشمالية مندرجة في مقدار علوها الى رأس السرطان وانخفضت البروج الجنوبية من الافق كذلك الى رأس الجدي لانخفاضها الى المجانبين في افق الاستواء كما قلناه فلا يزال الافق الشمالي يرتفع حتى يصير ابعد الشمالية وهو رأس السرطان في سمت الزموس وذلك حيث يكون عرض البلد اربعا وعشرين في المجاز وما يليه وهذا هو الميل الذي اذا مال رأس السرطان عن معدل النهار في افق الاستواء ارتفع بارفع القطب الشمالي حتى صار مسامتا فاذا ارتفع القطب أكثر من اربع وعشرين نزلت الشمس عن المسامنة ولا تزال في الانخفاض الى ان يكون ارتفاع القطب اربعا وستين ويكون الانخفاض الشمس عن المسامنة كذلك وانخفاض القطب الجنوبي عن الافق مثلها فينقطع التكوين لافراط البرد والجهد وطول زمانه غير متمتزج بالمحر. ثم ان الشمس عند المسامنة وما يقاربها تبعث الاشعة على الارض على زوايا قائمة وفيما يكون المسامنة على زوايا منفرجة وحادة وإذا كانت زوايا الاشعة قائمة عظم الضوء وانتشر بخلافه في المنفرجة والحادة فلذلك يكون المحر عند المسامنة وما يقرب منها أكثر منه فيما بعد لان الضوء سبب المحر والتخفيف

ثم لأن المسامنة في خط الاستواء تكون مرتين في السنة عند تقاطع الحمل والميزان وإذا مالت فغير بعيد ولا يكاد المحر يعتدل في آخر ميلها عند رأس السرطان والجدي إلا ان صعدت الى المسامنة فتبقى الاشعة القائمة الزوايا تلح على ذلك الافق ويطول مكثها أو يدوم فيشتعل الهواء حرارة ويمطر في شدتها وكذا ما قامت الشمس تسامت مرتين فيما بعد خط الاستواء الى عرض اربع وعشرين فان الاشعة ملحة على الافق في

ذلك بقرب من المحاحها في خط الاستواء وافراط الحرّ يفعل في الهواء تجفيفاً ويسبب
يمنع من التكوين لانه اذا افراط الحرّ جفت المياه والرطوبات وفسد التكوين في المعدن
والحجر والنبات اذ التكوين لا يكون الا بالرطوبة ثم اذا مال رأس السرطان عن سمت
الرووس في عرض خمس وعشرين فما بعده نزلت الشمس عن المسامنة فيصير الحرّ
الى الاعتدال لميل عنه ميلاً قليلاً فيكون التكوين ويتزايد على التدرج الى ان يفراط
البرد في شدة لقلّة الضوء وكون الاشعة منفرجة الزوايا فينقص التكوين ويفسد يبدأ
فساد التكوين من جهة شدة الحرّ اعظم منه من جهة شدة البرد لان الحرّ اسرع تأثيراً
في التجفيف من تأثير البرد في الجمد فلذلك كان العمران في الاقليم الاول والثاني قليلاً
وفي الثالث والرابع والخامس متوسطاً لا اعتدال الحرّ بنقصان الضوء وفي السادس
والسابع كثيراً لنقصان الحرّ وإن كنيته البرد لا تؤثر عند اولها في فساد التكوين كما
يفعل الحرّ اذ لا تجفيف فيها الا عند الافراط بما يعرض لما حثثه من اليأس كما بعد
السابع فلها كان العمران في الربع الشمالي أكثر واوفر والله اعلم. ومن هنا اخذ الحكماء
خلاف خط الاستواء وما وراءه وأورد عليهم انه معجور بالمشاهدة والاختبار المتواترة
فكيف يتم البرهان على ذلك والظاهر انهم لم يريدوا اقتناع العمران فيه بالكلية انما
أدّاهم البرهان الى ان فساد التكوين فيه قويّ بافراط الحرّ والعمران فيه اما ممتنع ان
ممكن اقلّي وهو كذلك فان خط الاستواء والذي وراءه وإن كان فيه عمران كما نقل
فهو قليل جداً. وقد زعم ابن رشد ان خط الاستواء معتدل وإن ما وراءه في الجنوب
بمناوبة ما وراءه في الشمال فيعمر منه ما عمر من هنا والذي قاله غير ممتنع من جهة فساد
التكوين وانما امتنع فيما وراء خط الاستواء في الجنوب من جهة ان العنصر المائي غروجه
الارض هنالك الى الحد الذي كان مقابلته من الجهة الشمالية قابلاً للتكوين ولما امتنع المعتدل
لغلبة الماء متبعة ما سواه لان العمران متدرج وياخذ في التدرج من جهة الوجود لا من جهة
الامتناع واما القول بامتناعه في خط الاستواء فيردّه النقل المتواتر والله اعلم. ولزعم بعده هذا
الكلام صورة الجغرافيا كما رسمها صاحب كتاب زجارج ثم ناخذ في تفصيل الكلام عليها الى آخره

تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا

اعلم ان الحكماء قسموا هنا المعمور كما تقدم ذكره على سبعة اقسام من الشمال الى
الجنوب بسمون كل قسم منها اقلياً فانقسم المعمور من الارض كله على هذه السبعة اقاليم

كل واحد منها آخذ من الغرب الى الشرق على طوله. فاول منها ما من المغرب الى المشرق مع خط الاستواء بحدود من جهة الجنوب وليس وراءه هنالك الا القنار والريمال وبعض عمارة ان صحت فهي كلا عمارة ويلو من جهة شماله الاقليم الثاني ثم الثالث كذلك ثم الرابع والخامس والسادس والسابع وهو آخر العمران من جهة الشمال وليس وراء السابع الا الخلاء والقنار الى ان ينتهي الى البحر المحيط كالحال تحت وراء الاقليم الاول في جهة الجنوب الا ان الخلاء في جهة الشمال اقل بكثير من الخلاء الذي في جهة الجنوب. ثم ان ازمة الليل والنهار تتفاوت في هذه الاقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب الشمالي عن آفاقها فيتفاوت قوس الليل والنهار لذلك وينتهي طول الليل والنهار في اخر الاقليم الاول وذلك عند حلول الشمس براس المجدي ليل و براس السرطان للنهار كل واحد منها الى ثلاث عشرة ساعة وكذلك في آخر الاقليم الثاني ما يلي الشمال فينتهي طول النهار فيه عند حلول الشمس براس السرطان وهو منقلبها الصبي الى ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة ومثله اطول الليل عند منقلبها البشتوي براس المجدي ويبقى للأقصر من الليل والنهار ما يبقى بعد الثلاث عشرة ونصف من جملة اربع وعشرين الساعات الزمانية لمجموع الليل والنهار وهي دورة الفلك الكاملة وكذلك في اخر الاقليم الثالث ما يلي الشمال ايضا ينتهيان الى اربع عشرة ساعة وفي اخر الرابع الى اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وفي آخر الخامس الى خمس عشرة ساعة وفي اخر السادس الى خمس عشرة ساعة ونصف وفي آخر السابع الى ست عشرة ساعة وهنالك ينقطع العمران فيكون تفاوت هذه الاقاليم في الاطول من ليلا ونهارها بنصف ساعة لكل اقليم يتزايد من اوله في ناحية الجنوب الى اخره في ناحية الشمال موزعة على اجزاء هذا البعد. واما عرض البلدان في هذه الاقاليم وهو عبارة عن بعد ما بين سمت راس البلد ودائرة معدل النهار الذي هو سمت راس خط الاستواء وبمثل سواه يختص القطب الجنوبي عن اتقى ذلك البلد ويرتفع القطب الشمالي عنه وهو ثلاثة ابعاد متساوية نسي عرض البلد كما مر ذلك قبل. والمتكلمون على هذه الجغرافيا قسموا كل واحد من هذه الاقاليم السبعة في طوله من المغرب الى المشرق بعشرة اجزاء متساوية ويذكرون ما اشبهل عليه كل جزء منها من البلدان والامصار والجبال والانهار والمسافات بينها في المسالك ونحن الان نوجز القول في ذلك ونذكر مشاهير البلدان والانهار والبحار في كل جزء منها ونحاذي بذلك ما وقع في كتاب نزهة المشتاق الذي الله العلوي الادريسي

الحمودي^١ الملك بصفية من لافريج وهو زجار بن زجار عند ما كان نازلاً عليه بصفية بعد
 خروج صفية من اماره مائة وكان تاليفه للكتاب في منتصف المائة السادسة. وجمع له
 كتباً جمه للسعودي وابن خرداذبه والحوقلي والقنري وابن اسحاق النجم وبطليموس
 وغيرهم ونبدأ منها بالاقليم الاول الى آخرها والله سبحانه وتعالى يعصنا بموهبته وفضله
 . اقليم ~~الصحلى~~ . وفيه من جهة غربيه الجزائر الخالدات التي منها بدأ بطليموس
 باخذ اطوال البلاد وليست في سيط الاقليم وإنما هي في البحر المحيط جزر متكثرة
 اكبرها واشهرها ثلاثة ويقال انها معمورة وقد بلغنا ان سفائن من الافريج مرت بها في
 واسط هذه المائة فالتوم فغنموا منهم وسبوا وباعوا بعض اسراهم بسواحل المغرب الاقصى
 وصاروا الى خدمة السلطان فلما تعلموا اللسان العربي اخبروا عن حال جزائهم وانهم
 ينجفون الأرض للزراعة بالقرون وإن الحديد مفقود بارضهم وعيشهم من الشعير
 وماشيتهم المعز وقتالهم بالبحارة يرصونها الى خلف وعبادتهم السجود للشمس اذا طلعت ولا
 يعرفون ديناً ولم تبلغهم دعوة ولا يوقف على مكان هذه الجزائر الا بالعشور ولا بالقصد اليها لان
 سفر السفن في البحر انما هو بالرياح ومعرفة جهات مهابها والى ابن بوصل اذا مرت على الاستقامة
 من البلاد التي في ممر ذلك المهب وإذا اختلف المهب وعلم حيث يوصل على الاستقامة
 حوزي به القلع محاذة بحمل السفينة بها على قوانين في ذلك محصلة عند النواية والملاحين
 الذين هم رؤساء السفن في البحر والبلاد التي في حفاقي البحر الرومي وفي عدوته مكتوبة
 كلها في صحيفة على شكل ما هي عليه في الوجود وفي وضعها في سواحل البحر على ترتيبها
 ومهاب الرياح وممراتها على اختلافها مرسوم معها في تلك الصحيفة ويسمونها الكتاب
 وعليها يعتمدون في اسفارهم وهذا كله مفقود في البحر المحيط فلذلك لا تلج فيه السفن لانها
 ان غابت عن رأى السواحل فقل ان تهتدي الى الرجوع اليها مع ما يتعقد في جور هذا
 البحر وعلى سطح مائه من الابخرة المائة للسفن في مسيرها وهي لبعدها لا تتركها اضواء
 الشمس المتعكسة من سطح الارض فتظلمها فلذلك عسر الاهتداء اليها وصعب الوقوف على
 خبرها . واما الجزء الاول من هذا الإقليم ففيه مصب النيل الآتي من مبدئه عند جبل
 القمر كما ذكرناه ويسمى نيل السوحات ويذهب الى البحر المحيط فيصب فيوه عند جزيرة
 اولئك وعلى هذا النيل مدينة سلا وتكرور وغانة وكلها لنا العهد في مملكة ملك مالي
 من ام السودان والى بلادهم تسافر تجار المغرب الاقصى وبالتقرب منها من شمالها بلاد
 لتوتة وسائر طوائف الملثمين ومفاوز يحولون فيها وفي جنوبي هذا النيل قوم من السودان

يقال لهم لهم وم كفارو يكتونون في وجوههم وأصدانهم وأهل غانة والفكرور يغيرون
 عليهم ويسونهم ويسعونهم للتجار فيجلبونهم الى المغرب وكلهم عامة رقيقهم وليس وراءهم في
 الجنوب عمران يعتبر الا اناسي اقرب الى الحيوان الهم من الناطق يسكنون النيا في
 والكهوف وما يكون العشب والمحسوب غير مهبة وربما يأكل بعضهم بعضاً وليسوا في عداد
 البشر . وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل سمات وتكدارين
 ووركلان . فكان في غانة فيما يقال ملك ودولة لقوم من العلويين يعرفون ببني صالح
 وقال صاحب كتاب زجاراته صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن ولا يعرف صالح هذا
 في ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت هذه الدولة لهذا العهد وصارت غانة لسلطان مالي
 وفي شرقي هذا البلد في الجزء الثالث من هذا الاقليم بلد كوكو على نهر ينبع من بعض
 الجبال هنالك ويم مغرباً فيغوص في رمال الجزء الثاني . وكان ملك كوكو قائماً بنسبه
 ثم استولى عليها سلطان مالي واصبحت في مملكته وخربت لهذا العهد من اجل فتنة وقعت
 هناك نذكرها عند ذكر دولة مالي في محلها من تاريخ البربر وفي جنوبي بلد كوكو بلاد
 كاتم من ام السودان وبعدهم ونغارة على ضفة النيل من شماليه وفي شرقي بلاد ونغارة
 وكاتم بلاد زغاوة وتاجرة المتصلة بارض النوبة في الجزء الرابع من هذا الاقليم وفيه
 نيل ماسر ذاهباً من مبدئه عند خط الاستواء الى البحر الرومي في الشمال ويخرج هذا
 النيل من جبل القمر الذي فوق خط الاستواء بست عشرة درجة واخلفوا في ضبط
 هذه اللفظة فضبطها بعضهم بنح القاف والميم نسبة الى قمر السماء لشدة بياضه وكثرة ضوءه
 وفي كتاب المشترك لياقوت بضم القاف وسكون الميم نسبة الى قوم من اهل الهند وكنا
 ضبطه ابن سعيد فيخرج من هذا الجبل عشر عيون تجتمع كل خمسة منها في بحيرة وبينها
 ستة اميال ويخرج من كل واحدة من البحيرتين ثلاثة انهار تجتمع كلها في بطيخة واحدة
 في اسفلها جبل معترض يشق البحيرة من ناحية الشمال وينقسم ماؤها بقسمين فيمر الغري
 منه الى بلاد السودان مغرباً حتى يصب في البحر المحيط ويخرج الشرقي منه ذاهباً الى
 الشمال على بلاد الحبشة والنوبة وفيما بينها وينقسم في اعلى ارض مصر فيصبت ثلاثة من
 جداوله في البحر الرومي عند الاسكندرية ورشيد ودمياط ويصب واحدة في بحيرة ملحمة
 قبل ان يتصل بالبحر في وسط هذا الاقليم الاول . وعلى هذا النيل بلاد النوبة والحبشة
 وبعض بلاد الواحات الى اسوان وحاضرة بلاد النوبة مدينة دنقلة وهي في غربي هذا
 النيل وبعدها علو وبلق وبعدها جبل الجنادل على ستة مراحل من بلق في الشمال

وهو جبل عال من جهة مصر ومنخفض من جهة النوبة فينفذ فيه النيل ويصب في
 مهوى بعد صبا مهولا فلا يمكن ان تسلك المراكب بل يحول الوسق من مراكب السودان
 فيعمل على الظهر الى بلد اسوان قاعدة الصعيد وكذا وسق مراكب الصعيد الى فوق
 الجنادل وبين الجنادل واسوان اثنتا عشرة مرحلة والحقا حات في غربها عنق النيل وهي
 الآن خراب ~~فيها~~ آثار العارة القديمة. وفي وسط هذا الاقليم في الجزء الخامس منه بلاد
 الحبشة على يد ياتي من وراء خط الاستواء ذاهبا الى ارض النوبة فيصب هناك في
 النيل الما بط الى مصر وقد وم فيه كثير من الناس وزعموا انه من نيل القمرو بطليموس
 ذكره في كتاب الجغرافيا وذكر انه ليس من هذا النيل. والى وسط هذا الاقليم في الجزء
 الخامس ينتهي بحر الهند الذي يدخل من ناحية الصين ويغمر عامة هذا الاقليم الى هذا الجزء
 الخامس فلا يبقى فيه عمران الا ما كان في الجزائر التي في داخله وهي متعددة يقال تنتهي
 الى الف جزيرة او فيما على سواحل الجنوبية وهي آخر المعبر في الجنوب او فيما على سواحل
 من جهة الشمال وليس منها في هذا الاقليم الا اول الاطراف من بلاد الصين في جهة
 الشرق وفي بلاد اليمن. وفي الجزء السادس من هذا الاقليم فيما بين البحرين الهابطين
 من هذا البحر الهندي الى جهة الشمال وما بحر قلزم وبحر فارس وفيها بينها جزيرة العرب
 وتشتمل على بلاد اليمن وبلاد الشعر في شرقيها على ساحل هذا البحر الهندي وعلى بلاد
 الحجاز واليمامة وما اليها كما ذكره في الاقليم الثاني وما بعده فاما الذي على ساحل هذا
 البحر من غربيه فبلد زالع من اطراف بلاد الحبشة ومجالات البجة^(١) في شمالي الحبشة ما بين
 جبل العلاقي في اعالي الصعيد وبين بحر القلزم الهابط من البحر الهندي وتحت بلاد زالع
 من جهة الشمال في هذا الجزء خليج باب المندب يضيق البحر الهابط هنا لك بمزاحمة
 جبل المندب المائل في وسط البحر الهندي متدا مع ساحل اليمن من الجنوب الى الشمال
 في طول اثني عشر ميلا فيضيق البحر بسبب ذلك الى ان يصير في عرض ثلاثة اميال او
 نحوها ويسمى باب المندب وعليه تمر مراكب اليمن الى ساحل السويس قريبا من مصر
 وتحت باب المندب جزيرة سواكن ودهلك وقبالة من غربيه مجالات البجة من ام
 السودان كما ذكرناه ومن شرقيها في هذا الجزء شمالي اليمن ومنها على ساحلها بلد علي بن
 يعقوب وفي جهة الجنوب من بلد زالع وعلى ساحل هذا البحر من غربيه قرى بربر يتلو
 بعضها بعضا وينعطف من جنوبيه الى آخر الجزء السادس ويلها هناك من جهة شرقيها

بلاد الرنج ثم بلاد سفالة على ساحل البحر الجنوبي في الجزء السابع من هذا الاقليم وفي شرقي بلاد سفالة من ساحل البحر الجنوبي بلاد الواق واق متصلة الى آخر الجزء العاشر من هذا الاقليم عند مدخل هذا البحر من البحر المحيط . ولما جزائر هذا البحر فكثيرة . من اعظمها جزيرة سرديس مدورة الشكل . وبها الجبل المشهور يقال ليس في الارض اعلى منه وهي قبالة سفالة . ثم جزيرة القمر وهي جزيرة مستطيلة تبدأ مخرج قبالة ارض سفالة وتذهب الى الشرق مخترقة بكثيرة الى الشمال الى ان تقرب من سواحل اعالي الصين ويخفف بها في هذا البحر من جنوبها جزائر الواق واق ومن شرقها جزائر السيلان الى جزائر اخر في هذا البحر كثيرة العدد وفيها انواع الطيب والافاقية وفيها يقال معادن الذهب والزمرد وعامة اهلها على دين المسيحية . وفيهم ملوك متعددون وبهذه الجزائر من احوال الصبران عجائب ذكرها اهل الجغرافيا وعلى الضفة الثمانية من هذا البحر في الجزء السادس من هذا الاقليم بلاد اليمن كلها من جهة بحر القلزم بلد زيد والمهجم وتمامه اليمن وبعدها بلد صعدة مقر الامامة الزيدية وهي بعيدة عن البحر الجنوبي وعن البحر الشرقي وفيها بعد ذلك مدينة عدن . وفي شمالها صنعاء وبعدها الى المشرق ارض الاحقاف وظفار وبعدها ارض حضرموت ثم بلاد الشحر ما بين البحر الجنوبي وبحر فارس . وهذه القطعة من الجزء السادس هي التي انكشف عنها البحر من اجزاء هذا الاقليم الوسطى وينكشف بعدها قليل من الجزء التاسع واكثر منه من العاشر فيو اعالي بلاد الصين ومن مدنه الشهيرة خانكو وقبالتها من جهة الشرق جزائر السيلان وقد تقدم ذكرها وهذا اخر الكلام في الاقليم الاول والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بمنه وفضله الاقليم الثاني . وهو متصل بالاول من جهة الشمال وقبالة المغرب منه في البحر المحيط جزيرتان من الجزائر الخالدات التي مر ذكرها وفي الجزء الاول والثاني منه في الجانب الاعلى منها ارض فنورية وبعدها في جهة الشرق اعالي ارض غانة ثم مجالات زغاوة من السودان وفي الجانب الاسفل منها صحراء نيسر متصلة من الغرب الى الشرق ذات منافذ تسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان وفيها مجالات المسلمين من صنهاجة ومم شعوب كثيرة ما بين كزولة ولتونة ومسرانة ولطة ووريكة وعلى سمت هذه المنافذ شرقا ارض فزان ثم مجالات اركار من قبائل البربر ذاهبة الى اعالي الجزء الثالث على سمتها في الشرق وبعدها من هذا الجزء بلاد كوار من امم السودان ثم قطعة من ارض الباجوين وفي اسفل هذا الجزء الثالث وهي جهة الشمال منه بقية ارض وديان

وعلى سمتها شرقاً أرض ستيرية ونسي الواحات الداخلة وفي الجزء الرابع من اعلاه بقية
 ارض الباجوين ثم يعترض في وسط هذا الجزء بلاد الصعيد حناني النيل الذاهب من
 مبدئي في الاقليم الاول الى مصبه في البحر فيمر في هذا الجزء بين الجبلين المحاذيين وهما
 جبل الواحات من غريبو وجبل المقطم من شرقيه وعليه من اعلاه بلد اسنا وارمنت
 ويتصل كذلك حناني الى اسبوط وقوص ثم الى صول . ويفترق للنيل هنالك على شعبين
 ينتهي الايمن منها في هذا الجزء عند اللاهون والايسر عند دلاص وفيما بينهما اعالي ديار
 مصر وفي الشرق من جبل المقطم صحارى عذاب ذاهبة في الجزء الخامس الى ان تنتهي
 الى بحر السويس وهو بحر القلزم المابط من البحر الهندي في الجنوب الى جهة الشمال وفي
 عدوته الشرقية من هذا الجزء ارض النجهاز من جبل يللم الى بلاد يثرب وفي وسطها نجهاز
 مكة شرقاً الله وفي ساحلها مدينة جدة تقابل بلد عذاب في العدة الغربية من هذا
 البحر . وفي الجزء السادس من غريبو بلاد نجد اعلاها في الجنوب وتباله وجرش
 الى عكاظ من الشمال وتحت نجد من هذا الجزء بقية ارض النجهاز وعلى سمتها في الشرق
 بلاد نجران وخيبر وتحتها ارض اليمامة وعلى سمت نجران في الشرق ارض سبا وما رب ثم
 ارض الثمرو وينتهي الى بحر فارس وهو البحر الثاني المابط من البحر الهندي الى الشمال
 كما رو وبذهب في هذا الجزء بالخراف الى الغرب فيمر ما بين شرقيه وجوفيه قطعة مثلكه
 عليها من اعلاه مدينة قلهاث وفي ساحل الثمرو ثم تحتها على ساحل بلاد عان . ثم بلاد
 البحرين وهمر منها في آخر الجزء وفي الجزء السابع في الاعلى من غريبو قطعة من بحر فارس
 تتصل بالقطعة الاخرى في السادس ويغمر بحر الهند جانباً الاعلى كله وعليه هنالك بلاد
 السند الى بلاد مكران ويقابلها بلاد الطويران وفي من السند ايضاً فيتصل السند كله
 في الجانب الغربي من هذا الجزء وتحول الفاو زينة وبين ارض الهند و يمر فيه نهر الآتي
 من ناحية بلاد الهند وبصب في البحر الهندي في الجنوب واول بلاد الهند على ساحل البحر
 الهندي وفي سمتها شرقاً بلاد بلرا وتحتها الملتان بلاد الصن المعظم عندهم ثم الى اسفل من
 السند ثم الى اعالي بلاد سجستان وفي الجزء الثامن من غريبو بقية بلاد بلرا من الهند وعلى
 سمتها شرقاً بلاد الهند ثم بلاد سنديار وفي الجانب الاعلى على ساحل البحر الهندي وتحتها
 في الجانب الاسفل ارض كابل وبعدها شرقاً الى البحر المحيط بلاد القنوج ما بين قشمبر
 الداخلة وقشمبر الخارجة عند اخر الاقليم وفي الجزء التاسع ثم في الجانب الغربي منه بلاد
 الهند الاقصى ويتصل فيه الى الجانب الشرقي فيتصل من اعلاه الى العاشر وتبقى في اسفل

ذلك الجانب قطعة من بلاد الصين فيها مدينة شيغون ثم تتصل بلاد الصين في الجزء
 العاشر كله الى البحر المحيط والله ورسوله اعلم وبه سبحانه التوفيق وهو ولي الفضل والكرم
 الاقليم الثالث وهو متصل بالثاني من جهة الشمال في الجزء الاول منه وعلى نحو
 الثلث من اعلاه جبل درن معترض فيه من غربيه عند البحر المحيط الى الشرق عند
 اخره ويسكن هذا الجبل من البربر ارام لا يحصيهم الا خالفهم حسبنا بالي ذكره وفي القطعة
 التي بين هذا الجبل والاقليم الثاني وعلى البحر المحيط منها رباط ماسة ويتصل به شرقاً
 بلاد سوس ونول وعلى سمتها شرقاً بلاد فرعة ثم بلاد سجلماسة ثم قطعة من صحراء نيسر
 المفازة التي ذكرناها في الاقليم الثاني وهذا الجبل مطل على هذه البلاد كلها في هذا الجزء
 وهو قليل الثنايا والمسالك في هذه الناحية الغربية الى ان جسامت وادي بلوية فتكثر
 ثناياه ومسالكه الى ان ينتهي وفي هذه الناحية منها ام المصامدة ثم هتانة ثم تينملك ثم كدميه
 ثم مشكورة ثم اخر المصامدة فيو ثم قبائل صنهاكة وم صنهاجة وفي اخر هذا الجزء منه
 بعض قبائل زناتة ويتصل به هنالك من جوفية جبل اوراس وهو جبل كثامة وبعد
 ذلك آثم باخرى من البرابرة نذكرهم في اماكنهم ثم ان جبل درن هذا من جهة غربية
 مطل على بلاد المغرب الاقصى وفي في جوفيه في الناحية الجنوبية منها بلاد مراکش
 واغاث وتادلا وعلى البحر المحيط منها رباط اسني ومدينة سلا وفي الجوف عن بلاد مراکش
 بلاد فاس ومكناسة وتازا وقصر كثامة وهذه هي التي تسمى المغرب الاقصى في عرف اهلها
 وعلى ساحل البحر المحيط منها بلدان اصيلا والعرايش وفي سمت هذه البلاد شرقاً بلاد
 المغرب الاوسط وقاعدتها تلمسان وفي سواحلها على البحر الرومي بلد هنين ووهران والجزائر
 لان هذا البحر الرومي يخرج من البحر المحيط من خليج طنجة في الناحية الغربية من الاقليم
 الرابع ويذهب مشرقاً فينتهي الى بلاد الشام فاذا خرج من الخليج المتضائق غير بعيد
 انفسع جنوباً وشمالاً فدخل في الاقليم الثالث والخامس فلها كان على ساحلها من هذا
 الاقليم الثالث الكثير من بلادها ثم يتصل ببلاد الجزائر من شرقها بلاد بجاية في ساحل
 البحر ثم قسنطينة في الشرق منها وفي اخر الجزء الاول وعلى مرحلة من هذا البحر في جنوب
 هذه البلاد ومرتفعاً الى جنوب المغرب الاوسط بلد اشير ثم بلدا المسيلة ثم الزاب وقاعدته
 بسكرة تحت جبل اوراس المتصل بدرن كما مر وذلك عند اخر هذا الجزء من جهة
 الشرق والجزء الثاني من هذا الاقليم على هيئة الجزء الاول ثم جبل درن على نحو الثلث
 من جنوبيه ذاهباً فيو من غرب الى شرق فيقسمه بقطعتين ويغير البحر الرومي مسافة

من شماله فالقطعة الجنوبية عن جبل درن غربها كله مفاوز وفي الشرق منها بلد غدامس
وفي سمتها شرقاً أرض ودان التي بقيتها في الاقليم الثاني كما مر والقطعة الجنوبية عن جبل
درن ما بينة وبين البحر الرومي في الغرب منها جبل اوراس وتبسة والاوبس وعلى
ساحل البحر مدبونة ثم في سمت هذه البلاد شرقاً بلاد افريقية فعلى ساحل البحر مدينة
تونس ثم السجوة ثم المهديّة وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن بلاد المجريد توزر
وقفصة ونواوة وفيها بينها وبين السواحل مدينة القيروان وجبل وولات وسيطلة وعلى
سمت هذه البلاد كلها شرقاً بلد طرابلس على البحر الرومي وبارائها في الجنوب جبل دمر
ونقرة من قبائل هواره متصلة بجبل درن وفي مقابلة غدامس التي مر ذكرها في آخر القطعة
الجنوبية واخر هذا الجزء في الشرق سويقة ابن مشكورة على البحر وفي جنوبها مجالات
العرب في أرض ودان وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم مر ايضاً فيه جبل درن الا انه
ينعطف عند اخره الى الشمال ويذهب على سمت الى ان يدخل في البحر الرومي ويسمى
هناك طرف اوثان والبحر الرومي من شماله بغمر طائفة منه الى ان يضاق ما بينة وبين
جبل درن فالذي وراء الجبل في الجنوب وفي الغرب منه بقية أرض ودان ومجالات
العرب فيها ثم زويلة ابن خطاب ثم مال وقفار الى آخر الجزء في الشرق وفيها بين الجبل
والبحر في الغرب منه بلد سرت على البحر ثم خلاة وقفار تجول فيها العرب ثم اجنادية ثم
برقة عند منعطف الجبل ثم طلوسة على البحر هنالك ثم في شرق المنعطف من الجبل مجالات
هيب ورواحه الى آخر الجزء وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم وفي الاعلى من غربي صحاري
برقيق واسفل منها بلاد هيب ورواحه ثم يدخل البحر الرومي في هذا الجزء فيغمر طائفة
منه الى الجنوب حتى يزاح طرفه الاعلى ويبقى بينة وبين اخر الجزء وقفار تجول فيها العرب
وعلى سمتها شرقاً بلاد النجوم وفي على مصب احد الشعبين من النيل الذي مر على اللاهون
من بلاد الصعيد في الجزء الرابع من الاقليم الثاني ويصب في بحيرة فيوم وعلى سمت شرقاً
أرض مصر ومدينتها الشهيرة على الشعب الثاني الذي مر بدلاص من بلاد الصعيد
عند اخر الجزء الثاني ويفترق هذا الشعب افتراقه ثانية من تحت مصر على شعبين آخرين
من شطنوف وزفني وينقسم الايمن منها من قرط بشعبين آخرين ويصب جميعها في
البحر الرومي فعلى مصب الغربي من هذا الشعب بلد الاسكندرية وعلى مصب الوسط بلد
رشيد وعلى مصب الشرقي بلد دمياط وبين مصر والقاهرة وبين هذه السواحل البحرية
اسافل الديار المصرية كلها محشوة عمراناً وقلجاً وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم بلاد

الشام إلى أكثرها على ما اصف وذلك لان بحر القلزم ينتهي من الجنوب وفي الغرب منه عند
 السويس لانه في ممر مبتدى من البحر الهندي إلى الشمال ينعطف آخذاً إلى جهة الغرب
 فتكون قطعة من انعطافه في هذا الجزء طويلة فتنتهي في الطرف الغربي منه إلى السويس
 وعلى هذه القطعة بعد السويس فاران ثم جبل الطور ثم أيلة مدين ثم الحوراء في آخرها
 ومن هنالك ينعطف بساحله إلى الجنوب في أرض الحجاز كما مر في الاقليم الثاني في الجزء
 الخامس منه وفي الناحية الشمالية من هذا الجزء قطعة من البحر الرومي غمرت كثيراً من
 غريبه عليها الفرما والعريش وقارب طرفها بلد القلزم فيضائق ما بينها من هنالك وبقي
 شبه الباب منفصلاً إلى أرض الشام وفي غربي هذا الباب فحس التيه أرض جرداء
 لا تنبت كانت مجالاً لبي اسرائيل بعد خروجهم من مصر وقبل دخولهم إلى الشام
 أربعين سنة كما قصة القرآن وفي هذه القطعة من البحر الرومي في هذا الجزء
 طائفة من جزيرة قبرص وبقيتها في الاقليم الرابع كما نذكره وعلى ساحل هذه القطعة عند
 الطرف المتضائق لبحر السويس بلد العريش وهو آخر الديار المصرية وعسقلان وبينها
 طرف هذا البحر ثم تحيط هذه القطعة في انعطافها من هنالك إلى الاقليم الرابع عند طرابلس
 وغزة وهنالك ينتهي البحر الرومي في جهة الشرق وعلى هذه القطعة أكثر سواحل الشام في
 شرق غزة ثم عسقلان وباتحرف يسير عنها إلى الشمال بلد قيسارية ثم كذلك بلد عكا ثم
 صور ثم صيدا ثم ينعطف البحر إلى الشمال في الاقليم الرابع ويقابل هذه البلاد الساحلية من
 هذه القطعة في هذا الجزء جبل عظيم يخرج من ساحل أيلة من بحر القلزم ويذهب في ناحية
 الشمال منحرفاً إلى الشرق إلى ان يجاوز هذا الجزء ويسمى جبل اللكام وكأنه حاجز بين أرض
 مصر والشام في طرفه عند أيلة العقبة التي يمر عليها المهاج من مصر إلى مكة ثم بعدها في ناحية
 الشمال مدفن الخليل عليه الصلاة والسلام عند جبل السراء يتصل من عند جبل اللكام
 المذكور من شمال العقبة فاهياً على سمت الشرق ثم ينعطف قليلاً وفي شرقه هنالك بلد
 البحر وديار ثمود وتيماء ودومة الجندل وهي أسفل الحجاز وفوقها جبل رضوى وحصون
 خيبر في جهة الجنوب عنها وفيما بين جبل السراء وبحر القلزم صحراء تبوك وفي شمال جبل
 السراء مدينة القدس عند جبل اللكام ثم الأردن ثم طبرية وفي شرقها بلاد النور إلى
 اندرعات وفي سمتها شرقاً دومة الجندل آخر هذا الجزء وهي آخر الحجاز . وعند منعطف
 جبل اللكام إلى الشمال من آخر هذا الجزء مدينة دمشق مقابلة صيدا ويروت من
 القطعة البحرية وجبل اللكام يعترض بينها وبينها وعلى سمت دمشق في الشرق مدينة

بعلبك ثم مدينة حمص في الجهة الشمالية آخر الجزء عند منقطع جبل اللكام وفي الشرق
 عن بعلبك وحمص بلد تدمر ومجالات البادية الى آخر الجزء وفي الجزء السادس من
 اعلا مجلات الاعراب تحت بلاد نجد والهامة ما بين جبل المريج والصمان الى البحرين
 وهجر على بحر فارس وفي اسافل هذا الجزء تحت المجالات بلد الحيرة والقاسية ومغايض
 الفرات. وفيما هو هذا شرقاً مدينة البصرة وفي هذا الجزء ينتهي بحر فارس عند عبادان
 والأبلة من اسافل الجزء من شماله ويصب فيه عند عبادان نهر دجلة بعد ان ينقسم
 بجداول كثيرة وتختلط به جداول اخرى من الفرات ثم تجتمع كلها عند عبادان وتصب
 في بحر فارس وهذه القطعة من البحر متسعة في اعلا متضابقة في اخره في شريقه وضيقه
 عند انتهاء مضائقه للحد الشمالي منه وعلى حدودها الغربية منه اسافل البحرين وهجر
 والاحساء وفي غربها اخطب والصمان وبقية ارض الهامة وعلى حدودها الشرقية سواحل
 فارس من اعلاها وهو من عند آخر الجزء من الشرق على طرف قدامت من هذا البحر
 مشرقاً ووراءه الى الجنوب في هذا الجزء جبال القفص من كرمان وتحت هرمز على الساحل
 بلد سيراف ونجرب على ساحل هذا البحر. وفي شريقه الى آخر الجزء وتحت هرمز بلاد
 فارس مثل سابور ودارايمرد ونسا واصطخر والشاهجان وشيراز وهي قاعدتها كلها وتحت
 بلاد فارس الى الشمال عند طرف البحر بلاد خوزستان ومنها الاهواز ونسرو وصدي
 وسابور والسوس ورام هرمز وغيرها وأرجان وفي حد ما بين فارس وخوزستان وفي
 شريق بلاد خوزستان جبال الاكراد متصلة الى نواحي اصبهان وبها مساكنهم ومجالاتهم
 ووراءها في ارض فارس ونسب الرسوم وفي الجزء السابع في الاعلى منه من المغرب بقية
 جبال القفص ويليها من الجنوب والشمال بلاد كرمان ومكران ومن مدنها الرودان
 والشيرجان وجهرت ويزدشهر والهرج وتحت ارض كرمان الى الشمال بقية بلاد فارس
 الى حدود اصبهان ومدينة اصبهان في طرف هذا الجزء ما بين غره وشماله ثم في المشرق
 عن بلاد كرمان وبلاد فارس ارض سجستان وكوهستان في الجنوب وارض كوهستان
 في الشمال عنها ويتوسط بين كرمان وفارس وبين سجستان وكوهستان في وسط هذا
 الجزء المفاوز العظيمة المسالك لصعوبتها ومن مدن سجستان بست والطاق واما
 كوهستان فهي من بلاد خراسان ومن مشاهير بلادها سرخس وقوهستان آخر الجزء
 وفي الجزء الثامن من غربه وجنوبه مجالات الملح من أم الترك متصلة بارض سجستان
 من غربها وبارض كابل الهند من جنوبها. وفي الشمال عن هذه المجالات جبال الغور

وبلادها وقاعدتها غزنة فرضة الهند وفي آخر الغور من الشمال بلاد استراباد ثم في الشمال
 عنها الى آخر الجزء بلاد هراة اوسط خراسان وبها اسفراين وقاشان وبوشخ ومرو الروذ
 والطالقان والمجوزجان وتنتهي خراسان هنالك الى نهر جيحون . وعلى هذا النهر من بلاد
 خراسان من غربي مدينة بلخ وفي شرقيها مدينة ترمذ ومدينة بلخ كانت كرسى ملكة الترك
 وهذا النهر نهر جيحون يخرج من بلاد ومار في حدود بدخشان ما يلي الهند ويخرج من
 جنوب هذا الجزء وعند اخره من الشرق فينعطف عن قرب مغرباً الى وسط الجزء
 ويسمى هنالك نهر خرناب ثم ينعطف الى الشمال حتى يمر بخراسان ويذهب على سمت
 الى ان يصب في بحيرة خوارزم في الاقليم الخامس كما تذكره ويذهب عند انعطافه في وسط
 الجزء من الجنوب الى الشمال خمسة ايام عظيمة من بلاد المخل والوخش من شرقي
 وانهار اخرى من جبال البتم من شرقيها أيضاً وجوفي الجبل حتى يتسع ويعظم بما لا كفاة
 له ومن هذه الانهار الخمسة المدة له نهر وخشاب يخرج من بلاد التبت وفي بين الجنوب
 والشرق من هذا الجزء فيمر مغرباً بالتحراف الى الشمال الى ان يخرج الى الجزء التاسع قريباً
 من شمال هذا الجزء يعترضه في طريقه جبل عظيم يمر من وسط الجنوب في هذا الجزء
 ويذهب مشرقاً بالتحراف الى الشمال الى ان يخرج الى الجزء التاسع قريباً من شمال هذا
 الجزء فيجوز بلاد التبت الى القطعة الشرقية الجنوبية من هذا الجزء ويجول بين الترك
 وبين بلاد المخل وليس فيه الا مسلك واحد في وسط الشرق من هذا الجزء جعل فيه
 الفضل بن يحيى سداً وبنى فيه باباً كسدر ياجوج وماجوج فاذا خرج نهر وخشاب من بلاد
 التبت واعترضه هذا الجبل فيمر تحتة في مدى بعيد الى ان يمر في بلاد الوخش ويصب
 في نهر جيحون عند حدود بلخ ثم يمر هابطاً الى الترمذ في الشمال الى بلاد المجوزجان وفي
 الشرق عن بلاد الغور فيما بينها وبين نهر جيحون بلاد الناسان من خراسان وفي المدوة
 الشرقية هنالك من النهر بلاد المخل واكثرها جبال وبلاد الوخش ويحدها من جهة
 الشمال جبال البتم يخرج من طرف خراسان غربي نهر جيحون ويذهب مشرقاً الى
 ان يتصل طرفها بالجبل العظيم الذي خلفه بلاد التبت ويمر تحتة نهر وخشاب كما قلناه
 فيتصل به عند باب الفضل بن يحيى ويمر نهر جيحون بين هذه الجبال وانهاراً اخرى تصب
 فيه منها نهر بلاد الوخش يصب فيه من الشرق تحت الترمذ الى جهة الشمال ونهر بلخ
 يخرج من جبال البتم من مبدئها عند المجوزجان ويصب فيه من غربيها وعلى هذا النهر من
 غربي بلاد آمد من خراسان وفي شرقي النهر من هنالك ارض الصفد وأسروشنه من

بلاد الترك وفي شرقها ارض فرغانة ايضاً لهم آخر الجزء شرقاً وكل بلاد الترك تحوزها
جبال الهم الى شمالها وفي الجزء التاسع من غرب ارض التبت المتوسط الجزء وفي جنوبها
بلاد الهند وفي شرقها بلاد الصين الى آخر الجزء وفي اسفل هذا الجزء شمالاً هن بلاد
التبت بلاد الخنزلية من بلاد الترك الى آخر الجزء شرقاً وشمالاً ويتصل بها من غربها
ارض فرغانة ايضاً الى آخر الجزء شرقاً ومن شرقها ارض التفرغرهن الترك الى الجزء
شرقاً وشمالاً. وفي الجزء العاشر في الجنوب منه جميعاً بقية الصين واساقفة وفي الشمال
بقية بلاد التفرغرهن شرقاً عنهم بلاد خرخيز من الترك ايضاً الى آخر الجزء شرقاً وفي
الشمال من ارض خرخيز بلاد كتمان من الترك وقبالها في البحر المحيط جزيرة الباقوت
في وسط جبل مستدير لا منفذ منه اليها ولا مسلك والصعود الى اعلاه من خارج
صعب في الغاية وفي الجزيرة حياث قتالة وحصى من الباقوت كثيرة فيجئ اهل تلك
الناحية في استخراجها يلهمهم الله ما يوليه واهل هذه البلاد في هذا الجزء التاسع والعاشر
وراء خراسان والجبال كلها مجالات للترك ام لا تحصى وم طوائع رحالة اهل ابل وشاء
وبقروخل للتاج والركوب والاكل وطوائف كثيرة لا يحصى الاقاليم وفيهم مسلمون
ما يلي بلاد النهر نهر جيحون ويفزون الكفار منهم الدائنين بالهوسية فيبيعون رقيقهم لمن
يلهم ويخرجون الى بلاد خراسان والهند والعراق

الاقليم الرابع * يتصل بالثالث من جهة الشمال. والجزء الاول منه في غرب قطعة
من البحر المحيط مستطيلة من اوله جنوباً الى آخره شمالاً وعليها في الجنوب مدينة طنجة
ومن هذه القطعة تحت طنجة من البحر المحيط الى البحر الرومي في خليج متضائق بمقدار
انني عشر ميلاً ما بين طريق الجزيرة الخضراء شمالاً وقصر الهجاز وسبته جنوباً ويذهب
مشرقاً الى ان ينتهي الى وسط الجزء الخامس من هذا الاقليم وينفع في هدايه بتدرج الى
ان يفر الاربعة الاجزاء واكثر الخامس ويخرج عن جانبيه طرفاً من الاقليم الثالث
والخامس كما سذكره ويسمى هذا البحر البحر الشامي ايضاً وفيه جزائر كثيرة اعظمها في
جهة الغرب يابسة ثم مايرقة ثم منقرقة ثم سردانية ثم صقلية وهي اعظمها ثم بلونس ثم
اقريطش ثم قبرص كما تذكرها كلها في اجزائها التي وقعت فيها ويخرج من هذا البحر
الرومي عند آخر الجزء الثالث منه وفي الجزء الثالث من الاقليم الخامس خليج البنطقة
يذهب الى ناحية الشمال ثم ينعطف عند وسط الجزء من جوفه ويمر مغرباً الى ان ينتهي
في الجزء الثاني من الخامس ويخرج منه ايضاً في آخر الجزء الرابع شرقاً من الاقليم الخامس

خليج القسطنطينية يمر في الشمال متصافياً في عرض رمية السهم الى آخر الاقليم ثم ينفي الى
 الجزء الرابع من الاقليم السادس وينعطف الى بحر نطش ذاهباً الى الشرق في الجزء
 الخامس كله ونصف السادس من الاقليم السادس كما نذكر ذلك في اماكه وعندما يخرج
 هذا البحر الرومي من البحر المحيط في خليج طنجة وينفخ الى الاقليم الثالث يبقى في الجنوب
 عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء فيها مدينة طنجة على مجمع البحرين وبهذه مدينة
 ستة على البحر الرومي ثم قطاؤون ثم باديس ثم يغمر هذا البحر بقية هذا الجزء شرقاً ويخرج
 الى الثالث وأكثر العارة في هذا الجزء في شماله وشمال الخليج منه وهي كلها بلاد الاندلس
 الغربية منها ما بين البحر المحيط والبحر الرومي اولها طريف عند مجمع البحرين وفي الشرق
 منها على ساحل البحر الرومي الجزيرة الخضراء ثم مالقة ثم المنقب ثم المربة وتحت هذه من
 لدن البحر المحيط غرباً وعلى مغربة منه شريش ثم لبلة وقيالنها في جزيرة قانس وفي الشرق
 عن شريش وليلة اشيلية ثم اسجيرة وقرطبة ومديلة ثم غرناطة وجان وأبدة ثم ادباش وبسطة
 وتحت هذه شتمريه وشلب على البحر المحيط غرباً وفي الشرق عنها بطليوس وماردة وبابرة
 ثم غافق وبزجاله ثم قلعة رياح وتحت هذه اشبونة على البحر المحيط غرباً وعلى نهر باجة
 وفي الشرق عنها شنترين ومويزة على النهر المذكور ثم قنطرة السيف وبسات اشبونة من
 جهة الشرق جبل الشارات يبدأ من المغرب هنالك ويذهب مشرقاً مع آخر الجزء من
 شماليو فينتهي الى مدينة سالم فيما بعد النصف منه وتحت هذا الجبل طلييرة في الشرق من
 فورنه ثم طليطة ثم وادي النجارة ثم مدينة سالم وعند اول هذا الجبل فيما بينه وبين اشبونة
 بلد قلرية هذه غربي الاندلس . واما شرقي الاندلس فعلى ساحل البحر الرومي منها بعد
 المربة قرطاجنة ثم لنتة ثم دانية ثم بلنسية الى طرطوشة آخر الجزء في الشرق وتحتها شمالاً
 ليورقة وشفورة تناخمان بسطة وقلعة رياح من غرب الاندلس ثم مرسية شرقاً ثم شاطبة
 تحت بلنسية شمالاً ثم شقر ثم طرطوشة ثم طركونة آخر الجزء ثم تحت هذه شمالاً ارض منجالة
 ورادة متاخمان لشفورة وطيطة من الغرب ثم افراغة شرقاً تحت طرطوشة وشمالاً عنها
 ثم في الشرق عن مدينة سالم قلعة ايوب ثم سرقسطة ثم لاردة آخر الجزء شرقاً وشمالاً .
 والجزء الثاني من هذا الاقليم غير الماء جميعه الا قطعة من غربيو في الشمال فيها بقية جبل
 البرينات ومعناه جبل الثنايا والسالك يخرج اليو من آخر الجزء الاول من الاقليم الخامس
 يبدأ من الطرف المنتهي من البحر المحيط عند آخر ذلك الجزء جنوباً وشرقاً ويمر في
 الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج في هذا الاقليم الرابع مخرقاً عن الجزء الاول منه الى

هذا الجزء الثاني فيقع فيه قطعة منة تنضي ثنائها الى البر المتصل ونسى ارض غشكونية
وفيمدبنة خريدة وقرقشونة وعلى ساحل البحر الرومي من هذه القطعة مدينة برسلونة ثم
اربونة وفي هذا البحر الذي غمر الجزء جزائر كثيرة والكثير منها غير مسكون لصغرهما ففي
غريب جزيرة سرفانة وفي شرق جزيرة صقلية متسعة الاقطار يقال ان دورها سبعة
ميل وبها مدن كثر من مشاهيرها سرقوسة وبلرم وطرابنفة ومازرو وهسيبي وهذه الجزيرة
تقابل ارض افريقية وفيها بينها جزيرة اعدوش ومالطة . والجزء الثالث من هذا الاقليم
مغمور ايضا بالبحر الا ثلاث قطع من ناحية الشمال الغربية منها ارض قلورية والوسطى من
ارض ابكرودة والشرقية من بلاد البنادقة . والجزء الرابع من هذا الاقليم مغمور ايضا
بالبحر كما مر وجزائره كثيرة واكثرها غير مسكون كما في الثالث والمغمور منها جزيرة
بلونس في الناحية الغربية الشمالية وجزيرة اقريطش مستطيلة من وسط الجزء الى ما
بين الجنوب والشرق منة . والجزء الخامس من هذا الاقليم غير البحر منة مثلك كبيرة بين
الجنوب والغرب ينتهي الضلع الغربي منها الى اخر الجزء في الشمال وينتهي الضلع الجنوبي
منها الى نحو الثلاثين من الجزء ويبقى في الجانب الشرقي من الجزء قطعة نحو الثلث من الشمالي
منها الى الغرب منعطفًا مع البحر كما قلناه وفي النصف الجنوبي منها أسافل الشام ويمر
في وسطها جبل اللكام الى ان ينتهي الى آخر الشام في الشمال فينعطف من هنالك ظاهياً
الى القطر الشرقي الشمالي ويسمى بعد انعطافه جبل السلسلة ومن هنالك يخرج الى الاقليم
الخامس ويجوز من عند منعطفه قطعة من بلاد الجزيرة الى جهة الشرق ويقوم من عند
منعطفه من جهة المغرب جبال متصلة بعضها ببعض الى ان ينتهي الى طرف خارج
من البحر الرومي متأخر الى اخر الجزء من الشمال وبين هذه الجبال ثنائيا نسي الدروب
وفي التي تنضي الى بلاد الارمن وفي هذا الجزء قطعة منها بين هذه الجبال وبين جبل
السلسلة فاما الجهة الجنوبية التي قدمنا ان فيها أسافل الشام وان جبل اللكام معترض
فيها بين البحر الرومي وآخر الجزء من الجنوب الى الشمال فعلى ساحل البحر بلد انطراطوس
في اول الجزء من الجنوب متاخمة لغزة وطرابلس على ساحله من الاقليم الثالث وفي شمال
انطراطوس جبل ثم اللاذقية ثم اسكندرونة ثم سلوقية وبعدها شمالاً بلاد الروم واما جبل
اللكام المعترض بين البحر وآخر الجزء بمخاضيه فيصاقلية من بلاد الشام من أعلى الجزء
جنوباً من غريب حصن الحواتي وهو للحشيشة الاسماعيلية ويعرفون لهذا العهد بالندابة
ويسمى الحصن مصبات وهو قبالة انطراطوس وقبالة هذا الحصن في شرق الجبل بلد

سلطية في الشمال عن حصص وفي الشمال عن حصيات بين الجبل والبحر بلد انطاكية ويقابلها
 في شرق الجبل المعرة وفي شرقها المراغة وفي شمال انطاكية المصبصة ثم ادنة ثم طرموس
 آخر الشام ويحاذيها من غرب الجبل قنسرين ثم عين زربة وقبالة قنسرين في شرق
 الجبل حلب ويقابل عين زربة منج آخر الشام. وأما الدروب فعن بينها ما بينها وبين
 البحر الرومي بلاد الحورم التي هي لهذا العهد للتركان وسلاطنتها ابن عنلة وفي ساحل البحر
 منها بلد انطاكية والعلايا. وأما بلاد الارمن التي بين جبل الدروب وجبل التسلسة
 ففيها بلد مرعش وملطية والمعرة الى اخر الجزء الشمالي ويخرج من الجزء الخامس في بلاد
 الارمن نهر جيجان ونهر سيجان في شرقيو فيمر بها جيجان جنوباً حتى يجاوز الدروب ثم يمر
 بطرموس ثم بالمصبصة ثم ينعطف هابطاً الى الشمال ومغرباً حتى يصب في البحر الرومي
 جنوب سلوقية ويمر بنهر سيجان موازياً لنهر جيجان فيجاري المعرة ومرعش ويجاوز جبال
 الدروب الى ارض الشام ثم يمر بعين زربة ويجوز عن نهر جيجان ثم ينعطف الى الشمال
 مغرباً فيختلط بنهر جيجان عند المصبصة ومن غربها وأما بلاد الجزيرة التي يحيط بها
 متعطف جبل اللكام الى جبل التسلسة في جنوبها بلد الرافضة والرقه ثم حران ثم سروج
 والرها ثم نصيبين ثم سميساط وأمد تحت جبل التسلسة واخر الجزء من شماله وهو ايضا
 اخر الجزء من شرقيو ويمر في وسط هذه القطعة نهر الفرات ونهر دجلة يخرجان من الاقليم
 الخامس ويران في بلاد الارمن جنوباً الى ان يجاوزا جبل التسلسة فيمر نهر الفرات من
 غربي سميساط وسروج ويعرف الى الشرق فيمر بقرب الرافضة والرقه ويخرج الى الجزء
 السادس ويمر دجلة في شرق آمد وتنعطف قريباً الى الشرق فيخرج قريباً الى الجزء السادس
 وفي الجزء السادس من هذا الاقليم من غربيو بلاد الجزيرة وفي الشرق منها بلاد العراق
 متصلة بها تنتهي في الشرق الى قرب آخر الجزء ويعترض من آخر العراق هنالك جبل
 اصبيان هابطاً من جنوب الجزء مخرباً الى الغرب فاذا انتهى الى وسط الجزء من اخره في
 الشمال يذهب مغرباً الى ان يخرج من الجزء السادس ويصل على سمتو بجبل التسلسة
 في الجزء الخامس فيقطع هذا الجزء السادس بقطعتين غربية وشرقية ففي الغربية من
 جنوبها يخرج الفرات من الخامس وفي شمالها يخرج دجلة منه اما الفرات فاول ما
 يخرج الى السادس يمر بقرقيسيا ويخرج من هنالك جدول الى الشمال ينساب في ارض
 الجزيرة ويفوس في نواحيها ويمر من قرقيسيا غير بعيد ثم ينعطف الى الجنوب فيمر بقرب
 الحابور الى غرب الرحبة ويخرج منه جدول من هنالك يمر جنوباً ويبقى صفين في غربيو

ثم ينعطف شرقاً وينقسم بشعوب فيمر بعضها بالكوفة وبعضها بقصر ابن هيرة وبالجمامين
ويخرج جميعاً في جنوب الجزيرة الى الاقليم الثالث فيغوص هنالك في شرق الحيرة والقادسية
ويخرج الفرات من الرجة مشرقاً على سمت الى هيت من شمالها يمر الى الزاب والانبار من
جنوبها ثم يصب في دجلة عند بغداد. واما نهر دجلة فاذن دخل من الجزيرة الخامس الى
هذا الجزء ثم مشرقاً على سمت ومحاذاً لجبل السلسلة المتصل بحبل العراق على سمت فيمر
بجزيرة ابن عمر على شمالها ثم بالموصل كذلك وتكررت وينتهي الى الحديثة فينعطف جنوباً
ويبقى الحديثة على شرقه والزاب الكبير والصغير كذلك ويمر على سمت جنوباً وفي غرب
القادسية الى ان ينتهي الى بغداد ويختلط بالفرات ثم يمر جنوباً على غرب جرجان الى ان
يخرج من الجزيرة الى الاقليم الثالث فتنتشر هنالك شعوب وجداوله ثم يجتمع ويصب هنالك
في بحر فارس عند عبادان وفيها بين نهر الدجلة والفرات قبل مجيئها ببغداد في بلاد الجزيرة
ويختلط بنهر دجلة بعد مفارقتهم ببغداد نهر آخر يأتي من الجهة الشرقية الشمالية منه وينتهي
الى بلاد النهر وان قبالة بغداد شرقاً ثم ينعطف جنوباً ويختلط بدجلة قبل خروجه الى
الاقليم الثالث ويبقى ما بين هذا النهر وبين جبل العراق والاعاجم بلد جلولا وفي شرقها
عند الجبل بلد حلوان وصيرة. واما القطعة الغربية من الجزيرة فيعترضها جبل يبدأ من
جبل الاعاجم مشرقاً الى اخر الجزيرة يسمى جبل شهر زور وينقسمها بقطعتين وفي الجنوب من
هذه القطعة الصغرى بلد خوجان في الغرب وال شمال عن اصهبان ونسب هذه القطعة بلد
الملوس وفي وسطها بلد نهاوند وفي شمالها بلد شهر زور غرباً عند ملتقى الجبلين والدينور
شرقاً عند اخر الجزيرة وفي القطعة الصغرى الثانية طرف من بلاد ارمينية قاعدتها المرافعة
والذي يقابلها من جبل العراق يسمى باريان وهو مساكن للاكراد والزاب الكبير والصغير
الذي على دجلة من ورائه وفي اخر هذه القطعة من جهة الشرق بلاد اخريجان ومهانير يز
واليدقان وفي الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء قطعة من بحر ينطش وهو بحر الخزر
وفي الجزء السابع من هذا الاقليم من غربه وجنوبه معظم بلاد الملوس. وفيها هذان
وقزون وبقيتها في الاقليم الثالث وفيها هنالك اصهبان ومحيطها من الجنوب جبل
يخرج من غربها ويمر بالاقليم الثالث ثم ينعطف من الجزء السادس الى الاقليم الرابع
ويتصل بحبل العراق في شرقه الذي مر ذكره هنالك وانه يحيط ببلاد الملوس في القطعة
الشرقية ويهبط هذا الجبل المحيط باصهبان من الاقليم الثالث الى جهة الشمال ويخرج
الى هذا الجزء السابع فيحيط ببلاد الملوس من شرقها وتحته هنالك قاشان ثم تم وينعطف

في قرب النصف من طريقه مغرباً بعض الشيء ثم يرجع مستديراً فيذهب مشرقاً ومغرباً
الى الشمال حتى يخرج الى الاقليم الخامس ويشمل على منطقتيه واستدارته على بلد الري
في شرقيه ويبدأ من منطقتيه جبل آخر بمغرباً الى آخر هذا الجزء ومن جنوبه من هنالك
قزوین ومن جانبه الشمالي وجانب جبل الري المتصل معه ذاهباً الى الشرق والشمال الى
وسط الجزء ثم الى الاقليم الخامس بلاد طبرستان فيما بين هذه الجبال وبين قطعة من
بحر طبرستان ويدخل من الاقليم الخامس في هذا الجزء في نحو النصف من غربه الى
شرقوه ويعترض عند جبل الري وعند انعطافه الى الغرب جبل متصل يمر على سمتو مشرقاً
وبانحراف قليل الى الجنوب حتى يدخل في الجزء الثامن من غربه ويبقى بين جبل
الري وهذا الجبل من عند مبدئها بلاد جرجان فيما بين الجبلين ومنها بسطام ووراء
هذا الجبل قطعة من هذا الجزء فيها بقية المفازة التي بين فارس وخراسان وهي في شرقي
فاشان وفي اخرها عند هذا الجبل بلد استراباذ وحنا في هذا الجبل من شرقيه الى اخر
الجزء بلاد نيسابور من خراسان في جنوب الجبل وشرق المفازة بلاد نيسابور ثم من
الشامخان اخر الجزء وفي شماله وشرقي جرجان بلد مهران وخازرون وطوس آخر
الجزء شرقاً وكل هذا تحت الجبل وفي الشمال عنها بلاد نسا ويحيط بها عند زاوية
الجزئين الشمال والشرق مفاز معطلة وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم وفي غربيه
نهر جيحون ذاهباً من الجنوب الى الشمال في عدوته الغربية رم وامل من بلاد خراسان
والظاهرية والمجرانية من بلاد خوارزم ويحيط بالزاوية الغربية الجنوبية من جبل
استراباذ المعترض في الجزء السابع قبله ويخرج في هذا الجزء من غربيه ويحيط بهذه
الزاوية وفيها بقية بلاد هراة وبرز الجبل في الاقليم الثالث بين هراة والجوزجان حتى
يتصل بجبل اليم كما ذكرناه هنالك وفي شرقي نهر جيحون من هذا الجزء وفي الجنوب
منه بلاد بخاري ثم بلاد الصفد وقاعدتها سمرقند ثم بلاد اسروشة ومنها تجندة اخر الجزء
شرقاً وفي الشمال عن سمرقند واسروشة ارض ايلاق^(١) ثم في الشمال عن ايلاق ارض
الشاش الى اخر الجزء شرقاً وباخذ قطعة من الجزء التاسع في جنوب تلك القطعة بقية
ارض فرغانة ويخرج من تلك القطعة التي في الجزء التاسع نهر الشاش يمر معترضاً في
الجزء الثامن الى ان ينصب في نهر جيحون عند مخرجه من هذا الجزء الثامن في شماله الى
الاقليم الخامس ويختلط معه في ارض ايلاق نهر ياتي من الجزء التاسع من الاقليم الثالث
١ في المشترك اقليم ايلاق متصل باقليم الشاش لافعل بينهما وهو بكر الميزة وسكون الباء ههنا ١٠

من تخوم بلاد التبت ويختلط معه قبل مخرجه من الجزء التاسع نهر فرغانة وعلى سمت نهر
الشاش جبل جبراغون يبدأ من الاقليم الخامس وينعطف شرقاً ومغرباً الى الجنوب حتى
يمخرج الى الجزء التاسع محيطاً بارض الشاش ثم ينعطف في الجزء التاسع فيحيط بالشاش
وفرغانة هناك الى جنوبه فيدخل في الاقليم الثالث ويرين نهر الشاش وطرف هذا
الجبل في وسط الجزء بلاد فاراب وبينه ارض بخارى وخوارزم مفارقة معطلة وفي زاوية
هذا الجزء من الشمال والشرق ارض نخجند وفيها بلاد السجانب وطراز وفي الجزء التاسع من
هذا الاقليم في غربيه بعد ارض فرغانة والشاش ارض الخزلجة في الجنوب وارض الخليلجة
في الشمال وفي شرق الجزء كلو ارض الكيماكية ويتصل في الجزء العاشر كلو الى جبل
قوقيا اخر الجزء شرقاً وعلى قطعة من البحر المحيط هنالك وهو جبل ياجوج وماجوج
وهذه الام كلها من شعوب الترك انتهى

الاقليم الخامس الجزء الاول منه اكثره مغبور بالماء الا قليلاً من جنوبه وشرقه
لان البحر المحيط بهذه الجهة الغربية دخل في الاقليم الخامس والسادس والسابع عن
الدائرة المحيطة بالاقليم فاما المنكشف من جنوبه فقطعة على شكل مثلث متصلة من هنالك
بالاندلس وعليها بقية البحر من جهتين كأنها ضلعان محيطان بزوايا المثلث
ففيها من بقية غرب الاندلس سميور على البحر عند اول الجزء من الجنوب والغرب
وسمئذ شرقاً عنها وفي جوفها سمورة وفي الشرق عن سمنكه ايلة آخر الجنوب وارض
قسنالية شرقاً عنها وفيها مدينة شتونيوفي شمالها ارض ليون وبرغشت ثم وراءها في
الشمال ارض جليقية الى زاوية القطعة وفيها على البحر المحيط في اخر الضلع الغربي
بلد شنتياقو ومعناه يعقوب وفيها من شرق بلاد الاندلس مدينة شطلية عند اخر الجزء
في الجنوب وشرقاً عن قسنالية وفي شمالها وشرقها وشقة وبنبلونة على سمتها شرقاً وشمالاً
وفي غرب بنبلونة قسالة ثم ناجزة فيما بينها وبين برغشت ويعترض وسط هذه القطعة
جبل عظيم مجاذ للبحر وللضلع الشمالي الشرقي منه وعلى قرب ويتصل به وبطرف البحر
عند بنبلونة في جهة الشرق الذي ذكرنا من قبل ان يتصل في الجنوب بالبحر الرومي في
الاقليم الرابع ويصير حجراً على بلاد الاندلس من جهة الشرق وثناياه ابواب لما تنضي الى
بلاد غشكونية من اُم الفرنج فمنها من الاقليم الرابع برشلونة واربونة على ساحل البحر
الرومي وخريدة وفرقشوة وراهما في الشمال ومنها من الاقليم الخامس طلوشة شمالاً عن
خريدة واما المنكشف في هذا الجزء من جهة الشرق فقطعة على شكل مثلث مستطيل

زاوية الحادة وراء البرزات شرقاً وفيها على البحر المحيط على رأس القطعة التي يتصل بها
 جبل البرزات بلد نبوت وفي آخر هذه القطعة في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء
 ارض ينطون الفرنج الى آخر الجزء. وفي الجزء الثاني من الناحية الغربية من ارض
 غشكونية وفي شمالها ارض ينطون وبلغت وقد ذكرناها وفي شرق بلاد غشكونية في شمالها
 قطعة ارض من البحر الرومي دخلت في هذا الجزء كالضرس مائلة الى الشرق قليلاً وصارت
 بلاد غشكونية في غربها داخل في جوف من البحر وعلى رأس هذه القطعة شمالاً بلاد
 جنوة وعلى سمتها في الشمال جبل نيت جون وفي شماله وعلى سمتها ارض برغينة وفي الشرق
 عن طرف جنوة الخارج من البحر الرومي طرف اخر خارج منه يبقى بينهما جون داخل من
 البر في البحر في غربي نيش وفي شرقي مدينة رومة العظمى كرسى ملك الافرنجة ومسكن
 البابا بطركهم الاعظم وفيها من المباني الضخمة والمباني المهيولة والكنايس العديدة ما هو
 معروف الاخبار ومن عجائبها النهر الجاري في وسطها من المشرق الى المغرب مفروش قاعه
 ببلاط الفخام وفيها كنيسة بطرس وبولس من الحواريين وهما مدفونان بها وفي الشمال
 عن بلاد رومة بلاد افرنجية الى آخر الجزء وعلى هذا الطرف من البحر الذي في جنوب رومة
 بلاد نابل في الجانب الشرقي منه متصلة ببلد قلورية من بلاد الفرنج وفي شمالها طرف من
 خليج البنادقة دخل في هذا الجزء من الجزء الثالث مغرباً ومحاذياً للشمال من هذا الجزء
 وانتهى الى نحو الثلث منه وعليه كثير من بلاد البنادقة دخل في هذا الجزء من جنوبه
 فيما بينه وبين البحر المحيط ومن شماله بلاد انكلابية في الاقليم السادس. وفي الجزء الثالث
 من هذا الاقليم في غربي بلاد قلورية بين خليج البنادقة والبحر الرومي يحيط بها من شرقيها
 يصل من برها في الاقليم الرابع في البحر الرومي في جون بين طرفين خرجا من البحر على
 سمت الشمال الى هذا الجزء في شرقي بلاد قلورية بلاد انكلابية في جون بين خليج البنادقة
 والبحر الرومي ويدخل طرف من هذا الجزء في الجوف في الاقليم الرابع وفي البحر الرومي
 ومحيط به من شرقيها خليج البنادقة من البحر الرومي فاهباً الى سمت الشمال ثم ينعطف الى
 الغرب محاذياً لآخر الجزء الشمالي ويخرج على سمت من الاقليم الرابع جبل عظيم يواز به
 ويذهب معه الى الشمال ثم يغرب معه في الاقليم السادس الى ان ينتهي قبالة خليج في شماله
 في بلاد انكلابية من ام اللاتين كما نذكر وعلى هذا الخليج وبينه وبين هذا الجبل ماداما
 فاهبين الى الشمال بلاد البنادقة فانها ذهاباً الى المغرب فينبها بلاد حروبا ثم بلاد
 اللاتين عند طرف الخليج. وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم قطعة من البحر الرومي

خرجت اليه من الاقليم الرابع مضرة كلها بقطع من البحر ويخرج منها الى الشمال وبين
 كل ضربين منها طرف من البحر في الجنوبين وفي آخر الجزء شرقاً قطع من البحر
 ويخرج منها الى الشمال خليج القسطنطينية يخرج من هذا الطرف الجنوبي ويذهب على
 سمت الشمال الى ان يدخل في الاقليم السادس وينعطف من هنالك عن قرب
 مشرقاً الى بحر نيظس في الجزء الخامس وبعض الرابع قبله والهامس بعده من
 الاقليم السادس كما نذكر وبلد القسطنطينية في شرقي هذا الخليج عند اخر الجزء من
 الشمال وهي المدينة العظيمة التي كانت كرسي القياصرة وبها من آثار البناء والصفحة
 ما كثرت عنه الاحاديث والقطعة التي ما بين البحر الرومي وخليج القسطنطينية
 من هذا الجزء وفيها بلاد مقدونية التي كانت لليونانيين ومنها ابتداء ملكهم وفي شرقي
 هذا الخليج الى اخر الجزء قطعة من ارض باطوس واطنها هذا العهد بمجالات للتركمان
 وبها ملك ابن عثمان وقاعدته ببل برصة وكانت من قبلهم للروم وعلهم عليها الامم الى ان
 صارت للتركمان. وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم من غربي وجنوبي ارض باطوس
 وفي الشمال عنها الى اخر الجزء بلاد عمورية وفي شرقي عمورية نهر قباقيب الذي يمتد الفرات
 يخرج من جبل هنالك ويذهب في الجنوب حتى يخالط الفرات قبل وصوله من هذا
 الجزء الى مره في الاقليم الرابع وهنالك في غربي اخر الجزء في مبداء نهر سيحان ثم نهر جيجان
 غربيه الزاهيين على سمتهم وقد مر ذكرها وفي شرقه هنالك مبداء نهر دجلة الزاهب
 على سمتهم وفي موازاته حتى يخالطه عند بغداد وفي الزاوية التي بين الجنوب والشرق من
 هذا الجزء وراء الجبل الذي يبدأ منه نهر دجلة بلد ميفارقين ونهر قباقيب الذي ذكرناه
 ينقسم هذا الجزء بقطعتين احدها غربية جنوبية وفيها ارض باطوس كما قلناه واسفلها
 الى اخر الجزء شمالاً ووراء الجبل الذي يبدأ منه نهر قباقيب ارض عمورية كما قلناه
 والقطعة الثانية شرقية شمالية على الثلث في الجنوب منها مبداء دجلة والفرات وفي الشمال
 بلاد اليلقان متصلة بارض عمورية من وراء جبل قباقيب وهي عريضة وفي اخرها عند
 مبداء الفرات بلد خرشنه وفي الزاوية الشرقية الشمالية قطعة من بحر نيظس الذي يمتد
 خليج القسطنطينية. وفي الجزء السادس من هذا الاقليم في جنوبي وغربي بلاد ارمينية
 متصلة الى ان يجاوز وسط الجزء الى جانب الشرق وفيها بلدن اردن في الجنوب والغرب
 وفي شمالها تفليس وديبل وفي شرق اردن مدينة خلاط ثم بردعة وفي جنوبها بلخرف
 الى الشرق مدينة ارمينية ومن هنالك يخرج بلاد ارمينية الى الاقليم الرابع وفيها هنالك

بلد المراغة في شرقي جبل الأكراد المسمى بارجي وقد مر ذكره في الجزء السادس منه ويتأخر
 بلاد ارمينية في هذا الجزء وفي الاقليم الرابع قبله من جهة الشرق فيها بلاد اذربيجان
 واخرها في هذا الجزء شرقاً بلاد اردبيل على قطعة من بحر طبرستان دخلت في الناحية
 الشرقية من الجزء السابع ويسمى بحر طبرستان وعليه من شماله في هذا الجزء قطعة من
 بلاد الخزر وهم التركمان ويبدأ من عند اخر هذه القطعة البحرية في الشمال جبال يتصل
 بعضها ببعض على سمت الغرب الى الجزء الخامس فترقبه منعطفة ومحيطة ببلد ميفارقين
 ويخرج الى الاقليم الرابع عند امد ويتصل بجبل السلسلة في اسفل الشام ومن هنالك
 يتصل بجبل اللكام كما مر وبين هذه الجبال الشمالية في هذا الجزء نايابا كالا بواب تنضي
 من الجبانيين ففي جنوبها بلاد الابواب متصلة في الشرق الى بحر طبرستان وعليه من
 هذه البلاد مدينة بابه الابواب وتتصل بلاد الابواب في الغرب من ناحية جنوبها ببلد
 ارمينية وبينها في الشرق وبين بلاد اذربيجان الجنوبية بلاد الزاب متصلة الى بحر طبرستان
 وفي شمال هذه الجبال قطعة من هذا الجزء في غربها مملكة السري في الزاوية الغربية
 الشمالية منها وفي زاوية الجزء كلاً قطعة ايضاً من بحر نيتش الذي يمد خلیج القسطنطينية
 وقد مر ذكره ويحف بهذه القطعة من نيتش بلاد السري وعليها منها بلد اطرايزدة
 وتتصل بلاد السريين بجبل الابواب والجهة الشمالية من الجزء الى ان ينتهي شرقاً الى
 جبل حاجز بينها وبين ارض الخزر وعند اخرها مدينة صول ووراء هذا الجبل الحاجز
 قطعة من ارض الخزر تنتهي الى الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء من بحر طبرستان
 واخر الجزء شمالاً والجزء السابع من هذا الاقليم غربه كله مغفور بحر طبرستان وخرج
 من جنوبه في الاقليم الرابع القطعة التي ذكرنا هنالك ان عليها بلاد طبرستان وجبال
 الديلم الى قزوین وفي غربي تلك القطعة متصلة بها القطعة التي في الجزء السادس من
 الاقليم الرابع وتتصل بها من شمالها القطعة التي في الجزء السادس من شرقه ايضاً وينكشف
 من هذا الجزء قطعة عند زاوية الشمالية الغربية يصب فيها نهر اثل في هذا البحر ويبقى
 من هذا الجزء في ناحية الشرق قطعة منكشفة من البحر في مجالات للفر من ام الترك
 يحيط بها جبل من جهة الجنوب داخل في الجزء الثامن ويذهب في الغرب الى ما دون
 وسطه فينعطف الى الشمال الى ان يلاقى بحر طبرستان فيحتمل به ذاهباً معه الى بقيته في
 الاقليم السادس ثم ينعطف مع طرفه ويأرقه ويسمى هنالك جبل سياه ويذهب مغرباً
 الى الجزء السادس من الاقليم السادس ثم يرجع جنوباً الى الجزء السادس من الاقليم

الخامس وهذا الطرف منه هو الذي اعترض في هذا الجزء بين ارض السريه وارض
 الخزر واتصلت ارض الخزر في الجزء السادس والسابع حقا في هذا الجبل المسمى جبل
 سياه كما سيأتي. والجزء الثامن من هذا الاقليم الخامس كله مجالات للفر من ام الترك وفي
 الجهة الجنوبية الغربية منه بحيرة خوارزم التي يصب فيها نهر جيحون دورها ثلاثمائة ميل
 ويصب فيها انهار كثيرة من ارض هذه المجالات وفي الجهة الشمالية الشرقية منه بحيرة
 عرعرون دورها اربعمائة ميل وماؤها حلو وفي الناحية الشمالية من هذا الجزء جبل مرغار
 ومعناه جبل الملح لانه لا يذوب فيه وهو متصل باخر الجزء وفي الجنوب عن بحيرة
 عرعرون جبل من الحجر الصلد لا ينبت شيئا ينسب عرعرون ويوسميت البحيرة ويغلب منه
 ومن جبل مرغار شمالي البحيرة انهار لا تنحصر عدتها فتصب فيها من الجانبين. وفي الجزء
 التاسع من هذا الاقليم بلاد اركس من ام الترك في غرب بلاد العجم شرق بلاد الكياكية
 ويحيط به من جهة الشرق ارض الجزء ارض فوقها المحيط بيا جوج وما جوج يعترض هنالك
 من الجنوب الى الشمال حتى ينقطع اول دخوله من الجزء العاشر وقه كان دخل اليه
 من ارض الجزء العاشر من الاقليم الرابع قبله احنف هنالك بالبحر المحيط الى ارض الجزء في
 الشمال ثم انقطع مغربا في الجزء العاشر من الاقليم الرابع الى ما دون نضو واحاط من
 اوله الى هنا ببلاد الكياكية ثم خرج الى الجزء العاشر من الاقليم الخامس فذهب فيه
 مغربا الى اخره وبقيت في جنوبيه من هذا الجزء قطعة مستطيلة الى الغرب قبل ارض
 بلاد الكياكية ثم خرج الى الجزء التاسع في شرقيته وفي الاعلى منه وانقطع قريبا الى
 الشمال وذهب على ستمه الى الجزء التاسع من الاقليم السادس وفيه السد هنالك كما
 تذكره وبقيت منه القطعة التي احاط بها جبل فوقها عند الزاوية الشرقية الشمالية من
 هذا الجزء مستطيلة الى الجنوب وهي من بلاد ياجوج وما جوج وفي الجزء العاشر من
 هذا الاقليم ارض ياجوج متصلة فيه ككل الاقطعة من البحر المحيط غمرت طرفا في شرقيته
 من جنوبيه الى شماله الا القطعة التي يفصلها الى جهة الجنوب والغرب جبل فوقها حين
 مر فيه وما سوى ذلك فارض ياجوج وما جوج والله سبحانه وتعالى اعلم
 الاقليم السادس فالجزء الاول منه غير البحر اكثر من نصفه واستدار شرقا مع الناحية
 الشمالية ثم ذهب مع الناحية الشرقية الى الجنوب وانتهى قريبا من الناحية الجنوبية
 فانكشفت قطعة من هذه الارض في هذا الجزء داخل بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية
 الشرقية من البحر المحيط كالجون فيه وينفع طولاً وعرضاً وهي كلها ارض برطانية وفي

بأهيا بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء بلاد صاقس متصلة ببلاد
 بتطو التي مر ذكرها في الجزء الاول والثاني من الاقليم الخامس. والجزء الثاني من هذا
 الاقليم دخل البحر المحيط من غربه وشماله من غربه قطعة مستطيلة اكبر من نصو
 الشمالي من شرق ارض بريطانيا في الجزء الاول واتصلت بها القطعة الاخرى في الشمال
 من غربه الى شرقه وانضمت في النصف الغربي منه بعض الشيء وفيه هنالك قطعة من
 جزيرة انكلترا وهي جزيرة عظيمة مشتملة على مدن وبها ملك ضخم وبقيتها في الاقليم
 السابع وفي جنوب هذه القطعة وجزيرتها في النصف الغربي من هذا الجزء بلاد ارمندة
 وبلاد افلاذش متصلين بها ثم بلاد افرنسية جنوباً وغرباً من هذا الجزء وبلاد برغونية
 شرقاً عنها وكلها لام الافرنجية وبلاد اللاتين في النصف الشرقي من الجزء فجنوبه بلاد
 انكلانية ثم بلاد برغونية شمالاً ثم ارض لويكة وشطونية وعلى قطعة البحر المحيط في الزاوية
 الشمالية الشرقية ارض افريرة وكلها لام اللاتين. وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم
 في الناحية الغربية بلاد مراتية في الجنوب وبلاد شطونية في الشمال وفي الناحية الشرقية
 بلاد انكوية في الجنوب وبلاد بلونية في الشمال يعترض بينهما جبل بلواط داخلاً من
 الجزء الرابع ويمر مغرباً بالتخاريف الى الشمال الى ان يقف في بلاد شطونية اخر النصف
 الغربي. وفي الجزء الرابع في ناحية الجنوب ارض جنولية وتحتها في الشمال بلاد الروسية
 وينصل بينهما جبل بلواط من اول الجزء غرباً الى ان يقف في النصف الشرقي وفي شرق
 ارض جنولية بلاد جرمانية وفي الزاوية الجنوبية الشرقية ارض القسطنطينية ومدبنتها
 عند اخر الخليج الخارج من البحر الرومي وعند مدفعه في بحر نيطنش فيقع قطعة من بحر
 نيطنش في اعالي الناحية الشرقية من هذا الجزء ويدها الخليج وبينها في الزاوية بلد مسيناه
 وفي الجزء الخامس من الاقليم السادس ثم في الناحية الجنوبية عند بحر نيطنش يتصل من
 الخليج في اخر الجزء الرابع ويخرج من سمتو مشرقاً فيمر في هذا الجزء كلو في بعض السادس
 على طول الف وثلاثمائة ميل من مبدئ في عرض ستائة ميل ويبقى وراء هذا البحر في
 الناحية الجنوبية من هذا الجزء في غربها الى شرقها بر مستطيل في غربه هرقلية على
 ساحل بحر نيطنش متصلة بارض اليلقان من الاقليم الخامس وفي شرقه بلاد اللانية وقاعدتها
 سوتلي على بحر نيطنش وفي شمال بحر نيطنش في هذا الجزء غرباً ارض ترخان وشرقاً بلاد الروسية
 وكلها على ساحل هذا البحر وبلاد الروسية محاطة ببلاد ترخان من شرقها في هذا الجزء من
 شمالها في الجزء الخامس من الاقليم السابع ومن غربها في الجزء الرابع من هذا الاقليم وفي الجزء

السادس في غربي بقية بحر نيطنش ويغرف قليلاً الى الشمال ويبقى بينه هنالك وبين
 اخر الجزء شمالاً بلاد قنانية وفي جنوبي ومنفسحاً الى الشمال بما انحرف هو كذلك بقية
 بلاد اللانية التي كانت اخر جنوبي في الجزء الخامس وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء
 متصل ارض الخزر وفي شرقها ارض برطاس وفي الزاوية الشرقية الشمالية ارض بلغار
 وفي الزاوية الشرقية الجنوبية ارض بلير يجوزها هناك قطعة من جبالها سياكون المنعطف
 مع بحر الخزر في الجزء السابع بعده ويذهب بعد مفارقتهم مغرباً فيجوز في هذه القطعة
 ويدخل الى الجزء السادس من الاقليم الخامس فيتصل هنالك بجبل الابواب وعليه
 من هنالك ناحية بلاد الخزر وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في الناحية الجنوبية ما
 جازة جبل سياه بعد مفارقتهم بحر طبرستان وهو قطعة من ارض الخزر الى اخر الجزء
 غرباً وفي شرقها القطعة من بحر طبرستان التي يجوزها هذا الجبل من مشرقها وشمالها ووراء
 جبل سياه في الناحية الغربية الشمالية ارض برطاس وفي الناحية الشرقية من الجزء ارض
 شحرب وبخناك وم ام الترك وفي الجزء الثامن والناحية الجنوبية منه كلها ارض المروج
 من الترك في الناحية الشمالية غرباً والارض المنتنة وشرق الارض التي يقال ان باجوج
 وما جوج خرباها قبل بناء السد وفي هذه الارض المنتنة منها نهر الاثل من اعظم انهار العالم
 وممره في بلاد الترك ومصبه في بحر طبرستان في الاقليم الخامس في الجزء السابع منه وهو
 كبير الانعطاف يخرج من جبل في الارض المنتنة من ثلاثة بنايع تجتمع في نهر واحد
 ويمر على سمت الغرب الى اخر السابع من هذا الاقليم فينعطف شمالاً الى الجزء السابع من
 الاقليم السابع فيمر في طرفه بين الجنوب والمغرب فيخرج في الجزء السادس من السابع
 ويذهب مغرباً غير بعيد ثم ينعطف ثانياً الى الجنوب ويرجع الى الجزء السادس من
 الاقليم السادس ويخرج منه جدول يذهب مغرباً ويصب في بحر نيطنش في ذلك الجزء
 ويمر هو في قطعة بين الشمال والشرق في بلاد بلغار فيخرج في الجزء السابع من الاقليم
 السادس ثم ينعطف ثالثة الى الجنوب وينفذ في جبل سياه ويمر في بلاد الخزر ويخرج
 الى الاقليم الخامس في الجزء السابع منه فيصب هنالك في بحر طبرستان في القطعة التي
 انكشفت من الجزء عند الزاوية الغربية الجنوبية . والجزء التاسع من هذا الاقليم في
 الجانب الغربي منه بلاد خضشاخ من الترك وم قنجاك وبلاد التركس منهم ايضاً وفي
 الشرق منه بلاد باجوج يفصل بينهما جبل فوقها المحيط وقد مر ذكره يبدأ من
 البحر المحيط في شرق الاقليم الرابع ويذهب معه الى اخر الاقليم في الشمال ويفارقه مغرباً

و بالتخريف الى الشمال حتى يدخل في الجزء التاسع من الاقليم الخامس فيرجع الى سمت الاول حتى يدخل في هذا الجزء التاسع من الاقليم من جنوبه الى شماله بالتخريف الى المغرب وفي وسطه هنا السد الذي بناه الاسكندر ثم يخرج على سمت الى الاقليم السابع وفي الجزء التاسع منه فيمر فيه الى الجنوب الى ان يلى البحر المحيط في شماله ثم ينعطف معه من هنالك مغرباً الى الاقليم السابع الى الجزء الخامس منه فيتصل هنالك بقطعة من البحر المحيط في غربيه وفي وسط هذا الجزء التاسع هو السد الذي بناه الاسكندر كما قلناه والصحيح من خبره في القرآن وقد ذكر عبد الله بن خرداذبة في كتابه في الجغرافيا ان الواثق رأى سبعة منامو كأن السد انفتح فانتبه فزعاً وبعت سلاماً الترجمان فوقف عليه وجاء بحجره ووصفه في حكاية طويلة ليست من مقاصد كتابنا وفي الجزء العاشر من هذا الاقليم بلاد ماجوج متصلة فيه الى اخرها على قطعة من هنالك من البحر المحيط احاطت به من شرقه وشماله مستطيلة في الشمال وعريضة بعض الشيء في الشرق .

الاقليم السابع . والبحر المحيط قد غمر عاتقه من جهة الشمال الى وسط الجزء الخامس حيث يتصل بجبل قوقيا المحيط بياجوج وماجوج . فالجزء الاول والثاني مغبوران بالماء الا ما انكشف من جزيرة انكلتوا التي معظمها في الثاني وفي الاول منها طرف انعطف بالتخريف الى الشمال وبقيتها مع قطعة من البحر مستديرة عليه في الجزء الثاني من الاقليم السادس وهي مذكورة هناك والمجاز منها الى البر في هذه القطعة سعة اثني عشر ميلاً ووراء هذه الجزيرة في شمال الجزء الثاني جزيرة رسلانده مستطيلة من الغرب الى الشرق . والجزء الثالث من هذا الاقليم مغبور اكثره بالبحر الا قطعة مستطيلة في جنوبه وتنعس في شرقها وفيها هنالك متصل ارض فلونية التي مر ذكرها في الثالث من الاقليم السادس وانها في شماله وفي القطعة من البحر التي تغمر هذا الجزء ثم في الجانب الغربي منها مستديرة فسيحة وتتصل بالبر من باب في جنوبها ينفضي الى بلاد فلونية وفي شمالها جزيرة برعابة (وفي نسخة بوقاعة) مستطيلة مع الشمال من المغرب الى المشرق . والجزء الرابع من هذا الاقليم شماله كله مغبور بالبحر المحيط من المغرب الى المشرق وجنوبه منكشف وفي غربه ارض قيازك من الترك وفي شرقها بلاد طست ثم ارض رسلان الى اخرها الجزء شرقاً وهي دائمة الثلوج وعمرانها قليل وتتصل ببلاد الروسية في الاقليم السادس وفي الجزء الرابع والخامس منه وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم في الناحية الغربية منه بلاد الروسية وينتهي في الشمال الى قطعة من البحر المحيط التي يتصل بها جبل قوقيا كما ذكرناه من قبل وفي الناحية

الشرقية منه متصل ارض الثمانية التي على قطعة بحر نيطش من الجزء السادس من الاقليم السادس وينتهي الى بحيرة دارعى من هذا الجزء وهي عذبة تجلب اليها انهار كثيرة من الجبال عن الجنوب والشمال وفي شمال الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض التارية من الترك (وفي نصح التركان) الى اخره. وفي الجزء السادس من الناحية الغربية الجنوبية متصل بلاد القانية وفي وسط الناحية بحيرة عثور عذبة تجلب اليها الانهار من الجبال في النواحي الشرقية وفي جامدة دائماً لشدة البرد الا قليلاً في زمن الصيف وفي شرق بلاد القانية بلاد الروسية التي كان مبدأها في الاقليم السادس في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء الخامس من الاقليم وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء بقية ارض بلغار التي كان مبدأها في الاقليم السادس وفي الناحية الشرقية الشمالية من الجزء السادس من الاقليم من ارض بلغار منعطف نهرا للقطعة الاولى الى الجنوب كما هو في آخر هذا الجزء السادس من شماله جبل قوقيا متصل من غربه الى شرقه. وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في غربه بقية ارض بخناك من ام الترك وكان مبدأها من الناحية الشمالية الشرقية من الجزء السادس قبله وفي الناحية الجنوبية الغربية من هذا الجزء ويخرج الى الاقليم السادس من فوقه وفي الناحية الشرقية بقية ارض سحر ثم بقية الارض المنتهية الى آخر الجزء شرقاً وفي آخر الجزء من جهة الشمال جبل قوقيا المحيط متصلاً من غربه الى شرقه. وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم في الجنوبية الغربية منه متصل الارض المنشة وفي شرقها الارض المنورة وهي من العجائب خرق عظيم في الارض بعيد المهوى فسيح الاقطار متنوع الوصول الى قعره يستدل على عمرانها بالدخان في النهار والنيان في الليل نضى وتغنى وربما روي فيها نهر يشقها من الجنوب الى الشمال وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء البلاد الخراب المتاخمة للستر وفي آخر الشمال منه جبل قوقيا متصلاً من الشرق الى الغرب. وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد خنشاخ وهم قنق يحوزها جبل قوقيا حين يعطف من شماله عند البحر المحيط ويذهب في وسطه الى الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج في الجزء التاسع من الاقليم السادس ويمر معترضاً وفي وسطه هنالك سد ياجوج وماجوج وقد ذكرناه وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض ياجوج وراء جبل قوقيا على البحر قليلة العرض مستطيلة احاطت به من شرقه وشماله والجزء العاشر غير البحر جميعه. هذا آخر الكلام على الجغرافيا واما فيها السبعة وفي خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات للعالمين

المقدمة الثالثة

في المعتدل من الاقاليم والمخرف وتأثير الهواء في الوان البشر والكثير في احوالهم قد بينا ان المعصور من هذا المكنشف من الارض انما هو وسطه لا قراط المحر في الجنوب منه والبرد في الشمال . ولما كان المجانبان من الشمال والجنوب متضادين من الحر والبرد وجب ان تندرج الكيفية من كليهما الى الوسط فيكون معتدلاً فالاقليم الرابع اعدل العران والذي حوافه من ذلك والخامس اقرب الى الاعتدال والذي يليها والثاني والسادس بعيدان من الاعتدال والاول والسادس أبعد بكثير فلهذا كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس والاقوات والفواكه بل والمحوانات وجميع ما يتكون في هذه الاقاليم الثلاثة المتوسطة مخصصة بالاعتدال وسكانها من البشر اعدل اجساماً والواناً واخلاقاً وأدياناً حتى النبوت فانما توجد في الاكثر فيها ولم تنفس على خبر بعثة في الاقاليم الجنوبية ولا الشمالية وذلك ان الانبياء والرسل انما يختص بهم اكمل النوع في خلقهم واخلاقهم قال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس وذلك ليم القبول بما بانهم بوالانبياء من عند الله واهل هذه الاقاليم اكمل لوجوه الاعتدال لم تفعدم على غاية من التوسط في مساكنهم وملابسهم واقواتهم وصنائعهم يتخذون البيوت المجددة بالحجارة المصقفة بالصناعة ويتناغون في استجداء الآلات والمواعين ويذهبون في ذلك الى الغاية وتوجد لديهم المعادن الطبيعية من الذهب والفضة والحديد والحاس والرصاص والتصدير ويتصرفون في معاملاتهم بالتقدين العزيزين ويبعدون عن الانحراف في عامة احوالهم وهؤلاء اهل المغرب والشام والمحجاز واليمن والعراقيين والهند والتند والصين وكذلك الاندلس ومن قرب منها من الفرنجة والمجلافة والروم واليونانيين ومن كان مع هؤلاء او قريباً منهم في هذه الاقاليم المعتدلة ولهذا كان العراق والشام اعدل هذه كلها لانها وسط من جميع الجهات . واما الاقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الاول والثاني والسادس والسادس فاهلها ابعد من الاعتدال في جميع احوالهم فبنادهم بالطين والقصب واقواتهم من الذرة والعشب وملابسهم من اوراق الشجر يخصصونها عليهم او المجلود واكثرهم عرايا من اللباس وفواكه بلادهم وادماها غريبة التكوين مائلة الى الانحراف ومعاملاتهم بغير المنجربين الشريرين من نحاس او حديد او جلود يقدرونها للمعاملات واخلاقهم مع ذلك قريبة من خلق المحوانات العجم حتى ينقل عن الكثير من السودان اهل الاقليم الاول

انهم يسكنون الكهف والغياض وما يكون العشب وانهم متوحشون غير مستأنسين ياكل بعضهم بعضاً وكذا الصقالب والسبب في ذلك انهم لبعدهم عن الاعتدال يقرب عرض امزجهم واخلاهم من عرض الحيوانات العجم ويبعدون عن الانسانية بمقدار ذلك وكذلك احوالهم في الدبابة ايضاً فلا يعرفون نبيق ولا يدينون بشرقة الا من قرب منهم من جوانب الاعتدال وهو في الاقل النادر مثل الحبشة المجاورين للبحر الدائنين بالنصرانية فيما قبل الاسلام وما بعده لهذا العهد ومثل اهل مالي وكوكو والتكرور المجاورين لارض المغرب الدائنين بالاسلام لهذا العهد يقال انهم دانوا في المائة السابعة ومثل من دان بالنصرانية من اُم الصقالب والافرنجة والترك من الشمال ومن سوى هؤلاء من اهل تلك الاقاليم المنحرفة جنوباً وشمالاً فالدين مجهول عندهم والعلم مفقودينهم وجميع احوالهم بعيدة من احوال الاناسي قريبة من احوال البهائم ويخلق ما لا تظنون ولا يعتد على هذا القول بوجود اليمين وحضرموت والاحقاف وبلاد الحجاز واليامة وما اليها من جزيرة العرب في الاقليم الاول والثاني فان جزيرة العرب كلها احاطت بها البحار من الجهات الثلاث كما ذكرنا فكان لرطوبة اثيري رطوبة هوائها فنقص ذلك من البش والاحراف الذي يقتضيه الحر وصار فيها بعض الاعتقال بسبب رطوبة البحر وقد توم بعض النساين من لا علم لديهم بطبائع الكائنات ان السودان هم ولد حام بن نوح اختصوا بلون السواد لدعوة كانت عليه من ابيه ظهر اثرها في لونه وفيما جعل الله من الرق في عقبه وينقلون في ذلك حكاية من خرافات القصاص ودعاء نوح على ابيه حام قد وقع في التوراة وليس فيه ذكر السواد وإنما دعا عليه بان يكون ولده عبداً لولد اخوته لا غير وفي القول بنسبة السواد الى حام غفلة عن طبيعة الحر والبرد واثرها في الهواء وفيما يتكون فيه من الحيوانات وذلك ان هذا اللون شمل اهل الاقليم الاول والثاني من مزاج هوائهم الحرارة المتضاعفة بالجنوب فان الشمس تسامت رؤوسهم مرتين في كل سنة قريبة احدهما من الاخرى فتطول المسامنة عامة النصول فيكثر الضوء لاجلها ويلج القبط الشديد عليهم ونسود جلودهم لافراط الحر ونظير هذين الاقليمين ما يقابلهما من الشمال الاقليم السابع والسادس شمل سكانها ايضاً البياض من مزاج هوائهم للبرد المفرط بالشمال اذا الشمس لا تنزل باقهم في دائرة مرأى العين او ما قرب منها ولا ترتفع الى المسامنة ولا ما قرب منها فيضعف الحر فيها ويشدد البرد عامة النصول قبيض اللون اهلها وتنهي الى الزعورة ويتبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة العمون وبرش

الجلود وصهوة الشعور وتوسطت بينهما الاقاليم الثلاثة الخامس والرابع والثالث فكان لها في الاعتدال الذي هو مزاج المتوسط حظ وافر والرابع ابلغها في الاعتدال غاية لنهايتي في التوسط كما قدمناه فكان لاهلو من الاعتدال في خلقهم وخلقتهم ما اقتضاه مزاج اهورتهم وتبعه من جانبيو الثالث والخامس وان لم يبلغا غاية التوسط لميل هذا قليلاً الى الجنوب المحار وهذا قليلاً الى الشمال البارد الا انها لم ينتهيا الى الانحراف وكانت الاقاليم الاربعة منحرفة واهلها كذلك في خلقهم وخلقتهم فالاول والثاني للمحر والسواد والسناب للبرد واليباس ويسمى سكان الجنوب من الاقليمين الاول والثاني باسم الحبشة والزنج والسودان اسماء مترادفة على الامم المنحرفة بالسواد وان كان اسم الحبشة مختصاً منهم بن تجاه مكة واليمن والزنج بن تجاه بحر الهند وليست هذه الاسماء لهم من اجل انتسابهم الى آدمي اسود لا حام بل غيره وقبيل نجد من السودان اهل الجنوب من يسكن الربع المعتدل او السابيع المنحرف الى اليباس فبيض اللون اعقابهم على التدرج مع الايام وبالعكس فيمن يسكن من اهل الشمال او الرابع بالجنوب فتسود اللون اعقابهم وفي ذلك دليل على ان اللون تابع لمزاج الهواء قال ابن سينا في ارجوزته في الطب

بالزنج حر غير الاجساد حتى كسا جلودها سوادا

والصقلب اكتسبت اليباسا حتى غدت جلودها بياضا

واما اهل الشمال فلم يسموا باعتبار الوانهم لان اليباس كان لونا لاهل تلك اللغة الواضحة للاسماء فلم يكن فيه غرابة تحمل على اعتباره في التسمية لموافقته واعتياده ووجدنا سكانا من الترك والصقالبة والطغرغر والخزر واللان والكثير من الافرنجة وياجوج وماجوج اسماء متفرقة واجبالاً متعددة مسمين باسماء متنوعة واما اهل الاقاليم الثلاثة المتوسطة اهل الاعتدال في خلقهم وخلقتهم وسيرهم وكافة الاحوال الطبيعية للاعقار لديهم من المعاش والمساكن والصنائع والعلوم والرتاسات والملك فكانت فيهم النباتات والملك والدول والشرائع والعلوم والبلدان والامصار والمباني والفراسة والصنائع الفاتحة وسائر الاحوال المعتدلة واهل هذه الاقاليم التي وقفنا على اخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبني اسرائيل واليونان واهل الهند والصين . ولما رأى النسابون اختلاف هذه الامم بسمائهم وشعارها حسبو ذلك لاجل الانساب فجعلوا اهل الجنوب كلهم السودان من ولد حام وارتابوا في الوانهم فتكلموا نقل تلك المحكاة الواهية وجعلوا اهل الشمال كلهم او اكثرهم من ولد يافث واكثر الامم المعتدلة واهل الوسط المنحرفون للعلوم والصنائع والملل

والشرائع والسياسة والملك من ولد سام وهذا الزعم وإن صادف الحق في انتساب هؤلاء
فليس ذلك بقياس مطرد إنما هو اخبار عن الواقع لا ان تسمية اهل الجنوب بالسودان
والحبشان من اجل انتسابهم الى حام الاسود. وما أذا تم الى هذا الغلط الا اعتقادهم ان
التمييز بين الامم إنما يقع بالانتساب فقط وليس كذلك فان التمييز للجبل او الامة يكون
بالنسب في بعضهم كما للعرب وبني اسرائيل والنرس ويكون بالجمجمة والسمة كماللزيج
والحبشة والصقالبة والسودان ويكون بالعوائد والشعار والنسب كما للعرب. ويكون
بغير ذلك من احوال الامم وخواصهم وميزاتهم فتصميم القول في اهل جهة معينة من
جنوب او شمال بانهم من ولد فلان المعروف لما شملهم من نحلة اولين اوسمة وجدت
لذلك الاب إنما هو من الاغاليط التي اوقع فيها الغفلة عن طبائع الاكوان والجهات وإن
هذه كلها تبدل في الاعقاب ولا يجب استمرارها سنة الله في عبادهم وإن تجد لسنة الله
تبدلاً والله ورسوله اعلم بغيره واحكم وهو المولى المنعم الرؤوف الرحيم

المقدمة الرابعة

في اثر الهواء في اخلاق البشر

قد رأينا من خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب فتجدهم مولعين
بالرقص على كل توقيع موصوفين بالحمق في كل قطر والسبب الصحيح في ذلك انه تقرر
في موضعه من الحكمة ان طبيعة النرج والسرور هي انتشار الروح الحيواني ونفسي وطبيعة
الحزن بالعكس وهو انقباض وتكاثف. وتقرر ان الحرارة مفسية للهواء والبخار مخفلة له
زائدة في كميته ولهذا يجد المنتشي من النرج والسرور ما لا يعبر عنه وذلك بما يداخل
بخار الروح في القلب من الحرارة الغريزية التي تبعثها سورة الخمر في الروح من مزاجه
فينشئ الروح ونجى وطبيعة النرج وكذلك نجد المتنعبين بالحمامات اذا تنفسوا في هوائها
وانصلت حرارة الهواء في ارواحهم فتخفت لذلك حدث لهم فرح وربما انبعث الكثير منهم
بالغناء الناشئ عن السرور. ولما كان السودان ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحر
على امزجتهم وفي اصل تكوينهم كانت في ارواحهم من الحرارة على نسبة ابدانهم واقليمهم
فتكون ارواحهم بالقياس الى اهل اقليم الرابع اشد حراً فتكون أكثر تنشياً فتكون
اسرع فرحاً وسروراً وأكثر انبساطاً ويحيى الطيش على اثر هذه وكذلك يلحق بهم قليلاً
اهل البلاد البحرية لما كان هوائها متضاعف الحرارة بما يتعكس عليه من اضواء بسيط

البحر واشتدوا كانت حصنهم من تواع الحرارة في الفرج والخفة موجودة أكثر من بلاد
 التلول والجبال الباردة وقد نجد سيرا من ذلك في اهل البلاد الجزيرية من الاقليم
 الثالث لتوفير الحرارة فيها وفي هوائها لانها عريقة في الجنوب عن الارياف والتلول
 واعتبر ذلك ايضا باهل مصر فانها في مثل عرض البلاد الجزيرية او قريبا منها كيف
 غلب الفرج عليهم والخفة والغفلة عن العواقب حتى انهم لا يدخرون اقوات سنتهم ولا
 شهرهم وعامتها كلهم من اسواقهم ولما كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في
 التوغل في التلول الباردة كيف ترى اهلها مطرقين اطراق الخزن وكيف افرطوا في نظر
 العواقب حتى ان الرجل منهم لا يدخرون سنتين من حبوب الخنطة ويباكر الاسواق
 لشراعتوتو ليوهم مخافة ان يرزأ شيئا من مدخره وتنبع ذلك في الاقليم والبلدان تجدد
 في الاخلاق اثرها من بينات الهواء والله الخلاق العليم وقد تعرض المسعودي للبحث
 عن السبب في خفة السودان وطيشهم وكثرة الطرب فيهم وحاول تعليله فلم يأت بشيء
 اكثر من انه نقل عن جالينوس ويعقوب بن اسحاق الكندي ان ذلك لضعف ادماغهم
 وما نشأ عنه من ضعف عقولهم وهذا كلام لا يحصل له ولا برهان فيه والله يهدي من يشاء
 الى صراط مستقيم

المقدمة الخامسة

في اختلاف احوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك
 من الآثار في ابدان البشر واخلاقهم

اعلم ان هذه الاقاليم المعتدلة ليس كلها يوجد بها الخصب ولا كل سكانها في رغد
 من العيش بل فيها ما يوجد لاهلو خصب العيش من الحبوب والادم والخنطة والتواكه
 لزكاه المنابت واعتدال الطينة ووفور العمران وفيها الارض الحرة التي لا تنبت زرعاً
 ولا عشباً بالجملة فسكانها في شظف من العيش مثل اهل النجاش وجنوب اليمن ومثل
 المشيبيين من صحابة الساكنين بصحراء المغرب واطراف الرمال فيما بين البربر والسودان
 فان هؤلاء ينفقون الحبوب والادم جملة وانما اغذيتهم واقواتهم الالبان واللحم ومثل
 العرب ايضا المجاثلين في القفار فانهم وإن كانوا يأخذون الحبوب والادم من التلول الا
 ان ذلك في الاحياء وتحت ربة من حامينها وعلى الاقلال لقلة وجدهم فلا يتوصلون
 منه الى سد الخلة او دونها فضلاً عن الرغد والخصب وتجدهم يقتصرون في غالب احوالهم

على الالبان وتعوّضهم من المحنطة احسن معاض وتجد مع ذلك هؤلاء الفاقدين للحيوب
والادم من اهل القفار احسن حالاً في جسومهم واخلاقهم من اهل التلول المنفسين في
العيش فالوانهم اصق وابداًهم اتق واشكالهم اتم واحسن واخلاقهم ابعد من الانحراف
واذهانهم اتق في المعارف والاثراكات هذا امر تشهد له التجربة في كل جيل منهم
فكثير ما بين العرب والبربر قبياً وصفناً وبين المثلثين واهل التلول يعرف ذلك من
خبره والسبب في ذلك والله اعلم ان كثرة الاغذية ورطوباتها تولد في الجسم فضلات
ردية ينشأ عنها بعد اقطارها في غير نسبة وكثرة الاغلاط الفاسدة العفنة ويتبع ذلك
انكساف الالوان وقبح الاشكال من كثرة اللحم كما قلناه ونغطي الرطوبات على الازهان
والافكار بما يصعد الى الدماغ من اجزائها الردية فنجي البلاة والفلة والانحراف عن
الاعتدال بالجملة واعتبر ذلك في حيوان القفر ومواطن الجدس من الغزال والنعام
والنمرا والزرافة والحمر الوحشية والبرقع امثالها من حيوان التلول والارياف والمراعي
الخصبة كيف تجد بينها بونا بعيداً في صفاء احدها وحسن روثها واشكالها وتناسب اعضائها
وحدة مداركها فالغزال اخو المعز والبراقة اخو البعير والحمار والبقراخو الحمير والتمير
والبون بينها ما رايت وما ذاك الا لاجل ان الخصب في التلول فعل في ابدان هذه من
الفضلات الردية والاعلاط الفاسدة ما ظهر عليها اثره والجموع لحيوان القفر حسن في
خلقها واشكالها ما شاء واعتبر ذلك في الآسمين ايضاً فاننا نجد اهل الاقاليم الخصبة العيش
الكثيرة الزرع والضرع والادم والنواكه يتصفون بها غالباً بالبلاة في اذهانهم وانحشونة
في اجسامهم وهذا شان البربر المنفسين في ادم والمحنطة مع المتقشفين في عيشهم المنفسين
على الشعير او الذرة مثل المصافدة منهم واهل غماره والسوس فجد هؤلاء احسن حالاً
في عقولهم وجسومهم وكذا اهل بلاد المغرب على الجملة المنفسين في ادم والبر مع اهل
الاندلس المنقود بارضهم السمن جملة وغالب عيشهم الذرة فجد لاهل الاندلس من ذكاء
العقول وخفة الاجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لغيرهم وكذا اهل الضواحي من المغرب
بالجملة مع اهل الحضرة الامصار فان اهل الامصار وان كانوا مكثرين مثلهم من ادم
ومخصبين في العيش الا ان استعمالها بعد العلاج بالطبخ والتلطيف بما يخلطون معها
فيذهب لذلك غلظتها ويرق قوامها وعامة ما كلهم لحوم الضان والدجاج ولا يغبطون
السمن من بين ادم لتفاهته فتقل الرطوبات لذلك في اغذيتهم ويخف ما تودد به الى
اجسامهم من الفضلات الردية فلذلك تجد جسام اهل الامصار الطيف من جسام البادية

الخشنين في العيش وكذلك نجد المعودين بالمجوع من اهل البادية لا قنلات في جسامهم
 غليظة ولا لطيفة . واعلم ان اثر هذا الخصب في البدن واحواله يظهر حتى في حال الدين
 والعبادة فنجد المتقشفين من اهل البادية او المحاضرة من يأخذ نفسه بالمجوع والتجافي عن
 الملاذ احسن ديناً واقبالاً على العبادة من اهل الترف والخصب بل نجد اهل الدين
 قليلين في المدن والامصار لما يعمها من التسلو والغفلة المتصلة بالاكثار من اللحان والادم
 ولباب البر ويختص وجود العباد والزهاد لذلك بالمتقشفين في غذائهم من اهل البادية
 وكذلك نجد حال اهل المدينة الراحدة في ذلك يختلف باختلاف حالها في الترف والخصب
 وكذلك نجد هولاء المخصين في العيش المنغمسين في طيبات من اهل البادية ومن اهل
 المحواضر والامصار اذا نزلت بهم السنون واخذتهم المجاعات يسرع اليهم الهلاك اكثر من
 غيرهم مثل بربرة المغرب واهل مدينة فاس ومصر فيما يبلغنا لا مثل العرب اهل القفر
 والصحراء ولا مثل اهل بلاد الفحل الذين غالب عيشهم التمر ولا مثل اهل افريقية لهذا
 العهد الذين غالب عيشهم الشعير والزيت واهل الاندلس الذين غالب عيشهم الذرة
 والزيت فان هولاء وان اخذتهم السنون والمجاعات فلا تنال منهم ما تنال من اولئك
 ولا بكثير فيهم الهلاك بالمجوع بل ولا يتندر والسبب في ذلك والله اعلم ان المنغمسين في
 الخصب المتعودين للادم والسمن خصوصاً تكتسب من ذلك امعاوهم رطوبة فوق
 رطوبتها الاصلية المزاجية حتى تجاوز حدها فاذا خولف بها العادة بقله الاقوات وفقدان
 ادم واستعمال الخشن غير المألوف من الغذاء اسرع الى المعال اليبس والانكاش وهو
 عضو ضعيف في الغاية فيسرع اليه المرض ويهلك صاحبه دفعة لانه من المقاتل
 فالحالكون في المجاعات انما قتلهم الشبع المعتاد السابق لا المجوع الحادث اللاحق . واما
 المتعودون لقلة ادم والسمن فلا تزال رطوبتهم الاصلية واقفة عند حدها من
 غير زيادة وهي قابلة لجميع الاغذية الطبيعية فلا يقع في معام بتبدل الاغذية ييس
 ولا انحراف فيسلمون في الغالب من الهلاك الذي يعرض لغيرهم بالخصب وكثرة ادم
 في الماكل واصل هذا كذا ان تعلم ان الاغذية تتلاقها او تركها انما هو بالعادة فمن عود
 نفسه غذاء ولائمة تناوله كان له ما لوقا وصار المخرج عنه والتبدل يوداه ما لم يخرج عن
 غرض الغذاء بالجملة كالسموم واليتوع ^(١) وما اقرط في الانحراف فاما ما وجد فيه

١ قال في القاموس اليتوع كسبور او تنور نبات له ابن دارمسل محرق مقطع والمشر من سبعة الشبرم واللاعبة
 والعريطشا والماهودانة والمازوربون والفطشيت والعشروكل اليتوعات اذا استعملت في غير وجهها اهلكته

التغذي والملازمة فوصير غذاء مالوقاً بالعادة فاذا اخذ الانسان نفسه باستعمال اللبن
 والبقل عوضاً عن الحنطة حتى صار له ديدناً فقد حصل له ذلك غذاء واستغنى به عن
 الحنطة والمحبوب من غير شك وكما من عود نفسه الصبر على الجوع والاستغناء عن
 الطعام كما ينقل عن اهل الرياضات فانا نسع عنهم في ذلك اختياراً غريبة يكاد ينكرها
 من لا يعرفها والسبب في ذلك العادة فان النفس اذا آلت شيئاً صار من جبلتها وطبعها
 لاها كثيرة التلون فاذا حصل لها اعتياد الجوع بالتدرج والرياضة فقد حصل ذلك
 عادة طبيعية لها وما يتوهمه اطباء من أن الجوع مهلك فليس على ما يتوهمونه الا اذا
 حملت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء بالكلية فانه حينئذ يغمى المعاء وينال المرض
 الذي يخشى معه الهلاك واما اذا كان ذلك القدر تدريجياً ورياضة باقلال الغذاء شيئاً
 فشيئاً كما بفعله المتصوفة فهو بمنزل عن الهلاك وهذا التدرج ضروري حتى في الرجوع
 عن هذه الرياضة فانه اذا رجع به الى الغذاء الاول دفعة خيف عليه الهلاك وانما يرجع
 به كما بدا في الرياضة بالتدرج ولقد شاهدنا من يصبر على الجوع اربعين يوماً وصلاً
 وأكثر وحضر اشياخنا بمجلس السلطان ابي الحسن وقد رفع اليو امرأتان من اهل الجزيرة
 الخضراء وردة حبستا أنفسهما عن الأكل جملة منذ سنين وشاع امرها ووقع اخبارها
 فصح شأنها واتصل على ذلك حالها الي ان ماتتا ورأينا كثيراً من اصحابنا ايضاً من يقتصر
 على حليب شاة من المعز يلتقم ثديها في بعض النهار او عند الافطار ويكون ذلك غذاءً
 واستدام على ذلك خمس عشرة سنة وغيرهم كثير ولا يستنكر ذلك وعلم ان الجوع اصلح
 للبدن من اكثار الاغذية بكل وجه لمن قدر عليه او على الاقلال منها وان له اثراً في
 الاجسام والعقول في صفاتها وصلاحتها كما قلناه واعتبر ذلك بآثار الاغذية التي تحصل
 عنها في الجسم فقد رأينا المتغذين بلحوم الحيوانات الفاسدة العظيمة الجثث تنشا احياءهم
 كذلك وهذا مشاهد في اهل البادية مع اهل الحاضرة وكذا المتغذون باللبان الابل
 ولحومها ايضاً مع ما يؤثر في اخلاقهم من الصبر والاحتمال والقدرة على حمل الانتقال
 الموجود ذلك للابل وتنشأ امعاوم ايضاً على نسبة امعاء الابل في الصحة والغلظ فلا
 يطرقها الومون ولا الضعف ولا ينالها من مدار الاغذية ما ينال غيرهم فيشربون التوتوات
 لاستطلاق بطونهم غير محجوبة كما تحتل قبل طبعه والدرباس والقرميون ولا ينال
 امعاوم منها ضروري لو تناولها اهل الحضرة الرقيقة امعاوم بما تنشأ عليه من لطيف
 الاغذية لكان الهلاك اسرع اليهم من طرف العين لما فيها من السمية ومن تأثير الاغذية في

الابدان ما ذكره اهل الفلاحة وشاهدة اهل التجربة ان الدجاج اذا غذيت بالحبوب المطبوخة في بحر الابل واتخذ بيضها ثم حضنت عليه جاء الدجاج منها اعظم ما يكون وقد يستفنون عن تغذيتها وطبخ الحبوب بطرح ذلك البعر مع البيض المخصن فيجني دجاجها في غاية العظم وامثال ذلك كثيرة فاذا راينا هذه الاثار من الاغذية في الابدان فلا شك ان للجوع ايضا آثارا في الابدان لان الضدين على نسبة واحدة في التأثير وعدمه فيكون تأثير المجموع في نقاء الابدان من الزيادات الفاسدة والرطوبة المخلطة المخلطة بالجسم والعنل كما كان الغذاء مؤثرا في وجود ذلك الجسم والله محيط بعلومه

المقدمة السادسة

في اصناف المدرسين للغيب من البشر بالنظرة او الرياضة
ويتقدم الكلام في الوحي والرويا

اعلم ان الله سبحانه اصطفى من البشر اختصارا افضلهم بخطايه وفطرهم على معرفته وجعلهم وسائل بينهم وبين عبادته يعرفونهم بمصالحهم ويحرضونهم على هدايتهم وياخذون بحجراتهم عن النار ويدلونهم على طريق النجاة وكان فيما يلتقي اليهم من المعارف ويظهره على السنتهم من الخوارق والاخبار الكائنات المغيبة عن البشر التي لا سبيل الى معرفتها الا من الله بوساطتهم ولا يعلمونها الا بتعليم الله اياهم قال صلى الله عليه وسلم الا واني لا اعلم الا ما علمني الله واعلم ان خبرهم في ذلك من خاصيته وضرورته الصدق لما يتبين لك عند بيان حقيقة النبوة وعلامة هذا الصنف من البشر ان توجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين معهم مع غطيط كاتها غشي او اغما في رأي العين وليست منها في شيء وانما هي في الحقيقة استراق في لقاء الملك الروحاني بادراكهم المناسب لم الخارج عن مدارك البشر بالكلية ثم ينزل الى المدارك البشرية اما بجماع ذوي من الكلام فيتنهية او يتمثل له صورة شخص يخاطبه بما جاء به من عند الله ثم ينجلي عنه تلك الحال وقد وعي ما التي اليه قال صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الوحي احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشد علي فينصم عني وقد وعيت ما قال احيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعني ما يقول ويدركه اثناء ذلك من الشدة والقطر ما لا يعبر عنه ففي الحديث كان ما يعالج من التنزيل شدة وقالت عائشة كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فينصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا وقال تعالى انا سئلتك عليك قولا تقبلا ولاجل هذه الحالة في تنزل الوحي كان المشركون

يرمون الانبياء بالمجنون ويقولون له ربي* اوتابع من الجن وانما لبس عليهم بما شاهدوه
 من ظاهرك تلك الاحوال ومن يضل الله فآله من هادر . ومن علاماتهم ايضا انه يوجد
 لم قبل الوحي خلق الخير والزكاة ومجانبة المذمومات والرجس اجمع وهذا هو معنى
 العصمة وكأنة منطور على التنزه عن المذمومات والمعاذلة لها وكانها منافية لجبلتو وفي
 الصحيح انه حمل الحجارة وهو غلام مع عيو العباس لبناء الكعبة فجعل له في ازاره فانكشف
 فسقط مغشيا عليه حتى استر ازاره ودعي الى مجنوع مؤلمة فيها عرس ولعب فاصابه غشي
 النوم الى ان طلعت الشمس ولم يحضر شيئا من شأنهم بل نزهه الله عن ذلك كله حتى انه
 يجبلتو يتنزه عن المذمومات المستكره فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يقرب البصل والثوم
 فقبل له في ذلك فقال اني اناحي من لا تناجون وانظر لما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم
 خديجة رضي الله عنها بحال الوحي اول ما فجأته وارادت اختباره فقالت اجعلني بينك
 وبين ثوبك فلما فعل ذلك ذهب عنه فقالت انه ملك وليس بشيطان ومعناه انه لا
 يقرب النساء وكذلك سألته عن أحب الثياب اليه ان ياتيه فيها فقال البياض والخضرة
 فقالت انه الملك يعني ان البياض والخضرة من ألوان الخور والملائكة والسواد من ألوان
 الشر والشياطين وامثال ذلك . ومن علاماتهم ايضا دعاءهم الى الدين والعبادة من الصلاة
 والصدقة والعفاف وقد استدلت خديجة على صدق صلى الله عليه وسلم بذلك وكذلك
 ابو بكر ولم يجناجا في امره الى دليل خارج عن حاله وخلق وفي الصحيح ان هرقل حين
 جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام احضر من وجد ببلده من قریش
 وفيهم ابوسفيان ليسالم عن حاله فكان فيما سأل ان قال هم يامرکم فقال ابوسفيان
 بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف الى اخر ما سأل فاجابه فقال ان يكن ما نقول حقا
 فهو نبي وسيملك ما تحت قدمي هاتين والعفاف الذي اشار اليه هرقل^(١) هو العصمة فانظر
 كيف اخذ من العصمة والدعاء الى الدين والعبادة دليلا على صحة نبوته ولم يخرج الى معجزة
 فدل على ان ذلك من علامات النبوة . ومن علاماتهم ايضا ان يكونوا ذوي حسب في
 قومهم وفي الصحيح ما بعث الله نبيّا الا في منعة من قوم وفي رواية اخرى في ثروة من قوم
 استدركة الحاكم على الصحيحين وفي مسئلة هرقل لابي سفيان كما هو في الصحيح قال كيف
 هو فيكم فقال ابوسفيان هو فينا ذو حسب فقال هرقل والرسل تبعث في احوال
 قومها ومعناه ان تكون له عصبة وشوكة تمنع عن اذى الكفار حتى يبلغ رساله ربهم

مراد الله من اكمال دينه وملته . ومن علاماتهم ايضاً وقوع الخوارق لهم شاهداً بصدقهم وهي
 افعال يجهز البشر عن مثلها فسميت بذلك مجيزة وليست من جنس مقدور العباد وإنما
 تقع في غير محل قدرتهم وللناس في كيلة وقوعها ودلائلها على تصديق الانبياء خلاف
 فالتكلمون بناء على القول بالفاعل المختار قائلون بانها واقعة بقدرة الله لا بفعل النبي وإن
 كانت افعال العباد عند المعتزلة صادرة عنهم الا ان المجيزة لا تكون من جنس افعالهم
 وليس للنبي فيها عند سائر المتكلمين الا التحدي بها باذن الله وهو ان يستدل بها
 النبي صلى الله عليه وسلم قبل وقوعها على صدقوه في مدعاء فاذا وقعت تنزلت منزلة القول
 الصريح من الله بانه صادق وتكون دلائلها حينئذ على الصدق قطعية فالمجيزة الدالة
 بمجموع الخارق والتحدي ولذلك كان التحدي جزءاً منها وعبرة المتكلمين صفة نفسها
 وهو واحد لانه معنى الذاتاني عندهم والتحدي هو الفارق بينها وبين الكرامة والسحر اذ لا
 حاجة فيها الى التصديق فلا وجود للتحدي الا ان وجد اتفاقاً وان وقع التحدي في الكرامة عند
 من يميزها وكانت لها دلالة فاتفقوا على الولاية بقوهي غير النبوة ومن هنا منع الاستاذ بواسحق وغيره
 وقوع الخوارق كرامة فراراً من الالتباس بالنبوة عند التحدي بالولاية وقد ارباك المغايرة
 بينها وانه يغدي بغير ما يغدي به النبي فلا لبس على ان النفل عن الاستاذ في ذلك
 ليس صريحاً وربما حمل على انكار لان تقع خوارق الانبياء لم بناء على اختصاص كل من
 الفريقين بخوارقهم . واما المعتزلة فالمانع من وقوع الكرامة عندهم ان الخوارق ليست من
 افعال العباد واقعالم معتادة فلا فرق واما وقوعها على يد الكاذب تليساً فهو محال أما
 عند الاشعرية فلان صفة نفس المجيزة التصديق والهداية فلو وقعت بخلاف ذلك انقلب
 الدليل شبهة والهداية ضلالة والتصديق كذباً واستحالة الحقائق وانقلبت صفات النفس
 وما يلزم من فرض وقوعه المحال لا يكون ممكناً واما عند المعتزلة فلان وقوع الدليل
 شبهة والهداية ضلالة فبقي فلا يقع من الله . واما الحكماء فالخارق عندهم من فعل النبي
 ولو كان في غير محل القدرة بناء على مذهبهم في الانجاب الذاتي ووقوع الحوادث بعضها
 عن بعض متوقف على الاسباب والشروط الحادثة مستندة اخيراً الى الواجب للفاعل
 بالذات لا بالاختيار وان النفس النبوية عندهم لها خواص ذاتية منها صدور هذه الخوارق
 بقدرته وطاعة العناصر له في التكوين والنبي عندهم مجبول على التصريف في الاكوان
 مما توجه اليها واستجمع لها بما جعل الله له من ذلك والخارق عندهم يقع للنبي كان للتحدي ام
 لم يكن وهو شاهد بصدقهم من حيث دلالة على تصرف النبي في الاكوان الذي هو من

خواص النفس النبوية لا بائه ينزل منزلة القول الصريح بالتصديق فلذلك لا تكمن
 دلالتها عندهم قطعية كما هي عند المتكلمين ولا يكون التقدي جزءاً من المجزة ولم يصح
 فارقاً لها عن السحر والكرامة وفارقها عندهم عن السحران الذي مجبول على افعال الخبير
 مصروف عن افعال الشرف لا يلم الشربخوارق والساحر على الضد فافعاله كلها شرٌ وسيف
 مقاصد الشر وفارقها عن الكرامة ان خوارق النبي مخصوصة كالصعود الى السماء والنزول في
 الاجسام الكثيفة واحياء الموتى وتكليم الملائكة والطوران في الهواء وخوارق الولي دون
 ذلك كتكثير القليل والحديث عن بعض المستقبل وامثاله ما هو قاصر عن تصريف
 الانبياء وباتي النبي بجميع خوارقه ولا يقدر هو على مثل خوارق الانبياء وقد قرر ذلك
 المتصوفة فيما كتبوا في طريقهم ولقنوه عن اخبرهم واذا نقرر ذلك فاعلم ان اعظم
 المجزات واشرفها وأوضحها دلالة القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
 فان الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي وباتي بالمجزة شاهدة
 بصدق القرآن هو بنفسه الوحي المدعي وهو الخارق المهجز فشاهدة في عبده ولا يفتقر الى
 دليل مغايرة كسائر المجزات مع الوحي فهو واضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه وهذا
 معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وآتي من الآيات ما مثله آمن
 عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحى الي فانا ارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم
 القيامة يشير الى ان المجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها
 نفس الوحي كان الصدق لها اكثر لوضوحها فكفوا المصدق المؤمن وهو التابع والامة
 ولندكر الان تفسير حقيقة النبوة على ما شرحه كثير من المحققين

ثم نذكر حقيقة الكهانة ثم الرؤيا ثم شان العرافين

وغير ذلك من مدارك الغيب فنقول

اعلم . ارشدنا الله وإياك انا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة
 من الترتيب والاحكام وربط الاسباب بالمسببات واتصال الاكوان بالاكوان واستحالة
 بعض الموجودات الى بعض لا تنقضي عجائبه في ذلك ولا تنتهي غاياته وأبنا من ذلك
 بالعالم المحسوس الجثائي وإولاً عالم العناصر المشاهدة كيف تدرج صاعداً من الارض الى
 الماء ثم الى الهواء ثم الى النار متصلاً بعضها ببعض وكل واحد منها مستعد الى ان يستحيل
 الى ما يليه صاعداً وهابطاً ويستحيل بعض الاوقات والصاعد منها اللطف ما قبله الى ان

ينتهي الى عالم الافلاك وهو العطف من الكل على طبقات اتصل بعضها ببعض على هيئة
 لا يدرك الحس منها الا الحركات فقط وبها يمتددي بعضهم الى معرفة مقاديرها واورضاعها
 وما بعد ذلك من وجود الذوات التي لها هذه الآثار فيها ثم انظر الى عالم التكوين كيف
 ابتداءً من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة يد يعقمن التدرج اخرافق المعادن متصل
 باول افق النبات مثل الحشائش وما لا بذرة واخرافق النبات مثل الفل والكرم متصل
 باول افق الحيوان مثل الخنزير والصدف ولم يوجد لها الا قوة اللس فقط ومعنى الاتصال
 في هذه المكونات ان آخرافق منها مستعد بالاستعداد القريب لان يصير اول افق الذي
 بعده واتسع عالم الحيوان وتعددت انواعه وانتهى في تدرج التكوين الى الانسان صاحب
 الفكر والروية ترتفع اليه من عالم القدرة الذي اجتمع فيه الحس والادراك ولم ينته الى الروية
 والفكر بالفعل وكان بذلك اول افق من الانسان بعده وهذا غاية شهودنا ثم اننا نجد في العوالم
 على اختلافها آثاراً متنوعة ففي عالم الحس آثار من حركات الافلاك والعناصر وفي عالم
 التكوين آثار من حركة النمو والادراك تشهد كلها بان لها مؤثراً مبايناً للجسام فهي
 روحاني وتتصل بالمكونات لوجود اتصال هذا العالم في وجودها وذلك هو النفس
 المدركة والحركة ولا بد فوقها من وجود اخر يعطيها قوى الادراك والحركة ويتصل
 بها ايضاً ويكون ذاته ادراكاً صرفاً وتعللاً محضاً وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك ان
 يكون للنفس استعداد للانسلاخ من البشرية الى الملكية ليصير بالفعل من جنس
 الملائكة وقتاً من الاوقات في لحظة من اللحظات وذلك بعد ان تكمل ذاتها الروحانية
 بالفعل كما نذكره بعد ويكون لها اتصال بالافق الذي بعدها شأن الموجودات المرتبة
 كما قدمناه فلها في الاتصال جهتا الطلو والسفل وهي متصلة بالبدن من اسفل منها
 وتكتسب به المدارك الحسية التي تستعد بها للحصول على التعقل بالفعل ومتصلة من
 جهة الاعلى منها باقى الملائكة ومكتسبة به المدارك العلمية والغيبية فان عالم المحوادث
 موجود في تعللاتهم من غير زمان وهذا على ما قدمناه من الترتيب المحكم في الوجود
 بانصال ذواته وقواه بعضها ببعض ثم ان هذه النفس الانسانية غائبة عن العيان واثارها
 ظاهرة في البدن فكأنه وجميع اجزائه مجمعة ومفرقة آلات للنفس ولقواها اما الفاعلية
 فالبطش باليد والمشى بالرجل والكلام باللسان والحركة الكلية بالبدن متدافعا واما
 المدركة وان كانت قوى الادراك مرتبة ومرثقة الى القوة العليا منها ومن المفكرة التي
 يعبر عنها بالناطقة فقوى الحس الظاهرة بالآت من السمع والبصر وسائر ما يرتقي الى

الباطن وأوله المحس المشترك وهو قوة تدرك المحسوسات مبصرة ومسموعة ولموسة وغيرها في حالة واحدة وبذلك فارقت قوة المحس الظاهر لان المحسوسات لا تزدحم عليها في الوقت الواحد ثم يؤيد المحس المشترك الى الخيال وهي قوة تمثل الشيء المحسوس في النفس كما هو مجرد عن المواد الخارجة فقط والة هاتين القوتين في تصرفهما البطن الاول من الدماغ مقدمة للاولى ومؤخرة للثانية ثم يرتقي الخيال الى الواهمة والحفاظة فالواهمة لا تدرك المعاني المتعلقة بالخصائص كعداوة زيد وصداقة عمرو ورحمة الاب واقتراس الذنب والحفاظة لا يداع المدركات كلها متخيلة وهي لها كالحزانة تحفظها لوقت الحاجة اليها والة هاتين القوتين في تصرفهما البطن المؤخر من الدماغ اولة للاولى ومؤخرة للاخري ثم ترتقي جميعها الى قوة الفكر والة البطن الاوسط من الدماغ وهي القوة التي يقع بها حركة الروية والتوجه نحو العقل فتحرك النفس بها دائماً لما ركب فيها من الزرع للفصل من درك القوة والاستعداد الذي للبشرية وتخرج الى الفعل في تعقلها متشبهة بالملاء الاعلى الروحاني وتصير في اول مراتب الروحانيات في ادراكها بغير الآلات الجسمانية فهي محركة دائماً ومتوجهة نحو ذلك وقد تسليخ بالكلية من البشرية وروحانيتها الى الملكة من الافق الاعلى من غير اكتساب بل بما جعل الله فيها من الجملة والفطرة الاولى في ذلك والنفس البشرية على ثلاثة اصناف صنف عاجز بالطبع عن الوصول الى الادراك الروحاني فيستقطع بالحركة الى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية وتركيب المعاني من الحفاظة والواهمة على قوانين محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصويرية والتصديقية التي للفكر في البدن وكما خيالي فمحصرة نطاقه اذ هو من جهة مبدئي ينتهي الى الاوليات ولا يتجاوزها وان فسد فسد ما بعدها وهذا هو في الغلب نطاق الادراك البشري الحسائي واليو تنتهي مدارك العلماء وفيه ترسخ اقدامهم وصنف متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني والادراك الذي لا يقتصر الى الآلات البدنية بما جعل فيه من الاستعداد لذلك فيتسع نطاق ادراكه عن الاوليات التي هي نطاق الادراك الاول البشري ويسرح في فضاء المشاهدات الباطنية وهي وجدان كلها انطاق لها من مبدئها ولا من منتهاها وهذه مدارك العلماء الاولياء اهل العلوم الدينية والمعارف الربانية وهي الحاصلة بعد الموت لاهل السعادة في البرزخ وصنف منطور على الانسلاخ من البشرية جملة جسمانياتها وروحانياتها الى الملائكة من الافق الاعلى ليصير في لمة من اللحات ملكاً بالفعل ويحصل له شهود الملا الاعلى في افهم وسماع الكلام النفساني والمحطاب الالهي في

تلك اللعنة وهؤلاء الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم جعل الله لم الانسلاخ من البشرية
في تلك اللعنة وفي حالة الوحي فطرة فطرهم الله عليها وجلة صورهم فيها وتزهم عن
موانع البدن وعوائق ما داموا ملاسين لها بالبشرية بما ركب في غرائزهم من القصد
والاستقامة التي يجاذون بها تلك الوجهة وركر في طبائعهم رغبة في العبادة تكشف تلك
الوجهة وتسبغ نحوها فهم يتوجهون الى ذلك الافق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاءوا
بتلك الفطرة التي فطروا عليها لا باكتساب ولا صناعة فلذا توجهوا وانسلخوا عن بشرتهم
وتلقوا في ذلك الملا الاعلى ما يتلقونه عاجلوا به على المدارك البشرية متزلاً في قواها لحكمة
التبليغ للعباد فتارة يسمع دوي كأنه رمز من الكلام ياخذ منه المعنى الذي التي اليه فلا
ينقضي الدوي الا وقد وعاه وفهمه وتارة يمثله الملك الذي يلقي اليه رجلاً فيكلمه ويحيي
ما يقوله والتلقي من الملك والرجوع الى المدارك البشرية وفهمه ما تلقي عليه كله كأنه في
لحظة واحدة بل اقرب من لمح البصر لانه ليس في زمان بل كلها تقع جميعاً فيظهر كأنها
سريعة ولذلك سميت وحياً لان الوحي في اللغة الاسراع واعلم ان الاولى وفي حالة الدوي
هي رتبة الانبياء غير المرسلين على ما حققوه والثانية وفي حالة تمثل الملك رجلاً يخاطب
هي رتبة الانبياء المرسلين ولذلك كانت اكمل من الاولى وهذا معنى الحديث الذي
فسر فيه النبي صلى الله عليه وسلم الوحي لما سألته الحارث بن هشام وقال كيف ياتيك
الوحي فقال احياناً ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فينصم عني وقد وعيت
ما قال واحياناً يمثلي لي الملك رجلاً فيكلمني فاعني ما يقول وانما كانت الاولى اشد لانها
مبدأ الخروج في ذلك الاتصال من القوة الى الفعل فيعسر بعض العسر ولذلك لما
عاج فيها على المدارك البشرية اختصت بالسمع وصعب ما سواه وعند ما يتكرر الوحي
ويكثر التلقي يسهل ذلك الاتصال فعند ما يعرج الى المدارك البشرية ياتي على جميعها
وخصوصاً الاوضح منها وهو ادراك البصر وفي العبارة عن الوحي في الاولى بصيغة الماضي
وفي الثانية بصيغة المضارع لطيفة من البلاغة وهي ان الكلام جاء مجيء التمثيل للحائي
الوحي فمثل الحالة الاولى بالدوي الذي هو في المتعارف غير كلام واخبر ان الفهم
والوحي يتبعه غيب انتضائه فناسب عند تصوير انتضائه وانتضاله العبارة عن الوحي
بالماضي المطابق للانتضاء والانقطاع ومثل الملك في الحالة الثانية برجل يخاطب ويتكلم
والكلام يساوقه الوحي فناسب العبارة بالمضارع المفتضي للتجدد . واعلم ان في حالة
الوحي كلها صعوبة على الجملة وشدة قد اشار اليها القرآن قال تعالى انا سنلقي عليك

قولاً ثقيلاً وقال سبحانه كان ما يعاني من التنزيل شدة وقالت كان ينزل عليه الوحي
 في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جنيته ليتفصد عرقاً . ولذلك كان يحدث عنه في
 تلك الحالة من الغيبة والغبط ما هو معروف وسبب ذلك أن الوحي كما قررنا مفارقة
 البشرية إلى المدارك الملكية وتلقي كلام النفس فيحدث عنه شدة من مفارقة الذات ذاتها
 وإنسلاخها عنها من أفتها إلى ذلك الافتقار وهذا هو معنى اللفظ الذي عبر به
 في مبدأ الوحي في قوله ففطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ
 وكذا ثانية وثالثة كما في الحديث وقد ينضي الأعياد بالترجيح فيه شيئاً فشيئاً إلى بعض
 السهولة بالتمسك إلى ما قبله ولذلك كان تنزل نجوم القرآن وسوره وآيه حين كان بمكة
 أقصر منها وهو بالمدينة وانظر إلى ما نقل في نزول سورة براءة في غزوة تبوك وإنها نزلت
 كلها أو أكثرها عليه وهو يسير على ناقته بعد أن كان بمكة ينزل جليده بعض السورة من
 قصار المفصل في وقت وينزل الباقي في حين آخر وكذلك كان آخر ما نزل بالمدينة
 آية الدين وهي ما هي في الطول بعد أن كانت الآية تنزل بمكة مثل آيات الرحمن
 والذاريات والمدثر والفجر والنقى وإمثالها واعتبر من ذلك علامة تميزها بين المكّي
 والمدني من السور والآيات والله المرشد إلى الصواب هذا محصل أمر النبوة . وإما
 الكهانة فهي أيضاً من خواص النفس الانسانية وذلك أنه قد تقدم لنا في جميع ما مر
 أن للنفس الانسانية استعداداً للإنسلاخ من البشرية إلى الروحانية التي فوقها وأنه يحصل
 من ذلك لحة للبشر في صف الأنبياء بما فطروا وعليه من ذلك وتقرر أنه يحصل لهم من
 غير اكتساب ولا استعانة بشيء من المدارك ولا من التصورات ولا من الأفعال البدنية
 كلاماً أو حركة ولا بأمر من الأمور إنما هو إنسلاخ من البشرية إلى الملكية بالنطرة في
 لحظة أقرب من لح البصر وإذا كان كذلك وكان ذلك الاستعداد موجوداً في الطبيعة
 البشرية فيعطى التقسيم العقلي أن هنا صفاتاً آخر من البشر ناقصة عن رتبة الصنف الأول
 نقصان الضد عن ضده الكامل لأن عدم الاستعانة في ذلك الإدراك ضد الاستعانة فيه
 وشتان ما بينهما فإذا أعطي تقسيم الوجود إلى هنا صفاتاً آخر من البشر منطوياً على أن
 نتحرك قوة العقلية حركتها الفكرية بالإرادة عندما يبعثها النزوع لذلك وهي ناقصة عنه
 بالجملة فيكون لها بالجملة عندما يعوقها العجز عن ذلك تشبث بأمور جزئية محسوسة أو
 متخيلة كالأجسام الشفافة وعظام الحيوانات وجميع الكلام وما شغ من طير أو حيوان
 فيستديم ذلك الاحساس أو الفخيل مستعيناً به في ذلك الإنسلاخ الذي ينفذه ويكون

كالمشيح له وهذه القوة التي فيهم مبدأ لذلك الإدراك في الكهانة ولكن هذه النفوس
 منطوية على النقص والقصور عن الكمال كان إدراكها في المجرىات أكثر من الكليات
 ولذلك تكون الخيلة فيهم في غاية القوة لأنها آلة المجرىات فتتخذ فيها نفوذاً تاماً في نوم أو
 بظلمة وتكون عندها حاضرة عبيدة تحضرها الخيلة وتكون لها كالمرآة تنظر فيها دائماً ولا
 يقوى الكاهن على الكمال في إدراك المعنويات لأن وحيه من وحي الشياطين وأرفع
 أحوال هذا الصنف أن يستعين بالكلام الذي فيه السمع والموازنة ليشغل به عن المحسوس
 ويقوى بعض الشيء على ذلك الاتصال الناقص فيحس في قلبه عن تلك الحركة والذي
 يشيعها من ذلك الاجتنابي ما يذفقه على لسانه فربما صدق ووافق الحق وربما كذب لأنه
 يتم نقصه بأمر اجتنابي عن ذاته المدركة ومباين لها غير ملائم فيعرض له الصدق والكذب
 جميعاً ولا يكون موثقاً به وربما ينزع إلى الظنون والتخمينات حرصاً على الظفر بالإدراك
 بزعمه وتمويلها على السائلين وأصحاب هذا السمع هم المخصوصون باسم الكهان لأنهم أرفع سائر
 اصنافهم وقد قال صلى الله عليه وسلم في مثله هذا من سمع الكهان فجعل السمع عنصراً بهم
 بمقتضى الإضافة وقد قال لابن صياد حين سأله كاشفاً عن حاله بالأخبار كيف يأتيك
 هذا الأمر قال يأتيني صادق وكاذب فقال خلط عليك الأمر يعني أن النبوة خاصتها
 الصدق فلا يعتريها الكذب بحال لأنها اتصال من ذات النبي بالمالا الأعلى من غير
 مشيخ ولا استعانة باجتنابي والكهانة لما احتاج صاحبها بسبب عجزه إلى الاستعانة بالتصورات
 الاجنبية كانت داخلية في إدراكه والتبصير بالإدراك الذي توجه إليه فصار مختلطاً بها
 وطرفة الكذب من هذه الجهة فامتنع أن تكون نبوة وإنما قلنا أن أرفع مراتب الكهانة
 حالة السمع لأن معنى السمع أخف من سائر المغيبات من المراتب والسموعات وتدل
 حفة المعنى على قرب ذلك الاتصال والإدراك والبعد فيه عن العجز بعض الشيء وقد
 زعم بعض الناس أن هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شأن رجم الشياطين
 بالشهب بين يدي البعثة وإن ذلك كان لمنهم من خبر السماء كما وقع في القرآن والكهان
 إنما يتعرفون أخبار السماء من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ ولا يقوم من ذلك
 دليل لأن علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم أيضاً كما قرئناه وإيضاً
 فالآية إنما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من أخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر
 البعثة ولم يمنعوا مما سوى ذلك وإيضاً فإما كان ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط ولعلها
 عادت بعد ذلك إلى ما كانت عليه وهذا هو الظاهر لأن هذه المدارك كلها تخمد في

زمن النبوة كما تحميه الكواكب والسر عند وجود النفس لان النبوة هي النور الاعظم
 الذي يخفي معه كل نور يذهب. وقد زعم بعض الحكماء انها انما توجد بين يدي النبوة
 ثم تنقطع وهكذا كل نبوة وقعت لان وجود النبوة لا بد له من وضع فلنكتفي بقتضيه وبغنى
 تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التي دل عليها ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضي وجود
 طبيعة من ذلك النوع الذي يقتضيه ناقصة وهو معنى الكاهن على ما قررناه فقبل ان
 يتم ذلك الوضع الكامل يقع الوضع الناقص ويقتضي وجود الكاهن اما واحداً او متعدداً
 فاذا تم ذلك الوضع تم وجود النبي بكالو وانقضت الاوجاع الدالة على مثل تلك الطبيعة
 فلا يوجد منها شيء بعد وهذا بناء على ان بعض الوضع الفلاني يقتضي بعض اثره وهو
 غير مسلم فلعل الوضع انما يقتضي ذلك الاثر بغيره الخالصة ولو نقص بعض اجزائها فلا
 يقتضي شيئاً الا انه يقتضي ذلك الاثر ناقصاً كما قالوا ثم ان هؤلاء الكهان اذا
 عاصروا زمن النبوة فانهم عارفون بصدق النبوة ودلالة معجزته لان لم بعض
 الوجدان من امر النبوة كالكل انسان من امر اليوم ومعنوية تلك النسبة موجودة
 للكاهن باسما للناس ولا يصد من ذلك ويقوم في التكذيب الا قوة المطامع في
 انها نبوة لم فيقعون في الضلال كما وقع لامية بن ابي الصلت فانه كاتب يطبع ان
 يتنبأ وكذا وقع لابن صياد ومسلمة وغيرهم فاذا غلب الايمان وانقطعت تلك الاماني
 آمنوا احسن ايمان كما وقع لطليحة الاسدي وسواد بن قارب وكان لما في الفتوحات
 الاسلامية من الآثار الشاهدة بحسن الايمان. واما للروايات فالحقيقة مطالعة النفس الناطقة
 في ذاتها الروحانية لحة من صور الواقعات فانها تكون روحانية تكون صور
 الواقعات فيها موجودة بالفعل كما هو شأن الذوات الروحانية كلها وتصور روحانية بان
 نفجود عن المواد الجسمانية والمدارك البدنية وقد يقع لها ذلك لحة بسبب النوم كما نذكر
 فتفتبس بها علم ما تشوف اليه من الامور المستقبلية وتعود به الى مداركها فان كان ذلك
 الاقتباس ضعيفاً وغير جلي بالهاكاة والمثال في الخيال لتخلص فيحتاج من اجل هذه الهاكاة
 الى التعبير وقد يكون الاقتباس قوياً يستغني فيه عن الهاكاة فلا يحتاج الى تعبير لمخلص
 من المثال والخيال والسبب في وقوع هذه اللحة للنفس انها ذات روحانية بالنبوة
 مستكملة بالبدن ومداركه حتى تصير ذاتها تعقلاً محضاً وبكامل وجودها بالفعل فتكون
 حينئذ ذاتاً روحانية مدركة بغير شيء من الالات البدنية الا ان نوهها في الروحانيات
 دون نوع الملائكة اهل الافق الاعلى على الذين لم يستكملوا ذواتهم بشيء من مدارك

البشر ولا غيره فهذا الاستعداد حاصل لما دامت في البدن وبهته خاص كالذي
للاولياء ومنه عام للبشر على العموم وهو امر الرويا. ولما الذي للانبياء فهو استعداد
بالانسالخ من البشرية الى الملكية المحضة التي في اعلى الروحانيات ويخرج هذا الاستعداد
فيهم متكرراً في حالات الوحي وهو عندما يعرج على المدارك البدنية ويقع فيها ما يقع
من الادراك شبيهاً بحال النوم شبيهاً بياً وان كان حال النوم احسن منه بكثير فلاجل
هذا الشبه عبر الشارع عن الرويا بأنها جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة وفي رواية
ثلاثة واربعين وفي رواية سبعين وليس العدد في جميعها مقصوداً بالذات ولما المراد
الكثرة في تفاوت هذه المراتب بدليل ذكر السبعين في بعض طرقه وهو للتكثير عند
العرب وما ذهب اليه بعضهم في رواية ستة واربعين من ان الوحي كان في مبدئ الرويا
سنة اشهر وفي نصف سنة ومدة النبوة كلها بمكة والمدينة ثلاثة وعشرون سنة فنصف
السنة منها جزء من ستة واربعين فكلام بعيد من التحقيق لانه انما وقع ذلك للنبي صلى
الله عليه وسلم ومن اين لنا ان هذه المدة وقعت لغيره من الانبياء مع ان ذلك انما يعطي
نسبة زمن الرويا من زمن النبوة ولا يعطي نسبة حقيقتها من حقيقة النبوة واذا تبين لك
هذا ما ذكرناه اولاً علمت ان معنى هذا الجزء نسبة الاستعداد الاول الشامل للبشر الى
الاستعداد القريب الخاص بصنف الانبياء الفطري لم صلوات الله عليهم اذ هو الاستعداد
البعيد وان كان عاماً في البشر ومعه عوائق وموانع كثيرة من حصوله بالفعل ومن اعظم
تلك الموانع المحاس الظاهرة ففطروا الله البشر على ارتفاع حجاب المحاس بالنوم الذي هو
جلي لم فتعرض النفس عند ارتفاعه الى معرفة ما تشوف اليه في عالم الحق فتدرك في
بعض الاحيان منه لحة يكون فيها الظفر بالمطلوب ولذلك جعلها الشارع من المبشرات
فقال لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات يا رسول الله قال الرويا
الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له ولما سبب ارتفاع حجاب المحاس بالنوم فعلى ما
اصنه لك وذلك ان النفس الناطقة انما ادراكها وافعالها بالروح المحيوي الجسماني وهو
بخار لطيف مركزة بالتجويف الايسر من القلب على ما في كتب التشريح للجالينوس وغيره
وينبعث مع الدم في الشريانات والعروق فيعطي الحس والحركة وسائر الافعال البدنية
ويرتفع لطيفة الى الدماغ فيعدل من برده ويتم افعال القوى التي في بطونه فالنفس
الناطقة انما تدرك وتعقل بهذا الروح البخاري وهي متعلقة بما اقتضته حكمة التكوين
في ان اللطيف لا يوه ثرفي الكثيف ولما لطف هذا الروح المحيوي من بين المواد البدنية

صار مجللاً لا تثار الذات المبينة له في جسمانيته وهي النفس الناطقة وصارت آثارها حاصلة
في البدن بواسطته وقد كنا قد سنا ان ادراكها على نوعين ادراك بالظاهر وهو المحواس
الخمس وادراك بالباطن وهو بالقوى الدماغية وان هذا الادراك كله صارف لما عن
ادراكها ما فوقها من ذواتها الروحانية التي هي مستعدة له بالنظرة ولما كانت المحواس
الظاهرة جسمانية كانت معرضة للوسن والنسل بما يدركها من التعب والكلال وتغشى
الروح بكثرة التصرف فخلق الله لها طلب الاستجمام فخرج الادراك على الصورة الكاملة
وانما يكون ذلك بالانحسار الروح المحيواني من المحواس الظاهرة كلها ورجوعه الى المحس
الباطن ويعين على ذلك ما يغشى البدن من البرد بالليل فتطلب الحرارة الفريزية
اعماق البدن وتذهب من ظاهره الى باطنه فتكون مشبعة مركبها وهو الروح المحيواني
الى الباطن ولذلك كان النوم للبشر في الغالب انما هو بالليل فاذا انحسار الروح عن
المحواس الظاهرة ورجع الى القوى الباطنة وخفت عن النفس شواغل المحس وموانعها
ورجعت الى الصورة التي في المحافظة تمثل منها بالتركيب والتحليل صور تخيلية واكثر ما تكون
معتمدة لانها منتزعة من المدركات المتعاهدة قريباً ثم ينزلها المحس المشترك الذي هو
جامع المحواس الظاهرة فيدركها على انحاء المحواس الخمس الظاهرة وربما التفتت النفس
لفتة الى ذاتها الروحانية مع منازعتها القوى الباطنية فتدرك بادراكها الروحاني لانها
منظورة عليه وتقتبس من صور الاشياء التي صارت متعلقة في ذاتها حيث تدرك ثم ياخذ الخيال
تلك الصور المدركة فيمثلها بالتحقيق او المحاكاة في القوالب المعهودة والمحاكاة من هذه هي
المحتاجة للتعبير وتصرفها بالتركيب والتحليل في صور المحافظة قبل ان تدرك من تلك
اللحظة ما تدركه هي اضعاف الاحلام وفي الصبح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الرويا
ثلاث رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان وهذا التفصيل مطابق لما
ذكرناه فاجلجلى من الله والمحاكاة الداعية الى التعبير من الملك واضعاف الاحلام من
الشيطان لانها كلها باطل والشيطان ينبوع الباطل هذه حقيقة الرويا وما يسببها ويشعها
من النوم وفي خواص للنفس الانسانية موجودة في البشر على العموم لا يخلو عنها احد
منهم بل كل واحد من الانساني راى في نومه ما صدر له في يقظته مراراً غير واحدة وحصل
له على القطع ان النفس مدركة للغييب في النوم ولا بد واذا جاز ذلك في عالم النوم فلا
يمتنع في غيره من الاحوال لان الذات المدركة واحدة وخواصها عامة في كل حال والله
المهدي الى الحق بمنه وفضله* فصل* ووقوع ما يقع للبشر من ذلك غالباً انما هو من غير قصد

ولا قدرة عليه وإنما تكون النفس متشوقة لذلك الشيء فيقع لما بتلك النعمة في النوم لأنها
تقصد الى ذلك فتراه وقد وقع في كتاب الغاية وغيره من كتب اهل الرياضات ذكر
اسماء تذكر عند النوم فتكون عنها الرؤيا فيما يتشوق اليه ويسمونها الحالومية وذكر منها
مسلمة في كتاب الغاية حالومية سهاها حالومية الطباع التام وهوان يقال عند النوم بعد
فراغ السر وصحة التوجه هذه الكلمات الاعجية وهي ثماغس بعد ان يسود وغداس نوفنا
غادس ويذكر حاجة فانه يرى الكشف عما يسأل عنه في النوم * وحكي * ان رجلاً فعل
ذلك بعد رياضة ليل في ما كلفه وذكره فتأمل له شخص يقول له انا طباعك التام فسأله
واخبره عما كان يتشوق اليه وقد وقع لي انا بهذه الاسماء مرآة عجيبة واطلعت بها على
امور كنت اتشوق عليها من احوالي وليس ذلك بدليل على ان الفصد للرويا بمجدها
وانما هذه الحالومات تحدث استعداداً في النفس لوقوع الرؤيا فاذا قوي الاستعداد
كان اقرب الى حصولها يستعد له وللشخص ان يفعل من الاستعداد ما احب ولا
يكون دليلاً على اتيان المستعد له فالقدرة على الاستعداد غير القدرة على الشيء فاعلم
ذلك وتدبره فيما تجد من امثاله والله المحكم الخبير * فصل * ثم انما نجد في النوع الانساني اشخاصاً
يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن سائر الناس ولا يرجعون
في ذلك الى صناعة ولا يستدلون عليه بأثر من النجوم ولا من غيرها انما نجد مداركهم في
ذلك بمقتضى فطرته التي فطروا عليها وذلك مثل العرافين والناظرين في الاجسام
الشفافة كالمرابا وطماس الماء والناظرين في قلوب الحيوانات واكبادها وعظامها واهل
الزجر في الطير والسباع واهل الطرق بالخصى والمحبوب من الحنطة والنوى وهذه كلها
موجودة في عالم الانسان لا يسع احداً حمدها ولا انكارها وكذلك المجانين يلقى على الستم
كلمات من الغيب فيخبرون بها وكذلك النائم والميت لاول موته او نومه يتكلم بالغيب
وكذلك اهل الرياضات من المتصوفة لهم مدارك في الغيب على سبيل الكرامة معروفة .
ونحن الان نتكلم عن هذه الادراكات كلها ونبتدى منها بالكهانة ثم ناتي عليها واحدة
واحدة الى اخرها ونقدم على ذلك مقدمة في ان النفس الانسانية كيف تستعد لادراك
الغيب في جميع الاصناف التي ذكرناها وذلك انها ذات روحانية موجودة بالقوة من بين
سامع الروحانيات كما ذكرناه قبل وانما تخرج من القوة الى الفعل بالبدن وحواله وهذا
امر مدرك لكل احد وكل ما بالقوة فلغداة وصورة . وصورة هذه النفس التي بها يتم وجودها
هو عين الادراك والتعقل فهي توجد اولاً بالقوة مستعدة للادراك وقبول الصور الكلية

والجزئية ثم يتم نشؤها بوجودها بالفعل بمصاحبة البدن وما يعودها بورود مدركتها
المحسوسة عليها وما تنتزع من تلك الادراكات من المعاني الكلية فتتعقل الصور مرة بعد
أخرى حتى يحصل لها الادراك والتعقل بالفعل فتتم ذاتها وتبقى النفس كالمهيولى والصور
متعاقبة عليها بالادراك واحدة بعد واحدة ولذلك نجد الصبي في أول نشأته لا يقدر على
الادراك الذي لها من ذاتها لا بنوم ولا بكشف ولا بغيرها وذلك لان صورتها التي هي
عين ذاتها وهي الادراك والتعقل لم يتم بعد بل لم يتم لها انتزاع الكليات ثم اذا تمت
ذاتها بالفعل حصل لها ما دامت مع البدن نوعان من الادراك ادراك بالآلات الجسم
تؤدي اليها المدارك البدنية وادراك بذاتها من غير واسطة وهي محجوبة عنه بالانغماس في
البدن والحواس وبشواغلها لان الحواس ابداً جاذبة لها الى الظاهر بما فطرت عليه اولا
من الادراك الجسماني وربما تنفس من الظاهر الى الباطن فيرتفع حجاب البدن لحظة اما
بالخاصية التي هي للانسان على الاطلاق مثل النوم او بالخاصية الموجودة لبعض البشر
مثل الكهانة والطرق او بالرياضة مثل اهل الكشف من الصوفية فتلفت حينئذ الى
الذوات التي فوقها من الملا الاعلى لما بين أفتها وأفهم من الاتصال في الوجود كما
قررناه قبل وتلك الذوات روحانية وهي ادراك محض وعقول بالفعل وفيها صور
الموجودات وحقاتها كما مر فيتعلى فيها شيء من تلك الصور ونقبس منها علوماً ومبادئ
تلك الصور المدركة الى الخيال فيصرفه في القوالب المعتادة ثم يراجع الحس بما ادركت
اما مجرداً او في قوالبه فتخبر به هذا هو شرح استعداد النفس لهذا الادراك الغيبي ولترجع
الى ما وعدنا بيمين بيان اصنافه فاما الناظرون في الاجسام الشفاقة من المرايا وطماس
المياه وقلوب الحيوان وكبادها وعظامها واهل الطرق بالمحصى والنوى فكلم من قبيل
الكهان الا انهم اضعف رتبة فيو في اصل خلقهم لان الكاهن لا يحتاج في رفع حجاب الحس
الى كثير معاناة وهؤلاء يعانونه بالغصار المدارك الحسية كلها في نوع واحد منها واشرفها
البصر فيعكف على المرئي البسيط حتى يبدو له مدركة الذي يخبر به عنه وربما يظن ان
مشاهدة هؤلاء لما يرونه هو في سطح المرأة وليس كذلك بل لازالون ينظرون في سطح
المرأة الى ان يغيب عن البصر ويدو فيها بينهم وبين سطح المرأة حجاب كانه غمام يمثّل
فيه صور في مداركهم فيشبهون اليهم بالمقصود لما يتوجهون الى معرفته من نفي او اثبات
فيخبرون بذلك على نحو ما ادركوه واما المرأة وما يدرك فيها من الصور فلا يدركونه في
تلك الاحمال وإنما ينشأ لهم بها هذا النوع الاخر من الادراك وهو نفساني ليس من ادراك

البصر بل يتشكل به المدرك النفساني للحس كما هو معروف ومثل ذلك ما يعرض للناظرين
 في قلوب الحيوانات وإكبادها وللناظرين في الماء والطاس وإمثال ذلك. وقد شاهدنا
 من هولاء من يشغل الحس بالجور فقط ثم بالعزائم للاستعداد ثم يخبر كما ادرك ويؤمن
 انهم برون الصور متشخصة في الهواء تحكي لم احوال ما يتوجهون الى ادراكه بالمثال
 والاشارة وغيبة هولاء عن الحس اخف من الاولين والعالم ابو الغرائب. واما الزجر
 وهو ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالغييب عند سماع طائر او حيوان والفكر فيه
 بعد مغيبه وفي قوة في النفس تبعث على الحرص والفكر فيما زجر فيه من مرئي او مسموع
 وتكون قوته الخيلة كما قدمناه قوية فيبعثها في البحث مستعينا بما رآه او سمعه فيؤديه ذلك
 الى ادراكه ما كما تفعلة القوة الخيلة في النوم وعند ركود الحواس توسط بين الحسوس المرئي
 في يقظته ويجمعه مع ما عقلته فيكون عنها الرويا. واما المجانين فنفسهم الناطقة ضعيفة
 تتعلق بالبدن لنسداد مزاجهم غالبا وضعف الروح الحيواني فيها فتكون نفسه غير مستغرقة
 في الحواس ولا متغيسة فيها بما شغلها في نفسها من الم النص ومرضوور بازاحها على التعلق
 بروحانية اخرى شيطانية تشبث به وتضعف هذه عن مانعتها فيكون عنه التخييل فاذا
 اصابه ذلك التخييل اما لفساد مزاجه من فساد في ذاته او لمزاجه من النفوس
 الشيطانية في تعلقه غاب عن حواسه فادرك له من عالم نفسه وانطبع فيها بعض الصور
 وصرها الخيال وربما نطق عن لسانه في تلك الحال من غير ارادة النطق وادراك
 هولاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل لانه لا يحصل لم الاتصال وان فقدوا الحس الا
 بعد الاستعانة بالتصورات الاجنبية كما قررناه ومن ذلك يبيح الكذب في هذه المدارك
 واما العرافون فهم المتعلقون بهذا الادراك وليس لم ذلك الاتصال فيسلطون الفكر
 على الامر الذي يتوجهون اليه وياخذون فيه بالظن والتخمين بناء على ما يتوهمونه من
 مبادئ ذلك الاتصال والادراك ويدعون بذلك معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة
 هذا تحصيل هذه الامور وقد تكلم عليها المسعودي في مروج الذهب فما صادف تخيلا
 ولا اصابة ويظهر من كلام الرجل انه كان بعيدا عن الرسوخ في المعارف فينقل ما سمع
 من اهلوه ومن غير اهلوه وهذه الادراكات التي ذكرناها موجودة كلها في نوع البشر فقد
 كان العرب يفرعون الى الكهان في تعرف الحوادث ويتنافرون اليهم في الخصومات
 ليعرفهم بالحق فيها من ادراك غيبهم وفي كتب اهل الادب كثير من ذلك واشتهر منهم في
 الجاهلية شق من انمار بن نزار وسطيع بن مازن بن غسان وكان يدرج كما يدرج الشعوب

ولا عظم فيه الا العجبة ومن مشهور الحكايات عنها تاويل روي ا ربيعة بن مضر وما اخبرنا به من ملك الحشبة للين وملك مضر من بعدهم وظهور النبوة المحمدية في قریش ورويا الموبدان التي اولها سطع لما بعث اليها كسرى عبد المسبح فاخبره بشان النبوة وخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة وكذلك العرافون كان في العرب منهم كثير وذكرهم في اشعارهم قال

فقلت لعراف الیامة داوئي فانك ان داوئي لطيب

وقال الآخر

جعلت لعراف الیامة حكمة وعراف نجد ان ما شفياني

فقال شفاك الله والله مالنا بما حملت منك الضلوع يدان

وعراف الیامة هو رباح بن عجلة وعراف نجد الابن الايدي . ومع هذه المدا رك الغيبية ما يصدر لبعض الناس عند مفارقة اليقظة والتباس بالنوم من الكلام على الشيء الذي يتشوف اليه بما يعطيه غيب ذلك الامر كما يريد ولا يقع ذلك الا في مبادي النوم عند مفارقة اليقظة وذهاب الاخبار في الكلام فينكلم كأنه مجبول على النطق وغايته ان يسمعه وينهيه وكذلك يصدر عن المفتولين عند مفارقة رؤوسهم واورساط ابدانهم كلام بمثل ذلك . ولقد بلغنا عن بعض الجبابرة الظالمين انهم قتلوا من مجنونهم اشخاصا ليتعرفوا من كلامهم عند القتل عواقب امورهم في انفسهم فاعلموا بما يستشع . وذكر مسلة في كتاب الغاية له في مثل ذلك ان آدميا اذا جعل في دمه فلوله يدهن السمسم ومكث فيه اربعين يوما ينفذ بالتين والجوز حتى يذهب لحمه ولا يبقى منه الا العروق وشوون راسه فيخرج من ذلك الدهن فحين يحف عليه الهواء يجيب عن كل شيء يسأل عنه من عواقب الامور الخاصة والعامة وهذا فعل من مناكير افعال السمرة لكن يفهم منه عجائب العالم الانساني ومن الناس من يحاول حصول هذا المدرك الغيبي بالرياضة فيحاولون بالمجاهدة موتا صناعيا بامانة جميع القوى البدنية ثم محو اثارها التي تلونت بها النفس ثم تغذيتها بالذكر لتزداد قوة في نشتها ويحصل ذلك بجمع النكر وكثرة الجوع ومن المعلوم على القطع انه اذا نزل الموت بالبدن ذهب الحس وحجابه واطلعت النفس على ذاتها وعالمها فيحاولون ذلك بالاكتساب ليقع لم قبل الموت ما يقع لم بعده وتطلع النفس على المغيبات ومن هولاء اهل الرياضة السمرية يرتاضون بذلك ليحصل لهم الاطلاع على المغيبات والتصرفات في العوالم واكثر هولاء في الاقاليم المخرفة جنوبا وشمالا خصوصا بلاد الهند ويسمون هنالك الحوكية قولهم

كتب في كيفية هذه الرياضة كثيرة والاحبار عنهم في ذلك غريبة. وإما المتصوفة فرياضتهم
دينية وعربية عن هذه المقاصد المذمومة وإنما يقصدون جمع الهمة والاقبال على الله
بالكلية ليحصل لهم اخلاق اهل العرفان والتوحيد ويزيدون في رياضتهم الى الجميع والجموع
التغذية بالذكر فيها ثم وجهتهم في هذه الرياضة لانه اذا نشأت النفس على الذكر كانت
اقرب الى العرفان بالله واذا عريت عن الذكر كانت شيطانية وحصول ما يحصل من
معرفة الغيب والتصرف لهؤلاء المتصوفة انما هو بالعرض ولا يكون مقصوداً من اول
الامر لانه اذا قصد ذلك كانت الوجهة فيه لغير الله وإنما هي لتقصّد التصرف والاطلاع
على الغيب واخسر بها صفة فاتها في الحقيقة شرك قال بعضهم من اثر العرفان للعرفان
فقد قال بالثاني فهم يقصدون بوجهتهم المعبود لا شيء سواه واذا حصل انشاء ذلك
ما يحصل فبالعرض وغير مقصود لهم وكثير منهم يفر منه اذا عرض له ولا يحفل به وإنما
يريد الله لذاته لا لغيره وحصول ذلك لم معروف ويسمون ما يقع لهم من الغيب والمحدث
على المخاطر فرياسة وكشفاً وما يقع لهم من التصرف كرامة وليس شيء من ذلك بتكبر في
تحقيرهم وقد ذهب الى انكاره الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني وابو محمد بن ابي زيد المالكي
في آخرين فراراً من التباس المعجزة بغيرها والمعلول عليه عند المتكلمين حصول التفرقة
بالفحدي فهو كافٍ. وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فيكم
محدثين وان منهم عمروق وقع للصحابة من ذلك وقائع معروفة تشهد بذلك في مثل
قول عمر رضي الله عنه يا سارية الجبل وهو سارية بن زهم كان قائماً على بعض جيوش
المسلمين بالعراق ايام الفتوحات وتورط مع المشركين في معترك وهم بالانهزام وكان
يقريه جبل فغضب اليه فرفع لمر ذلك وهو يخطب على المنبر بالمدينة فناداه يا سارية الجبل
وسمعة سارية وهو بمكانه ورأى شخصاً هنالك والقصة معروفة ووقع مثله ايضاً لابي بكر
في وصيته عائشة ابنتو رضي الله عنها في شأن ما غلبها من اوسق الثمر من حديثه ثم نهىها
على جذاذو لقوزو عن الورثة فقال في سياق كلامه وإنما ما اخواك واخناك فقالت انما
هي اسماء فمن الاخرى فقال ان ذا بطن بنت خارجة اراها جارية فكانت جارية وقع في
الموطأ في باب ما لا يجوز من الفحل ومثل هذه الوقائع كثيرة لم ولن بعدهم من الصالحين
واهل الاقتداء الا ان اهل التصوف يقولون انه يقل في زمن النبوة اذ لا يبقى للمريد حالة
بحضرة النبي حتى انهم يقولون ان المريد اذا جاء للمدينة النبوية يسلب حالة ما دام فيها
حتى يفارقها والله يرزقنا الهداية ويرشدنا الى الحق

ومن هؤلاء المرئيين من المتصوفة قوم بهاليل معتمدون شبه المجانين من العقلاء وهم مع ذلك قد صححت لم مقامات الولاية واحوال الصديقين وعلم ذلك من احوالهم من بينهم عنهم من اهل الذوق مع انهم غير مكلفين ويقع لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب لانهم لا يتقيدون بشيء فيطلقون كلامهم في ذلك ويأتون منه بالعجائب وربما ينكر الفقهاء انهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم والولاية لا تحصل الا بالعبادة وهو غلط فان فضل الله بوثيقه من بشائه ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها واذا كانت النفس الانسانية ثابتة الوجود فالله تعالى يخصها بما شاء من مواهب وهؤلاء القوم لم تعد نفوسهم الناطقة ولا فسدت كمال المجانين وانما فقد لهم العقل الذي يناط به التكليف وهي صفة خاصة للنفس وهي علوم ضرورية للانسان يستند بها نظره ويعرف احوال معاشه واستقامته منزله وكأنه اذا ميز احوال معاشه واستقامته منزله لم يبق له عذر في قبول التكليف لاصلاح معاده وليس من فقد هذه الصفة بفاقد لادب ولا فاضل عن حقيقته فيكون موجبة الحقيقة معدوم العقل التكليفي الذي هو معرفة الملائكة ولا استخالة في ذلك ولا يتوقف اصطفاؤه الله عبادة لمعرفة على شيء من التكليف واذا صح ذلك فاحتمل انه ربما يلتبس حال هؤلاء المجانين الذين تسد نفوسهم الناطقة ويلتفنون بالبهائم ولك في تميزهم علامات منها ان هؤلاء البهاليل تجد لهم وجهة ما لا يخالون عنها اصلاً من ذكر وعبادة لكن على غير الشروط الشرعية لما قلناه من عدم التكليف والمجانين لا تجد لهم وجهة اصلاً ومنها انهم يختلقون على الله من اول نشأتهم والمجانين يعرض لهم الجنون بعد مدة من العمر لعوارض بدنية طبيعية فاذا عرض لهم ذلك وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالخبية ومنها كثرة تصرفهم في الناس بالخير والشر لانهم لا يتقيدون على ان لا تعدم التكليف في حقهم والمجانين لا تصرف لهم وهذا فصل انتهى بنا الكلام اليه والله المرشد للصواب .

وقد يزعم بعض الناس ان منا مدارك للغيب من دون غيبة عن المحس ففهم المخبرون القائلون بالدلالات النجمية ومقتضى اوضاعها في الفلك وانارها في العناصر وما يحصل من الامتزاج بين طباعها بالتناظر ويتأدى من ذلك المزاج الى الهواء وهؤلاء المخبرون ليسوا من الغيب في شيء انما هي ظنون حدسية وتخمينات مبنية على التأثير النجمية وحصول المزاج منه للهواء مع مزيد حدث يقف به التناظر على تنصليها في الشخصيات في العالم كما قاله بطليموس ونحن

نبيين بطلان ذلك في محلو ان شاء الله وهو لو ثبت فغايتة حدس وتخمين وليس ما ذكرناه
 في شيء. ومن هؤلاء قوم من العامة استنبطوا لاستخراج الغيب وتعرف الكائنات صناعة
 سموها خط الرمل نسبة الى المادة التي يضعون فيها عملهم ومحصل هذه الصناعة انهم
 صيروا من النقط اشكالا ذات اربع مراتب تختلف باختلاف مراتبها في الزوجية والفردية
 واستوائها فيها فكانت ستة عشر شكلا لانها ان كانت ازا واجبا كلها او افرادا كلها فشكلان
 وان كان الفرد فيها في مرتبة واحدة فقط فاربعة اشكال وان كان الفرد في مرتبتين
 فستة اشكال وان كان في ثلاث مراتب فاربعة اشكال جاءت ستة عشر شكلا ميزوها كلها
 باسمائها وانواعها الى سعود ونحوس ثمان الكواكب وجعلوا لها ستة عشر بيتا طبيعية
 بزعمهم وكانها البروج الاثنا عشر التي للملك والاولاد الاربعة وجعلوا لكل شكل منها
 بيتا وخطوطا ودلالة على صنف من موجودات عالم العناصر يختص به واستنبطوا من
 ذلك فاما حاذوا به فن الغمامة ونوع قضائها الا ان احكام الغمامة مستندة الى اوضاع
 طبيعية كما يزعم بطليموس وهذه انما مستندة الى اوضاع تحكيمية واهل الانبياء ولا دليل
 يقوم على شيء منها ويزعمون ان اصل ذلك من النبوت القديمة في العالم وربما نسبوها الى
 دانيال او الى ادريس صلوات الله عليها شان الصنائع كلها وربما يدعون مشروعيتها
 ويحتمون بقوله صلى الله عليه وسلم كان نبي يخط فمن وافق خطه فذاك وليس في الحديث
 دليل على مشروعية خط الرمل كما يزعمه بعض من لا تحصيل له بولان معنى الحديث كان
 نبي يخط فباتيه الوحي عند ذلك الخط ولا استحالة في ان يكون ذلك عادة لبعض الانبياء
 من وافق خطه ذلك النبي فهو ذلك اي فهو صحيح من بين الخط بها عضده من الوحي
 لذلك النبي الذي كانت عاداته ان ياتيه الوحي عند الخط واما اذا اخذ ذلك من الخط
 مجردا من غير موافقة وحي فلا وهذا معنى الحديث والله اعلم. فاذا ارادوا استخراج الغيب
 بزعمهم عمدوا الى قرطاس او رمل او دقيق فوضعوا النقط سطورا على عدد المراتب
 الاربعة ثم كرروا ذلك اربع مرات ففجئ ستة عشر سطرا ثم يطرحون النقط ازا واجبا
 ويضعون ما بقي من كل سطر زوجا كان او فردا في مرتبة على الترتيب ففجئ اربعة
 اشكال يضعونها في سطر متتالية ثم يولدون منها اربعة اشكال اخرى من جانب العرض
 باعتبار كل مرتبة وما قابلها من الشكل الذي يارثونها بمنجم منها من زوج او فرد فتكون
 ثمانية اشكال موضوعة في سطر ثم يولدون من كل شكلين شكلا تحتها باعتبار ما يجتمع في
 كل مرتبة من مراتب الشكلين ايضا من زوج او فرد فتكون اربعة اخرى تحتها ثم

يولدون من الاربعة مكيلين كذلك تحتملها من الشككين شكلاً كذلك تحتملها ثم من هذا
الشكل الخامس عشر مع الشكل الاول شكلاً يكون آخر السعة عشر ثم يحكمون على الخط
كلوبها اقتضت اشكالة من السعودة والنموة بالذات والنظر والحلول والامتزاج والدلالة
على اصناف الموجودات وسائر ذلك تحكماً غريباً وكثرت هذه الصناعة في العمران
ووضعت فيها التاكيف واشهر فيها الاعلام من المتقدمين والمتأخرين وفي كما رايت تحكم
وهوئى والتعنيق الذي ينبغي ان يكون نصب فكرك أن الغيوب لا تدرك بصناعة البنة
ولا سبيل الى معرفتها الا للناس من البشر المنظورين على الرجوع من عالم الحس الى عالم
الروح ولذلك يسمى المنجمون هذا الصنف كلهم بالزهريرين نسبة الى ما تقتضيه دلالة
الزهره بزعمهم في اصل مواليدهم على ادراك الغيب فالخط وغيره من هذه ان كان الناظر
فيه من اهل هذه الخاصية وقصد بهذه الامور التي ينظر فيها من النطق والعظام وغيرها
اشغال الحس لترجع النفس الى عالم الروحانيات لحظة ما فهم من باب الطرق بالخصى
والنظر في قلوب الحيوانات والمرايا الشفافة كما ذكرناه وان لم يكن كذلك وانما قصد
معرفة الغيب بهذه الصناعة وانما تنبئ ذلك فبذر من القول والعمل والله يهدي من يشاء .
والعلامة لهذه النظرة التي فطر عليها اهل هذا الادراك الغيبي انهم عند توجههم الى
تعرف الكائنات يعتبرهم خروج عن حالتهم الطبيعية كالنشاوب والتمطط ومبادئ
الغيبية عن الحس ويختلف ذلك بالقوة والضعف على اختلاف وجودها فيهم فمن لم
توجد له هذه العلامة فليس من ادراك الغيب في شيء وانما هو ساع في تنفيق كذبه
ومنهم طوائف يضعون قوانين لاستخراج الغيب ليست من الطور الاول الذي هو
من مدارك النفس الروحانية ولا من الحدس المبني على تأثيرات النجوم كما زعم بطليموس
ولا من المن والتميم الذي يحاول عليه العرافون وانما هي مغالط يجعلونها كالمصائد
لاهل العقول المستضعفة ولست اذكر من ذلك الا ما ذكره المصنفون وواع به الخواص
فمن تلك القوانين الحساب الذي يسمونه حساب النجم وهو مذكور في آخر كتاب السياسة
المنسوب لارسطو يعرف به الغالب من المغلوب في المتحاربين من الملوك وهو ان يحسب
الحروف التي في اسم احدهما بحساب الجمل المصطلح عليه في حروف ايمجد من الواحد
الى الالف احاداً وعشرات ومئين والوقفاً فاذا حسبت الاسم ونحصل لك منه عدد
فاحسب اسم الآخر كذلك ثم اطرح كل واحد منها تسعة تسعة واحفظ بقية هذا وبقية
هذا ثم انظر بين العددين الباقيين من حساب الاسمين فان كان العددين مختلفين في

الكية وكانا معاً زوجين أو فردين معاً فصاحب الأقل منهما هو الغالب وإن كان أحدهما زوجاً والآخر فرداً فصاحب الأكثر هو الغالب وإن كانا متساويين في الكية وهما معاً زوجان فأما المطلوب هو الغالب وإن كانا معاً فردين فالصالب هو الغالب ويقال هنالك يتنان في هذا العمل اشترا بين الناس وهما

أرى الزوج والافراد يسمو أقلها وأكثرها عند التحالف غالب
ويقلب مطلوب اذا الزوج يستوي وعند استواء النرد يقلب طالب

ثم وضعوا لمعرفة ما بقي من الحروف بعد طرحها تسعة قانوناً معروفاً عندهم في طرح تسعة وذلك انهم جمعوا الحروف الدالة على الواحد في المراتب الاربع وهي (١) الدالة على الواحد و(ي) الدالة على العشرة وهي واحد في مرتبة العشرات وق الدالة على المائة لانها واحد في مرتبة المائتين و(ش) الدالة على الالف لانها واحد في مرتبة الآلاف وليس بعد الالف عدد يدل عليه بالحروف لان الشين هي اخر حروف ابجد ثم رتبوا هذه الاحرف الاربعة على نسق المراتب فكان منها كلمة رباعية وهي ايش ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على اثنين في المراتب الثلاث واستطاعوا مرتبة الآلاف منها لانها كانت اخر حروف ابجد فكان مجموع حروف الاثنين في المراتب الثلاث ثلاثة حروف وهي (ب) الدالة على اثنين في الاحاد و(ك) الدالة على اثنين في العشرات وهي عشرون و(ر) الدالة على اثنين في المئين وهي مائتان وصيروها كلمة واحدة ثلاثية على نسق المراتب وهي بكر ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على ثلاثة فنشأت عنها كلمة جاس وكذلك الى اخر حروف ابجد وصارت تسع كلمات نهاية عدد الاحاد وهي ايش بكر جاس دمت هنت وصح زعذ حفظ طضع مرتبة على توالي الاعداد ولكن كلمة منها عددها الذي هي في مرتبتها الواحدة لكلمة ايش والاثنان لكلمة بكر والثلاثة لكلمة جاس وكذلك الى التاسعة التي هي طضع فتكون لها التسعة فاذا ارادوا طرح الاسم بتسعة نظروا كل حرف منه في اي كلمة هو من هذه الكلمات واخذوا عددها مكانه ثم جمعوا الاعداد التي ياخذونها بدلاً من حروف الاسم فان كانت زائدة على التسعة اخذوا ما فضل عنها والا اخذوه كما هو ثم يفعلون كذلك بالاسم الاخر وينظرون بين الخارجين بما قد مناه والسري في هذا القانون بين وذلك ان الباقي من كل عقد من عقود الاعداد بطرح تسعة انما هو واحد فكانه يجمع عدد العقود خاصة من كل مرتبة فصارت اعداد العقود كانها احاد فلا فرق بين الاثنين والعشرين والمائتين والالفين وكلها اثنان وكذلك الثلاثة والثلاثون والثلاثمائة

والثلاثة الاف كلها ثلاثة ثلاثة فوضعت الاعداد على التوالي دالة على اعداد العقود لا غير وجعلت الحروف الدالة على اصناف العقود في كل كلمة من الاحاد والعشرات والمئين والالوف^(١) وصار عدد الكلمة الموضوع عليها ثابتاً عن كل حرف فيها سواء دل على الاحاد او العشرات او المئين فيؤخذ عدد كل كلمة عوضاً من الحروف التي فيها وتجمع كلها الى اخرها كما قلناه هذا هو العمل المتداول بين الناس منذ الامر القدم وكان بعض من لقيناه من شيوخنا يرى ان الصحيح فيها كلمات اخرى تسعة مكان هذه ومتوالية كتواليها وينفعلون بها في الطرح بتسعة مثل ما يفعلونه بالاخري سواء وفي هذه ارب يسفك جزلط مدوص هف تحذن عش خع تظظ تفع كلمات على توالي العدد ولكل كلمة منها عددها الذي في مرتبة فيها الثلاثي والرباعي والثنائي وليست جارية على اصل مطرد كما تراه لكن كان شيوخنا ينقلونها عن شيخ المغرب في هذه المعارف من السيماء لمسرار الحروف والنجامة وهو ابو العباس بن البناء ويقولون عنه ان العمل بهذه الكلمات في طرح حساب النيم اصح من العمل بكلمات ايقش والله يعلم كيف ذلك وهذه كلها مدارك الغيب غير مستندة الى برهان ولا تحقيق والكتاب الذي وجد فيه حساب النيم غير معروف الى ارسطو عند المحققين لما فيه من الاراء البعيدة عن التحقيق والبرهان يشهد لك بذلك نصحه ان كنت من اهل الرسوخ اه ومن هذه القوانين الصناعية لاستخراج الغيوب فيما يزعمون الزايرة المسماة بزايرة العالم المعزوة الى ابي العباس سيدي احمد السبكي من اعلام المتصوفة بالمغرب كان في اخر المائة السادسة برآكش ولعهد ابي يعقوب المنصور من ملوك الموحدين وفي غريبة العمل صناعة وكثير من الخواص يولعون بافادة الغيب منها بعملها المعروف الملقب فمعرضون بذلك على حل رمزه وكشف غامضه وصورتها التي يقع العمل عندهم فيها دائرة عظيمة في داخلها دوائر متوازية للافلاك والعناصر والمكونات والروحانيات وغير ذلك من اصناف الكائنات والعلوم وكل دائرة مقسومة باقسام فلكها اما البروج واما العناصر او غيرها وخطوط كل قسم مارة الى المركز ويسمونها الاوتار وعلى كل وتر حروف متتابعة موضوعة فمتها برشوم^(٢) الزمام التي هي اشكال الاعداد عند اهل الدواوين والحساب بالمغرب لهذا العهد ومنها برشوم الغبار المتعارفة في داخل الزايرة وبين الدوائر اسماء العلوم ومواضع الاكوان وعلى ظاهر الدوائر

١ قوله والالوف فيه نظران الحروف ليس فيها ما يزيد عن الالف كما سبق في كلامنا اه
برشوم اي موضوعة بضم الراء جمع رشم بالثين المجبة اه

جدول متكرر البيوت المتقاطعة طولاً وعرضاً يشتمل على خمسة وخمسين بيتاً في العرض ومائة وواحد وثلاثين في الطول جوانب منه معمورة البيوت تارة بالعدد واخرى بالحروف وجوانب خالية البيوت ولا تعلم نسبة تلك الاعداد في اوضاعها ولا القسمة التي عينت البيوت العامرة من الخالية وخناني الزايرة ايات من عروض المطويل على روي اللام المنصوبة تتضمن صورة العمل في استخراج المطلوب من تلك الزايرة الا انها من قبيل الالغاز في عدم الوضوح والجلال وفي بعض جوانب الزايرة يستمن الشعر منسوب لبعض اكابر اهل الحدثان بالمغرب وهو مالك بن وهيب من علماء اشيلية كان في الدولة الفتنية ونص البيت

سؤال عظيم الخلق حزت فصن اذن غرائب شك ضبطه الجهد مثلاً

وهو البيت المتداول عندهم في العمل لاستخراج الجواب من السؤال في هذه الزايرة وغيرها فاذا ارادوا استخراج الجواب عما يسأل عنه من المسائل كتبوا ذلك السؤال وقطعوه حروفاً ثم اخذوا الطالع لذلك الوقت من بروج الفلك ودرجها وعمدوا الى الزايرة ثم الى الوتر المكتنف فيها بالبرج الطالع من اوله ماراً الى المركز ثم الى المحيط الدائرة بقالة الطالع فيأخذون جميع الحروف المكتوبة عليه من اوله الى اخره والاعداد المرسومة بينها ويصيرونها حروفاً بحساب الجمل وقد ينقلون احادها الى العشرات وعشراتها الى المئين وبالعكس فيها كما يقتضيه قانون العمل عندهم ويضعونها مع حروف السؤال ويضيفون الى ذلك جميع ما على الوتر المكتنف بالبرج الثالث من الطالع من الحروف والاعداد من اوله الى المركز فقط لا يتجاوزونه الى المحيط وينقلون بالاعداد ما فعلوه بالاول ويضيفونها الى الحروف الاخرى ثم يقطعون حروف البيت الذي هو اصل العمل وقانونه عندهم وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم ويضعونها ناحية ثم يضربون عدد درج الطالع في أس البرج وأس عندهم هو بعد البرج عن اخر المراتب عكس ما عليه الأس عند اهل صناعة الحساب فانه عندهم البعد عن اول المراتب ثم يضربونه في عدد اخر يسمى الأس الأكبر والدور الاصلي ويدخلون بما تجمع لهم من ذلك في بيوت الجدول على قوانين معروفة واعمال مذكورة وادوار معدودة ويستخرجون منها حروفاً ويستقلون اخرى ويقابلون بما معهم في حروف البيت وينقلون منه ما ينقلون الى حروف السؤال وما معها ثم يطرحون تلك الحروف باعداد معلومة بسميتها الادوار ويخرجون في كل دور الحرف الذي ينتهي عنده الدور يعاودون ذلك بعدد الادوار

المعينة عندهم لذلك فيخرج آخرها حروف متقطعة وتؤلف على التوالي فتصير كلمات
 منظومة في بيت واحد على وزن البيت الذي يقابل به العمل وروية وهو بيت مالك
 ابن وهيب المتقدم حسبنا ذكر ذلك كله في فصل العلوم عند كيفية العمل بهذه الزايرة
 وقد رأينا كثيراً من الخواص يتهافتون على استخراج القليب منها بتلك الاعمال وبحسبون
 ان ما وقع من مطابقة الجواب للسؤال في توافق الخطاب دليل على مطابقة الواقع وليس
 ذلك بصحيح لانه قد مر لك ان الغيب لا يدرك بامر ضاعى البتة وانما المطابقة التي فيها
 بين الجواب والسؤال من حيث الافهام والتوافق في الخطاب حتى يكون الجواب مستقيماً
 او موافقاً للسؤال ووقوع ذلك في هذه الصناعة في تكسير الحروف المبنية من السؤال والاورار
 والدخول في الجدول بالاعداد المبنية من ضرب الاعداد المفروضة واستخراج الحروف
 من الجدول بذلك وطرح أخرى ومعاودة ذلك في الادوار المعدودة ومقابلة ذلك
 كل بحروف البيت على التوالي غير مستذكر وقد يقع الاطلاع من بعض الاذكياء على
 تناسب بين هذه الاشياء فيقع له معرفة المجهول فالتناسب بين الاشياء هو سبب الحصول
 على المجهول من المعلوم الحاصل للنفس وطريق لحصوله سيما من اهل الرياضة فانها تنفذ
 العقل قوة على القياس وزيادة في الفكر وقد مر تعليل ذلك غير مرة ومن اجل هذا
 المعنى ينسبون هذه الزايرة في الغالب لاهل الرياضة فهي منسوبة للسبقي ولقد وقعت
 على أخرى منسوبة لسهل بن عبد الله لعمرى انها من الاعمال الفريية والمعانة العجبة
 والجواب الذي يخرج منها فالسر في خروجه منظومة يظهر لي انما هو المقابلة بحروف ذلك
 البيت ولهذا يكون النظم على وزنه ورويه وبديل عليه انا وجدنا اعمالاً أخرى لم في مثل
 ذلك استعملوا فيها المقابلة بالبيت فلم يخرج الجواب منظوماً كما تراه عند الكلام على
 ذلك في موضعه وكثير من الناس تضيق مداركهم عن التصديق بهذا العمل ونفوذ الى
 المطلوب فينكر صحتها ويحسب انها من التخيلات والابهامات وان صاحب العمل بها
 يثبت حروف البيت الذي ينظمه كما يريد بين اثناء حروف السؤال والاورار ويفعل
 تلك الصناعات على غير نسبة ولا قانون ثم يجيء بالبيت ويوم ان العمل جاء على طريقة
 منضبطة وهذا الحسبان توهم فاسد حمل عليه القصور عن فهم التناسب بين الموجودات
 والمعدومات والتفاوت بين المدارك والعقول ولكن من شان كل مدرك انكار ما ليس
 في طوفه ادراكه ويكتفي في رد ذلك مشاهدة العمل بهذه الصناعة والحس القطعي
 فانها جاءت بعمل مطرد وقانون صحيح لا مرية فيه عند من يباشر ذلك ممن له ذكاء

وحسب وإذا كان كثير من المعاينة في العدد الذي هو واضح الواضحات بعسر على النهم
 أدراكه لبعد النسبة فيه وحاشاها فما ظلك بمثل هذا مع خفاء النسبة فيه وغرابها فلنذكر
 مسئلة من المعاينة ينضح لك بها شيء ما ذكرنا مثالة لو قيل لك خذ عدداً من الدراهم
 واجعل بازاء كل درهم ثلاثة من الفلوس ثم اجمع الفلوس التي اخذت واشتر بها طائراً ثم
 اشتر بالدراهم كلها طيوراً بسعر ذلك الطائر فكم الطيور المشتراة بالدراهم فجوابه ان نقول هي
 تسعة لانك تعلم ان فلوس الدراهم أربعة وعشرون وان الثلاثة ثمنها وان عدة اثمان الواحد
 ثمانية فاذا جمعت الثمن من الدراهم الى الثمن الاخر فكان كلة ثمن طائري ثمانية طيور
 عدة اثمان الواحد وتريد على الثمانية طائراً اخر وهو المشتري بالفلوس الماخوفة اولاً
 وعلى سعره اشتريت بالدراهم فتكون تسعة فانت ترى كيف خرج لك الجواب المضمر
 بسر التناسب الذي بين اعداد المسئلة واليوم اول ما يلقي اليك هذه وامثالها مما يحمله من
 قليل الغيب الذي لا يمكن معرفته وظهر ان التناسب بين الامور هو الذي يخرج مجهولها
 من معلومها وهذا انما هو في الواقعات الحاصلة في الوجود او العلم واما الكائنات المستقبلية
 اذا لم تعلم اسباب وقوعها ولا يثبت لها خبر صادق عنها فهو غيب لا يمكن معرفته وإذا
 تبين لك ذلك فالاعمال الواقعة في الزايرة كلها انما هي في استخراج الجواب من الناطق
 السؤال لانها كما رايت استنباط حروف على ترتيب من تلك الحروف بعينها على ترتيب
 اخر وسر ذلك انما هو من تناسب بينها يطلع عليه بعض دون بعض فمن عرف ذلك
 التناسب تيسر عليه استخراج ذلك الجواب بتلك القوانين والجواب يدل في مقام اخر
 من حيث موضوع الظاهر وتركيبه على وقوع احد طرفي السؤال من نفي او اثبات وليس
 هذا من المقام الاول بل انما يرجع لمطابقة الكلام لما في الخارج ولا سبيل الى معرفة ذلك
 من هذه الاعمال بل البشر محموبون عنه وقد استأثر الله بعلومه والله يعلم وانتم لا تعلمون

الفصل الثاني

في العمران البدوي والام الوحشية والقبائل وما يعرض في
 ذلك من الاحوال وفيه اصول ونهيدات

الفصل الاول

في ان اجيال البدو والحضر طيعية

اعلم * ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف نحلهم من المعاش فان

اجتماعهم انما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه ونشط قبل الحاجي والكمالي فمنهم من يستعمل النخل من الفراسة والزراعة ومنهم من ينقل القيام على الحيوان من الغنم والبقرة والمعز والفحل والدود لتاجها واستخراج فضلاتها وهؤلاء القائمون على النخل والحيوان تدعوم الضرورة ولا بد الى البدولانية متسع لما لا يتسع له المحضر من المزارع والقدن والمسارح للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هؤلاء بالبدو امراً ضرورياً لم وكان حيثن اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت ولكن والدفع انما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلفة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك ثم اذا اتسعت احوال هؤلاء المتخيلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك الى السكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الاقوات والملابس والتأثق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للخصر ثم تزيد احوال الرفه والدعة فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغها في التأثق في علاج القوت واستجداء المطابخ واتقاء الملابس الفاخرة في انواعها من الحرير والديباج وغير ذلك ومعالجة البيوت والصروح واحكام وضعها في تقيدها والانهاء في الصنائع في الخروج من القوة الى الفعل الى غايتها فيخذون القصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويعالون في صرحها وبيالغون في تقيدها ويخزنون في استجداء ما يخذونه لمعاشهم من ملابس او فراش او آنية او ماعون وهؤلاء هم الحضرمعناه الحاضرون اهل الامصار والبلدان ومن هؤلاء من ينقل في معاشه الصنائع ومنهم من ينقل التجارة وتكون مكاسبهم اثنى وارفه من اهل البدولان احوالهم زائدة على الضروري ومعاشهم على نسبة وخدم فقد تبين ان اجمال البدو والحضر طبيعة لا بد منها كما قلناه

الفصل الثاني

في ان جبل العرب في الخلقة طبيعي*

قد قدّمنا في الفصل قبله ان اهل البدو المتخيلون للمعاش الطبيعي من النخل والقيام على الانعام وانهم مقتصرين على الضروري من الاقوات والملابس والمساكن وسائر الاحوال والعوائد ومقصرون عما فوق ذلك من حاجي او كمالي فيخذون البيوت من الشعر والوبر او الشجر او من الطين والحجارة غير منجدة انما هو قصد الاستظلال ولكن لا ما وراءه وقد ياءون الى الغيران والكهوف واما اقوامهم فيتناولون بها يسيراً بعلاج

او يغير علاج البقة الا ما مسته النار فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح كان
المقام به اولى من الظن وهؤلاء سكان المداشر والقرى والجبال وهم عامة البربر والاعاجم
ومن كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر فم ظعن في الاغلب لا يرتاد المسارح والمياه
لحيواناتهم فالتقلب في الارض اصح بهم ويسمون شاوية ومعناه القائون على الشاة والبقر
ولا يبعدون في القفر لتقيد المسارح الطيبة وهؤلاء مثل البربر والترك واخوانهم من
التركان والصنابلة واما من كان معاشهم في الابل فهم اكثر ظعنًا وابعد في القفر مجازًا
لان مسارح التلول ونباتها وشجرها لا يستغني بها الابل في قوام حياتها عن مراعي الشجر
بالقفر وورود مياه المحلة والتقلب فصل الشتاء في نواحيه فرارًا من اذى البرد الى دفء
هوائه وطلبًا لما خفي التناج في رماله اذ الابل اصعب الحيوان فصلاً ومخاضاً واحوجها
في ذلك الى الدفء فاضطروا الى ابعاد البقرة وربما زادتهم الحاجة عن التلول ايضاً
فاوغلو في القنار نفرة عن الضعة منهم فكانوا لذلك اشد الناس توحشاً وينزلون من
اهل الحواضر منزلة الوحش غير المقدور عليه والمقتس من الحيوان العجم وهؤلاء هم
العرب وفي معنهم ظعنون البربر وزنات بالمغرب والاكراد والتركان والترك بالشرق
الا ان العرب ابعد نجمة واشد بداوة لانهم مختصون بالقيام على الابل فقط وهؤلاء
يتوهمون عليها وعلى الشاة والبقر معها فقد تبين لك ان جيل العرب طبيعي لا بد منه
في العمران والله سبحانه وتعالى اعلم

الفصل الثالث

في ان البدو اقدم من الحضرة وسابق عليهم وان البادية اصل العمران
والامصار مدد لها

قد ذكرنا ان البدو المقتضون على الضروري في احوالهم العاجزون عما فوقه
وان الحضرة المعتمدين بمجالات الترف والكمال في احوالهم وعوائدهم ولا شك ان الضروري
اقدم من المحامي والكمالي وسابق عليه ولان الضروري اصل والكمالي فرع ناسي عنه
فالبدو اصل للبدن والحضر وسابق عليها لان اول مطالب الانسان الضروري ولا ينتهي
الى الكمال والترف الا اذا كان الضروري حاصلًا مخشونة البداوة قبل رقة الحضرة ولهذا
نجد التمدن غاية للبدوي يجري اليها وينتهي بسعيه الى مقترحه منها ومتى حصل على الرياش
الذي يحصل له به احوال الترف وعوائده عاج الى الدعة وامكن نفسه الى قياد المدينة

وهكذا شأن القبائل المتبدية كلهم والحضري لا يتشرف الى احوال البادية الا للضرورة
تدعوه اليها او لتقصير عن احوال اهل مدينته وما يشهد لنا ان البدو اصل للحضر
ومتقدم عليه انا اذا فتننا اهل مصر من الامصار وجدنا اولية اكثرهم من اهل البدو
الذين بناحية ذلك المصروفي قراه واعلم ايسروا فسكنوا المصروع دلوا الى الدعة والترف
الذي في الحضر وذلك يدل على ان احوال الحضارة ناشئة عن احوال البداوة وانها
احصل لها فتنمة . ثم ان كل واحد من البدو والحضر متفاوت الاحوال من جنس وقرب
حجم اعظم من حجم وقبيلة اعظم من قبيلة ومصر اوسع من مصر ومدينة اكثر عمراً من
مدينة فقد تبين ان وجود البدو متقدم على وجود المدن والامصار واصل لما بما ان
وجود المدن والامصار من عوائد الترف والدعة التي هي متأخرة عن عوائد الضرورة
المعاشية والله اعلم

الفصل الرابع

في ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر

وسببه ان النفس اذا كانت على الفطرة الاولى كانت مهتمة لقبول ما يرد عليها وينطبع
فيها من خير او شر قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه
او ينصرانه او يمجسانه وبقدر ما سبق اليها من احد الخلقين تبعه عن الآخر ويصعب
عليها اكتسابه فصاحب الخير اذا سبقت الى نفسه عوائد الخير وحملت لها ملكة بعد
عن الشر وصعب عليه طريقة وكذا صاحب الشر اذا سبقت اليه ايضاً عوائد اهل
الحضر لكثرة ما يعانون من فنون الملاذم وعوائد الترف والاقبال على الدنيا والعكوف
على شوائبهم منها قد تلوثت انفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر وبعدت عليهم طرق
الخير ومسالكة بقدر ما حصل لهم من ذلك حتى لقد ذهبت عنهم مذاهب الحشمة في
احوالهم فبعد الكثير منهم يتدعون في اقوال الفحشاء في مجالسهم وبين كبرائهم واهل
محارمهم لا يصد من عنة وزرع الحشمة لما اخذتهم به عوائد السوء في النظاهر بالنواحيش
قولاً وعملاً واهل البدو وان كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم الا انه في المقدار الضروري
لا في الترف ولا في شيء من اسباب الشهوات واللذات ودواعيها فعوائدهم في معاملاتهم
على نسبتها وما يحصل فهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة الى اهل الحضر
اقل بكثير فهم اقرب الى الفطرة الاولى وابتعدوا عن ما ينطبع في النفس من سوء الملكات بكثرة

العوائد المذمومة وفيها فيسهل علاجهم عن علاج الحضرو وهو ظاهر وقد توضح فيما بعد
 ان الحضارة هي نهاية العمران وخروجه الى الفساد ونهاية الشر والبعد عن الخير فقد تبين
 ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضرة والله يحب المتقين ولا يعترض على ذلك
 بما ورد في صحيح البخاري من قول المهاج لسلمة بن الأكوع وقد بلغه انه خرج الى سكنى
 البادية فقال له ارتدنت على عقيك تعربت فقال لا ولكن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم اخذني في البدو فاعلم ان الهجرة افترضت اول الاسلام على اهل مكة ليكونوا مع
 النبي صلى الله عليه وسلم حيث حل من المواطن ينصرون ويظهرون على امره وبحرسونه
 ولم تكن واجبة على الاعراب اهل البادية لان اهل مكة يمسهم من عصية النبي صلى الله
 عليه وسلم في المظاهرة والحراسة ما لا يمس غيرهم من بادية الاعراب وقد كان المهاجرون
 يستعينون بالله من التعرّب وهو سكنى البادية حيث لا تحجب الهجرة وقال صلى الله عليه
 وسلم في حديث سعد بن ابي وقاص عند مرضه بمكة اللهم امض لاصحابي هجرتهم ولا
 تردهم على اعقابهم ومعناه ان يوفهم للملازمة المدينة وعلم الغول عنها فلا يرجعوا عن
 هجرتهم التي ابتدأوا بها وهو من باب الرجوع على العقب في السعي الى وجه من الوجوه
 وقيل ان ذلك كان خاصاً بما قبل النخ حين كانت الحاجة داعية الى الهجرة لقلّة المسلمين
 واما بعد النخ وحين كثرت المسلمون واعتزوا وتكفل الله لنبيه بالعصمة من الناس فان
 الهجرة ساقطة حيثئذ لقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد النخ وقبل سقط انشاؤها عن
 يسلم بعد النخ وقبل سقط وجوبها عن اسلم وهاجر قبل النخ والكل مجتمعون على انها
 بعد الوفاة ساقطة لان الصحابة افرقوا من يومئذ في الافاق واتسروا ولم يبق الافضل
 السكنى بالمدينة وهو هجرة فنزل المهاج لسلمة حين سكن البادية ارتدنت على عقيك
 تعربت نعى عليه في ترك السكنى بالمدينة بالاشارة الى الدعاء الماثور الذي قد مناه وهو
 قوله لا تردهم على اعقابهم وقوله تعربت اشارت الى انه صار من الاعراب الذين لا يهاجرون
 واجاب سلمة بانكار ما الزمه من الامرين وان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ له في البدو
 ويكون ذلك خاصاً به كتهادة خزيمه وعناق ابي بردة او يكون المهاج انما نعى عليه ترك
 السكنى بالمدينة فقط لعلو بسقوط الهجرة بعد الوفاة واجابة سلمة بان اغتنامه لان النبي
 صلى الله عليه وسلم اولي وفضل فما اثره به واخصه الا لمعنى علمه فيه وعلى كل تقدير فليس
 دليلاً على مذمة البدو الذي عبر عنه بالتعرّب لان مشروعية الهجرة انما كانت كما علمت
 لمظاهرة النبي صلى الله عليه وسلم وحراسته ولا لمذمة البدو فليس في النعي على ترك هذا

الواجب بالتعرب دليل على مذمة التعرب والله سبحانه اعلم وبالله التوفيق

الفصل الخامس

في ان اهل البدو اقرب الى الشجاعة من اهل الحضرة

والسبب في ذلك ان اهل الحضرة القوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وانغمسوا
 النعيم والترف ووكّلوا امرهم في المدافعة عن اموالهم وانفسهم الى والهيم والحاكم الذي
 يسوسهم والحامية التي تولت حراسهم واستتبوا الى الاسوار التي تحوطهم والحرز الذي
 يحول دونهم فلا تهيجهم هجمة ولا ينفرهم صيد فم غارون امنون قد القوا السلاح
 وتوالت على ذلك منهم الاجيال وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين هم عيال على
 ابي مئوام حتى صار ذلك خلقاً ينزل منزلة الطبيعة واهل البدو ملتزمون عن المجمع
 ونوحشهم في الضواحي وبعدهم عن الحامية واستبازهم عن الاسوار والابواب قائمون
 بالمدافعة عن انفسهم لا يكلونها الى سوام ولا يتفنون فيها بغيرهم فهم دائماً يحملون السلاح
 ويتلفتون عن كل جانب في الطرق ويثاقون عن الهجوم الاغراراً في المجالس وعلى
 الرجال وفوق الاقناب ويتوجسون للنبات والهجمات ويتفردون في القفر والبيداء
 مدلين بباسهم واثقين بانفسهم قد صار لهم لباس خلقاً والشجاعة هجمة يرجعون اليها متى
 دعاهم داع او استنفرهم صاريخ واهل الحضرة ما خالطوهم في البادية او صاحبوهم في السفر
 عيال عليهم لا يملكون معهم شيئاً من امر انفسهم وذلك مشاهد بالعيان حتى في معرفة
 النواحي والبحبات وموارد المياه ومشارع السبل وسبب ذلك ما شرحناه واصله ان
 الانسان ابن عوائد ومالوفو لا ابن طبيعة ومزاجه فالذي الف في الاحوال حتى
 صار خلقاً وملكة وعادة تنزل منزلة الطبيعة والمجبة واعتبر ذلك في الادميين تجده
 كثيراً صحيحاً والله بخلق ما يشاء

الفصل السادس

في ان معاناة اهل الحضرة للاحكام مفسدة للباس فيهم ذاهبة بالمنفعة منهم

وذلك انه ليس كل احد مالك امر نفسه اذ الروساء والامراء المالكون لامر
 الناس قليل بالنسبة الى غيرهم فمن الغالب ان يكون الانسان في ملكة غيره ولا بد
 فان كانت الملكة رفيقة وعادلة لا يعاني منها حكم ولا منع وصداً كان من تحت يدها

مدلين بما في انفسهم من شجاعة اوجين وايقون بعدم الوازع حتى صار لم الادلال جيلة
لا يعرفون سواها واما اذا كانت الملكية واحكامها بالنهر والسطوة والاخافة فتكسر حشدة
من سورة باسمهم وتذهب المنعة عنهم لما يكون من التكالل في النفوس المضطهدة كما نبهت
وقد نبه عمر سعد رضي الله عنهم عن مثلها لما اخذ زهرة بن حوبة سلب الجالوتين
وكانت قيمة خمسة وسبعين الفا من الذهب وكان اتبع الجالوتين يوم القاسية فقتله
واخذ سلبه فانتزعه منه سعد وقال له هلا انتظرت في اتباعوا اذ فيو كتب الي عمر يستاذنه
فكتب اليه عمر تعهد الي مثل زهرة وقد ضل بما ضل به وبقي عليك ما بقي من حربك
وتكسر فرقة وتسد قلبه وامضى له عمر سلبه واما اذا كانت الاحكام بالعقاب فذهب
للناس بالكلية لان وقوع العقاب به ولم يدافع عن نفسه يكسبه المذلة التي تكسر من
سورة بأسه بلا شك واما اذا كانت الاحكام تاديبية وتعليمية واخذت من عهد الصبا
اثرت في ذلك بعض الشيء لرباه على المخافة والانقياد فلا يكون مدلا بياسه ولهذا
تجد المتوحشين من العرب اهل البدو اشد باسا من تاحذه الاحكام وتجد ايضا
الذين يعانون الاحكام وليكتفوا من لدن مرباهم في التاديب والتعليم في الصنائع والعلوم
والديانات ينقص ذلك من باسهم كثيرا ولا يكادون يدفعون عن انفسهم عادية بوجه
من الوجوه وهذا شان طلبة العلم المتخلين للقراءة والاخذ عن المشايخ والائمة الممارسين
للتعليم والتاديب في مجالس الوقار والهيبة فيهم هذه الاحوال وذهابها بالمنعة والبأس ولا
تستذكر ذلك بما وقع في الصحابة من اخذهم باحكام الدين والشرعة ولم ينقص ذلك من
باسهم بل كانوا اشد الناس باسا لان الشارع صلوات الله عليه لما اخذ المسلمون عنه
دينهم كان وازعهم فيه من انفسهم لما تلي عليهم من الترغيب والترهيب ولم يكن بتعليم
صناعي ولا تاديب تعليمي انما هي احكام الدين وآداب المتلقاة نقلا ياخذون انفسهم بها بما
رجح فيهم من عقائد الايمان والتصديق فلم ترل سورة باسمهم مسفكة كما كانت ولم تحذفها
اظفار التاديب والحكم قال عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله حرصا على
ان يكون الوازع لكل احد من نفسه وبقينا بان الشارع أعلم بمصالح العباد ولما تناقص
الدين في الناس واخذوا بالاحكام الوازعة ثم صار الشرع علما وصناعة يؤخذ بالتعليم
والتاديب ورجع الناس الى الحضارة وخلق الانقياد الى الاحكام نفست بذلك سورة
البأس فيهم فقد تبين ان الاحكام السلطانية والتعليمية مفسدة للبأس لان الوازع فيها
اجنبي واما الشرعية فغير مفسدة لان الوازع فيها ذاتي ولهذا كانت هذه الاحكام

السلطانية والتعليمية مما تؤثر في اهل المحاضر في ضعف نفوسهم وخضيد الشوكة منهم
بمعاناتهم في وليدهم وكهولهم والبدو يعزل من هذه المنزلة لبعدهم عن احكام السلطان
والتعليم والآداب ولهذا قال محمد بن أبي زيد في كتابه في احكام المعلمين والمتعلمين
انه لا ينبغي للمؤدب ان يضرب احداً من الصبيان في التعليم فوق ثلاثة اسواط نقله عن
شرح القاضي واسمحه بعضهم بما وقع في حديث بدء الوحي من شان الفط وإنه كان
ثلاث مرات وهو ضعيف ولا يصلح شان الفط ان يكون دليلاً على ذلك لبعده عن
التعليم المتعارف والله الحكيم الخبير

الفصل السابع

في ان سكنى البدو لا تكون الا للقبائل اهل العصية

اعلم * ان الله سبحانه ركب في طبائع البشر الخير والشر كما قال تعالى وهديناه
النجدين وقال فاليهما فجورهما ونقاها والشر اقرب الخلال اليه اذا اهل في مرعى عوانده
ولم يهذه الاقتداء بالدين وعلى ذلك الجمل الغدير الا من وقفة الله ومن اخلاق البشر فيهم
الظلم والعدوان بعض على بعض فمن امتدت عينه الى متاع اخيه امتدت يده الى اخذه
الا ان يصدّه وأزع كما قال

والظلم من شيم النفوس فان تجدد ذاعف فلعن لا يظلم

فاما المدن والامصار فعديوان بعضهم على بعض تدفعه الاحكام والدولة بما قبضوا على
ايدي من تحتم من الكافة ان يمتد بعضهم على بعض أو يعدو عليهم مكيحون بحكمة
القهر والسلطان عن التظالم الا اذا كان من الحاكم بنفسه واما العدوان الذي من خارج
المدينة فيدفعه سياج الاسوار عند الغنلة او القرية ليلاً او العجز عن المقاومة نهراً او
يدفعه ذباد الحامية من اعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة واما احياء البدو فيزع
بعضهم عن بعض مشايخهم وكبرائهم بما وقر في نفوس الكافة لم من الوقار والغلة واما
حلالهم فانما يذود عنها من خارج حامية المحي من التجادم وفتيانهم المعروفين بالشجاعة فيهم
ولا يصدق دفاعهم وذبادهم الا اذا كانوا عصية واهل نسب واحد لانهم بذلك تشدد
شوكهم ويخشي جانبهم اذ نكرة كل احد على نسب وعصيته ام وما جعل الله في قلوب
عباده من الشفقة والنصرة^(١) على ذوي ارحامهم وقرباهم موجودة في الطبائع البشرية وبها

يكون التعاضد والتناصر وتعمير رعية الدولم واعتبر ذلك فيما حكاه القرآن عن اخوة يوسف عليه السلام حين قالوا لا يولد لنا ذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون والمعنى انه لا يتوهم العدوان على احد مع وجود العصبة له واما المتفردون في انسابهم فقل ان تصيب احدا منهم نعمة على صاحبه فاذا اظلم الجوف بالشريم الحرج تسلك كل واحد منهم ببغي النجاة لنفسه وخيفة واستحياءا من المتخاذل فلا يقدر من اجل ذلك على سكنى الففر لما انهم جيشة طعمة لمن يبتهم من الامم سواء واذا تبين ذلك في السكنى ليجني محتاج للدفاع والحماية فقبله يتبين لك في كل امر يحمل الناس عليه من نيوة او اقامة ملك او دعوة اذ بلوغ الغرض من ذلك تلو انما يتم بالقتال عليهم في طبائع البشر من الاستعصاء ولا بد في القتال من العصية كما ذكرناه انما فانخذ اماما يقتدي به فيما نوره عليك بعد والله الموفق للصواب

الفصل الثامن

في ان العصية انما تكون من الانعام بالنسب او ما في معناه وذلك ان صلة الرحم داعية في البشر الا في الاقل ومن صلتها النعمة على ذوي القربي واهل الارحام ان ينالهم ضيم او تصيبهم هلكة فان القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه او العداة عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطيب والممالك نزعة طبيعية في البشر مذ كانت فاذ كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريبا جدا بحيث حصل به الاتحاد والانعام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها واذا بعد النسب بعض الشيء فرما تنوحي بعضها ويبقى منها شهرة فتعمل على النصرة للذي نسيه بالامر المشهور منه فرارا من الغضاضة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب اليه بوجه ومن هذا الباب الولاء والحلف اذ نعمة كل احد على اهل ولائه وحلفه للالفة التي تلحق النفس من اهتمام جارها او قريبها او نسيبها بوجه من وجوه النسب وذلك لاجل المحبة الحاصلة من الولاء مثل محبة النسب او قريبا منها ومن هذا فتم معنى قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم بمعنى ان النسب انما فائدته هذا الانعام الذي يوجب صلة الارحام حتى تقع المناصرة والنعمة وما فوق ذلك مستغنى عنه اذ النسب امر وحي لا حقيقة له ونفعة انما هو في هذه الوصلة والانعام فاذا كان ظاهرا واضحا حمل النفوس على طبيعتها من النعمة كما قلناه واذا كان انما

يستفاد من الخبر البعيد ضعف فيه الوهم وذهبت فائدة وصار الشغل يومئذياً ومن أعمال
الله المنهي عنه ومن هذا الاعتبار معنى قولهم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر بمعنى أن
النسب اذا خرج عن الوضوح وصار من قيل العلوم ذهبت فائدة الوهم فيه عن النفس
وانتفت النعرة التي تحمل عليها العصبية فلا منفعة فيه حجتنا والله سبحانه وتعالى أعلم

الفصل التاسع.

في أن الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب ومن في معانهم
وذلك لما اخصوا به من نكد العيش وشظف الاحوال وسوء المواطن حملتهم عليها
الضرورة التي عينت لهم تلك القسمة وهي لما كان معاشهم من القيام على الابل وتاجها
ورعايتها والابل تدعوهم الى التوحش في القفر لرعيها من شجره وتاجها في رماله كما تقدم
والقفر مكان الشظف والسغب فصار لهم التأ عادة وريبت فيه اجيالهم حتى تمكنت خلقاً
وجيلة فلا ينزع اليهم احد من الام ان يساهمهم في حالم ولا يانس بهم احد من الاجيال
بل لو وجد واحد منهم السبيل الى الفرار من حاله وامكنه ذلك لما تركه فيؤمن عليهم
لاجل ذلك من اختلاط انسابهم وفسادها ولا تزال بينهم محنونة صريحة واعتبر ذلك
في مضر من قريش وكنانة وثقيف وبني اسد وهذيل ومن جاورهم من خزاعة لما كانوا
اهل شظف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع وبعدوا من ايرياف الشام والعراق
ومعادن الادم والحبوب كيف كانت انسابهم صريحة محنونة لم يدخلها اختلاط ولا
عرف فيهم شوب واما العرب الذين كانوا بالنلول وفي معادن الخصب للمراعي والعيش
من حمير وكهلان مثل لحم وجذام وغسان وطى وقضاعة وايد فاختلفت انسابهم
وتداخلت شعوبهم ففي كل واحد من يومهم من الخلفاء عند الناس ما تعرف وانما جاءهم
ذلك من قبل العجم ومخالطتهم ولم لا يعتبرون المحافظة على النسب في يومهم وشعوبهم
وانما هذا للعرب فقط . قال عمر رضي الله تعالى عنه تعلقوا بالنسب ولا تكونوا كبسط السواد
اذا سئل احدهم عن اصله قال من قرية كذا هذا اي لما حتى هؤلاء العرب اهل الارياف
من الازدحام مع الناس على البلد الطيب والمراعي الخصبة فكثرت الاختلاط وتداخلت
الانساب وقد كان وقع في صدر الاسلام الانتباه الى المواطن فيقال جند قنسرين جند
دمشق جند العواصم وانتقل ذلك الى الاندلس ولم يكن لا طراح العرب امر النسب وانما
كان لا اختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب

يتميزون بها عند امراثهم ثم وقع الاختلاط في المحواض مع العجم وغيرهم وفسدت الانساب
بالمجملعة وفقدت ثمرتها من العصبية فاطرحت ثم تلاشت القبائل وذرثت فذرثت المصيبة
بدنورها وبقي ذلك في البدو كما كان والله وارث الارض ومن عليها

الفصل العاشر

في اختلاط الانساب كيف يقع

اعلم . انه من البين أن بعضاً من اهل الانساب يسقط الى اهل نسب اخر بفراة
الهم أو حلف أو ولاء أو لفرار من قوبو بمجنانية اصاها فيدعي بنسبه هؤلاء ويعده منهم
في ثمراته من النعمة والفود وحمل الديات وسائر الاحوال وإذا وجدت ثمرات النسب
فكانه وجد لانه لا معنى لكونه من هؤلاء ومن هؤلاء الاجريان احكامهم واحوالهم عليه
وكانه الغم بهم ثم انه قد يتناسى النسب الاول بطول الزمان ويذهب اهل العلم به فيخفى
على الاكثر وما زالت الانساب تسقط من شعب الى شعب ويلغم قوم باخرين في الجاهلية
والاسلام والعرب والعجم . وانظر خلاف الناس في نسب آل المنذر وغيرهم يتبين لك
شيء من ذلك ومنه شان بمجملعة في عرفة بن ربيعة لما ولاء عمر عليهم فسالوا الاعفاء منه
وقالوا هو فينا لربق اي دجل ولصيق وطلبوا ان يولي عليهم جريراً فساله عمر عن
ذلك فقال عرفة صدقوا يا امير المؤمنين انا رجل من الازد اصبت دماً في قومي ولحقت
بهم وانظر منه كيف اختلط عرفة بمجملعة ولبس جلدتهم ودعي بنسبهم حتى ترشح للرياسة
عليهم لولا علم بعضهم بوشاقيهم ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمن لتنوسي بالمجملعة وعدّ منهم
بكل وجه ومذهب قائمهم واعتبر سر الله في خليقته ومثل هذا كثير لهذا العهد ولما قبله
من اليهود والله الموفق للصواب بمنه وفضله وكرمه

الفصل الحادي عشر^(١)

في ان الرياسة لا تزال في نصابها المخصوص من اهل العصبية

اعلم . ان كل حي او بطن من القبائل وان كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام ففهم
ايضاً عصبية اخرى لانساب خاصة في اشد التماساً من النسب العام لم مثل عشير واحد
او اهل بيت واحد او اخوة بني اب واحد لا مثل بني العم الاقربين او الاعددين فهو لاء
اقعد بنسبهم المخصوص ويشاركون من سواهم من العصاب في النسب العام والنعمة تقع

١ هذا الفصل ساقط من النسخ الفارسية وموجود في النسخة التونسية وثباته اولي لبطابق كلامه اول
الفصل ١٢ ١٠١٠ قاله نصر المهور في

من اهل نسبهم المخصوص ومن اهل النسب العام الا انها في النسب الخاص اشد لقرى
 المحبة والرياسة فيهم انما تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل ولما كانت الرياسة
 انما تكون بالقلب وجب ان تكون عصية ذلك النصاب اقوى من سائر العصابات لينفع
 القلب بها وتم الرياسة لاهلها فاذا وجب ذلك تعين ان الرياسة عليهم لا تزال في ذلك
 النصاب المخصوص اهل القلب عليهم اذ لو خرجت عنهم وصارت في العصابات الاخرى
 النازلة عن عصابهم في القلب لما تمت لم الرياسة فلا تزال في ذلك النصاب متناقلة
 من فرع منهم الى فرع ولا تنتقل الا الى الاقوى من فروعه لما قلناه من سر القلب لان
 الاجتماع والعصية بمثابة المزاج المتكون والمزاج في المتكون لا يصلح اذا تكافأت العناصر
 فلا بد من غلبة احدهما والا لم يتم التكوين فهذا هو سر اشتراط القلب في العصية ومنه
 تعين استمرار الرياسة في النصاب المخصوص بها كما قررناه.

الفصل الثاني عشر

في ان الرياسة على اهل العصية لا تكون في غير نسبهم
 وذلك ان الرياسة لا تكون الا بالقلب والقلب انما يكون بالعصية كما قدمناه فلا بد
 في الرياسة على القوم ان تكون من عصية غالبية لعصياتهم واحدة واحدة لان كل عصية
 منهم اذا احست بغلب عصية الرئيس لم اقرأ بالاذعان والاتباع والساقط في نسبهم
 بالجملة لا تكون له عصية فيهم بالنسب انما هو ملصق لوثيق وغاية التعصب له بالولاء
 والحلف وذلك لا يوجب له غلبا عليهم البتة واذا فرضنا انه قد التزم بهم واخضعوا وتوسى
 عهده الاول من الالتصاق ولبس جلدتهم ودعي بنسبهم فكيف له الرياسة قبل هذا الالتصاق
 او لاحد من سلفه والرياسة على القوم انما تكون متناقلة في منبت واحد تعين له القلب
 بالعصية فالاولية التي كانت لهذا الملصق قد عرف فيها التصاقه من غير شك ومنعه
 ذلك الالتصاق من الرياسة حيثئذ فكيف تنقلت عنه وهو على حال الالتصاق والرياسة
 لا بد وان تكون موروثه عن مستحقها لما قلناه من التغلب بالعصية وقد يشوف كثير
 من الرساء على القبائل والعصابات الى انساب يلهمون بها اما لخصوصية فضيلة كانت
 في اهل ذلك النسب من شجاعة او كرم او ذكر كيف اتفق فيترعون الى ذلك النسب
 ويثورطون بالدعوى في شعوبه ولا يعلمون ما يوقعون فيه انفسهم من القدح في رياستهم
 والطمع في شرفهم وهذا اكثر في الناس لهذا العهد من ذلك ما يدعي زناته جملة انهم

من العرب ومنه ادعاء اولاد رباب المعروفين بالحجازيين من بني عامر احد شعوب
 زغبة انهم من بني سليم ثم من الشريد منهم حتى جدم بني عامر نجاراً يصنع الحرجان^(١)
 واخبط بهم والتحم بنسبهم حتى رأس عليهم ويسمونه الحجازي. ومن ذلك ادعاء بني عبد
 القوي بن العباس بن توجين أنهم من ولد العباس بن عبد المطلب زغبة في هذا النسب
 الشريف وغلطاً باسم العباس بن عطية ابني عبد القوي ولم يعلم دخول احد من
 العباسيين الى المغرب لانه كان منذ اول دولتهم على دعوة العلويين اعدائهم من الادارة
 والعبيدين فكيف يسيطر العباس الى احد من شيعة العلويين. وكذلك ما يدعيه ابناه
 زيان ملوك تلمسان من بني عبد الواحد أنهم من ولد القاسم بن ادريس ذهاباً الى ما
 اشتهر في نسبهم انهم من ولد القاسم فيقولون بلسانهم الزناتي انت القاسم ابي
 بنو القاسم ثم يدعون ان القاسم هذا هو القاسم بن ادريس او القاسم بن محمد
 بن ادريس ولو كان ذلك صحيحاً فغاية القاسم هذا انه قرين امكان سلطانه مستخيراً بهم
 فكيف ثم له الرئاسة عليهم في باديتهم وانما هو غلط من قبل اسم القاسم فانه كثير الوجود
 في الادارة فتوهوا ان قاسمهم من ذلك النسب وهم غير محتاجين لذلك فان مناهم
 للملك والعزة انما كان بعصيتهم ولم يكن بادعاء علوية ولا عباسية ولا شيء من الانساب
 وانما يحمل على هذا المتقربون الى الملوك بمنازعهم ومذاهيبهم ويشترحون بعيد عن الرد
 ولقد بلغني عن يغمراسن بن زيان موثلاً سلطانهم انه لما قيل له ذلك انكره وقال بلغني
 الزانية ما مغناه اما الدنيا والملك فنلناهما بسبوقنا لا بهذا النسب واما نعمنا في الاخرة
 فمردود الى الله وأعرض عن التقرب اليها بذلك. ومن هذا الباب ما يدعيه بنو سعد
 شيوخ بني يزيد من زغبة انهم من ولد ابي بكر الصديق رضي الله عنه وبنو سلامة شيوخ
 بني يدلتن من توجين أنهم من سليم والزائدة شيوخ رباح انهم من اعقاب البرامكة
 وكذا بنو مهدي امراء طي بالمشرق يدعون فيما بلغنا انهم من اعقابهم وامثال ذلك
 كثير ورر ياستهم في قومهم مانعة من ادعاء هذا الانساب كما ذكرناه بل تعين ان يكونوا
 من صريح ذلك النسب واقرى عصياتو فاعتبره واجتنب المغالط فيه ولا تجعل من هذا
 الباب احماق مهدي الموحدين بنسب العلوية فان المهدي لم يكن من منبت الرياسة في
 هرقة قومه وانما رأس عليهم بعد اشتهاره بالعلم والدين ودخول قبائل المصاعدة في دعوتو
 وكان مع ذلك من اهل المناصب المتوسطة فيهم والله عالم الغيب والشهادة

الفصل الثالث عشر

في ان البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل العvisية ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه وذلك ان الشرف والمحسب انما هو بالخلال ومعنى البيت ان يعد الرجل في ابائو اشرافاً مذكورين يكون له بولادتهم اياه والانتساب اليهم تجلة في اهل جلدتو لما وقرني نفوسهم من تجلة سلفو وشرفهم بجلالهم والناس في نشأته وتناسلهم معادن قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا فمحنى المحسب راجع الى الانساب وقد بينا ان ثمة الانساب وفائدتها انما هي العvisية للنصرة والتناصر فحيث تكون العvisية مرهوبة ومحشمة والمنبت فيها زكي محمي تكون فائدة النسب اوضح وثمرتها اقوى وتعدد الاشراف من الاباء زائد في فائدتها فيكون المحسب والشرف اصليين في اهل العvisية لوجود ثمة النسب وتفاوت البيوت في هذا الشرف بتفاوت العvisية لانه سرها ولا يكون للمنفردين من اهل الامصار بيت الا بالمجاز وان توهموا فزخرف من الدعاوى واذا اعتبرت المحسب في اهل الامصار وجدت معناه ان الرجل منهم يعد سلفاً في خلال الخبر ومخالطة اهل مع الركون الى العافية ما استطاع وهذا مغاير لسر العvisية التي هي ثمة النسب وتعدد الاباء لكنه يطلق عليه حسب وبيت بالمجاز اهلاقة ما فيه من تعدد الاباء المتعاقبين على طريقة واحدة من الخبر ومساكنه وليس حسباً بالحقيقة وعلى الاطلاق وان ثبت انه حقيقة فيها بالوضع اللغوي فيكون من المشكك الذي هو في بعض مواضعه اولى وقد يكون للبيت شرف اول بالعvisية والخلال ثم ينسلخون منه لذهابها بالحضارة كما تقدم ويختلطون بالغار ويبقى في نفوسهم وسواس ذلك المحسب يعدون بوانفسهم من اشراف البيوتات اهل العصائب وليسوا منها في شيء لذهاب العvisية جملة وكثير من اهل الامصار الناشئين في بيوت العرب او العجم لاول عهدهم موسوسون بذلك واكثر ما رخ الوسواس في ذلك لبني اسرائيل فانه كان لهم بيت من اعظم بيوت العالم بالمنبت اولاً لما تعدد في سلفهم من الانبياء والرسل من لدن ابراهيم عليه السلام الى موسى صاحب ملتهم وشريعتهم ثم بالعvisية ثانياً وما اتاهم الله بها من الملك الذي وعدم يؤمنسلخوا من ذلك اجمع وضربت عليهم الذلة والمسكنة وكتب عليهم الجلاء في الارض وانفردوا بالاستعباد للكفر الاقام السنون وما زال هذا الوسواس مصاحباً لهم فيقدم يقولون هذا هاروفي هذا من نسل يوشع هذا من عقب كالب

هذا من سبط يهوذا مع ذهاب العصية ورسوخ الذل فيهم منذ احتجاب متطاولة وكبير
من اهل الامصار وغيرهم المنقطعون في انسابهم عن العصية يذهب الى هذا الهذيان .
وقد غلط ابو الوليد بن رشد في هذا لما ذكر الحسب في كتاب الخطاية من تلخيص كتاب
المعلم الاول والحسب هو ان يكون من قوم قدم نزلهم بالمدينة ولم يتعرض لما ذكرناه ولمت
شعري ما الذي ينفعه قدم نزلهم بالمدينة ان لم تكن له عصابة يرهب بها جانبه وتعمل
غيرهم على القبول منه فكانه اطلق الحسب على تعديد الاباء فقط مع ان الخطاية انما هي
استمالة من توتر استمالة وهم اهل الحل والعقد وامان لاقدرته له البتة فلا يلتفت اليه
ولا يقدر على استمالة احد ولا يستمال هو واهل الامصار من الحضرة بهذه المثابة الا ان
ابن رشد رباني جيل وبلد لم يمارسوا العصية ولا انسلوا احوالها فبقى في امر البيت
والحسب على الامر المشهور من تعديد الاباء على الاطلاق ولم يراجع فيه حقيقة العصية
وسرها في الخليفة والله بكل شيء عليم

الفصل الرابع عشر

في ان البيت والشرف للموالي واهل الاصطناع انما هو مواليهم لا بانسابهم
وذلك انا قدمنا ان الشرف بالاصالة والحقيقة انما هو لاهل العصية فاذا اصطنع
اهل العصية قوماً من غير نسبهم او استرقوا العبدان والموالي والتحموا به كما قلناه ضرب
معهم اولئك الموالي والمصطنعون بنسبهم في تلك العصية ولبسوا جلدتها كانتا عصبتهم
وحصل لهم من الانتماء في العصية مساهمة في نسبها كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم مولى القوم منهم
وسواء كان مولى رقاً او مولى اصطناع وحليف وليس نسب ولا دونه ينافع له في تلك العصية
اذ هي مباينة لذلك النسب وعصية ذلك النسب مفقودة لذهاب سرها عند التحامها بهذا
النسب الاخر وفقدت اهل عصيتها فيصير من هؤلاء ويندرج فيهم فاذا تعددت له الاباء في
هذه العصية كان له بينهم شرف وبيت على نسبتيهم ولا تتم واصطناعهم لا يتجاوز ما في شرفهم بل
يكون ادون منهم على كل حال وهذا شأن الموالي في الدول والخدمة كلهم فانهم انما يشرفون
بالرسوخ في ولاء الدولة وخدمتها وتعدد الاباء في ولايتها الا ترى الى موالي الاتراك
في دولة بني العباس والى بني برمك من قبلهم وبني نوبخت كيف ادر كوا البيت والشرف
وبنو المجد والاصالة بالرسوخ في ولاء الدولة فكان جعفر بن يحيى بن خالد من اعظم
الناس بيتاً وشرفاً بالانتساب الى ولاء الرشيد وقومولا بالانتساب في الفرس وكلية اموالي

كل دولة وخدمها إنما يكون لم البيت والحسب بالرسوخ في ولائها والإصالة في اصطناعها
ويضعل نسبة الاقدم من غير نسبها ويبقى ملقى لا عبرة به في أصاليه ومجده وإنما المعتبر
نسبة ولاؤه واصطناعه اذ فيه سر العvisية التي بها البيت والشرف فكان شرفه مشتقاً من
شرف مولاه وباقوه من بناتهم فلم تنفعه نسب ولادته وإنما بنى مجده نسب الولاء في الدولة
ولحمة الاصطناع فيها والترية وقد يكون نسبة الاول في لحمة عصيته ودولته فإذا ذهب
وصار ولاؤه واصطناعه في أخرى لم تنفعه الاولى لذهاب عصيتها وأتفع بالثانية
لوجودها وهذا حال بني برمك اذ المنقول انهم كانوا اهل بيت في الفرس من سدة بيوت
النار عندم ولما صاروا الى ولاء بني العباس لم يكن بالاول اعتبار وإنما كان شرفهم من
حيث ولايتهم في الدولة واصطناعهم وما سوى هذا قوم نوسوس به النفوس الجاهلة ولا
حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه وإن أكرمكم عند الله اتقاكم والله ورعولة اعلم

الفصل الخامس عشر

في ان نهاية الحسب في العقب الواحد اربعة ابناء

اعلم * ان العالم المنصري بما فيه كائن فاسد لا من خلقه ولا من احواله فالكمونات
من المعدن والنبات وجميع الحيوانات الانسان وغيره كائنة فاسدة بالمعانية وكذلك
ما يعرض لها من الاحوال وخصوصاً الانسانية فالعلوم تنشأ ثم تدرس وكذا الصنائع
وامثالها والحسب من العوارض التي تعرض للاميين فهو كائن فاسد لا محالة وليس
يوجد لاحد من اهل الخليفة شرف متصل في ابائهم من لدن آدم اليه الا ما كان من ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم كرامة به وحيطة على السرفيه واول كل شرف خارجة كما
قيل وهي الخروج عن الرياسة والشرف الى الضعة والابتذال وعدم الحسب ومعناه ان
كل شرف وحسب قدمته سابق عليه شان كل محدث ثم ان نهاية في اربعة ابناء وذلك
ان باي المجد عالم بما عاناه في بنائه ومحافظه على الخلال التي هي اسباب كونه وبقائه وابنة
من بعده مباشر لا يورثه من ذلك واخذة عنه الا انه مقصر في ذلك تقصير السامع
بالشيء عن المعاني له ثم اذا جاء الثالث كان حظه الاقتناء والتقليد خاصة فقصر عن
الثاني تقصير المقلد عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع قصر عن طريقهم جملة واضاع الخلال
المحافظة لبناء مجدهم واحقرها وتوهم ان ذلك البين لم يكن بمعاناة ولا تكلف وإنما هو
امروجب لم منذ اول النشأة بمجرد اتساعهم وليس بعصاة ولا بخلال لما يرى من التجلة

بين الناس ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها ويتوهم انما النسب فقط فربما ينسوه عن
 اهل عصيتهم ويرى الفضل له عليهم وثوقاً بما ربي فيه من استبعادهم وجهلاً بما اوجب
 ذلك الاستبعاد من الخلال التي منها التواضع لم والاخذ بجماع قلوبهم فيحترقهم بذلك
 فينقصون عليه ويحقرونه ويذيلون منه سواء من اهل ذلك المنبت ومن فروعه وفي
 غير ذلك العقب للاندحان لعصيتهم كما قلناه بعد الوثوق بما يرضونه من خلال فتفتو فروع
 هذا وتذوي فروع الاول وينهدم بناء بيتوهذا في الملوك وهكذا في بيوت القبائل
 والامراء واهل العصبية اجمع ثم في بيوت اهل الامصار اذا انحطت بيوت نشأت بيوت
 اخرى من ذلك النسب ان يشأ يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز
 واشترط الاربعة في الاحساب انما هو في القالب والا فقد يدرأ البيت من دون الاربعة
 ويتلاشى وينهدم وقد يتصل امرها الى الخامس والسادس الا انه في انحطاط وذهاب
 واعتبار الاربعة من قبل الاجيال الاربعة بان مباشرة ومقلد وهادم وهو اقل ما
 يمكن وقد اعتبرت الاربعة في نهاية الحسب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه وسلم
 انما الكرم ابن الكرم ابن الكرم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم اشارة
 الى انه بلغ الغاية من المجد وفي التوراة ما معناه ان الله ربك طائق غيور مطالب بذنوب
 الاباء للبنين على الثالث وعلى الرابع وهذا يدل على ان الاربعة الاعقاب غاية في
 الانساب والحسب . ومن كتاب الاغانى في اخبار عريف الغواني ان كسرى قال للنعمان
 هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة قال نعم قال باي شيء قال من كان له ثلاثة ابناء
 متواليه رواء ثم اتصل ذلك بكال الرابع فاليست من قبيلته وطلب ذلك فلم يجده الا
 في آل حذيفة بن بدر النزارى وهم بيت قيس وآل ذي الجدين بيت شيبان وآل
 الاشعث بن قيس من كندة وآل حاجب بن زرارة وآل قيس بن عاصم المنقرى من بني
 تميم فجميع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائهم واقعد لم المحكام والعدول فقام حذيفة بن
 بدر ثم الاشعث بن قيس لقرباؤهم من النعمان ثم بسطام بن قيس بن شيبان ثم حاجب بن
 زرارة ثم قيس بن عاصم وخطبوا ونثروا فقال كسرى كلهم سيد يصلح لموضع وكانت
 هذه البيوتات هي المذكورة في العرب بعد بني هاشم ومعهم بيت بني الذبيان من بني
 الحرث بن كعب بيت اليماني وهذا كله يدل على ان الاربعة الاء نهاية في الحسب والله اعلم

الفصل السادس عشر

في ان الام الوحشية اقدر على التغلب من سواها

اعلم * انه لما كانت البداوة سبباً في الشجاعة كما قلنا في المقدمة الثالثة لاجرم كان هذا الجبل الوحشي * اشد شجاعة من الجبل الاخر فهم اقدر على التغلب وانتزاع ما في ايدي سواهم من الام بل الجبل الواحد يختلف احواله في ذلك باختلاف الاعصار فكلما تزلزل الارياض وتفنكو النعيم والنوا عوائد الخصب في المعاش والنعيم نقص من شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحشهم وبدائهم واعتبر ذلك في الحيوانات العجم بدو اجن الطباءة والبقر الوحشية والحمر اذا زال توحشها بمخالطة الادميين واخصب عيشها كيف يختلف حالها في الانتهاض والشدّة حتى في مشيتها وحسن ادائها وكذلك الادمي المتوحش اذا انس والف وسببه ان تكون الصحايا والطبايع انما هو عن المألوفات والعوائد واذا كان القلب للام انما يكون بالاقدام والبسالة فمن كان من هذه الاجيال اعرق في البداوة واكثر توحشاً كان اقرب الى التغلب على سواه اذا تقاربا في العدد وتكافأ في القوة العصبية وانظر في ذلك شان مضرع من قبلهم من حمير وكهلان السابقين الى الملك والنعيم ومع ربيعة المتوطنين ارياف العراق ونيهم لما بقي مضر في بداوتهم وتقدمهم الاخرون الى خصب العيش وغضارة النعيم كيف ارهفت البداوة حدم في التغلب فغلبهم على ما في ايديهم وانتزعوا منهم وهذا حال بني طي * وبني عامر بن صعصعة وبني سليم بن منصور ومن بعدهم لما تاخروا في باديتهم عن سائر قبائل مضر واليمن ولم يتلبسوا بشيء من دنياهم كيف امسكت حال البداوة عليهم قوة عصيتهم ولم تخلفها مذاهب الترف حتى صاروا اغلب على الامر منهم وكذا كل حي من العرب يلي نعيماً وعيشاً خصباً دون الحي الاخر فان الحي المبتدىء يكون اغلب له واقدر عليه اذا تكافأ في القوة والعدد سنة الله في خلقه

الفصل السابع عشر

في ان الغاية التي تجري اليها العصبية في الملك

وذلك لانا قدمنا ان العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل امر يجمع عليه وقدمنا ان الادميين بالطبيعة الانسانية يحتاجون في كل اجتماع الى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض فلا بد ان يكون متغلباً عليهم بتلك العصبية والام ثم قدرته على ذلك وهذا التغلب هو الملك وهو امر زائد على الرياسة لان الرياسة انما هي سودد

وصاحبها متبوع وليس لأعليهم قهر في احكامهم واما الملك فهو التغلب والمحكم بالظهر وصاحب
العصية اذا بلغ الى رتبة طلب ما فوقها فاذا بلغ رتبة السوود والاتباع ووجد السيل الى
التغلب والظهر لا يتركه لانه مطلوب للنفس ولا يتم اقتدارها عليه الا بالعصية التي يكون
بها متبوعاً فالتغلب الملكي غاية للعصية كما رايت ثم ان القليل الواحد وان كانت فيه
بيوتات مفترقة وعصيات متعددة فلا بد من عصية تكون اقوى من جميعها تغلبها وتستبغها
وتلتهم جميع العصيات فيها وتصور كأنها عصية واحدة كبرى والا وقع الافتراق المنفني
الى الاختلاف والتنازع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ثم اذا حصل
التغلب بتلك العصية على قومها طلبت بطبعها التغلب على اهل عصية اخرى بعيدة عنها
فان كافأ بها او مانعتها كانوا اقنالا وانظارا ولكل واحدة منها التغلب على حوزتها وقومها
شان القبائل والامم المنتشرة في العالم وان غلبتها واستبغتها التحمت بها ايضا وزادتها قوة
في التغلب الى قوتها وطلبت غاية من التغلب والحكم اعلى من الغاية الاولى وابتعد
وهكذا دائماً حتى تكافى بقوتها قوة الدولة فان ادركت الدولة في هزها ولم يكن لها مانع
من اولياء الدولة اهل العصيات استولت عليها وانتزعت الامر من يدها وصار الملك
اجمع لها وان انتهت الى قوتها لم يقارن ذلك هرم الدولة وانما قارن حاجتها الى الاستظهار
باهل العصيات انتظمتها الدولة في اوليائها تستظهر بها على ما يعين من مقاصدها وذلك
ملك اخر دون الملك المستبد وهو كما وقع للترك في دولة بني العباس ولصهاجة وزناتة
مع كنامة ولبنى حمدان مع ملوك الشبة من العلوية والعباسية فقد ظهر ان الملك هو
غاية العصية وانها اذا باغت الى غايتها حصل للقبيلة الملك اما بالاستبداد او بالمظاهرة
على حسب ما يسعه الوقت المقارن لذلك وان عاقها عن بلوغ الغاية عوائق كما نبينة
وقفت في مقامها الى ان يقضي الله بامرو

الفصل الثامن عشر

في ان من عوائق الملك حصول الترف وانفاس القليل في النعم
وسبب ذلك ان القليل اذا غلبت بعصيتها بعض الغلب استولت على النعمة بمقداره
وشاركها اهل النعم والمخصب في نعمهم وخصبهم وضربت معهم في ذلك بسهم وحصه بمقدار
غلبها واستظهار الدولة بها فان كانت الدولة من القوة بحيث لا يطمع احد في انتزاع امرها
ولا مشاركتها فيه اذعن ذلك القليل لولايتها والنوع بما يسوغون من نعمها ويشركون

فيه من جبايتها ولم تسم أمالم إلى شيء من منازع الملك ولا أسمايه إنما هتتم النعيم والكسب
 وخصب العيش والسكون في ظل الدولة إلى الدعة والراحة والاختذ بمذاهب الملك في
 المباني والملابس والاستنكار من ذلك والناقي فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف
 وما يدعو إليه من توابع ذلك فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصية والبسالة
 ويتنعمون فيها أنام الله من البسطة وتنشأ بنوم وإعقابهم في مثل ذلك من الترفع عن خدمة
 أنفسهم وولايتة حاجاتهم ويستنكثون عن سائر الأمور الضرورية في العصية حتى يصير ذلك
 خلقاً لهم وبجدة فتتقص عصيتهم وبسالتهم في الأجيال بعدم يتعاقبها إلى أن تنقرض العصية
 فيأذنون بالانقراض وعلى قدر ترفهم ونعمتهم يكون إشرافهم على الفنا فضلاً عن الملك فإن
 عوارض الترف والفرق في النعيم كاسر من سورة العصية التي بها التغلب وإذا انقرضت
 العصية قصر التهيل عن المدافعة والحماية فضلاً عن المطالبة والنهتهم الأم سوام فقد تبين
 أن الترف من عوائق الملك والله يومئذ ملكة من يشاء

الفصل التاسع عشر

في أن من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل والانتقباد إلى سوام
 وسبب ذلك أن المذلة والانتقباد كاسران لسورة العصية وشدتها فإن انتقبادهم ومذلتهم
 دليل على فقدانها فارتعوا للمذلة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة فاولى أن
 يكون عاجزاً عن المقاومة والمطالبة واعتبر بذلك في بني إسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام
 إلى ملك الشام وأخبرهم بأن الله قد كتب لهم ملكها كيف عجزوا عن ذلك وقالوا إن فيها
 قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها أي يخرجهم الله تعالى منها بضرب من قدرته
 غير عصيتنا وتكون من مهبزاتك يا موسى ولما عزم عليهم لجوا وأرتكبوا العصيان وقالوا لا
 اذهب أنت وربك فقاتلا وما ذلك إلا لما أنسوا من أنفسهم من العجز عن المقاومة والمطالبة
 كما تقتضيه الآية وما يؤثر في تفسيرها وذلك بما حصل فيهم من خلق الانتقباد ومارئوا من الذل
 للقبط أحقاباً حتى ذهب العصية منهم جملة مع أنهم لم يؤمنوا حتى الإيمان بما أخبرهم به موسى من
 أن الشام لم وإن العالقة الذين كانوا باربعاً فرسيتهم بحكم من الله قدره لم فاقصر وأعن ذلك
 وعجزوا نحوياً على ما علموا من أنفسهم من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من خلق المذلة
 وطعنوا فيما أخبرهم به نبيهم من ذلك وما أمرهم به فعاقبهم الله بالتيه وهو أنهم تاهوا في قفر
 من الأرض ما بين الشام ومصر أربعين سنة لم يأتوا فيها العمران ولا نزلوا مصرًا ولا

خاطبوا بشراً كما قصة القرآن لغلظة العاقلة بالشام والقطب بصر عليه الجرم عن مقاومته
كما زعموه ويظهر من مساق الآية ومنهوما ان حكمة ذلك التيه مقصودة وهي فناء الجبل
الذين خرجوا من قبضة الذل والقهر والقوة وتخلقوا به وافسدوا من عصيتهم حتى نشأ في
ذلك التيه جبل اخر عزيز لا يعرف الاحكام والقهر ولا يسام بالمذلة فنشأت بذلك لم
عصية اخرى اقتدروا بها على المطالبة والتغلب ويظهر لك من ذلك ان الاربعين
سنة اقل ما ياتي فيها فناء جبل ونشأ فجبل اخر سبحان الحكيم العليم وفي هذا اوضح دليل
على شان العصية وانها هي التي تكون بها المدافعة والمقاومة والحماية والمطالبة وان من
فقدوها عجز عن جميع ذلك ككرو يلحق بهذا الفصل فيما يوجب المذلة للقبيل شان المغارم
والضرائب فان القبيل الغارمين ما اعطوا اليد من ذلك حتى رضوا بالمذلة فيولان في المغارم
والضرائب ضيماً ومذلة لا تحتملها النفوس الا اذ استهوتت عن القتل والتلف وان
عصيتهم حينئذ ضعيفة عن المدافعة والحماية ومن كانت عصيته لا تدفع عنه الضيم فكيف
له بالمقاومة والمطالبة وقد حصلت له الانتقاد للذل والمذلة عاتقة كما قدمناه. ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم شان الحرث لما رأى سكة الحرث في بعض دور الانصار ما دخلت
هذه دار قوم الا دخلهم الذل هو دليل صريح على ان الغرم موجب للذلة هذا الى ما
يوجب ذل المغارم من خلق المكر والخديعة بسبب ملكة القهر فاذا رايت القبيل بالمغارم
في ربيعة من الذل فلا تطعن لما يملك آخر الدهر ومن هنا يتبين لك غلط من يزعم ان
زنانة بالمغرب كانوا شايبة يؤدون للمغارم لمن كان على عهدهم من الملوك وهو غلط فاحش
كما رايت اذ لو وقع ذلك لما استتب لهم ملك ولا تمت لهم دولة وانظر فيما قاله شهر برار
ملك الباب لعبد الرحمن ابن ربيعة لما اطل عليه وسأل شهر برار امانته على ان يكون
له فقال انا اليوم منكم يدي في ايديكم وصعري معكم فرحاً بكم وبارك الله لنا ولكم وجزئتنا
اليكم النصر لكم والقيام بما تحبون ولا تذولونا بالجزية فتوهونا لعدوكم فاعتبر هذا فيما قلناه
فانه كافٍ

الفصل العشرون

في ان من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس
لما كان الملك طبعياً للانسان لما فيه من طبيعة الاجتماع كما قلناه وكان الانسان
اقرب الى خلال الخير من خلال الشر باصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة لان الشر انما

جاءه من قبل القوى الحيوانية التي فيه وإما من حيث هو إنسان فهو إلى الخير وخلاله
 أقرب والمملك والسياسة إنما كانا له من حيث هو إنسان لانها خاصة للإنسان لا للحيوان
 فإذا خلل الخير فيه هي التي تناسب السياسة والمملك إذا انخر هو المناسب للسياسة وقد
 ذكرنا أن المجد له أصل ينبت عليه ويحقق به حقيقة وهو العصية والعشير وفرع بينهم وجوده
 وبكماله وهو الخلال وإذا كان المملك غاية للعصية فهو غاية لفرعها ومتماتها وهي الخلال
 لأن وجوده دون متمات كوجود شخص مقطوع الأعضاء أو ظهوره عرباناً بين الناس وإذا
 كان وجود العصية فقط من غير انفصال الخلال الحميدة نقصاً في أهل البيوت والأحساب
 فما ظنك بأهل المملك الذي هو غاية لكل مجد ونهاية لكل حسب وإيضاً فالسياسة والمملك
 هي كنهال للخلق وخلافة الله في العباد لتنفيذ أحكامهم وإحكام الله في خلقه وعباده إنما
 هي بالخير ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرائع وأحكام البشر إنما هي من الجهل والشيطان
 بخلاف قدرة الله سبحانه وقدره فإنه فاعل للخير والشر معاً ومقدرها إذاً فاعل سواء فمن
 حصلت له العصية الكفيلة بالقدرة وإونس من خلال الخير المناسبة لتنفيذ أحكام الله
 في خلقه فقد تهيأ للخلافة في العباد وكفالة الخلق ووجدت فيه الصلاحية لذلك وهذا
 البرهان أوثق من الأول وأصح مبنى فقد تبين أن خلال الخير شاهدة بوجود المملك لمن
 وجدت له العصية فإذا نظرنا في أهل العصية ومن حصل لهم من الغلب على كثير من
 النواحي والام فوجدناهم يتنافسون في الخير وخلاله من الكرم والعفو عن الزلات والاحتمال
 من غير القادر والقرى للضيوف وحمل الكل وكسب المعدم والصبر على المكارة والوفاء
 بالعهد وبذل الأموال في صون الأعراض وتعظيم الشريعة وإجلال العلماء الحاملين لها
 والوقوف عند ما يحدونه لهم من فعل أو ترك وحسن الظن بهم واعتقاد أهل الدين
 والتبرك بهم ورغبة الدعاء منهم وإحياء من الأكابر والمشايخ وتوقيرهم وإجلالهم والانتقاد
 إلى الحق مع الداعي إليه وإنصاف المستضعفين من أنفسهم والتبذل في أحوالهم والانتقاد
 للحق والتواضع للمسكين وإستماع شكوى المستغيثين والتدين بالشرائع والعبادات والقيام
 عليها وعلى أسبابها والتجافي عن القدر والمكر والمخدبة ونقض العهد وأمثال ذلك فعلنا
 أن هذه خلق السياسة قد حصلت لديهم واستحقوا بها أن يكونوا ساسة لمن تحت أيديهم
 أو على العموم وأنه خير ساقاة الله تعالى إليهم مناسب لعصيتهم وغلبيهم وليس ذلك سلباً
 فيهم ولا وجد عبثاً منهم والمملك أنسب المراتب والخبرات لعصيتهم فعلنا بذلك أن الله
 تأذن لهم بالمملك وساقاة إليهم وبالعكس من ذلك إذا تأذن الله بأنقراض المملك عن أمة

حمله على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل السياسية
 منهم جملة ولا تزال في انقصاص الى ان يخرج الملك من ايديهم ويتبدل بسوام ليكون
 نعيماً عليهم في سلب ما كان الله قد اناهم من الملك وجعل في ايديهم من الخير واذا اردنا
 ان نهلك قرية امرنا مترقبها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً واستقر ذلك
 وتبعه في الامم السابقة تجمد كثيراً ما قلناه وزمناء والله يخلق ما يشاء ويختار واعلم ان من
 خلال الكمال التي يتنافس فيها القبائل اولو العصية وتكون شاهدة لهم بالملك اكرام
 العلماء والصالحين والاشراف واهل الاحساب واصناف التجار والغرباء وانزال الناس
 منازلهم وذلك ان اكرام القبائل واهل العصيات والعشائر لمن يتباهضهم في الشرف
 ويحاذيهم جل العشير والعصية ويشاركهم في اتساع الجاه امر طبيعي يحمل عليه في الاكثر
 الرغبة في الجاه او المخافة من قوم المكرم او الناس مثلها منه واما امثال هؤلاء من ليس لهم
 عصية نتقى ولا جاه يرمي فيندفع الشك في شان كرامتهم ويتحعض القصد فيهم انه للجد
 وانتحال الكمال في الخلال والاقبال على التماس بالكلية لان اكرام اقتالوا وامثالوا
 ضروري في السياسة الخاصة بين قبيلتين ونظرائه واکرام الطارين من اهل الفضائل
 والخصوصيات كمال في السياسة العامة فالصالحون للدين والعلماء للجماعي اليهم في اقامة مراسم
 الشريعة والتجار للترغيب حتى تعم المنفعة بما في ايديهم والغرباء من مكارم الاخلاق
 وانزال الناس منازلهم من الانصاف وهو من العدل فيعلم بوجود ذلك من اهل عصيتهم
 انتقامهم للسياسة العامة وهي الملك وان الله قد تأذن بوجودها فيهم لوجود علاماتها ولهذا
 كان اول ما يذهب من القليل اهل الملك اذا تأذن الله تعالى بسلب ملكهم وسلطانهم
 اكرام هذا الصنف من الخلق فاذا رأيت قد ذهب من أمة من الامم فاعلم ان الفضائل
 قد اخذت في الذهاب عنهم وارثب زوال الملك منهم واذا اراد الله بقوم سوء فلا
 مرد له والله تعالى اعلم

الفصل الحادي والعشرون

في انه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها اوسع
 وذلك لانهم اقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه واستعباد الطوائف لقسرهم على
 محاربة الامم سوام ولاهم ينتزلون من الاهلين منزلة المتقرب من الحيوانات العجم وهؤلاء
 مثل العرب وزنات ومن في معانهم من الاكراد والتركمان واهل اللثام من صنهاجة

وايضاً فهؤلاء المتوحشون ليس لهم وطن يرتافعون منه ولا بلد يحفون اليه فنسبة الاقطار
والخاطن اليهم على السواء فلماذا لا يقتصرون على ملكة قطرم وما جاورهم من البلاد ولا
يقفون عند حدود أقطام بل يظفرون الى الاقاليم البعيدة ويتطلبون على الامم النائية
وانظر ما يحكي في ذلك عن عمر رضي الله عنه لما بويج وقام يحرض الناس على العراق فقال
ان الحجاز ليس لكم بدار الا على النجمة ولا يقوى عليه اهله الا بذلك امن القراء المهاجرون
عن موعده الله سبروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب ان يورثكموها فقال ليظهره
على الدين ككولو لو كره المشركون واعتبر ذلك ايضاً بحال العرب السالفة من قبل مثل
التبابعة وحير كيف كانوا يخطون من اليمن الى المغرب مرة وإلى العراق والهند اخره
ولم يكن ذلك لغير العرب من الامم وكذا حال المسلمين من المغرب لما نزعوا الى الملك
طفروا من الاقليم الأول ومجالاتهم منه في جوار السودان الى الاقليم الرابع والخامس في
ممالك الاندلس من غير واسطة وهذا شأن هذه الامم الوحشية فلذلك تكون دولتهم
اوسع نطاقاً وبعده من مراكزها نهاية والله يقدّر الليل والنهار وهو الواحد التهار لاشريك له

الفصل الثاني والعشرون

في ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من امة فلا بد من

عوده الى شعب آخر منها ما دامت لم العصية

والسبب في ذلك ان الملك انما حصل لم بعد سورة القلب والاذعان لم من سائر
الامم سواء فيتعين منهم المباشرون للامم الحاملون سرير الملك ولا يكون ذلك لجميعهم
لما هم عليه من الكثرة التي يضيق عنها نطاق المراحة والغفوة التي تجدع انوف كثير من
المتطاولين للربة فاذا تعين اولئك القائمون بالدولة انفسوا في النعيم وغرقوا في بحر
الترف والنخس واستعبدوا اخوانهم من ذلك الجيل وانتفوم في وجوه الدولة ومذاهبها
وبقي الذين بعدوا عن الامم وكجها عن المشاركة في ظلم من عز الدولة التي شاركوها
بنسبهم وبمخافة من الهرم لبعدهم عن الترف واسبابه فاذا استولت على الاولين الايام
واباد غصراءهم الهرم فطغيتهم الدولة واكل الدهر عليهم وشرب بما ارفه النعيم من حدم
واشتفت غريزة الترف من مائهم وبلغوا غايته من طبيعة التمدن الانساني والتقلب
السياسي (شعر)

كدود الفز ينسج ثم ينفي بمركر نسج في الانعكاس

كانت حيثئذ عصية الآخرين موفورة وسورة غلبهم من الكاسر محفوظة وشارتهم في الغلب معلومة فتسبوا ما لهم الى الملك الذي كانوا ممنوعين منه بالقوة الغالبة من جنس عصيتهم وترتفع المنازعة لما عرف من غلبهم فيستولون على الامر ويصير اليهم وكذا يتفق فيهم مع من بقي ايضاً متنبذاً عنه من عشائريهم فلا يزال الملك ملجأ في الامة الى ان تنكسر سورة العصية منها او يفتي سائر عشائريها سنة الله في الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين واعتبر هذا بما وقع في العرب لما انقض ملك عاد قام يومئذ بعدهم اخوانهم من ثمود ومن بعدهم اخوانهم العالفه ومن بعدهم اخوانهم من حمير ومن بعدهم اخوانهم التابعة من حمير ايضاً ومن بعدهم الاخواء كذلك ثم جاءت الدولة لضر وكذا الفرس لما انقض امر الكينية ملك من بعدهم الساسانية حتى تأذن الله بانقراضهم اجمع بالاسلام وكذا اليونانيون انقض امرهم وانتقل الى اخوانهم من الروم وكذا البربر بالمغرب لما انقض امر مغراة وكنانة الملوك الاول منهم رجع الى صنهاجة ثم الملقين من بعدهم ثم المصامدة ثم من بقي من شعوب زناتة وهكذا سنة الله في عباده وخلقه واصل هذا كله انما يكون بالعصية وهي متناوته في الاجيال والملك يخلقه الترف ويذهب كما سذكروا بعد فاذا انقضت دولة فانما يتناول الامر منهم من له عصية مشاركة لعصيتهم التي عرف لها التسليم والانقياد واونس منها الغلب لجميع العصيات وذلك انما يوجد في النسب القريب منهم لان تفاوت العصية بحسب ما قرب من ذلك النسب التي هي فيه او بعد حتى اذا وقع في العالم تبدل كبير من تحويل ملة او ذهاب عمران او ما شاء الله من قدرته فيحدث بخرج عن ذلك الجبل الى الجبل الذي ياذن الله بقيامه بذلك التبدل كما وقع لضرحين غلبوا على الام والدول واخذوا الامر من ايدي اهل العالم بعد ان كانوا مكبوحين عنه احقاباً

الفصل الثالث والعشرون

في ان المغلوب مولع ابداً بالافتداء بالغالب في

شعاره وز به وتخلطه وسائر احواله وعوائده

والسبب في ذلك ان النفس ابداً تعتقد الكمال فيمن غلبها واتقادت اليه اما نظره بالكمال بما وفر عندها من تعظيمه او لما تفالط به من ان اقتادها ليس لغلب طبعي انما هو لكمال الغالب فاذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقاداً فانتقلت جميع مذاهب الغالب ونشبت به وذلك هو الافتداء او لما تراه والله اعلم من ان غلب الغالب لما ليس

بعصية ولا قوة بأس وإنما هو بما انخلت من العوائد والمذاهب تغالط ايضا بذلك عن الغلب وهذا راجع للاول ولذلك ترى المغلوب يتشبه ابدا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها واشكالها بل وفي سائر احواله وانظر ذلك في الابناء مع ابائهم كيف تجدم متشبهين بهم دائما وما ذلك الا لاعتقاد الكمال فيهم وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على اهله ورياح الحامية وجند السلطان في الاكثر لانهم الغالبون لهم حتى انه اذا كانت امة تجاور اخرى ولها الغلب عليها فيسري اليهم من هذا التشبه والافتداء حظ كبير كما هو في الاندلس لهذا العهد مع ام الجلالة فانك تجدم يتشبهون بهم في ملابسهم وشارائهم واكثر من عوائدهم واحوالهم حتى في رسم الناييل في الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة انه من علامات الاستيلاء والامر لله . وتامل في هذا سر قولهم العامة على دين الملك فانه من بابو اذا الملك غالب لمن تحت يده والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه واعتقاد الابناء بابائهم والمتعلمين بمعلميهم والله العالم الحكيم وبه سبحانه وتعالى التوفيق .

الفصل الرابع والعشرون .

في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها اسرع اليها الفناء والسبب في ذلك والله اعلم ما يحصل في النفوس من التكاثر اذا ملك امرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم فيقصر الامل ويضعف التماسك والاعتماد وانما هو عن جدة الامل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية فاذا ذهب الامل بالتكاثر وذهب ما يدعوا اليه من الاحوال وكانت العصية ذاهبة بالغلب الحاصل عليهم تناقص عمرانهم وتلاشت مكاسمهم ومساعدتهم وعجزوا عن المدافعة عن انفسهم بما خشد الغلب من شوكتهم فاصحوا مغلبين لكل مغلب وطعمة لكل اكل وسواها كانوا حصلوا على غايتهم من الملك ام لم يحصلوا وفيه والله اعلم سر آخر وهو ان الانسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له والرئيس اذا غلب على رياسته وكبح عن غاية عزه تكاسل حتى عن شيع بطونه وري كيدته وهذا موجود في اخلاق الاناسي ولقد يقال مثله في الحيوانات المفترسة وانها لا تسافل اذا كانت في ملكة الا دميين فلا يزال هذا القليل المملوك عليه امره في تناقص واضمحلال الى ان ياخذم الفناء والبقاء وحده واعتبر ذلك في امة الفرس كيف كانت قد ملأت العالم كثرة ولما فنيت حاميتهم في ايام العرب بقي

منهم كثير واكثر من الكثير يقال ان سعداً أحصى من وراء المدائن فكانوا مائة ألف وسبعة وثلاثين ألفاً منهم سبعة وثلاثون ألفاً رب بيت ولما تحصلوا في ملكة العرب وقبضة القهر لم يكن بقاؤهم الا قليلاً ودثروا كأن لم يكونوا ولا تحسبن ان ذلك لظلم نزل بهم أو عدوان شملهم فملكه الاسلام في العدل ما علمت وإنما هي طبيعة في الانسان اذا غلب على امره وصار آله لغيره ولهذا انما تدعن للرق في الغالب أم السودان لنقص الانسانية فيهم وقربهم من عرض الحيوانات العجم كما قلناه أو من يرجو بانتظامهم في رتبة الرق حصول رتبة أو افادة مال أو عز كما يقع للملك الترك بالمشرق والعروج من الجلالة والافرنجة بالاندلس فان العادة جارية باستخلاص الدولة لم فلا ياتون من الرق لما ياملونه من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

الفصل الخامس والعشرون

في ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط

• وذلك أنهم بطبيعة التوحش الذي فيهم اهل انتهاب وعيث ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطروا يفرّون الى متجهم بالفقر ولا يذهبون الى المزاحمة ولا الهاربة الا اذا دفعوا بذلك عن انفسهم فكل معقل أو مستصعب عليهم فهم تاركوه الى ما يسهل عنه ولا يعرضون له والقبائل الممنعة عليهم باوعار الجبال بمنجاة من عيشهم وفسادهم لانهم لا يتسبون اليهم المضاي ولا يركبون الصعاب ولا يحاولون الخطر واما البسائط فتي اقتدروا عليها بنقدان الحامية وضعف الدولة فهي نهب لهم وطعمة لا كلهم يرددون عليها الغارة والنهب والزحف لسهولتها عليهم الى ان يصح اهلها مغلبين لهم ثم يتعاورونهم باختلاف الايدي وانحراف السياسة الى ان يفرض عمرانهم والله قادر على خلقه وهو الواحد القهار لا رب غيره

الفصل السادس والعشرون

في أن العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب

والسبب في ذلك انهم أمة وحشية باستحكام عوائد التوحش واسباغ فيهم فصار لهم خلقاً وجيلة وكان عندهم مللواذاً لما فيه من الخروج عن رتبة الحكم وعدم الانقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافية للعران ومناقضة لفة فغاية الاحوال العادسية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذي هو العرمان ومناف لفة فالحجر مثلاً انما

حاجتهم اليو نصيباً ثانياً في القدر فينقلونه من الماني ويحترقونها عليه ويعدون لذلك والخشب
 ايضاً انما حاجتهم اليو ليعمروا بيوتهم ويخذوا الاوتاد منه ليوتمهم فيحربون السقف عليه
 لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافية للبنا الذي هو اصل العمران هذا في حالهم على العموم
 وايضاً فطبيعتهم انتهاب ما في ايدي الناس وان رزقهم في ظلال رماحهم وليس عندهم في
 اخذ اموال الناس حديتتهون اليو بل كلما امتدت اعينهم الى مال او متاع او ماعون انتهت
 فاذا تم اقتدارهم على ذلك بالغلب والمملك بطلت السياسة في حفظ اموال الناس وخرب
 العمران وايضاً فلانهم يكتفون على اهل الاعمال من الصنائع والحرف اعمالهم لا يرون لها قيمة
 ولا قسطاً من الاجر والثمن والاعمال كما سذكركم هي اصل المكاسب وحقيقتها واذا فسدت
 الاعمال وصارت مجاناً ضعفت الامال في المكاسب وانقبضت الايدي عن العمل وانزعج
 الساكن وفسد العمران وايضاً فانهم ليست لهم عناية بالاحكام وزجر الناس عن المناسد
 ودفاع بعضهم عن بعض انما هم ما ياخذونه من اموال الناس نهباً او غرامة فاذا توصلوا
 الى ذلك وحصلوا عليه اعرضوا عما بعده من تسديد احوالهم والنظر في مصالحهم وقهر بعضهم
 عن اغراض المناسد وربما فرضوا العقوبات في الاموال حرصاً على تحصيل الفائدة والحماية
 والاستكثار منها كما هوشانهم وذلك ليس بمن في دفع المناسد وزجر المتعرض لها بل يكون
 ذلك زائداً فيها لاستسهال الغرم في جانب حصول الغرض فتبقى الرعايا في ملكهم كأنها
 فوضى^(١) كون حكم والنوضى مهلكة للبشر منسدة للعمران بما ذكرناه من ان وجود الملك خاصة
 طبيعية للانسان لا يستقيم وجودهم واجتماعهم الا بها وتقدم ذلك اول النصل وايضاً فهم
 متنافسون في الرياسة وقل ان يسلم احد منهم الامر لغيره ولو كان اباه او اخاه او كبير
 عشيرته الا في الاقل وعلى كره من اجل الحياء فيتعدد الاحكام منهم والامراء وتختلف الايدي
 على الرعية في الحماية والاحكام فيفسد العمران وينتقض قال الاعرابي الوافد على عبد الملك
 لما ساله عن الحجاج واراد البناء عليه عنده بحسن السياسة والعمران فقال تركته يظلم وحده
 وانظر الى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الاوطان من لدن الخليفة كيف نقوض عمرانه واقفر
 ساكنوه بدلت الارض فيه غير الارض فالين قرارهم خراب الا قليلاً من الامصار وعراق
 العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس اجمع والشام لهذا العهد كذلك وافريقية
 والمغرب لما جاز اليها بنو هلال وبنو سليم منذ اول المائة الخامسة ونرسوا بها ثلاثمائة وخمسين
 من السنين قد لحق بها وعادت بساكنه خراباً كلها بعد ان كان ما بين السودان والبحر الرومي
 اوما يعزى الي سبنا علي لا تصلح الناس فوضى لاسراة لم ولا سراة اذا جهالم سادوا

كلو عمراناً تشهد بذلك آثار العمران فيمن المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمناشر
والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الفصل السابع والعشرون

في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم من الدين على الجملة
والسبب في ذلك انهم لخلق التوحش الذي فيهم اصعب الامم انقياداً بعضهم لبعض
للفظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة فقلما تجتمع اميالهم فاذا كان الدين
بالنبوة او الولاية كان الوازع لهم من انفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منههم فسهل
انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للفظه والانفة الوازع عن التماسد
والتنافس فاذا كان فيهم النبي او الولي الذي يعينهم على القيام بامر الله ويذهب عنهم
مذمومات الاخلاق وياخذهم بمحمودها ويولف كلمتهم لظهار الحق ثم اجتماعهم وحصل
لهم التغلب والملك وهم مع ذلك اسرع الناس قبولاً للحق والهدى لسلامة طباعهم من
عوج الملكات وبرائتها من فميم الاخلاق الا ما كان من خلق التوحش القريب المعانة
التمهيء لقبول الخير ببقائه على الفطرة الاولى وبعده عما يتطبع في النفوس من قبيح العوائد
وسوء الملكات فان كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم

الفصل الثامن والعشرون

في ان العرب اعد الامم عن سياسة الملك

والسبب في ذلك انهم اكثر بدابة من سائر الامم وابعد مجالاً في الفقر واغنى عن
حاجات التلؤلؤ وحبوبها لا عنيادهم الشظف وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب
انقياد بعضهم لبعض لا يلاهم ذلك والتوحش ورئيسهم محجاج البهم غالباً للعصية التي بها
المدافعة فكان مضطراً الى احسان ملكهم وتركهم اغيبتهم لئلا ينجعل عليه شان عصيته فيكون
فيها هلاكة وهلاكهم وسياسة الملك والسلطان تقتضي ان يكون السائس وازعاً بالقهر
والا لم تستقم سياسته وايضاً فان من طيعتهم كما قدمناه اخذ ما في ايدي الناس خاصة
والتجاء في عما سوى ذلك من الاحكام بينهم ودفاع بعضهم عن بعض فاذا ملكوا امة من
الامم جعلوا غاية ملكهم الاتقاع باخذها في ايديهم وتركوا ما سوى ذلك من الاحكام
بينهم وربما جعلوا العقوبات على المنافس في الاموال حرصاً على تكثير الجبايات وتحصيل
الفوائد فلا يكون ذلك وازعاً وربما يكون باعناً بحسب الاغراض الباعقة على المنافس

واستهانة ما يعطي من ماله في جاسب غرضه فتنهوا الماسد بذلك ويقع تخريب العمران
فتبقى تلك الامة كأنها فوضت مستطيلة ايدي بعضها على بعض فلا يستقيم لها عمران وتخرب
سريعاً شأن الفوضى كما قدمناه فتعدت طباع العرب لذلك كله عن سياسة الملك وإنما
يصيرون البها بعد انقلاب طباعهم وتندلها بصفة دسيسة نحو ذلك منهم وتجعل الوازع لهم
من انفسهم وتعلمهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض كما ذكرناه واعتبر ذلك بدولتهم
في الملة لما شيد لهم الدين امر السياسة بالشرعة واحكامها المراعية لمصالح العمران
ظاهراً وباطناً ونتاج فيها الحلفاء عظم حينئذ ملكهم وقوي سلطانهم كان رسم اذا رأى
المسلمين يجتمعون للصلاة يقول اكل عمر كدي يعلم الكلاب الا داب ثم انهم بعد ذلك
انقطعت منهم عن الدولة احوال سذوا الدين فنسوا السياسة ورجعوا الى قهرم وجهلوا
شأن عصبيتهم مع اهل الدولة لعدم عن الانقياد واعطاء النصبة فتوحشوا كما كانوا ولم
يتق لهم من اسم الملك الا انهم من جسد الحلفاء ومن جيلهم ولما ذهب امر الخلافة واعني
رسمها انقطع الامر حلة من ايديهم وغلب عليهم العهم دونهم واقاموا في بادية قنارم لا يعرفون
الملك ولا سياسته بل قد يجهل الكثير منهم انهم قد كان لهم ملك في القدم وما كان في القدم
لا حدس الامر في الحليفة ما كان لا جبالهم من الملك ودول عاد وحمود والعالفه وحمير والسابعة
شاهدة بذلك ثم دولة مصر في الاسلام هي أمية وهي العباس لكن بعد عهدهم بالسياسة
لما نسوا الدين فرجعوا الى اصلهم من البداوة وقد يحصل لهم في بعض الاحيان غلب على
الدول المستعصمة كما في المغرب لهذا العهد فلا يكون ماله وعاقبة الا تخرب ما يستولون
عليه من العمران كما قدمناه والله يوتي ملكة من يشاء

الفصل التاسع والعشرون

في ان الرادي من القنائل والعصائب مفلومون لاهل الامصار
قد تقدم لما ان عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر والامصار لان الامور
الضرورية في العمران ليس كلها موجودة لاهل البدو وإنما توجد لديهم في مواطنهم امور الطخ
وموادها معدومة ومعظمها الصنائع فلا توجد لديهم في الكليتين نثار وخياط وحداد ومثال
ذلك مما يقيم لهم ضرور ياتي معاشهم في الطخ وغيره وكذا الدنانير والدرهم مفقودة لديهم
وإنما بأيديهم اعراضها من مغل الزراعة واعيان الحيوان أو فصلاو ألنا وأوباراً
واشعاراً وإهناً مما يحتاج اليه اهل الامصار فيعوضونهم عنه بالدنانير والدرهم الا ان

حاجتهم الى الامصار في الضروري وحاجة اهل الامصار اليهم في الحاجي والكمالي فهم
 محتاجون الى الامصار بطبيعة وجودهم بما داموا في البادية ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء
 على الامصار فهم محتاجون الى اهلها ويتصرفون في مصالحهم وطاعتهم متى دعوا الى ذلك
 وطالبهم به وان كان في المصر ملك كان خصومهم وطاعتهم لعلم الملك وان لم يكن في
 المصر ملك فلا بد فيؤم رئاسة وروع استناد من بعض اهلها على الباقيين والا انتقض
 عمرانه وذلك الرئيس يحملهم على طاعته والسعي في مصالحه اما طوعاً بعد المال لم تم
 يدي لم ما يحتاجون اليومن الضروريات في مصر فيستقيم عمرانهم واما كرهاً ان تمت
 قدرته على ذلك ولو بالتغريب بينهم حتى يحصل له جاسمهم بغالب به الباقيين فيصطر
 الباقيون الى طاعته ما يتوقعون لذلك من فساد عمرانهم وربما لا يسعهم مارقة تلك النواحي
 الى جهات اخرى لان كل الجهات معمور بالدواب والدين علواً عليها وسعواها من غيرها
 فلا يجد هؤلاء ملجأ الا طاعة المصرهم بالضرورة مغلوبون لاهل الامصار والله قاهر
 فوق عباده وهو الواحد الاحد الفهار

الفصل الثالث من الكتاب الاول

في الدول العامة والملك والحلاقة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك
 كل من الاحوال وفي قواعد ومتممات

الفصل الاول

في ان الملك والدولة العامة اما يحصلان بالقبيل والعصية

وذلك اما قررنا في الفصل الاول ان المغالبة والمناعة انما تكون بالعصية لما فيها
 من العرة والتدابر واستفانة كل واحد منهم دون صاحبه ثم ان الملك منصب شريف
 ملودود يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والتهوات الدنية والملاذ النسانية فيقع فيه
 التنافس غالباً وقل ان بسطة احد لصاحبه الا اذا غلب عليه فتقع المنازعة وتنضي الى
 الحرب والقتال والمغالبة وشي منها لا يقع الا بالعصية كما ذكرناه انما وهذا الامر بعيد
 عن افهام الجمهور بالجملة ومتناسون له لانهم سوا عهد تهيد الدولة منذ اولها وطال امد
 مرانهم في الحصار وتعاقبهم فيها جلاً بعد جيل فلا يعرفون ما فعل الله اول الدولة انما
 يدركون اصحاب الدولة وقد استحكمت صفتهم ووقع التسليم لم والاستغناء عن العصية
 في تهيد امرهم ولا يعرفون كيف كان الامر من اوله وما لقي اولهم من المتاعب دونه

وخصوصاً اهل الاندلس في نسيان هذه العصية وانزها لطول الامد واستغاثهم في الغالب عن قوة العصية بما تلاشي وطنهم وخلا من العصائب والله قادر على ما يشاء وهو بكل شيء عليم وهو حساس وعلم الوكيل

الفصل الثاني

في امه اذا استقرت الدولة ومهدت فقد نستغني عن العصية

والسبب في ذلك ان الدول العامة في اولها يصعب على النفوس الاقياد لها الا بقوة قوية من العلب للفران وان الناس لم يالوا ملكها ولا اعنادوه فاذا استقرت الرئاسة في اهل النصاب المخصوص بالملك في الدولة وتواتر توهم واحد بعد آخر في أعقاب كثيرين ودول متعاقبة سبغت النفوس شان الاولية واستحكمت لاهل ذلك النصاب صفة الرئاسة ورجح في العقائد دس الاقياد لهم والتسليم وقاتل الناس معهم على امرهم فتالم على العقائد الامامية فلم يمحوا حينئذ في امرهم الى كبير عصاة بل كان طاعتها كتاب من الله لا يبدل ولا يعلم خلافة ولا مرما يوضع الكلام في الامامة آخر الكلام على العقائد الامامية كانه من حيلة عقودها ويكون استظهارهم حينئذ على سلطانهم ودولتهم المخصوصة اما بالموالي والمصطفيين الذين نشأوا في ظل العصية وغيرها واما بالعصائب الخارجين عن نسبها الداخليين في ولايتها ومثل هذا وقع لسي العباس فان عصية العرب كانت فسدت لعهد دولة المعتصم واسو الواتق واستظهارهم بعد ذلك انما كان بالموالي من العمم والترك والديلم والسلجوقية وغيرهم ثم تغلب الهمم الاولياء على السواحى وتقلص ظل الدولة فلم تكن تعدوا اعمال بغداد حتى رجع اليها الديلم وملكوها وصار الخلائق في حكمهم ثم افترض امرهم وملك السلجوقية من عدم فصاروا في حكمهم ثم افترض امرهم وزحف آخر التار فقتلوا الخليفة ومحو رسم الدولة وكذا صنهاجة بالمغرب فسدت عصبيتهم منذ المائة الخامسة او ما قبلها واستمرت لم الدولة متقلصة الطل بالمهدية وبجاية والقلعة وسائر ثغور افريقية وربما انتزى بترك الثغور من نارهم الملك واعتصم فيها والسلطان والملك مع ذلك مسلم لم حتى تأذن الله بافراض الدولة وجاء الموحدون بقوة قوية من العصية في المصامدة معها آثارهم وكذا دولة بني امية بالاندلس لما فسدت عصبيتها من العرب استولى ملوك الطوائف على امرها واقتسموا خطتها وتنافسوا بينهم وتوزعوا ممالك الدولة وانتزى كل واحد منهم على ما كان في ولايته وشيخ باغو وبلغهم شان

البحر مع الدولة العباسية فلقوا بالقاب الملك ولسوا شاراتها واما من ينقض ذلك عليهم او
 يغيره لان الاندلس ليس بدار عصائير ولا قتائل كما سد كرموا ستم لم ذلك كما قال اس شرف
 بما يرهدي في ارض اندلس اساء معتصم فيها ومعتصم
 القاب مملكة في غير موضعها كالمريجي انتما حاصورة الاسد
 فاستطروا على امرهم بالموالي والمصطفيين والطراء على الاندلس من اهل العدو من
 قتائل البررورانية وغيرهم اقتداء بالدولة في اخر امرها في الاستطهار بهم حين ضعفت
 عصية العرب واستنداس الي عامر على الدولة فكان لم دول عظيمة استندت كل واحدة
 منها بحساب من الاندلس وحظا كبير من الملك على نسة الدولة التي اقتسموها ولم يرالها
 في سلطانهم ذلك حتى حار اليهم البحر المراتلون اهل العصية القوية من لمتونة فاستندوا
 بهم وارالهم عن مراكزهم ومحو اثارهم ولم يقتدروا على مدافعهم لفقدان العصية لديهم
 فبهذه العصية يكون تهديد الدولة وحمايتها من اولها وقد طر الطرطوتي ان حامية
 الدول اطابقهم اهل العطاء المروض مع الاهلة ذكر ذلك في كتابه الذي ساء
 سراج الملوك وكلامه لا يتناول تاسيس الدول العامة في اولها وانما هو مخصوص بالدول
 الاحيرة بعد التهدد واستقرار الملك في النصاب واستحكام الصعة لاهله فالرجل انما ادرك
 الدولة عدد هرمها وحلق حديثها ورجوعها الى الاستطهار بالموالي والصانع ثم الى
 المستعدين من ورائهم الاخر على المدافعة فانه انما ادرك دول الطوائف وذلك عدد
 اختلال دولة بني امية واقراض عصيتها من العرب واستنداد كل امير بقطره وكان
 في ايلة المستعدين هود وابيه المظفر اهل سرقسطة ولم يكن بقي لم من امر العصية شي
 لاستيلاء الترف على العرب مد ثلاثمائة من السنين وهلاكهم ولم ير الا سلطانا مستندا
 بالملك عن عنانته قد استحكمت له صعة الاستنداد مد عهد الدولة وبقية العصية هو
 لذلك لا يبارع فيه ويستعين على امره بالاحراء من المرتقة فاطلق الطرطوشي القول في
 ذلك ولم يتفطن لكيفية الامر مد اول الدولة وانه لا يتم الا لاهل العصية فتتطلى استلة
 وامهم سر الله فيه والله يوتي ملكه من يشاء

الفصل الثالث

في انه قد يحدث لبعض اهل النصاب الملكي دولة تستغني عن العصية
 وذلك انه اذا كانت لعصية علب كثيرة على الامم والاحبال وفي بنوس الفاتحين

بامر من اهل القاضية ادعان لم واقباد فاذا سرع اليهم هذا الخارج واشد عن مقر ملكه
ومبت عرو استملوا عليه وقاموا بامر وطاهروا على شانه وعمل بتهديد دولته يرحون
استقراره في نصابه وساوله الامر من يد اغياصه واجراءه لم على مظاهرتو باصطحابهم
ارنس الملك وخططو من وزارة او قيادة او ولاية تعرفوا لا يجمعون في مشاركيه في تهي
من سلطاهم تسليما لعصبيته واقبادا لما استحكم له ولقومو من صعدة القلب في العام وعقيد
ايمانية استقرت في الادعان لم فلورا موها معه او دولة لرلرت الارض لرلها وهذا كما
وقع للادارة بالمغرب الأقصى والعبيدين مافريقية ومصر لما اشد الظاليون من المشرق
الى القاضية واتعدوا عن مقر الخلافة وسموا الى طلبها من ايدي بني العباس بعد ان
استحكمت الصفة لبي عبد مناف لني أمية أولا ثم لني هاتم من بعدهم محرجوا بالقاضية
من المغرب ودعوا لانفسهم وقام بامرهم الدارة مرة بعد اخرى فاورنة ومغيلة للادارة
وكنامة وصباحة وهجرة للعبيدين فتيدوا دولتهم ومهدوا بعصائهم امرهم واقطعوا من
ممالك العباسيين المغرب كله ثم مافريقية ولم يرل ظل الدولة بقلص وطل العبيدين
يمتد الى ان ملكوا مصر والشام والمجاز وقاسمهم في المالك الاسلامية شق الائمة وهؤلاء
الدارة القاتمون بالدولة مع ذلك كلهم مسلمون لا يديدين امرهم مدعون للملكهم وانما
كانوا يتنافسون في الرتبة عديم خاصة تسليما لما حصل من صعدة الملك لني هاتم ولما
استحكم من القلب لفرينس ومصر على سائر الامم فلم يرل الملك في اعقابهم الى ان افرضت
دولة العرب بأسرها والله بحكم لا معتب لحكمه .

الفصل الرابع

في ان الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك اصلها الدين اما من سورة او دعوة حق
وذلك لان الملك انما يحصل بالقلب والقلب انما يكون بالعصبة واتفاق الاهواء
على المطالبة وجمع القلوب وتاليها انما يكون بمعونة من الله في اقامة ديو قال تعالى لو
اعفت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم وسره ان القلوب اذا تداعت الى اهواء
الباطل والليل الى الدنيا حصل التناقص وقتنا الحلاف وادا انصرفت الى الحق ورصفت
الدنيا والباطل واقلت على الله اتحدت وجهتها فذهب التناقص وقل الحلاف وحسن
التعاون والتعاقد واتسع نطاق الكلمة لذلك فعطبت الدولة كما بين لك بعد ان شاء
الله سبحانه وتعالى وبه التوفيق لا رب سواه .

الفصل الخامس

في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العصية التي كانت لها من عددها والسبب في ذلك كما قدمناه ان الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في اهل العصية وتنفرد الوجهة الى الحق فاذا حصل لهم الاستبصار في امرهم لم يقف لهم شيء لان الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم وهم مستميتون عليه واهل الدولة التي هم طالبوها وان كانوا اضعافهم فاغراضهم متباينة بالباطل وتخاذلهم لتقية الموت حاصل فلا يقاومونهم وان كانوا اكثر منهم بل يقبلون عليهم ويعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف والذل كما قدمناه وهذا كما وقع للعرب صدر الاسلام في الفتوحات فكانت جيوش المسلمين بالقادسية والرموك بضعا وثلاثون الفا في كل معسكر وجموع فارس مائة وعشرين الفا بالقادسية وجموع هرقل على ما قاله الواقدي اربعمائة الف فلم يقف للعرب احد من الجبابرة وهزمهم وغلّبهم على ما يديهم واعتبر ذلك ايضا في دولة لثونة ودولة الموحدين فقد كان بالمغرب من القبائل كثير من يقاومهم في العدد والعصية او يشك عليهم الا ان الاجتماع الديني ضاعف قوة عصيتهم بالاستبصار والاستماتة كما قلناه فلم يقف لهم شيء واعتبر ذلك اذا حالت صبغة الدين وفسدت كيف يتنقض الامر ويصير القلب على نسبة العصية وحدها دون زيادة الدين فتغلب الدولة من كان تحت يدها من العصابات المكافئة لها او الزائدة القوة عليها الذين غلبهم بمضاعفة الدين لقومها ولو كانوا اكثر عصية منها واشد بدارة واعتبر هذا في الموحدين مع زناته لما كانت زناته ابدى من المصامدة واشد توحشا وكان للمصامدة الدعوة الدينية باتباع المهدي فلبسوا صبغتها وتضاعفت قوة عصيتهم بها فغلبوا على زناته اولا واستتبعمهم وان كانوا من حيث العصية والبداءة اشد منهم فلما خلوا عن تلك الصبغة الدينية انتقضت عليهم زناته من كل جانب وغلّبهم على الامر وانتزعتهم منهم والله غالب على امره

الفصل السادس

في ان الدعوة الدينية من غير عصية لانهم وهذا لما قدمناه من ان كل امر تحمل عليه الكافة فلا بد له من العصية وفي الحديث الصحيح كما مر ما بعث الله نبيا الا في منعة من قوميه واذا كان هذا في الانبياء وهم اولى الناس بمخرق العوائد فما ظنك بغيرهم ان لا تخرق له العادة في القلب بغير عصية وقد وقع هذا

لابن قسي شيخ الصوفية وصاحب كتاب خلع النملين في التصوف ثار بالاندلس داعياً
 الى الحق وسي اصحابه بالمراطين قبيل دعوة المهدي فاستنسخ له الامر قليلاً لشغل المتونة
 بما دهمهم من امر الموحدين ولم تكن هناك عصائب ولا قبائل يدفعون عنه شأنه فلم يلبث
 حين استولى الموحدون على المغرب ان اذعن لهم ودخل في دعوتهم وتابعهم من معقله
 بمحسن اركش وامكنهم من ثغره وكان اول داعية لم بالاندلس وكانت ثورته تسمى ثورة
 المراطين ومن هذا الباب احوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان
 كثيراً من المتخلفين للعبادة وسلك طرق الدين يذهبون الى القيام على اهل الجور من
 الامراء داعين الى تغيير المنكر والنهي عنه والامر بالمعروف رجاء في الثواب عليه من الله
 فيكثر اتباعهم والمخلصون بهم من الفوضى والدناءة ويعرضون انفسهم في ذلك للمهلك
 واكثرهم يهلكون في تلك السبيل مازورين غير ماجورين لان الله سبحانه لم يكتب
 ذلك عليهم وانما امر به حيث تكون القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم من راي منك
 منكراً فليغيره يده فان لم يستطع فليساؤه فان لم يستطع فليقله واحوال الملوك والدول
 راسخة قوية لا يزعزحها ويهدم بناءها الا المطالبة القوية التي من وراءها عصية القبائل
 والعشائر كما قدمناه وهكذا كان حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم الى الله
 بالعشائر والعصائب وهم المؤيدون من الله بالكون كلوا لو شاء لكنه انما اجري الامور على
 مستقر العادة والله حكيم عليم فاذا ذهب احد من الناس هذا المذهب وكان فيه محققاً
 قصريه الانفراد عن العصية فطاح في هوة الهلاك واذا ان كان من المتلبسين بذلك في
 طلب الرئاسة فاجدر ان تعوقه العوائق وتنقطع به المهالك لانه امر الله لا يتم الا برضاه
 واعانتة والاخلاص له والنصيحة للمسلمين ولا يشك في ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو بصيرة
 واول ابتداء هذه النزعة في الملة ببغداد حين وقعت فتنة طاهر وقتل الامين وابطاً
 المامون بخراسان عن مقدم العراق ثم عهد لعلي بن موسى الرضا من آل الحسين فكشف
 بنو العباس عن وجه التكرير عليه وتداعوا للقيام وخلع طاعة المامون والاستبدال منه
 وبويج ابراهيم بن المهدي فوقع الهرج ببغداد وانطلقت ايدي الزعرة بها من الشطار
 والحرية على اهل العافية والصون وقطعوا السبيل وامتلأت ايديهم من نهب الناس
 وباعوها علانية في الاسواق واستعدي اهلها للحكام فلم يعدوهم فتوافر اهل الدين والصالح
 على منع الفساق وكف عاديهم وقام ببغداد رجل يعرف بمخالد الدريوس ودعا الناس
 الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاجابه خلق وقبائل اهل الزعرة فغلبهم واطلق يده

فيهم بالضرب والتنكيل ثم قام من بعده رجل اخر من سواد اهل بغداد بعرف بسهل
 ابن سلامة الانصاري ويكنى ابا حاتم وعلى مصحفا في عنق وودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي
 عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فاتبعة الناس كافة من بين
 شريف ووضع من بني هاشم فمن دونهم وتزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد
 ومنع كل من اخاف المارة ومنع الخفارة لاولئك الشطار وقال له خالد الدريوس انا
 لا اعيب على السلطان فقال له سهل لكني اقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائن من
 كان وذلك سنة احدى ومائتين وجهازه ابراهيم بن المهدي العساكر فغلبه واسره واخذ
 امره سريعا وذهب ونجا بنفسه ثم اقتدى بهذا العمل بعد كثير من الموسوسين باخذون
 انفسهم باقامة الحق ولا يعرفون ما يحتاجون اليه في اقامتهم من العصبية ولا يشعرون بغيبة
 امرهم وما ل احوالهم والذي يحتاج اليه في امره هو الامانة المدواة ان كانوا من اهل الجبنون
 واما التنكيل بالقتل او الضرب ان احدثوا هرجا واما اذاعة الخبر يا منهم وعدم من جملة
 الصناعين وقد ينسب بعضهم الى الفاطمي المنتظر اما بانه هو او بانه داع له وليس مع
 ذلك على علم من امر الفاطمي ولا ما هو اكثر المتخيلين لقل هذا تجددم موسوسين ومجانين
 او ملبسين يطلبون بمثل هذه الدعوة رياسة امتلات بها جوارحهم وعجزوا عن التوصل
 اليها بشيء من اسبابها العادية فيحسبون ان هذا من الاسباب البالغة بهم الى ما يؤملونه
 من ذلك ولا يحسبون ما ينالهم فيهم من الملكة فيسرع اليهم القتل بما يحدونهم من الفتنة ونسوة
 عاقبة مكرهم وقد كان لاول هذه المائة خرج بالنسوس رجل من المتصوفة يدعى التوبذري
 عمد الى مسجد ماسة بساحل البحر هناك وزعم انه الفاطمي المنتظر تليسا على العامة هنالك
 بما ملأ قلوبهم من الخدثان بانتظاره هنالك وان من ذلك المسجد يكون اصل دعوته
 فيها فثبت عليه طوائف من عامة البربر تماهت الفراش ثم خشي رؤسائهم اتساع نطاق
 الفتنة فدنس اليه كبير المصامدة يومئذ عمر السكسوي ثم قتل في فراشه وكذلك خرج
 في غيابه ايضا لاول هذه المائة رجل يعرف بالعباس وادعى مثل هذه الدعوة واتبع نصيقتهم
 الارذلون من سنهاء تلك القبائل وغارهم وزحف الى بادس من امصارهم ودخلها عنوة ثم
 قتل لاربعين يوما من ظهور دعوته ومضى في المالكين الاولين وامثال ذلك كثير والغلط
 فيه من الغفلة عن اعتبار العصبية في مثلها واما ان كان التليس فاحرى ان لا يتم له امر
 وان يوهب بانمو وذلك جزاء الظالمين والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لا رب غيره
 ولا معبود سواه

الفصل السابع

في ان كل دولة لها حصّة من الممالك والاوطان لا تزيد عليها
والسبب في ذلك ان عصانة الدولة وقومها القائمين بها المهددين لها لا بد من تور بهم
حصصاً على الممالك والثغور التي تصير اليهم ويستولون عليها لحمايتها من العدو وامضاء
احكام الدولة فيها من جباية وردع وغير ذلك فاذا توزعت العصائب كلها على الثغور
والممالك فلا بد من فساد عددها وقد بلغت الممالك حينئذ الى حد يكون نفراً للدولة
وتحماً لوطنها ونطاقاً لمركز ملكها فان تكلمت الدولة بعد ذلك زيادة على ما يدها بقي
دون حامية وكان موضعاً لا يتناهى للفرصة من العدو والمهاور ويعود وبال ذلك على
الدولة بما يكون فيه من التجاسر وخرق سياج الهبة وما كانت العصانة موفورة ولم يند
عددها في توريع المحصص على الثغور والسواحي بقي في الدولة قوة على تناول ما وراء الغاية
حتى يسمح بطاقتها الى عايتو والعلّة الطبيعية في ذلك هي قوة العصبية من سائر القوى
الطبيعية وكل قوة يصدر عنها فعل من الافعال فتأنها ذلك في فعلها والدولة في مركزها
أشد ما يكون في الطرف والطاق واذا انتهت الى النطاق الذي هو العاية عجزت واقتصرت
عما وراءه شأن الاتسعة والاسوار اذا استغثت من المراكر والدوائر المستعصية على سطح الماء من
الفرع عليه ثم اذا ادركها الهرم والصعب فاما تاخذ في التناقص من جهة الاطراف ولا
يرال المركز محبوساً الى ان يتأدس الله ما تقراض الامو حيلة محيثة يكون انقراض المركز
واذا غلب على الدولة من مركزها فلا يسمعها بقاء الاطراف والطاق بل تضهل لوقتها فان
المركز كالقلب الذي تسعته الروح فاذا غلب القلب ومملك انهرم جميع الاطراف وانظر
هذا في الدولة الفارسية كان مركزها المداين فلما غلب المسلمون على المداين انقض امر فارس
اجمع ولم يسمع يزجدر ما بقي بيده من اطراف ممالكهم وبالعكس من ذلك الدولة الرومية
بالشام لما كان مركزها القسطنطينية وعليهم المسلمون بالشام تجوزوا الى مركزهم بالقسطنطينية
ولم يصرم انتزاع الشام من ايديهم فلم يزل ملكهم متصلاً بها الى ان تأدس الله باقراضه وانظر
ايضاً شأن العرب اول الاسلام لما كانت عصائبهم موفورة كيف غلبوا على ما جاورهم من
الشام والعراق ومصر لاسرع وقت ثم تجاوزوا ذلك الى ما وراءه من السند والحبشة وافريقية
والغرب ثم الى الابدلس فلما تفرقوا حصصاً على الممالك والثغور ونزلوها حامية ونفذ
عدهم في تلك التوزيعات اقصروا عن الفتوحات بعد وانتهى امر الاسلام ولم يتجاوز

تلك الحدود ومنها تراجمت الدولة حتى تاذن الله ما فراسها وكذا كان حال الدول من بعد ذلك كل دولة على نسبة القائمين بها في القوة والكثرة وعند ساد عددهم بالتوزيع ينقطع لم التبع والاستيلاء سنة الله في خلقه

الفصل الثامن

في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على سنة القائمين بها في القوة والكثرة والسبب في ذلك ان الملك اما يكون بالعصبة واهل العصبة هم الحامية الدين يبرلون بمالك الدولة واقطارها ويتسبون عليها فما كان من الدولة العامة قبيلها واهل عصبتها اكثر كانت اقوى واكثر ممالك واوطاناً وكان ملكها اوسع لذلك واعتبر ذلك بالدولة الاسلامية لما ألب الله كلمة العرب على الاسلام وكان عدد المسلمين في غرة تنوك آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مائة الف وعشرة الاف من مصر وقطان ما بين فارس وراجل الى من أسلم منهم بعد ذلك الى الوفاة فلما توجهوا لطلب ما في ايدي الامم من الملك لم يكن دولة حتى ولا وزير فاستبج حتى فارس والروم اهل الدولتين العنيتين في العالم لعهدهم والترك بالشرق والافرنجة والدربر بالمغرب والقوط بالاندلس وخطبوا من البحار الى السوس الاقصى ومن اليمن الى الترك ما قصي الشمال واستولوا على الاقاليم السبعة ثم انظر بعد ذلك دولة صحابة والموحدين مع العبيديين قبلهم لما كان كثامة القائمين بدولة العبيديين اكثر من صحابة ومن المصامدة كانت دولتهم اعظم فملكوا افرقية والمغرب والشام ومصر والبحار ثم انظر بعد ذلك دولة رمان لما كان عددهم اقل من المصامدة قصر ملكهم عن ملك الموحدين لتصور عددهم عن عدد المصامدة منذ اول امرهم ثم اعتبر بعد ذلك حال الدولتين لهذا العهد لرمان بني مرين وبني عبد الواد لما كان عددي مرين لاول ملكهم اكثر من بني عبد الواد كانت دولتهم اقوى منها واوسع نطاقاً وكان لهم عليهم العلب مرة بعد أخرى . يقال ان عدد بني مرين لاول ملكهم كان ثلاثة آلاف وان بني عبد الواد كانوا ألفاً الا ان الدولة بالرفه وكثرة التابع كثر من اعدادهم وعلى هذه السنة في اعداد التغلبيين لاول الملك يكون اتساع الدولة وقوتها واما طول امدها ايضاً فعلى تلك النسبة لان عمر الحادث من قوة مزاجه ومزاج الدول اما هو بالعصبة فادنا كانت العصبية قوية كان المراجع تابعاً لها وكان امد العمر طويلاً والعصبة اما هي بكثرة العدد ووفوره كما قلناه والسبب الصحيح في

ذلك ان النفس انما يبدو في الدولة من الاطراف فاذا كانت ممالكها كثيرة كانت اطرافها بعيدة عن مركزها وكثيرة وكل نقص يقع فلا بد له من زمن فتكثر ازمان النفس لكثرة الممالك واخصاص كل واحد منها ينقص وزمان فيكون امدها طويلاً وانظر ذلك في دولة العرب الاسلامية كيف كان امدها اطول الدول لا بوالعاس اهل المركز ولا بنو أمية المستندون بالاندلس ولم ينقص امر جميعهم الا بعد الاربعائة من الهجرة ودولة العبيديين كان امدها قريباً من مائتين وثمانين سنة ودولة صنهاجة دونهم من لدن تقليد مع الدولة امر افريقية بالمكن بن زيري في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة الى حين استيلاء الموحيين على القلعة وبجاية سنة سبع وخمسين وخمسمائة ودولة الموحيين لهذا العهد ناهز مائتين وسبعين سنة وهكذا نسب الدول في اعمارها على نسبة القائمين بها سنة الله التي قد خلت في عباده

الفصل التاسع

في ان الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل ان نستحكم فيها دولة والسبب في ذلك اختلاف الاراء والامواء وان وراء كل رأي منها وهوى عصبية تمنع دونها فيكثر الاتفاض على الدولة والمخرج عليها في كل وقت وان كانت ذات عصبية لان كل عصبية من تحت يدها تطل في نفسها معة وقوة وانظر ما وقع من ذلك بافرريقية والمغرب منذ اول الاسلام ولهذا العهد وان ساكن هذه الاوطان من البربر اهل قبائل وعصبيات فلم يكن فيهم العلب الاول الذي كان لاساني سرح عليهم وعلى الافرنجة شيئاً وعادوا بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد أخرى وعظم الاتحاح من المسلمين فيهم ولما استقر الدين عندهم عادوا الى الثورة والحروج والاحاد يدين الحوارج مرات عديدة قال ابن ابي ريد ارتدت البرابرة بالمغرب اثنتي عشرة مرة ولم تستقر كلمة الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فها بعده وهذا معنى ما ينقل عن عمر بن افرريقة مترقة لقلوب اهلها اشارة الى ما فيها من كثرة العصائب والقبائل الحاملة لم على عدم الاذعان والاقبياد ولم يكن العراق لذلك العهد تلك الصفة ولا الشام اما كانت حاميتها من فارس والروم والكافة ديار اهل مدن وامصار فلما عليهم المسلمون على الامر وانتزعوا من ايديهم لم يبق فيها مانع ولا مشاق والبربر قبائلهم بالمغرب اكثر من ان تحصى وكلهم مادية واهل عصائب وعشائر وكلها هلكت قبيلة عادت الاخرى مكانها والى ديارها من الخلاف والردة فطال

امر العرب في تهديد الدولة بوطن افريقية والمغرب وكذلك كان الامر بالشام لعهد بني
 اسرائيل كان فيه من قتائل فلسطين وكنعان وبني عيصو وبني مدين وبني لوط والروم
 ويونان والعاقلة واكركتش والسط من جاسب الجزيرة والموصل ما لا يحصى كثرة وتنوعاً
 في العصية فصعب على بني اسرائيل تهديد دولتهم وروسخ امهم واضطرب عليهم الملك
 مرة بعد اخرى وسرى ذلك الحلاف اليهم فاخذوا على سلطانهم وخرجوا عليهم ولم يكن لهم
 ملك موطن سائر ايامهم الى ان غلبهم الفرس ثم يونان ثم الروم اخر امهم عند الجلاء والله
 غالب على امره ونعكس هذا ايضاً الاوطان الحالية من العصيات يسهل تهديد الدولة
 فيها ويكون سلطانها وازعالة المخرج والانتفاض ولا تحتاج الدولة فيها الى كثير من العصية
 كما هو الشأن في مصر والشام لهذا العهد اذ هي خلوص القتال والعصيات كان لم يكن
 الشام معداً لهم كما قلناه فملك مصر في غاية الدعة والروسخ لقلعة الحوارج واهل العصابات
 انما هو سلطان ورعية ودولتها قائمة بملوك الترك وعصائهم يعلمون على الامر واحداً بعد
 واحد ويستقل الامر فيهم من منبت الى منبت والحلقة مساة للعاسي من اعقاب الخلفاء
 بغداد وكذا شان الاندلس لهذا العهد فان عصية ابن الاحمر سلطانها لم تكن لاول دولتهم
 بقوة ولا كانت كرات انما يكون اهل بيت من بيوت العرب اهل الدولة الاموية بقوا
 من ذلك القلة وذلك ان اهل الاندلس لما افرضت الدولة العربية من ملكهم البربر من
 لشونة والموحدين سبوا ملكهم ونقلوا طائفتهم عليهم فاشترت القلوب بفصام وامكن
 الموحدون والسادة في اخر الدولة كثيراً من الحصون للطاغية في سبيل الاستظهار به على
 شانهم من تملك الحضرة مراكن فاجتمع من كان بقي بها من اهل العصية القديمة معاد
 من بيوت العرب تخافونهم المستعص على الحاضرة والامصار بعض الشيء ورسخوا في العصية
 مثل اس هودوان الاحمر وان مرديش وامثالهم فقام اس هود بالامر ودعا بدعوة الخلافة
 العاسية بالشرق وحمل الناس على الخروج على الموحدين فشدوا اليهم العهد واخرجوهم
 واستقل اس هود بالامر في الاندلس ثم سما اس الاحمر للامر وخالف اس هود في دعونه
 فدعا هؤلاء لاى اى حصص صاحب افريقية من الموحدين وقام بالامر وتناولوا بعصاة
 قريبة من فرانتو كانوا يسمون الروساء ولم يخرجوا اكثر منهم لقلعة العصابات بالاندلس وانما
 سلطان ورعية تم استظهر بعد ذلك على الطاغية بن مجيز اليو البحر من اعيان زبانة
 فصاروا معه عصبة على المناغرة والرباط ثمها لمصاحب من ملوك زبانة امل في الاستيلاء
 على الاندلس فصاروا لتلك الاعيان عصاة ابن الاحمر على الامتناع منه الى ان نائل

امره وريح والفتة النفوس وعجز الناس عن مطالبته وورثه اعقابه لهذا العهد فلا تظن انه
 بغير عصابة فليس كذلك وقد كان مبدؤه بعصابة الا انها قليلة وعلى قدر الحاجة فان
 قطر الاندلس لقلة العصاب والقبائل فيه يغني عن كثرة العصبية في الثقلب عليهم والله
 غني عن العالمين

الفصل العاشر

في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد

وذلك ان الملك كما قدمناه انما هو بالعصبية والعصبية متألفة من عصابات كثيرة
 تكون واحدة منها اقوى من الاخرى كلها فتغلبها وتستولي عليها حتى تصيرها جميعاً في ضمنها
 وبذلك يكون الاجتماع والغلب على الناس والدول وسره ان العصبية العامة للقبيل في
 مثل المزاج للفتكون والمزاج انما يكون عن العناصر وقد تبين في موضعه ان العناصر
 اذا اجتمعت متكافئة فلا يقع منها مزاج اصلاً بل لابد من ان تكون واحدة منها هي الغالبة على
 الكل حتى تجمعها وتوثلها وتصيرها عصبية واحدة شاملة لجميع العصابات وهي موجودة في
 ضمنها وتلك العصبية الكبرى انما تكون لقوم اهل بيت ورياسة فيهم ولا بد من ان يكون واحد
 منهم رئيساً لهم غالباً عليهم فيتعين رئيساً للعصبيات كلها الغلب منبته لجمعها واذا تعين له
 ذلك فمن الطبيعة الحيوانية خلق الكبر والانفة فيانف حيثئذ من المساهمة والمشاركة في
 استتباعهم والتحكم فيهم ويحيى خلق التالة الذي في طباع البشر مع ما تقتضيه السياسة من
 انفراد الحاكم لفساد الكل باختلاف الحكم لو كان فيها الهة الا الله لفسدت فتجدع حيثئذ
 انوف العصبيات ويطلع شكائهم عن ان يسموا الى مشاركتهم في الحكم وتفرغ عصبيتهم عن
 ذلك وينفرد به ما استطاع حتى لا يترك لاحد منهم في الامر لاناقة ولا جملاً فينفرد بذلك
 المجد بكليته ويدفعهم عن مساهمته وقد ينم ذلك للاول من ملوك الدولة وقد لا يتم الا
 للثاني والثالث على قدر مانعة العصبيات وقوتها الا انه امر لا بد منه في الدول سنة الله
 التي قد خلت في عباده والله تعالى اعلم

الفصل الحادي عشر

في ان من طبيعة الملك الترف

وذلك ان الامة اذا تغلبت وملكت ما بايدي اهل الملك قبلها كثر رياسها ونعمها فتكثر
 عوايدهم وينجاوزون ضرورات العيش وخشوتهم الى نوافله ورقته وزيتوه ويذهبون

الى اتباع من قبلهم في عوائدهم واحوالهم وتصور لتلك النوافل عوائد ضرورية في تحصيلها
ويتزعمون مع ذلك الى رقة الاحوال في الطعام والملابس والفرش والانية ويتفاخرون
في ذلك ويتفاخرون فيه غيرهم من الامم في اكل الطيب وليس الا نيق وركوب الفارة
ويناغي خلفهم في ذلك سلهم الى اخر الدولة وعلى قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك ونزفهم
فيه الى ان يبلغوا من ذلك الغاية التي للدولة ان تبناها بحسب قوتها وعوائد من قبلها سنة
الله في خلقه والله تعالى اعلم

الفصل الثاني عشر

في ان من طيعة الملك الدعة والسكون

وذلك ان الامة لا يحصل لها الملك الا بالمطالبة والمطالبة غايتها الغلب والملك
واذا حصلت الغاية انقضى السعي اليها (قال الشاعر)

عجبت لسعي الدهرييني وبينها فلما انقضى ما يبتنا سكن الدهر

فاذا حصل الملك اقصروا عن المتاعب التي كانوا يتكلفونها في طلبه واثر والراحة
والسكون والدعة ورجعوا الى تحصيل ثمرات الملك من المباني والمساكن والملابس فيبنون
الفصور ويمجرون المياه ويفرسون الرياض ويستمتعون باحوال الدنيا ويؤثرون الراحة
على المتاعب ويتأثرون في احوال الملابس والطعام والانية والفرش ما استطاعوا
ويالئون ذلك ويورثونه من بعدهم من اجيالهم ولا يزال ذلك يتزايد فيهم الى ان يتأذن
الله بامرهم وهو خير الحاكمين والله تعالى اعلم

الفصل الثالث عشر

في ان اذا تحكمت طيعة الملك من الافراد بالجد وحصول الترف والدعة اقبلت الدولة على الهرم
وبيانه من وجوه الاول انها تقتضي الافراد بالجد كما قلناه ومما كان الجهد مشتركاً
بين العصابة وكان سعيهم له واحداً كانت همهم في التغلب على الغير والذب عن الحوزة
اسوة في طيوعها وقوة شكائهم ومرامهم الى العز جميعاً وهم يستطيعون الموت في بناء مجد
ويؤثرون اهلكتهم على فسادهم واذا انفرد الواحد منهم بالجد قرع عصيتهم وكبح من اعتهم
واستأثر بالاموال دونهم فتكاسلوا عن الغزو وفشل رجهم ورتبوا المذلة والاستعباد ثم
ربي الجبل الثاني منهم على ذلك يحسبون ما ينالهم من العطاء اجرا من السلطان لم عن
الحماية والمعونة لا يجري في عقولهم سواه وقل ان يستاجر احد نفسه على الموت فيصير ذلك

وهما في الدولة وخصداً من الشوكة ونقل به على مناحي الصنف والهرم لنسناد العصية
 مذهاب الناس من اهلهما . والوجه الثاني ان طبيعة الملك تقتضي الترف كما قد ساء فتكثر
 عوائدهم وتريد سقائهم على اعطياتهم ولا يبي تخطمهم بحرهم فالغير منهم يهلك والمترف
 يستغرق عطائه متروك ثم يرداد ذلك في احيالهم المتأخرة الى ان يقصر العطاء كله عن
 الترف وعوائده وتسمهم الحاجة وتطالبهم ملوكهم بحصر سقائهم في الغزو والحروب فلا
 يجدون وليجة عنها فيوقعون بهم العقوبات ويتزعون ما في ايدي الكثير منهم يستانرون
 به عليهم او يوترون به اساءهم وصانع دولتهم فيضعفونهم لذلك عن اقامة احوالهم ويضعف
 صاحب الدولة بصعهم وايضاً اذا كثر الترف في الدولة وصار عطائهم مقصراً عن حاجاتهم
 وسقائهم احتاج صاحب الدولة الذي هو السلطان الى الريادة في اعطياتهم حتى يستدخلهم
 ويخرج عليهم والحاجة مقدارها معلوم ولا تريد ولا تنقص وان رادت بما يستحدث من
 المكوس فيدير مقدارها بعد الريادة محدوداً فاذا ورعت الحماية على الاعطيات وقد
 حدثت فيها الريادة لكل واحد مما حدث من ترفهم وكثرة سقائهم نقص عدد الحماية
 حينئذ عما كان قبل زيادة الاعطيات ثم يعظم الترف وتكثر مقادير الاعطيات لذلك
 فينقص عدد الحماية وتالفاً ورابعاً الى ان يعود العسكر الى اقل الاعداد فتضعف الحماية
 لذلك وتسقط قوة الدولة ويخاسر عليها من يحاورها من الدول او من هو تحت يديها
 من القبائل والعصائب ويأخذ الله فيها بالهاء الذي كنهه على حليفه وايضاً فالترف مسد
 للخلق بما يحصل في النفس من الواس والسر والسعة وعوائدها كما يأتي في فصل الحصار
 فندهبهم خلال الخيرا التي كانت علامة على الملك ودليلاً عليه ويتصون بما ياقصها من
 خلال الترف فيكون علامة على الادار والافراس بما جعل الله من ذلك في خليفته وتأخذ
 الدولة لسادئ العطب وتنصعصع احوالها وتبرل بها امراض مرمية من الهرم الى ان يقضى
 عليها . الوجه الثالث ان طبيعة الملك تقتضي الدعة كما ذكرناه واذا اتحد والدعة والراحة
 مالاً وخلقا صار لهم ذلك طبيعة وحلة تار العوائد كلها وبلاصها فتري احيالهم المتأخرة
 في غصارة العيش ومهاد الترف والدعة ويقلب خلق التوحش وينسون عوائد الدعاة التي
 كان بها الملك من شدة الناس ونعوذ الافتراس وركوب البداء وهداية الفقر فلا يفرق
 بينهم وبين السوق من الحصر الا في التفافة والشارة فتضعف حمايتهم ويذهب بأسهم
 وتقصده شوكتهم ويعود وبال ذلك على الدولة بما تلس به من تياب الهرم ثم لا يبرلون
 يتلوون لعوائد الترف والحصار والسكون والدعة ورقة الخاشية في جميع احوالهم وبغفسون

ففيها وهم في ذلك يبعدون عن البداوة والخصوبة ويستلطفون عنها شيئاً فتنبأوا بنسب خلق
البسالة التي كانت بها الحماية والمدافعة حتى يعودوا عيالاً على حامية أخرى ان كانت
لم واعتبر ذلك في الدول التي اخارها في الصفح لديك فجد ما قلته لك من ذلك
صحياً من غير رية وربما يحدث في الدولة اذا طرقتها هذا الهرم بالترف والراحة ان يتغير
صاحب الدولة اصاراً وتبعية من غير جلدتهم ممن تعود المحشونة فيخدم جداً يكون
اصر على الحرب واقدر على معاناة الشدائد من المجوع والنظف ويكون ذلك دواء
للدولة من الهرم الذي عساه ان يطرقها حتى ياذ الله فيها بامر وهذا كما وقع في دولة
الترك بالشرق فان غالب جدها الموالي من الترك فتغير ملوكهم من اولئك المالك
المجلبوس اليهم فرصاً وأجداً فيكونون اجراً على الحرب واصبر على النظف من ابناء المالك
الذين كانوا قبلهم وروا في ماء العميم والسلطان وظلوه وكذلك في دولة الموحدين بافريقية فان
صاحبها كثيراً ما يتخذ اجاده من رباته والعرب ويستكثر منهم ويترك اهل الدولة المتعودين
للترف فتستعيد الدولة بذلك عمراً اخر سالماً من الهرم والله وارث الارض ومن عليها

الفصل الرابع عشر

في ان الدولة لها اعمار طبيعية كما للاتخاص

اعلم ان العمر الطبيعي للاتخاص على ما راع الاطباء والمفهمون مائة وعشرون سنة
وفي سنو القمرا الكبرى عند المفهمين ويختلف العمر في كل جيل بحسب القرات فيريد
عن هذا وينقص منه فتكون اعمار بعض اهل القرات مائة تامة وبعضهم خمسين او ثمانين
او سبعين على ما تقتضيه ادلة القرات عند الباطنين فيها واعمار هذه الملة ما بين الستين
الى السبعين كما في الحديث ولا يريد على العمر الطبيعي الذي هو مائة وعشرون الا في
الصور النادرة وعلى الاوضاع الغريبة من الملك كما وقع في شان نوح عليه السلام وقليل
من قوم عاد وعنود واما اعمار الدول ايضاً وان كانت تختلف بحسب القرات الا ان
الدولة في الغالب لا تعدو اعمار ثلاثة احوال والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط
فيكون اربعين الذي هو انتهاء العمر والنشوء الى غاية قال تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ
اربعين سنة ولهذا قلنا ان عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل ويؤيده ما ذكرناه في حكمة
التيه الذي وقع في بني اسرائيل وان المقصود بالاربعين فيه فناء الجيل الاحياء ونشأة
جيل اخر لم يعدوا الذل ولا عرفوه فليل على اعشار الاربعين في عمر الجيل الذي هو

عمر الشخص الواحد وإنما قلنا ان عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة اجيال لان الجيل الاول لم يزلوا على خلق البداو وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والاقتراس والاشتراك في المجد فلا تزال بذلك سورة العvisية محفوظة فيهم فخدم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لم مغلوبون والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترفع من البداو الى الحضارة ومن الشظف الى الترف والخصب ومن الاشتراك في المجد الى انفراد الواحد به وكسل الباقيين عن السعي فيه ومن عز الاستطالة الى ذل الاستكانة فتتكسر سورة العvisية بعض الشيء وتونس منهم المهانة والخضوع ويبقى له الكثير من ذلك بما ادركوا الجيل الاول وباشروا احوالهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعيهم الى المجد وراميمهم في المدافعة والحماية فلا يسعم ترك ذلك بالكلية وان ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من مراجعة الاحوال التي كانت للجيل الاول او على ظن من وجودها فيهم واما الجيل الثالث فينسبون عهد البداو والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعvisية بما هم فيه من ملكة طاهرة ويبلغ فيهم الترف غاية بما تنبكه من التعم وغضارة العيش فيصغرون عيالاً على الدولة ومن حملة النساء والولدات المحتاجين للمدافعة عنهم وتسقط العvisية بالجملة وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ويلبسون على الناس في الشارة والزي وركوب الخيل وحسن الثقافة بموهون بهاوم في الأكثر اجبن من النسوان على ظهورها فاذا جاء المطالب لم يقاوموا مدافعة فيحتاج صاحب الدولة حينئذ الى الاستظهار بسوام من اهل النجدة ويستكثر بالموالي ويصطنع من يغني عن الدولة بعض الغناء حتى يتأذن الله بانقراضها فتذهب الدولة بما حملت هذه كما تراه ثلاثة اجيال فيها يكون هرم الدولة وتخلتها ولهذا كان انقراض الحسب في الجيل الرابع كما مر في ان المجد والحسب انما هو اربعة ابناء وقد اتيناك فيه ببرهان طبيعي كاف ظاهر مبني على ما مهدناه قبل من المقدمات فتأمل فلن تعدو وجه الحق ان كنت من اهل الانصاف وهذه الاجيال الثلاثة عمرها مائة وعشرون سنة على ما مر ولا تعدو الدول في الغالب هذا العمر بترتيب قبله او بعده الا ان عرض لها عارض اخر من فقدان المطالب فيكون الهرم حاصلًا مستوليًا والطالب لم يحضرها ولو قد جاء الطالب لما وجد مدافعًا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التزايد الى سن الوقوف ثم الى سن الرجوع ولهذا يجري على ألسنة الناس في المشهور ان عمر الدولة مائة سنة وهذا معناه فاعتبره واتخذ منه قانونًا يصحح لك عدد الاباء في عمود النسب الذي تريد من قبل معرفة السنين الماضية

إذا كنت قد استريت في عددهم وكانت السنين الماضية مد أولهم محضلة لديك فعد لكل مائة من السنين ثلاثة من الأمان فالمدت على هذا القياس مع نفوذ عددهم فهو صحيح وإن نقصت عنه يجمل فقد علط عددهم بزيادة واحد في عمود النسب وإن رادت بهتله فقد سقط واحد وكذلك تاخذ عدد السنين من عددهم إذا كان محصلاً لديك فتأملته تجده في الغالب صحيحاً والله يقدر الليل والنهار

الفصل الخامس عشر

في انتقال الدولة من الدواة الى الحضارة

اعلم ان هذه الاطوار طبيعية للدول فان العلب الذي يكون به الملك انما هو بالعصية وبما يتبعها من تدب الباس وتعود الافتراس ولا يكون ذلك عاكساً مع الدواة فطور الدولة من اولها ندوة ثم اذا حصل الملك نعمة الرفعة واتساع الاحوال والحضارة انما هي تمن في الترف والاحكام الصانع المستعملة في وجوده ومداها من المطابخ والملابس والمباني والعرش والاسيغوسائر عوائد المنزل واحواله فلكل واحد منها صانع في استجداته والتاني فيه يخص به ويتلو بعضها بعضاً وتكثر باختلاف ما تنزع اليه العوس من التهنوت والملاذ والتعم باحوال الترف وما تتلون به من العوائد فصار طور الحضارة في الملك يتبع طور الدواة ضرورة لضرورة تعبئة الرفعة للملك واهل الدول انداً يقتلوا في طور الحضارة واحوالها للدولة الساقطة قبلهم فاحوالهم يتناهدون ومهم في الغالب ياخذون ومثل هذا وقع للعرب لما كان الفخ وملكو فارس والروم واستخدموا سائهم واساءهم ولم يكونوا لذلك العهد في شيء من الحضارة فقد حكى انه قدم لم المرقي فكانوا يحسونه رفاعة وعثروا على الكافور في خرائن كسرى فاستعملوه في عجينهم ملحاً وامثال ذلك فلما استعدوا اهل الدول قبلهم واستعملوهم في منهن وحاجات مسارهم واختاروا منهم المهرة في امثال ذلك والقومة عليهم افاوهم علاج ذلك والقيام على عملو والتفنن فيه مع ما حصل لهم من اتساع العيش والتفنن في احواله فعملوا العاية في ذلك وتطوروا بطور الحضارة والترف في الاحوال واستجداة المطاعم والمشارب والملابس والمباني والاسيغوسائر والامية وسائر الماعون والخرنق وكذلك احوالهم في ايام الماهاة والولائم واليالي الاعراس فانهم من ذلك وراء الغاية وانظر ما نقله المسعودي والطبري وغيرها في اعراس المامون بوزان بنت الحسن بن سهل وما ينزل ابوها لحاشية المامون حين وافاه في خطبتها الى دارهم الصلح

وركب اليها في السفين وما اتفق في املاكها وما نحلها المامون وانفق في عرسها تنفق من ذلك على العجب فنه ان الحسن بن سهل نثر يوم الاملاك في الصنيع الذي حضره حاشية المامون فنثر على الطبقة الاولى منهم بنادق المسك ملثونة على الرقاع بالضياع والعقار مسوغة لمن حصلت في يد من يقع لكل واحد منهم ما اداء اليه الاتفاق والنجت وفرق على الطبقة الثانية بدر الدنانير في كل بدرة عشرة الاف وفرق على الطبقة الثالثة بدر الدرام كذلك بعد ان اتفق على مقامة المامون بداره اضعاف ذلك ومنه ان المامون اعطاها في مهرها ليلة زفافها الف حصاة من الباقوت واوقد شموع العنبر في كل واحدة مائة من وهورطل وثلاث^(١) وبسط لها فرشاً كان الحصر منها منسوجاً بالذهب مكللاً بالدر والياقوت وقال المامون حين رآه قاتل الله ابا نواس كانه ابصر هذا حيث يقول في صفة الخمر

كان صغرى وكبرى من فوقها حصاة دهر على ارض من الذهب

واعد بدار الطنج من الحطب لليلة الولاية نقل مائة واربعين بغلاً مدة عام كامل ثلاث مرات في كل يوم وفي الحطب لليتين واوقدوا الخمر يد يصون عليه البيت واوعز الى النيابة باحضار السفن لاجازة الخواص من الناس بدجلة من بغداد الى قصور الملك بمدينة المامون لحضور الولاية فكانت الحركات^(٢) المدة لذلك ثلاثين لئلا اجازوا الناس فيها آخريات نهارهم وكثير من هذا ومثاله وكذلك عرس المامون بن ذي النون بطليطلة نقله ابن سام في كتاب الذخيرة وابن حيان بعد ان كانوا كلهم في الطور الاول من البداوة عاجزين عن ذلك جملة لتقدان اسبابه والتأمين على صنائعهم في غضاظهم وسداجتهم يذكر ان الحجاج اولم في اختتان بعض ولد فاستحضر بعض الدهاقين يسأله عن ولائهم الفرس وقال اخبرني باعظم صنيع شهدته فقال له نعم ايها الامير شهدت بعض مرازية كسرى وقد صنع لاهل فارس صنيعاً أحضر فيه صحاف الذهب على أخونة النضة اربعا على كل واحد وتحمله اربع وصانف ويجلس عليه اربعة من الناس فاذا طعموا اتبعوا اربعمتهم المائتين بصحافها ووصانفها فقال الحجاج يا غلام انخر الخبز واطعم الناس وعلم انه لا يستقل بهذه الابهة وكذلك كانت . ومن هذا الباب اعطية بني امية وجوائزهم فانما كان اكثرها الابل اخذوا بمذاهب العرب وبدانهم ثم كانت الجوائز في دولة بني العباس والعبيدين من بعدهم ما علمت من احوال المال ونحو الثياب واعداد الخيل بمراكبها

١ قوله وثلاث الذي كتب في اللغة ان المبرطل وقيل رطلان ولم يوجد في النسخة التونسية ثلاثان ٢ الحركات بالغنج جمع حراقة سفينة قها مراحي نار يرمي بها المدواة مختار

وهكذا كان شأن كنانة مع الاعالة افريقية وكنا بني طنج مصر وشان لثونة مع ملوك
الطوائف بالاندلس والموحدين كذلك وشان زمانة مع الموحدين وهلم جرا تنتقل المحصاره
من الدول السالفة الى الدول الحاضرة وانتقلت حصاره الفرس للعرب بني أمية وبني
العباس وانتقلت حصاره بني أمية بالاندلس الى ملوك المغرب من الموحدين وريانة لهذا
العهد وانتقلت حصاره بني العباس الى الدليم ثم الى الترك ثم الى السلجوقية ثم الى الترك
المالكية بمصر والنتر بالعراقين وعلى قدر عظم الدولة يكون شأنها في المحاصرة اذا مور
المحاصرة من توابع الترف والترف من توابع الثروة والسعة والثروة والسعة من توابع الملك
ومقدار ما يستولي عليها هل الدولة فعلى سعة الملك يكون ذلك كلفة اعنبره ونهيه وتامله
تحده صحيحاً في العمران والله وارث الارض ومن عليها وهو جبر الوارثين

الفصل السادس عشر

في ان الترف يربد الدولة في اولها قوة الى قوتها

والسبب في ذلك ان القبل اذا حصل لهم الملك والترف كثر التماسل والولد
والعويمة فكثرت العصابة واشتكتروا ايضاً من الموالي والصانع وريبت احيالهم في جوق
ذلك العجم والرفه فارادوا به عدداً الى عددهم وقوة الى قوتهم بسبب كثرة العصابات
حينئذ تكثر العدد فاداهم الخيل الاول والثاني واخذت الدولة في الهرم لم تستقل
اولئك الصنائع والموالي باسمهم في تأسيس الدولة وتهدد ملكها لانهم ليس لهم من الامر شيء
انما كانوا عيالاً على اهلها ومعونة لها فاداهم الاصل لم يستقل العرج بالروسخ فذهب
وبتلانتي ولاتنفي الدولة على حالها من القوة واعنبر هذا ما وقع في الدولة العربية في
الاسلام كان عدد العرب كما قلنا لعهد السوء والحلقة مائة وخمسين ألفاً وما يقاربها من
مصر وفحطان ولما بلغ الترف مبالغة في الدولة وتوفر ثمره توفر السعة واشتكتروا الخلفاء من
الموالي والصنائع بلغ ذلك العدد الى اصعافه يقال ان المعتصم اربل عورية لما اختتمها في
تسعمائة الف ولا بعد مثل هذا العدد ان يكون صحيحاً اذا اعتبرت حاميتهم في الثغور
الدابية والفاصية شرقاً وغرباً الى الحمد الحاملين سرير الملك والموالي والمصطفيين وقال
المسعودي احصى سوا العباس ابن عبد المطلب خاصة ابام المأمون للاعاق عليهم فكانوا
ثلاثين ألفاً بين دكران واثاث فانظر مبالغ هذا العدد لاقل من مائتي سة واعلم ان سبعة
الرفه والعجم الذي حصل للدولة وربي فيه احيالهم والاعدد العرب لاول الفتح لم يبلغ هذا

ولا قريباً منه والله المخلق العليم

الفصل السابع عشر

في اطوار الدولة واختلاف احوالها وخلق اهلها باختلاف الاطوار
اعلم ان الدولة تنتقل في اطوار مختلفة وحالات متعددة ويكتسب القائمون بها في
كل طور خلقاً من احوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الاخر لان المخلق تابع بالطبع
لمزاج الحال الذي هو فيه وحالات الدولة واطوارها لا تعدو في الغالب خمسة اطوار .
الطور الاول طور الظفر بالبغيه وغلب المدافع والممانع والاستيلاء على الملك وانتزاعه من
ايدي الدولة السالفة قبلها فيكون صاحب الدولة في هذا الطور اسوة قومو في اكتساب
المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية لا ينفرد دونهم بشيء لان ذلك هو مقتضى
العصية التي وقع بها الغلب وهي لم تنزل بعد بجهاها . الطور الثاني طور الاستبداد على قومو
والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة ويكون صاحب الدولة
في هذا الطور معنياً باصطناع الرجال واتخاذ الموالي والصنائع والاستكثار من ذلك لجدع
أنوف أهل عصيته وعشيرته المقامين له في نسبة الضارين في الملك بمثل سهم فهو
يدافعهم عن الامر ويصدهم عن موارده ويردهم على اعقابهم أن يخلصوا اليه حتى يقرأ الامر
في نصايه ويفرد اهل بيتو بما يبيني من مجده فيعاني من مدافعهم ومغالبتهم مثل ما عاناه
الاولون في طلب الامر واشد لان الاولين دافعوا لا جانب فكان ظهراؤهم على مدافعهم
اهل العصية باجمعهم وهذا يدافع الاقارب لا يظهروه على مدافعهم الا الاقل من الابعد
فيركب صعباً من الامر . الطور الثالث طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك ما تنزع
طباع البشر اليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصيت فيستفرغ وسعة في الحماية
وضبط الدخل والخروج واجصاء النفقات والتصد فيها وتشديد المباني المحافلة والمصانع
العظيمة والامصار المتسعة والهاكل المرتفعة واجازة الوفود من اشراف الامم ووجوه القبائل
وبشا المعروف في اهل هذه مع التوسعة على صنائع وحاشيتو في احوالهم بالمال والجاه واعتراض
جنوده وادرار رزاقهم وانصافهم في اعطياتهم لكل هلال حتى يظهر اثر ذلك عليهم في
ملايسهم وشكيتهم وشايتهم يوم الزينة فيباهي بهم الدول المسالمة ويهرب الدول الحاربة
وهذا الطور آخر اطوار الاستبداد من اصحاب الدول لانهم في هذه الاطوار كلها مستقلون
بارائهم بانون لعزمهم موضعون الطرق لمن بعدهم . الطور الرابع طور التنوع والمسالمة ويكون

صاحب الدولة في هذا قاصداً بما بنى أولوه سلماً لانظاره من الملوك في قتالهم مقلداً للماضين من سلوه في منع آثارهم جذو العمل بالعل و يقتني طرقهم باحسن ما سمح الاقتداء ويرى ان في الخروج عن تقليدهم فساد امره وانهم انصرفوا عن مجد الطور الخامس طور الاسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متعلماً لما جمع اولوه في مهيل الشهوات والملاذ والكرم على نطائيه وفي محاسن واصطباع اخذ ان السوء وخضراء الدمن وتقليدهم عظيما الامور التي لا يستقلون عملها ولا يعرفون ما ياتون ويذرون منها مستند الكبار الاولياء من قوموه وصانع سلوه حتى يصطفوا عليه ويحاذلوا عن نصرته مضيقاً من جنده بما اتقى من اعطياتهم في شهواته وحجب عنهم وجه مباشرته وتنفذه فيكون مخرباً لما كان سلفه يوسسون وهادماً لما كانوا يسون وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهرم ويستولي عليها المرض المرص الذي لا تكاد تخلص منه ولا يكون لها معه رنة الى ان تنقرض كاسبته في الاحوال التي سردها والله خير الوارثين

الفصل الثامن عشر

في ان آثار الدولة كلها على نسة قوتها في اصلها والسبب في ذلك ان الآثار اما تحدث عن القوة التي بها كانت اولاً وعلى قدرها يكون الاثر فمن ذلك ما في الدولة وهياكلها العظيمة فاما تكون على نسة قوة الدولة في اصلها لا يها لانتم الا بكثرة العلة واجتماع الايدي على العمل والتعاون فيه فاذا كانت الدولة عظيمة فسيح الجواب بكثرة المال والاربابا كان العلة كثير من جد او خسر او اساق الدولة واقطارها فتم العمل على اعظم هياكله الا ترى الى مصانع قوم عاد وثمود وما قصه القرآن عنهم وانظر بالمشاهدة ايوان كسرى وما اقتدر فيه العرس حتى انه عزم الرشيد على هدمه وتحريمه فتكاد عنه وشرع في يوم ادركه العجز وقصة استنارته ليحيى بن خالد بن شاذي معروفة فانظر كيف تقتدر دولة على بناء لا تستطيع اخرى على هدمه مع كون ما بين الهدم والبناء في السهولة تعرف من ذلك كون ما بين الدولتين وانظر الى بلاط الوليد بدمشق وجامع بني امية بقرطبة والقنطرة التي على واديها وكذلك ساه الحيا بالجلب الماء الى قرطاج في القاية الراكدة عليها وانار شرشال بالمغرب والاهرام بمصر وكثير من هذه الآثار الماثلة للعيان يعلم من اختلاف الدول في القوة والضعف واعلم ان تلك الافعال للاقدمين اما كانت بالهدم واجتماع العلة وكثرة الايدي عليها فبذلك شيدت تلك

الهياكل والمصانع ولا تقوم ماتوهم العامة ان ذلك لعظم اجسام الاقدمين عن اجسامنا في
 اطرافها واقطارها فليس بين البشر في ذلك كبير يون كما نجد بين الهياكل والاثار ولقد دلت
 القصص بذلك وتغالبوا فيه وسطروا عن عاد وثمود والعاقلة في ذلك اخباراً عريقة في
 الكذب من اغربها ما يحكون عن عوج بن عناق^(١) رجل من العاقلة الذين قاتلهم بنو اسرائيل في
 الشام زعموا انه كان لطوله يتناول السمك من البحر ويشوي به الى الشمس ويزيدون الى جهلهم
 باحوال البشر الجاهل باحوال الكواكب لما اعتقدوا ان للشمس حرارة وانها شديدة فيما
 قرب منها ولا يعلمون ان الحمر هو الضوء وان الضوء فيما قرب من الارض اكثر لا انعكاس
 الاشعة من سطح الارض بمقابلة الاضواء فتتضاعف الحرارة هنالجل ذلك واذا تجاوزت
 مطارج الاشعة المنعكسة فلا حر هنالك بل يكون فيه البرد حيث مجاري السحاب وان
 الشمس في نفسها لا حارة ولا باردة وانما هو جسم بسيط مضيء لا مزاج له وكذلك عوج
 بن عناق هو فيها ذكره من العاقلة او من الكنعانيين الذين كانوا فريسة بني اسرائيل
 عند فتحهم الشام واطوال بني اسرائيل وجسماتهم لذلك العهد قريبة من هياكلنا يشهد
 لذلك ابواب بيت المقدس فانها وان خربت وجددت لم تزل المحافظة على اشكالها
 ومقادير ابوابها وكيف يكون التفاوت بين عوج وبين اهل عصره بهذا المقدار وانما مثار
 غلظهم في هذا انهم استعملوا آثار الام ولم يفهموا حال الدول في الاجتماع والتعاون وما
 يحصل بذلك وبالهندام من الاثار العظيمة فصرفوا الى قوة الاجسام وشدها بعظم هياكلها
 وليس الامر كذلك وقد زعم المسعودي ونقله عن الفلاسفة مزعموا لا مستند له الا التحكم
 وهوان الطبيعة التي هي جيلة للاجسام لما برأ الله الخلق كانت في تمام الكثرة ونهاية القوة
 والكمال وكانت الاعمار اطول والاجسام اقوى لكمال تلك الطبيعة فان طرأ الموت انما هو
 بانحلال القوى الطبيعية فاذا كانت قوية كانت الاعمار ازيد فكان العالم في اولى نشأته
 تام الاعمار كامل الاجسام ثم لم يزل يتناقص لتقصان المادة الى ان بلغ الى هذه الحال التي
 هو عليها ثم لا يزال يتناقص الى وقت الانحلال وانقراض العالم وهذا رأي لا وجه له الا
 التحكم كما تراه وليس له علة طبيعية ولا سبب برهاني ونحن نشاهد مساكن الاولين وابوابهم
 وطرقهم فيما احدثوه من البنين والهياكل والديار والمساكن كديار ثمود المخوة في الصلدة
 من الصخر بيوتاً صغاراً وابوابها ضيقة وقد اشار صلى الله عليه وسلم الى انها ديارهم ونهى
 ١ قوله ابن عناق الذي في القاموس في باب النجم عوج بن عوق بالواو والمشهور على السنة الناس عنق
 بالنون قوله نصر المهور في

عن استعمال مباحهم وطرح ما عجز به وأُهرق وقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم
 إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم وكذلك أرض عاد ومصر والشام وسائر بقاع
 الأرض شرقاً وغرباً والحق ما قرئناه ومن آثار الدول أيضاً حالها في الأعراس والولائم كما
 ذكرناه في وليمة بوران وصنيع الحجاج وابن ذي النون وقد مر ذلك كله ومن آثارها أيضاً
 عطايا الدول وإنما تكون على نسبتها ويظهر ذلك فيها ولو اشرفت على الهرم فإن الهرم
 التي لاهل الدولة تكون على نسبة قوة ملكهم وغلبيهم للناس والهم لا تزال مصاحبة لهم إلى
 انقراض الدولة واعتبر ذلك بمجالات ابن ذي بزن لوفد قريش كيف اعطاهم من أرطال
 الذهب والنضة والأعبد والوصائف عشرين عشريناً ومن كرش العنبر واحدة وإضعف ذلك
 بعشرة أمثاله لعبد المطلب وإنما ملكه يومئذ قرارة اليمن خاصة تحت استبداد فارس وإنما
 حمله على ذلك همة نفسه بما كان لقومو التبابعة من الملك في الأرض والغلب على الأمم
 في العراقيين والهند والمغرب وكان الصنهاجيون بأفريقية أيضاً إذا أجازوا الوفد من أمراء
 زنادة الوافدين عليهم فأنما يعطونهم المال إحمالاً والكساء نخباً مملوءة والحمالات جنائب
 عديدة وفي تاريخ ابن الرقيق من ذلك أخبار كثيرة وكذلك كان عطاء البرامكة وجواتهم
 ونفقاهم وكانوا إذا كسبوا مملوفاً فأنما هو الحلاية والنعمة آخر الدهر لا العطاء الذي
 يستنفده يوم أو بعض يوم وأخبارهم في ذلك كثيرة مسطورة وهي كلها على نسبة الدول
 جارية هذا جوهر الصقلي الكاتب قائد جيش العبيدين لما ارتحل إلى فتح مصر استعد من
 القير وإن بالف حمل من المال ولا تنتهي اليوم دولة إلى مثل هذا وكذلك وجد بخط
 أحمد بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل إلى بيت المال ببغداد أيام المأمون من جميع
 النواحي نقلته من جراب الدولة (غلات السواد) سبع وعشرون ألف ألف درهم مرتين
 وثمانمائة ألف درهم ومن الحبل النجارية مائتا حلة ومن طين الختم مائتان وأربعون رطلاً
 (كنكر) . أحد عشر ألف ألف درهم مرتين وسفائة ألف درهم (كور دجلة) . عشرون
 ألف ألف درهم وثمانية دراهم (حلوان) . أربعة آلاف ألف درهم مرتين وثمانمائة ألف درهم
 (الاهواز) . خمسة وعشرون ألف درهم مرة ومن السكر ثلاثون ألف رطل (فارس) .
 سبعة وعشرون ألف ألف درهم ومن ماء الورد ثلاثون ألف قارورة ومن الزيت الأسود
 عشرون ألف رطل (كرمان) . أربعة آلاف ألف درهم مرتين ومائتا ألف درهم من المتاع
 الياني خمسمائة ثوب ومن التمر عشرون ألف رطل (مكران) . أربع مائة ألف درهم مرة
 (السند وما يليه) . أحد عشر ألف ألف درهم مرتين وخمسمائة ألف درهم ومن العود الهندي

مائة وخمسون رطلاً (سمجستان) أربعة آلاف ألف درهم مرتين ومن الثياب المعينة ثلثمائة
 ثوب ومن الفانيد عشرون رطلاً (خراسان) ثمانية وعشرون ألف ألف درهم مرتين ومن نقر
 البصة الفانقرة ومن البراديس أربعة آلاف ومن الرقيق ألف رأس ومن المتاع عشرون ألف
 ثوب ومن الأهليج ثلاثون ألف رطل (جرجان) اثنا عشر ألف ألف درهم مرتين ومن الأريسم
 ألف شقة (قوس) ألف ألف مرتين وخمسمائة ألف من نقر البصة (طبرستان) والروبان
 ونهاوند ستة آلاف ألف مرتين وثلاثمائة ألف ومن الفرس الطبري ستمائة قطعة ومن
 الأكسية مائتان ومن الثياب خمسمائة ثوب ومن الماديل ثلاثمائة ومن الجمامات ثلاثمائة
 (الري) اثنا عشر ألف ألف درهم مرتين ومن العسل عشرون ألف رطل (هيدان)
 أحد عشر ألف ألف درهم مرتين وثلاثمائة ألف ومن ربّ الرمايس ألف رطل ومن
 العسل اثنا عشر ألف رطل (ما بين الصرة والكوفة) عشرة آلاف ألف درهم مرتين
 وسعمائة ألف درهم (ماسدان والديار^(١)) أربعة آلاف ألف درهم مرتين (شهررور)
 ستة آلاف ألف درهم مرتين وسعمائة ألف درهم (الموصل وما يليها) أربعة وعشرون
 ألف ألف درهم مرتين ومن العسل الأبيض عشرون ألف ألف رطل (أدرميحان) أربعة
 آلاف ألف درهم مرتين (الجزيرة وما يليها من أعمال الفرات) أربعة وثلاثون ألف ألف
 درهم مرتين ومن الرقيق ألف رأس ومن العسل اثنا عشر ألف زقي ومن الخبز^(٢) عشرة
 ومن الأكسية عشرون (أرمية) ثلاثة عشر ألف ألف درهم مرتين ومن السط^(٣) المهور
 عشرون ومن الرقيم خمسمائة وثلاثون رطلاً ومن المساجح السور ما هي عشرة آلاف رطل
 ومن الصونج عشرة آلاف رطل ومن الغال مائتان ومن المهرة ثلاثون (قسيرون) أربعة مائة
 ألف دينار ومن الريت ألف حمل (دمشق) أربعة مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار
 (الأردن) سعة وتسعون ألف دينار (فلسطين) ثلاثمائة ألف دينار وعشرة آلاف دينار
 ومن الزيت ثلاثمائة ألف رطل (مصر) ألف ألف دينار وتسعمائة ألف دينار وعشرون
 ألف دينار (مركة) ألف ألف درهم مرتين (أفريقية) ثلاث عشر ألف ألف درهم مرتين
 ومن البسط مائة وعشرون (البن) ثلاثمائة ألف دينار وسبعون ألف دينار سوى المتاع
 (البحار) ثلاثمائة ألف دينار انتهى. وما لا ندلس فالذي ذكره الثقات من مؤرخيها أن
 عبد الرحمن الناصر خلف في يوت أم إلى خمسة آلاف ألف دينار مكررة ثلاث مرات

١ قوله والديار والطاهراهما الدينور وفي الترجمة التركية ماسدان وربان ١٠ قوله ومن
 العلاء في التركية ومن السكر عشرة صديق ١٠ وفي نسخة البسط

يكون جعلتها بالنقاط خمسة الف قنطار . ورأيت في بعض توازج الرشيد ان الممول
الى بيت المال في ايامو سبعة الاف قنطار وخمماية قنطار في كل سنة فاعبر ذلك في
نسب الدول بعضها من بعض ولا تنكرن ما ليس بمعهود عندك ولا في عصرك شي لا من
امثاله فتضيق حوصلتك عند ملتقط المحككات فكثير من الخواص اذا سمعوا امثال هذه
الاخبار عن الدول السالفة بادر بالانكار وليس ذلك من الصواب فان احوال الوجود
والعمران متفاوتة ومن ادرك منها رتبة سفلى او وسطى فلا يحصر المداير كلها فيها ونحن
اذا اعتبرنا ما ينقل لنا عن دولة بني العباس وبني امية والعبيديين وناسنا الصريح من
ذلك والذي لاشك فيه بالذي نشاهد من هذه الدول التي هي اقل بالنسبة اليها وجدنا
بينها بونا وهو لما بينها من التفاوت في اصل قوتها و عمران ممالكها فالانار كلها جارية على
نسبة الاصل في القوة كما قدمناه ولا يسعنا انكار ذلك عنها اذ كثير من هذه الاحوال
في غاية الشهرة والوضوح بل فيها ما يلحق بالمستفيض والمتواتر وفيها المعاني والمشاهد من
اثار البناء وغيره فنخذ من الاحوال المتقولة مراتب الدول في قوتها او ضعفها وضخامتها
او صغرها واعبر بذلك بما تنصه عليك من هذه الحكاية المستزقة وذلك انه ورد بالمغرب
لعهد السلطان ابي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة ظنجة يعرف بابن بطوطة^(١)
كان رجلا منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل
مدينة دهلي حاضرة ملك الهند وهو السلطان محمد شاه واتصل بملكها لذلك العهد وهو
فيروز جو وكان له منه مكان واسمعة في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله ثم انقلب
الى المغرب واتصل بالسلطان ابي عنان وكان يحدث عن شان رحلته وما رأى من العجائب
بمالك الارض واكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتي من احوالهما يستغربه
السامعون مثل ان ملك الهند اذا خرج الى السفر احصى اهل مدينته من الرجال والنساء
والولدان وفرض لهم رزق ستة اشهر تدفع لهم من عطايه وانه عند رجوعه من سفره يدخل
في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة الى صحراء البلد ويطوفون به وينصب امامه في ذلك
الحقل مجنحات على الظهر ترمي بها شكاير الدراهم والدنانير على الناس الى ان يدخل ابوابه
وامثال هذه الحكايات فتناحي الناس بتكذيبه ولقيت ايامئذ وزير السلطان فارس بن
وردار البعيد الصوت ففاوضته في هذا الشأن واربته انكار اخبار ذلك الرجل لما استفاض
في الناس من تكذيبه فقال لي الوزير فارس اياك ان تستنكر مثل هذا من احوال الدول

١ كان ابتداء رحلة ابن بطوطة سنة ٧٢٥ وانهى سنة ٧٥٤ وهي بحجة ومختصرها ٢ كرار پس اه

بما انك لم تره فتكون كاس الوزير النائي في السجن وذلك بان وزيراً اعتقله سلطانه
ومكث في السجن سنين ربي فيها اسه في ذلك المحس فلما ادرك وعقل سأل عن اللجان
التي كان يتخذى بها فقال له ابوه هذا لحم الغنم فقال وما العلم فيصمها له ابوه نسياتها
وبعوتها فيقول يا أبت تراها مثل النار فينكر عليه ويقول ابن الغنم من النار وكذا في لحم
الابل والفرد لم يعاين في محسوس من الحيوانات الا النار فيحسبها كلها اساء جس النار
وهذا كثيراً ما يعتري الناس في الاخبار كما يعتريهم الوسواس في الريادة عند قصد
الاغراب كما قدمناه اول الكتاب فليرجع الانسان الى اصوله وليكن مهيباً على نفسه ومهزاً
بين طبيعة المحكم والمتبع بصرح عقله ومستقيم فطرته فما دخل في نطاق الامكان قلة وما
خرج عنه رصه وليس مرادنا الامكان العقلي المطلق فان نطاقاً اوسع شيء فلا يمرض
حداً بين الواقعات وانما مرادنا الامكان بحسب المادة التي التيء فاما اذا نظرنا اصل
الشيء وحسنة وصفه ومقدار عطيه وقوته اجرها الحكم من سعة ذلك على احواله
وحكمنا بالامتناع على ما خرج من نطاقه وقل رب ربي علماً وانت ارحم الراحمين والله
سبحانه وتعالى اعلم

الفصل التاسع عشر

في استظهار صاحب الدولة على قومه واهل عصيته بالموالي والمصطفيين
اعلم ان صاحب الدولة اما يتم امره كما قلناه قومه مهم عصاته وظهرائه على شأبه
وبهم يقارع الحوارج على دولته ومنهم يقلد اعمال مملكتهم ووزارة دولته وجباية اموالهم
اعوانه على اللعب وشركائه في الامر ومساهمته في سائر مهماته هذا ما دام الظهور الاول
للدولة كما قلناه فاذا جاء الظهور الثاني وطهر الاستعداد عنهم والاعتراف بالحد ودافعهم عن
المراح صاروا في حقيقه الامر من بعض اعدائهم واحتاج في مدافعهم عن الامر وصددهم عن
المشاركة الى اولياء آخرين من غير جلدتهم يستظهرهم عليهم ويتولاهم دونهم فيكونون
اقرب اليه من سائرهم واخص به قرناً واصطفاً واولى ايتاراً واجاهاً لما اهم يستميتون دونه
في مدافعة قومه عن الامر الذي كان لهم والمرتبة التي القوها في مساركهم يستخلصهم صاحب
الدولة حينئذ ويحصرهم بمريد التكرمة والابتار ويقسم لهم مثل ما للكثير من قومه ويقلدهم
جليل الاعمال والولايات من الوزارة والقيادة والحماية وما يخص به ليسو وتكون حاله
له دون قومه من القاب الملكة لانهم حينئذ اولياءه الاقرمون وصحائه المخلصون وذلك

حينئذ مؤذن باهتضام الدولة وعلامة على المرض المزمن فيها لفساد العصبية التي كان بناء القلب عليها ومرض قلوب اهل الدولة حينئذ من الامتنان وعداوة السلطان فيضطغنون عليه ويطربصون به الدوائر ويعود وبأل ذلك على الدولة ولا يطع في برئها من هذا الداء لانه ما مضى يتأكد في الاعقاب الى ان يذهب رسمها واعتبر ذلك في دولة بني أمية كيف كانوا انما يستظفرون في حروبهم وولاية اعمالهم برجال العرب مثل عمرو بن سعد ابن ابي وقاص وعبد الله بن زياد بن ابي سفيان والحجاج بن يوسف والمهلب بن ابي صفرة وخالد بن عبد الله القسري وابن هيرة وموسى بن نصير وبلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري ونصر بن سيار وامثالهم من رجالات العرب وكنا صدر من دولة بني العباس كان الاستظهار فيها ايضا برجال العرب فلما صارت الدولة للانفراد بالمجد وكبح العرب عن التطاول للولايات صارت الوزارة للجمد والصنائع من البرامكة وبني سهل بن نوحث وبني طاهر ثم بني بويه وموالي الترك مثل بغا ووصيف ونامش وبأكانك وابن طولون وابنائهم وغير هؤلاء من موالي العجم فتكون الدولة لغبر من مهدا والعز لغبر من اجلبة سنة الله في عبادهِ والله تعالى اعلم

الفصل العشرون

في احوال الموالي والمصطنعين في الدول

اعلم ان المصطنعين في الدول يتفاوتون في الالتحام بصاحب الدولة بتفاوت قديمهم وحديثهم في الالتحام بصاحبها والسبب في ذلك ان المقصود في العصبية من المدافعة والمغالبة انما يتم بالنسب لاجل التناصر في ذوي الارحام والقربى والتخاذل في الاجانب والبعداء كما قدمناه والولاية والمخالطة بالرق او بالخلف تنتزل منزلة ذلك لان امر النسب وان كان طبعيا فانما هو وهمي والمعنى الذي كان به الالتحام انما هو العشرة والمدافعة وطول الممارسة والصحبة بالمربي والرضاع وسائر احوال الموت والحياة واذا حصل الالتحام بذلك جاءت النعرة والتناصر وهذا مشاهد بين الناس واعتبر مثله في الاصطناع فانه يحدث بين المصطنع ومن اصطنعه نسبة خاصة من الوصلة تنتزل هذه المنزلة وتؤكد المحبة وان لم يكن نسب فتمرات النسب موجودة فاذا كانت هذه الولاية بين القليل وبين اوليائهم قبل حصول الملك لم كانت عروقا وشجوعا ثمتها اصح ونسبها اصرح لوجهين احدهما انهم قبل الملك اسوة في حالهم فلا يتميز النسب عن الولاية الا عند الاقل منهم فيتزولون

منهم منزلة ذوي قرابتهم وأهل ارحامهم وإذا اصطنعوا بعد الملك كانت مرتبة الملك مميزة للسيد عن المولى ولاهل القرابة عن اهل الولاية والاصطناع لما تقتضيه احوال الرئاسة والملك من تميز الرتب وتفاوتها فتميز حالتهم ويتزولون منزلة الاجانب ويكون الالتحام بينهم اضعف والتناصر لذلك ابعد وذلك انقص من الاصطناع قبل الملك . الوجه الثاني ان الاصطناع قبل الملك يبعد عهده عن اهل الدولة بطول الزمان وبخفي شان تلك المحبة ويظن بها في الاكثر النسب فيقوى حال العصية واما بعد الملك فيقرب العهد ويستوي في معرفته الاكثر فتميز المحبة وتميز عن النسب فتضعف العصية بالنسبة الى الولاية التي كانت قبل الدولة واعتبر ذلك في الدول والرئاسات تجده فكل من كان اصطناعه قبل حصول الرئاسة والملك لمصطنعوا تجده اشدّ التماساً به واقرب قرابة اليه ويتزل منه منزلة ابناءه واخوانه وذوي رحمه ومن كان اصطناعه بعد حصول الملك والرئاسة لمصطنعوا لا يكون له من القرابة والمحبة ما للاولين وهذا مشاهد بالعيان حتى ان الدولة في اخر عمرها ترجع الى استعمال الاجانب واصطناعهم ولا يبيى لهم مجد كما بناء المصطنعون قبل الدولة لقرب العهد حينئذ باوليئهم ومشاركة الدولة على الانقراض فيكونون مغطيين في مهاوي الضعة وانما يحمل صاحب الدولة على اصطناعهم والعدل اليهم عن اوليائها الاقدمين وصنائعها الاولين ما يعتريهم في انفسهم من العزة على صاحب الدولة وقلة الخضوع له ونظرة بما ينظره به قبيلة واهل نسيه لتأكد المحبة منذ العصور المتطاولة بالمرى والاتصال بابائهم وسلف قومهم والامتظام مع كبراء اهل بيتهم فيحصل لهم بذلك دالة عليه واعتزاز فينافرهم بسببها صاحب الدولة ويعدل عنهم الى استعمال سواهم ويكون عهد استخلاصهم واصطناعهم قريباً فلا يبلغون رتب المجد ويقون على حالهم من الخارجية وهكذا شأن الدول في اواخرها واكثر ما يطلق اسم الصنائع والاولياء على الاولين واما هؤلاء المحدثون فخدم واعوان والله ولي المؤمنين وهو على كل شيء وكيل

الفصل الحادي والعشرون

فيما يعرض في الدول من حجب السلطان والاستبداد عليه

اذا استقر الملك في نصاب معين ومنبت واحد من القبيل القائمين بالدولة وانردوا به ودفعوا سائر القبيل عنه وتداوله بنوم واحداً بعد واحد بحسب الترشيع فربما حدث التغلب على المنصب من وزراءهم وحاشيتهم وسببه في الاكثر ولاية صبي صغير او مضعف

من اهل المبيت يترشح للولاية بعد ابيه او ترشح ذويه وخوله ويؤس منه العجر عن القيام بالملك فيقوم به كافة من وزراء ابيه وحاشيته ومواليه وقبيله ويورثي بحفظ امره عليه حتى يؤسس منه الاستداد ويحمل ذلك ذريعة للملك فيحجب الصبي عن الناس ويعوده اليهاترف احواله ويسميه في مراعيها من امكته ويسميه الطري في الامور السلطانية حتى يستند عليه وهو بما عوده يعتقد ان حظ السلطان من الملك انما هو جلوس السرير واعطاء الصفة وخطاب التهويل والتعود مع السامخلف المحجاب وان الحل والربط والامر والهي ومباشرة الاحوال الملوكية وتفقدتها من الطري في الجيش والمال والتغور انما هو للوزير وبسمل في ذلك الى ان تستحكم له صفة الرئاسة والاستداد ويحول الملك اليه ويؤثر به عتيقته واساءة من بعده كما وقع لسي بويه والترك وكامور الاختيدي وغيرهم بالشرق والمصووس في عامر بالاندلس وقد يتعطل ذلك المحجور المقلب لنا و فيحاول على الخروج من رقة المحجور والاستداد ويرجع الملك الى نصابه ويصرب على ابدي المتعطلين عليه اما قتل او برقع عن الرتبة فقط الى ان ذلك في النادر الاقل لان الدولة اذا اخدت في تعلب الوزراء والاولياء استمر لها ذلك وقل ان تخرج عنه لان ذلك انما يوجد في الاكثر عن احوال الترف وبنشاء اباء الملك معجسين في يعيوقد بسوا عهد الرحولة والمو اخلاق الدايات والخطا وروبو عليها فلا يرعون الى رئاسة ولا يعرفون استدادا من تعلب امامهم في القنوع بالاثبة والنفس في اللذات وابواع الترف وهذا التغلب يكون للموالي والمصطفيين عند استداد عتيق الملك على قومهم وامرادهم به دونهم وهو عارض للدولة ضروري كما قدماه وهدان مرضان لار للدولة معها الا في الاقل النادر والله يوتي ملكة من يشاء وهو على كل شيء قدير

الفصل الثاني والعشرون

في ان المتعطلين على السلطان لا يشاركونه في التلب الخاص بالملك وذلك ان الملك والسلطان حصل لاوليه مذ اول الدولة بعصية قومو وعصيته التي استعنهم حتى استحكمت له ولقومو صفة الملك والغلب وفي لم ترل باقية وبها انمظرم الدولة ونفاها وهذا التغلب وان كان صاحب عصية من قبيل الملك او الموالي والصانع فعصيته مدرجة في عصية اهل الملك وتاعة لما وليس له صفة في الملك وهو لا يحاول في استدادهم انتزاع الملك ظاهرا وانما يحاول انتزاع تمراته من الامر والنهي والحل والعقد

والأبرام والنقض يوم فيها أهل الدولة أنه متصرف عن سلطانهم منفذ في ذلك من وراء
 الحجاب لاحكامهم فهو يحتاج في عن سمات الملك وشاراته والقابض جهده ويبعد نفسه عن التهمة
 بذلك وإن حصل له الاستبداد لانه مستتر في استبداده ذلك بالحجاب الذي ضربه السلطان
 وأولوه على انفسهم عن القيل منذ أول الدولة ومغالط عنه بالنيابة ولو تعرض لشيء
 من ذلك لتفتنه^(١) عليه أهل العصية وقيل الملك وحاولوا الاستنثار به دولة لانه لم تستحكم
 له في ذلك صيغة تحلهم على التسليم له ولا تقيا فيهلك لأول وهلة وقد وقع مثل هذا
 لعبد الرحمن بن الناصر بن منصور بن أبي عامر حين سما إلى مشاركة هشام وأهل بيته
 في لقب الخلافة ولم يقع بما قنع به أبوه وأخوه من الاستبداد بالحل والعقد والمراسم المتابعة
 فطلب من هشام خليفة أن يعهد له بالخلافة فنفس ذلك عليه بنو مروان وسائر قریش
 وبايعوا لابن عم الخليفة هشام محمد بن عبد الجبار بن الناصر وخرجوا عليهم وكان في
 ذلك خراب دولة العامرين وهلاك المؤيد خليفةهم واستبدل منه سواه من اعيان
 الدولة إلى آخرها واختلت مراسم ملكهم والله خير الوارثين

الفصل الثالث والعشرون

في حقيقة الملك واصنافه

الملك منصب طبيعي للانسان لأننا قد بينا ان البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم إلا
 باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضرورتهم وإذا اجتمعوا دعت الضرورة إلى المعاملة
 وإقتضاء الحاجات ومد كل واحد منهم يده إلى حاجته يأخذها من صاحبه لما في الطبيعة
 الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض وبما نعمة الآخر عنها بمقتضى الغضب والافقة
 ومقتضى القوة البشرية في ذلك فيقع التنازع المفضي إلى المقاتلة وهي تودي إلى الهرج
 وسفك الدماء وإذهاب النفوس المفضي ذلك إلى انقطاع النوع وهو ما خصه الباري
 سبحانه بالمحافظة فاستحال بقاؤهم فوضي دون حاكم يزع بعضهم عن بعض واحتاجوا من أجل
 ذلك إلى الوازع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المحكم ولا بد في
 ذلك من العصية لما قدمناه من ان المطالبات كلها والمدافعات لانهم إلا بالعصية
 وهذا الملك كما تراه منصب شريف تتوجه نحوه المطالبات ويحتاج إلى المدافعات ولا
 يتم شيء من ذلك إلا بالعصيات كما مر والعصيات متفاوتة وكل عصية فلها تحكم وتغلب
 على من يليها من قومها وعشيرها وليس الملك لكل عصية وإنما الملك على الحقيقة لمن

١ قوله لنفسه بفتح اللام والنون وكسر الفاء يقال نفس عليه التي كفرج لم يره أهلا له كما في القاموس

يستعد الرعية ويحمي الاموال ويبحث العوث ويحمي الثغور ولا تكون فوق يده يد
 قاهرة وهذا معنى الملك وحقيقته في المتهور من قصرته بعصيته عن بعضها مثل حماية
 الثغور او حاية الاقاليم او بحث العوث فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته كما وقع لكثير من
 ملوك البربر في دولة الاعالة بالقبروان والملوك العجم صدر الدولة القاسية ومن قصرته
 به عصيته ايضا على الاستعلاء على جميع العصابات والصرب على سائر الايدي وكان فوقه
 حكم غيره هو ايضا ملك ناقص لم تتم حقيقته وهؤلاء مثل امراء الواحي وروساء الجهات
 الذين تجمعهم دولة واحدة وكثيرا ما يوجد هذا في الدولة المتسعة الطلاق اعني توجد ملوك
 على قومهم في الواحي القاصية يديبون بطاعة الدولة التي جمعهم مثل صهاجة مع العبيدين
 وربانة مع الامويين تارة والعبيدين تارة اخرى ومثل ملوك العجم في دولة بني العباس ومثل
 امراء البربر وماوكم مع الروم قتل الاسلام ومثل ملوك الطوائف من البربر مع الاسكندر
 وقومو اليونانيين وكثير من هؤلاء فاعندة تحده والله القاهر فوق عباده

الفصل الرابع والعشرون

في ان ارفاف الحد مصر بالملك ومنسدة في الاكثر

اعلم ان مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وحده من حسن شكله او ملاحه
 وحده او عظم حاكمه او اتساع علمه او حدة خطه او تقوى دهره وانما مصلحةهم فيهم حيث
 اضافته اليهم فان الملك والسلطان من الامور الاضافية وهي اضافة بين منسبين فحقيقة
 السلطان انه المالك للرعية القائمة في امورهم عليهم فالسلطان من رعية الرعية من لها سلطان
 والصفة التي له من حيث اضافته اليهم هي التي تسمى الملكة وهي كونه مملوكا فاداكات هذه
 الملكة وتوابعها من الحدود بما كان حصل المقصود من السلطان على اتم الوجه فاما ان
 كانت جملة صاحبة كان ذلك مصلحة لهم وان كانت سيئة متعسفة كان ذلك ضررا عليهم
 والآن كالم ويعود حسن الملكة الى الرعي فان الملك اذا كان قاهرا باطنا بالعقوبات
 مقنا عن عورات الناس وتعدد دسوسهم تملهم الخوف والدل ولا دسوسه بالكذب والمكر
 والحدبة فتحققوا بها وفسدت اعشارهم واحلافهم وربما خذلوا في مواطن الحروب
 والمدافعات ففسدت الحماية بساد البيات وربما اجمعوا على قتله لذلك ففسدت الدولة
 ويحرب السياج وان دام امره عليهم وقهره فسدت العصبية لما قلناه اولاً وفسد السياج
 من اصله بالهجر عن الحماية وادراك رعيها بهم متجاوزا عن سبائهم استناموا اليه

ولا ذلوا به وأشر بولاً ومحبة واستعانوا دونه في محاربة أعدائهم فاستقام الأمر من كل جانب وإما
 نوابح حسن الملكة فهي النعمة عليهم والمنفعة عنهم فالدافعة بها تتم حقيقة الملك وإما النعمة
 عليهم والإحسان لم فمن سمته الرفق بهم والنظر لهم في معاشهم وفي أصل كبير في الحبس
 إلى الرعية وإعلم أنه قلما تكون ملكة الرفق في من يكون يقظاً شديد الذكاء من الناس
 وأكثر ما يوجد الرفق في الغفل والمتغفل وأقل ما يكون في اليقظ أنه يكلف الرعية فوق
 طاقتهم لنفوذ نظره فيما وراء مداركهم وإطلاعه على عواقب الأمور في مبادئها بالمعينة
 فيهلكون لذلك قال صلى الله عليه وسلم سير على سير أضعفتم ومن هذا الباب اشترط
 الشارع في الحاكم قلة الإفراط في الذكاء وما أخذه من قصة زياد بن أبي سفيان لما عزله
 عمر عن العراق وقال له لم عزلتني بإمير المؤمنين العجز أم الخيانة فقال عمر لم أعزلك لواحدة
 منها ولكني كرهت أن أحمل فضل عقلك عن الناس فاخذ من هذا أن الحاكم لا يكون
 مفرط الذكاء والكيس مثل زياد بن أبي سفيان وعمر بن العاص لما ينبع ذلك من
 التعسف وسوء الملكة وحمل الوجود على ما ليس في طبعه كما يأتي في آخر هذا الكتاب
 والله خير المالكين ونقرر من هذا أن الكيس والذكاء عيب في صاحب السياسة لأنه
 إفراط في الفكر كما أن البلادة إفراط في الجحود والطرفان مذمومان من كل صفات إنسانية
 والجحود هو التوسط كما في الكرم مع التبذير والبخل وكما في الشجاعة مع الهوج والجبن وغير
 ذلك من الصفات الإنسانية ولهذا يوصف الشديد الكيس بصفات الشيطان فيقال
 شيطان ومتشيطان وإمثال ذلك والله يخلق ما يشاء وهو العليم القدير

الفصل الخامس والعشرون

في معنى الخلافة والإمامة

لما كانت حقيقة الملك أنه الاجتماع الضروري للبشر ومقتضاه التغلب والتهر للذات
 ها من آثار الغضب والحيوانية كانت أحكام صاحبه في الغالب جائزة عن الحق محيطة
 بمن تحت يده من المخلق في أحوال دنياه لحملها أيام في الغالب على ما ليس في طوقهم
 من أغراض وشهواته ويختلف ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف منهم فتعسر
 طاعة لذلك ونجى العصية المنفضة إلى المهرج والقتل فوجب أن يرجع في ذلك إلى
 قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة بنقادون إلى أحكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم
 من الأمم وإذا خلت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب أمرها ولا يتم استيلاؤها سنة

الله في الدين خلوا من قبل . فاذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وإكابر الدولة وصرائها كانت سياسة عقلية وإذا كانت مفروضة من الله تشارع بقررها وبتشرعها كانت سياسة دينية ماضية في الحياة الدنيا وفي الآخرة وذلك ان الحق ليس المقصود بهم ديانهم فقط فانها كلها عمت واطل اذ غايها الموت والنساء والله يقول أحسستم انما خلقناكم عبثا فامقصود بهم اما هودبهم المصفي بهم الى السعادة في آخرتهم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض محامات الشرايع مجملهم على ذلك في جميع احوالهم من عبادة ومعاملة حتى في الملك الذي هو طبيعي للاجتماع الانساني فاحترته على منهاج الدين ليكون الكل محوطا ببطر الشارع فما كان منه مقتضى الفهر والتغلب وإهال القوة العصبية في مرعاها مجبور وعودان ومنموم عده كما هو مقتضى الحكمة السياسية وما كان منه مقتضى السياسة واحكامها قدموم ايضا لانه نظر بعبر نور الله ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور لان الشارع اعلم بمصالح الكافة فيما هو مفيد عنهم من امور اخرتهم واعمال الشراكها عائدة عليهم في معادهم من ملك او غيره قال صلى الله عليه وسلم انما في اعمالكم ترد عليكم واحكام السياسة انما نطلع على مصالح الدنيا فقط يعلمون طاهرا من حياة الدنيا ومقود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب مقتضى الشرائع حمل الكافة على الاحكام الشرعية في احوال ديانهم واخرتهم وكان هذا الحكم لاهل الشريعة وهم الاسباء ومن قام فيه مقامهم وهم الحلما فقد تيسر لك من ذلك معنى الخلافة وان الملك الطبيعي هو حمل الكافة على مقتضى العرض والتهمة والسياسي هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدينية ودفع المضار والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الآخروية والديوية الراحعة اليها اذ احوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها عصا في الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا وفافهم ذلك واعتبره فيما يورده عليك من بعد والله الحكيم العليم

الفصل السادس والعشرون

في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه

وإذ قد بسا حقيقة هذا المنصب وأنه يانة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا ونسي خلافة وامامة والفائ به خليفة واماماً فاما تسميته اماماً فتشبهها امام الصلاة في اتباعه والافتداء به ولهذا يقال الامامة الكبرى وامامة تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في

امته فيقال خليفة باطلاق وخليفة رسول الله واختلف في تسميته خليفة الله فاجازه بعضهم
 اقتباساً من الخلافة العامة التي للادميين في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وقوله
 جعلكم خلائف الارض ومع الجمهور من لا معنى الاية ليس عليه وقد نهي ابو بكر عنه
 لما دعي به وقال لست خليفة الله ولكني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان
 الاستخلاف انما هو في حق الغائب وانما الحاضر فلا يتم ان نصب الامام واجب قد عرف
 وجوبه في الشرع باجماع الصحابة والتابعين لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند
 وفاته نادر والى بيعة ابي بكر رضي الله عنه وتسليم الطرقي في امورهم وكذا في كل عصر
 من بعد ذلك ولم تترك الناس قوض في عصر من الاعصار واستقر ذلك اجماعاً دالاً على
 وجوب نصب الامام وقد ذهب بعض الناس الى ان مدرك وجوب العقل وان الاجماع
 الذي وقع انما هو قصاص بحكم العقل فيه قالوا وانما وجب بالعقل لصورة الاحتياج للشر
 واستحالة حياتهم ووجودهم متردين ومن ضرورة الاحتياج التنازع لارحام الاغراض فما
 لم يكن المحاكم الوازع افضى ذلك الى المخرج المؤذن بهلاك الشر واقطاعهم مع ان حفظ
 النوع من مقاصد الشرع الضرورية وهذا المعنى يعبر عنه هو الذي لحظه الحكماء في وجوب
 النبوات في الشر وقد نبها على فسادها وان احدى مقدماتها ان الوازع انما يكون شرع من
 الله تسلم له الكافة تسليم ايمان واعتقاد وهو غير مسلم لان الوازع قد يكون سطوة الملك
 وقهر اهل الشوكة ولو لم يكن شرع كما في امم المحوس وغيرهم من ليس له كتاب او لم تلتفه
 الدعوى او يقول بكفي في رفع التنازع معرفة كل واحد بتعظيم الظلم عليه بحكم العقل فادعاهم
 ان ارتناع التنازع انما يكون بوجود الشرع هناك ونصب الامام ما غير صحيح بل كما يكون
 نصب الامام يكون بوجود الروساء اهل الشوكة او بامتناع الناس عن التنازع والنظام
 فلا ينهض دليلهم العقلي المسمى على هذه المقدمة يدل على ان مدرك وجوبه انما هو بالشرع
 وهو الاجماع الذي قدمناه وقد شد بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا النصب راساً
 لا بالعقل ولا بالشرع منهم الاصم من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم والواجب عند
 هؤلاء انما هو امضاء الحكم الشرع فاذا نواطت الامة على العدل وتميز احكام الله تعالى
 لم ينج الى امام ولا يجب نفسه وهؤلاء مجبوحون بالاجماع والذي حملهم على هذا المذهب
 انما هو الفرار عن الملك ومذاهبهم من الاستطالة والتغلب والاستمناع بالدينا لما رأوا
 الشريعة ممثلة بذم ذلك والمعنى على اهله ومرغمة في رفضه واعلم ان الشرع لم يذم الملك
 لذاته ولا خطر القيام به وانما ذم المعاصد الناشئة عنه من القهر والظلم والتمنع باللدات ولا

شك ان في هذه مناسد محظورة وهي من توابعها كما اتفق على العدل والصفة واقامة مراسم
 الدين والذبي عنه واجوب بازائها الثواب وهي كلها من توابع الملك فاذا انما وقع الذم
 للملك على صفة وحال دون حال اخرى ولم يذمه لذاته ولا طلب تركه كما ذم الشهوة
 والغضب من المكلفين وليس مراده تركها بالكليّة لدعاية الضرورة اليها وانما المراد تنصيرها
 على مقتضى الحق وقد كان لداود وسليمان صلوات الله وسلامه عليها الملك الذي لم يكن
 لغيرها وما من انبياء الله تعالى واكرم الخلق عنده ثم نقول لم ان هذا الفرار عن الملك
 بعدم وجوب هذا النصب لا يفتكم شيئاً لانكم موافقون على وجوب اقامة احكام الشريعة
 وذلك لا يحصل الا بالعصية والشوكة والعصية مقتضية بطبعها للملك فيحصل الملك وان
 لم ينصب امام وهو عين ما قررتم عنه واذا قرر ان هذا النصب واجوب باجماع فهو من
 فروض الكفاية وراجع الى اختيار اهل العقد والحل فيتمتع عليهم نصبه ويجب على الخلق
 جميعاً طاعة لقوله تعالى اطيعوا الله اطيعوا الرسول واولي الامر منكم واما شروط هذا
 المنصب فهي اربعة العلم والعدالة والكفاية وسلامة الخواص والاعضاء مما يؤثر في الراي
 والعمل واختلف في شرط خامس وهو النسب القرشي فاما اشتراط العلم فظاهر لانه انما
 يكون منفذاً لاحكام الله تعالى اذا كان عالماً بها وما لم يعلمها لا يصح تقديمه لها ولا يكتفي من
 العلم الا ان يكون مجتهداً لان التقليد نقص والامامة تستدعي الكمال في الاوصاف والاحوال
 واما العدالة فلانه منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي هي شرط فيها فكانت اولى
 باشتراطها فيه ولا خلاف في انتفاء العدالة فيه بنسب الجوارح من ارتكاب المحظورات
 وامثالها وفي انتفائها بالبدع الاعتقالية خلاف واما الكفاية فهو ان يكون جريئاً على اقامة
 الحدود وانقام الحروب بصيراً بها كفايلاً يحمل الناس عليها عارفاً بالعصية واحوال
 الدهاء قوياً على معاناة السياسة ليصح له بذلك ما جعل اليه من حماية الدين وجهاد
 العدو واقامة الاحكام وتديير المصالح واما سلامة الخواص والاعضاء من النقص والعطلة
 كالمجنون والعبي والصم والخرس وما يؤثر فقده من الاعضاء في العمل كفقد اليدين
 والرجلين والاثنيين فتشترط السلامة منها كلها لتاثير ذلك في تمام عمله وقيامه بها جعل
 اليه وان كان اما يشين في المنظر فقط كفقد احدى هذه الاعضاء فشرط السلامة منه
 شرط كمال وبلغى بنقصان الاعضاء المنع من التصرف وهو ضربان ضرب يلحق بهذه
 في اشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو القهر والعجز عن التصرف جملة بالاسر وشبهه
 وضرب لا يلحق بهذه وهو العجز باستيلاء بعض اعدائه عليه من غير عصيان ولا مشاققة

فينتقل الطر في حال هذا المستولي فان جرى على حكم الدين والعدل وحيد السياسة
 جار قراره والا استنصر المسلمون من يقض يده عن ذلك ويدفع عنته حتى يبعد فعل
 الخليفة واما النسب القرشي فلاحجام الصحابة يوم السقيفة على ذلك واحجت قریش على
 الانصار لما هم يومئذ ببيعة سعد بن عباد وقالوا منا امير ومنكم امير فقول صلى الله عليه
 وسلم الائمة من قریش وانا النبي صلى الله عليه وسلم اوصانا بان نحسن الى محسبكم ونجتاز
 عن مسيئكم ولو كانت الامارة فيكم لم تكن الوصية بكم فنجعل الانصار ورجعوا عن قولهم
 منا امير ومنكم امير وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد لذلك ونست ايضاً في الصحيح
 لا يرال هذا الامر في هذا الحى من قریش وامثال هذه الادلة كثيرة الا انه لما ضعف امر
 قریش وتلاشت عصيتهم بما لهم من الترف والنعيم وبما استقنهم الدولة في سائر اقطار
 الارض عجز واندلك عن حمل الخلافة وتغلبت عليهم الاماحم وصار الحل والعقد لهم فاشته
 ذلك على كثير من المحققين حتى ذهبوا الى اني اشتراط القرشيتة وعولوا على ظهوره في ذلك
 مثل قوله صلى الله عليه وسلم اسمعوا واطيعوا وان ولي عليكم عبد حشني وهذا لا تقوم
 به حجة في ذلك فانه خرج مخرج التمثيل والعرض للمصلحة في ايجاب السمع والطاعة
 ومثل قول عمر لو كان سالم مولى حديمة حياً لوليت اوما دخلتني فيه الفضة وهو ايضاً لا
 يفيد ذلك لما علمت ان مذهب الصحابي ليس بحجة وايضاً فيقول القوم منهم وعصية الولاء
 حاصلة لسالم في قریش وهي العائدة في اشتراط النسب ولما استعظم عمر امر الخلافة ورأى
 شروطها كانتا مفقودة في طوع عدل الى سالم لتوفر شروط الخلافة عنده فيوحي حتى من النسب
 المميد للعصية كما ذكر ولم يبق الا صراحة النسب وراه غير محتاج اليه اذا العائدة في النسب
 اما هي العصية وهي حاصلة من الولاء فكان ذلك حرصاً من عمر رضي الله عنه على النظر
 للمسلمين وتقليد امرهم لان الخليفة فيه لائمة ولا عليه فيه عهدة ومن القائلين اني اشتراط
 القرشيتة القاضي ابو بكر الباقلاني لما ادرك عليه عصية قریش من الثلاثي والاصحاح
 واستبداد ملوك العجم من الخلفاء فاسقط شرط القرشيتة وان كان موافقاً لراي الخوارج لما راى
 عليه حال الخلفاء لعهد وني الجمهور على القول باشتراطها وصحة الامامة للقرشي ولو
 كان عاجزاً عن القيام بما ورث المسلمون ورد عليهم سقوط شرط الكفاية التي يقوى بها على
 امره لانه اذا ذهبت التوكة بنهاب العصية فقد دهمت الكفاية وانا وقع الاخلال
 بشرط الكفاية تطرق ذلك ايضاً الى العلم والدين وسقط اعتبار شروط هذا المنصب
 وهو خلاف الاحجام ولتتكم الان في حكمة اشتراط النسب ليتحقق به الصواب في هذه

المذاهب فنقول . ان الاحكام الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحكم تشتمل عليها وتشرع
لاجلها ونحن اذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد الشارع منه لم يقتصر
فيه على التبرك بوصلة النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في المشهور وإن كانت تلك الوصلة
موجودة والتبرك بها حاصلًا لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علت فلا بد من
من المصلحة في اشتراط النسب وهي المقصودة من مشروعيتها وإذ اسبرنا وقسمنا لم نجد لها الا
اعتبار العصية التي تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب
المنصب فتسكن البيوت المملوءة وإهلها ويتنظم حبل الالفه فيها وذلك ان قرشًا كانوا عصية مضر
وإصلهم وإهل الغلب منهم وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصية والشرف فكان
سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكينون لغلبهم فلو جعل الامر في سواهم لتوقع افتراق
الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر ان يردم عن الخلاف ولا
يحملهم على الكره فتفرق الجماعة وتختلف الكلمة والشارع يحذر من ذلك حريص على
اتفاقهم ورفع النزاع والشتات بينهم لفصل المحمة والعصية وتحسن الحماية بخلاف ما اذا
كان الامر في قرش لانهم قادرين على سوق الناس بعض الغلب الى ما يراد منهم فلا
يخشى من احد من خلاف عليهم ولا فرقة لانهم كيبولون حيث يشاء بدفعها ومنع الناس منها
فاشترط نسبهم القرشي في هذا المنصب وهم اهل العصية القوية ليكون المبلغ في انتظام الملة
واتفاق الكلمة واذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر اجمع فاذعن لهم سائر العرب
وانقادت الامم سواهم الى احكام الملة ووطئت جنودهم قاصية البلاد كما وقع في ايام
الفتوحات واستمر بعدها في الدولتين الى ان اضهل امر الخلافة وتلاشت عصية العرب
ويعلم ما كان لقرش من الكثرة والتغلب على بطون مضر من مارس اخبار العرب وسيروهم
وتنظن لذلك في احوالهم . وقد ذكر ذلك ابن اسحاق في كتاب السير وغيره فاذا ثبت ان
اشتراط القرشية انما هو لدفع النزاع بما كان لهم من العصية والغلب . وعلمنا ان الشارع
لا يخص الاحكام بحبل ولا عصر ولا امة علمنا ان ذلك انما هو من الكتابة فرددناه اليها
وطردناه العلة المشتبهة على المقصود من القرشية وهي وجود العصية فاشتراطنا في الفائم
بامور المسلمين ان يكون من قوم اولي عصية قوية غالبية على من معها لعصرها ليستنبعوا
من سواهم وتجنم الكلمة على حسن الحماية ولا يعلم ذلك في الاقطار والافاق كما كان في
القرشية اذ الدعوة الاسلامية التي كانت لهم كانت عامة وعصية العرب كانت وافية بها
فغلب سائر الامم وانما يخص هذا العهد كل قطر من تكون له فيه العصية الغالبة واذا

نظرت سرّاً الله في الخلاف فلم تعد هذا لانه سبحانه اما جعل الخليفة نائباً عنه في القيام بامور عبادته ليعملهم على مصالحهم ويردّهم عن مصادم وهو مخاطب بذلك ولا يجاطب بالامر الا من له قدرة عليه الا ترى ما ذكره الامام ابن الخطيب ^(١) في شان النساء وابهن في كثير من الاحكام الشرعية جعلن تبعاً للرجال ولم يدخلن في الخطاب بالوضع ولما دخلن عنده بالقياس وذلك لما لم يكن لمن من الامر شيء وكان الرجال قوامين عليهم اللهم الا في العبادات التي كل احد فيها قائم على نفسه فخطأهن فيها بالوضع لا بالقياس ثم ان الوجود شاهد بذلك فانه لا يقوم بامر امة او حيل الا من غلب عليهم وقل ان يكون الامر الشرعي مخالفاً للامر الوجودي والله تعالى اعلم

الفصل السابع والعشرون

في مذاهب الشيعة في حكم الامامة

اعلم ان الشيعة لغة هم الصعب والاناع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الحلف والسلف على اتباع علي وبيو رضي الله عنهم ومذهبهم جميعاً متفقين عليه ان الامامة ليست من المصالح العامة التي تفوض الى نظر الامة ويتعين القايم بها تعيينهم بل في ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز لي اغماله ولا تفويضه الى الامة بل يجب تعيين الامام لم ويكون معصوماً من الكاثر والصفائر وان علياً رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليهصوص بقلوبها وبأولوبها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهان ذة السنة ولا نفلة الشريعة بل اكثرها موضوع او مطعون في طريقه او بعيد عن ناو يلائهم العاسدة وتنقسم هذه الصوص عدم الى حلي وخفي فالجلي مثل قوله من كنت مولاه فعلي مولاه قالوا ولم تطرد هذه الولاية الا في علي ولهذا قال له عمر اصبحت مولى كل مؤمن ومومنة ومها قوله اقصاصكم علي ولا معنى للامامة الا القضاء باحكام الله وهو المراد ناوي الامر الواجبة طاعتهم بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم والمراد الحكم والقضاء ولهذا كان حكماً في قصبة الامامة يوم السقيفة دون غيره ومها قوله من يبايعني على روجه وهو وصي وولي هذا الامر من بعدى فلم يبايعه الا علي ومن الخبي عدم بعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً لقراءة سورة مراءة في الموسم حين ادرت فانه بعث بها اولاً اما بكر ثم أجي اليو ليلغة رجل منك او من قومك فبعث علياً ليكون الفاري المبلغ قالوا وهذا يدل على تقديم علي وايضاً فلم يعرف انه قدم احداً على علي وامانو بكر

وعمر فقدم عليها في غزائين اسامة بن زيد مرة وعمرو بن العاص اخرى وهذه كلها ادلة
شاهدة تعيين علي للخلافة دون غيره فمنها ما هو غير معروف ومنها ما هو بعيد عن
تأويلهم ثم منهم من يرى ان هذه النصوص تدل على تعيين علي وتخصيصه وكذلك تنقل
منه الى من بعده وهؤلاء هم الامامية ويتبرأون من الشيعة حيث لم يقدموا علياً ويايعوه
بمقتضى هذه النصوص ويغصبون في امامتها ولا يلتفت الى نقل القدر فيها من علامتهم
فهو مردود عندنا وعندهم ومنهم من يقول ان هذه الادلة انما اقتضت تعيين علي بالوصف
لا بالتخصيص والناس مقصرون حيث لم يصعلوا الوصف موضعاً وهؤلاء هم الريدية ولا
يتبرأون من الشيعة ولا يغصبون في امامتها مع قولهم ان علياً افضل منها لكنهم يحجرون
امامة المفصول مع وجود الفصل ثم اختلفت قول هؤلاء الشيعة في مساق الخلافة بعد
علي فمنهم من ساقها في ولد فاطمة بالص عليهم واحداً بعد واحد على ما ذكره وهؤلاء
يسمون الامامية نسبة الى مقالهم بانتراط معرفة الامام وتعيينه في الايمان وهي اصل عدم
ومنهم من ساقها في ولد فاطمة لكن بالاختيار مع التجويع ويشترط ان يكون الامام منهم
عالمًا زاهداً جليلاً شجاعاً ويخرج داعياً الى امامته وهؤلاء هم الريدية نسبة الى صاحب
المذهب وهو زيد بن علي بن الحسين السبط وقد كان يباشر اخاه محمداً الماقر على
اشتراط الخروج في الامام فيلزمه الماقر ان لا يكون ابوهارب العائدين اماماً لانهم يخرج
ولا تعرض للخروج وكان مع ذلك يعي عليه مذاهب المعتزلة واخذها اياها عن واصل
بن عطاء ولما باظر الامامية ريداً في امامة الشيعة ورأوا يقول امامتها ولا يتبرأ منها
رفضوا ولم يجعلوا من الائمة وبذلك سموا رافضة ومنهم من ساقها بعد علي واسمى السطيين
على اختلافهم في ذلك الى اخيهما محمد بن الحنفية ثم الى ولده وم الكيسانية نسبة الى كيسان
مولاه وبين هذه الطوائف اختلافات كثيرة تركها اختصاراً ومنهم طوائف يسمون
الغلاة تجاوروا واحد العقل والايمان في القول بالوهمية هؤلاء الائمة اما على انهم بشر انصفوا
بصفات الالوهية او ان الاله حل في ذاته البشرية وهو قول بالحلول يوافق مذهب
المصاري في عيسى صلوات الله عليه ولقد حرق علي رضي الله عنه بالنار من ذهب فيه
الى ذلك منهم ومحمد بن الحنفية المختار بن ابي عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه فصاح بصوته
والبراءة منه وكذلك فعل جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه بمن بلغه مثل هذا عنه ومنهم
من يقول ان كمال الامام لا يكون لغيره فاذا مات انتقلت روحه الى امام اخر ليكون فيه
ذلك الكمال وهو قول بالتناسخ ومن هؤلاء الغلاة من يقف عند واحد من الائمة لا يتجاوز

الى غيرو بحسب من يعين لذلك عندهم وهؤلاء هم الواقفية فبعضهم يقول هو حي لم يموت
الا انه غائب عن اعين الناس ويستشهدون لذلك بقصة الخضر قبل مثل ذلك في علي
رضي الله عنه وانه في السحاب والرعد صوته والبرق في سوطه وقالوا مثله في محمد بن
الحنفية وانه في جبل رضوى من ارض الحجاز وقال شاعرهم

الا ان الامة من قريش ولاة الحق اربعة سواء
علي والثلاثة من بنيو هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر وسبط غيبة كربلاء
وسبط لا يدوق الموت حتى يقود الجيش بقدمه اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده غسل وماء

وقال مثله غلاة الامامية وخصوصاً الاثنا عشرية منهم يزعمون ان الثاني عشر من ائمتهم
وهو محمد بن الحسن العسكري وبقبونه المهدي دخل في سرداب بدارم في الحلة وتغيب
حين اعتقل مع امه وغاب هنالك وهو يخرج آخر الزمان فيملأ الارض عدلاً يشيرون
بذلك الى الحديث الرافع في كتاب الترمذي في المهدي وم الى الان ينتظرونه ويسمونه
المنتظر لذلك ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قدموا
مركباً فيهنفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفذون ويرجسون الامر
الى الليلة الانية وم على ذلك هذا العهد وبعض هؤلاء الواقفية يقول ان الامام الذي مات
يرجع الى حياته الدنيا ويستشهدون لذلك بما وقع في القرآن الكريم من قصة اهل الكهف
والذي مر على قرية وقتل بني اسرائيل حين ضرب بعظام البقرة التي امروا بنجها ومثل
ذلك من الخوارق التي وقعت على طريق المعجزة ولا يصح الاستشهاد بها في غير مواضعها
وكان من هؤلاء السيد الحميري ومن شعره في ذلك

اذا ما المرء شاب له قذال وعلله المواشط بالخضاب
فقد ذهبت بشاشته واودى فقم يا صاح نبك على الشباب
الى يوم ثوب الناس فيه الى دنياهم قبل الحساب
فليس بعائد ما فات منه الى احد الى يوم الاياب
أدين بان ذلك دين حق وما انا في النشور بذي ارياب
كذلك الله أخبر عن أناس حيوا من بعد درس في التراب

وقد كفانا مؤثونة هؤلاء الغلاة أئمة الشيعة فانهم لا يقولون بها ويبتلون احتجاجاتهم عليها

وإما الكيسانية فساقلوا الامام من بعد محمد بن الحنفية الى ابني ابي هاشم وهؤلاء هم الهاشمية
 ثم افترقوا ففهم من ساقها بعده الى اخيه علي بن ابي الحسن بن علي واخرون برعمون
 ان ابا هاشم لما مات نارض السراة منصرفاً من الشام اوصى الى محمد بن علي بن عبد
 الله بن عباس واوصى محمد بن علي بن ابي ابراهيم المعروف بالامام واوصى ابراهيم بن ابي
 الله بن الحارثية الملقب بالسناج واوصى هو الى اخيه عبد الله بن جعفر الملقب بالمصور
 وانتقلت في ولده بالص والهد واحداً بعد واحد الى اخرهم وهذا مذهب الهاشمية القايين
 بدولة بني العباس وكان منهم ابو مسلم وسليمان بن كثير واوسلة الحلال وغيرهم من تبعه
 العباسية وربما يعصدون ذلك بان حقه في هذا الامر يصل اليهم من العباس لانه كان
 حياً وقت الوفاة وهو اولي بالوراثة بعصية العمومة والامامة على مذهبهم
 فيها واحداً باختيار اهل الحل والعقد لا بالص فقالوا امامة علي بن ابي الحسن بن ابي
 الحسين بن ابي علي بن الحسين بن ابي ريد بن علي وهو صاحب هذا المذهب وخرج
 بالكوفة داعياً الى الامامة فقتل وصلب بالكوفة وقال الريدية امامة ابي يحيى من
 بعده فمضى الى خراسان وقتل بالجوزجان بعد ان اوصى الى محمد بن عبد الله بن حسن
 بن الحسن السطوي يقال له السريكة فخرج بالبحار وتلقب بالمهدي وجاءته عساكر
 المصور فقتل وعهد الى اخيه ابراهيم فقام بالصرة ومعه عيسى بن ريد بن علي فوجه
 اليهم المصور عساكرهم فمهم وقتل ابراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق اخبرهم بذلك كله
 وفي معدودة في كراماته وذهب آخرون منهم الى ان الامام بعد محمد بن عبد الله السريكة
 الريكة هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر وعمر هو اخو زيد بن علي فخرج محمد بن القاسم
 بالطالقان فقبض عليه وسبق الى المعتصم بحسبة ومات في حسبه وقال آخرون من
 الريدية ان الامام بعد يحيى بن ريد هو اخو عيسى الذي حصر مع ابراهيم بن عبد الله
 في قتال مع مصور وتلقوا الامامة في عقبه واليه انسب دعي الزنج كما يذكره في اخبارهم
 وقال آخرون من الريدية ان الامام بعد محمد بن عبد الله اخو ادريس الذي فرّ
 الى المغرب ومات هنالك وقام بامرهم اسد ادريس واخطأ مدينة فاس وكان من بعده
 عقبه ملوكاً بالمغرب الى ان افرضوا كما يذكره في اخبارهم وفي امر الريدية بعد ذلك
 غير متعظم وكان منهم الداعي الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن ريد بن محمد بن
 اسماعيل بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين السطوي اخو محمد بن زيد بن قام بهذه
 الدعوة في الديلم بالناصر الاطروش منهم واسلموا على يده وهو الحسن بن علي بن الحسن

بن علي بن عمر وعمر أخو زيد بن علي فكانت لسيده بطبرستان دولة وتوصل الديلم من سبهم
 الى الملك والاستناد على الخلفاء بغداد كما نذكر في اخبارهم . واما الامامية فساقلوا الامامة
 من علي الرضى الى اسد الحسن بالصيغة ثم الى اخيه الحسين ثم الى اسد علي زين العابدين
 ثم الى اسد محمد الباقر ثم الى ابنه جعفر الصادق ومن ها افترقوا فرقتين فرقة ساقوها الى
 ولده اسماعيل ويعرفونه بينهم بالامام وهم الاسماعيلية وفرقة ساقوها الى اسد موسى الكاظم
 وهم الاثنا عشرية لوقوفهم عند الثاني عشر من الائمة وقولهم نغيبتوه الى اخر الرمان كما مر
 فأما الاسماعيلية فقالوا امامة اسماعيل الامام بالنص من ابيه جعفر وفائدة النص عليه
 عدمه وان كان قد مات قبل ابيه اما هو بقاء الامامة في عقبه كقصه هارون مع موسى
 صلوات الله عليها قالوا ثم انتقلت الامامة من اسماعيل الى اسد محمد المكتوم وهو اول
 الائمة المستورين لان الامام عدمه قد لا يكون له شوكة فيستتروا تكون دعائه ظاهرين
 اقامة الحجج على الخلق واذا كانت له شوكة طهر واظهر دعوته قالوا وبعد محمد المكتوم اسد
 جعفر الصادق وبعده اسد محمد الحبيب وهو اخر المستورين وبعده اسد عبد الله
 المهدي الذي اظهر دعوته ابوعبد الله الشيعي في كنامة وبتابع الناس على دعوته ثم اخرجه
 من معتقلو سجنهماسه وملك القيروان والمغرب وملك سوه من بعد مصر كما هو معروف
 في اخبارهم وبسبب هؤلاء الاسماعيلية نسبة الى القول امامة اسماعيل ويسمون ايضا بالباطنية
 نسبة الى قولهم بالامام الباطل اي المستور ويسمون ايضا المخدعة لما في ضمن مقاتلهم من
 الاحاد ولهم مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا اليها المحسن بن محمد الصباح في اخر المائة
 الخامسة وملك حصونا بالشام والعراق ولم ترل دعوته فيها الى ان تورعها الهلاك بين
 ملوك الترك بمصر وملوك النهر بالعراق فاقرضت ومقالة هذا الصباح في دعوتوه مذكورة
 في كتاب الملل والهلل للشهرستاني * واما الاثنا عشرية فرما خصلوا باسم الامامية عدد
 المتأخرين منهم فقالوا امامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق لوفاة اخيه الاكبر اسماعيل
 الامام في حياة ابيه جعفر فص على امامة موسى هذا ثم اسد علي الرضا الذي عهد اليه
 المؤمن ومات قلة فلم يبق له امر ثم اسد محمد الثاني ثم اسد علي الهادي ثم اسد محمد الحسن
 العسكري ثم اسد محمد المهدي المنتظر الذي قد ساء قل وفي كل واحدة من هذه المناللات
 للشيعة اختلاف كثير الا ان هذه اشتهر مذاهبيهم ومن اراد استيعابها ومطالعها فعليه
 بكتاب الملل والنحل لاس حرم والشهرستاني وغيرهما فيها بيان ذلك والله يصل من
 يشاء ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو العلي الكبير

الفصل الثامن والعشرون

في انقلاب الخلافة الى الملك

اعلم ان الملك غاية طبيعية للعصية ليس وقوعه عنها باختيار انما هو بضرورة الوجود وترتيبها كما قلناه من قبل وان الشرائع والديانات وكل امر يحمل عليه الجمهور فلا بد فيه من العصية اذ المطالبة لانتم الاربها كما قد مناه. فالعصية ضرورية للملة وبوجودها يتم امر الله منها وفي الصحيح ما بعث الله نبيا الا في منعة من قوم ثم وجدنا الشارع قد ذم العصية ويندب الى اطراحها وتركها فقال ان الله اذهب عنكم غيبة^(١) المجاهلية وفخرها بالابا انتم بنو آدم وآدم من تراب وقال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ووجدناه ايضا قد ذم الملك واهله ونهى على اهله احوالهم من الاستمتاع بالخلاف والاسراف في غير النصد والتكيب عن صراط الله وانما مضى على الالف في الدين وحذر من الخلاف والفرقة * واعلم ان الدنيا كلها واحوالها عند الشارع مطية للاخرة ومن فقد المطية فقد الوصول وليس مراده فيما ينهى عنه او يذمه من افعال البشر او يندب الى تركه اهاله بالكلية او اقتلاعه من اصوله وتعطيل القوى التي ينشأ عليها بالكلية انما قصد تصريفها في اغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقا وتنفذ الوجهة كما قال صلى الله عليه وسلم من كانت هجرته الى الله ورسوله فحجته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فلم يذم الغضب وهو يقصد نزعه من الانسان فانه لو زالت منه قوة الغضب لفقد منه الاتصالح والحق وبطل الجهاد واعلاء كلمة الله وانما يذم الغضب للشيطان وللاغراض الدنمية فاذا كان الغضب لذلك كان مذموما واذا كان الغضب في الله والله كان ممدوحا وهو من شأله صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشهوات ايضا ليس المراد ابطالها بالكلية فان من بطلت شهوته كان نقصا في حقها وانما المراد تصريفها فيما ايجز له باشتغالها على المصالح ليكون الانسان عبدا متصرفا طوعا او امرالا هية وكذا العصية حيث ذمها الشارع وقال ان تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم فانما مرادة حيث تكون العصية على الباطل واحوالها كما كانت في المجاهلية وان يكون لاحد فخر بها او حتى على احد لان ذلك حمان من افعال العقلاء وغير رافع في الاخرة التي هي دار الثرار فاما اذا كانت العصية في الحق واقامة امر الله فامر مطلوب ولو بطل لبطلت الشرائع اذ لا يتم قيامها الا بالعصية كما قلناه من قبل وكذا الملك لما ذمه الشارع لم يذم منه الغلب

١. عية بضم العين وكرها وكسر الموحدة مشددة وتشديد المثناة التحتية الكبير والخير والتحق امقاموس

بالحق وقهر الكافة على الدين ومراعاة المصالح وإما ذنبه لما فيه من التغلب بالباطل
 ونصره بالآدميين طوع الأعراس والشهوات كما قلناه فلو كان الملك مخلصاً في علوه
 للناس الله ولحمهم على عبادة الله وجهاد عدوه لم يكن ذلك مندوباً وقد قال سليمان
 صلوات الله عليه رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي لما علم من بسوئه بعزل عن
 الباطل في السوء والملك * ولما لقي معاوية عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند قدميها إلى
 الشام في أبيه الملك ورؤيته من العديد والعدة استنكر ذلك وقال أكسروني يا معاوية
 فقال يا أمير المؤمنين ما في تغرتهما العدو وما إلى ما هاتهم رية الحرب والجهاد حاجة
 فسكت ولم يجتنبه لما احتج عليه بمقصد من مقاصد الحق والدين فلو كان القصد رخص
 الملك من أصله لم يقع هذا الجواب في تلك الكسروية وانحطاً بل كان يحرص على حروجه
 عنها بالحيلة وإما أراد عمر بالكسروية ما كان عليه أهل فارس في ملكهم من ارتكاب الباطل
 والظلم والعي وسوء السلوك والعلة عن الله وإجابه معاوية بأن القصد بذلك ليس كسروية
 فارس وباطلهم وإنما قصده بها وجه الله فسكت * وهكذا كان شأن الصحابة في رخص
 الملك وأحواله وسبب عواقبه حذراً من الناس بها الباطل فلما استخضر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم استخلف أبا بكر على الصلاة أدهي أهم أمور الدين وإيضاه الناس للخلافة
 وهي حمل الكافة على أحكام الشريعة ولم يجر للملك ذكر لما أنه مضى للباطل ومحلته يومئذ
 لأهل الكفر وإعلاء الدين فقام بذلك أبو بكر ما شاء الله متعاساً صاحبه وقاتل أهل
 الردة حتى أجمع العرب على الإسلام ثم عهد إلى عمر واقبى أثره وقاتل الأمام فعملهم وإذن
 للعرب في انتزاع ما بأيديهم من الدنيا والملك فعملهم عليه وانتزعه منهم ثم صارت إلى
 عثمان بن عفان ثم إلى علي رضي الله عنهما والكل متدثر من الملك مكسور عن طريقه
 وأكد ذلك لديهم ما كانوا عليه من عصاضة الإسلام وبداوة العرب فقد كانوا أعداء الإسلام
 عن أحوال الدنيا وترها لا من حيث دينهم الذي يدعوهم إلى الرهد في العيب ولا من حيث
 سائرهم ومواطنهم وما كانوا عليه من حشونة العيش وشططه الذي الشوق فلم تكن أمة من
 الأمم أسعبت عيشاً من مصر لما كانوا بالمحار في أرض غير ذات ريع ولا صرع وكانوا
 مسوعين من الأرياف وجوبها لبعدها واختصاصها من ولها من ربيعة واليمن فلم يكونوا
 يتطلعون إلى خصها ولقد كانوا كثيراً ما يأكلون العقارب والحنافس ويغرون بآكل
 العلق وهو ورا ليل يهوى بالمحارة في الدم ويطحونه وقريباً من هذا كانت حال قريش
 في مطالعهم ومساكنهم حتى إذا اجتمعت عصية العرب على الدين بما أكرمهم الله من سؤ

محمد صلى الله عليه وسلم زحفوا الى ام فارس والروم وطلبوا ما كتب الله لهم من الارض
 بوعد الصديق فابتنوا ملكهم واستباحوا دنياهم فرخرت بحار الرفو لديهم حتى كان الفارس
 الواحد يقسم له في بعض الغزوات ثلاثون الفا من الذهب او نحوها فاستولوا من ذلك
 على ما لا ياحذه المحصرون مع ذلك على خشونة عيشهم فكان عمر يرفع ثوبه بالجلد وكان
 علي يقول يا صفراء ويا بياضه غري غري وكان ابو موسى ينجافي عن اكل الدجاج لانه
 لم يهدا للعرب لقلتها يومئذ وكانت المناخل مفقودة عندهم بالجملة وانما كانوا ياكلون
 الحنطة بنخالها ومكاسهم مع هذا اتم ما كانت لاحد من اهل العالم قال المسعودي في ايام
 عثمان اقمنا الصحابة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة الف
 دينار والف درهم وقيمة ضياعه بوادي القري وحسين وغيرها مائتا الف دينار وخلف
 ابلا وخيلا كثيرة وبلغ الثمن للملح من متروك الزبير بعد وفاته خمسين الف دينار وخلف
 الف فرس والف امة وكانت غلة طلحة من العراق الف دينار كل يوم ومن ناحية السراة
 اكثر من ذلك وكان علي مر بطعبد الرحمن بن عوف الف فرس وله الف بعير وعشرة
 الاف من الغنم وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته اربعة وثمانين الفا وخلف يزيد بن ثابت
 من الفضة والذهب ما كان يكسر باليوش غير ما خلف من الاموال والضياع بمائة الف
 دينار وبنو الزبير داره بالبصرة وكذلك بنو بصر والكوفة والاسكندرية وكذلك بنو
 طلحة داره بالكوفة وشيد داره بالمدينة وبنها بالحبص والاجر والساج وبنو سعد ابن
 ابي وقاص داره بالعقيق ورفع سمكها واوسع فضاءها وجعل على اعلاها شرفات وبنو
 المقداد داره بالمدينة وجعلها محصنة الظاهر والباطن وخلف لعلي بن منبه خمسين الف
 ديناراً وعقاراً وغير ذلك ما قيمته ثلاثمائة الف درهم اه كلام المسعودي فكانت مكاسب
 التوهم كما تراء ولم يكن ذلك منعياً عليهم في دينهم اذ في اموال حلال لانها غنائم وفية ولم
 يكن تصرفهم فيها باسراف انما كانوا على قصد في احوالهم كما قلناه فلم يكن ذلك بتداح فيهم
 وان كان الاستكثار من الدنيا مذموماً فانما يرجع الى ما اشرنا اليه من الاسراف والخروج
 به عن القصد واذا كان حاله قصداً ونفقائهم في سبل الحق ومذاهبه كان ذلك الاستكثار
 عوناً لهم على طرق الحق واكتساب الدار الآخرة فلما تدرجت البداوة والغضاضة الى نهايتها
 وجاءت طبيعة الملك التي في مفتضى العصبية كاقلائه وحصل التغلب والتمركز حكم ذلك
 الملك عندهم حكم ذلك الرفه والاستكثار من الاموال فلم يصرفوا ذلك التغلب في باطل
 ولا خرجوا به عن مقاصد الديانة ومذاهب الحق * ولما وقعت الفتنة بين علي ومعاوية

وهي منتضى العصبية كان طريقهم فيها الحق والاجتهاد ولم يكونوا في محاربتهم لغرض ديني
او لا يثار باطل او لاستشعار حقد كما قد يتوهم متوهم ويتزعج اليه لمحدواً وإنما اختلف اجتهادهم
في الحق وسفه كل واحد نظر صاحبه واجتهاده في الحق فاقبلوا عليه وإن كان المصيب
عليه فلم يكن معاوية قائماً فيها بقصد الباطل إنما قصد الحق واخطأ والكُل كما وافي مقاصد
على حق ثم اقتضت طبيعة الملك الافراد بالحد واستتبار الواحد به ولم يكن لمعاوية ان
يدفع ذلك عن نفسه وقوميه فهو امر طبيعي سافته العصبية لطبيعتها واستشعرته نوامية ومن
لم يكن على طريقة معاوية في اقتناء الحق من اتاعهم فاعصوا عليه واستمانوا دونه
ولو حملهم معاوية على غير تلك الطريقة وخالفهم في الافراد بالامر لوقوع في افتراق الكلمة
التي كان جمعها وتاليها أم عليه من امر ليس وراءه كبير محالة وقد كان عمر بن عبد
العزيز رضي الله عنه يقول اذا رأى القاسم بن محمد بن أبي بكر لو كان لي من الامر شيء
لولينته الخلافة فلو اراد ان يعهد اليه لعل ولكنه كان يحشى من بني أمية اهل الحل والعقد
لما ذكرناه فلا يقدر ان يحول الامر عنهم اثلاً نفع العرق وهذا كله إنما حمل عليه مسارع
الملك التي هي منتضى العصبية فالملك اذا حصل وفرض ان الواحد انرد به وصرفه في
مذهب الحق ووجهه لم يكن في ذلك تكبر عليه واقد اندر سليمان وابنه داود صلوات
الله عليهما بملك بني اسرائيل لما اقتضته طبيعة الملك فيهم من الامراء به وكانوا ما علمت
من النبوة والحق وكذلك عهد معاوية الى يزيد خوفاً من افتراق الكلمة بما كانت سوامية
لم يرصوا تسليم الامر الى من سوام فلو قد عهد الى غيره اختلفوا عليه مع ان ظلمهم كان
به صالحاً ولا يرتاب احد في ذلك ولا يظن بمعاوية غيره فلم يكن ليعهد اليه وهو يعتقد
ما كان عليه من السبق حاشا الله لمعاوية من ذلك وكذلك كان مروان بن الحكم وانه
وان كانوا ملوكاً لم يكن مذهبهم في الملك مذهب اهل البطالة والعي إنما كانوا متحررين
لمقاصد الحق حيدم الا في ضرورة تحيلهم على بعضها مثل حشية افتراق الكلمة الذي هو
أهم ادبهم من كل مقصد يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والاقتداء وما علم السلف
من احوالهم فقد اخرج مالك في الموطاء بعمل عبد الملك وإما مروان فكان من الطبقة
الاولى من التابعين وعادتهم معروفة ثم تدرج الامر في ولد عبد الملك وكانوا من الدس
بالمكان الذي كانوا عليه ونوسطهم عمر بن عبد العزيز وفرع الى طريقة الخلفاء الاربعة
والصحابة جهده ولم يهمل ثم جاء ظلمهم واستعملوا طبيعة الملك في اغراضهم الديوية
ومقاصدكم ونسوا ما كان عليه سلمهم من تحريمي القصد فيها واعتماد الحق في مذهبها فكان

ذلك ما دعا الناس الى ان نعمل عليهم افعالهم وادالوا بالدعوة العاسية منهم وولي رجالها
الامر فكانوا من العدالة يمكن وصرفوا الملك في وحيه الحق ومداهيه ما استطاعوا حتى
جاء بنو الرئيد من بعده فكان منهم الصالح والطالح ثم اقصى الامر الى سيهم فاعطوا الملك
والترف حقاً وانغمسوا في الدنيا واطلها وسدوا الدين وراءهم ظهرياً فتأذى الله بحربهم
وانزعج الامر من ايدي العرب حملة وامكن سواهم منه والله لا يطلم مثقال ذرة ومن
تأمل سير هؤلاء الخلفاء والملوك واحتلامهم في تحري الحق من الباطل علم صحة ما قلناه
وقد حشنى المسعودي مثله في احوال بني امية عن ابي جعفر المصور وقد حصر عمومته
ودكر في بني امية فقال اما عبد الملك فكان جباراً لا يبالي بما صنع واما سليمان فكان
همه نطفة وفرحه واما عمر فكان اعور بين عميان وكان رحل التوم هشام قال ولم يزل
سوامية صايطين لما مهد لهم من السلطان بمحطونه وبصوون ما وهب الله لهم مع
تسليمهم معالي الامور ورفصهم ديباتها حتى اقصى الامر الى اسائهم المترفين فكانت ههنا
قصد الشهوات وركوب اللذات من معاصي الله جهلاً باستدراجه واساءة المكره مع اطراحهم
صيانة الخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعهم عن السياسة فسلمهم الله العرو والسهم
الدل وبن عنهم البهائم استخضر عبد الله بن مروان فقص عليه حيرة مع ملك انونة
لما دخل ارضهم فاراً ايام السباح قال اقمتم ملياً ثم اتاني ملكهم فقعده على الارض وقد
سظت لي فترت ذات قيمة فقلت له ما معك عن القعود على تياسا فقال ابي ملك وحق
لكل ملك ان يتواضع لعظمة الله اذ رفعه الله ثم قال لي لم تنسروا المحروفي محرومة عليكم
في كتابكم فقلت احترأ على ذلك عبيدا وانا عا قال فلم تظنوا الرع يدواكم والساد
محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيدا وانا عا بمجهلهم قال فلم تلتسوا الدياح والذهب
والحرير وهو محرم عليكم في كتابكم قلت ذهب ما الملك وانتم ما قوم من العجم دخلوا في
ديسا فلسوا ذلك على الكرم ما طارق يكت يده في الارض ويقول عبيدا وانا عا
واعام دخلوا في ديسا ثم رفع راسه الي وقال ليس كما ذكرت بل انتم قوم استغلتم ما حرم
الله عليكم وانتم ما عنة تهمتم وظلمتم فيما ملكتم فسلمكم الله العرو والسهم الدل يدوكم والله
يقع لم تبلغ عابنها فيكم وانا خائف ان يحل بكم العذاب وانتم سلبدي فيكم فيكم واما الصيافة
ثلاث فتروا ما احضرت اليه وارتحل عن ارضي فتعجب المصور واطرق فقد نين لك
كيف اغفلت الخلافة الى الملك وان الامر كان في اوله خلافة وارباع كل احد فيها من
اقوله عبد الله كذا في نسخة النونية وبعض الناسية وفي بعضها عبد الملك واطنه نصيحاً قاله نصر

نفسه وهو الدين وكانوا يوثرونه على امور دنياهم وان افضت الى هلاكهم وحدم دون الكافة فهذا عثمان لما حصر في الدار جاءه الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وابن جعفر وامثالهم يريدون اندفاعه عنه فاني ومنع من سل السيوف بين المسلمين مخافة الفرقة وحفظاً لللائمة التي بها حفظ الكلفة ولو أدى الى هلاكه وهذا علي اشار عليه المغيرة لاول ولايته باستبقاء الزبير ومعاوية وطلحة علي اعلمهم حتى يجتمع الناس على بيعته وتنفق الكلفة وله بعد ذلك ما شاء من امره وكان ذلك من سياسة الملك فاني فراراً من الغش الذي ينافيه الاسلام وغدا عليه المغيرة من الغداة فقال لقد اشرت عليك بالامس بما اشرت ثم عدت الى نظري فعلمت انه ليس من الحق والنصيحة وان الحق فيما رايت انت فقال علي لا والله بل اعلم انك نصحتني بالامس وغششتني اليوم ولكن منعني مما اشرت بوزائد الحق وهكذا كانت احوالهم في اصلاح دينهم بفساد دنياهم ونحن

نرفع دنيانا بقرين ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع

فقد رايت كيف صار الامر الى الملك وبقيت معاني الخلافة من تحريم الدين ومناهجه والحري على منهاج الحق ولم يظهر التغير الا في الوازع الذي كان ديناً ثم اقلب عصبية وسيفاً وهكذا كان الامر لعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك والصدر الاول من خلفاء بني العباس الى الرشيد وبعض ولده ثم ذهبت معاني الخلافة ولم يبق الا اسمها وصار الامر ملكاً مجناً وجرت طبيعة القلب الى غايتها واستعملت في اغراضها من القهر والتقلب في الشهوات واللاذ وهكذا كان الامر لولد عبد الملك ولمن جاء بعد الرشيد من بني العباس واسم الخلافة باقياً فيهم لبقاء عصبية العرب والخلافة والملك في الطورين ملتبس بعضهما ببعض ثم ذهب رسم الخلافة واثرها بذهاب عصبية العرب وفناء جيلهم وتلاشي احوالهم وبقي الامر ملكاً مجناً كما كان الشأن في ملوك العجم بالشرق يدينون بطاعة الخليفة تبرئ كأي الملك بجميع القايه ومناحيهم وليس للخليفة منه شيء وكذلك فعل ملوك زناتة بالمغرب مثل صنهاجة مع العبيدين ومغراوة وبني بفرن ايضاً مع خلفاء بني امية بالاندلس والعبيدين بالقيروان فقد تبين ان الخلافة قد وجدت بدون الملك اولاً ثم التبتت معانيها واخططت ثم انفرد الملك حيث افتقرت عصبية من عصبية الخلافة والله مقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار

الفصل التاسع والعشرون

في معنى البيعة^(١)

اعلم ان البيعة في العهد على الطاعة كان المبايع بعهاد امير على انه يسلم له النظر في امر نفسه وامور المسلمين لا ينازع في شيء من ذلك ويطبعة فيما يكلفه به من الامر على المنشط والمكروه وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده جعلوا ايديهم في يده ناكدا للعهد فاشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسمي بيعة مصدر باع وصارت البيعة مصافحة بالايدي هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع وهو المراد في الحديث في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وعند الخيبر وحيثما ورد هذا اللفظ ومنه بيعة الخلفاء ومنه ايمان البيعة كان الخلفاء يستعملون على العهد ويستوعبون الايمان كلها لذلك فسمي هذا الاستيعاب ايمان البيعة وكان الاكراه فيها اكثر واغلب ولهذا لما افشى مائلك رضي الله عنه بسقوط يمين الاكراه انكرها الولاة عليهم واوراها قاذحة في ايمان البيعة ووقع ما وقع من محنة الامام رضي الله عنه واما البيعة المشهورة لهذا العهد فهي تحية الملوك الكسروية من تقبل الارض او اليد او الرجل او الذيل أطلق عليها اسم البيعة التي في العهد على الطاعة مجازا لما كان هذا الخضوع في التحية والتزام الآداب من لوازم الطاعة وتواضعها وغلب فيها حتى صارت حقيقة عرفية واستغنى بها من مصافحة ايدي الناس التي هي الحقيقة في الاصل لما في المصافحة أكل احد من التنزل والابتدال المتأفين للرئاسة وصون المنصب الملوكي الا في الاقل ممن يقصد التواضع من الملوك فيأخذ به نفسه مع خواص ومشاهير اهل الدين من رعيته فافهم معنى البيعة في العرف فانه أكيد على الانسان معرفته لما يلزمه من حق سلطانته وامامه ولا تكون افعاله عبثا ومجانا واعتبر ذلك من افعالك مع الملوك والله القوي العزيز

الفصل الثلاثون

في ولاية العهد

اعلم اننا قدمنا الكلام في الامامة ومشروعيتها لما فيها من المصلحة وإن حقيقتها للنظر في مصالح الامة لدينهم ودنياهم فهو وليهم والامير عليهم ينظر لهم ذلك في حياتهم وينبع ذلك ان ينظر لهم بعد مماتهم ويقيم لهم من يتولى امورهم كما كان هو يتولاها ويتقنون بنظرهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل وقد عرف ذلك من الشرع باجماع الامة على جوازها وانعقادها

^(١) البيعة بفتح الموحدة اما بكسر على وزن شيعه يسكون الياء فيها فهي معبد المنصاري . اهـ

اذ وقع بعهد ابي بكر رضي الله عنه لعمر بمحض من الصحابة واجازوه ووجبوا على انفسهم
 بوطاعة عمر رضي الله عنه وعنهم وكذلك في الفوري الى السنة بنية العشرة وجعل
 لم ان يختاروا للمسلمين فتواض بعضهم الى بعض حتى افضى ذلك الى عبد الرحمن بن
 عوف فاجتهد وناظر المسلمين فوجدهم متفقين على عثمان وعلى علي فائتر عثمان بالبيعة على
 ذلك لموافقته اياه على لزوم الاقتداء بالشيوخ في كل ما يعين دون اجتهاده فانعد
 امر عثمان لذلك واوجبوا طاعته والملا من الصحابة حاضرون للاولى والثانية ولم ينكره
 احد منهم فدل على انهم متفقون على صحة هذا العهد عارفون بمشروعيته والاجماع حجة كما
 عرف ولا ينهم الامام في هذا الامر وان عهد الى ايوا وابنه لانه مامون على النظر لم في
 حياته فاو لا لا يحمل فيها تبعة بعد ماته خلافا لمن قال بانها في الولد والوالد ان
 لمن خصص التهمة بالولد دون الوالد فانه بعيد عن الظنة في ذلك كلو لاسما اذا كانت
 هناك داعية تدعو اليه من اثار مصلحة او توقع مفسدة فتنتفي الظنة عند ذلك راسا
 كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد وان كان فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة في الباب
 والذي دعاه معاوية لا يثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه انما هو مراعاة المصلحة في اجتماع
 الناس واتفاق اهوائهم باتفاق اهل الحل والعقد عليه حيث تد من بني أمية اذ بنو امية يومئذ
 لا يرضون سواهم وهم عصابة قريش واهل الملة اجمع واهل الغلب منهم فائتر بذلك دون
 غيره من يظن انه اولى بها وعدل عن الفاضل الى المنضول حرصا على الاتفاق واجتماع
 الاهواء الذي شانه اثم عند الشارع وان كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعدائه وصحة
 مانعة من سوى ذلك وحضور اكابر الصحابة لذلك وسكوته عن دليل على انتفاء الرب
 فيه فليسوا ممن ياخذهم في الحق هوادة وليس معاوية من تاخذ العزة في قبول الحق
 فانهم كلهم اجل من ذلك وعدائهم مانعة منه وقرار عبد الله بن عمر من ذلك انما هو
 محمول على تورعه من الدخول في شيء من الامور مباحا كان او محظورا كما هو معروف
 عنه ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي اتفق عليه الجمهور الا ابن الزبير وندور المخالف
 معروف ثم انه وقع مثل ذلك من بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق
 ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بني امية والسفاح والمنصور والمهدي والرشيد من
 بني العباس وامثالهم ممن عرفت عدائهم وحسن رايهم للمسلمين والنظر لم ولا يعاب عليهم
 اثار ابنائهم واخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الاربعة في ذلك فشانهم غير شان
 اولئك الخلفاء فانهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينيا فعند كل

احد وازع من نفسه فعهدها الى من يرتضيه الدين فقط وآثروه على غيره واكلوا كل من
 يسمو الى ذلك الى وازعه واما من عدم من لدن معاوية فكانت العصية قد اشرقت على
 غايتها من الملك والوازع الديني قد ضعف واحتجج الى الوازع السلطاني والعصافي فلو
 عهد الى غير من ترتضيه العصية لردت ذلك العهد وانتقض امره سرعاً وصارت الجماعة
 الى الفرقة والاختلاف . سأل رجل علياً رضي الله عنه ما بال المسلمين اختلفوا عليك ولم
 يختلفوا على ابي بكر وعمر فقال لان ابا بكر وعمر كانا واليهن على مثلي وأنا اليوم والى على
 مثلك يشير الى وازع الدين افلا ترى الى المامون لما عهد الى علي بن موسى بن جعفر
 الصادق وسماه الرضا كيف انكرت العباسية ذلك ونقضوا بيعته وبايعوا العباسيين
 المهدي وظهر من المخرج والاختلاف وانقطاع السبل وتعدد الثوار والخوارج ما كاد ان يصطلم
 الامر حتى يادر المامون من خراسان الى بغداد ورد امرهم لمعاوية فلا بد من اعتبار ذلك
 في العهد فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الامور والقبائل والعصبيات وتختلف
 باختلاف المصالح ولكل واحد منها حكم يخصه لطفاً من الله بعباده واما ان يكون التقصد
 بالعهد حفظ التراث على الابناء فليس من المقاصد الدينية اذ هو امر من الله يخص به من
 يشاء من عباده ينبغي ان تحسن فيه النية ما امكن خوفاً من العتب بالمناصب الدينية
 والملك لله بوتيته من يشاء وعرض هنا امور تدعو للضرورة الى بيان الحق فيها فلا اول
 منها ما حدث في يزيد من النسق ايام خلافته فاياك ان تظن بمعاوية رضي الله عنه انه
 علم ذلك من يزيد فانه اعدل من ذلك وافضل بل كان يعدله ايام حياته في سماع الغناء
 وبنائه عنه وهو اقل من ذلك وكانت مذاهبهم فيه مختلفة ولما حدث في يزيد ما حدث
 من النسق اختلف الصحابة حيثن في شأنه فمنهم من رأى الخروج عليه ونقض بيعته من
 اجل ذلك كما فعل الحسين وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومن اتبعهما في ذلك
 ومنهم من اباه لما فيه من اثار الفتنة وكثرة القتل مع العجز عن الوفاء به لان شوكة يزيد
 يومئذ في عصاة بني امية وجمهور اهل الحل والعقد من قريش وتستمتع عصية مضر
 اجمع وهي اعظم من كل شوكة ولا تطاق مقاومتهم فاقصروا عن يزيد بسبب ذلك واقاموا
 على الدعاء بهدائه والراحة منه وهذا كان شان جمهور المسلمين والكل مجتهدون ولا يتكر
 على احد من الفريقين فمقاصدهم في البر وتحري الحق معروفة وفقنا الله للاقتداء بهم
 والامر الثاني هو شان العهد من النبي صلى الله عليه وسلم وما تدعيه الشيعة من وصيته لعلي
 رضي الله عنه وهو امر لم يصح ولا نقله احد من ائمة النقل والذي وقع في الصحيح من طلب

الدواة والقرطاس يكتب الوصية وإن عمر متع من ذلك فدليل واضح على انه لم يقع وكذا قول عمر رضي الله عنه حين طعن وسئل في العهد فقال ان اعهد فقد عهد من هو خير مني يعني أبا بكر وان اترك فقد ترك من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم لم يعهد وكذلك قول عليّ للعباس رضي الله عنهما حين دعاه للدخول الى النبي صلى الله عليه وسلم يسألان عن شأنهما في العهد فابى علي من ذلك وقال انه ان منعنا منها فلا نطيع فيها آخر الدهر وهذا دليل على ان علياً علم انه لم يوص ولا عهد الى احد وشبهة الامامية في ذلك انما هي كون الامامة من اركان الدين كما يزعمون وليس كذلك وانما هي من المصالح العامة المفوضة الى نظر الخلق ولو كانت من اركان الدين لكان شأنها شان الصلاة ولكن يستخلف فيها كما استخلف ابا بكر في الصلاة ولكن يشتر كما اشتر امر الصلاة واحتجاج الصحابة على خلافة ابي بكر بقياسها على الصلاة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينا فلا نرضاه لدينا دليل على ان الوصية لم تقع وبطل ذلك ايضاً على ان امر الامامة والعهد بها لم يكن مهماً كما هو اليوم وشأن العصية المراجعة في الاجتماع والافتراق في مجاري العادة لم يكن يومئذٍ بذلك الاعتبار لان امر الدين والاسلام كان كله بخوارق العادة من تاليف القلوب عليه واستماتة الناس دونه وذلك من اجل الاحوال التي كانوا يشاهدونها في حضور الملائكة لصرحهم وتردد خبر السماء بينهم وتجدد خطاب الله في كل حادثة تتلى عليهم فلم يمتحج الى مراعاة العصية لما شمل الناس من صبغة الانقياد والاذعان وما يستفهم من تنابع المعجزات المخارقة والاحوال الالهية الواقعة والملائكة المترددة التي وجوها منها ودهشوا من تنابعها فكان امر الخلافة والملك والعهد والعصية وسائر هذه الانواع مندرجاً في ذلك القليل كما وقع فلما انحصر ذلك المدد بذهاب تلك المعجزات ثم ببناء القرون الذين شاهدوها فاستحال تلك الصبغة قليلاً قليلاً وذهبت الخوارق وصار الحكم للعادة كما كان فاعبر امر العصية ومجاري العوائد فيها بنشاعتها من المصالح والمناسد واصبح الملك والخلافة والعهد بها من المهمات الاكيدة كما زعموا ولم يكن ذلك من قبل فانظر كيف كانت الخلافة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم غير مهمة فلم يعهد فيها ثم تدرجت الاهمية زمان الخلافة بعض الشيء بما دعت الضرورة اليه في الحماية والجهاد وشأن الردة والفتوحات فكانوا بالخيار في الفعل والترك كما ذكرنا عن عمر رضي الله عنه ثم صارت اليوم من اهم الامور للالفة على الحماية والقيام بالمصالح فاعتبرت فيها العصية التي هي سرّ الوازع عن الفرقة والتخاذل ومنشأ الاجتماع والتوافق الكئيل بمقاصد

الشريعة وأحكامها* والأمر الثالث شأن المحروب الواقعة في الإسلام بين الصحابة والتابعين
 فأعلم أن اختلافهم إنما يقع في الأمور الدينية وينشأ عن الاجتهاد في الأدلة الصحيحة والمذارك
 المعتزلة والمجتهدون إذا اختلفوا فإن قلنا إن الحق في المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين
 ومن لم يصادف فهو محطى. فإن جهة لا تتعين باجماع فينبى الكل على احتمال الاصابة ولا
 يتعين الخطأ. منها والتأنيب مدفوع عن الكل اجماعاً وإن قلنا إن الكل حق وإن كل مجتهد
 مصيب فاحرى سبي الخطأ والتأنيب وغاية الخلاف الذي بين الصحابة والتابعين بخلاف
 اجتهد في مسائل دبية طيبة وهذا حكمته والذي وقع من ذلك في الإسلام إنما هو واقعة
 علي مع معاوية ومع الربيع وعائشة وطلحة وواقعة الحسين مع يزيد وواقعة أس الزبير مع
 عبد الملك وأما واقعة علي فإن الناس كانوا عند مقتل عثمان متفرقين في الأمصار فلم
 ينهضوا بيعة علي والذين تنهضوا منهم من تابع ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا
 على إمام كسعد وسعيد وأس عمرو وأسامة بن زيد والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن سلام
 وقدامة بن مظعون وإلى سعيد الجدي وكعب بن عجرة وكعب بن مالك والعمان بن
 نسيب وحسان بن ثابت ومسلمة بن مخلد وفصالة بن عبيد وأما من أكار الصحابة والذين
 كانوا في الأمصار عدلوا عن بيعته أيضاً إلى الطلب بدم عثمان وتركوا الأمر موصى حتى
 يكون شورى بين المسلمين لمن يولونه وظنوا بعليّ هوادة في السكوت عن نصر عثمان
 من قاتلوه لا في المبالاة عليه فحاش الله من ذلك ولقد كان معاوية إذا صرح بلامته إنما
 يوجهها عليه في سكوتهم فقط ثم اختلفوا بعد ذلك فرأى علي أن بيعته قد انعقدت ولرمت
 من تأخر عنها واجتماع من اجتمع عليها بالمدينة دار النبي صلى الله عليه وسلم وموطن
 الصحابة وأراح الأمر في المطالبة بدم عثمان إلى اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيمكن حينئذ
 من ذلك ورأى الآخرون أن بيعته لم تنعقد لافتراق الصحابة أهل الحل والعقد بالافاق
 ولم يحصر الا قليل ولا تكون البيعة الا باتفاق أهل الحل والعقد ولا تلزم بعقد من تولاهما
 من غيرهم أو من اقليل منهم وإن المسلمين حينئذ فوضى فباطلون أولاً بدم عثمان ثم
 يجتمعون على إمام وذهب إلى هذا معاوية وعمر بن الخطاب وعمر بن الخطاب وعمر بن الخطاب
 وأبو عبد الله وطلحة وأبو محمد وسعيد والنعمان بن بشير ومعاوية بن خديج ومن
 كان على رأيهم من الصحابة الذين تخطلوا عن بيعته علي بالمدينة كما ذكرنا إلا أن أهل
 العصر الثاني من بعدهم اتفقوا على انعقاد بيعة علي ولزومها للمسلمين اجمعين وتصويب
 رأيه فيما ذهب إليه وتعين الخطأ من جهة معاوية ومن كان على رأيه وخصوصاً طلحة

والزبير لا تنقاضها على عي بعد البيعة له فيما نقل مع دفع التائيم عن كل من الفريقين كالشأن في المجتهدين وصار ذلك اجماعاً من أهل العصر الثاني على أحد قولي أهل العصر الأول كما هو معروف ولقد سئل علي رضي الله عنه عن قتلى الجمل وصفيين فقال والذي نفسي بيده لا يموت أحد من هؤلاء وقلبه نقي إلا دخل الجنة يشير إلى الفريقين نقله الطبري وغيره فلا يقمن عندك ريب في عدالة أحد منهم ولا قدح في شيء من ذلك فهم من علمت واقوالهم وافعالهم انما هي عن المستندات وعدائهم مفروغ منها عند أهل السنة الا قولاً للمعتزلة فيمن قاتل علياً لم يلتفت اليه أحد من أهل الحق ولا عرج عليه وإذا نظرت بعين الانصاف عذرت الناس اجمعين في شأن الاختلاف في عثمان واختلاف الصحابة من بعد وعلمت انها كانت فتنة ابتلى الله بها الامة بينا المسلمون قد اذهب الله عدوهم وملكهم ارضهم وديارهم ونزلوا الامصار على حدودهم بالبصرة والكوفة والشام ومصر وكان أكثر العرب الذين نزلوا هذه الامصار جفاة لم يستكثروا من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ولا هذبهم سيرته وادابه ولا ارتاضوا بخلقه مع ما كان فيهم من المجاهلية من الجفاء والعصية والتناحر والبعد عن سكينة الايمان واذا بهم عند استئصال الدولة قد اصبحوا في ملكة المهاجرين والانصار من قريش وكنانة وثقف وهذيل وأهل الحجاز ويثرب السابقين الاولين إلى الايمان فاستنكفوا من ذلك وغصوا به لما يرون لانفسهم من التقدم بانسابهم وكثرتهم ومصادمة فارس والروم مثل قبائل بكر بن وائل وعبد القيس بن ربيعة وقبائل كندة والازد من اليمن ونعيم وقيس من مضر فصاروا إلى الغرض من قريش والائفة عليهم والتمريض في طاعتهم والتعلل في ذلك بالتظلم منهم والاستعداد عليهم والطعن فيهم بالهجر عن السرية والعدل في القسم عن السوية وفشت القالة بذلك وانتهت إلى المدينة وهم من علمت فاعظموا وبلغوه عثمان فبعث إلى الامصار من يكشف له الخبر بعث ابن عمر ومحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد وامثالهم فلم ينكروا على الامراء شيئاً ولا راوا عليهم طعناً وادى ذلك كما علموا فلم ينقطع الطعن من أهل الامصار وما زالت الشناعات تنمو ورمى الوليد بن عتبة وهو على الكوفة بشرب الخمر وشهد عليه جماعة منهم وحده عثمان وعزله ثم جاء إلى المدينة من أهل الامصار يسألون عزل العمال وشكوا إلى عائشة وعلي والزبير وطلحة وعزل لم عثمان بعض العمال فلم تنقطع بذلك السنتم بل وقد سعيد ابن العاصي وهو على الكوفة فلما رجع اعترضوه بالطريق وردوه معزولاً ثم انتقل الخلاف بين عثمان ومن معه من الصحابة بالمدينة ونقموا عليه امتناعه من العزل فإني الا ان يكون

على حرجة ثم نقلوا الكبير الى غير ذلك من اعماله وهو متمسك بالاجتهاد وم ايضاً
كذلك ثم تجمع قوم من الفوعة وجاءوا الى المدينة يطهرون طلب النصفه من عتار وم
يصرون خلاف ذلك من قتله وفيهم من الصرة والكوفة ومصر وقام معهم في ذلك علي
وعائشة والريبر وطلحة وغيرهم بجاولون تسكين الامور ورجوع عتار الى راجهم وعزل لم
عامل مصر فاصرفوا قليلاً ثم رجعوا وقد لسوا بكتاب مدلس برعون انه لقوة في يد
حامله الى عامل مصر مان يقتلهم وحلف عتار على ذلك فقالوا مكاس مروان فانه كانتك
فحلف مروان فقال عتار ليس في الحكم اكثر من هذا محاصروه نذاره ثم يثوه على حين
غفلة من الناس وقتلوه وانفع باب الفتنة فلكل من هواء عذر فيما وقع وكلهم كانوا مهتدين
بامر الدين ولا يصيغون شيئاً من تعلقاته ثم نظروا بعد هذا الواقع واحتجوا والله مطلع على
احوالهم وعالم بهم وبحس لا يظن بهم الا حيراً لما شهدت به احوالهم ومقالات الصادق وفيهم
واما الحسين فانه لما طهر فسق يزيد عبد الكافة من اهل عصره بعنت شيعه اهل البيت
بالكوفة للحسين ان ياتهم فيقوموا بامره فראى الحسين ان الخروج على يزيد متعين
من اجل فسقوا لاسيما من له القدرة على ذلك وطبها من نفسه باهليته وشوكه فاما الاهلية
فكانت كما طرور زيادة واما الشوكه فغلط برحمة الله فيها لان عصية مصر كانت في قرينش
وعصية قرينش في عبد مناف وعصية عبد مناف اما كانت في بني امية نعرف ذلك لم
قرينش وسائر الناس ولا بكرورة وإنما سب ذلك اول الاسلام لما شغل الناس من
الدهول بالحوارق وامر الوحي وتردد الملائكة لصرة المسلمين فاعملوا امور عواندهم
وذهبت عصية الحاهلية ومبارعها وسبت ولم يبق الا العصية الطليعية في الحماية والدفاع
يتنفع بها في اقامة الدين وجهاد المشركين والدين فيها محكم والعادة معروفة حتى اذا انقطع
امر السنة والحوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للعوائد فعادت العصية كما كانت
ولس كانت واصبحت مصر اطوع لسي امية من سوام بما كان لم من ذلك قبل فقد تبين لك
غلط الحسين الا انه في امر ديبوي لا يصرة العلف فيه واما الحكم الشرعي فلم يغلط فيولانه
منوط نظيره وكان طه القدرة على ذلك ولقد عدله اس العباس وان الريبر وان عمر
وان الحمية اخوه وغيره في مسيرهم الى الكوفة وعلما غلطة في ذلك ولم يرجع عما هو سبيله
لما اراده الله واما غير الحسين من الصحابة الذين كانوا بالمحجاز ومع يزيد بالشام والعراق
ومن التابعين لم فراقوا ان الخروج على يزيد وان كان فاسقاً لا يجوز لما ينشأ عنه من
الهرج والدماء فاقصروا عن ذلك ولم يتابعوا الحسين ولا انكروا عليه ولا انمؤه لانه محمّد

وهو اسوة المجتهدين ولا يذهب بك الغلط ان تقول نتائج هولاء بمخالفة الحسين وقعودهم
عن نصره فانهم اكثر الصحابة وكانوا مع يريد ولم يروا الخروج عليه وكان الحسين
يستشهد بهم وهو يقاتل بكر بلاء على فصوله وحقه ويقول سلوا حائراً عن عدا الله واباسعيد
الحديري وابن بن مالك وسهل بن سعيد ويريد من ارقم وامثالهم ولم يسكر عليهم قعودهم
عن نصره ولا تعرض لذلك لعلوا انهم عن اجتهاد منهم كما كان فعله عن اجتهاد من وكذلك
لا يذهب بك الغلط ان تقول تصويب قتله لما كان عن اجتهاد وان كان هو على اجتهاد
ويكون ذلك كما يجحد الشافعي والمالكي والحنفي على شرب البيدوعلم ان الامر ليس كذلك
وقتاله لم يكن عن اجتهاد هولاء وان كان خلافه عن اجتهادهم ولما امرد قتالهم يزيدوا صحابه
ولا تقول ان يريد وان كان فاسقا ولم يجر هولاء الخروج عليه فافعاله عدم صحبة واعلم
انه انما يهزم من اعمال الناس ما كان مشروعا وقتال العلة عدم من شرطه ان يكون
مع الامام العادل وهو مقتود في مثلنا فلا يجوز قتال الحسين مع يريد ولا ليريد بل
في من فعلاته المؤكدة المسندة والحسين فيها تهديد متاب وهو على حق واجتهاد والصحابة
الذين كانوا مع يريد على حق ايضا واجتهاد وقد علم القاضي ابو بكر والعربي المالكي
في هذا فقال في كتابه الذي سماه بالعواصم والقواصم ما معناه ان الحسين قتل شرع
جده وهو علم حمله عليه العلة عن انتراط الامام العادل ومن اعدل من الحسين
في رمايه في امامته وعدائيه في قتال اهل الاراء واما اس الرير فانه رأى في ساموه ما رآه
الحسين وطناً كما طس وعلمه في امر النبوكة اعظم لان بني اسد لا يقاومون بني امية في
جاهلية ولا اسلام والقول بتعين الخطاء في جهة مخالفة كما كان في جهة معاوية مع علي
لا سبيل اليه لان الاحماع هالك قصي لما لم يمددوا هاهنا . واما يريد فعين خطأ
فسقه وعند الملك صاحب اس الرير اعظم الناس عدالة وباهلك عدائيه احتجاج مالك
بعلوه وعدول اس عباس واس عمر الى بيعته عن اس الرير وهم معه بالبحار مع ان الكثير
من الصحابة كانوا يرون اسبيعة اس الرير لم تعفد لانه لم يحضرها اهل العقد والحزب
كبيرة مروان واس الرير على خلاف ذلك والكل محتشدون محمولون على الحق في
الظاهر وان لم يتعين في جهة مها والقتل الذي نزل به بعد تقرير ما قرناه بجي على قواعد
الفقه وقولهم مع انه شهيد مثاب باعتباره قصده وتحريمه الحق هذا هو الذي ينبغي ان
تحمل عليه افعال السلف من الصحابة والتابعين منهم خيار الامة واذا جعلناهم عرضة للفدح
فمن الذي يخلص بالعدالة والبي صلى الله عليه وسلم يقول خير الناس قري ثم الذين

يلوهم مرتين أو ثلاثاً ثم يفتو الكذب فجعل الخبير قوي العدالة مختصة بالقرن الأول والذي يليه فإياك ان تعود نفسك أو لسامك التعرض لاحد منهم ولا يشوش قلبك بالريب في شيء مما وقع منهم والنس لم مذاهب الحق وطرقها استطعت هم اولى الناس بذلك وما اختلفوا الا عن بنية وما قاتلوا او قتلوا الا في سبيل جهاد او اظهار حق واعتقد مع ذلك ان اختلافهم رحمة لمن بعدهم من الامة ليقندي كل واحد من بخباره معهم ويجعل امامة وماديه ودليله فاهم ذلك وتبين حكمة الله في خلفه واكوابه واعلم انه على كل شيء قدير واليه المصير والله تعالى اعلم

الفصل الحادي والثلاثون

في المخطط الدينية الخلافة

لما تبين ان حقيقة الخلافة بيانه عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا فصاحب الشرع متصرف في الامرين اما في الدين فمقتضى التكليف الشرعية الذي هو مأمور بتليعها وحمل الناس عليها واما سياسة الدنيا فمقتضى رعايته لمصالحهم في العمران السرى وقد قدمنا ان هذا العمران ضروري للنسوان رعاية مصالحه كذلك ان لا يفسد ان اهلته وقد ما ان الملك وسلطوته كاف في حصول هذه المصالح نعم اما تكون اكمل اذا كانت بالاحكام الشرعية لانه اعلم بهن المصالح فند صار الملك يدرج تحت الخلافة اذا كان اسلامياً ويكون من نواحيها وقد رد اذا كان في غير الملة وله على كل حال مراتب خادمة ووظائف ناعمة تعبر حطاً وتنوع على رجال الدولة ووظائف فيقوم كل واحد بوظيفته حسماً يعينه الملك الذي تكون يده عالية عليهم فيتم بذلك امره ويجس قيامه سلطاناً واما المصعب الخلفي وان كان الملك يدرج تحته بهذا الاعتبار الذي ذكرناه فتعرفه الديني يختص بمخطط ومرتبات تعرف الالطاء الاسلاميين قد ذكر الان المخطط الدينية المختصة بالخلافة ويرجع الى المخطط الملوكية السلطانية فاعلم ان المخطط الدينية الشرعية من الصلاة والنبيا والقضاء والجهاد والحسنة كلها مدرجة تحت الامامة الكبرى التي هي الخلافة فكانها الامام الكبير والاصل الجامع وهذه كلها مترعة عنها وداخله فيها لعموم نظر الخلافة وتصرّفها في سائر احوال الملة الدينية والديوية وتعيد احكام الشرع فيها على العموم فاما امامة الصلاة فهي ارفع من المخطط كلها وارفع من الملك بخصوصه المدرج معها تحت الخلافة ولقد يتهد لذلك استدلال الصحابة في شأنه الي

بكرضه الله عنه باختلافه في الصلاة على اختلافه في السياسة في قولهم ارتضاه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لديننا فلا نرضاه لديننا فلولاً ان الصلاة ارفع من السياسة لما صح
 القياس واذا ثبت ذلك فاعلم ان المساجد في المدينة صنفان مساجد عظيمة كثيرة الغاشية
 معدة للصلوات المشهودة واخرى دونها مختصة بقوم او محلة وليست للصلوات العامة فاما
 المساجد العظيمة فامرها راجع الى الخليفة او من ينوِّض اليه من سلطان او من وزير او
 قاضي فينصب لها الامام في الصلوات الخمس والجمعة والعيدين والمحسوفين والاستسقاء
 وتعين ذلك انما هو من طريق الأولى والاستحسان وثلاثا يفتات الرعايا عليه في شيء من
 النظر في المصالح العامة وقد يقول بالوجوب في ذلك من يقول بوجوب اقامة الجمعة
 فيكون نصب الامام لها عنده واجباً واما المساجد المختصة بقوم او محلة فامرها راجع الى
 الجيران ولا تحتاج الى نظر خليفة ولا سلطان واحكام هذه الولاية وشروطها والمولى فيها
 معروفة في كتب الفقه وبسبب في كتب الاحكام السلطانية الماوردي وغيره فلا نطوّل
 يذكرها ولقد كان الخلفاء الاولون لا يقدرونها لغيرهم من الناس وانظر من طعن من
 الخلفاء في المسجد عند الاذان بالصلاة وترصد له في اوقاتها بشهد لك ذلك
 بمباشرتهم لها وانهم لم يكونوا مستخلفين فيها وكذا كان رجال الدولة الاموية من بعدم
 استئثارها واستعضاء المرتبة بها يحكى عن عبد الملك انه قال لحاجبه قد جعلت لك حجابة
 بابي الاعن ثلاثة صاحب الطعام فانه يفسد بالتأخير والاذان بالصلاة فانه داع الى الله
 والبريد فان في تأخير فساد القنابية فلما جاءت طيعة الملك وعوارضة من الغلظة
 والترفع عن مساواة الناس في دينهم ودنياهم استنابوا في الصلاة فكانوا يستأثرون بها في
 الاحيان وفي الصلوات العامة كالعيدين والجمعة اشادة وتنوياً فعل ذلك كثير من
 خلفاء بني العباس والعبيديين صدر دولتهم واما النتيا فللخليفة تصفع اهل العلم والتدريس
 ورد النتيا الى من هو اهلها واعانتة على ذلك ومنع من ليس اهلها وزجره لانها من
 مصالح المسلمين في اديانهم فجب عليه مراعاتها لئلا يتعرض لذلك من ليس له باهل فضل
 الناس والمدرس الانتصاب لتعليم العلم وبثه والجلوس لذلك في المساجد فان كانت
 من المساجد العظام التي للسلطان الولاية عليها والنظر في ائمتها كما مر فلا بد من استئذانه
 في ذلك وان كانت من مساجد العامة فلا يتوقف ذلك على اذن على انه ينبغي ان يكون
 لكل احد من المفتين والمدرسين زاجر من نفسه يمنع عن التصدي لما ليس له باهل
 فيضل به المستهدي ويضل به المسترشد وفي الاثر أجراً كم على النتيا أجراً كم على جرائم

جههم فللسلطان فيهم لذلك من النظر ما توحى المصلحة من اجازة اوردت واما القضاة
 فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لانه منصب الفصل بين البات في الخصومات
 حسماً للتداعي وقطعاً للتسارع الا انه مالا يحكم الشرعية المتلفة من الكتاب والسنة فكان
 لذلك من وظائف الخلافة ومدرجاتي عمومها وكان الخلفاء في صدر الاسلام يباشرونه
 بانفسهم ولا يجعلون القضاة الى من سواهم ولول من دفعه الى غيره وقوضه فيد عمر رضي
 الله عنه مولى اما الدراء معه بالمدينة وولى شريحاً بالبصرة وولى ابا موسى الاشعري
 بالكوفة وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي تدور عليه احكام القضاة وفي مستوفاة
 فيه يقول اما بعد فان القضاة فرصة محكمة وسنة متعة فامهم اذا ادعى اليك فانه لا يبيع
 تكلم بحق لا ماد له واس بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك حتى لا يطع شريف في
 حرمك ولا يهأس ضعيف من عدلك البيعة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح
 جائز بين المسلمين الا صلحاً احل حراماً او حرم حلالاً ولا يبعك قضاة قصيته امس
 وراحت اليوم فيه عقلك وهديت فيه ارتدك ان ترجع الى الحق فان الحق قد قدم
 ومراجعة الحق خير من التنادي في الباطل اللهم فيما تطلع في صدرك ما ليس في كتاب
 ولا سنة ثم اعرف الامثال والانساء وقس الامور سطورها واحمل لمن ادعى حقاً عائناً
 او يسه امداً يبتغي اليه فان احصر بينه احدث له محقو ولا استخلت النصية عليه فان ذلك
 ان للسك واحلى للعلماء المسلمون عدون بعضهم على بعض الا محلوداً به حجة او مبرراً
 عليه شهادة رور او طياً في سساو ولا فان الله سبحانه عما عن الابان ودرأ بالبيات
 واياك والفاق والصحر والتأفف بالخصوم فان استقرار الحق في مواطن الحق يعلم الله به
 الاحر ويحس به الذكر والسلام - انتهى كتاب عمر واما كانوا يقلدون القضاة لغيره وان
 كان ما يتعلق بهم لقيامهم بالسياسة العامة وكثرة اشغالها من الجهاد والنوحات وسد
 الثغور وحماية البيعة ولم يكن ذلك مما يقوم به غيرهم لعظم العسابة واستحقاق القضاة في
 الواقعات بين الناس واستغلو فيه من يقوم به تحيئاً على انفسهم وكانوا مع ذلك انما
 يقلدونه اهل عصيتهم بالسب او الولاء ولا يقلدونه لمن بعد عنهم في ذلك واما احكام
 هذا المنصب وشروطه معروفة في كتب الفقه وخصوصاً كتب الاحكام السلطانية الا
 ان القاضي انما كان له في عصر الخلفاء الفصل بين الخصوم فقط ثم دفع لم بعد ذلك
 امور اخرى على التدرج بحسب اشتغال الخلفاء والملوك بالسياسة الكبرى واستقر منصب
 القضاة اخر الامر على انه يجمع مع الفصل بين الخصوم استنباء بعض الحقوق العامة

للمسلمين بالنظر في امثال المحجور عليهم من المجامين واليتامى والمملوكين واهل السفه وفي
 وصايا المسلمين وادواقهم وتزويج الايامى عند فقد الاولياء على رأي من رآه والنظر في
 مصالح الطرقات والابنية وتصنع الشهود والامناء والنواب واستنباء العلم والخبرة فيهم
 بالعدالة والبرج ليحصل له الوثوق بهم وصارت هذه كلها من تعلقات وظيفته وتوايح
 ولا يتو وقد كان الخلفاء من قبل يحملون للقاضي النظر في المخالام وهي وظيفة ممتزجة من
 سطوة السلطنة ووصية القضاء وتحتاج الى علو يد وعظيم رتبة تقع الظالم من الخصمين
 وتزجر المتعدي وكأ انه يصي ما عجز القضاة او غيرهم عن امصائه ويكون نظره في البيات
 والتقرير واعتماد الامارات والفرائض وناخير الحكم الى استجلاء الحق وحمل الخصمين
 على الصلح واستخلاف الشهود وذلك اوسع من نظر القاضي * وكان الخلفاء الاولون
 يباشرونها بأنفسهم الى ايام المهدي من بني العباس وربما كانوا يجعلونها لتضاتهم كما فعل
 عمر رضي الله عنه مع قاضيه ابي ادريس الحولاني وكافعله المامون ليجي س اكنهم والمعتصم
 لاحد بن ابي داود وربما كانوا يحملون للقاضي قيادة الجهاد في عساكر الطوائف وكان
 يجي بن اكنهم يخرج ايام المامون بالطائفة الى ارض الروم وكذا مدر س سعيد قاضي
 عند الرحمن الناصر من بني امية بالاندلس فكانت تولى هذه الوظائف اما تكون للعلماء
 او من يحملون ذلك له من وزير مفوض او سلطان متغلب وكان ايضا النظر في المحرائم
 واقامة الحدود في الدولة العباسية والاموية بالاندلس والعبيدون بمصر والمغرب راجعا
 الى صاحب الشرطة وهي وظيفة اخرى دبية كانت من الوظائف الشرعية في تلك الدول
 توسع الطرفها عن احكام القضاء قليلا فيجعل للنهضة في الحكم مجالا ويرض العفوات
 المراجعة قبل ثبوت المحرائم ويقيم الحدود الثابتة في محالها ويحكم في القود والقصاص ويقيم
 التعزير والتأديب في حق من لم يتو عن الجريمة ثم تنوسي شأن هاتين الوظيفتين في الدول
 التي تنوسي فيها امر الخلافة فصار امر المطالم راجعا الى السلطان كانه تنويض من
 الخليفة او لم يكن وانقسمت وظيفة الشرطة قسمين منها وظيفة النهضة على المحرائم واقامة
 حدودها وما شره القطع والقصاص حيث يتعين ونصب لذلك في هذه الدول حاكم
 يحكم فيها بموجب السياسة دون مراجعة الاحكام الشرعية ويسمى تارة باسم الوالي وتارة
 باسم الشرطة وبقي قسم التعازير واقامة الحدود في المحرائم الثابتة شرعا فجمع ذلك للقاضي
 مع ما تقدم وصار ذلك من توايح وظيفته ولا يتو واستقر الامر لهذا العهد على ذلك وخرجت
 هذه الوظيفة عن اهل عصية الدولة لان الامر لما كان خلافة دبية وهذه الخطة من

مراسم الدين فكانوا لا يولون فيها الا من اهل عصبيتهم من العرب ومواليهم بالحلف او بالرق او بالاصطاع ممن يوثق بكفائته او غنائوه فيها بدفع اليه * ولما انقضت شان الخلافة وطورها وصار الامر كله ملكاً او سلطاناً صارت هذه الحطط الدينية بعيدة عنه بعض الشيء لانها ليست من القاب الملك ولا مراسيم خرج الامر جملة من العرب وصار الملك لسوام من ام الترك والبربر فاردت هذه الحطط الخلافة بعداً عنهم بمخاها وعصبيتها وذلك ان العرب كانوا يرون ان الشريعة دينهم وان النبي صلى الله عليه وسلم منهم واحكامه وشراعه فخلعهم بين الامم وطريقهم وغيرهم لا يرون ذلك انما يولونها جاساً من التعظيم لما داسوا بالملة فقط فصاروا يقدرونها من غير عصائهم ممن كان تاهل لها في دول الحلفاء السالمة وكان اولئك المتاهلون بما اخدم ترف الدول مد منين من السنين قد سوا عهد الدواة وخشونتها والتسول بالحصارة في عوائد ترمهم ودعتم وقلة المانة عن انفسهم وصارت هذه الحطط في الدول الملوكية من بعد الحلفاء مختصة بهذا الصنف من المستضعفين في اهل الامتياز وبرل اهلها عن مراتب العرفند الاهلية باساليبهم وما هم عليه من الحصار فخلعهم من الاحقار ما لحق الحصر المعسرين في الترف والدعة السعداء عن عصية الملك الذين هم عيال على الحماية وصار اعنارهم في الدولة من اجل قيامها بالملة واحداً باحكام الشريعة لما أسهم الحاملون للاحكام المقتدون بها ولم يكن ابتارهم في الدولة حينئذ اكراماً لدوائهم وانما هو لما يتلخ من التحمل بمكاسهم في محاسن الملك لعظيم الرتب الشرعية ولم يكن لهم فيها من الحل والعقد شيء وان حصره محصور رسمي لا حقيقة وراية اد حقيقة الحل والعقد انما في لاهل القدرة عليه فمن لا قدرة له عليه فلا حل له ولا عقد لديه اللهم الا احد الاحكام الشرعية عنهم وتلقي التناؤد منهم ومع والله الموفق وربما بعض بعض الناس أن انحق فيما وراء ذلك وان فعل الملوكة فيما فعلوه من اخراج الدنيا والقتاة من الشورى مروج وقد قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم ان ذلك ليس كما طلع وحكم الملك والسلطان انما يجري على ما تقتضيه طبيعة العراة والا كان بعداً عن السياسة فطبيعة العراة في هؤلاء لا تقضي لهم شيئاً من ذلك لان الشورى والحل والعقد لا تكون الا لصاحب عصية يقتدر بها على حل او عقد او فعل او ترك وانما من لا عصية له ولا يملك من امره شيئاً ولا من حمايتها وانما هو عيال على غيره فاني مدخل له في الشورى او اي معنى يدعو الى اعناره فيها اللهم الا شورا فيما يعلمه من الاحكام الشرعية موجودة في الاستنباط خاصة واماشوراء

في السياسة فهو بعيد عنها لفقدها العصبية والقيام على معرفة احوالها واحكامها وانما اكرامهم من تبرعات الملوك والامراء الشاهدة لم يجبل الاعتقاد في الدين وتعظيم من يتسبب اليه باي جهة انتسب واما قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم ان الفقهاء في الاغلب لهذا العهد وما احنف يوما حملوا نسريه انموالا في كيفية الاعمال في العبادات وكيفية القضاء في المعاملات ينصونها على من يحتاج الى العمل بها هذه غاية اكارهم ولا يتصفون الا بالاقل منها وفي بعض الاحوال والسلف رضوان الله عليهم واهل الدين والورع من المسلمين حملوا الشريعة اتصافا بها وتحققا بمذاهبها فمن حملها اتصافا وتحققا دون نقل فهو من الوارثين مثل اهل رسالة القشيري ومن اجتمع له الامرات فهو العالم وهو الوارث على الحقيقة مثل فقهاء التابعين والسلف والائمة الاربعة ومن اقتنى طريقهم وجاء على اثرهم واذا انفرد واحد من الامة باحد الامرين فالعابد احق بالورثة من النقيبه الذي ليس بعابد لان العابد ورث بصفة والنقيبه الذي ليس بعابد لم يرث شيئا انما هو صاحب اقوال ينصها علينا في كينيات العمل وهؤلاء اكثر فقهاء عصرنا الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم

(العدالة) * وهي وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن مواد نصر يفوق حقيقة هذه الوظيفة القيام عن اذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لم وعليهم تحملا عند الاشهاد واداء عند التنازع وكتبا في السجلات تحفظ به حقوق الناس واملاكهم وديونهم وسائر معاملاتهم وشرط هذه الوظيفة الانصاف بالعدالة الشرعية والبراءة من المخرج ثم القيام بكتب السجلات والعقود من جهة عباراتها وانتظام فصولها ومن جهة احكام شروطها الشرعية وعقودها فيحتاج حينئذ الى ما يتعلق بذلك من النقه ولاجل هذه الشروط وما يحتاج اليه من المران^(١) على ذلك والممارسة له اخضع ذلك لبعض العدول وصار الصنف الثاؤون يوكانهم مختصون بالعدالة وليس كذلك وانما العدالة من شروط اختصاصهم بالوظيفة ويجب على القاضي تصفح احوالهم والكشف عن سيرهم رعاية لشرط العدالة فيهم وان لا يهمل ذلك لما يتعين عليه من حفظ حقوق الناس فالعهدة عليه في ذلك كله وهو ضامن دركه واذا تعين هؤلاء لهذه الوظيفة عمت النائدة في تعيين من تخفى عدالته على النضاة بسبب اتساع الامصار واشتباها الاحوال واضطرار القضاء الى النصل بين المتنازعين بالبيانات الموثوقة فيقولون غالبا في الوثوق بها على هذا الصنف ولم في سائر الامصار

دكاكين ومصاطب يحنصون بالجلوس عليها فيتعاهدم اصحاب المعاملات للاشهاد وتقيده
بالكتاب وصار مدلول هذه اللفظة مشتركا بين هذه الوظيفة التي تبين مدلولها وبين
العدالة الشرعية التي هي اخت المحرج وقد يتواردان ويتفرقان والله تعالى اعلم

الحسبة والسكة

اما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو
فرص على الثائم بامور المسلمين يعين لذلك من براه اهلالة فينتعين فرصة عليه ويتخذ
الاعوان على ذلك ويبحث عن المكدرات ويعزرو ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على
المصالح العامة في المدينة مثل الميع من المصايفة في الطرقات ومع الحمالين واهل السعن
من الاكثاري الحمل والحكم على اهل الماني المتداعية للسقوط بهدمها وارالة ما يتوقع من
ضررها على السائلة والصرى على ايدي المعلمين في المكاتب وغيرها في الابلاغ في صريهم
للصبيان المتعلمين ولا يتوقف حكمة على تلارع او استعلاء بل لة النظر والحكم فيما يصل الى
علمو من ذلك ويرفع اليه اليو وليس لة امضاء الحكم في الدعاوي مطلقا بل فيما يتعلق بالعيش
والتدليس في المعاش وغيرها وى المكابيل والموارير وله ايضا حمل الماطلين على الاصاف
وامثال ذلك مما ليس فيه سماع بية ولا اعداد حكم وكابها احكام يره القاضي عما العموما
وسهولة اغراضها فتدفع الى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها موضعها على ذلك ان تكون
خادمة لمصعب القضاء وقد كانت في كثير من الدول الاسلامية مثل العبيدين بمصر
والمغرب والامويين بالاندلس داخلية في عموم ولاية القاضي يولي فيها باختياره ثم لما
اسدردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار نظره عاما في امور السياسة ادرجت في
وطائف الملك وافردت بالولاية

واما السكة فهي النظر في النقود المتعامل بها بين الناس وحفظها مما يداخلها من
الفش او النقص ان كان يتعامل بها عددا او ما يتعلق بذلك ويوصل اليه من جميع
الاشارات ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالاستخادة والحلوص رسم تلك
العلامة فيها من خاتم حديد اتخذ لذلك ونقش فيه نقوش خاصة بوضع على الديار
بعد ان يقدرو بصرب عليه بالمطرفة حتى ترسم فيه تلك النقوش وتكون علامة على جودته
بحسب الغاية التي وقف عندها السلك والتحليص في متعارف اهل القطر ومذاهب
الدولة المحاكاة فان السلك والتحليص في النقود لا يتفد عاية وانما ترجع غايته الى

الاجتهاد فاذا وقف أهل افق او قطر على غاية من التخليص وقفوا عندها وسموها اماماً
وعیاراً يعتبرون به فتقدم ويتقدونها بما تلتوه فان نقص عن ذلك كان زيفاً والنظر في
ذلك كله لصاحب هذه الوظيفة وهي دينية بهذا الاعتبار فتندرج تحت الخلافة وقد
كانت تندرج في عموم ولاية القاضي ثم افردت لهذا العهد كما وقع في الحسبة هذا آخر
الكلام في الوظائف الخلافية وبقيت منها وظائف ذهبت بذهاب ما ينظر فيه واخرى
صارَت سلطانية فوظيفة الامارة والوزارة والحرب والخراج صارت سلطانية تتكلم عليها
في امكانها بعد وظيفة الجهاد ووظيفة الجهاد بطلت ببطلانها في قليل من الدول بما رسونه
و يدرجون احكامها غالباً في السلطانيات وكذا نقابة الانساب التي يتوصل بها الى الخلافة
او الحق في بيت المال قد بطلت لدثور الخلافة ورسومها وبالمجمل قد اندرجت رسوم
الخلافة ووظائفها في رسوم الملك والسياسة في سائر الدول لهذا العهد والله مصرف الامور
كيف يشاء

الفصل الثاني والثلاثون

في اللقب بامير المؤمنين وانه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء
وذلك انه لما بويع ابو بكر رضي الله عنه وكان الصحابة رضي الله عنهم وسائر
المسلمين بسموة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل الامر على ذلك الى ان هلك
فلما بويع لعمر بعده اليه كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانهم
استنقلوا هذا اللقب بكثرته وطول اضافته وانه يتزايد فيما بعد دائماً الى ان ينهي الى الهجنة
ويذهب منه التمييز بتعدد الاضافات وكثرتها فلا يعرف فكانوا يعدلون عن هذا اللقب
الى ما سواه مما يناسبه ويدعى به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الامير وهو فاعيل
من الامارة وقد كان الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم امير مكوا و امير الحجاز وكان
الصحابة ايضاً يدعون سعد بن ابى وقاص امير المؤمنين لامارته على جيش القادسية وهم
معظم المسلمين يومئذ واتفق ان دعا بعض الصحابة عمر رضي الله عنه يا امير المؤمنين
فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال ان اول من دعاه بذلك عبد الله بن جحش
وقيل عمر بن العاصي والمغيرة بن شعبة وقيل يزيد جاء بالنخ من بعض البعوث ودخل
المدينة وهو يسال عن عمر ويقول اين امير المؤمنين وسميها اصحابه فاستحسنوه وقالوا
اصبت والله اسمه انه في الله امير المؤمنين فحافد دعوى بذلك وذهب لقباً له في الناس وتوارثه

الخلفاء من بعده سمة لا يشاركون فيها احد سواهم سائر دولة بني امية ثم ان الشيعة حصلوا
 عليا باسم الامار نعتا له بالامامة التي هي اخت الخلافة وتعرف ايضا بمذهبهم في انما حق بامامة
 الصلاة من ابي بكر لما هو مذهبهم وبدعتهم فخصوه بهذا اللقب ولم يسوقون اليه منصب
 الخلافة من بعده فكانوا كلهم يسمون بالامام ما داموا يدعون لهم في الخلفاء حتى اذا
 يستولون على الدولة يحولون اللقب فيما بعده الى امير المؤمنين كما فعلت شيعة بني العباس
 فانهم ما زالوا يدعون انتمهم بالامام الى ابراهيم الذي جهروا بالدعاء له وعقدوا الرايات
 للحرب على امره فلما هلك دعي اخوه السفاح بامير المؤمنين وكذا الرافضة باقر بن علي فانهم
 ما زالوا يدعون انتمهم من ولد اسماعيل بالامام حتى انتهى الامر الى عبيد الله المهدي وكانوا
 ايضا يدعون بالامام ولا يسمون ابي القاسم من بعده فلما استوثق لم الامر دعوا من بعدها
 بامير المؤمنين وكذا الادارسة بالمغرب كانوا يلقبون ادريس بالامام وابنة ادريس
 الاصغر كذلك وهكذا شأنهم وتوارث الخلفاء هذا اللقب بامير المؤمنين وجعلوه سمة لمن
 يملك الحجاز والشام والعراق الموطن التي هي ديار العرب ومراكز الدولة واهل الملة
 والفتح وازداد لذلك في عنوان الدولة وبذخها لقب اخر للخلفاء يتميز به بعضهم عن بعض
 لما في امير المؤمنين من الاشتراك بينهم فاستحدث ذلك بنو العباس حجابا لاسمائهم الاعلام
 عن امتنانها في السنة السوفة وصوتا لما عن الابتذال فتلقوا بالسفاح والمنصور والمهدي
 والمهدي والرشد الى اخر الدولة واقتنى اثرهم في ذلك العبيديون باقر بن علي ومصر وتجاوى
 بنو امية عن ذلك بالمشرق قبلهم مع الفضاضة والسذاجة لان العروبة ومنابع عيالهم
 نفارقهم حينئذ ولم يقول عنهم شعار البداوة الى شعار الحضارة واما بالاندلس فتلقوا
 كلهم مع ما علوه من انفسهم من القصور عن ذلك بالقصور عن ملك الحجاز اصل العرب
 والملة والبعدهن دار الخلافة التي هي مركز العصية وانهم انما منعوا بامارة القاصية انفسهم
 من مهالك بني العباس حتى اذا جاء عبد الرحمن الداخل الاخر منهم وهو الناصر بن
 محمد بن الامير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاوسط لاول المائة الرابعة واشتهر ما
 نال الخلافة بالمشرق من المنحجر واستبداد الموالي وعيشتهم في الخلفاء بالعرل والاستبدال
 والقتل والسيل ذهب عبد الرحمن هذا الى مثل مذاهب الخلفاء بالمشرق واقر بيقية ونسي
 بامير المؤمنين وتلقب بالناصر لدين الله واخذت من بعده عادة ومذهب لقن عنه ولم
 يكن لابائهم وسلف قومهم واستمر الحال على ذلك الى ان انقرضت عصية العرب اجمع
 وذهب رسم الخلافة وتلقب الموالي من العجم على بني العباس والصنائع على العبيديين

بالقاهرة وصنهاجة على امراء افريقية وريانة على المغرب وملوك الطوائف بالاندلس
على امر بني امية فاقسموه وافترق امر الاسلام فاختلفت مذاهب الملوك بالمغرب والمشرق
في الاختصاص بالالقباب بعد ان سمو جميعاً باسم السلطان . فاما ملوك المشرق من
العجم فكان الحلفاء يخصصونهم بالقباب تشرية حتى يستشعر منها اقيادهم وطاعتهم وحس
ولا ينهم مثل شرف الدولة وعصدة الدولة وركن الدولة ومعرة الدولة وبصير الدولة ونظام
الملك وبهاء الدولة وذخيرة الملك وامثال هذه وكان العبيد ايضا يخصصون بها امراء
صهاجة فلما استندوا على الخلافة قنعوا بهذه الالقاب وتحافوا عن القاب الخلافة اذاً
معها وعدوا عن سماتها المخصصة بها شان المتطلين المستندين كما قلناه وبرع المتأخرون
اعاجم المشرق حين قوي استنادهم على الملك وعلا كعبهم في الدولة والسلطان وتلاشت
عصية الخلافة واصحلت بالجملة الى انحال الالقاب الخاصة بالملك مثل الناصر والمصور
وزيادة على القاب يخصصون بها قبل هذا الانحال مشهرة بالخروج عن رتبة الولاة
والاصطاع بما اضافوها الى الدين فقط فيقولون صلاح الدين اسد الدين نور الدين .
واما ملوك الطوائف بالاندلس فاقسموا القاب الخلافة وتورعوا لقوة استنادهم عليها
بما كانوا من قبيلها وعصبيتها فتلقوا بالناصر والمصور والمعتمد والمظفر وامثالها كما قال
اس ابني شرف يعني عليهم

ما يرهندي في ارض اندلس أسماء معتمد فيها ومعتمد
القباب مملكة في غير موضعها كالمزيجي ابتاعاً صورة الاسد

واما صهاجة فاقنصروا عن الالقاب التي كان الحلفاء العبيد يلقون بها للتوهم مثل
بصير الدولة ومعرة الدولة واتصل لهم ذلك لما ادالوا من دعوة العبيد بدعوة العباسيين
ثم بعدت الشقة بينهم وبين الخلافة ونسوا عهداً فسوا هذه الالقاب واقنصروا على اسم
السلطان وكذا شان ملوك معراوة بالمغرب لم يتخلوا شيئاً من هذه الالقاب الا اسم السلطان
حرى على مذاهب الداوة والفصاحة ولما حجي رسم الخلافة وتعطل دسها وقام بالمغرب
من قبائل المرير يوسف بن ماشين ملك لمتونة فملك العدوتين وكان من اهل الخبر
والاقتداء زعت به همة الى الدخول في طاعة الخليفة تكديلاً لمراسم دينه محاطاً بالمستظهر
العباسي وارفع عليه بعثة عبد الله بن العربي واسم القاضي اما بكر من مشيخة اشيلية بطلان
نوليته اياها على المغرب ونقله ذلك فانقلوا اليو بعد الخلافة لة على المغرب واستشعار
زهم في لوسه ورتته وخاطبة قيو يا امير المؤمنين تشرية واختصاصاً فاتخذها لقباً

ويقال انه كان دعي له بامير المومنين من قبل ادباً مع رتبة الخلافة لما كان عليه هو وقومه
 المراطين من اتحال الدين واتباع السنة وجاء المهدي على اثرهم داعياً الى الحق آخذاً
 بمذاهب الاشعرية داعياً على اهل المغرب علوم عنها الى تقليد السلف في ترك التاويل
 لطواهر الشريعة وما يؤول اليه ذلك من التجسيم كما هو معروف في مذهب الاشعرية
 وسمى اتباعه الموحدين تعريضاً بذلك التكبير وكان يرى راي اهل البيت في الامام
 المعصوم والام لا دمنة في كل زمان يحفظ بوجوده نظام هذا العالم فسي بالامام لما قلناه
 اولاً من مذهب الشيعة في القاب حللهم واردف بالمعصوم اشارة الى مذهبه في عصمة
 الامام وتبره عدد اتباعه عن امير المومنين اخذاً بمذاهب المتقدمين من الشيعة ولما فيها
 من مشاركة الاغفار والولدان من اعقاب اهل الخلافة يومئذ بالمشرق ثم اتخل عبد
 المومس ولي عهد اللقب بامير المومنين وجرى عليه من بعده خلفاء بني عبد المومنين
 وآل ابي حصص من بعدهم استتاراً بوعن سواهم لما دعا اليه شيخهم المهدي من ذلك
 وانه صاحب الامر ولولايه من بعده كذلك دون كل احد لانتفاء عصبية قريش
 وتلاشيها فكان ذلك داهمهم ولما انتقص الامر بالمغرب وانتزعه راتنه ذهب اولم مذاهب
 الساقية والسداجة واتباع لثوية في اتحال اللقب بامير المومنين ادباً مع رتبة الخلافة التي
 كانوا على طاعتها لبني عبد المومس اولاً ولبني ابي حصص من بعدهم ثم نزع المتأخرون
 منهم الى اللقب بامير المومنين واتخلوه لهذا العهد اسماً بلاعاً في مابرع الملك وتنمياً للمذاهب
 وسماواته والله غالب على امره

الفصل الثالث والثلاثون

في شرح اسم الباب والطرك في الملة الصراية واسم الكوه عند اليهود
 اعلم ان الملة لا دلهما من قائم عند غيبة النبي بحملهم على احكامها وشرائعها ويكون
 كالجمعية فيهم للنبي فيما جاء به من التكليف والوع الاساني ايضاً بما تقدم من ضرورة
 السياسة فيهم للاجتماع الشري لا يدم من تحصى بحملهم على مصالحهم ويرغم عن معاصمهم
 بالفقر وهو الحسي بالملك والملة الاسلامية لما كان المحهاد فيها مشروفاً لعموم الدعوة وحمل
 الكفاة على دين الاسلام طوعاً او كرهاً اتحدت فيها الخلافة والملك لتوجه الشوكة من
 القائمين بها اليها معاً واما ما سوى الملة الاسلامية فلم تكن دعوتهم عامة ولا الجهاد عدم
 مشروفاً الا في المدافعة فقط فصار القايم بامر الدين فيها لا يعي شيئاً من سياسة الملك

وإنما وقع الملك لمن وقع منهم بالعرض ولا مغير ديني وهو ما اقتضته لم العصية لما فيها
 من الطلب للملك بالطبع لما قدمناه لانهم غير مكلفين بالتغلب على الامم كما في الملة
 الاسلامية وإنما هم مطلوبون باقامة دينهم في خاصتهم ولذلك بقي بنو اسرائيل من بعد
 موسى ويوشع صلوات الله عليها نحو اربعماية سنة لا يعتنون بشيء من امر الملك انما هم
 اقامة دينهم فقط وكان القائم بينهم يسمى الكوهن كانه خليفة موسى صلوات الله عليه يقيم
 لهم امر الصلاة والقرابات ويشترطون فيه ان يكون من ذرية هارون صلوات الله عليه
 لان موسى لم يعقب ثم اختاروا لاقامة السياسة التي هي للبشر بالطبع سبعين شيخاً كانوا
 يتلون احكامهم العامة والكوهن اعظم منهم رتبة في الدين وابتعد عن شغب الاحكام
 وانصل ذلك فيهم الى ان استحكمت طبيعة العصية ونحضت الشوكه للملك فغلبوا
 الكنعانيين على الارض التي اورثهم الله بيت المقدس وما جاورها كما بين لهم على لسان
 موسى صلوات الله عليه فخار بهم ام الفلسطينيين والكنعانيين والارمن واردين وعمان
 ومارب وراثتهم في ذلك راجعة الى شيوخهم واقاموا على ذلك نحواً من اربعمائة سنة ولم
 تكن لهم صولة الملك وخبر بنو طالوت وغلب الامم وقتل جالوت ملك الفلسطينيين
 ثم ملك بعده داود ثم سليمان صلوات الله عليها واستغل ملكه وامتد الى الحجاز ثم اطراف
 اليمن ثم الى اطراف بلاد الروم ثم اقتزق الاسباط من بعد سليمان صلوات الله عليه
 بمقتضى العصية في الدول كما قدمناه الى دولتين كانت احدهما بالجزيرة والموصل
 للاسباط العشرة والاخرى بالقدس والشام لبني يهوذا وبنيامين ثم غلبهم بخت نصر ملك
 بابل على ما كان بايديهم من الملك اولاً الاسباط العشرة ثم ثانياً بني يهوذا وبيت
 المقدس بعد اتصال ملكهم نحو الف سنة وخرب معبدهم واحرق توراتهم وامات دينهم
 ونقلهم الى اصبهان وبلاد العراق الى ان ردم بعض ملوك الكيانية من الفرس الى بيت
 المقدس من بعد سبعين سنة من خروجهم فبنوا المعبد واقاموا امر دينهم على الرسم الاول
 للكهنه فقط والملك للفرس ثم غلب الاسكندر وبنو يونان على الفرس وصار اليهود في ملكهم
 ثم فشل امر اليونانيين فاعتز اليهود عليهم بالعصية الطبيعية ودفعوهم عن الاسيلاء عليهم
 وقام بملكهم الكهنه الذين كانوا فيهم من بني حشمتاي وقتلوا يونان حتى انقرض امرهم
 وغلبهم الروم فصاروا تحت امرهم ثم رجعوا الى بيت المقدس وفيها بنو هيرودس اصهار
 بني حشمتاي وبقيت دولتهم فحاصروهم مدة ثم افتتحوها عنوة واخشوا في القتل والهدم والتعريق
 وخربوا بيت المقدس واجلوه عنها الى رومة وما وراءها وهو الخراب الثاني للمعبد ويعمى

اليهود بالحلق الكرى فلم يبق لهم بعدها ملك لفقدان العصية منهم ونوا بعد ذلك في
 ملكة الروم من بعدهم يقيم لهم امر دينهم الرئيس عليهم المسمى بالكوهن * ثم جاء المسيح
 صلوات الله وسلامه عليه بما جاءهم من الدين والنسخ لبعض احكام التوراة وظهرت على
 يديه الحوارق العجيبة من ابراء الاكهم والارض واحياء الموتى واجتمع عليه كثير من الناس
 واسموا به واكثرهم الحواريون من اصحابه وكانوا اني عشر وبعث منهم رسلاً الى الافاق
 داعين الى ملته وذلك ايام اوغسطس اول ملوك القياصرة وفي مدة هيرودس ملك اليهود
 الذي انتزع الملك من سي حشمي اصهاره محمده اليهود وكذب وكان هيرودس
 ملكهم ملك القياصرة اوغسطس يغريه بوفاد لم في قتله ووقع ما تلاه القرآن من امره
 واقترب الحواريون شيعاً ودخل اكثرهم بلاد الروم داعين الى دين الصراية وكان بطرس
 كبيرهم منزل رومة دار ملك القياصرة ثم كتبوا الانجيل الذي ارسل على عيسى صلوات
 الله عليه في سبع اربع على اختلاف رواياتهم فكتب متى الانجيل في بيت المقدس بالعبرانية
 ونقله يوحنا بن زبدي منهم الى اللسان اللاتيني وكتب لوقا منهم الانجيل باللاتيني الى بعض
 اكار الروم وكتب يوحنا بن زبدي منهم الانجيل رومة وكتب بطرس الانجيل باللاتيني
 ونسبته الى مرقس تلميذه واختلفت هذه النسخ الاربع من الانجيل مع انها ليست كلها وحياً
 صر قائل مشوبة بكلام عيسى عليه السلام وبكلام الحواريين وكلها مواعظ وقصص
 والاحكام فيها قليلة جداً واجتمع الحواريون بين الرسل لذلك العهد رومة ووضعوا قولاً بين
 الملة الصراية وصيروها بيد اقليمطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب
 قبولها والعمل بها من شريعة اليهود القديمة التوراة وفي خمسة اسفار وكتاب يوتبع وكتاب
 الفصاة وكتاب راعوث وكتاب يهوذا واسفار الملوك اربعة وسفر يسايمين وكتب المقاييس
 لاس كريبون ثلاثة وكتاب عذرا الامام وكتاب اوتير وقصة هامان وكتاب ايوب
 الصديق ومرامير داود عليه السلام وكتب انه سليمان عليه السلام خمسة وسواث الاسياء
 الكبار والصغار ستة عشر وكتاب يشوع بن شارخ وديرسليمان ومن شريعة عيسى صلوات
 الله عليه المتلقة من الحواريين سبع الانجيل اربعة وكتب القناليقون سبع رسائل وثامنها
 الاثريكييس في قصص الرسل وكتاب بولس اربع عشرة رسالة وكتاب اقليمطس وفيه
 الاحكام وكتاب ابوغالميس وفيه رؤيا يوحنا بن زبدي واختلف شان القياصرة في
 الاخذ بهذه الشريعة نارة وتعظيم اهلها ثم تركها اخرى والتسلط عليهم بالقتل والغي الى ان
 جاء قسطنطين واخذ بها واستمر واعليها وكان صاحب هذا الدين والمقيم لمراسمه يسمى

البطرك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم يبعث نوابه وخلفاءه الى ما بعد عنه من ام النصرانية ويسمونه الاسقف اي نائب البطرك ويسمون الامام الذي يقيم الصلوات ويتنهم في الدين بالنفيس ويسمون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب واكثر خلواتهم في الصوامع وكان بطرس الرسول راس الخواريين وكبير التلاميذ برومة يقيم بهادين النصرانية الى ان قتله نيرون خامس القياصرة فبين قتل من البطارق والاساقفة ثم قام بخلافته في كرسي رومة اريوس وكان مرقاس الانجيلي بالاسكندرية ومصر والمغرب داعياً سبع سنين فقام بعده حنانيا ونسي بالبطرك وهو اول البطاركة فيها وجعل معه اثني عشر قساً على انه اذا مات البطرك يكون واحداً من الاثني عشر مكانه ويختار من المؤمنين واحداً مكان ذلك الثاني عشر فكان امر البطاركة الى النفوس ثم لما وقع الاختلاف بينهم في قواعد دينهم وعقائده واجتمعوا ببنية ايام قسطنطين لتحرير الحق في الدين وانفق ثلاثمائة وثمانية عشر من اساقفتهم على رأي واحد في الدين فكتبوه وسموه الامام وصبروه اصلاً يرجعون اليه وكان فيما كتبوه ان البطرك القائم بالدين لا يرجع في تعيينه الى اجتهاد الاسقف كما قرره حنانيا تلميذ مرقاس وبطلوا ذلك الرأي وانما يقدم عن ملاء واختيار من آئمة المؤمنين وروسائهم فبقي الامر كذلك ثم اختلفوا بعد ذلك في تقرير قواعد الدين وكانت لم مجتمعات في تقريره ولم يختلفوا في هذه القاعدة فبقي الامر فيها على ذلك وانصل فيهم نيابة الاساقفة عن البطاركة وكان الاساقفة يدعون البطرك بالاب ايضاً تعظيماً له فاشتبه الاسم في اعصار متطاولة يقال آخرها بطركية هرقل باسكندرية فارادوا ان يميزوا البطرك عن الاسقف في التعظيم فدعوه البابا ومعناه ابوا بالباء وظهر هذا الاسم اول ظهوره بمصر على ما زعم جرجيس بن العبيد في تاريخه ثم نقلوه الى صاحب الكرسي الاعظم عندهم وهو كرسي رومة لانه كرسي بطرس الرسول كما قدمناه فلم يزل سمة عليه الى الان ثم اختلفت النصارى في دينهم بعد ذلك وفيما يعتقدونه في المسيح وصاروا طوائف وفرقا واستظهروا بملوك النصرانية كل على صاحبه فاختلف الحال في العصور في ظهور فرقة دون فرقة الى ان استقرت لهم ثلاثة طوائف في فرقهم ولا يلتفتون الى غيرها وهم الملكية واليعقوبية والنسطورية ولم نر ان نسج اوراق الكتاب بذكر مذهب كفرهم في على الجملة معروفة وكلها كفر كما صرح به التران الكرم ولم يبق بيننا وبينهم في ذلك جدال ولا استدلال انما هو الاسلام او الجزية او القتل ثم اخضعت كل فرقة منهم ببطرك فبطرك رومة اليوم المسمى بالبابا على رأي الملكية ورومة للافرنجية وملكمهم قائم بتلك الناحية وبطرك

المعاهد من مصر على رأى العقوبة وهو ساكن بين ظهرانيهم والحسنة يدينون بدينهم
ولطرك مصر فيهم اساقفة ينوبون عنه في اقامة دينهم هنالك واخص اسم البابا سطرک
روم لهذا العهد ولا تسمى اليعاقبة تطركهم بهذا الاسم ووسط هذه اللقطة ساء من موحدتين
من اسفل والطقى بها محبة والثانية متدبة ومن مذهب البابا عند الاورحة انه يخضهم
على الاقياد الملك واحد يرجعون اليه في اختلافهم واحتياهم تحرجاً من افتراق الكلمة
ويغترى به العصية التي لا فوقها سب لتكون يده عالية على جميعهم ويسمونه الاسرذور^(١)
وحرفة الوسط بين الدال والطاء المحبتين ومشاره يصع التاج على رأسه للتترك فيسمى
المنوتج ولعله معنى لفظه الاسرذور وهذا المخلص ما اوردها. من شرح هذين الاسمين
اللدن هما البابا والكوهن والله يصل من يشاء ويهدي من يشاء

الفصل الرابع والثلاثون

في مراتب الملك والسلطان والقابا

اعلم ان السامان في سمو صعب يحمل امراً ثقيلاً فلا بد له من الاستعانة باسماء
جسمه واداك ان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنة^(٢) فما طلك سياسة بوعه ومن
استرعه الله من خلقه وعباده وهو محتاج الى حماية الكافة من عدوهم بالمدافعة عنهم والى
كف عدوان بعضهم على بعض في اسهم بامضاء الاحكام الوارعة فيهم وكف العدوان
عليهم في اموالهم باصلاح سائلهم والى حملهم على مصالحهم وما نعمهم به اللوى في معاشهم
ومعاملاتهم من نفقة المعاش والمكاييل والمواريث حذراً من التظلم والى الظرفي
السكة بمحيط النفود التي يتعاملون بها من العن والى سياستهم بما يريد منهم من الاقياد
له والرعى بمفادهم منهم واسراده لخدمتهم فيتعلم من ذلك فوق الغاية من معانة
القلوب قال بعض الاسراف من الحكماء لمعانة نقل الحال من اماكنها اهنو علي من
معانة قلوب الرجال ثم ان الاستعانة اذا كانت باولي القربى من اهل السب او التربية او
الاصطاع القديم للدولة كانت اكمل لما يقع في ذلك من مجاسة حلهم لخلقهم فتمت المشاكلة
في الاستعانة قال تعالى واجعل لي وريثاً من اهل هارون اخي اشدد به أزري واشركه
في امري وهو اما ان يستعين في ذلك بسموه او قلوبه او رايه او معارفه او بحمايته عن الناس
ان يردحوا عليه فيتغلوه عن الظرفي مهامهم او يدفع الظرفي الملك كلوه ويعول على

(١) أشهره اسم اميراطور بابا الهلطة والعريس نقول اميرور ومعناها عدم ملك الملوك اه

(٢) المهنة الخادمة وحمها من بكر الميم

كفايته في ذلك وأضطلاعهم فلذلك قد توجد في رجل واحد وقد تفرق في أشخاص وقد
يتفرع كل واحد منها الى فروع كثيرة كالقلم يتفرع الى قلم الرسائل والمخاطبات وقلم
الصكوك والإقطاعات وإلى قلم المحاسبات وهو صاحب الجباية والعطاء وديوان الجيش
وكالسيف يتفرع الى صاحب الحرب وصاحب الشرطة وصاحب البريد وولاية الثغور ثم
اعلم ان الوظائف السلطانية في هذه الملة الاسلامية مندرجة تحت الخلافة لاحتمال منصب
الخلافة على الدين والدنيا كما قدمناه فالاحكام الشرعية متعلقة بجميعها وموجودة لكل واحدة
منها في سائر وجوهها لعموم الحكم الشرعي بجميع افعال العباد والنفية ينظر في مرتبة
الملك والسلطان وشروط تقايدها استبداداً على الخلافة وهو معنى السلطان او تعويضاً
منها وهو معنى الوزارة عندهم كما باني وفي نظره في الاحكام والاموال وسائر السياسات
مطلقاً او مقيداً وفي موجبات العزل ان عرضت وغير ذلك من معاني الملك والسلطان
وكذا في سائر الوظائف التي تحت الملك والسلطان من وزارة او جباية او ولاية لا بد
للفقيه من النظر في جميع ذلك كما قدمناه من اصحاب حكم الخلافة الشرعية في الملة الاسلامية
على رتبة الملك والسلطان الا ان كلامنا في وظائف الملك والسلطان ورتبته انما هو مقتضى
طبيعة العمران ووجود البشر لا بما يخصها من احكام الشرع فليس من غرض كتابنا كما
علمت فلا نحتاج الى تفصيل احكامها الشرعية مع انها مستوفاة في كتب الاحكام السلطانية
مثل كتاب القاضي ابي الحسن الماوردي وغيره من اعلام الفقهاء فان اردت استنباطها
فعليك بمطالعها هنالك وانما تكلمنا في الوظائف الخلافية وافردناها لنميز بينها وبين
الوظائف السلطانية فقط لا لتحقيق احكامها الشرعية فليس من غرض كتابنا وانما نتكلم
في ذلك بما تقتضيه طبيعة العمران في الوجود الانساني والله الموفق

الوزارة * وهي أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية لان اسمها يدل على مطلق
الاغاثة فان الوزارة الماخوذة اما من الموازنة وهي المعاونة او من الوزر وهو الثقل كانه
يحمل مع مفاعله اوزاره وانتقاله وهو راجع الى المعاونة المطلقة وقد كنا قدمنا في اول
الفصل ان احوال السلطان وتصرفاته لاتعدو اربعة لانها اما ان تكون في امور حماية
الكافة واسبابها من النظر في الجند والسلاح والحروب وسائر امور الحماية والمطالبة
وصاحب هذا هو الوزير المتعارف في الدول القديمة بالشرق ولهذا العهد بالمغرب واما
ان تكون في امور مخاطباته لمن بعد عنه في المكان او في الزمان وتنفيذه الاوامر فمن هو
محبوب عنه وصاحب هذا هو الكاتب واما ان تكون في امور جباية المال وائتاقه وضبط

ذلك من جميع وجوهه ان يكون بمضيعة وصاحب هذا هو صاحب المال والمجباية وهو
المسمى بالوزير لهذا العهد بالمشرك واما ان يكون في مدافعة الناس ذوي الحاجات عنه
ان يزدحموا عليه فيشغلوه عن فهمه وهذا راجع لصاحب الباب الذي يحجب فلا تعدى
احواله هذه الاربعة بوجه وكل خطية او رتبة من رتب الملك والسلطان فاليها يرجع
الا ان الارتفاع منها ما كانت الاعانة فيه عامة فيما تحت يد السلطان من ذلك الصنف اذ
هو يقتضي مباشرة السلطان دائماً ومشاركته في كل صنف من احوال ملكه واما ما كان
خاصاً ببعض الناس او ببعض الجهات فيكون دون الرتبة الاخرى كقيادة ثغراو ولاية
جباية خاصة او النظر في امر خاص كحسبة الطعام والنظر في السكة فان هذه كلها نظر
في احوال خاصة فيكون صاحبها تبعاً لاهل النظر العام وتكون رتبته مروية لا وثيقة وما
زال الامر في الدول قبل الاهلال هكذا حتى جاء الاسلام وصار الامر خلافة فذهبت
تلك الخطط كلها بذهاب رسم الملك الى ما هو طبيعي من المعاونة بالراي والمناوضة فيه
فلم يكن زواله اذ هو امر لا بد منه فكان صلى الله عليه وسلم يشاور اصحابه ويفاوضهم في
مهمات العامة والخاصة ويخص مع ذلك ابا بكر بخصوصيات اخرى حتى كان العرب الذين
عرفوا الدول واحوالها في كسرى وقصر والفجائي يسمون ابا بكر وزيره ولم يكن لنظر
الوزير يعرف بين المسلمين لذهاب رتبة الملك بسداجة الاسلام وكذا عمر مع ابي بكر
وعلي وعثمان مع عمر واما حال المجباية والانفاق والحسبان فلم يكن عندهم برتبة لان التوم
كانوا عرباً اميين لا يحسبون الكتاب والحساب فكانوا يستعملون في الحساب اهل
الكتاب او افراداً من موالي العجم ممن يجيده ركان قليلاً فيهم واما اشرافهم فلم يكونوا
يجيدونه لان الامية كانت صفتهم التي امتازوا بها وكذا حال الخطابات وتنفيذ الامور
لم تكن عندهم رتبة خاصة للامية التي كانت فيهم والامانة العامة في كتابان التول وتاديتو
ولم تخرج السياسة الى اختياره لان الخلافة انما هي دين ليست من السياسة الملكية في شيء
وايضاً فلم تكن الكتابة صناعة فيستعاضد الخليفة احسنها لان الكل كانوا يعبرون عن مقاصد
بالبغ والعبارة ولم يبق الا الخط فكان الخليفة يستنب في كتابتو متى عن له من بحسنة
واما مدافعة ذوى الحاجات عن ابوابهم فكان محظوراً بالشرعية فلم يفعلوه فلما انقلبت
الخلافة الى الملك وجاءت رسوم السلطان والقابة كان اول شيء يدري به في الدولة شان
الباب وسدّه دون الجمهور بما كانوا يحسبون عن انفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم كما
وقع بهم وعلي ومعاوية وعمر وبن العاصي وغيرهم مع ما في فقه من ازدياد الناس عليهم

وشغلهم بهم عن المهمات فاتخذوا من يقوم لهم بذلك وسموه الحاجب وقد جاء من عبد الملك
لما ولي جاجبه قال له قد وليتك حجابة باي الا عن ثلاثة الموزن للصلاة فانه داعي الله
وصاحب البر يد فامر ما جاء به وصاحب الطعام لتلا يفسد ثم استغل الملك بعد ذلك
فظهر المشاور والمعين في امور القبائل والعصائب واستتلافهم واطلق عليه اسم الوزير وبقي
امر الحسبان في الموالي والنميين واتخذ للسجلات كاتب مخصوص حوطة على اسرار
السلطان ان تشهر فتفسد سياسته مع قومه ولم يكن بمثابة الوزير لانه انما احتيج لهن حيث
المخط والكتاب لا من حيث اللسان الذي هو الكلام اذ اللسان لذلك العهد على حاله
لم يفسد فكانت الوزارة لذلك ارفع رتبهم يومئذ هذا في سائر دولة بني أمية فكان النظر
للوزير عاماً في احوال التدبير والمفاوضات وسائر امور الحمايات والمطالبات وما يتبعها من
النظر في ديوان الجند وفرض العطاء بالاهلة وغير ذلك فلما جاءت دولة بني العباس
واستغنى الملك وعظمت مراتبه وارتفعت عظم شأن الوزير وصارت اليه النيابة في انفاذ الحيل
والعقد تعيينت مرتبته في الدولة وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرقاب وجعل لها النظر
في ديوان الحسبان لما تحتاج اليه خطط من قسم الاعطيات في الجند فاحتاج الى النظر في جميع
وتفريقه واضيف اليه النظر فيه ثم جعل له النظر في القلم والترسيل لصون اسرار السلطان
ولحفظ البلاغة لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور وجعل الخاتم لسجلات السلطان يحفظها
من الذبايح والشياح ودفع اليه فصار اسم الوزير جامعاً لخطتي السيف والقلم وسائر معاني الوزارة
والمعاونة حتى لقد دعي جعفر بن يحيى بالسلطان ايام الرشيد اشارة الى عموم نظره وقبامه
بالدولة ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها الا المحجبة التي هي القيام على الباب فلم تكن له
لاستنكاؤه عن مثل ذلك ثم جاء في الدولة العباسية شان الاستبداد على السلطان وتعاور
فيها الاستبداد الوزارة مرة والسلطان اخرى وصار الوزير اذا استبد بحماجاً الى استنابة الخليفة
اياها لذلك لتصح الاحكام الشرعية ونجيه على حالها كما تقدم فانه سمت الوزارة حيثئذ الى
وزارة تنفيذ وهي حال ما يكون السلطان قائماً على نفسه والى وزارة تنويض وهي حال ما
يكون الوزير مستبداً عليه ثم استمر الاستبداد وصار الامر للملك العجده وتعطل رسم الخلافة
ولم يكن لاولئك المتغلبين ان يتخلوا القاب الخلافة واستنكفوا من مشاركة الوزراء في
اللقب لانهم خول لم يتسموا بالامارة والسلطان وكان المستبد على الدولة يسمى امير الامراء
او بالسلطان الى ما يحلوه به الخليفة من القايه كما تراه في القاهم وترك كل اسم الوزارة الى من
يتولاها للخليفة في خاصته ولم يزل هذا الشأن عندهم الى اخر دولتهم وفسد اللسان خلال

ذلك كله وصارت صناعة يتجملها بعض الناس فامتعت وترفع الوزراء عنها لذلك ولاتهم عجم وليست تلك البلاغة في المقصودة من لسانهم فخبير لها من سائر الطبقات واختصت به وصارت خادمة للوزير واخص اسم الامير بصاحب الحروب والمجد وما يرجع اليها ويده مع ذلك عالية على اهل الرتب وامره نافذ في الكل اما نيابة واستبداداً واستمر الامر على هذا ثم جاءت دولة الترك اخرًا بمصر فراءوا ان الوزارة قد ابتذلت بترفع اولئك عنها ودفعها لمن يقوم بها للخليفة المحجور ونظرة مع ذلك تتعقب بنظر الامير فصارت مرووسة ناقصة فاستنكف اهل هذه الرتبة العالية في الدولة عن اسم الوزارة وصار صاحب الاحكام والنظر في الجند يسمى عندهم بالنائب لهذا العهد وبقي اسم الحاجب في مدلوله واخص اسم الوزير عندهم بالنظر في الحماية . واما دولة بني امية بالاندلس فانوا اسم الوزير في مدلوله اهل الدولة ثم قسموا خطته اصنافاً وافردوا لكل صنف وزيراً فجعلوا لحسبان المال وزيراً وللترسيل وزيراً وللنظر في حوائج المتظلمين وزيراً وللنظر في احوال اهل الثغور وزيراً وجعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش منضدة لم يندون امر السلطان هناك كل فيما جعل له واُفرد للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم مباشرة السلطان في كل وقت فارتفع مجلسه عن مجالسهم وخصوه باسم الحاجب ولم يزل الشأن هذا الى اخر دولتهم فارتفعت خطة الحاجب ومرتبة على سائر الرتب حتى صار ملوك الطوائف يتحلون لقبها فاكثرهم يومئذ يسمى الحاجب كما نذكره ثم جاءت دولة الشيعة بافريقية والقيروان وكان للقاء بينهما رسوخ في البداية فاغفلوا امر هذه المخطط اولاً وتفتيح اسمائها حتى ادركت دولتهم الحضارة فصاروا الى تقليد الدولتين قبلهم في وضع اسمائها كما تراءى في اخبار دولتهم * ولما جاءت دولة الموحدين من بعد ذلك اغفلت الامراولاً للبداءة ثم صارت الى انخال الاسماء والالفاظ وكان اسم الوزير في مدلوله ثم اتبعوا دولة الامويين وقلدوها في مذاهب السلطان واختاروا اسم الوزير لمن يحجب السلطان في مجلسه ويقف بالفود والداخلين على السلطان عند الحدود وفي تحيتهم وخطابهم والاداب التي تلزم في الكون بين يديهم وفعوا خطة المحجبة عنه ما شاءوا ولم يزل الشأن ذلك الى هذا العهد واما في دولة الترك بالمشرق فيسبون هذا الذي يقف بالناس على حدود الاداب في اللقاء والتحية في مجالس السلطان والتقدم بالفود بين يديه الدواب ويضيفون اليه استيعاب كاتب السر واصحاب البريد المتصرفين في حاجات السلطان بالقافية وبالخاضرة وحالم على ذلك لهذا العهد والله مولي الامور لمن يشاء * (المحجبة) * قد قدمنا ان هذا اللقب كان مخصوصاً في الدولة

الاموية والعباسية بمن يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم او يفتح له على قدره في موافقتهم وكانت هذه منزلة يومئذ عن المخطط مروسة لها اذ الوزير متصرف فيها بما يراه وهكذا كانت سائر ايام بني العباس والى هذا العهد فمصر مروسة لصاحب المخططة العليا المسى بالنائب * واما في الدولة الاموية بالاندلس فكانت المحجبة لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم فكانت في دولتهم رفيعة غاية كما تراه في اخبارهم كابن حديد وغيره من حجابهم ثم لما جاء الاستبداد على الدولة اخضع المستبد باسم المحجبة لشرفها فكان المنصور بن ابي عامر وابناؤه كذلك ولما بدوا في مظاهر الملك واطواره جاء من بعدهم من ملوك الطوائف فلم يتركوا لقبها وكانوا يعدونه شرفاً لهم وكان اعظمهم ملكاً بعد انتقال القاب الملك واسماؤه لا بد له من ذكر الحاجب وذوي الوزارتين يعنون والسيف والقلم ويدلون بالمحجبة على حجة السلطان عن العامة والخاصة وبذوي الوزارتين على جمعو لمخططي السيف والقلم ثم لم يكن في دول المغرب وافريقية ذكر لهذا الاسم للبدوة التي كانت فيهم وربما يوجد في دولة العبيديين بمصر عند استعظامها وحضارتها الا انه قليل * ولما جاءت دولة الموحدين لم تستمكن فيها الحضارة الداعية الى انتقال الالقاب وتمييز المخطط وتعيينها بالاسماء الا اخراً فلم يكن عندهم من الرتب الا الوزير فكانوا اولاً يخصون بهذا الاسم الكاتب المتصرف المشارك للسلطان في خاص امره كابن عطية وعبد السلام الكومي وكان له مع ذلك النظر في الحساب والاشغال المالية ثم صار بعد ذلك اسم الوزير لاهل نسب الدولة من الموحدين كابن جامع وغيره ولم يكن اسم الحاجب معروفاً في دولتهم يومئذ * (واما بنو ابي حفص بافريقية فكانت الرئاسة في دولتهم اولاً والتقدم لوزير والراي والمشورة وكان يخص باسم شيخ الموحدين وكان له النظر في الولايات والعزل وقود العساكر والبحر وبخاصة الحساب والديوان برتبة اخرى ويسمى متوليها بصاحب الاشغال ينظر فيها النظر المطلق في الدخل والمخرج ويحاسب ويستخلص الاموال ويعاقب على التفريط وكان من شرطه ان يكون من الموحدين واخص عندهم القلم ايضاً بمن يجيد الترسيل ويؤمن على الاسرار لان الكتابة لم تكن من متعلات النوم ولا الترسيل بلسانهم فلم يشترط فيه النسب واحتاج السلطان لاتساع ملكه وكثرة المرتزقين يماره الى قهرمان خاص بداره في احواله يجرى بها على قدرها وتربيتها من رزق وعطاء وكسوة ونفقة في المطابخ والاصطبلات وغيرها وحصر الذخيرة وتنفيذ ما يحتاج اليه في ذلك على

اهل الجباية فخصوه باسم الحاجب وربما اضافوا اليه كتابه العلامة على السجلات اذا اتفق
انه يحسن صناعة الكتابة وربما جعلوه لغيره واستمر الامر على ذلك وحجب السلطان نفسه
عن الناس فصار هذا الحاجب واسطة بين الناس وبين اهل الرتب كلهم ثم جمع له اخر
الدولة السيف والحرب ثم الراي والمشورة فصارت الخطة ارفع الرتب واوعبها للمخطط
ثم جاء الاستياد والمجرمدة من بعد السلطان الثاني عشر منهم ثم استبد بعد ذلك
حفيدة السلطان ابو العباس على نفسه واذهب اثار المجر والاستياد باذهاب خطة
المجاجة التي كانت سلفا اليه وباشر امورة كلها بنفسه من غير استعانة باحد والامر على
ذلك لهذا العهد

واما دولة زنادة بالمغرب واعظمها دولة بني مرين فلا اثر لاسم الحاجب عندهم واما
رياسة الحرب والعساكر فهي للوزير ورتبة القلم في الحسبان والرسائل راجعة الى من
يحسبها من اهلها وان اخضعت ببعض السيوف المصطنعين في دولتهم وقد تجتمع عندهم وقد
تفرق واما باب السلطان وحجبة عن العامة فهي رتبة عندهم فيسوي صاحبها عندهم بالمرور
ومعناه المتقدم على الجندارة المتصرفين بباب السلطان في تنفيذ اوامره وتصريف
عقوباته وانزال سطاوته وحفظ المعتقلين في سجونهم والعريف عليهم في ذلك فالباب له
واخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دار العامة راجع اليه فكاتبها وزارة صغرى واما
دولة بني عبد الواد فلا اثر عندهم لشيء من هذه الالفاظ ولا تمييزا لخطة ليدار دولتهم
وقصورها وإنما يخصون باسم الحاجب في بعض الاحوال منذ الخاضع بالسلطان في داره
كما كان في دولة بني ابي حنص وقد يجمعون له الحسبان والسجل كما كان فيها حملهم على
ذلك تقليد الدولة بما كانوا في تبعها وقائمين بدعوتها منذ اول امرهم

واما اهل الاندلس لهذا العهد فالخصوص عندهم بالحسبان وتنفيذ حال السلطان
وسائر الامور المالية يسوونها بالوكيل واما الوزير فكالوزير الا انه قد يجمع له الترسيل
والسلطان عندهم يضع خطة على السجلات كلها فليس هناك خطة العلامة كما لغيرهم من
الدول واما دولة الترك بمصر فاسم الحاجب عندهم موضوع لحاكم من اهل الشوكة وهم
الترك ينفذ الاحكام بين الناس في المدينة وهم متعددون وهذه الوظيفة عندهم تحت
وظيفة النيابة التي لها الحكم في اهل الدولة وفي العامة على الاطلاق وللنائب التولية
والعزل في بعض الوظائف على الاحيان وبقطع القليل من الارزاق ويشتمها وتنفذ
اوامره كما تنفذ المراسم السلطانية وكان له النيابة المطلقة عن السلطان وللحجاب المحكم فقط

في طوائف العامة والمجنث عند الترافع اليهم واجبار من ابي الانقياد للحكم وطورهم تحت
 طور النيابة والوزير في دولة الترك هو صاحب جباية الاموال في الدولة على اختلاف
 اصنافها من خراج او مكس او جزية ثم في تصرفها في الانفاقات السلطانية والاجرايات
 المقدرة وله مع ذلك التولية والعزل في سائر العمال المباشرين لهذه الجباية والتبذير على
 اختلاف مراتبهم وتباين اصنافهم ومن عوائدهم ان يكون هذا الوزير من صنف القط
 القائمين على ديوان الحسبان والجباية لاخصاصهم بذلك في مصر منذ عصور قديمة وقد
 يوليها السلطان بعض الاحيان لاهل الثقة من رجالات الترك او ابناءهم على حسب
 الداعية لذلك والله مدبر الامور ومصرتها بحكمته لا اله الا هو رب الاولين والآخرين

ديوان الاعمال والحجبايات

اعلم ان هذه الوظيفة من الوظائف الصورية للملك وهي القيام على اعمال الجبايات
 وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج واحصاء العساكر باسمائهم وتقدير ارزاقهم
 وصرف اعطياتهم في امانتها والرحوع في ذلك الى القوابين التي يرتبها قومة تلك
 الاعمال وقهارة الدولة وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد تفاصيل ذلك في الدخل
 والخرج مسمى على جزء كبير من الحساب لا يقوم به الا المهرة من اهل تلك الاعمال
 ويسمى ذلك الكتاب بالديوان وكذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها * ويقال
 ان اصل هذه التسمية ان كسرى نظريوماً الى كتاب ديوانه وهم يحسبون على انفسهم
 كأنهم يعادنون فقال ديوانه اي مجاين بلغة الدرس فسمى موضعهم بذلك وحذفت الهاء
 لكثرة الاستعمال فتحبباً فقيل ديوان ثم نقل هذا الاسم الى كتاب هذه الاعمال المتضمن
 للقوابين والحسابات وقيل انه اسم للتياطين بالفارسية سمي الكتاب بذلك لسرعة
 مودهم في فهم الامور ووقوفهم على الجلي منها والحي وحسبهم لما تنذ وتترق ثم نقل الى
 مكان جلوسهم لتلك الاعمال وعلى هذا فيسأل اسم الديوان كتاب الرسائل ومكان
 جلوسه باب السلطان على ما ياتي بعد وقد نورد هذه الوظيفة ساطر واحد بطرفي
 سائر هذه الاعمال وقد يرد كل صف منها باطر كما ينفرد في بعض الدول الطرفي
 العساكر واقطاعاتهم وحسان اعطياتهم او غير ذلك على حسب مصطلح الدولة وما
 قرره اولوها . واعلم ان هذه الوظيفة انما تحدث في الدول عد تمكن الغلب والاستيلاء
 والنظر في اعطاف الملك وفتن التهديد واول من وضع الديوان في الدولة الاسلامية

عمر رضي الله عنه يقال لسبب مال أتى به أبو هريرة رضي الله عنه من البحرين
 فاستكثروا ونعوا في قسموه فسموا إلى احصاء الاموال وضبط العطاء والمحقوق فاشار
 خالد بن الوليد بالديوان وقال رايت ملوك الشام يدونون فقبل منه عمرو وقيل بل
 اشار عليه أبو الهرمزان لما رآه يبعث البعث بغير ديوان فقبل له ومن يعلم بغيبة من
 يغيب منهم فان من تخلف اخل بمكانه وإنما يضبط ذلك الكتاب فائت لم ديوانا وسأل
 عمر عن اسم الديوان فعبر له ولما اجتمع ذلك امر عقيل ابن ابي طالب ومخرمة ابن نوفل
 وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب قريش فكتبوا ديوان العساكر الاسلامية على ترتيب
 الانساب مبتدا من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بعدها الاقرب فالاقرب
 هكذا كان ابتداء ديوان الجيش وروى الزهري بن سعيد بن المسيب ان ذلك كان في
 المحرم سنة عشرين واما ديوان الخراج والجبايات فبقي بعد الاسلام على ما كان عليه
 من قبل ديوان العراق بالفارسية وديوان الشام بالرومية وكتاب الدواوين من اهل
 العهد من الفريين ولما جاء عبد الملك بن مروان واستحال الامر ملكا واتقل القوم من
 غضاضة البداوة الى رونق الحضارة ومن سذاجة الامية الى حذق الكتابة وظهر في
 العرب ومواليهم مهرة في الكتاب والحساب فامر عبد الملك سليمان بن سعد والي الاردن
 لعهد ان ينقل ديوان الشام الى العربية فاكمله لسنة من يوم ابتداءه ووقف عليه
 سرحون كاتب عبد الملك فقال لكتاب الروم اطلبوا العيش في غير هذه الصناعة فقد
 قطعها الله عنكم . واما ديوان العراق فامر الحجاج كاتبه صالح بن عبد الرحمن وكان
 يكتب بالعربية والفارسية ولحق ذلك عن زاذان فروج كاتب الحجاج قبله ولما قتل
 زاذان في حرب عبد الرحمن بن الاشعث استخلف الحجاج صالحا هذا مكانه وامره ان
 ينقل الديوان من الفارسية الى العربية ففعل ورغم لذلك كتاب الفرس وكان عبد
 الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما اعظم متنة على الكتاب ثم جعلت هذه الوظيفة في
 دولة بني العباس مضافة الى من كان له النظر فيه كما كان شان بني برمك وبني سهل بن
 نوبخت وغيرهم من وزراء الدولة . واما ما يتعلق بهذه الوظيفة من الاحكام الشرعية ما
 يختص بالجيش او بيت المال في الدخل والخرج وتمييز النواحي بالصلح والعنوة وفي تقليد
 هذه الوظيفة لمن يكون وشروط الناظر فيها والكتاب وقوانين الحسابات فامر راجع الى
 كتب الاحكام السلطانية وهي مسطورة هنالك وليست من غرض كتابنا وإنما تتكلم فيها
 من حيث طبيعة الملك الذي نحن بصدد الكلام فيه وهذه الوظيفة جزء عظيم من الملك

بل هي ثالثة اركابو لان الملك لا بد له من الجند والمال والحاطة لمن غاب عنه فاحناج صاحب الملك الى الاعوان في امر السيف وامر القلم وامر المال فيفرد صاحبها لذلك بجره من رئاسة الملك وكذلك كان الامر في دولة بني امية بالاندلس والطوائف بعدم واما في دولة الموحدين فكان صاحبها انما يكون من الموحدين يستقل بالنظر في استخراج الاموال وجمعها وضبطها وتعقب نظار الولاة والعمال فيها ثم تنبئها على قدرها وفي موافقتها وكان يعرف بصاحب الاشغال وكان ربما يليها في الجهات غير الموحدين ممن يحسنها . ولما استند سواي حفظ بافر بنية وكان شأن الجالية من الاندلس فقدم عليهم اهل البيوتات وفيهم من كان يستعمل ذلك في الاندلس مثل بني سعيد اصحاب القلعة جوار غرناطة المعروفين سي ابي الحسن فاستكنوا بهم في ذلك وجعلوا لهم النظر في الاشغال كما كان لم بالاندلس ودالوا فيها بينهم وبين الموحدين ثم استقل بها اهل الحسان والكتاب وخرجت عن الموحدين ثم لما استغلب امر الحاسب وبذ امره في كل شأن من شؤون الدولة تعطل هذا الرسم وصار صاحبه مروضاً للحاجب واصبح من جملة الجباة وذهبت تلك الرئاسة التي كانت له في الدولة واما دولة بني مرين لهذا العهد فحسان العطاء والمخراج مجموع لواحد وصاحب هذه الرتبة هو الذي يصح الحسنات كلها ويرجع الى ديوانه ونظره معقب بنظر السلطان او الوزير وخطة معن في صحة الحسان في المخرج والعطاء هذه اصول الرتب والحطط السلطانية وهي الرتب العالية التي هي عامة الطرق ومباشرة للسلطان . واما هذه الرتبة في دولة الترك فمتنوعة وصاحب ديوان العطاء يعرف ساظر الحيش وصاحب المال محصوص باسم الوزير وهو الناظر في ديوان الجباية العامة للدولة وهو اعلى رتب الناظرين في الاموال لان النظر في الاموال عدم يتنوع الى رتب كثيرة لا تساح دولتهم وعظمة سلطانهم واتساع الاموال والجبايات عن ان يستقل بصطها الواحد من الرجال ولو بلغ في الكفاية مائة فتعين للنظر العام منها هذا المحصوص باسم الوزير وهو مع ذلك رديف لمولى من موالى السلطان واهل عصيته وارباب السيوف في الدولة يرجع نظر الوزير الى نظره ويجهده جهده في متاعته ويسمى عدم استاذ الدولة وهو واحد الامراء الاكابر في الدولة من الحد وارباب السيوف ويتبع هذه الخطة خطط عدم اخرى كلها راجعة الى الاموال والحسان مقصورة النظر على امور خاصة مثل ناظر الخصاص وهو الماشر لاموال السلطان الخاصة به من اقطاعه او سهاته من اموال المخرج وبلاد الجباية ما ليس من اموال المسلمين

العامه وهونحت يد الامير استاذ الداروان كان الوزير من الجند فلا يكون لاستاذ الدار نظر عليه ونظر الخاص نحت يد الخازن لاموال السلطان من ماله المسمى خازن الدار لا اختصاص وظيفتها بال السلطان الخاص . هذا بيان هذه الخطة بدولة الترك بالمشرق بعد ما قدمناه من امرها بالمغرب والله مصرف الامور لا رب غيره

ديوان الرسائل والكتابة

هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لاستغناء كثير من الدول عنها رأساً كما في الدول العريقة في البداوة التي لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع وإنما أكد الحاجة إليها في الدولة الإسلامية شأن اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن المقاصد فصار الكتاب يؤلف كنه الحاجة بابلغ من العبارة اللسانية في الأكثر وكان الكتاب للامير يكون من اهل نسبه ومن عطاء قبيله كما كان للخلفاء وامراء الفصحاء بالشام والعراق لعظم امانتهم وخلوص اسرارهم فلما فسد اللسان وصار صناعة اخضع من بعسنة وكانت عند بني العباس رقيقة وكان الكتاب يصدر السجلات مطلقه ويكتب في آخرها اسمته ويختم عليها بخاتم السلطان وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان او شارته يغمس في طين احمر مذاب بالماء ويسمي طين الختم ويطبع به على طرفي السجل عند طيه والصاقه ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان ويضع الكتاب فيها علامة أولاً او اخرآ على حسب الاختيار في محلها وفي لفظها ثم قد تنزل هذه الخطة بارتفاع المكان عند السلطان لغیر صاحبها من اهل المراتب في الدولة او استبداد وزير عليه فتصير علامة هذا الكتاب ملفاة الحكم بعلامة الرئيس عليه يستدل بها فيكتب صورة علامته المعهودة والحكم بعلامة ذلك الرئيس كما وقع آخر الدولة الحفصية لما ارتفع شأن المنجارية وصار امرها الى التنويض ثم الاستبداد صار حكم العلامة التي للكتاب ملقى وصورتها ثابتة اتباعاً لما سلف من امرها فصار الحاجب يرسم للكتاب امضاء كتابه ذلك بخط يصنعه ويغير له من صيغ الانفاذ ما شاء فيأتمر الكتاب له ويضع العلامة المعتادة وقد يختص السلطان بنفسه بوضع ذلك اذا كان مستبداً بامر قائماً على نفسه فيرسم الامر للكتاب ليضع علامته* ومن خطط الكتابة التوقيع وهو ان يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة اليه احكامها والنصل فيها متلقاة من السلطان باوجز لفظ وبلغه فاما ان تصدر كذلك واما ان يجزى الكاتب على مقالها في سجل يكون بيد

صاحب القصة وبمجانج الموضع الى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعة وقد كان جعفر
 ابن يحيى يوقع في القصص بين يدي الرئيد ويرمي بالقصة الى صاحبها فكانت توقيعاته
 يتنافس البلاء في تحصيلها للوقوف فيها على اساليب البلاغة وفوسها حتى قيل انها كانت
 تناع كل قصة منها بدينار وهكذا كان شأن الدول * واعلم ان صاحب هذه الحطة
 لابد من ان يتخير من ارفع طبقات الناس واهل المروءة والحشمة منهم وريادة العلم
 وعارضة البلاغة فانه معرض للنظر في اصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك ومقاصد
 احكامهم من امثال ذلك مع ما تدعوا اليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق
 بالمصائل مع ما يصطري اليه في الترسل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة واسرارها
 وقد تكون الرنة في بعض الدول مستندة الى ارباب السيوف لما يقتضيه طبع الدولة من
 العدد معاماة العلوم لاجل سداجة العصبية فيخص السلطان اهل عصبية بحفظ
 دولته وسائر رتبته فيقلد المال والسيوف والكتابة منهم فاما رنة السيوف فتستغني عن
 معاماة العلم واما المال والكتابة فيصطر الى ذلك البلاغة في هذه والحسان في الاخرى
 فيصنعون لها من هذه الطلقة ما دعت اليه الضرورة ويقلدونه الا انه لا تكون يد اخر من
 اهل العصبية عالة على يده ويكون نظره مصرفاً عن نظره كما هو في دولة الترك لهذا
 العهد بالمشرق فان الكتابة عديم وان كانت لصاحب الانشاء الا انه تحت يد امير من
 اهل عصبية السلطان يعرف بالدوبدار وتعويل السلطان ووثوقه واستماتة في
 غالب احواله اليه وتعويله على الاخر في احوال البلاغة وتطبيق المقاصد وكتبات
 الاسرار وغير ذلك من نواصها * واما الشروط المعتبرة في صاحب هذه الرنة التي
 يلاحظها السلطان في اختياره وانتقائه من اصناف الناس فهي كثيرة واحسن من
 استوعبها عند الحميد الكاتب في رسالته الى الكتاب وهي اما بعد حفظكم الله يا اهل
 صناعة الكتابة وحاطكم ووقفكم وارشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الاسياء
 والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ومن بعد الملوك المكرمين اصنافاً وان
 كانوا في الحقيقة سواء وصرفهم في صوف الصناعات وضروب المحاولات الى اسباب
 معاشهم وابواب ارباقهم فمعاكم معشر الكتاب في اشرف المحطات اهل الادب والمروءات
 والعلم والرياسة لكم ينظم للخلافة محاسنها وتستقيم امورها وينصحاكم يصلح الله للخلق سلطانهم
 وتعدر بلدانهم لا يستغني الملك عنكم ولا يوجد كاف الا منكم موقوفكم من الملوك موقع
 اسماعم التي بها يسمعون وابصارهم التي بها يسمرون والسنهم التي بها ينطقون وابديهم

التي بها يبطشون فامتنعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا تزعج عنكم ما أضناه من
النعمة عليكم وليس احد من اهل الصناعات كلها احوج الى اجتماع خلال الخير المهدودة
وخصال النضل المذكورة المعدودة منكم ايها الكتاب اذا كنتم على ما ياتي في هذا
الكتاب من صفتكم فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في
مهمات اموره ان يكون حليماً في موضع الحلم فحياً في موضع الحكم مقدماً في موضع الاقدام
محجماً في موضع الاجسام موثقاً للعفاف والعدل والانصاف كتوماً للاسرار وفياً عند
الشدائد عالماً بما ياتي من التوازل يضع الامور مواضعها والطوارق في اماكنها قد نظر في
كل فن من فنون العلم فاحكمه وان لم يحكمه اخذ منه بمقدار ما يكتفي به يعرف بفرصة
عقله وحسن اديه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل
صدوره فيعد لكل امر عتده وعناده وبهي لكل وجه هينته وعادته فتناقصوا بامعشر
الكتاب في صنوف الاداب وتنفقوا في الدين وابدوا بعلم كتاب الله عز وجل والنرائض
ثم العربية فانها ثغاف الستكم ثم اجيدوا المخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا
غريبها ومعانيها وابام العرب والعجم واحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تنسبون
اليو همسكم ولا تضعوا النظر في الحساب فانه قوام كتاب المخرج وارغبوا بانفسكم عن
المطامع سنيها ودنياها وسفاسف الامور ومحافرها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب
وتزهدوا صناعتكم عن الدماء وارباوا بانفسكم عن السعاية والقيمة وما فيه اهل
الجهالات واباكم والكبر والحق والفضيلة فانها عداوة مجلبة من غير احنة وتحابوا في الله
عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو البقي لاهل النضل والعدل والنبيل من
سلفكم وان نبا الزمان برجل منكم فاعطوا عليه واوسو حتى يرجع اليو حاله ويشوب اليو
امره وان افعد احداً منكم الكبر عن مكسيه ولقاء اخوانه فزورق وعظمق وشاوروه
واستظهروا بنضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به
ليوم حاجته اليو احوط منه على ولده واخيه فان عرضت في الشغل محبة فلا يصنها الا
الى صاحبه وان عرضت مذمة فليصحبها هو من دونه وليحذر السقطه والزلة والملل عند
تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكتاب اسرع منه الى الفراء وهو لكم اخسد منه لما
فقد علمتم ان الرجل منكم اذا صحبه من يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقوق واجب
عليه ان يعتقد له من وقائمه وشكره واحماله وخيره ونصيحته وكنيان سره وتدير امره ما هو
جزاء لحقو وصدق ذلك نبعا له عند الحاجة اليو والاضطرار الى ما لديه فاستشعروا

ذلك وفقكم الله من انفسكم في حالة الرخاء والشدّة والحرم والمؤاساة والاحسان والسراء
والصراء فنعيت الشبهة هذه من وسم بها من اهل هذه الصناعة الشريفة واذا ولي الرجل
منكم او صير اليه من امر خلق الله وعباله امر فليراقب الله عزّ وجلّ وليوثر طاعته
وليكن على الضعيف رفيقاً والمظلوم مصفاً فان الخلق عيال الله واحبهم اليه ارفقهم بعباله
ثم ليكن بالعدل حاكماً وللارشاف مكرماً وللتي موءثراً وللبلاد عامراً وللرعية متالفاً وعن
اذا هم متعلّماً وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً وفي سجلات خراجهِ واستنشاء حقوقهِ رفيقاً
واذا صحب احدكم رجلاً فليحذر خلايقه فاذا عرف حسبها وقيمها اعانه على ما يوافقه من
الحسن واحتمل على صرفه عما يهواه من القبح بالطف حيلة واحمل وسيلة وقد علم ان
سائس البهيمة اذا كان بصيراً سياستها التمس معرفة اخلاقها فان كانت رموحاً لم يهجمها
اذا ركها وان كانت شتوياً اتقاها من بين يديها وان خاف منها شروداً توقاها من
ناحية راسها وان كانت حروياً قمع رفق هواها في طرفها فان استمرت عطفها يسيراً
فيساس له قيادها وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعالمهم
وجربهم وداخلهم والكتاب لبصل اديب وشريف صنعتو ولطيف حيلتو ومعاملتو لمن
يحاوله من الناس ويناطره ويفهم عنه او يخاف سطوته اولى بالرفق لصاحو ومداراتو
ونقوم اوده من سائس البهيمة التي لا تخير جواراً ولا تعرف صواباً ولا تنهم خطايا الا
نقدر ما يصيرها اليه صاحبا الراكب عليها الا فارقوا رحمتك الله في النظر واعلموا ما
امكنكم فيه من الروية والفكر تامنوا باذن الله من صحتهم السوء والاستئثار والجموعه
ويصير منكم الى الموافقة وتصيروا منه الى المواجهة والتفقه ان شاء الله ولا يجاورن
الرجل منكم في هيئة مجلسه وملسه ومركبه ومطعمه ومشربه وباليه وخدمه وغير ذلك
من فنون امره قدر حقو فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمه لا تهملون في
خدمتكم على التقصير وحفظه لا تخمّل منكم افعال التصبّع والتذير واستعينوا على عناقكم
بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف
فانها يعقنان الفقر ويذلان الرقاب ويضخان اهلها ولا سيما الكتاب وارباب الاداب
وللامور اشياء وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على موتف اعمالكم بما سقت اليه
تجربكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها ومحجة واصدقها حجة واحداها عاقبة واعلموا
ان للتدبير آفة متلته وهو الوصف الشاغل لصاحو عن اتقاعه ورويتو فليقصد
الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقهِ وليوجز في اتقاعهِ وجوابهِ وليأخذ بجماع

محجوب فان ذلك مصلحة لنعلو ومدفعة للشاغل عن اكثاره وليضرع الى الله في صلة توفيقه
 وامداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضرب يدنه وعقله واديه فانه ان ظن منكم ظان
 او قال قائل ان الذي برز من جملة صنعته وقوة حركته انما هو بفضل جلته وحسن
 تديره فقد تعرض بحسن ظنوا ومقاتلوا الى ان يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير منها
 الى غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف ولا يقول احد منكم انه ابصر بالامور
 واحمل لعبه التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته فان اعقل الرجلين
 عند ذوي الالباب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى ان اصحابه اعقل منه واجمل في
 طريقته وعلى كل واحد من الفريقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار
 برايه ولا تركية لنسوه ولا يكثر على اخيه او نظيره وصاحبه وعشيرته وحده الله واجب
 على الجميع وذلك بالتواضع لبعضته والتذلل لعزته والتحدث بتعنته وانا اقول في كتابي
 هذا ما سبق به المثل من تلزمة النصيحة يلزمة العمل وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه
 بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فذلك جعلته اخره ونمته بؤنولانا الله وبها كم
 يامعشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باسعاد وارشاده فان ذلك اليه ويده
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (الشرطة) ويسمى صاحبها لهذا العهد باثريقية المحاكم
 وفي دولة اهل الاندلس صاحب المدينة وفي دولة الترك الوالي وهي وظيفة مروسة
 لصاحب السيف في الدولة وحكمة نافذ في صاحبها في بعض الاحيان وكان اصل وضعها
 في الدولة العباسية لمن يقيم احكام الجرائم في حال استبدائها اولاً ثم الحدود بعد
 استيفائها فان التهم التي تعرض في الجرائم لا نظر للشرع الا في استيفاء حدودها والسياسة
 النظر في استيفاء موجباتها باقرار يكرهه عليها المحاكم اذا احتفت به القرائن لما توجه
 المصلحة العامة في ذلك فكان الذي يقوم بهذا الاستبداء وباستيفاء الحدود بعده اذا
 تنزه عنه القاضي يسمى صاحب الشرطة وربما جعلوا اليه النظر في الحدود والدماء
 باطلاق واقرودها من نظر القاضي ونزهها هذه المرتبة وقلدوها كبار القواد وعظماء
 الخاصة من مواليهم ولم تكن عامة التنفيذ في طبقات الناس انما كان حكمهم على الدهاء
 واهل الريب والضرب على ايدي الرعاع والفجرة ثم عظمت نباهتها في دولة بني امية
 بالاندلس ونوعت الى شرطة كبرى وشرطة صغرى وجعل حكم الكبرى على الخاصة
 والدماء وجعل له الحكم على اهل المراتب السلطانية والضرب على ايديهم في الظلمات
 وعلى ايدي اقاربهم ومن النهم من اهل المجاه وجعل صاحب الصغرى مخصوصاً بالعامه

ونصب لصاحب الكري كرسى* بباب دار السلطان ورجال يشوون المقاعد بين يديه
فلا يروح عنها الا في تصريفه وكاست ولايتها للاكار من رجالات الدولة حتى كاست
ترشيحا للوزارة والمجاعة

واما في دولة الموحدين بالمغرب فكان لما حظ من التنويه ولم يجعلوها عامة وكان
لا يلبيها الا رجالات الموحدين وكراؤهم ولم يكن له الفخيم على اهل المراتب السلطانية
ثم فسد اليوم مصها وخرجت عن رجال الموحدين وصارت ولايتها لمن قام بها من
المصطفيين . واما في دولة بني مرين لهذا العهد بالمشرق فولانها في بيوت من مواليهم
واهل اصطاعهم وفي دولة الترك بالمشرق في رجالات الترك او اعقاب اهل الدولة
قبلهم من الترك يغيرونهم لما في النظر عما يظهر منهم من الصلابة والمضاء في الاحكام لتقطع
مواد الفساد وحسم ابواب الدعارة وتخريب مواطن السوق وتزريق مجامع مع اقامة
الحدود التشريعية والسياسية كما تقتضيه رعاية المصالح العامة في المدينة والله مقلب الليل
والهار وهو العزيز الجبار والله تعالى اعلم .

قيادة الاساطيل وفي من مراتب الدولة وخطتها في ملك المغرب وامر ببقية ومروسة
لصاحب السيف وتحت حكمه في كثير من الاحوال ويسمى صاحبها في عرفهم الملحد تنعيم
اللام متولاً من لغة الافرنجة فانه اسمها في اصطلاح لغتهم واما اخنعت هذه المرتبة بملك
افريقية والمغرب لانها جميعا على صفة البحر الرومي من جهة المحبوب وعلى عدوتها الجيوبية
ملاد انبر بركلهم من ستة الى الاسكندرية الى الشام وعلى عدوتها الشمالية ملاد الاندلس
والافرنجة والصفالة والروم الى ملاد الشام ايضا ويسمى البحر الرومي والبحر الشامي نسبة
الى اهل عدوتها والساكون بسيف هذا البحر وسواحلهم من عدوتها يعانون من احوالها
لا تعايه امة من امة البحار فقد كانت الروم والافرنجة والقوط بالعدوة الشمالية من هذا
البحر الرومي وكاست اكثر حروبهم ومتاحرم في السس فكانوا مهرة في ركوبه والحرب
في اساطيلهم ولما اسف من اسف منهم الى ملك العدوة المحبوبة مثل الروم الى افريقية
والقوط الى المغرب اجازوا في الاساطيل وملكوها وتغلوا على الدربها وانتزعوا من
ايديهم امرها وكان لها بها المدن المحاطة مثل قرطاجنة وسيطلة وجولاء ومرباق وشرشال
وطنجة وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم يحارب صاحب رومة وبعث الاساطيل لحرب
مشهورة بالعساكر والعدد فكانت هذه عادة لاهل هذا البحر الساكنين حفاقيهم معروفة
في القدم والحديث ولما ملك المسلمون مصر كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص

رضي الله عنها ان صف لي البحر فكتب اليه ان البحر خلق عظيم بركة خلق ضعيف دود
 على عود فاوعز حيث شئ بمنع المسلمين من ركوبه ولم يركبه احد من العرب الا من افات
 على عمر في ركوبه ونال من عقابه كما فعل بعرفة بن هرة الا زدي سيد بجيلة لما اغراه
 عمان فبلغه غزوه في البحر فانكر عليه وعنفه انه ركب البحر للغزو ولم يزل الشأن ذلك
 حتى اذا كان لعهده معاوية اذن للمسلمين في ركوبه والجهاد على اعدائه والسبب في ذلك
 ان العرب لبدوا بهم لم يكونوا اول الامر مهرة في ثقافته وركوبه والروم والافرنجة
 لما رستم احواله ومرباهم في التغلب على اعدائه مرتوا عليه واحكموا الدراية بثقافته فلما
 استقر الملك للعرب وشيخ سلطانهم وصارت ام العجم خولا لم تحت ايديهم وتقرّب كل
 ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية أما وتكرّرت
 ممارستهم للبحر وثقافته استحدثوا بصراء بهافشروا الى الجهاد فيه وانشأوا السفن فيه والشواني
 وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح وامطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أم
 الكفر واخصوا بذلك من ممالكهم وتغورهم لما كان اقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل
 الشام وافريقية والمغرب والاندلس واوعز الخليفة عبد الملك الى حسان بن النعمان عامل
 افريقية بالتخاذار صناعة بتونس لانشاء الآلات البحرية حرصاً على مراسم الجهاد ومنها
 كان فتح صقلية ايام زيادة الله الاول ابن ابراهيم بن الاغلب على يد اسد بن
 الفرات شيخ النصارى وفتح قوصرة ايضا في ايامه بعد ان كانت معاوية بن حديج اغزى
 صقلية ايام معاوية بن ابي سنيان فلم يفتح الله على يده وفتح على يد ابن الاغلب
 وقائدة اسد بن الفرات وكانت من بعد ذلك اساطيل افريقية والاندلس في
 دولة العبيدين والامويين تتعاقب الى بلادها في سبيل الفتنة فبحسب خلال السواحل
 بالافساد والتخريب وانتهى اسطول الاندلس ايام عبد الرحمن الناصر الى ما تهي مركب
 او نحوها واسطول افريقية كذلك مثله او قريباً منه وكان قائد الاساطيل بالاندلس
 ابن رماحس ومرافقها للحط والاقلاع بحماية والمرية وكانت اساطيلها مجمعة من سائر
 الممالك من كل بلد تتخذ فيه السفن اسطول يرجع نظره الى قائد من النواتية يدبر امر
 حربه وسلاحه ومقاتلته ورئيس يدبر امر جريته بالريج او بالمجاديف وامر ارسائه في
 مرفئه فاذا اجتمعت الاساطيل لغزو ومخئل او غرض سلطاني مهم عسكرت بمرفأها المعلوم
 وشحنها السلطان برجاله واتجاه عساكره ومواليه وجعلهم لنظر امير واحد من اعلى طبقات
 اهل مملكته يرجعون كلهم اليه ثم يسرحهم لوجههم وينتظر ايامهم بالفتح والغنية وكان

المسلمون لهذه الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانب وعظمت صولتهم
 وسلطانهم فيه فلم يكن للام الصراية قبل باساطيلهم بشي * من جوانبها وامتطوا ظاهرة
 للنفع سائر ايامهم فكانت لهم المقامات المعلومه من النعم والفائز وملكو سائر الجرائر الملقطة
 عن السواحل فيه مثل ميورقة ومنورقة وباسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة
 واقربطش وقدرس وسائر ممالك الروم والافرنج وكان ابو القاسم الشيعي واساؤه يغزون
 اساطيلهم من المهديه جزيرة حوة فتقلب بالطرف والغنيمة وافتتح مجاهد العامري صاحب
 داية من ملوك الطوائف جزيرة سرداية في اساطيله حس واربعائة واربعها الصاري
 لوقتها والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر وسارت اساطيلهم
 فيهم حائية وذاهة والعساكر الاسلامية تجوز البحر في الاساطيل من صقلية الي الدراكبير
 المقابل لها من العدو الشمالية فتوقع ملوك الافرنج وتغن في ممالكهم كما وقع في ايام بني
 الحسين ملوك صقلية القاييس فيها بدعوة العبيديين وانحارت امم الصراية باساطيلهم الي
 الحاسب الشمالي الشرقي منه من سواحل الافرنجة والصقالية وحزائر الرومانية لا بعدونها
 واساطيل المسلمين قد صربت عليهم ضراء الاسد على مريستو وقد ملأت الاكثر من
 سيط هذا البحر عدة وعددا واختلعت في طرقه سلما وحركا فلم تظهر للصراية فيه الواجه
 حتى اذا ادرك الدولة العبيدية والاموية القتل والوهس وطرقها الاعتلال مدالنصاري
 ايديهم الي حرائر البحر الشرقية مثل صقلية واقربطش ومالطة فملكوها ثم احوال على سواحل
 الشام في تلك الفترة وملكو طرابلس وعسقلان وصور وعكا واستولوا على جميع الثغور
 لسواحل الشام وغلبوا على بيت المقدس وسوا عليه كبسة لمظهر دينهم وعبادتهم وعلوا
 بني خرورو على طرابلس ثم على قانس وصاقس ووضعوا عليهم المجرية ثم ملكوا المهديه مقر
 ملوك العبيديين من يد اعقاب ملكين بن زيري وكانت لهم في المائة الخامسة الكرة بهذا
 البحر وضعف شان الاساطيل في دولة مصر والشام الي ان اقطع ولم يعتوا بشي * من
 امره لهذا العهد بعد ان كان لهم في الدولة العبيدية عناية تحاوزت الحد كما هو معروف
 في اخبارهم فقل رسم هذه الوطنية هالك ونبت بافريقية والمغرب فصارت مخصصة
 بها وكان الجاسب الغربي من هذا البحر لهذا العهد موفور الاساطيل ثابته القوة لم يغيثه
 عدو ولا كانت لهم بوكرة فكان قائد الاسطول بو العهد لمتونة بني ميمون رؤساء جزيرة
 قادس ومن ايديهم اخذها عد المؤمن تسليمهم وطاعنهم وانتهى عدد اساطيلهم الي المائة
 من بلاد العدوتين جميعا * ولما استعظمت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكو

العدوتين اقاموا خطة هذا الاسطول على اتم ما عرف واعظم ما عهد وكان قائد اسطولهم
 احمد الصقلي اصله من صد غيار الموطنين بجزيرة جربة من سرو يكش اسره النصراري من
 سواحله وري عندهم واستخلصه صاحب صقلية واستكناه ثم هلك وولي ابنه فاستخذه بعض
 النزعات وخشي على نفسه ولحق بتونس ونزل على السيد بها من بني عبد المومن واجاز
 مراکش فقتله الخليفة يوسف بن عبد المومن بالمرة والكرامة واجزل الصلة وقلده
 امر اساطيله فحج في جهاد ام النصرانية وكانت له اثار واخبار ومقامات مذكورة في دولة
 الموحدين * وانتهت اساطيل المسلمين على عهده في الكثرة والاستجداء ما لم تبلغه من
 قبل ولا بعده فيما عهدناه ولما قام صلاح الدين يوسف بن ايوب ملك مصر والشام لعهده
 باسترجاع نفور الشام من يد ام النصرانية وتطهير بيت المقدس من رجس الكفرة بنائو
 تنابعت اساطيلهم الكفرية بالمدد لتلك النفور من كل ناحية قريبة لبيت المقدس الذي
 كانوا قد استولوا عليه فامدوم بالعدد والاقوات ولم تقاومهم اساطيل الاسكندرية
 لاستمرار الغلب لم في ذلك الجانب الشرقي من البحرية وتعدد اساطيلهم فيروضعف المسلمين
 منذ زمان طويل عن مانعهم هناك كما اشرنا اليه قبل فاورد صلاح الدين على ابي يعقوب
 المنصور سلطان المغرب لعهده من الموحدين رسالة عبد الكرم بن منذ من بيت بني
 منذ ملوك شيزر وكان ملكها من ايديهم وابقى عليهم في دولته فبعث عبد الكرم منهم هذا
 الى ملك المغرب طالبا مدد الاساطيل لتحول في البحرين اساطيل الكفرة وبين مرآهم
 من امداد النصرانية بنفور الشام وصحبة كتابه اليه في ذلك من انشاء الفاضل اليساني
 يقول في افتتاحه ففتح الله سيدنا ابواب المناجج والميامن حسبا نقله العاد الاصفهاني في كتاب
 الفتح النسي فنتم عليهم المنصور تجافهم عن خطايه بامير المومنين واسرها في نفسه وحملهم
 على مناجح البر والكرامة وردم الى مرسلهم ولم يحجبه الى حاجته من ذلك وفي هذا دليل
 على اختصاص ملك المغرب بالاساطيل وما حصل للنصرانية في الجانب الشرقي من هذا
 البحر من الاستطالة وعدم عناية الدول بمصر والشام لذلك العهد وما بعده لشان
 الاساطيل البحرية والاستعداد منها للدولة ولما هلك ابو يعقوب المنصور واعملت دولة
 الموحدين واستولت امم المجالفة على الاكثر من بلاد الاندلس والمجا والمسلمين الى سيف
 البحر وملكو الجزائر التي بالجانب الغربي من البحر الرومي قويت ريجم في بسط هذا البحر
 واشتدت شوكتهم وكثرت فيه اساطيلهم وتراجعت قوة المسلمين فيه الى المساواة معهم كما
 وقع لعهده السلطان ابي الحسن ملك زنانه بالمغرب فان اساطيله كانت عند مرآه المجهاد

مثل عدة الصراية ومحمد بن محمد ثم تراجعت عن ذلك قوة المسلمين في الاساطيل لضعف الدولة ونسيان عوائد البحر بكثرة العوائد الدوية بالمغرب وانقطاع العوائد الاندلسية ورجع النصارى فيه الى دينهم المعروف من الدربة فيه والمران عليه والصربا حوالو وعاب الام في لجئه على اعواده وصار المسلمون فيه كالاجانب الا قليلاً من اهل البلاد الساحلية لم المران عليه لو وجدوا كثرة من الانصار والاعوان او قوة من الدولة تستجيش لم اعواناً وتوضح لم في هذا الغرض مسلکاً وبقيت الرتبة لهذا العهد في الدولة الغربية محبوظة والرسم في معانة الاساطيل بالانتشاء والركوب معهوداً لما عساه ان تدعو اليه الحاج من الاغراض السلطانية في البلاد البحرية والمسلمون يستهون الرج على الكبر واهلهم في المشتهرين اهل المغرب عن كتب الحدتان انه لا بد للمسلمين من الكثرة على الصراية وافتتاح ما وراء البحر من بلاد افريقية وان ذلك يكون في الاساطيل والله ولي المومنين وهو حسبنا واعم الوكيل

الفصل الخامس والثلاثون

في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

اعلم ان السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على امره الا ان الحاجة في اول الدولة الى السيف ما دام اهلها في تهديد امرهم اتد من الحاجة الى القلم لان القلم في تلك الحال خادم فقط مسند للحكم السلطاني والسيف تبرك في المعونة وكذلك في آخر الدولة حيث تضعف عصبيتها كما ذكرناه ويقل اهلها بما ياهلهم من الهرم الذي قدماه فتحناج الدولة الى الاستظهار بآداب السيوف وتقوى الحاجة اليهم في حماية الدولة والمدافعة عنها كما كان الشأن اول الامر في تهديدها فيكون للسيف مزية على القلم في الحالتين ويكون آداب السيف حينئذ اوسع جاهاً واكثر نعمة واسى اقطاعاً واما في وسط الدولة فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف لانه قد تهد أمره ولم يبق همه الا في تحصيل ثمرات الملك من الحماية والوسط ومهااة الدول وتميد الاحكام والقلم هو المعين له في ذلك فتعظم الحاجة الى تصريفه وتكون السيوف مهملة في مصاجع اغاها الا اذا امانت نائمة او دعيته الى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة اليها فتكون آداب الاقلام في هذه الحاجة اوسع جاهاً واعلى رتبة واعظم نعمة وثروة واقرب من السلطان مجلساً واكثر اليه تردداً وفي خلواته نجماً لانه حينئذ التة التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه والطر اعطافه وتنقيب اطرافه والمهااة باحواله ويكون الوزراء حينئذ واهل السيوف مستغني

عنهم معدن عن باطن السلطان حذرهم على انفسهم من بواجره * وفي معنى ذلك ما كتب به ابو مسلم المنصور حين امره بالتقدم اما بعد فانه مما حفظناه من وصايا الفرس اخوف ما يكون الورراء اذا سكنت الدهاء سنة الله في عباده والله سبحانه وتعالى اعلم

الفصل السادس والثلاثون

في اشارات الملك والسلطان الخاصة به

اعلم ان للسلطان اشارات واحوالاً تقتضيها الابهة والذخ فيمنع بها ويميز ما تخالفا عن الرعية والطائفة وسائر الرساء في دولته فليذكر ما هو مشتهر منها يبلغ المعرفة وفوق كل ذي علم عليم

الآلة من اشارات الملك اتخاذ الاقمص بشر الالوية والرايات وقرع الطبول والضح في الامواق والقرون وقد ذكر ارسطوي الكتاب المسبب اليومي السياسة ان السر في ذلك ارباب العدو في الحرب فان الاصوات الماثلة لها تاتي في الموس بالروعة ولحمري انه امر وحداثي في مواطن الحرب بمجدة كل احد من مسو وهذا السبب الذي ذكره ارسطوان كان ذكره فهو صحيح بعض الاعنارات * واما الحق في ذلك فهو ان المس عند سماع المم والاصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك فيصيب مراج الروح بشوة يستهل بها الصعبو يستميت في ذلك الوحه الذي هو فيه وهذا موجود حتى في المحبوبات الغم ما يعال الابل بالحداء والحمل بالصبر والصرح كما علمت ويرد ذلك تانراً اذا كانت الاصوات متناسية كما في الغناء وان تعلم ما يحدث لاسماعوس مثل هذا المعنى لاجل ذلك تخذ الغم في مواطن حروبهم الالات الموسيقية^(١) لا طبل ولا بوقاً فيحقد المغنون بالسلطان في موكلهم بالانهم ويفنون فيحركون موس التبعان بصرهم الى الاستماتة ولقد راينا في حروب العرب من يتغنى امام الموكب بالشعر ويطرب فيجيشهم الانطال بما فيها ويسارعون الى مجال الحرب وينعت كل قرن الى قريه وكذلك زبانه من ام المغرب يتقدم الشاعر عنهم امام الصفوف ويتغنى فيحرك نغنائهم الجبال الراسي ويعت على الاستماتة من لا يظن بها ويسمون ذلك الغناء ناصوكايت واصلة كله فرح يحدث في المس فتنتعت عنه الشجاعة كما تبعث عن بشوة الحمر بما حدث عنها من الفرح والله اعلم واما نكتير الرايات وتلوينها واطالها فالقصد به التحويل لا اكثر وربما تحدث في

١ قوله موسيقية وفي نسخة الموسيقارية وفي نسخة لان الموسيقى بكسر اللام بين التختين اسم للعلم والاعمال وتوقعها ويقال فيها موزيقيرو يقال لصارب الالة موسيقار انطراول سعية الشيخ محمد شهاب

النفوس من التهور بزيادة في الاقدام واحوال النفوس وتلوانها غريبة والله الخلاق
 العليم * ثم ان الملوك والدول يتخلعون في اتخاذ هذه الشارات منهم مكثروا منهم مقلد بحسب
 اتساع الدولة وعظمتها فاما الرايات فانها شعار الحروب من عهد الخليفة ولم ترل الامم
 تعقدها في مواطن الحروب والعزوات ولعهد النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من
 الخلفاء * واما قرع الطبول والتفخ في الاوق فكان المسلمون لاول الملة يتجافون عنه تنزهاً
 عن غلظة الملك ورفضاً لاحواله واحقاراً لابهتوا التي ليست من الحق في تيمم حتى اذا
 انقلب الخلافة ملكاً ونجسوا رهرة الدنيا ونعيبها ولاسم الموالي من الدرس والروم اهل
 الدول السالفة واروم ما كان اولئك يتخلون من مذاهب البدخ والترف فكان ما
 استحسنوه اتخذوا الآلة فاخذوها واذنوا للعالم في اتخاذها تنويعاً بالملك واهله فكثيراً ما كان
 العامل صاحب الثغرا وقائد الجيش يعقد له الخليفة من العباسيين او العبيديين لواءً
 ويخرج الى نعته او علمه من دار الخليفة وداره في موكب من اصحاب الرايات والآلات
 فلا يميز بين موكب العامل والخليفة الا بكثرة الالوية وقتلتها او بما اخص به الخليفة من
 الالوان لرايته كالسواد في رايات بني العباس فان راياتهم كانت سوداً حراً على شهادتهم
 من بني هاشم ومعناً على بني امية في قتلهم ولذلك سبوا المسودة * ولما افترق امراء التميميين
 وخرج الطالبيين على العباسيين في كل جهة وعصر دهموا الى محاللتهم في ذلك فاتخذوا
 الرايات بيضاً وسبوا الميصة لذلك سائر ايام العبيديين ومن خرج من الطالبيين في ذلك
 العهد بالمشرق كالداعي بطبرستان وداعي صعدة او من دعا الى بدعة الرافضة من غيرهم
 كالقرامطة ولما مرع المامون عن لس السواد وشعاره في دولته عدل الى لون الحصرة
 فجعل رايتهم خضراء واما الاستكثار منها فلا ينهي الى حد وقد كانت آلة العبيديين لما
 خرج العزيز الى فتح الشام خمسمائة من السود وخمسمائة من الالوان واما ملوك البربر
 بالغرب من صنهاجة وغيرها فلم يتوصلوا بلون واحد بل وتوهموا بالذهب واتخذوها من
 الحرير الخالص ملونة واستمروا على الاذن فيها لعالم حتى اذا جاءت دولة الموحدين ومن
 بعدهم من رتبة قصر والآلة من الطبول والسود على السلطان وحظروها على من سواه
 من عماله وجعلوا لها موكباً خاصاً يتبع اثر السلطان في مسيره يسمى الساقية وهم فيويزون مكثراً
 ومقلد باختلاف مذاهب الدول في ذلك فمنهم من يقتصر على سبع من العدد تبركاً
 بالسبعة كما هو في دولة الموحدين وبني الاحمر بالاندلس ومنهم من يبلغ العشرة والعشرين
 كما هو عند زبانية وقد بلغت في ايام السلطان ابي الحسن فيما ادركناه مائة من الطبول

ومائة من السود ملونة بالحرير منسوجة بالذهب ما بين كبير وصغير وياذنون للولاة
والعمال والنواد في اتخاذ راية واحدة صغيرة من الكتان بضاء وطل صغير ابام الحرب
لا يتجاوزون ذلك واما دولة الترك لهذا العهد بالشرق فيخذون اولاً راية واحدة عظيمة
وفي راسها خصلة كبيرة من الشعر يسمونها الشالشي والجنجروهي شعار السلطان عدم ثم
تعدد الرايات ويسمونها الساسقي واحدها سنجق وفي الراية لسانهم واما الطول
فيالقون في الاستكثار منها ويسمونها الكوسات ويسمونها لكل امير او قائد عسكر ان
يخذ من ذلك ما يشاء الا المحترفة خاص بالسلطان واما المجالفة لهذا العهد من ام
الافرنجة والاندلس فاكثرت انهم اتحاد الالوية القليلة داهية في الخوصعة ومعاقرع
الانوار من الطابير ونفع العيطات يذهبون فيها مذهب الغناء وطريقه في مواطن
جروبهم هكذا يلبساعهم وعمى وراهم من ملوك العهد ومن آياته خلق السموات والارض
واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين

السريز واما السريز والمر والتحت والكرسي فهي اعواد منصوبة او ارائك مصدة
لجلوس السلطان عليها مرتبة عن اهل مجلسه ان يساوهم في الصعيد ولم يزل ذلك من
سن الملوك قبل الاسلام وفي دول العجم وقد كانوا يجلسون على اسرة الذهب وكان
لسليمان بن داود صلوات الله عليهما وسلامه كرسي وسريز من عاج معني بالذهب الا
انه لا تاخذ بالدول الا بعد الاستحجال والترف شار الابهة كلها كما قلناه واما في اول
الدولة عند البداوة فلا يتشوقون اليه واول من اتخذه في الاسلام معاوية واستاذن
الناس فيه وقال لم ابي قد بدنت فاذنوا له فالتخذه واتعه الملوكة الاسلاميون فيه وصار
من منارح الابهة ولقد كان عمرو بن العاصي بمصر يجلس في قصره على الارض مع العرب
وياتيهم المقوقس الى قصره ومعه سريز من الذهب محمول على الايدي لجلوسه شار
الملوك فيجلس عليه وهو امامه ولا يعبرون عليه وفاهلة بما اعتقد معهم من الذمة واطراحاً
لا به الملك ثم كان بعد ذلك لسلي العباس والعبيدين وسائر ملوك الاسلام ترفاً وغرناً
من الاسرة والممار والتخوت ما عمن عن الاكاسرة والقياصرة والله مقلب الليل والنهار
السكة وهي الختم على الدنانير والدرهم المتعامل بها بين الناس يطاع حديد يفتش
فيه صور او كلمات مقلوبة ويصرب بها على الدينار او الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش
عليها طاهرة مستقيمة بعد ان يعتبر عيار القدر من ذلك الخمس في خلوصه بالسك مرة
بعد اخرى وبعد نقد بر اشخاص الدرهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه فيكون

التعامل بها عدداً وإن لم تقدر اشخاصها يكون التعامل بها وزناً ولفظ السكة كان اسماً للطابع وهي الحديدة المنقذة لذلك ثم نقل الى اثرها وهي النقوش الماثلة على الدماير والدرام ثم نقل الى القيام على ذلك والنظر في استيعاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة فصار علماً عليها في عرف الدول وهي وظيفة ضرورية للملك اذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ويتقون في سلامتها العتس بحتم السلطان عليها تلك النقوش المعروفة وكان ملوك العم يخذونها وينقشون فيها تماثيل تكون مخصوصة بها مثل تمثال السلطان لعهداها او تمثيل حصن او حيوان او مصنع او غير ذلك ولم يزل هذا الشأن عند العم الى اخرايم . ولما جاء الاسلام اغل ذلك اسداجة الدين وباداة العرب وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة وزناً وكانت دماير العرس ودرامهم بين ايديهم يردونها في معاملتهم الى الوزرور يتصارفون بها بينهم الى ان تماحش الفس في الدماير والدرام لغفلة الدولة عن ذلك وامرعد الملك المحاج على ما نقل سعيد بن المسبب وابو الرباد نصرب الدرهم وتميز المغشوش من الخالص وذلك ستة اربع وسعين وقال المدايمي ستة خمس وسعين ثم امر بصرفها في سائر الواحي ستة ست وسعين وكتب عليها الله احد الله الصمد ثم ولي اس هيرة العراق ايام يزيد بن عد الملك محمود السكة ثم بالغ خالد القسري في تخويدها ثم يوسف بن عمر بعده وقيل اول من صرب الدماير والدرام مصعب بن الزبير بالعراق ستة سبعين مامراخو عد الله لما ولي النخار وكتب عليها في احد الوجهين ركة الله وفي الاخر اسم الله ثم غيرها المحاج بعد ذلك ستة وكتب عليها اسم المحاج وقد رورنها على ما كانت استقرت ايام عمرو ذلك ان الدرهم كان ورية اول الاسلام ستة دوانق والمتقال ورية درهم وثلاثة اساع درهم فتكون عشرة درام بسعة مثاقيل وكان السببي ذلك ان اوران الدرهم ايام العرس كانت مختلفة وكان منها على وزن المتقال عشرون قيراطاً ومنها انا عشر ومنها عشرة فلما احتيج الى تقديره في الركاة اخذ الوسط وذلك انا عشر قيراطاً فكان المتقال درهماً وثلاثة اساع درهم وقيل كان منها العلي ثمانية دوانق والضري اربعة دوانق والمعري ثمانية دوانق واليمبي ستة دوانق فامر عمران بظرا الاعلب في التعامل فكان العلي والظري وهما انا عشر دانقاً وكان الدرهم ستة دوانق وان ردت ثلاثة اساعه كان متقالاً وادا انقصت ثلاثة اعشار المتقال كان درهماً فلما رأى عد الملك اتخاذ السكة لصيانة القدين الجاربيين في معاملة المسلمين من الفس عين مقدارها على

هذا الذي استقر لعهد عمر رضي الله عنه واتخذ طابع الحديد واتخذ فيه كلمات لاصوراً
 لأن العرب كان الكلام والبلاغة اقرب مناجهم وأظهرها مع أن الشرع ينهي عن الصور
 فلما فعل ذلك استمروا بين الناس في أيام الملة كلها وكان الدينار والدرهم على شكلين
 مدورين والكتابة عليهما في دوائر متوازية يكتب فيها من أحد الوجهين أسماء الله تليلاً
 وتحميداً وصلاة على النبي وآله وفي الوجه الثاني التاريخ واسم الخليفة وهكذا أيام
 العباسيين والعبيديين والأمويين وأما صنعا فلم يتخذ سكة إلا آخر الأمر اتخذها
 منصور صاحب بجاية ذكر ذلك ابن حماد في تاريخه ولما جاءت دولة الموحدين كان
 مما سن لهم المهدي اتخاذ سكة الدرهم مربع الشكل وإن يرسم في دائرة الدينار شكل مربع
 في وسطه ويملاً من أحد الجانبين تليلاً وتحميداً ومن الجانب الآخر كتباً في السطور
 باسمه واسم الخلفاء من بعده ففعل ذلك الموحدون وكانت سكتهم على هذا الشكل لهذا
 العهد ولقد كان المهدي فيها يتقل بمنعت قبل ظهوره بصاحب الدرهم المربع نفقة بذلك
 المتكلمون بالحدثان من قبله المخبرون في فلاحهم عن دولته وأما أهل المشرق لهذا
 العهد فسكتهم غير مقدرة وإنما يتعاملون بالدينار والدرهم وزناً بالصنجات المقدرة بعدة
 منها ولا يطبعون عليها بالسكة نقوش الكلمات بالتلييل والصلاة واسم السلطان كما يفعله
 أهل المغرب ذلك تقدير العزيز العليم

ولنظم الكلام في السكة بذكر حقيقة الدرهم والدينار الشرعيين وبيان حقيقة مقدارها
 وذلك أن الدينار والدرهم مختلفا السكة في المقدار والموازين بالافاق والاصار
 وسائر الأعمال والشرع قد تعرض لذكرها وعلق كثيراً من الأحكام بها في الزكاة
 والائتكة والحدود وغيرها فلا بد لها عند من حقيقة ومقدار معين في تقدير تجري عليها
 أحكامه دون غير الشرعي منها فاعلم أن الإجماع منعقد منذ صدر الإسلام وعهد
 الصحابة والتابعين أن الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة مثاقيل من
 الذهب والأوقية منه أربعين درهماً وهو على هذا سبعة أعشار الدينار ووزن المثقال
 من الذهب اثنتان وسبعون حبة من الشعير فالدرهم الذي هو سبعة أعشار خمسون
 حبة وخمساوية وهذه المقادير كلها ثابتة بالإجماع فإن الدرهم المجاهلي كان بينهم على
 أنواع أجودها الطبري وهو أربعة دوانق والبغلي وهو ثمانية دوانق فجعلوا الشرعي بينهما
 وهو ستة دوانق فكانوا يوجبون الزكاة في مائة درهم بغلية ومائة طبرية خمسة دراهم
 وسطاً وقد اختلف الناس هل كان ذلك من وضع عبد الملك أو إجماع الناس بعد

عليه كما ذكرناه . ذكر ذلك الخطام في كتاب معالم السنن والماوردي في الاحكام
السلطانية وانكره المحققون من المتأخرين لما يلزم عليه ان يكون الدينار والدرهم
الشرعيان مجهولين في عهد الصحابة ومن بعدهم مع تعلق الحقوقي الشرعية بهما في الزكاة
والانكحة والحدود وغيرها كما ذكرناه والحق انها كما معلومي المقدار في ذلك العصر
لجريان الاحكام يومئذ بما يتعلق بهما من الحقوقي وكان مقدارها غير مخصص في الخارج
وانما كان متعارفاً بينهم بالحكم الشرعي على المقدار في مقدارها ورتبتها حتى استعمل الاسلام
وعطيت الدولة ودعت المحال الى تخصيصها في المقدار والوزن كما هو عند الشرع
ليستريح من كلمة التقدير وقارن ذلك ايام عبد الملك فخصص مقدارها وعيها في
الخارج كما هو في الذهب ونقش عليها السكة باسمه وتاريخه اثر الشهادات بين الامايين
وطرح النقود الحاهلية رأساً حتى خلصت ونقش عليها سكة وتلاشى وجودها فهذا هو
الحق الذي لا محيد عنه ومن بعد ذلك وقع اختيار اهل السكة في الدول على محالفة
المقدار الشرعي في الدينار والدرهم واختلفت في كل الاقطار والافاق ورجع الناس الى
نصور مقاديرها الشرعية ذهاباً كما كان في الصدر الاول وصار اهل كل امة يخرجون
الحقوق الشرعية من سكهم بمعرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية واما وزن
الدينار مائتين وسبعين حبة من التعبر الوسط فهو الذي نقله المحققون وعليه الاجماع الا
ان حزم خالف ذلك وزعم ان وزنه اربعة وثمانون حبة . نقل ذلك عنه القاضي عبد
الحق ورده المحققون وعدوه وهماً وغلطاً وهو الصحيح والله يحق الحق بكلماته وكذلك تعلم
ان الاوقية الشرعية ليست هي المتعارفة بين الناس لان المتعارفة مختلفة باختلاف
الاقطار والشرعية متحدة ذهاباً لا اختلاف فيها والله خلق كل شيء فقدره تقديراً (الحام)
واما الحام فهو من المخطط السلطانية والوظائف الملوكية والحتم على الرسائل والصكوك
معروف للملوك قبل الاسلام وبعده وقد نت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم
اراد ان يكتب الى قيسر فقبل له ان العجم لا يقبلون كتاباً الا ان يكون مخفوناً فانخذ
خاتماً من فصة ونقش فيه . محمد رسول الله . قال البخاري جعل الثلاث كلمات في
ثلاثة اسطر وحتم به وقال لا يقش احد مثله قال وتحم به ابو بكر وعمر وعثمان ثم سقط
من يد عثمان في شرأريس وكانت قليلة الماء فلم يدرك قعرها بعد واغتم عثمان وتطير
منه وصح اخر على مثله وفي كيمية نقش الحام والحتم به وحوه وذلك ان الحام يطلق على
الاكلة التي تجعل في الاصبع ومنه تحم اذا لسه ويطلق على النهاية والحام ومنه ختمت الامر

اذا بلغت اخره وختمت القران كذلك ومنه خاتم النبين وخاتم الامر ويطلق على
 السداد الذي يسد به الاواني والديار ويقال فيه ختام ومنه قوله تعالى خاتمة مسك
 وقد غلط من فسر هذه بالنهاية والتمام قال لان اخرها مبدونه في شراهم ربح المسك
 وليس المعنى عليه وانما هو من الختام الذي هو السداد لان الختم يجعل لما في الدن سداد
 الطين او القار يحفظها ويطيب عرفها وذوقها فولغ في وصف حمر الجمة بان سدادها
 من المسك وهو اطيب عرفاً وذوقاً من القار والطين المعهودين في الدنيا فاذا صح
 اطلاق الختام على هذه كلها صح اطلاقه على اثرها الناشي عنها وذلك ان الختام اذا قش
 به كلمات او اشكال ثم غمس في مداف من الطين او مداد ووضع على صمغ القرطاس بقي
 اكثر الكلمات في ذلك الصمغ وكذلك اذا طبع به على جسم لين كالشمع فانه يبقى نقش
 ذلك المكتوب مرتسماً فيه واذا كانت كلمات وارست فقد يقرأ من الجهة اليسرى اذا
 كان النقش على الاستقامة من اليمين وقد يقرأ من الجهة اليسرى اذا كان النقش من
 الجهة اليسرى لان الختم يقلب جهة الخط في الصمغ عما كان في النقش من يمين او يسار
 فيحتمل ان يكون الختم بهذا الختام نفسه في المداد او الطين ووضع على الصمغ فتنتقش
 الكلمات فيه ويكون هذا من معنى النهاية والتمام بمعنى صحة ذلك المكتوب وبعبارة كان
 الكتاب انما يتم العمل به هذه العلامات وهو من دونهما ملغى ليس بقا وقد يكون هذا
 الختم بالخط اخر الكتاب او اوله بكلمات منتظمة من تحميد او تسبيح او باسم السلطان
 او الامير او صاحب الكتاب من كان او تيم من يعونه يكون ذلك الخط علامة على صحة
 الكتاب وبعبارة يسمى ذلك في المتعارف علامة ويسمى خفأً تنبيهاً لثائر الخاتم الا صفي
 في النقش ومن هذا خاتم القاضي الذي يبعث به للحصوم اي علامة وخطة الذي ينعذ
 بها احكامه ومنه خاتم السلطان او الخليفة اي علامة قال الرشيد ليعي من خالده لما اراد
 ان يستوزر جعفرًا ويستبدل به من الفصل اخيه فقال لا يهاجبي يا ابتراني اردت ان
 احول الخاتم من يميني الى شمالي فكذلك الخاتم عن الوزارة لما كانت العلامة على الرسائل
 والصكوك من وظائف الوزارة لهدم ويتهد لصحة هذا الاطلاق ما نقله الطبري ان
 معاوية ارسل الى الحسن عند مرادته اياه في الصلح صحيفة بضاء ختم على اسفلها وكتب
 اليوان اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت اسفلها ما شئت فقولك ومعنى الختم هاعلمة
 في اخر الصحيفة بخط او غيره ويحتمل ان يختم به في جسم لين فتنتقش فيه حروفه ويجعل
 على موضع الختم من الكتاب اذا ختم وعلى المودوعات وهو من السداد كما مر وهو في

الوجهين اثار الخاتم فيطلق عليه خاتم واول من اطلق الختم على الكتاب ابي العلامة معاوية لانه امر امرين الزبير عند زياد بالكوفة بمائة الف ففتح الكتاب وصير المائة مائتين ورفع زياد حسابه فانكرها معاوية وطلب بها عمر وحسبه حتى قضاها عنه اخوه عبد الله واتخذ معاوية عند ذلك ديوان الخاتم ذكره الطبري وقال اخره وحزم الكتب ولم تكن تحزم ابي جعل لما السداد وديوان الختم عبارة عن الكتاب القائمين على انفاذ كتب السلطان والختم عليها اما بالعلامة او بالحزم وقد يطلق الديوان على مكان جلوس هؤلاء الكتاب كما ذكرناه في ديوان الاعمال والحزم للكتب يكون اما بدس الورق كما في عرف كتاب المغرب واما باصق راس الصحيفة على ما تنطوي عليه من الكتاب كما في عرف اهل المشرق وقد يجعل على مكان الدس او اللصاق علامة يوم من معها من فتحه والاطلاع على ما فيه فاهل المغرب يجعلون على مكان الدس قطعة من الشمع ويختمون عليها بخاتم نقشت فيه علامة لذلك فيرسم النقش في الشمع وكان في المشرق في الدول القديمة يختم على مكان اللصق بخاتم منقوش ايضا قد غمس في مداف من الطين معد لذلك صبغة احمر فيرسم ذلك النقش عليه وكان هذا الطين في الدولة العباسية يعرف بطين الختم وكان يجلب من سمرقند فيظهر انة مخصوص بها فهذا الخاتم الذي هو العلامة المكتوبة او النقش للسداد والحزم للكتب خاص بديوان الرسائل وكان ذلك للوزير في الدولة العباسية ثم اختلف العرف وصار لمن اليه الترسل وديوان الكتاب في الدولة ثم صاروا في دول المغرب يعدون من علامات الملك وشاراته الخاتم للاصبع فيسفيدون صوغه من الذهب ويرصعونه بالنصوص من الباقوت والنير وزج والزمرد ويلبسه السلطان شارة في عرفهم كما كانت البردة والفضيب في الدولة العباسية والمظلة في الدولة العبيدية والله مصرف الامور بحكمه

الطراز . من ابهة الملك والسلطان ومذهب الدول ان ترسم اسماؤهم او علامات تخص بهم في طراز اثارهم المعدة للباسهم من الحرير او الديباج او الابريسم تعتبر كتابة خطها في نسيج الثوب الحاميا وسدى بخط الذهب او ما يخالف لون الثوب من المخيوط الملونة من غير الذهب على ما يحكمه الصانع في تقدير ذلك ووضعوه في صناعة نسجهم فصير الثياب الملوكية معلمة بذلك الطراز قصد التنويه بلباسهم من السلطان فمن دونه او التنويه بمن يختصه السلطان بلبوسه اذا قصد تشريفه بذلك او ولايته لوظيفة من وظائف دولته وكان ملوك العجم من قبل الاسلام يجعلون ذلك الطراز

بصور الملوك واشكالهم او احوال وصور معينة لذلك ثم اعتاض ملوك الاسلام عن ذلك بكتب اسمائهم مع كلمات اخرى تجري مجرى الحال او السجلات وكان ذلك في الدولتين من اجهة الامور والفهم الاحوال وكانت الدور الممدة لتسج انسابهم في قصورهم تسمى دور الطراز لذلك وكان القائم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز ينظر في امور الصاع والاكه والحكمة فيها واحراء ارزاقهم وتسهيل آلائهم ومشاركة اعمالهم وكانوا يقدرون ذلك لحواص دولتهم وثقات مواليهم وكذلك كانت الحال في دولة بني امية بالاندلس والطوائف من بعدهم وفي دولة الميدين بمصر ومن كان على عهد من ملوك العجم بالشرق لما ضاق نطاق الدول عن الترف والتفنن فيه لطبق طباقها في الاستيلاء وتعددت الدول فستطعت هذه الوظيفة والولاية عليهما من اكثر الدول بالجملة ولما جاءت دولة الموحدين بالمغرب بعد بني امية اول المائة السادسة لم ياحدوا بذلك اول دولتهم لما كانوا عليه من سائر الديانة والسداحة التي لقنوها عن امامهم محمد بن تومرت المهدي وكانوا يتورعون عن لباس الحرير والذهب فستطعت هذه الوظيفة من دولتهم واستدرك بها اعقابهم اخر الدولة طرقات لم يكن تلك السادة واما لهذا العهد فادركنا بالمغرب في الدولة المرينية لغنائها وشموعها رسماً جليلاً لنفسه من دولة ابن الاحمر معاصره بالاندلس واتبع هوفي ذلك ملوك الطوائف فاتي منه نسخة شاهدة بالاثرة . واما دولة الترك بمصر والشام لهذا العهد ففيها من الطراز تحرير اخر على مقدار ملكهم وعمران بلادهم الا ان ذلك لا يصنع في دورهم وقصورهم وليست من وطائف دولتهم واما ينسج ما تطله الدولة من ذلك عند صناعه من الحرير ومن الذهب المحالص ويسمونه المروكش لنظفة اعمية ويرسم اسم السلطان او الامور عليه ويعد الصاع لم فيها بعدونه للدولة من طرف الصاعة اللاتقة بها والله مقدر الليل والنهار والله خير الوارئين

الفساطيط والسياج

اعلم ان من شارات الملك وترفيه اتخاذ الاخبة والفساطيط والفارات من ثياب الكتان والصوف والقطن بمجلد الكتان والقطن عيشي بها في الاسعار وتنوع منها الالوان ما بين كبير وصغير على سعة الدولة في الثروة واليسار واما يكون الامر في اول الدولة في بيوتهم التي جرت عادتهم باتخاذها قبل الملك وكان العرب لعهد الحلفاء الاولين من بني امية اما يسكون بيوتهم التي كانت لهم عيشاً من الور والصوف ولم تزل

العرب لذلك العهد بآدين الا الاقل منهم فكانت اسفارهم لغراوتهم وحرورهم بظلمونهم
وسائر حلالهم واجبايهم من الاهل والولد كما هو شان العرب لهذا العهد وكانت عساكرهم
لذلك كثيرة التحمل بعيدة ما بين المنازل متفرقة الاحياء يغيب كل واحد منها عن نظر
صاحبه من الاخرى كفتان العرب ولذلك ما كان عبد الملك يحتاج الى ساقه تحشد
الناس على اثره ان يقيموا اذا طعن وقتل انه استعمل في ذلك الحجاج حين اشار به روح
ابن زباع وقصتها في احراق فساطيط روح وخيامه لاول ولابنه حين وجدهم مقيمين
في يوم رحيل عبد الملك قصة مشهورة ومن هذه الولاية تعرف رنة الحجاج بين العرب
فانه لا يتولى ارادتهم على الظعن الا من يامس بواحد السفاه من احيايهم بما له من العصية
المخاللة دون ذلك ولذلك اخذ عبد الملك بهذه الرتبة ثقة بغنائهم فيها بعصيتهم
وصرامتهم فلما تمننت الدولة العربية في مذاهب الحصار والذخ وبرلوى المدن والامصار
وانتقلوا من سكنى الخيام الى سكنى القصور ومن ظهر الخف الى ظهر الحافر اتخذوا للسكنى
في اسفارهم ثياب الكتان يستعملون منها بيوتا مختلفة الاشكال مقدرة الامثال من
القوراء والمستطيلة والمربعة ويحفظون فيها بالبلغ مذاهب الاحتفال والزينة ويدير
الامير والقائد للعساكر على فساطيطهم وفازاتهم بينهم ساجا من الكتان يسمى في المغرب
لسان الدر الذي هو لسان اهل افراك بالكاف التي بين الكاف والقاف ويختص به
السلطان بذلك القطر لا يكون لغيره . واما في المشرق فيخذ كل امير وان كان دون
السلطان ثم جمعت الدعة بالساء والولدان الى المقام بقصورهم ومنازلهم فخف لذلك
طهرهم ونقارت السباح بين منارل العسكر واجتمع الجيش والسلطان في معسكر واحد
بحصره الصربي بسيطة زهوا ايقالا لاختلاف الواو واستمر الحال على ذلك في مذاهب
الدول في بدخها وترضا وكما كانت دولة الموحدين وزناتة التي اظلتا كان سفرهم
اول امرهم في بيوت سكاهم قبل الملك من الخيام والقياطن حتى اذا اخذت الدولة في
مذاهب الترف وسكنى القصور وعادوا الى سكنى الاخوية والفساطيط وبلغوا من ذاك
فوق ما ارادوه وهو من الترف بمكان الا ان العساكر به تصير عرضة للبيات لاحقاعهم في
مكان واحد تشملهم فيه الصيحة ولخنتهم من الاهل والولد الذين تكون الاسفانة دويهم
فيحتاج في ذلك الى تحفظ اخر والله القوي العزيز

المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة

وهما من الامور الخلافية ومن شارات الملك الاسلامي ولم يعرف في غير دول الاسلام . فاما البتة المقصورة من المسجد لصلاة السلطان فينخذ سياجاً على المهراب فيجمره وما يليه فاول من اتخذها معاوية بن ابي سفيان حين طعنه الحارثي والنصبة معروفة وقبل اول من اتخذها مروان بن الحكم حين طعنه اليمني ثم اتخذها الخلفاء من بعدها وصارت سنة في تمييز السلطان عن الناس في الصلاة وهي انما تحدث عند حصول الترف في الدول والاستفحال شان احوال الابهة كلها وما زال الشان ذلك في الدول الاسلامية كلها وعد افتراق الدولة العاسية وتعدد الدول بالمشرق وكذا بالاندلس عند اقراض الدولة الاموية وتعدد ملوك الطوائف واما المغرب فكانت سوا اغلب يتخذونها بالتبزيوان ثم الخلفاء العبيديون ثم ولائهم على المغرب من صنهاجة نونو ناديس بناس وبنو حماد بالقلعة ثم ملك الموحدين سائر المغرب والاندلس وبحول ذلك الرسم على طريقة البداوة التي كانت شعارهم ولما استغلت الدولة واخذت بحفظها من الترف وجاء ابو يعقوب المنصور ثالث ملوكهم فاتخذ هذه المقصورة ونقبت من بعده سة الملوك المغرب والاندلس وهكذا كان الشان في سائر الدول سنة الله في عباد . وما الدعاء على المنابر في الخطبة فكان الشان اولاً عند الخلفاء ولاية الصلاة باسمهم فكانوا يدعون لذلك بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والرضي عن اصحابه واول من اتخذ المبر عمرو بن العاص لما بنى جامعة بمصر واول من دعا للخليفة على المنبر ابن عباس دعا لعلي رضي الله عنهما في خطبته وهو بالصرة عامل له عليها فقال اللهم انصر علياً على المخف واتصل العنق على ذلك فيما بعد وبعد اخذ عمرو بن العاص المنبر بلغ عمر بن الخطاب ذلك فكتب اليه عمرو بن الخطاب اما بعد فقد بلغني انك اتخذت منبراً ترقى به على رقاب المسلمين او ما يكتفيك ان تكون قائماً والمسلمون تحت عنك فعزمت عليك الا ما كسرتة فلما حدثت الابهة وحدث في الخلفاء المانع من الخطبة والصلاة استنابوا فيها فكان الخطيب يتسدد بذكر الخليفة على المنبر توجهاً باسمه ودعاء له بما جعل الله مصلحة العالم فيه ولان تلك الساعة مظنة للاجابة ولما ثبت عن السلف في قولهم من كانت له دعوة صالحة فليضعها في السلطان وكان الخليفة يرد بذلك فلما جاء المنجر والاستبداد صار المتغلبون على الدول كثيراً ما يشاركون الخليفة في ذلك ويشاد باسمهم

عقب اسمو وذهب ذلك بذهاب تلك الدول وصار الامر الى اختصاص السلطان بالدعاء
له على المنردون من سواء وحظر ان يشاركه فيه احد او يسمو اليه وكثيراً ما يفعل
الماهدون من اهل الدول هذا الرسم عندما تكون الدولة في اسلوب الغصاة ومناحي
الداء في التغافل والخشونة ويقنعون بالدعاء على الالهام والاحمال لمن ولي امور
المسلمين ويسمون مثل هذه الخطبة اذا كانت على هذا النقي عساية يصون بذلك ان
الدعاء على الاحمال انما يتناول العاصي تقليداً في ذلك لما سلف من الامر ولا يحملون
بما وراء ذلك من تعيينه والتصريح باسمه يحكى ان يغير اسن بن زيات ما هد دولة بني
عبد الواد لما غلبه الامبراتور كركياجي بن ابي حفص على تلسان ثم بدالة في اعادة الامر
اليه على شروط شرطها كان فيها ذكر اسمو على ما رسمه فقال يغير اسن تلك اعداوم
يذكرون عليها من شاعر وكذلك يعقوب بن عبد الحق ما هد دولة بني مريين حصه
رسول المتضر الخليفة تويس من بني ابي حفص وثالث ملوكهم وتختلف بعض ايامه عن
شهودا الجبهة فقيل له لم يحضر هذا الرسول كراهية لحلول الحطة من ذكر سلطانوا فاذن في
الدعاء له وكان ذلك سبباً لا خدم بدعوتيه وهكذا شان الدول في بدايتها وتمكنها في
الغصاة والداء فاذا انتهت عيون سياستهم ونظروا في اعطاف ملكهم واستموا شيات
المحصاة ومعاني الدخ والابهة اغفلوا جميع هذه السمات وتفتتوا فيها ونجروا الى غايتها
واموا من المشاركة فيها وحزعوها من افتقارها وخلو دولتهم من آثارها والعالم بستان
والله على كل شيء رقيب

الفصل السابع والثلاثون

في الحروب ومذاهب الامم وترتيبها

اعلم ان الحروب وانواع المقاتلة لم ترل واقعة في الخليفة منذ برأها الله واصلها ارادة
انتقام بعض الشر من بعض ويتعصب لكل منها اهل عصبية فاذا تذا مروا لذلك
ونواقنت الطائفتان احدهما تطلب الانتقام والاخرى تدافع كانت الحرب وهو امر طبيعي
في الشر لا تخلو عنه امة ولا جيل وسبب هذا الانتقام في الاكثر اما غيرة ومنافسة واما
عدوان واما غضب لله ولدينه واما غضب للملك وسعي في تمهيد فلاول اكثر ما يجري
بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة والثاني وهو العدوان اكثر ما يكون من الامم
الوحشية الساكنين بالقمر كالعرب والترك والتركان والاكراد واشباههم لانهم جعلوا

أرزاقهم في رماحهم ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعه آذنه بالحرب ولا
 نغية لهم فيما وراء ذلك من رتبة ولا ملك وإنما هم ونصب اعينهم على الناس على مساقي
 ايديهم والثالث هو المسي في الشريعة بالجهاد والرابع هو حروب الدول مع الحارحين
 عليها والمنايعين لطاعتها فهذه اربعة اصناف من الحروب الصلتان الاولان منها حروب
 بني وفتنة والصلمان الاخيران حروب جهاد وعدل وصفة الحروب الواقعة بين اهل
 الخليفة منذ اول وجودهم على نوعين نوع بالزحف صفواً وبوع بالكر والفر اما الذي
 بالزحف فهو قتال العجم كلهم على تعاقب اجيالهم واما الذي بالكر والفر فهو قتال العرب
 والبربر من اهل المغرب وقتال الرحب اوتق واشد من قتال الكر والفر وذلك لان
 قتال الرحب ترتب فيه الصفوف وتسوي كما تسوي القذاح او صفوف الصلاة ويمشون
 بصوفهم الى العدو قدماً فذلك تكون انت عدد المصارع واصدق في القتال وارهب
 للعدولانه كالحائط المتد والقصر المشيد لا يطمع في ازالته وفي التبريل ان الله يحب
 الدين يقاتلون في سبيل صفاً كانهم نياح مرصوص اي يشد بعضهم بعضاً بالثبات وفي
 الحديث الكريم المؤمن كالبان يشد بعضه بعضاً ومن هنا يظهر لك حكمة ايجاب
 الثبات ونحرى التولي في الرحب فان المقصود من الصف في القتال حفظ الطام كاقلائه
 فمن ولي العدو طهره فقد اخل بالمصاف وما نام الهزيمة ان وقعت وصار كانه حرها
 على المسلمين وامكن منهم علوم معظم الذنب لعموم المسعدة وتعديها الى الذين يجرى
 سباحتهم من الكنائس ويظهر من هذه الادلة ان قتال الزحف اشد عد الشارح واما
 قتال الكر والفر فليس فيه من الشدة والامن من الهزيمة ما في قتال الرحب الا انهم قد
 يخدون وراءهم في القتال مصافاً تاتاً يلجأون اليه في الكر والفر ويقيم لهم مقام قتال
 الرحب كما يذكر بعد ثم ان الدول القديمة الكثيرة المجنود المستعدة المالك كانوا يقسمون
 الجيوش والعساكر اقساماً يسمونها كراديس ويسوون في كل كراديس صفوفه وسبب
 ذلك انه لما كثرت جيودم الكثرة البالغة وحشدوا من قاصية الواحي استدعى ذلك
 ان يحهل بعضهم بعضاً اذا اختلطوا في مجال الحرب واعتوروا مع عدوم الطعن والضرب
 فيخشى من تدافعهم فيما بينهم لاجل الكراء وحهل بعضهم بعضاً فذلك كانوا يقسمون
 العساكر جموعاً ويصمون المتعارفين بعضهم لبعض ويرتوتها قريباً من الترتيب الطبيعي
 في الجهات الاربع ورئيس العساكر كلها من سلطان او قائد في القلب ويسمون هذا
 الترتيب التعبئة وهو مذكور في اخبار فارس والروم والدولتين وصدر الاسلام فيجعلون

بين يدي الملك عسكرياً منفرداً بصفوفه متميزاً بقائده ورايته وشعاره وبسمونه المقدمة ثم عسكرياً اخر ناحية اليمين عن موقف الملك وعلى سجنه بسمونه اليمينة ثم عسكرياً اخر من ناحية الشمال كذلك بسمونه الميسرة ثم عسكرياً اخر من وراء العسكري بسمونه الساقة ويقف الملك واصحابه في الوسط بين هذه الاربع ويسمون موقفاً القلب فاذا تم لهم هذا الترتيب الحكم اما في مدى واحد للبصرا وعلى مسافة بعيدة اكثرها اليوم واليومان بين كل عسكريين منها او كيفا اعطاء حال العساكر في القلة والكثرة فحينئذ يكون الزحف من بعد هذه التعبية وانظر ذلك في اخبار الفتوحات واخبار الدولتين بالشرق وكيف كانت العساكر لعهد عبد الملك تخلف عن رحيله لبعد المدي في التعبية فاحتج لمن يسوقها من خلفه وعين لذلك الحجاج بن يوسف كما اشرنا اليه وكما هو معروف في اخباره وكان في الدولة الاموية بالاندلس ايضاً كثير منه وهو مجهول فيما لدينا لانا انما ادر كنا دولاً قليلة العساكر لا تنتهي في مجال الحرب الى التناكر بل اكثر الجيوش من الطائفتين معاً يجتمعهم لدينا حلة او مدينة ويعرف كل واحد منهم قرنة ويناديه في حومة الحرب باسمه ولقبه فاستغنى عن تلك التعبية

ومن مذاهب اهل الكر والفر في الحروب ضرب المصاف ورا عسكرياً من الجمادات والحيوانات العجم فيتخذونها ملجأ للخيالة في كرم وفرم يطلبون به ثبات المقاتلة ليكون أدوم للحرب واقرب الى الغلب وقد ينقله اهل الزحف ايضاً ليزيد ثباتاً وشدة فقد كان النرس وم اهل الزحف يتخذون القيلة في الحروب ويحملون عليها ابراجاً من الخشب امثال الصروح مشحونة بالمقاتلة والسلاح والرايات ويصفونها وراءهم في حومة الحرب كانتها حصون فتتوى بذلك نفوسهم ويزداد وثوقهم وانظروا وقع من ذلك في القادسية وان فارس في اليوم الثالث اشتدوا بهم على المسلمين حتى اشتدت رجالات من العرب فخالطوهم وبعوها بالسيف على خراطيمها فنزرت ونكصت على اعقابها الى مرابطها بالمعائن فجننا معسكر فارس لذلك وهزموا في اليوم الرابع * واما الروم وملوك القوط بالاندلس واكثر العجم فكانوا يتخذون لذلك الاسرة ينصبون للملك سريره في حومة الحرب ويحف به من خدمه وحاشيته وجنوده من هوزعيم بالاسقانة دونه وترفع الرايات في اركان السرير ويحرق به سياج اخر من الرماة والرجالة فيعظم هيكل السرير ويصير قبة المقاتلة وملجأ للكر والفر وجعل ذلك الفرس ايام القادسية وكان رسم جالساً فيها على سرير نصبة لجلوسه حتى اختلفت صفوف فارس وخالطه العرب في سريره ذلك فغول عنه

الى العرات وقتل * واما اهل الكَرِّ والفَرِّ من العرب واكثر الامم البدوية الرحالة
فيصنون لذلك ابلهم والظهر الذي يحمل ظعناتهم فيكون فئة لم ويسمون بها المجودة وليس
امة من الامم الا وهي تعمل ذلك في حروبها وتراه اوثق في المجولة وآس من الغرة والهزيمة
وهو امر مشاهد وقد اغلته الدول لعهدا بالجملة واعناصواعه بالظهر الحامل للانتقال
والنشاط يطبعون بها ساقه من خيلهم ولا تغني غناء البيلة والابل فصارت العساكر بذلك
عرضة للهزائم ومستشعرة للفرار في المواقف * وكان الحرب اول الاسلام كله رحا وكان
العرب انما يعرفون الكَرَّ والفَرَّ لكن حملهم على ذلك اول الاسلام امران احدهما ان اعداءهم
كانوا يقاتلون زحفاً فيضطرون الى مقاتلتهم بمثل قتالهم الثاني انهم كانوا مستمعين في
جهادهم لما رغبوا فيه من الصبر ولما ربح فيه من الايمان والرحف الى الاسفانة اقرب *
واول من اطلق الصف في الحروب وصار الى التعية كراديس مروان بن الحنكة في قتال
الصحاك الحارثي والحيري بعدة قال الطبري لما ذكر قتال الحيري فولى الحوارج عليهم
شيبان بن عبد العزيز البشكري ويلقب اما الدلاء قاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس
واطلق الصف من يومئذ انتهى فتوسى قتال الرحف باطلاق الصف ثم توسى الصف
وراء المقاتلة بما داخل الدول من الترف وذلك انها حينما كانت بدوية وسكانهم الخيام
كانوا يستكثرون من الابل وسكني النساء والولدان معهم في الاحياء فلما حصلوا على
ترف الملك والناس سكى القصور والحواسر وتركوا شان الدابة والفرسوا لذلك عهد
الابل والطلعاش وضعب عليهم اتحادها فحملوا النساء في الاسمار وحملهم الملك والترف على
اتحاد النشاط والاخية فاقصروا على الظاهر الحامل للانتقال^(١) والاسية وكان ذلك
صنعتهم في الحرب ولا يغني كل الغناء لانه لا يدعو الى الاسفانة كما يدعو اليها اهل
والمال فيحف الصبر من اجل ذلك وتصرفهم الهيئات وتحرم صومهم . ولما ذكرناه من
ضرب المصاف وراء العساكر وتأكد في قتال الكَرِّ والفَرَّ صار ملوك المغرب يخذون
طائفة من الافريج في جدهم واحصوا بذلك لان قتال اهل وطهم كله بالكَرِّ والفَرِّ
والسلطان يتأكد في حقو ضرب المصاف ليكون رداً للمقاتلة امامه فلا بد من ان يكون اهل
ذلك الصف من قوم متعددين للثبات في الرحف والا اجلوا على طريقة اهل الكَرِّ
والفر فانهم السلطان والعساكر احاطهم فاحتاج الملوك بالمغرب ان يخذوا واحداً من هذه
الامة المتعددة الثبات في الرحف وهم الافريج ويرتبون مصاهم المحدث بهم منها هنا على ما
اقوله للانتقال والاسية مراد بالاسية انجبار كابدل له قوله في فصل الحمدق لاني قرنا ادارلوا وسموا سيتهما

فيه من الاستعانة باهل الكثرة منهم استغفوا ذلك للضرورة التي اربنا كهامن تخوف الاجفال
على مصاف السلطان والافرنج لا يعرفون غير الثبات في ذلك لان عادتهم في القتال
الزحف فكانوا اقوم بذلك من غيرهم مع ان الملوك في المغرب انما يفعلون ذلك عند
الحرب مع ام العرب والبربر وقتالهم على الطاعة واما في الجهاد فلا يستعينون بهم حذراً
من حملاتهم على المسلمين هذا هو الواقع بالمغرب لهذا العهد وقد ابدينا سبباً والله بكل
شيء عليم * وبلغنا ان ام الترك لهذا العهد قتالهم مناضلة بالسهم وان تعية الحرب
عندهم بالمصاف وانهم يقسمون بثلاثة صفوف يضربون صفاً وراء صف ويترجلون
عن خيولهم ويفرغون سهامهم بين ايديهم ثم يتناضلون جلوساً وكل صف ردة للذي امامه ان
يكسبهم العدو الى ان يتهاى النصر لاحدى الطائفتين على الاخرى وهي تعية محكمة غريبة *
وكان من مذاهب الاول في حروبهم حفر الخنادق على معسكرهم عندما يتقاربون للزحف
حذراً من معرفة البيات والهجوم على العسكر بالليل لما في ظلمتهم ووحشتهم من مضاعفة الخوف
فيلوذ الجيش بالفرار وتجد النفوس في الظلمة سقراً من عاره فاذا تساوى في ذلك ارجف
العسكر ووقعت الهزيمة فكانوا لذلك يحفرون الخنادق على معسكرهم اذا نزلوا وضربوا ابينتهم
ويدبرون الحناجر نطاقاً عليهم من جميع جهاتهم حرصاً ان يغالطهم العدو بالبيات فيتخاذلوا
وكانت للدول في امثال هذا قوة وعليه اقتدار باحشاد الرجال وجمع الايدي عليهم في كل
منزل من منازلهم بما كانوا عليه من وفور العمران وفضامة الملك فلما خرب العمران وتبعة
ضعف الدول وقلما المجنود وعدم النقلة نسي هذا الشأن جملة كانه لم يكن والله خير القادرين
وانظر وصية علي رضي الله عنه وتحريرة لاصحاب يوم صفين تجد كثيراً من علم الحرب ولم
يكن احد ابصر بها منه قال في كلام له فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا
الدارع واخروا الحاسر وعضوا على الاضراس فانه انبي للسيوف عن الهام والتوا على
اطراف الرماح فانه اصون للاسنة وغضوا الابصار فانه اربط للجاش واسكن للقلوب
واخفوا الاصوات فانه اطرد للنشل ولوى بالوقار واقبوا راياتكم فلا تميلوا ولا تجعلوها
الا بايدي شجعانكم واستعينوا بالصدق والصبر فانه بقدر الصبر ينزل النصر وقال الا شتر
يومئذ يجرض الارض عضوا على النواجز من الاضراس واستقبلوا القوم بهامكم وشدها شدة
قوم موتورين يثارون بابائهم واخوانهم حناقاً على عدوم وقد وطنوا على الموت انفسهم لئلا
يسبقوا بونور ولا يلحقهم في الدنيا عار وقد اشار الى كثير من ذلك ابو بكر الصيرفي شاعر
لمتونة واهل الاندلس في كلمة يمدح بها تاشفين بن علي بن يوسف ويصف ثباته في حرب

شهدها ويذكره بامور الحرب في وصايا تحذيرات تنبهك على معرفة كثير من سياسة الحرب يقول فيها

يا ايها الملالا الذي يتفنع
ومن الذي غدر العدو يودعي
تضي العوارس والطلعان يصدها
والليل من وصح الترائك انة
اني فرعتم يا بني صنما جنة
اسان عين لم يصدهم
وصددتمو عن ناشنوس وانه
ما انتمو الاسود خيبة
يا ناشنوس اقم لجيشك عنده
من سكم الملك الهام الاروع
فاسض كل وهو لا يتزعزع
عنه ويدمرها الوفاء فترجع
صبح على هام المجيوش يامع
واليكم في الروع كار المزعزع
حصن وقلب اسلنت الاضلع
لغناو لو شاء فيكم موضع
كل كل كربة مستطلع
بالليل والعذر الذي لا بدفع

ومها في سياسة الحرب

اهدبك من ادب السياسة ما يو
لا ابي ادري بها لكها
والس من الخلق المصاعمة التي
والهندواني الرقيق فانه
واركب من الخيل السوابق عدة
خندق عليك اذا ضربت محلة
والواد لا تعده وارمل عدة
واجعل ماحرة المجيوش عشية
واذا نصابت المجيوش بمعرك
واصدمة اول وهلة لا تكثر
واجعل من الطلاع اهل شهامة
لا تسبع الكذاب جاءك مرجئا
كأت ملوك الفرس قلمك تولع
ذكرى نخس المومس وتنع
وصى بها صنع الصنائع تنع
امضى على حد الدلاص واقطع
حصا حصيا ليس فيو مدفع
سيان تنع طافرا او تنع
بين العدو وبين جيشك يقطع
ووراءك الصدق الذي هو امع
ضك فاطراف الرماح توسع
شيئا فاطهار الكول يصعصع
للصدق فيهم شعبة لا تخدع
لا راي للكذاب فيها يصنع

قوله واصدمة اول وهلة لا تكثر البيت محالف لما عليه الناس في امر الحرب فقد قال
عمر لابي عبد بن مسعود الثقفي لما ولاء حرب فارس والعراق فقال له اسمع واطع من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واسركم في الامر ولا تجيبن مسرعا حتى تنبش فانها الحرب

ولا يصلح لما الا الرجل المكث الذي يعرف الفرصة والكف وقال له في اخرى انه لن
يمتعي ان اوامر سيطر الا سرعته في الحرب وفي التسرع في الحرب الا عن بيان ضياع
والله نولا ذلك لامرته لكن الحرب لا يصلحها الا الرجل المكث هذا كلام عمر وهو شاهد
بان التناقل في الحرب اولى من الخوف حتى يتبين حال تلك الحرب وذلك عكس ما
قالة الصيرفي الا ان يريد ان الصدم بعد البيان طه وجه والله تعالى اعلم * ولا
وتوق في الحرب بالطر وإن حصلت اسبابه من العدة والعديد وإنما الظفر فيها والغلب
من قبيل البحت والانتاق وبيان ذلك ان اسباب الغلب في الاكثر محضه من امور
ظاهرة وهي الحيوث ووفورها وكال الاسلحة واستعدادتها وكثرة الشعاع وترتيب المصاف
ومنه صدق القتال وما جرى مجرى ذلك ومن امور خفية وهي اما من خدع السر وحيلهم
في الارجاف والتشايخ التي يقع بها التخاذل وفي التقدم الى الاماكن المرمقة ليكون الحرب
من اعلى فيشوم المخص لذلك وفي الكهون في الغياض ومطمن الارض والتواري بالكدي
على العدو حتى يتداولهم العسكر دفعة وقد توزعوا فيتلصصون الى النجاة وامثال ذلك واما
ان تكون تلك الاسباب الخفية امورا ساوية لا قدرة للشر على اكتسابها تلقى في القلوب
فيستولي الرعب عليهم لاجلها فتخل مراكزهم فتقع الهزيمة واكثر ما تقع الهرايم عن هذه
الاسباب الخفية لكثرة ما يعمل لكل واحد من الفريقين فيها حرصا على الغلب فلا بد
من وقوع التأثير في ذلك لاحدهما ضرورة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة
ومن امثال العرب رب حيلة ابع من قبيلة فقد تبين ان وقوع الغلب في الحروب غالبا
عن اسباب خفية غير ظاهرة ووقوع الاشياء عن الاسباب الخفية هو معنى البحت كما نقرر
في موضعه فاعتره ونهم من وقوع الغلب عن الامور الساموية كما شرحناه معنى قوله صلى
الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وما وقع من غلبو المشركين في حياته بالعدد
القليل وغلب المسلمين من بعده كذلك في الفتوحات فان الله سبحانه وتعالى تكمل لنيب
بالقاء الرعب في قلوب الكافرين حتى يستولي على قلوبهم فيتنهزموا معجزة لرسوله صلى الله
عليه وسلم فكان الرعب في قلوبهم سببا للهرايم في الفتوحات الاسلامية كلها الا انه خفي عن
العيون * وقد ذكر الطرطوشي ان من اسباب الغلب في الحرب ان تفصل عدة الفرسان
المشاهير من النجمان في احد الجانبين على عدتهم في الجانب الاخر مثل ان يكون احد
الجانبين فيو عشرة او عشرون من النجمان المشاهير وفي الجانب الاخر ثمانية او ستة عشر
فالجانب الزائد ولو بواحد يكون له الغلب واعاد في ذلك وادى وهو راجع الى الاسباب

الظاهرة التي قد منا وليس بصحيح وإنما الصحيح المعتبر في الغلب حال العصبية ان يكون في احد الجانبين عصبية واحدة جامعة لكلهم وفي الجانب الآخر عصاب متعددة لان العصاب اذا كانت متعددة يقع بينها من التخاذل ما يقع في الوجدان المتفرقين الفاعدين للعصبية تنزل كل عصابة منهم منزلة الواحد ويكون الجانب الذي عصابه متعددة لا يقاوم الجانب الذي عصبته واحد لاجل ذلك فتضيقه واعلم اننا صرح في الاعتبار ما ذهب اليه الطرطوشي ولم يحملة على ذلك لانسيان شان العصبية في حلقه وبلده وانهم انما يرون ذلك الدفاع والحماية والمطالبة الى الوجدان والجامعة الناشئة عنهم لا يعتبرون في ذلك عصبية ولا نسباً وقد بينا ذلك اول الكتاب مع ان هذا ومثاله على تقدير صحتهم انما هو من الاسباب الظاهرة مثل اتفاق الجيش في العدة وصدق القتال وكثرة الاسلحة وما اشبهها فكيف يجعل ذلك كفيلاً بالغلب ونحن قد قررنا لك الان ان شيئاً منها لا يعارض الاسباب الخفية من الحيل والتخديع ولا الامور السماوية من الرعب والتخللان الالهي فافهمه وتهم احوال الكون والله مقدر الليل والنهار * ويلحق بمعنى الغلب في المحروب وان اسبابه خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصيت فقل ان تصادف موضعها في احد من طبقات الناس من الملوك والعلماء والصالحين والمتمقلين للفضائل على العموم وكثير من اشتهر بالشر وهو بخلافه وكثير من تجاوزت عنه الشهرة وهو احق بها واهلها وقد تصادف موضعها وتكون طبقاً على صاحبها والسبب في ذلك ان الشهرة والصيت انما هما بالاخبار والاخبار يدخلها الدهول عن المقاصد عند التناقل ويدخلها التعصب والشيع ويدخلها الاوهام ويدخلها الجهل بمطابقة الحكايات للاحوال الخفائها بالتليس والتضنع او لجهل الناقل ويدخلها القرب لاصحاب التجلة والمرتبة الدنيوية بالثناء والمدح وتحسين الاحوال واساعة الذكر بذلك والنفس مولعة بحسب الثناء والناس متطاولون الى الدنيا واسبابها من جاءه اثره وليسوا من الاكثر براغبين في الفضائل ولا منافسين في اهلها وابن مطابقة الحق مع هذه كلها فتختل الشهرة عن اسباب خفية من هذه وتكون غير مطابقة وكل ما حصل بسبب خفي فهو الذي يعبر عنه بالبحث كما نقرر والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

الفصل الثامن والثلاثون

في المجابة وسبب قتلها وكثرتها

اعلم ان المجابة اول الدولة تكون قليلة الوزائع كثيرة الجملة وآخر الدولة تكون

كثيره الوزائع قليلة الجملة والسبب في ذلك ان الدولة ان كانت على سنن الدين فليست
 الا المغارم الشرعية من الصدقات والخراج والجزية وهي قليلة الوزائع لان مقدار الزكاة
 من المال قليل كما علمت وكذا زكاة المحسوب والمائنة وكذا الجزية والخراج وجميع المغارم
 الشرعية وهي حدود لا تتعدى وان كانت على سنن التغلب والعصية فلا بد من البداوة
 في اولها كما تقدم والبداوة تقتضي المسامحة والمكاملة وخفص الجناح والتجافي عن اموال
 الناس والغفلة عن تحصيل ذلك الا في النادر فيقل لذلك مقدار الوظيفة الواحدة والوربعة
 التي تجمع الاموال من مجموعها واذا قلت الوزائع والوظائف على الرعايا بشطوط العمل
 ورغوا فيه فيكثر الاعمار ويتزايد الحصول الاغنياء قلقة المعرم واذا اكثر الاعمار كثرت
 اعداد تلك الوظائف والوزائع فكثرت الحماية التي هي حملتها فاذا استمرت الدولة واتصلت
 وتعاقب ملوكها واحدا بعد واحد وانصوبوا الكيس وذهب سر البداوة والسذاجة وخلقتها
 من الاغصاء والتجافي وجاء الملك المعروض والحاصرة الداعية الى الكيس وتخلق اهل
 الدولة حينئذ بخلق التمدن وتكثر على اندم وحوادثهم سببها العيسول فيو من العيم
 والترف فيكثر الوظيف والوزائع حينئذ على الرعايا والاكره والفلاحين وسائر اهل
 المغارم ويريدون في كل وظيفة ووزبعة مقدار اعظيا لتكثر لهم الحماية ويصعون المكوس
 على المايعات وفي الابواب كما تذكر بعد ثم تدرج الريادات فيها بمقدار بعد مقدار
 لتدرج عوائد الدولة في الترف وكثرة الحاجات والاماق يسبو حتى تنقل المغارم على
 الرعايا وتهضم وتصير عادة معروضة لان تلك الريادة تدرجت قليلا قليلا ولم يشعر احد من
 زادها على التعيين ولا من هو واضعها انما شئت على الرعايا في الاعتمار لدهاب الامل من
 نعوسهم قلة البيع اذا قابل بين نعو ومعارمو بين تمرز وفائدتو تنقص كثير من الايدي
 عن الاعتمار جملة فنقص حملة الحماية حينئذ ينقص تلك الوزائع مهاور بما يريدون في
 مقدار الوظائف اذا راوا ذلك النقص في الحماية ومحسونه حرا لها نقص حتى تنهي
 كل وظيفة ووربعة الى عاية ليس وراها مع ولا فائدة لكثرة الاماق حينئذ في
 الاعتمار وكثرة المغارم وعدم وفاء العائدة المرحوة به فلا ترال الجملة في نقص ومقدار
 الوزائع والوظائف في زيادة لما يعتقدونه من حرا الجملة بها الى ان ينقص العمران
 بدهاب الامال من الاعتمار ويعود وبال ذلك على الدولة لان فائدة الاعتمار عائدة
 اليها واذا مهمت ذلك علمت ان اقوى الاسباب في الاعتمار تقليل مقدار الوظائف على
 المعتمرين ما امكن فذلك تنبسط نعوس اليه لثقتها بادراك المنفعة فيو والله سبحانه وتعالى

مالك الامور كلها ويده ملكوت كل شيء

الفصل التاسع والثلاثون

في صرب المكوس واخر الدولة

اعلم ان الدولة تكون في اولها مدوية كما قلنا فتكون لذلك قليلة الحاجات لعدم الترف وعوائده فيكون خرجها وامانها قليلاً فيكون في الحماية حينئذ وفاء ما يريد منها بل يصل منها كثير عن حاجاتهم ثم لا تلت ان تأخذ مدين المحاصرة في الترف وعوائدها وتجري على نهج الدول السابقة قلها فيكثر لذلك خراج اهل الدولة ويكثر خراج السلطان خصوصاً كثرة بالغه بنفقته في خاصته وكثرة عطائه ولا تفي بذلك الحماية فتحناج الدولة الى الريادة في الحماية لما تحتاج اليه الحماية من العطاء والسلطان من النفقة فير يد في مقدار المواطنين والورائع اولاً كما قلناه ثم يريد الحراج والحاجات والتسريح في عوائد للترف وفي العطاء للحماية ويدرك الدولة الهرم وتضع عصاتها عن حاية الاموال من الاعمال والقاصية فتقل الحماية وتكثر العوائد ويكثر مكتبها اوراق الحد وعطاؤهم فيستحدث صاحب الدولة اموالاً من الحماية بصريها على البياعات ويعرض لها قدر ما معلوماً على الايمان في الاسواق وعلى اعيان السلع في اموال المدينة وهو مع هذا مضطراً لذلك بما دعه اليه طرف الناس من كثرة العطاء من ريادة الحبوش والحامية وما يريد ذلك في اواخر الدولة زيادة نالعة فتكسد الاسواق لساد الامال ويؤذن ذلك باختلال العمران ويعود على الدولة ولا يزال ذلك نرايد الى ان تفصل وقد كان وقع مئة مامصار المشرق في اخريات الدولة العاسية والعبيدية كثير وفرضت المغارم حتى على الحاج في الموسم واستنط صلاح الدين ايوب تلك الرسوم حلة واعاضها ما نثار الحير وكذلك وقع بالاندلس لعهد الطوائف حتى محي رسم يوسف بن تاشفين امير المرابطيين وكذلك وقع مامصار الجريد بافريقية لهذا العهد حين استند بها رؤساؤها والله تعالى اعلم

الفصل الاربعون

في ان التجارة من السلطان مصره بالرعايا ومسددة للحماية

اعلم ان الدولة اذا صاقت حمايتها بما قدماء من الترف وكثرة العوائد والنفقات وقصر المحاصل من حمايتها على الوفاء بمحاجاتها ونفقاتها واحتاجت الى مزيد المال والحماية فتارة توضع المكوس على بيعات الرعايا واسواقهم كما قلنا ذلك في العصل قبله

وتارة بالزيادة في القاب المكوس ان كان قد استحدث من قبل وتارة بمقاسمة العمال
والجباة وإمتلاك عظامهم لما يرون انهم قد حصلوا على شيء طائل من اموال الجباية
لا يظهره المحسبان وتارة باستحداث التجارة والملاحة للسلطان على تسمية الجباية لما يرون
التجار والملاحين يحصلون على العوائد والغلات مع يسارة اموالهم وان الارباح تكون على
نسبة رؤوس الاموال فيأخذون في اكتساب الحيوان والنبات لاستغلاله في شراء الصنائع
والتعرض بها لحالة الاسواق ويحسبون ذلك من اضرار الجباية وتكثير العوائد وهو غلط
عظيم وادخال الصرر على الرعايا من وجوه متعددة فاولاً مصايقة الملاحين والتجار في
شراء الحيوان والصنائع وتيسير اسباب ذلك فان الرعايا متكافون في اليسار متقاربون
ومراحمه بعضهم بعضاً تنهي الى غاية موجودهم او قرب واداء راقهم السلطان في ذلك
وماله اعظم كثيراً منهم فلا يكاد احد منهم يحصل على غرضه في شيء من حاجاته ويدخل
على المكوس من ذلك غمٌ ويكد ثم ان السلطان قد يتزعج الكثير من ذلك اذا تعرض له
غصاً او بايسر من اولا يتجدد من يباشر في شراؤه فيبغض ثمة على اتعوم اذا حصل فوائد
الملاحة ومغلبها كله من ررع او حرير او غسل او سكر او غير ذلك من انواع العلات
وحصلت صنائع التجارة من سائر الانواع فلا ينتظرون به حواله الاسواق ولا ساق
البياعات لما يدعوم اليه تكاليف الدولة فيكلمون اهل تلك الاصناف من تاجر او فلاح
بشراء تلك الصنائع ولا يحرصون في اثمانها الا القيم واريد فيستوعبون في ذلك باض
اموالهم وتبقى تلك الصنائع بايديهم عروضاً جامدة ويمكثون عطلاً من الادارة التي فيها
كسهم ومعاشهم وربما تدعوم الضرورة الى شيء من المال فيبيعون تلك السلع على كساد
من الاسواق بالخس ثم وربما يتكرر ذلك على التاجر والملاح منهم بما يذهب راس ماله
فيفقد عن سوقه ويتعدد ذلك ويتكرر ويدخل به على الرعايا من العنت والمصايقة
وفساد الارباح ما ينقص اموالهم عن السعي في ذلك حملة ويؤدي الى فساد الجباية فان
معظم الجباية انما هي من الملاحين والتجار لاسيما بعد وضع المكوس ونحو الجباية بها فاذا
انقض الملاحون عن الملاحة وقعد التجار عن التجارة ذهبت الحماية حملة او دخلها
النقص المتماحتس واداء قايس السلطان بين ما يحصل له من الحماية وبين هذه الارباح
القليلة وجدها بالنسبة الى الحماية اقل من القليل ثم انه ولو كان مفيداً فيذهب له بحظ
عظيم من الحماية فيما يعاين من شراء او بيع فائده من العبد ان يوجد فيه من المكس ولو
كان عبره في تلك الصفقات لكان تكسبها كلها حاصلاً من جهة الحماية ثم فيه التعرض

لاهل عمرائه واختلال الدولة بمسادم ونقصه فان الرعايا اذا قعدوا عن تمخير اموالهم
 بالملاحة والتجارة نقصت وتلاشت بالنسقات وكان فيها تلاف احوالهم فانهم ذلك وكان
 الفرس لا يملكون عليهم الا من اهل بيت المملكة ثم يختارونه من اهل الفضل والدين
 والادب والسجاء والنجاعة والكرم ثم يشترطون عليه مع ذلك العدل وان لا يتخذ صعة
 فيضر بجيرانه ولا يتاجر فيحب علاه الاسعار في الصائع وان لا يستخدم العبيد فانهم
 لا يشيرون بجبر ولا مصلحة . واعلم ان السلطان لا يبي ماله ولا يدر موجوده الا الحماية
 وادارها اما يكون بالعدل في اهل الاموال والنظر لم بذلك فتلك تسقط امامهم
 وتشرح صدورهم للاخذ في تمخير الاموال وتميئها فتعظم منها جناية السلطان واما غير
 ذلك من تجارة او فسخ فاما هو مصرة عاجلة للرعايا وفساد للحماية ونقص للعارة وقد ينتهي
 الحال بهؤلاء المستحقين للحماية والملاحة من امراء والمختلين في البلدان انهم يتعرضون
 لشراء الغلات والسلع من اربابها الواردين على بلدكم ويفرضون لذلك من الثمن ما
 يشاءون ويبيعونها في وقتها لمن تحت ايديهم من الرعايا بما يعرضون من الثمن وهذه
 اشد من الاولى واقرب الى فساد الرعية واختلال احوالهم وربما يجعل السلطان على ذلك
 من يداخله من هذه الاصناف اعني التجار والملاحين لما في صاعته التي تبا عليها
 فيجعل السلطان على ذلك ويصرب معه سهم ليمسوا ليحصل على غرضه من جمع المال
 سريعا سيما مع ما يحصل له من التجارة فلا مفر ولا مكس فانها اجدر سمو الاموال
 واسرع في تمخير ولا يهم ما يدخل على السلطان من الصرر فنقص حمايته فينتفي
 للسلطان ان يخذل من هولاء يعرض عن سعاينهم المضرة بحمايتهم وسلطانهم والله يلهما
 رشد انفسنا وينفعنا بصالح الاعمال والله تعالى اعلم

الفصل الواحد والاربعون

في ان ثروة السلطان وحاشيته اما تكون في وسط الدولة
 والسبب في ذلك ان الحماية في اول الدولة تنوزع على اهل النبيل والعصية
 بمقدار غنائمهم وعصبيتهم ولان الحاجة اليهم في تمديد الدولة كما قلناه من قبل فرئيسهم في
 ذلك متجاف لم عما يسمون اليه من الحماية معنض عن ذلك بما هو يروم من الاستبداد
 عليهم فله عليهم عزة وله اليهم حاجة فلا يطير في سهاؤهم من الحماية الا اقل من حاجته
 فتجد حاشيته لذلك واذيلة من البرراء والكتاب والموالي ملتقن في الغالب وجاههم

متقلص لانه من جاء بخدومهم وبطاقه قد ضاق من براحة فيه من اهل عصبته فاذا
استغلت طبيعة الملك وحصل لصاحب الدولة الاستبداد على قومو قبض ايديهم عن
المجاهيات الا ما يطور لهم بين الناس في سهامهم ونقل حظوظهم اذ ذاك لقله غنائم في
الدولة بما انتج من اعنتهم وصار المولي والصانع مساهمين لهم في القيام بالدولة وتبديد
الامر فينفرد صاحب الدولة حينئذ بالمجاهية او معطها ويحتوي على الاموال ويحجبها
للسقات في مهمات الاحوال فتكثر ثروته وتمتلي خزائنه ويتسع نطاق جاهه ويعتز على
سائر قومه فيعظم حال حاشيته وذويهم ووزيرو كاتب وحاجب ومولى وشرطي ويتسع
جاههم ويقتسوا الاموال ويتأتلونها ثم اذا اخدت الدولة في الهرم ثلاثي العصبية وفناء
القليل الماهدين للدولة احتاج صاحب الامر حينئذ الى الاعوان والابصار لكثرة
الخارج والمنازعين والثوار وتوم الانتفاض فصار خراجهم لظهوره واعوانه وم ارباب
السيوف واهل العصبية وابق خزائنه وحاصلة في مهمات الدولة وقلت مع ذلك
المجاهية لما قدمناه من كثرة العطاء والافاق فيقل الحراج وتشتد حاجة الدولة الى
المال فيتقلص ظل النعمة والترف عن الخواص والمجباب والكتاب بتقلص الجاه عنهم
وضيق نطاقه على صاحب الدولة ثم تستد حاجة صاحب الدولة الى المال وتنق ابناء
البطالة والحاشية ما تائلة اياهم من الاموال في غير سبيلها من اعانة صاحب الدولة
ويقلون على غير ما كان عليه اباؤهم وسلمهم من المباحة ويرى صاحب الدولة انه احق
تلك الاموال التي اكتسبت في دولة سلمه وبجاههم فيصطلها ويتزعمها منهم لنفسه شيئاً
فشيئاً واحداً بعد واحد على سعة رتبهم وتنكر الدولة لهم ويعود وبال ذلك على الدولة
فبناء حاشيتها ورجالها واهل الثروة والنعمة من بطانها ويتفوض بذلك كثير من
مناهي المجد بعد ان يدعمه اهله ويرفوه . وانظر ما وقع من ذلك لوزراء الدولة
العاسية في بني قحطبة وبني برمك وبني سهل وبني طاهر وامثالهم ثم في الدولة الاموية
بالاندلس عند انخلاها ايام الطوائف في بني شهيد وبني ابي عدة وبني حديرو وبني برد
وامثالهم وكذا في الدولة التي ادركنها لهدناسة الله التي قد خلت في عبادهم

* فصل * ولما يتوقعة اهل الدولة من امثال هذه المعاطب صار الكثير منهم
ينزعون الى الفرار عن الرتب والخص من رتبة السلطان بما حصل في ايديهم من مال
الدولة الى قطر اخر ويرون انه اهنأ لهم واسلم في انفاقه وحصول ثمرته وهو من الاغلاط
الفاحشة والاهام المفسدة لاحوالهم ودنيائهم واعلم ان الخلاص من ذلك بعد الحصول

فيه عسير ممنوع فان صاحب هذا الغرض اذا كان هو الملك نفسه فلا تمكته الرعية من ذلك طرفة عين ولا اهل العصبة المراحون له بل في ظهور ذلك منه هدم للملك واثلاف لتسوء بجاري العادة بذلك لان رقة الملك بعسر الخلاص منها سيما عند استحصال الدولة وضيق نطاقها وما يعرض فيها من البعد عن المجد والخلال والتخلق بالشر واما اذا كان صاحب هذا الغرض من نطانة السلطان وحاشيتو واهل الرتب في دولته فقل ان يحل بيته وبين ذلك اما اولاً فلما يراء الملك ان ذويهم وحاشيتهم بل وسائر عايلهم ماليك لم مطلعون على ذات صدورهم فلا يسعون بحمل رفقته من الخدمة ضناً بأسرارهم واحوالهم ان يطلع عليها احد وغيره من خدمته لسواهم ولقد كان نوامية بالاندلس يجمعون اهل دولتهم من السرايرضة الحج لما يتوهمونه من وقوعهم بادي بني العباس فلم يحج سائر ابايهم لخدم اهل دولتهم وما ابع الحج لاهل الدول من الاندلس الا بعد فراغ شان الاموية ورجوعها الى الطوائف واما ثانياً فلانهم وان سمحوا بحمل رفقته هو فلا يسعون بالتخافي عن ذلك المال لما يرون انه حزة من مالم كما يرون انه حزة من دولتهم اذ لم يكتسب الا بها وفي ظل جاهها تقوم نفوسهم على انتزاع ذلك المال والتنازع كما هو حرة من الدولة يتمتعون به ثم اذا توهموا انه خلص ذلك المال الى قطر اخر وهو في البادر الاقل فتمتد اليه اعين الملوك بذلك الفطر ويتزعونه بالارهاب والتخويف تعريضاً او بالفطر طاهراً لما يرون انه مال الحماية والدول وانه مستحق للاساق في المصالح واما كانت اعينهم تمتد الى اهل الثروة واليسار المتكسبين من وحيو المعاش فاخرى بها ان تمتد الى اموال الحماية والدول التي تجدد السبل اليه بالشرع والعادة ولقد حاول السلطان ابو يحيى زكريا بن احمد اللخمي ناسع او عاشر ملوك الحمصيين باورقة الحروج عن عهدة الملك والحاق بمصر فراراً من طلب صاحب الثغور الغربية لما استجمع لعرو تونس فاستعمل اللخمي الرحلة الى قنطرة المرس بوربة بمهيد وركب السعين من هنالك وخلص الى الاسكندرية بعد ان حمل جميع ما وجده سبت المال من الصامت والدخيرة وما ع كل ما كان بمجرائهم من المتاع والعقار والجوهر حتى الكتب واحتمل ذلك كالة الى مصر ورل على الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة سبع عشر من المائة الثامنة فاكرم برلة ورفع محلسة ولم يزل يستخلص ذخيرة ثيناً فثيناً بالتعريض الى ان حصل عليها ولم يبق معاش اس اللخمي الا في حرايتو التي فرض له الى ان هلك سنة ثمان وعشرين حسبا بذكره في اخاوه فهذا وامثاله من حملة الوسواس الذي يعترى

اهل الدول لما يتوقعونه من ملوكهم من المعاطب وانما يخلصون ان اتفق لم الخلاص بانفسهم وما يتوقعونه من الحاجة ففقط ووم والذي حصل لهم من التهمة بخدمة الدول كافٍ في وجدان المعاش لم بالجرابات السلطانية او بالحاج في اتحال طرق الكسب من التجارة والفلاحة والدول اساب لكن .

النس راغة اذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تنفع

والله سبحانه هو الرزاق وهو الموفق بمنه وفصله والله اعلم

الفصل الثاني والاربعون

في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية

والسبب في ذلك ان الدولة والسلطان في السوق الاعظم للعالم ومنه مادة العمران فاذا اخجن السلطان الاموال او الجبايات او فقدت فلم يصرفها في مصارفها قل حيثئذ ما يادي الحاشية والحامية واقطع ايضاً ما كان يصل منهم لحاشيتهم وذويهم وقلت نقاتهم حملة وم معظم السواد ونقاتهم اكثر مادة للاسواق من سوام فيقع الكساد حيثئذ في الاسواق وتضعف الارباح في المتاجر فيقل الخراج لذلك لان الخراج والجباية انما تكون من الاعنار والمعاملات وعاق الاسواق وطلب الناس للفوائد والارباح وومال ذلك عائد على الدولة بالنقص لقلة اموال السلطان حيثئذ نقلة الخراج فان الدولة كما قلناه في السوق الاعظم ام الاسواق كلها واصلها ومادتها في الدخل والخرج فان كسدت وقلت مصارفها فاجدر بما بعدها من الاسواق ان يلحقها مثل ذلك واتدسه وايضاً فالمال انما هو متردد بين الرعية والسلطان منهم اليوم ومنه اليهم فاذا حسه السلطان عدة فقدته الرعية سه الله في عبادته

الفصل الثالث والاربعون

في ان الظلم مودع بخراب العمران

اعلم ان العدوان على الناس في اموالهم فاهب امامهم في تحصيلها واكتسابها لما يرونة حيثئذ من ان غابتها ومصيرها انتهابها من ايديهم واذا ذهبت امامهم في اكتسابها وتحصيلها انتصت ايديهم عن السعي في ذلك وعلى قدر الاعتداء وسيتو يكون انفاض الرعايا عن السعي في الاكتساب فاذا كان الاعتداء كثيراً عاماً في جميع ابواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهاب الامالي جملة بدخوله من جميع ابوابها وان

كان الاعتداء يسيراً كان الانقباض عن الكسب على نسبته والعمران ووفوره ونفاق
 اسواقه انما هو بالاعمال وسعي الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين وجائنين فاذا قعد
 الناس عن المعاش وانقبضت ايديهم عن المكاسب كسدت اسواق العمران وانقبضت
 الاحوال وايدع الناس في الافاق من غير تلك الايالة في طلب الرزق فيما خرج عن
 نطاقها تحف ساكن الفطر وطلت دياره وخرجت امصاره واختل باخلاله حال الدولة
 والسلطان لما اتت صورة للعمران تنسد بفساد مادتها ضرورة وانظر في ذلك ما حكاه
 المسعودي في اخبار الفرس عن الموبدان صاحب الدين عندهم ايام بهرام بن بهرام وما
 عرض به للملك في انكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائدته على الدولة بضرب
 المثال في ذلك على لسان اليوم حين سمع الملك اصواتها ومأله عن فهم كلامها فقال له
 ان يوماً ذكرًا بيوم تكاح يوم انني وانها شرطت عليه عشرين قرية من الخراب في ايام
 بهرام فقبل شرطها وقال لها ان دامت ايام الملك اقطعك الف قرية وهذا اسهل مرام
 فتنبه الملك من غفلته وخلص بالموبدان وماله عن مراده فقال له ايها الملك ان الملك
 لا يتم عزه الا بالبرية والقيام لله بطاعته والتصرف تحت امره ونهيه ولا قوام للبرية
 الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا
 بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل الموزن المنصوب بين الخليفة نصبة الرب
 وجعل له قبةً وهو الملك وانت ايها الملك عمدت الى الضياع فانتزعته من اربابها
 وعمارها وم ارباب الخراج ومن توخذ منهم الاموال واقطعتهما الحاشية والخدم واهل
 البطالة فتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع وسومحو في الخراج لفرهم
 من الملك ووقع الخيف على من بقي من ارباب الخراج وعمار الضياع فالتجلبوا عن ضياعهم
 وخلص ديارهم واولوا الى ما تعذر من الضياع فسكنوها فقلت العمارة وخربت الضياع
 وقلت الاموال وهلك المجنود والرعية وطمع في ملك فارس من جاوهم من الملوك
 لعلمهم بانقطاع المواد التي لا تستقيم دعائم الملك الا بها فلما سمع الملك ذلك اقبل على
 النظر في ملكه وانتزعت الضياع من ايدي الخاصة وودت على اربابها وحملوا على رسومهم
 السالفة واخذوا في العمارة وقويت من ضعف منهم فعمرت الارض واخصبت البلاد وكثرت
 الاموال عند جبهة الخراج وقويت المجنود وقطعت مواد الاعتداء وشحنت الثغور واقبل
 الملك على مباشرة اموره بنفسه فحسنت ايامه وانتظم ملكه ففهم من هذه المحكا ان
 الظلم يخرّب للعمران وان عائدة الخراب في العمران على الدولة بالنسب والنقص

ولا تنظر في ذلك الى ان الاعتداء قد يوجد بالامصار العظيمة من الدول التي بها ولم
يقع فيها خراب واعلم ان ذلك انما جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء واحوال اهل
المصر فلما كان المصر كبيراً وعمراً كثيراً واحواله متسعة بما لا ينفصل سكان وقوم
النقص فيه بالاعتداء والظلم يسيراً لان القص انما يقع بالتدرج فذاخبي بكثرة الاحوال
واتساع الاعمال في المصر لم يظهر اثره الا بعد حين وقد تذهب تلك الدولة المعتدية
من اصلها قبل خراب المصر ونجبي الدولة الاخرى فترقعة بمجدها وتجبر النقص الذي
كان خفياً فيه فلا يكاد يتعبره الا ان ذلك في الاقل البادر والمراد من هذا ان حصول
النقص في العمران عن الظلم والعدوان امر واقع لا بد منه لما قد مناه وواله عائد عليه
الدول ولا تحسن الظلم انما هو اخذ المال او الملك من يد ما لكونه من غير عوض ولا
سبب كما هو المشهور بل الظلم اعم من ذلك وكل من اخذ ملك احد او غصبه في علمه
او طاله بغير حق لو فرض عليه حقاً لم يرضه الشرع فقد ظلمه فجاءه الاموال بغير حقها
ظلمة والمعتدون عليها ظلمة والمحتسبون لما ظلموا لما منعون لحقوق الناس ظلمة وخصاب
الاملاك على العموم ظلمة ووال ذلك كله عائد على الدولة بحراب العمران الذي هو
مادتها لانه يذهب الامال من اهلها واعلم ان هذه هي الحكمة المتفودة للشارع في تحريم الظلم
وهو ما يستأثر به من فساد العمران وخرابه وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري وهي
الحكمة العامة المراعاة للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة من حفظ الدين
والنفس والعقل والسل والمال فلما كان الظلم كما رايت مؤذناً بانقطاع النوع لما ادى اليه
من تخريب العمران كانت حكمة المحط في موجوده فكان تحريمه مهما وادلته من القرآن
والسنة كثير اكثر من ان ياخذها قاسون الصب والمحصول لو كان كل واحد قادراً على
لوضع يازائه من العقوبات الزاجرة ما وضع ماراه غيره من المصداق للنوع التي يقدر
كل احد على اقتراحها من الزنا والقتل والسكر الا ان الظلم لا يقدر عليه الا من يقدر
عليه لانه انما يقع من اهل القدرة والسلطان فيبلغ في ذمه وتكرير الوعيد فيه عسى ان
يكون الوازع فيه للقادر عليه في نفسه وما ريك بظلام للعبيد . ولا نقول ان العقوبة
قد وضعت بازاء الحرمان في الشرع وهي من ظلم القادر لان المحارب زمن حراشه قادر فان
في الجواب عن ذلك طريقين . احدهما ان نقول العقوبة على ما يقتضيه من الجنبايات
في نفس اموال على ما ذهب اليه كثير وذلك انما يكون بعد القدرة عليه والمطالب بجهابته
واما من الحرمان فهي خلو من العقوبة . الطريق الثاني ان نقول المحارب لا يوصف

بالقدرة لا انا نعمي بقدرة الظالم اليد المسبوطة التي لا تعارضها قدرة فهي المودنة
 بالخرباب واما قدرة الحارب فانما في اخافه يحملها ذريعة لاختاد الاموال والمدافعة عنها
 بيد الكل موجودة ترعاً وسياسة فليست من القدر المودن بالحرب والله قادر على ما
 يشاء . ومن اشد الظلمات واعطها في افساد العمران تكليف الاعمال وتخفيف الرعايا
 بغير حق وذلك ان الاعمال من قبيل المتمولات كما سنين في باب الرزق لان الرزق
 والكسب انما هو قيم اعمال اهل العمران فاذا مساعيم واعمالهم كلها متمولات ومكاسب
 لم بل لا مكاسب لم سواها فان الرعية المعتملين في العارة انما معانهم ومكاسبهم من
 اعمالهم ذلك فاذا كلوا العمل في غير شأنهم وانخدعوا شغرياً في معاشهم بطل كسبهم
 واغنى صوابية علمهم ذلك وهو متمول فدخل عليهم الضرر ونهب لم حظ كبير من
 معاشهم بل هو معاشهم بالجملة وان تكرر ذلك عليهم افسد امالهم في العارة وقعدوا عن
 السعي فيها حيلة فادى ذلك الى تنقاس العمران وتخفيفه والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق
 واعظم من ذلك في الظلم وفساد العمران والدولة التسلط على اموال الناس بشراء
 ما بين ايديهم بالبحس الاتمان ثم فرض الصائع عليهم برفع الاتمان على وجه العصب
 والاكره في الشراء والبيع وربما نرخص عليهم تلك الاتمان على الواحي والتاجيل فيتمثلون
 في تلك الحسارة التي تلحقهم بما تحذرنهم المطامع من حذر ذلك بحالة الاسواق في تلك
 الصائع التي فرضت عليهم بالعلاء الى بيعها بالبحس الاتمان وتعود خسارة ما بين
 الصفتين على رؤوس اموالهم وقد يعم ذلك اصناف التجار المقيمين بالمدينة والواردين
 من الافاق في الصائع وسائر السوق واهل الدكاكين في الماكل والنواكه واهل الصنائع
 فيما يتخذ من الآلات والمواعين فتشمل الحسارة سائر الاصناف والطبقات وتنتال على
 الساعات وتحمق رؤوس الاموال ولا يجحدون عنها وليحة الا القعود عن الاسواق
 لذهاب رؤوس الاموال في حبرها بالارباح ويتناقل الواردون من الافاق لشراء الصنائع
 وبيعها من اجل ذلك فتكسد الاسواق ويطل معاش الرعايا لان عامة من البيع
 والشراء واذا كانت الاسواق عطلاً منها بطل معانهم وتنقص حاية السلطان او تنسد
 لان معطها من اوسط الدولة وما بعدها انما هو من المكوس على البياعات كما قدمناه
 ويؤول ذلك الى تلاشي الدولة وفساد عمران المدينة ويتطرق هذا الحلل على التدرج
 ولا يتعبر به هذا ما كان امثال هذه الذرائع والاسباب الى اخذ الاموال واما اخذها
 مجاًناً والعدوان على الناس في اموالهم وحرمانهم ودمائهم واسرارهم واعراضهم فهو يبعث الى

الخلل والفساد دفعة وتنقض الدولة سريعاً بما ينشأ عنه من المهرج المنفي الى الانتقاض ومن اجل هذه المفاسد حظر الشرع ذلك كله وشرع المكايسة في البيع والشراء وحظر اكل اموال الناس بالباطل سداً لبواب المفاسد المنفية الى انتقاض العمران بالمهرج او بطلان المعاش واعلم ان الداعي لذلك كله انما هو حاجة الدولة والسلطان الى الاكثار من المال بما يعرض لم من الترف في الاحوال فتكثر نفقاتهم ويعظم المخرج ولا يفي به الدخل على القوانين المعتادة يستحدثون القاباً ووجوهاً يوسعون بها الجباية ليفي لهم الدخل بالمخرج ثم لا يزال الترف يزيد والمخرج يسبى يكثر والحاجة الى اموال الناس تشتد ونطاق الدولة بذلك يزيد الى ان تنهي دائرتها ويذهب برسمها ويغلبها طالبها والله اعلم

الفصل الرابع والاربعون .

في ان الحجاب كيف يقع في الدول وفي انه يعظم عند الهرم اعلم ان الدولة في اول امرها تكون بعيدة عن منازع الملك كما قدمناه لانه لا بد لها من العصية التي بها يتم امرها ويحصل استيلاؤها والبداءة في شعار العصية والدولة ان كان قيامها بالدين فانه بعيد عن منازع الملك وان كان قيامها بعز الغلب فقط فالبداءة التي بها يحصل الغلب بعيدة ايضاً عن منازع الملك ومذاهبه فاذا كانت الدولة في اول امرها بدوية كان صاحبها على حال الفضاضة والبداءة والقرب من الناس وسهولة الاذن فاذا ربح عزه وصار الى الانفراد بالمجد واحتاج الى الانفراد بنفسه عن الناس للحديث مع اوليائه في خواص شؤونه لما يكثر حيثئذ بجاشيته فيطلب الانفراد من العامة ما استطاع ويخذ الاذن ببايه على من لا يامنه من اوليائه واهل دولته ويخذ حاجباً له عن الناس بقيمة ببايه لهذه الوظيفة ثم اذا استغفل الملك وجاءت مذاهبه ومنازعة استعالت خلق صاحب الدولة الى خلق الملك وهي خلق غريبة مخصوصة يحتاج مباشرها الى مداراتها ومعاملتها بما يجب لها وربما جهل تلك الخلق منهم بعض من يباشرهم فوق فيما لا يرضيهم فيخطوا وصاروا الى حالة الانتقام منه فانزرد بمعرفة هذه الاداب الخواص من اوليائهم وحجبوا غير اولئك الخاصة عن لقائهم في كل وقت حفظاً على انفسهم من معاينة ما يخطئهم على الناس من التعرض لعقابهم فصار لهم حجاب اخر اخص من الحجاب الاول ينفي اليهم منه خواصهم من الاولياء ومحجب دونه من سوام من العامة والحجاب الثاني ينفي الى مجالس الاولياء ومحجب دونه من سوام من

العامه والمحجوب الاول يكون في اول الدولة كما ذكرنا كما حدث لايام معاوية وعبد الملك وخلفاء بني امية وكان القائم على ذلك المحجوب يسمى عندهم المحجوب جرياً على مذهب الاستنفاق الصحيح ثم لما جاءت دولة بني العباس وجدت الدولة من الترف والعزما هو معروف وكميت خلق الملك على ما يجب فيها فدعا ذلك الى المحجوب الثاني وصار اسم المحجوب اخص به وصار ساب الخلفاء داران للعاسية دار الخاصة ودار العامة كما هو مسطور في اخارهم ثم حدث في الدول حجاب ثالث اخص من الاولين وهو عند محاولة المحر على صاحب الدولة وذلك ان اهل الدولة وخواص الملك اذا نصلوا الاسماء من الاعقاب وحاولوا الاستناد عليهم فاول ما يبدأ به ذلك المستندان يحجب عنه بطانة ادبه وخواص اوليائه يومه ان في مباشرتهم اياه خرق حجاب الهيبة وفساد قانون الادب ليقطع بذلك لقاء العبر ويعوده ملاسة اخلاقه هو حتى لا يتبدل به سواء الى ان يستحكم الاستيلاء عليه فيكون هذا المحجوب من دواعيه وهذا المحجوب لا يقع في الغالب الا اواخر الدولة كما قدمناه في المحجور ويكون دليلاً على هرم الدولة وبعاذ قوتها وهو ما يحشاء اهل الدول على اعصم لان القائمين بالدولة يجاولون على ذلك بطاعهم عند هرم الدولة ونهاب الاستناد من اعقاب ملوكهم لما ركب في العوس من محبة الاستناد بالملك وخصوصاً مع الترتج لذلك وحصول دواعيه ومساوئيه

الفصل الخامس والاربعون

في انقسام الدولة الواحدة بدولتين

اعلم ان اول ما يقع من اثار الهرم في الدولة انقسامها وذلك ان الملك عندما يستعمل و يبلغ احوال الترف والعيم الى عاينها ويستند صاحب الدولة بالمحد وبمرد به وبما يف حيث يد عن المشاركة و يصير الى قطع اساهما ما استطاع باهلاك من استراب به من دوي قرانته المرتجحين لمصروفه ما ارثاب المساهمون له في ذلك ما نسهم ويرعوا الى القاصية اليهم من يلحق بهم مثل حالهم من الاغترار والاسترابة ويكون نطاق الدولة قد اخذ في التضائق ورجع عن القاصية فيستند ذلك البارع من القرابة فيها ولا يزال امره يعظم نتراجع نطاق الدولة حتى ية اسم الدولة او يكاد وانظر ذلك في الدولة الاسلامية العربية حين كان امرها حريراً مجتمعاً وطاقها ممتناً في الاتساع وعصبية بني عبد مناف واحدة غالبية على سائر مصر فلم يصب عرق من الخلافة سائر ايامه الا ما كان من بدعة الخوارج

المستعيتين في شان بدعنتهم لم يكن ذلك لزعمة ملك ولا رئاسة ولم يتم امرهم لمزاحمتهم العصبية
القوية ثم لما خرج الامر من بني امية واستقل بنو العباس بالامر وكانت الدولة العربية قد
بلغت الغاية من الغلب والثرف واذنت بالتفلس عن القاصية برع عبد الرحمن الداخل
الى الاندلس قاصية دولة الاسلام فاستحدث بها ملكاً واقتطعها عن دولتهم وصير الدولة
دولتين ثم نزع ادريس الى المغرب وخرج هو وقام بامرهم وامرانه من بعده البراسة من
اوربة ومغيلة وزبانة واستولى على ناحية المغربين ثم اردادت الدولة نقلاً فاضطرب
الاغالة في الامتاع عليهم ثم خرج التبعة وقام بامرهم كتامة وصهاجة واستولوا على افريقية
والمغرب ثم مصر والشام والمحاز وعلموا على الادارة وسموا الدولة دولتين اخريين وصارت
الدولة العربية ثلاث دول دولة بني العباس بمركز العرب واصلمهم وما ذنبهم الاسلام ودولة بني
امية المجددين بالاندلس ملكهم القديم وخلافتهم بالمشرق ودولة للعبيدين بافريقية ومصر
والشام والمحاز ولم تزل هذه الدولة الى ان انقراضها متقارباً او جميعاً وكذلك انقسمت
دولة بني العباس بدول اخرى وكان بالقاصية بوساسان فيا وراء النهر وخراسان
والعلوية في الديلم وطبرستان وآل ذلك الى استيلاء الديلم على العراقيين وعلى بغداد
والخلفاء ثم جاء السلجوقية فلكوا جميع ذلك ثم انقسمت دولتهم ايضاً بعد الاستيلاء كما هو
معروف في اخبارهم وكذلك اعنبره في دولة صنهاجة بالمغرب وافريقية لما بلغت الى عايتها
ايام باديس بن المنصور خرج عليه عمه حماد واقتطع ممالك العرب لنفسوما بين حل اوراس
الى تلمسان وملوية واخط القلعة بحمل كتامة حمال المسيلة ونزلها واستولى على مركزهم اشير
بجبل تبطري واستحدث ملكاً آخر قسماً للملك آل باديس وبني آل باديس بالقويران
وما اليها ولم يزل ذلك الى ان انقض امرها جميعاً وكذلك دولة الموحيين لما تقلص طلبها
تار بافريقية سواي حصص فاستقلوا بها واستحدثوا ملكاً لا عقابهم سواحيها ثم لما استعمل امرهم
واستولى على الغاية خرج على الممالك العربية من اعقابهم الامير اوركر يايجي بن السلطان
ابي اسحاق ابراهيم رابع خلفائهم واستحدث ملكاً بجاية وقسنطينة وما اليها اورثه سيوقسموا
به الدولة قسمين ثم استولوا على كرسي الحصرة تنوس ثم انقسم الملك ما بين اعقابهم ثم عاد
الاستيلاء ففهم وقد ينهي الانقسام الى اكثر من دولتين وثلاث وفي غير اعياص الملك
من قومو كما وقع في ملوك الطوائف بالاندلس وملوك الحمم بالمشرق وفي ملك صهاجة
بافريقية فقد كان لا آخر دولتهم في كل حصص من حصون افريقية تاتر مستقل بامرهم كما
نقدم ذكره وكذا حال المجريد والراب من افريقية قبيل هذا العهد كما نذكره وهكذا

شان كل دولة لا بد أن يعرض فيها عوارض الهرم بالتدريج والدعة وتقلص ظل الغلب فينتقم
اعمالها ومن يغلب من رجال دولتها الأمر ويتعدى فيها الدول والله وارث الأرض ومن عليها

الفصل السادس والأربعون

في أن الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع

قد قدمنا ذكر العوارض المؤذنة بالهرم وأسبابه وأجداً بعد واحد وبيننا أنها تحدث
للدولة بالطبع وإنما كلها أمور طبيعية لها وإذا كان الهرم طبيعياً في الدولة كان حدوثه
بمطابقة حدوث الأمور الطبيعية كما يحدث الهرم في المزاج الحيواني والهرم من الأمراض المزمنة
التي لا يمكن دواؤها ولا ارتفاعها لما أنه طبيعي والأمور الطبيعية لا تتبدل وقد ينبت كثير
من أهل الدول من له بقلعة في السياسة فيرى ما نزل بدولتهم من عوارض الهرم ويطن
أنه ممكن الارتفاع فيأخذ تنسب بتلافي الدولة وإصلاح مزاجها عن ذلك الهرم وبحسبة
أنه لحقها بتقصير من قبله من أهل الدولة وغفلتهم وليس كذلك فإنها أمور طبيعية للدولة
والعوائد هي الممانعة له من تلافيها والعوائد منزلة طبيعية أخرى فإن من أدرك مثلاً أباه
وأكثر أهل بيته يلبسون الحرير والديباج ويتحلون بالذهب في السلاح والمراكب ويحجبون
عن الناس في المجالس والصلوات فلا يمكن مخالفة سلفه في ذلك إلى الخشونة في اللباس
والزينة والاختلاط بالناس إذا العوائد حينئذ تمنعه وتقي عليه مرتكبة ولو فعله لرمي بالجنون
والوساوس في الخروج عن العوائد دفعة وخشي عليه عائدة ذلك وعاقبته في سلطانه
وانظر شأن الأنبياء في أنكار العوائد ومخالفتها لولا التأييد الإلهي والنصر السماوي وربما
تكون العصية قد ذهبت فتكون الأهبة تعوض عن موقعها من النفوس فإذا ازبلت تلك
الأهبة مع ضعف العصية تجاسرت الرعايا على الدولة بذهاب أوهام الأهبة فتندرع الدولة
بتلك الأهبة ما أمكنها حتى ينفضي الأمر وربما يحدث عند آخر الدولة قوة توم أن الهرم
قد ارتفع عنها ويومض ذهابها إياضة الخموض كما يقع في الذبال المشتعل فأنه عند مقاربة
انطفائها يومض إياضة توم أنها اشتعال وهي انطفاء فاعبر بذلك ولا تغفل سر الله تعالى
وحكمته في أطراد وجوده على ما قدر فيه ولكل أجل كتاب

الفصل السابع والأربعون

في كيفية طرق المخلل للدولة

اعلم أن مبنى الملك على أساسين لا بد منها فالأول الشوكة والعصية وهو المبرعنة

بالمجد والثاني المال الذي هو قوام اولئك المجد واقامة ما يحتاج اليه الملك من الاحوال
 والخلل اذا طرق الدولة طرقها في هذين الاساسين فلذلك اولاً طرق الخلل في التوكة
 والعصية ثم نرجع الى طرقه في المال والحماية واعلم ان تهديد الدولة وتأسيسها كما قلناه
 انما يكون بالعصية وانه لا بد من عصية كبرى جامعة للعصائب مستتعة لها وهي عصية
 صاحب الدولة الخاصة من عشيرة وقبيلة فاذا جاءت الدولة طيعة الملك من الترف
 وجده انوف اهل العصية كان اول ما يجده انوف عشيرته ودوي قريته المتقاسمين له في
 اسم الملك فيستند في جده انوفهم بما بلغ من سوادهم وبأخدهم الترف ايضاً أكثر من سوادهم
 لمكانهم من الملك والعز والعلب فيحيط بهم هادماً وما الترف والتهر ثم يصير التهراخراً
 الى القتل لما يحصل من مرض قلوبهم عند رسوخ الملك لصاحب الامر فيقلب غيرته منهم
 الى الخوف على ملكه فيأخذهم بالقتل والاهانة وسلب السعة والترف الذي تعودوا الكثير
 منه فيهلكون ويقلون وتفسد عصية صاحب الدولة منهم وهي العصية الكبرى التي كانت
 تجمع بها العصائب وتستنصبها فتفعل عرونها وتضعف شكبتها وتستبدل عنها بالطلالة
 من موالي السعة وصنائع الاحسان وتخذ منهم عصية الا انها ليست مثل تلك التدة
 الشكبية لفقدان الرحم والقرابة معها وقد كما قدما ان شان العصية وقونها انما هي بالقرابة
 والرحم لما جعل الله في ذلك فينفرد صاحب الدولة عن العشير والابصار الطبيعية ويحس
 بذلك اهل العصائب الاخرى فيتجاسرون عليه وعلى عطاءه تجاسراً طبيعياً فيهلكهم صاحب
 الدولة ويتعمم بالقتل واحداً بعد واحد ويقتل الاخر من اهل الدولة في ذلك الاول
 مع ما يكون قد رل بهم من مهلكة الترف الذي قدما فيستولي عليهم الهلاك بالترف
 والقتل حتى يمحروا عن صفة تلك العصية ويمشوا بعرتها وشورتها ويصروا اوجرعلى
 الحماية ويقلون لذلك فتقل الحماية التي تنزل بالاطراف والثغور فتتجاسر الرعايا على
 بعض الدعوة في الاطراف وينادوا بالخارج على الدولة من الاعياص وغيرهم الى تلك
 الاطراف لما يرجون حينئذ من حصول غرضهم بما يباعه اهل القاصية لم وامهم من وصول
 الحماية اليهم ولا يزال ذلك يتدرج ونطاق الدولة يتضيق حتى تصير الخوارج في اقرب
 الاماكن الى مركز الدولة وربما انقسمت الدولة عند ذلك بدولتين او ثلاث على قدر قوتها
 في الاصل كما قلناه ويقوم بامرها غير اهل عصيتها لكن اذعاناً لاهل عصيتها ولعلمهم المعهود
 واعتبر هذا في دولة العرب في الاسلام انتهت اولاً الى الابدلس والهد والصين وكان امرني
 امية نافقاً في جميع العرب بعصية بني عبد مناف حتى لقد امر سليمان بن عبد الملك بدمشق

يقتل عد العزيز موسى ن نصير مقرطة فقتل ولم يرد أمره ثم تلاشت عصية بني امية
 اصحابهم من الترف فاقصر صلا وجاء بنو العباس فقصوا من امة بني هاشم وقتلوا الطالبيين
 وشردوهم فانحلت عصية عدم صاف وتلاشت وتجاسر العرب عليهم فاستبد عليهم اهل القاصية
 مثل بني الاغلب بافرقية واهل الاندلس وغيرهم وانقسمت الدولة ثم خرج بنو ادريس
 بالمغرب وقام البربر بامرهم اذعاناً للعصية التي لم واماً ان تصلهم مقاتلة او حامية للدولة
 فاذا خرج الدعاة اخرافيتغلون على الاطراف والقاصية وتحصل لهم هالك دعوة وملك تنقسم
 به الدولة ورمبا يريد ذلك متى راحت الدولة نقلصاً الى ان ينتهي الى المراكز وتضعف الطائفة
 بعد ذلك بما احد منها الترف فتهلك وتضعف الدولة المنقسمة كلها ورمبا طال
 أمدها بعد ذلك فتستغني عن العصية بما حصل لها من الصفة في نفوس اهل ايلها وهي
 صفة الانقياد والتسليم بمد السنين الطويلة التي لا يعقل احد من الاحبال مدأها ولا
 اوليتها فلا يعقلون الا التسليم لعاحب الدولة فيستغني بذلك عن قوة العصائب ويكفي
 صاحبها بما حصل لها في غميد امرها الاحرام على الحامية من حدي ومرترق ويعصد ذلك
 ما وقع في النفوس عامة من التسليم فلا يكاد احد ان يتصور عصياناً او خروجا الا والجبهور
 مكرون عليه محالون لة فلا يقدر على التصدي لذلك ولو جهد جهده ورمبا كانت الدولة
 في هذا الحال اسلم من الحوارج والمارعة لاستحكام صفة التسليم والانقياد لهم فلا تكاد
 النفوس تحدث سرها بمخالفة ولا يخرج في صميرها احراف عن الطاعة فيكون اسلم من
 المخرج والانتفاص الذي يحدث من العصائب والعصائير ثم لا يزال امر الدولة كذلك
 وهي ثلاثي في دانتها شان الحرارة العريضة في البدن العادم للدعاة الى ان تنهي الى
 وفنها المقدور ولكل اجل كتاب ولكل دولة امد والله يقدر الليل والنهار وهو الواحد
 النهار وما المحلل الذي ينطرق من جهة المال فاعلم ان الدولة في اولها تكون بدوية
 كما مر فيكون خلق الرفق بالارعايا والقصد في النفقات والتعصب عن الاموال فتتجاف عن
 الامعان في الحماية والتخلدق والكيس في جمع الاموال وحسان العمال ولا داعية حرنيد
 الى الاسراف في العفة فلا تحتاج الدولة الى كثرة المال ثم يحصل الاستيلاء ويعظم
 ويستعمل الملك فيدعو الى الترف ويكثر الاساق نسبه فتعظم نفقات السلطان واهل
 الدولة على العموم بل يتعدى ذلك الى اهل المصر ويدعو ذلك الى الريادة في اعطيات
 المحمد وارراق اهل الدولة ثم يعظم الترف فيكثر الاسراف في النفقات وينتشر ذلك في
 الرعية لان الناس على دين ملوكها وعوائدها ويحتاج السلطان الى صرب المكوس على

اثان البياعات في الاسواق لا دارار الجباية لما يراه من ترف المدينة الشاهد عليهم بالرفه ولما يحتاج هو اليه من تنقات سلطانه وارزاق جنده ثم تريد عوائد الترف فلا تفي بها المكوس وتكون الدولة قد استمطلت في الاستطالة والتهرلن تحت يدها من الرعايا فتمتد ايديهم الى جمع المال من اموال الرعايا من مكس او تجارة او نقد في بعض الاحوال بشبهة او بغير شبهة ويكون الجند في ذلك الطور قد تجاسر على الدولة بما لحقها من النشل والهرم في العصبية فتتوقع ذلك منهم وتداوى بسكينة العطايا وكثرة الانفاق فيهم ولا تجند عن ذلك وليجة وتكون جباة الاموال في الدولة قد عظمت ثروتهم في هذا الطور بكثرة الجباية وكونها بايديهم وبما اتسع لذلك من جاههم فيتوجه اليهم باحتجاب الاموال من الجباية وتنشوا السعاية فيهم بعضهم من بعض للمنافسة والمجد فتعهم النكبات والمصادرات واحداً واحداً الى ان تذهب ثروتهم وتتلشى احوالهم ويفقد ما كان للدولة من الابهة والجمال بهم واذا اصطبلت نعمتهم تجاوزتهم الدولة الى اهل الثروة من الرعايا سوام ويكون الوهن في هذا الطور قد لحق الشوكة وهضعت عن الاستطالة والتهر فتصرف سياسة صاحب الدولة حيثنذر الى مداراة الامور ببذل المال وبراء ارفع من السيف لقلة غنائو فتعظم حاجته الى الاموال زيادة على التنقات وارزاق الجند ولا يغني فيما يريد ويعظم الهرم بالدولة ويتهجر عليها اهل النواحي والدولة تفحل عراها في كل طور من هذه الى ان تنفضي الى الهلاك وتنعوض من الاستيلاء الكلل فان قصدها طالب انتزعها من ايدي القائمين بها ولا بقيت وهي تتلاشى الى ان تفصل كالذهبال في السراج اذا فني زينة وطني والله مالك الامور ومدبر الاكوان لا اله الا هو

الفصل الثامن والاربعون

في حدوث الدولة وتجدها كيف يقع

اعلم ان نشأة الدول وبدايتها اذا أخذت الدولة المستقرة في الهرم والانتفاص يكون على نوعين اما بان يستبد ولاة الاعمال في الدولة بالقاصمة عند ما يتفلس ظلمها عنهم فيكون لكل واحد منهم دولة يستجدها لقومو وما يستقر في نصايه يرثه عنه ابناؤه او مواليه ويستغل لم الملك بالتدرج وربما يزدهجون على ذلك الملك ويتفارعون عليه ويتنازعون في الاستثنائية ويغلب منهم من يكون له فضل قوة على صاحبه ويتزعزعا في يده كما وقع في دولة بني العباس حين اخذت دولتهم في الهرم وتقلص ظلمها عن القاصمة

واستند سوساسان بما وراء النهر وسوحدان بالموصل والشام وبنو طولون بمصر وكما وقع بالدولة الاموية بالاندلس واقترب ملكها في الطوائف الدين كانوا ولائها في الاعمال وانقسمت دولاً وملوكاً اورتوها من بعدهم من قرانهم او مواليهم وهذا النوع لا يكون بينهم وبين الدولة المستقرة حرب لانهم مستقرون في رياستهم ولا يطعمون في الاستيلاء على الدولة المستقرة بحرب وانما الدولة ادركها الهرم ونقص ظلها عن القاصية وعجزت عن الوصول اليها والنوع الثاني بان يخرج على الدولة خارج من يجاورها من الامم والقبايل اما ندوة يحمل الناس عليها كما اشرفا اليه او يكون صاحب شوكة وعصية كبيراً في قومو قد استغل امره فيسبواهم الى الملك وقد حدثوا به انفسهم بما حصل لهم من الاعتزاز على الدولة المستقرة وما رل بهما من الهرم فيتعين له ولقومه الاستيلاء عليها ويمارسونها بالمطالبة الى ان يظفروا بها ويذوبون^(١) امرها كما يتبين والله سبحانه وتعالى اعلم

الفصل التاسع والاربعون

في ان الدولة المستجدة اما تستولي على الدولة المستقرة بالمطالبة لا بالمهاجرة قد ذكرنا ان الدول الحادثة المتحددة نوعان نوع من ولاية الاطراف اذا تقلص ظل الدولة عنهم وانحصر تبارها وهؤلاء لا يقع منهم مطالبة للدولة في الاكثر كما قدمناه لان قصارهم النوع عما في ايديهم وهو نهاية قوتهم والنوع الثاني نوع الدعاة والخوارج على الدولة وهؤلاء لا بد لهم من المطالبة لان قوتهم وافية بها فان ذلك انما يكون في نصاب يكون له من العصية والاعتزاز ما هو كمناء ذلك وواف به فيقع بينهم وبين الدولة المستقرة حروب متكررة وتنصل الى ان يقع لهم الاستيلاء والظفر بالمطلوب ولا يحصل لهم في الغالب ظفر بالمهاجرة والسبب في ذلك ان الظفر في المحروب انما يقع كما قدمناه بامور مصلحية وهمية وان كان العدد والسلاح وصدق القتال كميلاً به لكنه قاصر مع تلك الامور الوهمية كما مر ولذلك كان الحداغ من ارفع ما يستعمل في الحرب واكثر ما يقع الظفر به وفي الحديث الحرب خدعة والدولة المستقرة قد صيرت العوائد المألوفة طاعتها ضرورية واجبة كما تقدم في غير موضع فتكثر بذلك العوائق لصاحب الدولة المستجدة ويكثر من هم اتساعه واهل شوكتيه وان كان الاقربون من بطائنه على بصيرة في طاعته ومواررته الا ان الاخرين اكثر وقد داخلهم النشل بتلك العوائد في التسليم

(١) قوله و يذوبون وفي نسخة و يرقون من الرمو بالرا والماء

للدولة المستقرة فيحصل بعض الفئور منهم ولا يكاد صاحب الدولة المستقرة يقاوم صاحب الدولة المستقرة فيرجع الى الصبر والمطاوله حتى يتضح هرم الدولة المستقرة فنحصل عقائد التسليم لها من قومو ونسعت منهم الهم لصدق المطالمة معه فيقع الظفر والاستيلاء وايضاً فالدولة المستقرة كثيرة الرزق بما استحكم لم من الملك وتوسع من العجم واللذات واخصوا به دون غيرهم من اموال الجباية فيكثر عدم ارتباط الحبول واستجادة الاسلحة وتعظم فيهم الائمة الملكية ويمض العطاء يسهم من ملوكهم اخياراً واضطراً فيهمون بذلك كله عدم واهل الدولة المستقرة يعمرل عن ذلك لما هم فيه من الداء واحوال الفقر والخصاصة فيسقى الى قلوبهم اوهم الرعب بما يبلغهم من احوال الدولة المستقرة ويحرمون عن قتالهم من اجل ذلك فيصير امرهم الى المطاوله حتى تاخذ المستقرة ماخذها من الهرم ويستحكم الحلل فيها في العصبية والحماة فينتهز حينئذ صاحب الدولة المستقرة فرصته في الاستيلاء عليها بعد حين منذ المطالمة سنة الله في عبادو وايضاً فاهل الدولة المستقرة كلهم مهابون للدولة المستقرة ما ساهبهم وعوائدهم وفي سائر مناحيهم ثم هم منافخرون لهم ومساندون بما وقع من هذه المطالمة وطمعهم في الاستيلاء عليه فيتمكن الماعدة بين اهل الدولتين سرّاً وجهراً ولا يصل الى اهل الدولة المستقرة خبر عن اهل الدولة المستقرة يصيبون منه غيرة (١) باطناً وظاهراً لاقطاع المداخلة بين الدولتين فيقيمون على المطالمة وهم في احكام وينكولون عن المجاعة حتى ياذن الله زوال الدولة المستقرة وفناء عمرها ووفور الحلل في جميع جهاتها وانفخ لاهل الدولة المستقرة مع الايام ما كان يخشى منهم من هرمها وتلاشيها وقد عطشت قوتهم بما اقتطعوه من اعمالها وقصوه من اطرافها فتدعت همهم يداً واحدة المناخزة ويذهب ما كان يت في عرائهم من التوهات وتنتهي المطاوله الى حدها ويقع الاستيلاء آخرها بالمعاجلة واعتد ذلك في دولة سي العباس حين ظهورها حين قام الشيعة بخراسان بعد اعتقاد الدعوة واجتماعهم على المطالمة عشرين او تزيد وحينئذ تم لهم الظفر واستولوا على الدولة الاموية وكذا العلوية بطرستان عند ظهور دعوتهم في الديلم كيف كانت مطالبتهم حتى استولوا على تلك الناحية ثم لما انقضى امر العلوية وبما الديلم الى ملك فارس والعراقين فمكثوا سنين كثيرة يطاولون حتى اقتطعوا اصبعها ثم استولوا على الحليفة سعداد وكذا العبيديون اقام داعيتهم بالمغرب ابو عبد الله الشيعي سي كتامة من قائل الرر عشرين ويريد تطاول

بني الاغلب بافريقية حتى ظفروهم واستولوا على المغرب كله وسملوا الى ملك مصر فمكثوا
 ثلاثين سنة او نحوها في طلبها يجهزون اليها العساكر والاساطيل في كل وقت ومجيء
 المدد لمداغتهم برأ وبجراً من بغداد والشام وملكوا الاسكندرية والنيوم والصعيد
 ونخلت دعوتهم من هنالك الى الحجاز واقامت بالحرمين ثم نازل قائدهم جوهر الكاتب
 بعساكره مدينة مصر واستولى عليها واقتلع دولة بني طنج من اصولها واخط القاهرة فجاء
 الخليفة بعد المعز لدين الله فنزلها لستين سنة او نحوها منذ استيلائه نهد على الاسكندرية
 وكذا السلجوقية ملوك الترك لما استولوا على بني ساسان واجازوا من وراء النهر مكشوا
 نحواً من ثلاثين سنة بطاولون بني سبكتكين بخراسان حتى استولوا على دولته ثم زحفوا الى
 بغداد فاستولوا عليها وعلى الخليفة بها بعد ايام من الدهر وكذا التمر من بعدهم خرجوا
 من المنارة اعوام سبعة عدر وسمائة فلم يتم لهم الاستيلاء الا بعد اربعين سنة وكذا اهل
 المغرب خرجوا المرابطون من لشونة على ملوكهم من مغراوة فطاولوهم سنين ثم استولوا عليهم
 ثم خرج الموحدون بدعوتهم على لشونة فمكشوا نحواً من ثلاثين سنة بحاربونهم حتى استولوا
 على كرسيمه بمراكش وكذا بنو مرين من زناتة خرجوا على الموحدين فمكشوا بطاولونهم
 نحواً من ثلاثين سنة واستولوا على فاس واقتطعوها واعمالها من ملكهم ثم اقاموا في محاربهم
 ثلاثين اخرى حتى استولوا على كرسيمه بمراكش حسبما نذكر ذلك كله في تواريج هذه
 الدول فهكذا حال الدول المستعجة مع المستقرة في المطالبة والمطاوله سنة الله في عباده
 ولن نجد لسنة الله تبديلاً ولا يعارض ذلك بما وقع في الفتوحات الاسلامية وكيف كان
 استيلاؤهم على فارس والروم ثلاث او اربع من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واعلم ان
 ذلك انما كان معجزة من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم سرها استانة المسلمين في جهاد
 عدوم استبعاداً بالايان وما اوقع الله في قلوب عدوم من الرعب والتخاذل فكان ذلك
 كله خارقاً للعادة المقررة في مطاوله الدول المستعجة للمستقرة واذا كان ذلك خارقاً
 من معجزات نبينا صلوات الله عليه المتعارف ظهورها في الملة الاسلامية والمعجزات
 لا يقاس عليها الامور العادية ولا يعترض بها والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

الفصل الخامسون

في وفور العرمان اخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والجماعات
 اعلم انه قد تقرر لك فيما سلف ان الدولة في اول امرها لا بد لها من الرفق في

ملكتهما ولا اعتدال في ايمانها اما من الدين ان كانت الدعوة ديبية او من المكارمة
والحاسة التي تقتضيها الدواعي الطبيعية للدول واذا كانت الملكة رفيقة محسنة انسطت
امال الرعايا واشتغلوا للعبان واساءوا فتومرو ويكثر التناسل واذا كان ذلك كله
بالترجيح فانما يظهر اثره بعد جيل او جيلين في الاقل وفي انقضاء الجيلين تشرف الدولة
على نهاية عمرها الطبيعي فيكون حينئذ العمران في غاية الوفور والماء ولا نقول انه قد
مرَّك ان او اخر الدولة يكون فيها الاحجاف بالارعايا وسوء الملكة فذلك صحيح ولا يعارض
ما قلناه لان الاحجاف وان حدث حينئذ وقلت الجبايات فانما يظهر اثره في تناقص
العمران بعد حين من اجل التدرج في الامور الطبيعية ثم ان الجاعات والموتان تكثر
بعد ذلك في او اخر الدول والسبب فيه اما الجاعات فلقتض الناس ايديهم عن الملح في
الاكثر سبب ما يقع في اخر الدولة من العدوان في الاموال والجبايات او التنال الواقعة
في انتفاص الرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدولة فيقل احنكار الزرع عالنا وليس صلاح
الزرع وثمرته مستمر الوجود ولا على ونيرة واحدة فطبيعة العالم في كثرة الامطار وقلتها
مخلطة والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر والزرع والثمار والصرع على سببه الا ان
الناس واتقوا في اقواتهم لاحنكار فاذا فقد الاحنكار عظم توقع الناس للبعاعات فغلا
الزرع وعجربة اولوا الخصاصة هلكوا وكان بعض السنوات والاحنكار مفقود فشمل
الناس الجوع واما كثرة الموتان فلها اسباب من كثرة الجاعات كما ذكرناه او كثرة
الفتن لاختلال الدولة فيكثر المهرج والقتل او وقوع الوباء وسببه في الغالب فساد
الهواء بكثرة العمران لكثرة ما بمخالطة من العن والرطوبات الفاسدة واذا فسد الهواء
وهو عداء الروح الحيواني وملاسه دائما فيسرى الفساد الى مراحه فان كان الفساد
قويا وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وامراضها مخصوصة بالرئة وان كان الفساد
دون القوي والكثير فيكثر العن ويتضاعف فتكثر الحميات في الامرجة وتمرض
الانسان وتهلك وسبب كثرة العن والرطوبات الفاسدة في هذا كله كثرة العمران
وفوقه اخر الدولة لما كان في اوائلها من حس الملكة ورفقتها وقلة المغرم وهو ظاهر
ولهذا تبين في موضعه من الحكمة ان تحلل الحلاء والتفريش العمران ضروري ليكون
تموُّج الهواء يذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعن ومخالطة الحيوانات وباتي
بالحواء الصحيح ولهذا ايضا فان الموتان يكون في المدن الموقورة العمران اكثر من غيرها
بكثير كصر بالشرق وفاس بالمغرب والله يقدر ما يشاء

الفصل الحادي والخمسون

في ان العمران النشري لاند له من سياسة يتنظم بها امره

اعلم انه قد تقدم لما في غير موضع ان الاجتماع للشر ضروري وهو معنى العمران الذي تتكلم فيه وانه لابد لم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون اليه وحكمة فيهم تارة يكون مستنداً الى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم اليه ايمانهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به معلنة وتارة الى سياسة عقلية يوجب انقيادهم اليها ما يتوقعون من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفتهم مصالحهم فالاولى يحصل معها في الدنيا والاخرة لعلم الشارع بالمصالح في العاقبة ولما راعوا نجات العباد في الاخرة والثانية انما يحصل معها في الدنيا فقط وما تنمعه من السياسة المدنية فليس من هذا الباب وانما معاشه عند الحكماء ما يجب ان يكون عليه كل واحد من اهل ذلك المجتمع في نفسه وخلقته حتى يستغنوا عن المحكام راساً ويسمون المجتمع الذي يحصل فيوماً يسمى من ذلك بالمدينة العاصلة والقوانين المراعاة في ذلك بالسياسة المدنية وليس مرادهم السياسة التي يحمل عليها اهل الاجتماع بالمصالح العامة فان هذه غير تلك وهذه المدنية العاصلة عديم مادية او بعيدة الوقوع وانما يتكلمون عليها على جهة العرض والتقدير ثم ان السياسة العقلية التي قدسها تكون على وجهين احدهما براعي فيها المصالح على العموم ومصلح السلطان في استقامة ملكه على الخصوص وهذه كانت سياسة العرس وهي على جهة الحكمة وقد اغناها الله تعالى عنها في الملة ولعمد الخلافة لان الاحكام الشرعية مغيبة عنها في المصالح العامة والخاصة والافات واحكام الملك مدرجة فيها. الوجه الثاني ان براعي فيها مصلحة السلطان وكيف يستقيم له الملك مع الثمر والاستطالة وتكون المصالح العامة في هذه نوعاً وهذه السياسة التي يحمل عليها اهل الاجتماع التي لسائر الملوك في العالم من مسلم وكافر الا ان ملوك المسلمين يحررون منها على ما تقتضيه الشريعة الاسلامية بحسب جهدهم فقوانينها اذا مجتمعة من احكام شرعية واداب خلقية وقوانين في الاجتماع طبيعية واشياء من مراعاة الشوكة والعصية ضرورية والاقنفاء فيها بالشرع اولاً ثم الحكماء في ادايمهم والملوك في سيرهم ومن احسن ما كتب في ذلك واودع كتاب طاهر بن الحسين لابي عبد الله بن طاهر لما ولاه المامون الرقة ومصر وما سبها فكتب اليه ابو طاهر كتاباً المشهور عهد اليه فيه ووصاه بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانته من الاداب الدينية والحلقية والسياسة

الشرعية والملوكية وحث على مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم بما لا يستغني عنه ملك ولا
سوقة . ونص الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم) اما بعد فعليك بتقوى الله وحده
لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل ومزايله محضه واحفظ رعبتك في الليل والنهار
والزم ما اليك الله من العاقبة بالذكر لمعادك وما انت صائر اليه وموقوف عليه
ومستول عنه والعمل في ذلك كله بما يعصيك الله عز وجل ويحبك يوم القيامة من
عفايه واليم عذابه فان الله سبحانه قد احسن اليك واوجب الرافة عليك بمن استعراك
امرهم من عبادهم والزمك العدل فيهم والقيام بحقوق وحدودهم عليهم والذب عنهم والدفع
عن حرمهم ومنصبهم والحقن لدمائهم والامن لسرهم وادخال الراحة عليهم ومواخذكها
فرض عليك وموقفك عليه وسائلك عنه ومثيبك عليه بما قدمت واخرت ففرغ لذلك
فهمك وعقلك وبصرك ولا يشغلك عنه شاغل وانه راس امرك وملاك شانك واول ما
يوقفك الله عليه وليكن اول ما تلزم به نفسك وتنسب اليه فعلك المواظبة على ما فرض
الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك وتوابعها على
سنتها من اسباغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله عز وجل فيها ورتل في قراءتك وتمكن في
ركوعك وسجودك وتشهدك ولتصرف فيه رايتك ونيتك واحضض عليه جماعة من
معك وتحث يدك واداب عليها فانها كما قال الله عز وجل تنهي عن الفسقاء والمنكر
ثم اتبع ذلك بالاخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمثابرة على خلافته واقفاء اثر
السلف الصالح من بعده واذا ورد عليك امر فاستعن عليه باستخارة الله عز وجل ونقواه
وبلزوم ما انزل الله عز وجل في كتابه من امره ونهيه وحلاله وحرامه وانتم ما جاءت
به الاثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بالحق لله عز وجل ولا تملن عن
العدل فيما احببت او كرهت لقريب من الناس او لبعيد واثرائفه واهله والدين وحملته
وكتاب الله عز وجل والعاملين به فان افضل ما يتزين به المرء الفقه في الدين والطلب
له والبحث عليه والمعرفة بما يتقرب به الى الله عز وجل فانه الدليل على الخير كله والقائد
اليه والامريه والناهي عن المعاصي والموفيات كلها ومع توفيق الله عز وجل يزداد المرء
معرفة واجلالاً له ودركاً للدرجات العلى في المعاد مع ما في ظهوره للناس من التوقير
لامرك والهيبة لسلطانك والانسة بك والثقة بعد لك وعليك بالاعتقاد في الامور كلها
فليس شيء الا بين نفعاً ولا اخص امتاً ولا اجمع فضلاً منه والقصد داعية الى الرشده والرشد
دليل على التوفيق والتوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاعتقاد

وكذا في ديارك كلها ولا تقصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنت
المعروفة ومعالم الرشد والإعانة والاستكثار من البر والسعي له إذا كان يطلب به وجه
الله تعالى ومرصاته ومرافقة أولياء الله في دار كرامته أما تعلم أن القصد في شأن الدنيا
يورث العز ويخلص من الذنوب وأنت لن تحوط نفسك من قائل ولا تصلح أمورك
بافضل منه فأنتيه وأنتيه ثم أمورك وترد مقدرتك ويصلح عامتك وخاصتك وأحسن
ظنك بالله عروحل تستقم لك رعيتك والنفس الوسيلة اليه في الأمور كلها تستدم به
النعمة عليك ولا تنهت أحد من الناس فيما توليه من عملك قل إن تكشف امرؤ فان
ايقاع النهم بالبراء والظنون السيئة بهم آثم أثم فاحمل من شاك حس الظن بأصحابك
وأطرد عنك سوء الظن بهم وأرفض فيهم نفسك ذلك على استطاعتهم ورياضتهم ولا
تخذل عدو الله الشيطان في امرك معداً فإنه إنما يكتب بالقليل من وهك ويدخل
عليك من الغم سوء الظن بهم ما ينقص لزيادة عيشك وأعلم أنك تجد بحسن الظن قوة
وراحة وتكتفي به ما أحببت كفايته من أمورك وتدعو به الناس إلى محبتك والاستقامة في
الأمور كلها ولا يبعك حس الظن بأصحابك والرافة رعيتك أن تستعمل المسئلة والبحث
عن أمورك والمباشرة لأمور الأولياء وحياطة الرعية والطريق في حوائجهم وحمل مؤانهم
أيسر عندهم ما سوى ذلك فإنه أقوم للدين وأجبا للسنة وأخلص بينك في جميع هذا وترد
تقوم نفسك فرد من يعلم أنه مسئول عما صنع ويجزى بما أحسن وموآخذ بما أساء فإن
الله عروحل جعل الدنيا حرزاً وعراً ورفع من اتبعه وعزراً وأسلك به نسوة وترعاة
بمع الدين وطريقة الأهدى وأتم حدود الله تعالى في أصحاب الجرائم على قدر سائرهم وما
استحقق ولا تعطل ذلك ولا تنهاون به ولا توخر عقوبة أهل العقوبة فإن في تربطك
في ذلك ما يسد عليك حس ظنك واعتزم على امرك في ذلك بالنسب المعروفة وحاس
البدع والشبهات يسلم لك دينك ونم لك مروءتك وإذا عاهدت عهداً فأوف به وإذا
وعدت الخير فاجزه وأقلل الحسنة وأدفع بها وأغض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك
وأشدد لسانك عن قول الكذب والروء وانفض أهل النجاسة فإن أول فساد أمورك
في عاجلها وأجلها تقرب الكذب والجراعة على الكذب لأن الكذب رأس المآثم والروء
والنجاسة خاتمها لأن النجاسة لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم له امر
وأحب أهل الصلاح والصدق وأحسن الأشراف بالحق وأحسن الصعامة وصل الرحم وأتبع
بذلك وجه الله تعالى وأهراز امرؤ والنفس فيه ثوابه والدار الآخرة وأحسب سوء الأهواء

والجور واصرف عنهما رايك واظهر براءتك من ذلك لرعيتهك وانعم بالعدل سياستهم
وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التي تنتهي بك الى سبيل الهدى واملك نفسك عند الغضب
واثر الحلم والوفاء رايك والحدة والطيش والغرور فيما انت سبيله واياك ان تقول انا
مسلم افعل ما اشاء فان ذلك سريع الى نقص الراي وقلة اليقين لله عز وجل واخلص لله
وحده البية فيه واليقين واعلم ان الملك لله سبحانه وتعالى يوتيهِ من يشاء ويضعه من
يشاء ولن تجد تغير النعمة وحلول القبة الى احد اسرع منه الى جهلة النعمة من اصحاب
السلطان والمسوط لم في الدولة اذا كبروا مع الله واحسانه واستطالوا بما اعطاهم الله
عز وجل من فضله ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخائرك وكوزك التي تدخر وتكسر
البر والتقوى واستصلاح الرعية وعامة بلادهم والتفقد لامورهم والحفظ لدمائهم والاغاثه
للمهوفين واعلم ان الاموال اذا اكدت وادخرت في الخزائن لاثموا واذا كانت في صلاح
الرعية واعطاء جنتهم وكف الادية عنهم تمت ورست وصحت به العامة وترتت به
الولاية وطالب به الرماح واعتقد فيه العز والمصعة فليكن كزخرائك تنريق الاموال في
عمارة الاسلام واهله ووفرمه على اولياء امير المؤمنين قبلك حقوقهم واوف من ذلك
حصصهم وتعهده ما يصلح امورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت قررت العمة لك واستوحشت
المزيد من الله تعالى وكنت بذلك على حاية اموال رعيتهك وخراجك اقدر وكان
الجميع لما تعلم من عدلك واحسانك اسلس لطاعتك وطب بمسا بكل ما اردت واجهد
نفسك فيما حددت لك في هذا الباب وليعظم حقتك فيه وانما بقى من المال ما اعق في
سبيل الله وفي سبيل حقه واعرف للشاكرين حقهم وانهم عليه واياك ان تسبك الدنيا
وغرورها هول الاخرة فتتهاون بما يحق عليك فان التهاون يورث التفريط والتفريط
يورث الموار وليكن عملك لله عز وجل وفيه وارج الثواب فان الله سبحانه قد اسغ عليك
فضله واعصم بالشكر وعليه فاعتمد بزدك الله خيرا واحسانا فان الله عز وجل يكتب
بقدر شكر الشاكرين واحسان المحسنين ولا تحقرن ذنبا ولا تاملن حاسدا ولا ترحمن
فاجرا ولا تطلن كمورا ولا تذهبن عدوا ولا تصدقن مائما ولا تاملن عدوا ولا
توالين فاسقا ولا تنعن عاويا ولا تحمدن مرائيا ولا تحقرن اسافا ولا تردن سائلا فقيرا
ولا تحسن باطلا ولا تلاحظن مضحكا ولا تحلمن وعدا ولا تذهبن مخفرا ولا نظهرن
غضبنا ولا تنهين رجاء ولا تمشين مرحا ولا تزكين سيما ولا تعرضن في طلب الاخرة
ولا ترفع اللثام عينا ولا تغبض عن ظالم رهبة من ارحم امة ولا تطلن ثواب الاخرة في

الدنيا وأكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن أهل التجارب وذوي العقل والراي والحكمة ولا تدخلن في مشورتك أهل الرفه والجل ولا تسمعن لم قولاً فان ضرره أكثر من نفعه وليس شيء أسرع فساداً لما استقبلت فيه امر رعيته من الشخ واعلم انك اذا كنت حريصاً كنت كثير الاخذ قليل العطية واذا كنت كذلك لم يستقم امرك الا قليلاً فان رعيته انما تعتقد على محبتك بالكف عن اموالهم وترك الجور عليهم ووال من صنا لك من اولئك بالاتصال اليهم وحسن العطية لم واجتنب الشخ واعلم انه اول ما عصى به الانسان ربه وان العاصي بمنزلة الحرى وهو قول الله عز وجل ومن يوق شخ نفسه فاولئك هم المفلحون فسهل طريق الجود بالحق واجعل للمسلمين كلم في بيتك حظاً ونصيباً وايمن ان الجود افضل اعمال العباد فاعده لنفسك خلقاً وارض به عملاً ومذهباً وتنفذ الجند في دواوينهم ومكاتبهم وادّر عليهم ارزاقهم ووسع عليهم في معاشهم يذهب الله عز وجل بذلك فاقتهم فيقوى لك امرهم وتزيد قلوبهم في طاعتك وامرك خلوصاً وانشراحاً وحسب ذي السلطان من السعادة ان يكون على جندٍ ورعيته رحمة في عدله وعطيته وانصافه وعنايته وشفتيه وبره وتوسعته فذلك مكره احد البايين باستشعار فضله الباب الاخر ولزوم العمل به تلقى ان شاء الله تعالى به نجاحاً وصلاً وفلاحاً واعلم ان القضاء من الله تعالى بالمكان الذي ليس له به شيء من الامور لانه ميزان الله الذي يعدل عليه احوال الناس في الارض وباقامة العدل في القضاء والعمل تصلح احوال الرعية وتأن من السبل ويتصف المظلوم وتأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدي حق الطاعة ويرزق من الله العافية والسلامة ويقم الدين ويجري السنن والشرائع في مجاريها واشتد في امر الله عز وجل وتورع عن النطق وامضي لاقامة الحدود واقلل المجلة وابعد عن الفجر والقلق واقنع بالقسم واتنع بتجربتك واتبه في صحتك واسدد في منطقتك وانصف الخصم وقف عند الشبهة وابلغ في المحبة ولا باخذك في احد من رعيته محاباة ولا بمجاملة ولا لومة لائم وتثبت وتأن وراقب وانظر وتفكر وتدبر واعتبر ونواضع لربك وارفق بجميع الرعية وسلط الحق على نفسك ولا تسرعن الى سفك الدماء فان الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم انتهاكاً لها بغير حقها وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزاً ورفعة ولا الهل توسعة ومنعة ولعدو كتباً وغبطاً ولا هل اكثر من معادهم ذلاً وصغاراً فوزعه بين اصحابه بالحق والعدل والتسوية والعزم ولا تدفعن شيئاً منه عن شريف لشرفه ولا عن غني لغناه ولا عن

كاتب لك ولا لاحد من خاصتك ولا حاشيتك ولا تاخذن من فوق الاحتمال له ولا
 تكلف امراً فيه شطط واحل الناس كلهم على امر الحق فان ذلك اجمع لالفتهم والزم
 ارضاء العامة واعلم انك جعلت بولايتك خارباً وحافظاً وراعياً وانما سي اهل عملك
 رعيتك لانك راعيتهم وقيمهم فخذ منهم ما اعطوك من عمومهم ومنذ في قوام امرهم وصلاحهم
 ونقوم اودم واستعمل عليهم اولي الراي والتدبير والخبرة والحكمة بالعلم والعدل بالسياسة
 والعفاف ووسع عليهم في الرزق فان ذلك من الحقوق اللزامة لك فيما نقلدت واسند
 اليك ولا يشغلك عنه شاعل ولا يصرفك عنه صارف فالك متى آثرته وقمت فيه بالواجب
 استدعيت به زيادة اللعبة من ربك وحسن الاحدوتة في عملك واستغرقت به الهمة من
 رعيتك واعمت على الصلاح فدرت المحبرات سلكك وفشت العارة بناحتك وطهر
 المحصب في كورك وكثر حراجك وتوفرت اموالك وقويت بذلك على ارتناط جندك
 وارضاء العامة بافاضة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمود السياسة مرضي العدل في
 ذلك عند عدوك وكنت في امورك كلها ذا عدل وآلة وقوة وعدة فتعاس فيها ولا تقدم
 عليها شيئاً تحمد عاقبة امرك ان شاء الله تعالى واجعل في كل كورة من عملك امياً يخبرك
 خبر عمالك ويكتب اليك سيرهم واعمالهم حتى كالك مع كل عامل في عمله معانياً لا مودره
 كلها واذا اردت ان تامرهم بامر فانظر في عواقب ما اردت من ذلك فان رايت السلامة فيه
 والعافية وروحوت فيه حسن الدفاع والصنع فامض به ولا تتوقف عنه وراجع اهل النصر والعلم
 به ثم خذ فيه عدته فانه ربما نظر الرجل في امره وقد اتاه على ما يهوى فاغواه ذلك واعلم
 فان لم ينظر في عواقب اهلكة ونقص عليه امره فاستعمل الحرم في كل ما اردت وباشرة
 بعد عن الله عز وجل بالنقوة واكثر من استخارة ربك في جميع امورك وامرغ من عمل يومك
 ولا تؤخره واكثر من امرته بنفسك فان لغد اموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك
 الذي اخرت واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب بما فيه فانما اخرت عملة احنص عليك
 عمل يومك فينتعلك ذلك حتى ترصى منه واذا امضت لكل يوم عملة ارحمت بذلك
 ونفسك وجمعت امر سلطانك وانظر احرار الناس وذوي النصل منهم من بلوت صفاء
 طوبيتهم وشهدت مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على امرك فاستخلصهم واحسن
 اليهم وتعاهد اهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة واحتمل موثهم واصلم حالهم حتى
 لا يجردوا لخلتهم مسافراً وافرد نفسك بالنظر في امور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على
 رفع مظلمته اليك والمحق الذي لا علم له بطلب حقو فسل عنه اخفى مسئلة وكل بامثاله

اهل الصلاح في رعينتك ومريم رفع حوائجهم وخالاهم لتظرفيا يصلح الله به امرهم وتعاهد
 ذوي الأسماء وبقائهم واراملهم واحمل لهم اوراقاً من بيت المال اقتداء بامير المؤمنين
 اعز الله تعالى في العطف عليهم والصلة لهم يصلح الله بذلك عيشهم ويزيدك به ركة
 وزيادة واحر للامراء من بيت المال وقدم حملة القرآن منهم والمحافظين لاكثره في
 الجرائد على غيرهم وانصب لمرضى المسلمين دوراً تاوهم وقولاً ما يرفعون بهم واطباء
 يعالجون اسقامهم واسعهم بشهواتهم ما لم يود ذلك الى سرف في بيت المال واعلم ان الناس
 اذا اعطوا حقوقهم وفصل امانتهم لم تدرهم وربما تدر المتصمخ لامور الناس لكثرة ما يرد
 عليه ويشغل ذكره وفكره منها ما يبال به مونة ومشقة وليس من يرغب في العدل
 ويعرف محاسن اموره في العاجل وفصل ثواب الاجل كالذي يستدره ما بقرته الى
 الله تعالى وتلتس رحمته واكثر الانف للناس عليك وارهم وحبك وسكن حراسك
 واخض لم حاحك واطهر لم تشرك ولين لهم في المسئلة والطق واعطف عليهم بحودك
 وفصلك واذا اعطيت فاعط بساحة وطيب نس والناس للصيغة والاخر من غير
 تكدير ولا امتنان فان العطية على ذلك تجارة مربحة ان شاء الله تعالى واعبر بما ترى من
 امور الدنيا ومن مصي من قبلك من اهل السلطان والرياسة في القرون الحالية
 والام السابقة ثم اعنصم في احوالك كلها بالله سبحانه وتعالى والوقوف عند محنته والعلل
 بشريعته وسنته وباقامة ديوه وكتابه واحسب ما فارق ذلك وحالته ودعا الى سحق الله
 عروجل واعرف ما تجمع عمالك من الاموال وما ينفون منها ولا تجمع حراماً ولا تنفق
 اسرافاً واكثر محالسة العلماء ومتاورهم ومحاظتهم وليكن هوالك انتاع السب وإقامتها
 وإيثار مكارم الاخلاق ومقاتلتها وليكن اكرم دحلائك وخاصتك عليك من ادا راي عينا
 لم تنصه هينتك من انهاء ذلك البك في ستر واعلامك بما فيه من النقص فان اولئك اصح
 اوليائك ومطاهريك لك وانظر عمالك الذين يحصرتك وكتابتك فوقت لكل رجل سهم
 في كل يوم وقتاً يدخل فيه يكتب وموامرتيه وما عده من حوائج عمالك وامور الدولة
 ورعينتك ثم فرغ لما يورد عليك من ذلك سمعك وبدرك ومهمك وعقلك وكرر النظر
 فيه والتدبير له بما كان موافقاً للحق والحرم فامض واستغفر الله عروجل فيه وما كان مخالفاً
 لذلك فاصرفه الى المسئلة عنه والتثبت ولا تمن على رعينتك ولا غيرهم بمعروف توتيو
 اليهم ولا نقل من احد الا الوفاء والاستقامة والعون في امور المسلمين ولا تصنع المعروف
 الا على ذلك ونهم كتابي اليك وامعن الطرف في العمل به واستعن بالله على جميع

امورك واستغفره فان الله عرّوجل مع الصلاح واهله وليكن اعظم سيرتك وافضل رغبتك
 ما كان لله عرّوجل رضى ولدينه نظاماً ولاهله عراً وتمكيناً وللملة والذمة عدلاً وصلاًحاً
 وانا اسأل الله عرّوجل ان يحبس عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءك والسلام .
 وحدث الاخباريون ان هذا الكتاب لما طهر وشاع امرة اعجب به الناس واتصل
 بالمامون فلما قرىء عليه قال ما اتقى ابو الطيب يعني طاهرّاً شيئاً من امور الدنيا
 والدين والتدبير والراي والسياسة وصلاح الملك والرعية وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء
 ونقوم الخلافة الا وقد احكمه واوصى به ثم امر المامون فكتب به الى جميع العمال في
 النواحي ليقنطروا به ويعملوا بما فيه هذا احسن ما وقعت عليه في هذه السياسة والله اعلم

الفصل الثاني والخمسون .

في امر الباطني وما يذهب اليه الناس في شابه وكشف الغطاء عن ذلك
 اعلم ان المشهور بين الكافة من اهل الاسلام على ممر الاعصار انه لا بد في اخر
 الزمان من ظهور رجل من اهل البيت يؤيد الدين ويطهر العدل ويتبعه المسلمون
 ويستولون على الممالك الاسلامية ويسمى بالمهدي ويكون خروج الدجال وابعده من
 اشراط الساعة الثالثة في الصحيح على اثره ان عيسى يرل من بعده فيقتل الدجال
 او ينزل معه فيساعده على قتله وياتم بالمهدي في صلاته ويخفون في الباب ما حديث
 خرجها الاثمة وتكلم فيها المنكروون لذلك وربما عارضوها بعض الاخبار والمنصوفة المتأخرين
 في امر هذا الباطني طريقة اخرى ويوع من الاستدلال وربما يعتمدون في ذلك على
 الكشف الذي هو اصل طرائقهم . ونحن الان نذكرها الاحاديث الواردة في هذا الشأن
 وما للمكبرين فيها من المطاعن وما لم في انكارهم من المستند ثم نشع نذكر كلام المنصوفة
 ورايهم لينين لك الصحيح من ذلك ان شاء الله تعالى فنقول ان جماعة من الاثمة خرجوا
 احاديث المهدي منهم الزمزمي وابو داود والبرار واسامه والحاكم والطبراني وابو يعلى
 الموصلي واسدوها الى جماعة من الصحابة مثل علي واس عاص واس عمرو طلحة وان
 مسعود وابي هريرة واس وابي سعيد الخدري وام حبيبة وام سلمة وتومان وقرّة س اياس
 وعلي الهلالي وعبد الله بن الحارث س حرء ماسايد ربما يعرض لها المنكروون كما نذكره
 الا ان المعروف عند اهل الحديث ان الحرج مقدم على التعديل فاذا وجدنا طعناً في
 بعض رجال الاسايد نعلمه او سوء حبط او ضعف لوسوء راي تطرق ذلك الى صحة

الحديث وأوهن منها ولا نقولن مثل ذلك ربما يتطرق الى رجال الصحيحين فان الاجماع
قد انصل في الامة على تلقيها بالقبول والعمل بما فيها وفي الاجماع اعظم حماية واحسن
دفع وليس غير الصحيحين بمثابة في ذلك فقد نجد مجالا للكلام في اسانيدنا بما نقل عن
ائمة الحديث في ذلك . ولقد توغل ابو بكر بن ابي خزيمة على ما نقل السهلي عنه في جمعه
للاحاديث الواردة في المهدي فقال ومن اغربها اسنادا ما ذكره ابو بكر الاسكافي في
قوائد الاخبار مستندا الى مالك بن انس عن محمد بن المنكر عن جابر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من كذب بالمهدي فقد كفر ومن كذب بالدجال فقد كذب وقال
في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما احسب وحسبك هذا غلو والله اعلم بصحة طريقه
الى مالك ابن انس على ان ابا بكر الاسكافي عندهم مضموع . واما الترمذي فخرج هو
وابو داود بسنديهما الى ابن عباس من طريق عاصم بن ابي العجود احد القراء السبعة الى زر بن
حييش عن عبد الله ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يبق من الدنيا الا يوم
لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا مني او من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي
واسم ابي واسم ابي . هذا لفظ ابي داود وسكت عليه وقال في رسالته المشهورة ان ما
سكت عليه في كتابه فهو صالح ولفظ الترمذي لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل
من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي وفي لفظ اخر حتى يلي رجل من اهل بيتي وكلاهما حديث
حسن صحيح ورواه ايضا من طريق موقوفا على ابي هريرة وقال الحاكم رواه الثوري وشعبة
وزائدة وغيرهم من ائمة المسلمين عن عاصم قال وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كلها
صحيحة على ما اصلته من الاحتجاج باخبار عاصم اذ هو امام من ائمة المسلمين انتهى الا ان
عاصم قال فيه احمد بن حنبل كان رجلا صالحا فارقا للقرآن خيرا ثقة والاعمش احفظ
منه وكان شعبة بخنار الاعمش عليه في تثبيت الحديث وقال العجلي كان يختلف عليه في
زر واذي وائل يشير بذلك الى ضعف روايته عنها وقال محمد بن سعد كان ثقة الا انه
كثير الخطاء في حديثه وقال يعقوب بن سفيان في حديثه اضطراب وقال عبد الرحمن
بن ابي حاتم قلت لابي ان ابا زرعة يقول عاصم ثقة فقال ليس محله هذا وقد تكلم فيه ابن
عليه فقال كل من اسمه عاصم سيء المحفظ وقال ابو حاتم محله عندي محل الصدق صالح
الحديث ولم يكن بذلك المحافظ واختلف فيه قول النسائي وقال ابن حراش في حديثه
نكرة وقال ابو جعفر العجلي لم يكن فيه الا سوء المحفظ وقال الدارقطني في حنظله شيء
وقال مجي القطان ما وجدت رجلا اسمه عاصم الا وجدتة رديء المحفظ وقال ايضا

سمعت شعبة يقول حدثنا عاصم بن ابي الجحود وفي الناس ما فيها وقال الذهبي ثبت في
 القراءة وهو في الحديث دون الثبت صدوق فهم وهو حسن الحديث وان اخرج احد
 بان التبخين اخرجوا له فنقول اخرجوا له مقروناً بغيره لا اصلاً والله اعلم وخرج ابو داود
 في الباب عن علي رضي الله عنه من رواية قطن بن خليفة عن الناسم بن ابي مرة عن ابي
 الطميل عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولم يبق من الدهر الا يوم لعنت الله
 رجلاً من اهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً وقطن بن خليفة وان وثقه احمد ويحيى
 ابن القطان وان معين والسائي وغيرهم الا ان العجلي قال حسن الحديث وفيه تشيع
 قليل وقال ابن معين مرة ثقة شيعي وقال احمد بن عبد الله بن يوسف كما نثر على قطن
 وهو مطروح لا يكتب عنه وقال مرة كنت امر به وادعته مثل الكلب وقال الدارقطني
 لا يصح به وقال ابو بكر بن عياش ما تركت الرواية عنه الا لبسوه مدهو وقال الجرجاني
 زائع غير ثقة انتهى وخرج ابو داود ايضاً بسنده الى علي رضي الله عنه عن مروان بن
 المغيرة عن عمر بن ابي قيس عن شعيب بن ابي خالد عن ابي اسحاق السبيعي قال قال
 علي ويطر الى ابو الحسن ان انبي هذا سيد كما ساء رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج
 من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق يملأ الارض عدلاً
 وقال هارون حدثنا عمر بن ابي قيس عن مطرف بن طريف عن ابي الحسن عن
 هلال بن عمر سمعت علياً يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج رجل من وراء الهر
 يقال له الحارث على مقدمته رجل يقال له مصور يوطيء اوبكس لآل محمد كما مكنت
 قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجب على كل مومن نصره او قال اجابته سكنت
 ابو داود عليه وقال في موضع اخر في هارون هومن ولد الشيعة وقال السليمان في
 نظره وقال ابو داود في عمر بن ابي قيس لاس في حديثه خطأ وقال الذهبي صدق
 له او هام واما ابو اسحاق الشيباني وان خرج عنه في الصحيحين فقد ثبت انه اخطأ اخر
 عمره وروايته عن علي مقطوعة وكذلك رواية ابي داود عن هارون بن المغيرة . واما
 السند الثاني فابو الحسن فيه وهلال ابن عمر مجهولان ولم يعرف ابو الحسن الا من رواية
 مطرف بن طريف عنه انتهى وخرج ابو داود ايضاً عن ام سلمة وكذا ابن ماجه والحاكم
 في المستدرک من طريق علي بن نفيل عن سعيد بن المسيب عن ام سلمة قالت سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدي من ولد فاطمة ولنظ الحاكم سمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يذكر المهدي فقال نعم هو حق وهو من بني فاطمة ولم يتكلم عليه

بالصحيح ولا غيره وقد صعد ابو جعفر العقيلي وقال لا يتابع علي بن مهزيار ولا يعرف
 الا بـ وخروج ابو داود ايضا عن ام سلمة من رواية صالح بن ابي الخليل عن صاحب له عن
 ام سلمة قال يكون اختلاف عدد موت خزيمة فيخرج رجل من اهل المدينة هارباً الى
 مكة فيأتيه ناس من اهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيسابعونه بين الركن والمقام فيبعث
 اليه نعت من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك اناء
 اندلج اهل الشام وعصائب اهل العراق فيسابعونه ثم يمشى رجل من قريش اخو له
 كلب فيبعث اليهم نعتاً فيظهرون عليهم وذلك نعت كلب والحمة لم لم يتهد غيمة
 كلب فيسقم المال ويعمل في الناس نسة سيهم صلى الله عليه وسلم ويلقي الاسلام بحرايو
 على الارض فيلث سبع سنين وقال بعضهم تسع سنين ثم رواه ابو داود من رواية ابي
 الخليل عن عبد الله بن ابي ثعلبة عن ام سلمة فتبين بذلك المهم في الاسناد الاول
 ورحالة رجال الصحيح لا مطعن فيهم ولا معبر وقد يقال انه من رواية قتادة عن ابي
 الخليل وفتادة مداس وقد دعمه والمدلس لا يقبل من حديثه الا ما صرح فيه بالسماع
 مع ان الحديث ليس فيه تصريح بذكر المهدي نعم ذكره ابو داود في ابوابه وخروج ابي
 داود ايضا وتابعة الحاكم عن ابي سعيد المخدري من طريق عمران القطان عن قتادة عن
 ابي نصر عن ابي سعيد المخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي مني
 احلى المحبة اثنى الالف يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يملك سبع
 سنين هذا لبطاني داود وسكت عليه واخط الحاكم المهدي ما اهل البيت اثم الالف
 اثنى احلى الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يعيش هكذا او يسطر يساره
 واصبعين من يمينه اليسار والاهام وعند ثلاثة قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط
 مسلم ولم يخرجاه ١٠٥٠. وعمران القطان مختلف في الاحتجاج به اما اخرج له البخاري استشهاداً
 لا اصلاً وكان بخاري القطان لا يحدث عنه وقال بخاري من معين ليس بالنوي وقال مرة
 ليس بشيء وقال احمد بن حنبل ارجوا ان يكون صحيح الحديث وقال يزيد بن ربيع
 كان حرورياً وكان يرى السيف على اهل القنلة وقال السائي ضعيف وقال ابو عبيد
 الآجري سالت ابا داود عنه فقال من اصحاب الحسن وما سمعت الا حبراً وسمعت مرة
 اخرى ذكره فقال ضعيف اثنى في ابراهيم بن عبد الله بن حسن بنوي شديدة فيها
 سفك الدماء وحرق الترمذي واس ماجة والحاكم عن ابي سعيد المخدري من طريق
 زيد العمي عن ابي صديق الناجي عن ابي سعيد المخدري قال ختينا اب يكون

شيء حدث فسالنا نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال ان في امي المهدي يخرج ويعيش خمسا
او سبعا او تسعا زيد الشاذل قال قلنا وما ذاك قال سنين قال فيجي اليه الرجل فيقول
يامهدي اعطني قال فيحمله في ثوبه ما استطاع ان يحمله لنظ الترمذي وقال هذا
حديث حسن وقد روى من غير وجه عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولنظ
ابن ماجه والحاكم يكون في امي المهدي ان قصر فسبع والا فتسع فتتم امي فيه نعمة لم
يسمعوا بمثله قط توفي الارض اكلها ولا يدخر منه شيء والمال يومئذ كدوس فيقوم
الرجل فيقول يامهدي اعطني فيقول خذ انتهي وزيد العمري قال في الدارقطني
واحمد بن حنبل ويحيى بن معين انه صالح وزاد احمد انه فوق يزيد الرقاشي وفضل
ابن عيسى الا انه قال فيه ابو حاتم ضعيف يكتب حديثه ولا ينجح به وقال يحيى بن معين
في رواية اخرى لاشيء وقال مرة يكتب حديثه وهو ضعيف وقال الجرجاني متمسك
وقال ابو زرعة ليس به قوي واي الحديث ضعيف وقال ابو حاتم ليس بذلك وقد حدث
عنه شعبة وقال النسائي ضعيف وقال ابن عدي عامة ما يرويه ومن يروى عنهم ضعفا
على ان شعبة قد روى عنه ولعل شعبة لم يرو عن اضعف منه وقد يقال ان حديث
الترمذي وقع تنسيها لما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يكون في اخر امي خليفة يحثو المال حثوا لا بعده عدا ومن حديث ابي
سعيد قال من خلفائكم خليفة يحثو المال حثوا ومن طريق اخرى عنها قال يكون في
اخر الزمان خليفة يقسم المال ولا بعده انتهى واحديث مسلم لم يقع فيها ذكر المهدي ولا
دليل يقوم على انه المراد منها ورواه الحاكم ايضا من طريق عوف الاعرابي عن ابي
الصديق الناجي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم
الساعة حتي تغلق الارض جورا وظلما وعدوانا ثم يخرج من اهل بيتي رجل يملأها
قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا وقال فيه الحاكم هذا صحيح على شرط الشيخين ولم
يخرجاه ورواه الحاكم ايضا من طريق سليمان بن عبيد عن ابي الصديق الناجي عن ابي
سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج في اخر امي المهدي يسقيه
الله الغيث وتخرج الارض نباتها ويعطي المال صحاحا وتكثر الماشية وتكفي الامم بعيش
سبعا او ثمانيا يعني تحججا وقال فيه حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه مع ان سليمان بن عبيد
لم يخرج له احد من الستة لكن ذكره ابن حبان في الثقات ولم يرد ان احدا تكلم فيه ثم
رواه الحاكم ايضا من طريق اسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن مطر الوراق واي

هارون الصديقي عن ابي الصديق الباقي عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نملأ الارض حوراً وطلماً فيخرج رجل من عترتي يملك سماً او نسماً فيملأ الارض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً وقال الحاكم فيه هذا حديث صحيح على شرط مسلم لانه اخرج عن حماد بن سلمة وعن شيعة مطر الوراق واما شيعة الاخر وهو ابي هارون الصديقي فلم يخرج له وهو ضعيف جداً منهم ما كذب ولا حاجة الى بسط اقوال الاثمة في تصحيحه واما الراوي له عن حماد بن سلمة فهو اسد بن موسى يلقب اسد السنة وان قال البخاري مشهور الحديث واستشهد به في صحيحه واصلح به ابو داود والسنائي الا انه قال مرة اخرى ثقة لولم يصعب كان خيراً له وقال فيه محمد بن حرم مكر الحديث ورواه الطبراني في صحيحه الاوسط من رواية ابي الواصل عبد الحميد بن واصل عن ابي الصديق الباقي عن الحسن بن يزيد السعدي احد بني بهدلة عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج رجل من امتي يقول نسني ينزل الله عروجه لثقة القطر من السماء ويخرج الارض ركنها ونملأ الارض من قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وطلماً يعمل على هذه الامة سبع سنين وينزل على بيت المقدس وقال الطبراني فيه رواه جماعة عن ابي الصديق ولم يدخل احد منهم به وبن ابي سعيد احداً الا ابا الواصل فانه رواه عن الحسن بن يزيد عن ابي سعيد انتهى وهذا الحسن بن يزيد ذكره اس بن حاتم ولم يعرفه ما كثر ما في هذا الاسناد من روايت عن ابي سعيد ورواية ابي الصديق عنه وقال الذهبي في الميزان انه مجهول لكن ذكره اس حسان بن الفقات واما ابو الواصل الذي رواه عن ابي الصديق فلم يخرج له احد من السنة وذكره ابن حبان في الفقات في الطبقة الثانية وقال فيو بروي عن اس وروى عنه شعبة وعنه ابن شريح اس ما جئ في كتاب السنن عن عبد الله بن مسعود من طريق يزيد بن ابي رباح عن ابراهيم بن علقمة عن عبد الله قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقل فتية من بني هاشم فلما رأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم درجت عيسا بن تغبر لونه قال قتل ما سأل ربي في وجهك شيئاً نكرهه فقال انا اهل البيت اخبر الله لنا الاخرة على الدنيا وان اهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتضيدياً ونظرياً حتى ياتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخمر فلا يعطونه فيقاتلون وينتصرون فيعطون ما سألوا فلا يلقونه حتى يدعوهن الى رجل من اهل بيتي فيملأها قسطاً كما ملأها جوراً من ادرك ذلك منكم فليأتهم ولو حملوا على التلج انتهى وهذا الحديث يعرف

عند المحدثين بحديث الرايات ويريد من أبي زياد راويه قال فيه شعبة كان رفاعة يعني
 يرفع الأحاديث التي لا تعرف مرفوعة وقال محمد بن الفضل كان من كبار أئمة الشيعة
 وقال أحمد بن حنبل لم يكن بالحافظ وقال مرة حديثه ليس بذلك وقال يحيى بن
 معين ضعيف وقال العجلي جائر الحديث وكان بأخوه يلقب وقال أبو زرعة ليس يكتب
 حديثه ولا يفتح به وقال أبو حاتم ليس بالقوي وقال الجرجاني سمعته يصعبون حديثه
 وقال أبو داود لا أعلم أحداً ترك حديثه وغيره أحب إلي مني وقال ابن عدي هو من
 شيعة أهل الكوفة ومع ضعفه يكتب حديثه وروى له مسلم لكن مقروناً بغيره وبالمجمل
 فالأكثر على ضعفه وقد صرح الأئمة بتضعيف هذا الحديث الذي رواه عن إبراهيم
 عن علقمة عن عبد الله وهو حديث الرايات وقال وكيع بن الجراح فيه ليس بشيء
 وكذلك قال أحمد بن حنبل وقال أبو قدامة سمعت أبا إسامة يقول في حديث يزيد
 عن إبراهيم في الرايات لو حلف عدي حميداً ميمناً قسامة ما صدقته وهذا مذهب
 إبراهيم وهذا مذهب علقمة وهذا مذهب عبد الله وأورد العجلي هذا الحديث في الصعفاء
 وقال الذهبي ليس بصحيح وخرج ابن ماجة عن علي رضي الله عنه من رواية ياسين
 العجلي عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم المهدي ما أهل البيت يصلح الله به في ليلة ويأسين العجلي وإن قال فيه ابن
 معين ليس به بأس فقد قال البخاري فيه بطر وهذه اللفظة من اصطلاحه قوية في
 التضعيف جداً وأورد ابن عدي في الكامل والذهبي في الميزان هذا الحديث على
 وجه الاستسكار له وقال هو معروف به وخرج الطبراني في معجمه الأوسط عن علي
 رضي الله عنه أنه قال للي صلى الله عليه وسلم أما المهدي أم من غير ما يارسل الله
 فقال بل ما سألتك الله كما سأفخ وسأستفقدون من الشرك وما يول الله بين قلوبهم
 بعد عداوة بينة كما سألف بين قلوبهم بعد عداوة الترك قال علي أموتون أم كافرون
 قال مفتون وكافر انتهى وفيه عند الله أن لمعة وهو ضعيف معروف الحال وفيه
 عمر بن جابر الحصري وهو أضعف منه قال أحمد بن حنبل روي عن جابر ما كبر ولم يفي
 أنه كان يكذب وقال النسائي ليس بثقة وقال كان ابن لمعة شجاعاً حتى ضعيف العقل
 وكان يقول علي في السماء وكان يجلس معاً فيبصر سحابة فيقول هذا علي قد مر في
 السماء وخرج الطبراني عن علي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال يكون في آخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما يحصل الذهب في المعدن فلا

تسوا اهل الشام ولكن سوا اشرارهم فان فيهم الاندال يوشك ان يرسل على اهل الشام
 صيب من السماء فيعرق جماعتهم حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم عند ذلك يخرج خارج
 من اهل بني في ثلاث رايات المكثر يقول هم خمسة عشر ألفاً والمقليل يقول هم اثنا
 عشر ألفاً وامارتهم امت امت يلقون سبع رايات تحت كل راية منها رجل يطلب الملك
 فيقتلهم الله جميعاً ويرد الله الى المسلمين الغنم ويعتصمهم وقاصيتهم ورايتهم اوه وفيه عبد الله
 اس طيبة وهو ضعيف معروف الحال ورواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد
 ولم يخرجاه في روايته ثم يطره الهانني فيرد الله الناس الى الغنم الخ وليس في طريقه اس
 طيبة وهو اسناد صحيح كما ذكره وخرج الحاكم في المستدرك عن علي رضي الله عنه من رواية
 ابي الطليل عن محمد بن الحنفية قال كما عد علي رضي الله عنه فساله رجل عن المهدي
 فقال له هيهات ثم عقد يده سحاً فقال ذلك يخرج في اخر الرباط اذا قال الرجل
 الله الله قتل ويجمع الله له قوماً فرع "كفرع السحاب يولف الله بين قلوبهم فلا
 يستوحشون الى احد ولا يبرحون باحد دخل فيهم عدتهم على عدة اهل بدر لم يسفهم
 الاولون ولا يدركهم الاحرون وعلى عدد اصحاب طالوت الذين جاؤوا معه الهبر
 قال ابو الطليل قال اس الحنفية اتريد ان قلن نعم قال فانه يخرج من بين هذين
 الاختين قلن لا حرم والله ولا ادعها حتى اموت ومات بها يعني مكة قال الحاكم هذا
 حديث صحيح على شرط الشيخين انتهى وانما هو على شرط مسلم فقط فان فيه عماراً الذهبي
 ويونس بن ابي اسحاق ولم يخرج لها البخاري وفيه عمرو بن محمد العنبري ولم يخرج له
 البخاري احتجاجاً بل استنهاداً مع ما يعم الى ذلك من تتبع عمار الذهبي وهو وان وثقة
 احمد واسماعيل وابو حاتم السائي وغيرهم فقد قال علي بن المديني عن سفيان بن
 اس مروان قطع عرقه فقلت في اي شيء قال في التشيع وخرج اس ماجة عن اس
 اس مالك رضي الله عنه في رواية سعد اس عبد الحميد بن جعفر عن علي بن رباب
 الباهلي عن عكرمة بن عمار عن اسحاق بن عبد الله عن اس قال سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول نحن ولد عبد المطلب سادات اهل الجنة انا وحمزة وعلي وجعفر
 والحسن والحسين والمهدي انتهى وعكرمة بن عمار وان اخرج له مسلم فانما اخرج له متابعة
 وقد ضعفه بعض وثقة اخرون وقال ابو حاتم الرازي هو مدلس فلا يثبت الى ان
 يصرح بالسماع علي بن رباب قال الذهبي في الميزان لا يدرى من هو ثم قال الصواب فيه

عبد الله بن زياد وسعد بن عبد الحميد وإن وثقة يعقوب بن أبي شيبة وقال فيه يحيى
ابن معين ليس به بأس فقد تكلم فيه الثوري قالوا لانه رآه بقي في مسائل ويخطي فيها
وقال ابن حبان كان من فحش عطاؤه فلا يحنج وقال احمد بن حنبل سعيد ابن عبد
الحميد يدعي انه سمع عرض كتب مالك والناس ينكرون عليه ذلك وهو هنا ببغداد
لم يحنج فكيف سمعها وجعله الذهبي ممن لم يقدح فيه كلام من تكلم فيه وخرج الحاكم في
مستدركه من رواية مجاهد عن ابن عباس موقوفاً عليه قال مجاهد قال لي ابن عباس
لولم اسمع انك مثل اهل البيت ما حدثتكم بهذا الحديث قال فقال مجاهد فانه في ستر
لا اذكره لمن يكره قال فقال ابن عباس منا اهل البيت اربعة منا السفاح ومنا المنذر
ومنا المنصور ومنا المهدي قال فقال مجاهد بين لي هؤلاء الاربعة فقال ابن عباس اما
السفاح فرما قتل انصاره وعفا عن عدوه واما المنذر اراه قال فانه يعطي المال الكثير
ولا يتعاضد في نفسه ويمسك القليل من حقه واما المنصور فانه يعطي النصر على عدوه
الشر ما كان تعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهرب منه عدوه على مسيرة شهرين
والمنصور يهرب منه عدوه على مسيرة شهر واما المهدي الذي يملأ الارض عدلا كما ملئت
جورا وتامن البهاائم السباع وتلقي الارض افلاذ كبدها قال قلت وما افلاذ كبدها قال امثال
الاسطوانة من الذهب والفضة وقال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وهو من رواية
اسماعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن ايوب واسماعيل ضعيف وابراهيم ابوه وإن خرج له مسلم
فلاكثر من علي تضعفوه اهـ. وخرج ابن ماجة عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقتل عند كبيركم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير الى واحد منهم ثم تطلع الرايات السود من قبل
المشرق فيقتلونهم قتلاً لم يقتله قوم ثم ذكر شيئاً لا احفظه قال فاذا رايتموه فبايعوه ولو
حبوا على الثلج فانه خليفة الله المهدي اهـ. ورجاله رجال الصحيحين الا ان فيه اباقلاية
المجرمي وذكر الذهبي وغيره انه مدلس وفيه سفيان الثوري وهو مشهور بالتدليس وكل
واحد منها عنع ولم يصرح بالسماع فلا يقبل وفيه عبد الرزاق بن همام وكان مشهوراً
بالتشيع وعي في اخر وقته فخطط قال ابن عدي حدث باحدث في الفضائل لم يوافقه
عليها احد ونسبوه الى التشيع انتهى. وخرج ابن ماجة عن عبد الله بن الحارث بن
جزء الزبيدي من طريق ابن لهيعة عن ابي زرعة عن عمر بن جابر الحضرمي عن
عبد الله بن الحارث بن جزء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من
المشرق فيوطنون للمهدي يعني سلطانه قال الطبراني تتردد به ابن لهيعة وقد تقدم لنا في

حديث علي الذي خرجه الطبراني في معجمه الاوسط ان ابن لهيعة ضعيف وان شيعة عمر
 اس جارا ضعف منه وخرج الزاري في مسنده والطبراني في معجمه الاوسط واللبط للطبراني
 عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون في امتي المهدي ان قصر فسمع
 والا فثمان والا فسمع نعم فيها امتي نعمة لم يعبوا بمثلها ترسل السماء عليهم مدرارا ولا
 تذخر الارض شيئا من السات والمال كدوس يقوم الرجل يقول يا مهدي اعطني فيقول
 خذ قال الطبراني والزاري نرد به محمد بن مروان العبلي راد الزاري ولا يعلم انه تائعه
 عليه احد وهو وان وثقه ابو داود وابن حبان ايضا بما ذكره في الثقات وقال فيو يجي
 ابن معين صالح وقال مرة ليس به ناس فقد احتلوا فيه وقال ابو زرعة ليس عدي
 بذلك وقال عبد الله بن احمد بن حنبل رأيت محمد بن مروان العبلي حدثنا ما حدثت
 واما شاهد لم يكنها تركها على عمد وكتب بعض اصحابنا عنه كانه ضعيف وخرجه ابن
 يعنى الموصلي في مسنده عن ابي هريرة وقال حدثني خليلي ابو القاسم صلى الله عليه وسلم
 قال لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من اهل بيتي فيصربهم حتى يرجعوا الى الحق
 قال قلت وكه بملك قال حسا واثنين قال قلت وما حسا واثنين قال لا ادري اه .
 وهذا السند وان كان فيه تنبيه من يهلك وقال فيه ابو حاتم لا ينجح به فقد اخرج به الترمذي
 ووثقه الناس ولم يلتفتوا الى قول ابي حاتم لا ينجح به الا ان فيه رجاء اس اني رجاء الشكري
 وهو مختلف فيه قال ابو زرعة ثقة وقال ينجي من معين ضعيف وقال ابو داود ضعيف
 وقال مرة صالح وعنه له البخاري في صحيحه حديثا واحدا وخرج ابو بكر الزاري في مسنده
 والطبراني في معجمه الكبير والاوسط عن قرّة بن اياس قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لعلنا الارض حورا وظلما فادامت حورا وظلما نعمت الله رجلا من امتي اسمع اسمي واسم
 ابيه اسم اني يلا ما عدلا وقسطا كما ملئت حورا وظلما فلا تمنع السماء من قطرها شيئا ولا تذخر
 الارض شيئا من ما بها يلبث فيكم سعا وناسا وتسعا يعني سنين ١٠٠ وفيه داود بن الهيثم
 اس المجرم عن ابيه وها ضعيفان جدا وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن اس عن
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مصر من المهاجرين والانصار وعلي اني طالب عن
 يساره والعاس عن يمينه ادتلاحي العاس ورجل من الانصار فاعلظ الانصاري للعاس
 فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد العاس وبهد علي وقال يخرج من صلب هذا حتى يلا
 الارض جورا وظلما ويخرج من صلب هذا حتى يلا الارض قسطا وعدلا فاذا رايتم ذلك
 فعليكم بالنبي التميمي فانه يقبل من قبل المشرق وهو صاحب راية المهدي . انتهى وفيه

عبد الله بن عمر العمري وعبد الله بن لمعة وهما ضعيفان ٥٠. وخرج الطبراني في معجمه
 الاوسط عن طلحة بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ستكون فتنة فلا يسكن منها
 جالس الا تشاجر جالس حتى ينادي مناد من السماء اميركم فلا ٥٠. وفيه الحديث عن الصباح
 وهو ضعيف جداً وليس في الحديث تصريح بذكر المهدي ولما ذكروه في انوار وترجمته
 استثناساً فيه حملة الاحاديث التي خرجها الائمة في شأن المهدي وخرجه آخر الزمان
 وهي كما رايت لم يخلص منها من القدر الا القليل والاقول منه وربما تمسك المنكرون لثبوت
 بما رواه محمد بن خالد الحدي عن ابا بن صالح بن ابي عياش عن الحسن البصري
 عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لامهدي الاعشى بن مريم
 وقال يحيى بن معين في محمد بن خالد انه ثقة وقال البيهقي تفرد به محمد بن خالد وقال
 الحاكم فيه انه رجل مجهول واختلف عليه في اساده فمرة يروونه كما تقدم وينسب ذلك
 لمحمد بن ادريس الشافعي ومرة يروونه عن محمد بن خالد عن ابا بن عياش عن الحسن بن
 النبي صلى الله عليه وسلم رسلاً قال البيهقي فرجع الى رواية محمد بن خالد وهو مجهول
 عن ابا بن عياش وهو متروك عن الحسن بن النبي صلى الله عليه وسلم وهو منقطع
 وبالحملة فالحديث ضعيف مصطرب وقد قيل ان لامهدي الاعشى اي لا يتكلم في المهدي
 الاعشى يحاولون بهذا التاويل رد الاحتجاج به او الجمع بينه وبين الاحاديث وهو
 مدفوع بحديث جريح ومثلوه من الحواشي. ولما المتصوفة فلم يكن المتقدمون منهم محضون
 في شيء من هذا ولما كان كلامهم في المجاهدة بالاعمال وما يحصل عنها من نتائج المواجه
 والاحوال وكان كلام الامامية والرافضة من الشيعة في توصيل علي رضي الله تعالى عنه
 والقول بامامته وادعاء الوصية له بذلك من النبي صلى الله عليه وسلم والتبري من الشيعين
 كما ذكرناه في مذاهم ثم حدث فيهم بعد ذلك القول بالامام المعصوم وكثرة التأليف
 في مذاهم وحاء الاسماعيليه منهم بدعوى الوهية الامام بسوع من الحلول واخرون
 يدعون رجعة من مات من الائمة بسوع التناحي واخرون منتطرون مجيء من يقطع بهوت
 منهم واخرون منتظرون عود الامر في اهل البيت مستدلين على ذلك بما قدمناه من
 الاحاديث في المهدي وغيرها ثم حدث ايضاً عدد المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف
 وفيه وراء الحسن وظهر من كثير منهم القول على الاطلاق بالحلول والوحدة فتشاركوا فيها
 الامامية والرافضة لقولهم بالوهية الائمة وحلول الاله فيهم وظهر منهم ايضاً القول بالقطب
 والادال وكأنه بما في مذهب الرافضة في الامام والنفاء واشربوا اقوال الشيعة وتوغلوا

في الديانة مذهبهم حتى جعلوا مستند طريقهم في لس المحرقان عليا رضي الله عنه السها الحسن
 المصري واخذ عليه العهد بالترام الطريقة واتصل ذلك عنهم بالحيد من شيوخهم ولا يعلم هذا
 عن علي من وجه صحيح ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه بل الصحابة كلهم اسوة
 في طريق الهدى وفي تخصيص هذا بعلي دونهم راتحة من التشيع قوية بينهم بها ومن غير هاهنا
 القوم دخلوا في التشيع واتخاها في سلوكهم وطهر منهم ايضاً القول بالنقطب وامتلأت كتب
 الاسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من المتصوفة بمنزل ذلك في العاطي المنتظرو كان
 بعضهم بلبه على بعض وبلغت بعضهم عن بعض وكأني مسي على اصول واهية من العريين
 وربما يستدل بعضهم بكلام المخفيين في القرامات وهو من نوع الكلام في الملاحة وياتي الكلام
 عليها في الباب الذي يلي هذا وأكثر من تكلم من هؤلاء المتصوفة المتأخرين في شأن العاطي
 اس العربي الحائفي في كتاب عفاء مغرب واس قسي في كتاب خلع العليين وعدا الحق س
 سعين واس ابى واطيل تلميذه في ترجمته لكتاب خلع العليين وأكثر كلماتهم في شأن العاز
 وامثال وربما يصرحون في الاقل او يصرخ معسرو كلامهم وحاصل مذهبهم في علي ما
 ذكر اس ابى واطيل ان النبوة بها طهر الحق والهدى بعد الضلال والعبي وانها تعقها
 الخلافة ثم يعقب الخلافة الملك ثم يعود تجبراً وتكراراً واطلاً قالوا ولما كان في اليهود
 من سنة الله رجوع الامور الى ما كانت وجب ان يجبا امر السوء والحق بالولاية ثم بخلافها
 ثم يعقها الدجل مكان الملك والنسلط ثم يعود الكفر بحالو يتنبر و بهذا لما وقع من شأن
 السوء والخلافة بعدها والملك بعد الخلافة هذه ثلاث مراتب وكذلك الولاية التي هي
 لهذا العاطي والدجل بعدها كتابة عن خروج الدجال على اتره والكفر من بعد ذلك
 فهي ثلاث مراتب على سعة الثلاث المراتب الاولى قالوا ولما كان امر الخلافة لقريش
 حكماً شرعياً بالاجماع الذي لا يوهنه انكار من لم ير اول علمه وحب ان تكون الامامة بمن
 هو اخس من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم اما طاهراً كشي عند المطلب واما باطناً
 من كان من حقيقة الاكل والاكل من اذا حصر لم يلق من هو آله وابن العربي الحائفي ساءه
 في كتاب عفاء مغرب من تاليه خاتم الاولياء وكفى عنة بلبه النصبة اشارة الى حديث
 البخاري في باب خاتم النبيين قال صلى الله عليه وسلم متلي فيم قلمي من الاسياء كمثل رجل انشئ
 بيتاً وكلمة حتى اذا لم يبق منه الا موضع لسففاً ماتلك اللسة فيمسرون خاتم النبيين باللسنة حتى
 اكملت البيان ومعه النبي الذي حصلت له النبوة الكاملة ويثقلون الولاية في تفاوت
 مراتبها بالنبوة ويحطلون صاحب الكمال فيها خاتم الاولياء اي حائز الرتبة التي هي خاتمة

الولاية كما كان خاتم الانبياء حائراً للمرئنة التي هي خاتمة السورة فكفي التنازع عن تلك
المرئنة الخاتمة لسنة البيت في المحدث المذكور وها على بسبب واحدة منهما هي سنة واحدة في
التتميل في السورة لسنة ذهب وفي الولاية لسنة قصة للتناوت بين الرتبتين كما بين الذهب
والفضة فيجعلون لسنة الذهب كتابة عن النبي صلى الله عليه وسلم لسنة الفضة كتابة عن
هذا الولي الناطقي المتطهر وذلك خاتم الاسماء وهذا خاتم الاولياء وقال اس العري فيما
نقل اس اي واطيل عنه وهذا الامام المتطهر هو من اهل البيت من ولد فاطمة وظهوره
يكون من بعد مضي ح ق ج من الهجرة ورسماً حروفاً ثلاثة يريد عددها بحساب الجمل
وهو الحاء المعجمة الواحدة من فوق ستمائة والماء اخت القاف بثمانيين والحاء المعجمة الواحدة
من اسفل ثلاثة وذلك ستمائة وثلاث وثمانون سنة وفي اخر القرن السابع ولما انصرم
هذا العصر ولم يظهر حمل ذلك بعض المقلدين لم على ان المراد تلك المدة مولده وعبر
بظهوره عن مولده وان حروجه يكون بعد العشر والسعمائة فانه الامام الناجم من ناحية
المغرب قال واذا كان مولده كما رعم اس العري سنة ثلاث وثمانين وستمائة فيكون عمره
عند حروجه ستاً وعشرين سنة قال ورعنا ان حروج الدجال يكون سنة ثلاث واربعين
وسمائه من اليوم المحمدي واتداء اليوم المحمدي عنهم من يوم وفاة النبي صلى الله عليه
وسلم الى تمام الـب سنة قال اس اي واطيل في شرحه كتاب خلع العليين الولي المتطهر
الثاني بامر الله المشار اليه بمحمد المهدي وخاتم الاولياء وليس هو سي وانما هو ولي استعفه
روحه وحبيبه قال صلى الله عليه وسلم العالم في قومو كالي في امنه وقال علماء امتي
كاسياء بني اسرائيل ولم ترل الشرى نتابع به من اول اليوم المحمدي الى قبل الحسمائة
بصف اليومونا كدت وتضاعفت تناسير المشايخ تنقريب وقته وار دلاف رما يومدا انصت
الى هلم حراً قال وذكر الكندي ان هذا الولي هو الذي يصلي بالناس صلاة الطهر ويحدد
الاسلام ويطهر العدل ويفتح حرية الدلس وبصل الى رومية فيفتحها ويسير الى المشرق
فيفتحها ويفتح القسطنطينية ويصير له ملك الارض فيفتقو المسلمون ويعلموا الاسلام
ويظهر دين الخنيفة فان من صلاة الظهر الى صلاة العصر وقت صلاة قال عليه الصلاة
والسلام ما بين هذين وقت وقال الكندي ايضاً الحروف العربية غير المعجمة يعني المتفتح
بها سور القرآن حملة عددها ستمائة وثلاثة واربعون وسعة دجالية ثم ينزل عيسى في
وقت صلاة العصر فيصلح الدنيا وتمشي الساعة مع الدثب ثم مبلغ ملك المعجده بعد اسلامهم
مع عيسى مائة وستون عاماً عدد حروف المعجم وهي ق ي ن دولة العدل منها اربعون

عاماً قال اس ابي واطيل وما ورد من قوله لا مهدي الا عيسى فمعناه لا مهدي نساوس
 هدايته هدايته وقيل لا يتكلم في المهدي الا عيسى وهذا مدفوع بحديث حريج وغيره وقد
 جاء في الصحيح ان قال لا يزال هذا الامر قائماً حتى تقوم الساعة او يكون عليهم اثناعشر خليفة
 يعني قرشياً وقد اعطى الوحدان منهم من كان في اول الاسلام ومنهم من سيكون في
 آخره وقال الخلافة بعدني ثلاثون او احدى وثلاثون او ست وثلاثون وانقضاءها في
 خلافة المحسن واول امر معاوية فيكون اول امر معاوية خلافة اخذ ما وائل الاساءه في
 سادس الخلفاء واما سابع الخلفاء فمهر بن عبد العزيز والباقر خمسة من اهل البيت من
 ذرية علي يؤيده قوله انك لذو قريبها يريد الامة اي انك الخليفة في اولها وذريتك في
 آخرها وربما استدلل بهذا الحديث القائلون بالرحمة فالاول هو المشار اليه عدم بطلوع
 الشمس من مغربها وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا هلك كسرى ولا كسرى بعده وإذا
 هلك قيصر ولا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتسقى كورها في سبيل الله وقد انق
 عمر من الخطاط كور كسرى في سبيل الله والذي بهلك قيصر ويقتى كوره في سبيل
 الله هو هذا المنتظر حين يفتح القسطنطينية فسم الامير اميرها ونعم الجيش ذلك الجيش
 كذا قال صلى الله عليه وسلم ومدة حكمه نضع والصع من ثلاث الى تسع وقيل الى عشر
 وجاء ذكر اربعين وفي بعض الروايات سبعين واما الاربعون فانها مدته مدة الخلفاء
 الاربعة الباقيين من اهل القائمين بامرهم من بعده على جميع السلام قال وذكر اصحاب
 الحوم والقرايات ان مدة قنارهم واهل بيتهم من بعده مائة وتسعة وخمسون عاماً فيكون
 الامر على هذا جارياً على الخلافة والعدل اربعين او سبعين ثم تختلف الاحوال فتكون
 ملكاً انتهى كلام اس ابي واطيل وقال في موضع اخر رول عيسى يكون في وقت صلاة
 العصر من اليوم المهيدي حين تمضي ثلاثة ارباعه قال وذكر الكندي يعقوب بن اسحاق
 في كتاب النجر الذي ذكر فيه القرايات انه ان وصل القرآن الى الثور على راس صح
 بحر فبين الصادق^(١) المعجزة والحكمة المهلة يريد ثمانية وتسعين وستائة من الهجرة بمرل المسج
 فيحكم في الارض ما شاء الله تعالى قال وقد ورد في الحديث ان عيسى ينزل عند المنارة
 البيضاء شرقي دمشق ينزل بين مهرودتين يعني حلتين مرعرتين صراوين بمصرتين
 واصفاً كعبه على اخمته الملكين لمة كما يخرج من ديماس اذا طأ طأ راسه قطر واذا رفته
 تحدر منه حمان كاللؤلؤ كثير خيلار الوجه وفي حديث اخر مر نوع الخلق والى الباص

والحمرة وفي اخره يتزوج في الغرب والغرب دلو المادية يريد ان يتزوج منها وتلد
زوجته وذكر وفاته بعد اربعين عاماً وجاء ان عيسى يموت بالمدينة ويدفن الى جانب
عمار اس الخطاط وجاء ان ابا بكر وعمر يجثران بين يمين قال اس ابى وايطيل والشعبة
نقول انه هو المسبح مسبح المساح من آل محمد قلت وعليه حمل بعض المتصوفة حديث
لا مهدي الا عيسى اي لا يكون مهدي الا المهدي الذي يسيبته الى الشريعة المحمدية بسنة
عيسى الى الشريعة الموسوية في الاتباع وعدم السمع الى كلام من امتال هذا يعينون فيه
الوقت والرجل والمكان مادلة واهية ونحكات مختلفة فينصفي الزمان ولا اترلني من ذلك
فيرجعون الى تحديد راي اخر متخيل كما تراه من مبهومات لغوية وانباء تحيلية واحكام
محمية في هذا انقصت اعمار الاول منهم والاخر. واما المتصوفة الذين عاصروا ما فاكثروا
يشيرون الى ظهور رجل محددا لحكام الملة ومراسم الحق ويتعجبون ظهوره لما قرب من
عصرنا فعضهم يقول من ولد فاطمة وبعضهم يطلق القول فيه سمعاً من جماعة اكبرهم
او يعقوب البادي كبر الا ولباء بالمغرب كان في اول هذه المائة التامة واخبرني عنه
حافده صاحب ابى يحيى ركريا عن ابى اي محمد عبد الله عن ابى الولي ابى يعقوب
المدكور هذا اخر ما اطلعنا عليه او بلغنا من كلام هؤلاء المتصوفة وما اورده اهل الحديث
من اخبار المهدي قد استوفينا جميعه بملع طاقنا والحق الذي ينبغي ان يتقرر لديك
انه لانتم دعوة من الدين والملك الا لوحود شوكة عصية نظيرة وتدافع عنه من يدفعه
حتى يتم امر الله فيه وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين القطعية التي ارباك هناك
وعصية الباطنيين بل وقريت اجمع قد ثلاثت من جميع الافاق ووجدت ام اخرون
قد استعلت عصيتهم على عصية قريش الا ما بقي بالمحجار في مكة ويسع بالمدينة من
الطالبين من بني حسن وبني حسين وبني جعفر منتشرون في تلك البلاد وغالو عليها
وهم عصائب بدوية منقرقون في مواطنهم وامارتهم وارائهم يلعبون الافان الكثرة فان
صح ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته الا ان يكون منهم ويولف الله بين قلوبهم
في اتباعه حتى تتم له شوكة وعصية وافية باظهار كلمته وحمل الناس عليها واما على غير
هذا الوجه مثل ان يدعو فاطمي منهم الى مثل هذا الامر في افاق من غير
عصية ولا شوكة الا مجرد بسنة في اهل البيت فلا يتم ذلك ولا يمكن لما اسلفناه من
البراهين الصحيحة واما ما تدعيه العامة والاغمار من الدهاء ممن لا يرجع في ذلك الى عقل
يهدي ولا علم يبيده فيجبون ذلك على غير بسنة وفي غير مكان تقليدا لما اشتهر من ظهور

فاطمي ولا يعلمون حقيقة الامر كما يسهأ وأكثر ما يجيئون في ذلك القاصية من المالك
 وأطراف العمران مثل الرباب باوقية والسوس من المغرب ونجد الكثير من ضعفاء
 الصائير يقصدون رباطاً مائة لما كان ذلك الرباط بالمغرب من الملتئين من كدالة
 واعتقادهم انه منهم او قائمون بدعوتهم عما لا مستند لهم الا غرابة تلك الامم وعدم على
 يقين المعرفة باحوالها من كثرة او قلة او ضعف او قوة ولبعد القاصية عن مال الدولة
 وخر وحها عن نطاقها فتقوى عدم الاوهام في ظهوره هناك بمرحله عن رقة الدولة
 ومسال الاحكام والنهر ولا محصول لديهم في ذلك الا هذا وقد يقصد ذلك الموضع كثير
 من ضعفاء العقول للتلبس بدعوة يبيع تمامها وسواساً وحماً وقتل كثير منهم احبري شجيا
 محمد بن ابراهيم الابلي قال خرج رباط مائة لأول المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف
 اس يعقوب رجل من متخفي التصوف يعرف بالتويري اسه الى تورر مصعراً وادعى انه
 الفاطمي المنتظر وانفعه الكثير من اهل السوس من صالة وكرولة وعظيم امرة وحافة
 روساء المصامدة على امرهم قدس عليه السكوي من قتله ثباتا ولحل امرة وكذلك طهر
 في غارة في اخر المائة السابعة وعشر التسعين منها رجل يعرف بالعاس وادعى انه
 الفاطمي وانفعه الدهاء من غارة ودخل مدينة فاس عمرة وحرق اسواقها وارحل الى
 بلد المارمة فقتلها عيلة ولم يتم امرة وكثير من هذا الخلواخبرني شجيا المذكور بعربية
 في مثل هذا وهو انه صح في جموي رباط العباد وهو مدفن الشيخ الى مدين في حل
 تلمسان المظل عليها رجلاً من اهل البيت من سكان كربلاء كان متبوعاً عظيماً كثير
 التلميد والمحامد قال وكان الرجال من موطنه يتلقونه بالعقات في اكثر البلدان قال
 وتاكنت الصخرة بيدي في ذلك الطريق فانكشف لي امرهم بهم انما جاءني من موطنهم
 بكربلاء لطلب هذا الامر وانحال دعوة الفاطمي بالمغرب فلما عين دولة بني مرين
 ويوسف بن يعقوب يومئذ مبارل تلمسان قال لاصحابه ارحلوا فقد ادرست بالعلط
 وليس هذا الوقت وقتنا وبدل هذا القول من هذا الرجل على انه مستعصر في ان الامر
 لا يتم الا بالعصبة المكافئة لاهل الوقت فلما علم انه غريب في ذلك الوطن ولا شوكة
 له وان عصبة بني مرين لذلك العهد لا يقاومها احد من اهل المغرب استكان ورجع الى
 الحق واقصر عن مطامعه وبقي عليه ان يستيقن ان عصبة النواظم وقربش اجمع قد
 ذهبت لاسيا في المغرب الا ان التعصب لثباته لم يتركه لهذا القول والله يعلم وانتم لا
 لاتعلمون وقد كانت بالمغرب لهذه العصور القرية زعة من الدعاة الى الحق والقيام

بالسنة لا يتخلون فيها دعوة فاطمي ولا غيره وإنما ينزع منهم في بعض الاحيان الواحد
فألواحد الى اقامة السنة وتغيير المكر ويعتني بذلك ويكثر ناعه وأكثر ما يصون
ما صلاح السائلة لما ان أكثر فساد الاعراب فيها لما قد ساء من طبيعة معاتهم فيأخذون
في تغيير المكر بما استطاعوا الا ان الصعة الدنية فيهم لم تستفك لما ان توبة العرب
ورحومهم الى الدين اما يقصدون بها الاقصار عن الغارة والنهب لا يعقلون في نونهم
واقبالهم الى ساحي الديانة غير ذلك لانها المعصية التي كانوا عليها قبل المقرة ومنها
تونسهم فمجد ذلك المنقل للدعوة والقائم رعيو بالسنة غير متعيقين في فروع الاقتداء
والانواع اما ديبهم الاعراض عن النهب والسبي واصاد السائلة ثم الاقبال على طلب الدنيا
والمعاش باقضى جهدهم وشتان بين هذا الاجر من اصلاح الخلق ومن طلب الدنيا
فاتفاقها ممتنع لا تستفك ان صفة في الدين ولا يكمل له روع عن السائل على الحملة ولا
يكترون ويختلف حال صاحب الدعوة معهم في استحكام دينه ولا يتو في مسودون ناعه
فاذا هلك احل امرهم وتارشت عصيتهم وقد وقع ذلك ما فر بنية لرحل من كعب من
سليم يسمى قاسم بن مرق بن احمد في المائة السابعة ثم من بعده لرحل اخر من اذية رياح
من بعض منهم يعرفون بمسلم وكان يسمى سعادة وكان اشد ديناً من الاول واقوم طريقة
في نفسه ومع ذلك فلم يستتب امر ناعه كما ذكرناه حسياً باقي ذكر ذلك في موضعه بعد
ذكر قبائل سليم ورياح و بعد ذلك طهر ناس هذه الدعوة يتشبهون بمثل ذلك و يلبسون
فيها ويتخلون اسم السنة وليسوا عليها الا الاقل فلا يتم لهم ولا ين بعد فميتي من امرهم انتهى

الفصل الرابع والخمسون

في ابتداء الدول والامم وفي الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى البحر
اعلم ان من حواس الدوس البشرية التثوق الى عواقب امورهم وعلم ما يحدث لهم
من حياة وموت وحير وترسيا الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا وعرفة مدد
الدول او فناوتها والتطلع الى هذا طبيعة محملون عليها واذلك نجد الكثير من الناس
يتشوقون الى الوقوف على ذلك في المنام والاخبار من الكهان من قصدهم بمثل ذلك من
الملوك والسوقة معروفة ولقد نجد في المدن صنفاً من الناس يتخلون المعاش من ذلك
اعلمهم تعرض الناس عليه فينتصرون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يسالم عنه
فتعدو عليهم ونروح سوا المدينة وعساياها وكثير من صعاء العقول يستكشون

عواقب امرهم في الكسب والنجاة والمعاش والمعايشة والعناية وامثال ذلك ما بين خط
 في الرمل ويسمونه النجم وطرق الحصى والمحسوب ويسمونه الحاسب ونظر في المرايا
 والمياه ويسمونه ضارب المتدل وهو من المنكرات العاشية في الامصار لما تقرر في الشريعة
 من ذم ذلك وان الشرححويون عن العيب الا من اطلعه الله عليه من عنده في يوم
 او ولاية واكثر ما يعني بذلك ويتطلع اليه الامراء والملوك في آماذ دولتهم ولذلك
 انصرفت العناية من اهل العلم اليه وكل امة من الامم يوجد لهم كلام من كاهن او معجم
 او ولي في مثل ذلك من ملك يرتقونه او دولة يحدثون اسمهم بها وما يحدث لهم من
 الحرب والملاحم ومنه فناء الدولة وعدد الملوك فيها والتعرض لاسائهم وبسبب مثل
 ذلك الحدتان وكان في العرب الكهان والعرافون يرجعون اليهم في ذلك وقد اخبروا
 بما سيكون للعرب من الملك والدولة كما وقع لنتق و سطيج في ثاويل روياربيعة بن
 لسر من ملوك اليمن احبرهم بملك الحشة بلادهم ثم رجوعها اليهم ثم طهر الملك والدولة
 للعرب من بعد ذلك وكذا ثاويل سطيج لروبا المودان حين بعث اليه كسرى بهامع
 عند المسبح واخبرهم بظهور دولة العرب وكذا كان في جبل البرز كهان من اشهرهم
 موسى بن صالح من بني يفرن ويقال من عمره ثلث كلمات حدثانية على طريقة الشعير
 برطانتهم وفيها حدتان كثير ومعتمة فيما يكون لرئاسة من الملك والدولة بالعرب وهي
 متداولة بين اهل الحيل وهم يرجعون ثارة اليه ولي وثارة اليه كاهن وقد يرجع بعض مراعيهم
 انه كان سيالان ناريجه عدم قبل العجوة بكثير والله اعلم وقد يستند الحيل الى خبر
 الاسياء ان كان لعهدهم كما وقع لبي اسرائيل فان اسياء المتعاقبين فيهم كانوا يخبرونهم
 بمثل ما يعنونهم في السؤال عنه . واما في الدولة الاسلامية فوقع منه كثير فيما يرجع
 الى بقاء الدنيا ومدتها على العموم وفيما يرجع الى الدولة واعمارها على الخصوص وكان
 المعتمد في ذلك في صدر الاسلام اثار منقولة عن الصحابة وخصوصا مسلمة بني اسرائيل
 مثل كعب الاحبار ووهب بن مسه وامثالهما وربما اقتبسوا بعض ذلك من ظواهر
 ماثورة وثاويلات محتملة ووقع لجمع وامثالها من اهل البيت كثير من ذلك مستند
 فيه والله اعلم الكشف بما كانوا عليه من الولاية واذ كان مثله لا يكره من غيرهم من
 الاولياء في ذوبهم واعقابهم وقد قال صلى الله عليه وسلم ان فيكم محدثين فهم اولي الناس
 بهذه الرتب الشريفة والكرامات الموهوبة واما بعد صدر الملة وحين علق الناس على
 العلوم والاصطلاحات وترجمت كتب الحكماء الى اللسان العربي فاكثر معتقدهم في ذلك

كلام المنجمين في الملك والدول وسائر الامور العامة من القرانات وفي الموالب
 والمسائل وسائر الامور الخاصة من الطوالع لما وهي شكل الملك عد حدودها فلندكر
 الان ما وقع لاهل الان في ذلك ثم رجع لكلام المنجمين . اما اهل الاثر فلم في مدة
 الملل وبقاء الدنيا على ما وقع في كتاب السهيلي فانه نقل عن الطبري ما يقتضي ان مدة
 بقاء الدنيا منذ الملة خمسمائة سنة ونقص ذلك بظهور كذب ومستند الطبري في ذلك انه
 نقل عن ابن عباس ان الدنيا جمعة من جمع الاخرة ولم يذكر لذلك دليلاً وسره والله
 اعلم نقدر الدنيا بايام خلق السموات والارض وهي سبعة ثم اليوم بالغ سنة لقوله وان
 يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون قال وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال اجلكم في اجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى غروب الشمس
 وقال نعتت انا والساعة كهاتين وأشار بالسابعة والوسطى وقدر ما بين صلاة العصر
 وغروب الشمس حين صيرورة ظل كل شيء مثليو يكون على التقريب نصف ساع
 وكذلك وصل الوسطى على السابعة فتكون هذه المدة نصف ساع الجمعة كلها وهو خمسمائة
 سنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لى يعجز الله ان يوخر هذه الامة نصف يوم فدل
 ذلك على ان مدة الدنيا قبل الملة خمسة الاف وخمسمائة سنة وعن وهب بن مسه انها
 خمسة الاف وستمائة سنة اعني الماضي وعن كعب ان مدة الدنيا كلها ستة الاف سنة قال
 السهيلي وليس في الحديثين ما ينهد لتيء مادكره مع وقوع الوجود بمجلاوه فاما قوله لى
 يعجز الله ان يوخر هذه الامة نصف يوم فلا يقتضي نبي الريادة على الصف واما قوله
 نعتت انا والساعة كهاتين فاما فيه الاشارة الى القرب واسه ليس بينه وبين الساعة نبي
 غيره ولا شرع غير شرعه ثم رجع السهيلي الى تعيين أمد الملة من مدرك اخر لو ساعد
 التحقيق وهوانه جمع الحروف المقطعة في اوائل السور بعد حذف المكرر قال وهي اربعة
 عشر حرفاً مجتمعا قولك (الم يسطع بص حق كره) فاخذ عددها بحساب الجمل فكان
 سعمائة وثلاثة^(١) اضافة الى المقضي من الالف الاخرة قبل نعتيه هذه هي مدة الملة قال
 ولا يعد ذلك ان يكون من مقتضيات هذه الحروف وفوائدها قلت وكونه لا يعد
 لا يقتضي ظهوره ولا التعويل عليه والذي حمل السهيلي على ذلك انما هو ما وقع في كتاب
 السير لابن اسحاق في حديث ابني اخطب من اخبار اليهود وهما ابو ياسر واخوه يحيى حين

١ هذا العدد غير مطابق كما ان المرحم الركن لم يطابق في قوله ٦٤ ولما المطابق للحروف المذكورة ٦٦٢ وعن
 المطابق لما سذكره عن يعقوب الكندي في اول الصفحة ١٦٤ عادهب اليو قاله مصر

سمعا من الاحرف المقطعة الم وتاولاها على بيان المدة بهذا الحساب فبلغت احدى
وسعين فاستقلا المدة وجاء حتى الى النبي صلى الله عليه وسلم يسالة هل مع هذا غيره
فقال المص ثم استزاد الرثم استزاد المرفكات احدى وسعين ومائتين فاستطال المدة
وقال قد لس عليا امرك يا محمد حتى لا يدري اقليلًا اعطيت ام كثيرًا ثم ذهبوا عنه
وقال لم ابو ياسر ما يدريكم لعله اعطى عددها كلها تسعمائة واربع سبن قال اس
اسحاق فزل قوله تعالى من آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات ١٠٠ ولا يقوم
من القصة دليل على تقدير المدة بهذا العدد لان دلالة هذه الحروف على تلك الاعداد
ليست طبيعية ولا عقلية وإنما هي بالتواضع والاصطلاح الذي يسمونه حساب الحمل نعم
انه قد تم مشهور وقدم الاصطلاح لا يصير محجة وليس ابو ياسر واحوجه حتى من يؤخذ رايه
في ذلك دليلًا ولا من علماء اليهود لانهم كانوا بادية بالمحار غلبا عن الصانع والعلوم حتى
عن علم شريعتهم وفقه كتابهم وملتهم وإنما يتلقون مثل هذا الحساب كما تتلقفه العوام في
كل ملة فلا يهتد للسبيل دليل على ما ادعاه من ذلك وقوع في المائة في حدتان دولتها
على الخصوص مسد من الاتراحالي في حديث حرجه ابو داود عن حذيفة بن اليمان من
طريق شيوخ محمد بن يحيى الذهلي عن سعيد بن ابي مريم عن عبد الله بن مروح عن
اسامة بن زيد اللبني عن ابي قبيصة بن ذؤيب عن ابيه قال قال حذيفة بن اليمان والله
ما ادري اني اصحابي ام نساءه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم مر قائد فنة
الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثائة فصاعدًا الا قد ساء لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته
وسكت عليه ابو داود وقد تقدم انه قال في رسالته ما سكت عليه في كتابه هو صالح
وهذا الحديث اذا كان صحيحًا فهو محمل ويتفرق في بيان احماله وتعيين مهماته الى اثار
اخرى يهود اما ايدها وقد وقع اساده هذا الحديث في غير كتاب السن على غير هذا
الوجه فوقع في الصحيحين من حديث حذيفة ايضا قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما خطيبًا فما ترك شيئًا يكون في مقامه ذاك الى قيام الساعة الا حدث عنه حطة من
حطته ونسيه من نسيه قد علمنا صحاحه هؤلاء ١٠٠ وانظر البخاري ما ترك شيئًا الى قيام الساعة
الا ذكره وفي كتاب الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري قال قال صلى الله عليه وسلم
صلى الله عليه وسلم يومًا صلاة العصر مهارتم قام خطيبًا فلم يدع شيئًا يكون الى قيام الساعة
الا احربا به حطة من حطته ونسيه من نسيه ١٠٠ وهذه الاحاديث كلها محمولة على ما
نمت في الصحيحين من احاديث الفتن والاشراط لا غير لانه المعهود من التارخ صلوات

حينئذ جده عبيد الله فابن الظلمو رر من البلد فزمره وانتم الى ناحية الزراب
 فظلمه وقتله ومثل هذه الاخبار عديم كثيرة . واما المحبون فيسندون في حدثان
 الدول الى الاحكام النجوية اما في الامور العامة مثل الملك والدول فمن القرائن
 وخصوصا بين العلويين وذلك ان العلويين زحل والمشتري يقتربان في كل عشرين
 سنة مرة ثم يعود القرائن الى برج اخر في تلك المثلثة من التثليث الايمن ثم بعده الى اخر
 كذلك الى ان يتكرر في المثلثة الواحدة ثني عشرة مرة تستوي بروحه الثلاثة في ستين
 سنة ثم يعود فيستوي بها في ستين سنة ثم يعود ثالثة ثم رابعة فيستوي في المثلثة ثني
 عشرة مرة واربع عودات في مائتين واربعين سنة ويكون انتقاله في كل برج على التثليث
 الايمن وينقل من المثلثة الى المثلثة التي تليها اعني البرج الذي يلي البرج الاخير من
 القرائن الذي قبله في المثلثة وهذا القرائن الذي هو قران العلويين ينقسم الى كبير وصغير
 ووسط فالكبير هو اجتماع العلويين في درجة واحدة من الفلك الى ان يعود اليها بعد
 تسعمائة وستين سنة مرة واحدة والوسط هو اقتران العلويين في كل مثلثة اثني عشرة مرة بعد
 مئتين واربعين سنة ينتقل الى مثلثة اخرى والصغير هو اقتران العلويين في درجة برج وبعد
 عشرين سنة يقتربان في برج اخر على تثلثه الايمن في مثل درجة او دقائقه مثال ذلك وقع
 القرائن اول دقيقة من الحمل وبعد عشرين يكون في اول دقيقة من القوس وبعد عشرين
 يكون في اول دقيقة من الاسد وهذه كلها مارية وهذا كله قران صغير ثم يعود الى اول
 الحمل بعد ستين سنة ويسمى دور القرائن وعود القرائن وبعد مائتين واربعين ينتقل
 من المارية الى الترابية لانها بعدها وهذا قران وسط ثم ينتقل الى الهوائية ثم المائية ثم
 يرجع الى اول الحمل في تسعمائة وستين سنة وهو الكبير والقران الكبير يدل على عظام
 الامور مثل تغيير الملك والدولة وانتقال الملك من قوم الى قوم والوسط على ظهور
 المتغلبين والطالبيين للملك والصغير على ظهور المخارج والدعاة وخراب المدن او عمرائها
 ويقع اناء هذه القرائنات قران الحسنيين في برج السرطان في كل ثلاثين سنة مرة ويسمى
 الرابع وبرج السرطان هو طالع العالم وفيه وبال رحل وهبوط المريج فتعظم دلالة هذا
 القرائن في الفتن والمحروب وسلك الدماء وظهور المخارج وحركة العساكر وعصيان
 المجد والوباء والفتن ويوم ذلك او ينهي على قدر السعادة والنجاسة في وقت قرائنها
 على قدر تيسر الدليل فيه قال جراسر احمد المحاسب في الكتاب الذي له لنظام
 الملك ورجوع المريج الى العقرب له اثر عظيم في الملة الاسلامية لانه كان دليلها فالمولد

النبي كان عند قران العلويين ببرج العقرب فلما رجع هالك حدث التشويش على
المخلفاء وكثر المرض في اهل العلم والدين ونقص احوالهم وربما انهزم بعض بيوت
العبادة وقد يقال انه كان عند قتل علي رضي الله عنه ومروان من بني امية والمتوكل
من بني العباس فاذا روعيت هذه الاحكام مع احكام القرانات كانت في غاية الاحكام.
وذكر شاذان البلخي ان الملة تنتهي الى ثلاثمائة وعشرين وقد ظهر كذب هذا القول وقال
ابو معشر يظهر بعد المائة والخمسين منها اختلاف كثير ولم يصح ذلك وقال جراس رايت
في كتب القدماء ان المجمين اخروا كسرى عن ملك العرب وظهر النبوة فيهم وان
دليلهم الزهرة وكانت في شرفها فيبقى الملك فيهم اربعين سنة وقال ابو معشر في كتاب
القرانات القسمة اذا انتهت الى الساعة والعشرين من المحوت فيها شرف الزهرة ووقع
القران مع ذلك برج العقرب وهو دليل العرب ظهرت حينئذ دولة العرب وكان منهم
نبي ويكون قوة ملكه ومدته على ما نفي من درجات شرف الزهرة وهي احدى عشرة
درجة تقرب من برج المحوت ومدة ذلك ستمائة وعشرين سنة وكان ظهور ابي مسلم عند
انتقال الرهرة ووقع القسمة اول الحمل وصاحب المجد المشتري وقال يعقوب اس
اصحاق الكندي ان مدة الملة تنتهي الى ستمائة وثلاث وتسعين سنة قال لان الرهرة كانت
عند قران الملة في ثمان وعشرين درجة وثلاثين دقيقة من المحوت فالباقي احدى عشرة
درجة وثمان عشرة دقيقة ودقائقها ستون فيكون ستمائة وثلاثاً وتسعين سنة قال وهذه مدة
الملة باتفاق الحكماء وبعضه الحروف الواقعة في اول السور بحذف المكرر واعتبار
بحساب الجمل قلت وهذا هو الذي ذكره السهلي والغالب ان الاول هو مستند السهلي
فيما نقلناه عنه قال جراس سأل هرمز افريد الحكيم عن مدة اردشير وولده ملوك
الساسانية فقال دليل ملكه المشتري وكانت في شرفه فيعطى اطول السنين واجودها
اربعمائة وسبعاً وعشرين سنة ثم تريد الزهرة وتكون في شرفها وهي دليل العرب فيملكون
لان طالع القران الميزان وصاحبه الرهرة وكانت عند القران في شرفها فدل انهم يملكون
الف سنة وستين سنة وسأل كسرى امشروان وزهره زبرجهم الحكيم عن خروج
الملك من فارس الى العرب فاخبره ان القامم منهم يولد لحسن واربعين من دولته وملك
المشرق والمغرب والمشتري يغوص الى الزهرة وينقل القران من الهوائية الى العقرب
وهو مائي وهو دليل العرب فهذه الادلة تقضي للملة بمدة دور الزهرة وهي الف وستون
سنة وسأل كسرى اربوز اليوس الحكيم عن ذلك فقال مثل قول زبرجهم وقال

توفيل الرومي المنجم في أيام بني أمية أن ملة الاسلام تبقى مدة القرون التسعائة وستين سنة فاذا عاد القرون الى سرج العنبر كما كان في ابتداء الملة وتغير وضع الكواكب عن هيئتها في قران الملة فيميتد اما ان يمتد العمل به او يتجدد من الاحكام ما يوجب خلاف الظن قال جراس وافقوا على ان خراب العالم يكون باستيلاء الماء والبار حتى يهلك سائر المكوبات وذلك بعد ما يقطع قلب الاسد اربعاً وعشرين درجة وهي حد المريج وذلك بعد مضي تسعائة وستين سنة وذكر جراس ان ملك رالمستان بعث الى المامون يحكيه ديوان اتحمه به في هدية وانه تصرف للمامون في الاختيارات بحروب اخيه ويعقد اللواطاهران المامون اعظم حكمته فسأله عن مدة ملكهم فاخبره بانقطاع الملك من عقبه وانصالي في ولد اخيه وان العجم يتغلبون على الخلافة من الديلم في دولة سنة خمس و يكون ما يريد الله ثم يسوء حالهم ثم تظهر الترك من شمال المشرق فيملكون الى الشام والبرات وسجور و سيملكون بلاد الروم ويكون ما يريد الله فقال للمامون من اين لك هذا فقال من كتب الحكماء ومن احكام صصه ن داهر الهندي الذي وضع التطريخ قلت والترك الذين اشار الى ظهورهم بعد الديلم هم السلجوقية وقد انقصت دولتهم اول القرن السابع قال جراس وانتقال القرون الى الثلثة المائتة من سرج الحوت يكون سنة ثلاث وتلاثين وثمانتة ليرد حردو بعدها الى سرج العنبر حيث كان قران الملة سنة ثلاث وخمسين قال والذي في الحوت هو اول الانتقال والذي في العنبر يستخرج منه دلائل الملة قال ونحو بل السنة الاولى من القرون الاولى في الثلثات المائتة في ثاني رجب سنة ثمان وستين وثمانتة ولم يستوف الكلام على ذلك . واما مستند المنجمين في دولة على الخصوص فمن القرون الاوسط وهيئة الملك عدد وقوعه لانه دلالة عدم على حدوث الدولة وحفاتها من العمران والقائمين بها من الامم وعدد ملوكهم واسمائهم واعمارهم ونحلهم واديانهم وعوائدهم وحرورهم كما ذكرنا في كتابي في القرونات وقد توجد هذه الدلالة من القرون الاصفرا اذا كان الاوسط دالاً عليه من هذا يوجد الكلام في الدول . وقد كان يعقوب ابن اسحاق الكندي منجم الرشيد والمامون وضع في القرونات الكائنة في الملة كتاباً سماه التبعة بالجهر باسم كتابهم المنسوب الى جعفر الصادق وذكر فيه فيما يقال حدثنا دولة بني العباس وانها نهايتهم وانتار الى افراسها والحادثة على بغداد انها تقع في انتصاف المائة السابعة وان اقراسها يكون اقراض الملة ولم يقف على نبي من خبر هذا الكتاب ولا راينا من وقف عليه ولعله غرق في كتبهم التي طرحها

هلاكو ملك النتر في دجلة عند استيلائهم على بغداد وقتل المستعصم آخر الخلفاء وقد وقع بالمغرب جرة مسووب الى هذا الكتاب يسمونه البحر الصغير والظاهر انه وضع لني عبد المؤمن لذكر الاولين من ملوك الموحدين فيه على التفصيل ومطابقة من تقدم عن ذلك من حديثه وكذب ما بعده وكان في دولة بني العباس من بعد الكندي منجبون وكتب في الحداثان وانظر ما نقله الطبري في اخبار المهدي عن ابي بديل من اصحاب صنائع الدولة قال بعث اليّ الربيع والحسن في غرانتها مع الرشيد ايام ابي محمدتجتها جوف الليل فادا عندها كتاب من كتب الدولة يعني الحداثان واذا مدة المهدي فيه عتر سبع فقلت هذا الكتاب لاجبي على المهدي وقد مضى من دولته ما مضى فاذا وقف عليه كنتم قد بعتم اليه نفسه قالوا فما الحيلة فاستدعيت عبسة الوراق مولى آل بديل وقلت له اسخ هذه الورقة واكتب مكان عشرين فعلم فوالله لولا اني رايت العترة في تلك الورقة والاربعين في هذه ما كنت اشك انها هي ثم كتب الناس من بعد ذلك في حداثان الدول مطوياً ومثوراً ورجحاً ما شاء الله ان يكتبوه وبايدي الناس متفرقة كثير منها ونسي الملاحم وبعضها في حداثان الملة على العموم وبعضها في دولة على الخصوص وكلها مسوبة الى مشاهير من اهل الخليفة وليس منها اصل يعتمد على روايته عن واضعو المسووب اليه من هذه الملاحم بالمغرب قصيدة اس مرانة من بحر الطويل على روى الراي وهي متلاوة بين الناس وتحسب العامة انها من الحداثان العام فيطلتونها الكثير منها على الحاضر والمستقبل والذي سمعاه من شيوخنا انها مخصوصة بدولة لثونة لان الرجل كان قبيل دولتهم وذكر فيها استيلاءهم على سبعة من يد مولاي بني حمود وملكهم لعدوة الاندلس ومن الملاحم بيد اهل المغرب ايضاً قصيدة تسمى النعية اولها

طربت وما ذاك مي طربت وقد يطرّب الطائر المنقصب

وما ذاك مني للهو أراه ولكن لتذكّار بعض السبب

قريباً من خمسمائة بيت او الف فيما يقال ذكر فيها كثيراً من دولة الموحدين وأشار فيها الى العاطي وغيره والظاهر انها مصوعة ومن الملاحم بالمغرب ايضاً معلقة من الشعر الرجلي منسوبة لبعض اليهود ذكر فيها احكام القرائات لعصره العلويين والحسين وغيرها وذكر ميتة قتيلاً ناس وكان كذلك فيما رعموه واوله

في صغ ذا الازرق لشرفه خيارا فاقموا يا قوم هدي الاشارا

نجم زحل اخبر بذنبه العلما وبذل الشكلاوي سلا

شاشية زرقا بدل العماما وشاش أزرق بدل الغرارا

أيقول في آخره

قد تم هذا التجسس لاسان يهودي بصلب ببلق قاس في يوم عيد
حتى يحبه الناس من البوادي وقتله باقوم على الفراد
وايمانه نحو الخمسمائة وهي في القرانات التي دلت على دولة الموحدين ومن ملاح
المغرب ايضاً قصيدة من عروض المتقارب على روي الباء في حدثان دولة بني ابي حصص
تونس من الموحدين منسوبة لاسان الاروقال في قاضي قسنطينة الخطيب الكبير اس
علي بن باديس وكان بصيراً بما يقوله وله قدم في التقييم فقال لي ان هذا اس الانارليس
هو المحافظ الاندلسي الكاتب مقتول المستنصر وإنما هو رجل خياط من اهل تونس
تواطأت شهرته مع شهرة المحافظ وكان والذي رحمه الله تعالى بنشد هذه الايات من
هذه المحمة وفي بعضها في حظي مطلعها

عذيري من زمن قلب يفر سارقو الاشهر

ومنها

ويبعث من جيشه قائداً ويبنى هناك على مرقس

فتاتي الى السج اخاره فيقل كالجمل الاجرب

ويظهر من عدله سورة وتلك سياسة مستخبر

ومنها في ذكر احوال تونس على العموم

فأما رأيت^(١) الرسوم انمحت ولم يرفع حق لذي مصب

مخذ في الترحل عن تونس وودع معاملها وانصب

سوف تكون بها فتنة نصيب العربي الى المدرس

وروقت بالمغرب على محمة اخرى في دولة بني ابي حصص هؤلاء بتونس فيها بعد

السلطان ابي يحيى التبرعاشر ملوكهم ذكر محمد اخيه من بعده يقول فيها

وبعد ابي عبد الاله شقوفة ويعرف بالوثاب في نسخة الاصل

الا ان هذا الرجل لم يملكها بعد اخيه وكان يعني بذلك نفسه الى ان هلك ومن

الملاح في المغرب ايضاً الملمعة المنسوبة الى الهونني على لغة العامة في عروض البلد التي اولها

١ قوله فاما رأت اصله فان رأيت زبدت ما وأدعت في ان الشرطة المدفون بها خطأ وفي نسخة لها رأيت
والاولى هي الموحدة في نسخة التوسية اه قال في مصر

دعني بدعي الخائف	فترت الامطار ولم تنفر
واسفتت كلها الوبدان	واي ليلي وتنفسد
البلاد كلها تروى	فاولي ما ميل ما تدرى
ما بين الصيف والشتوى	والعام والربيع فخرى
قال حين صحت الدعوى	دعني نيكى ومن عذرى
انادي من ذي الازمان	فا القرن اشهد وقرى

وفي طويلة ومحفوظة بين عامة المغرب الاقصى والغالب عليها الوضع لانه لم يصح منها قول الاعلى تاويل تحرفة العامة او الحارث فيو من يتقلها من الخاصة ووقفت بالمشرق على ملحمة منسوبة لابن العربي الحاتمي في كلام طويل شبه الالغاز لا يعلم تاويله الا الله لظلاله اوراق عديدة ورموز ملفوفة واشكال حيوانات تامة وموس مقطعة ومماثل من حيوانات غريبة وفي اخرها قصيدة على روي اللام والغالب انها كلها غير صحيحة لانها لم تنشأ عن اصل علي من نجامة ولا غيرها وصحت ايضا ان هناك ملاحم اخرى منسوبة لابن سيناء وابن عتب وليس في شيء منها دليل على الصحة لان ذلك انما يؤخذ من القرانات ووقفت بالمشرق ايضا على ملحمة من حدثان دولة الترك منسوبة الى رجل من الضوفية يسمى الباجريفي وكلها الغاز بالحروف اولها

ان شئت تكشف سر الجفر ياسولي	من علم جفر وصي والد الحسن
فافهم وكن واعيا حرقا وجملة	والوصف فافهم كنفل الحاذق الفطن
اما الذي قبل عصري لست اذكره	لكنني اذكر الاقي من الزمن
بشهر يبيس يبقى بحا بعد خمستها	وحاء ميم بطيش نام في الكنتن
شين له اثر من تحت سرته	له القضاء قضى ابيه ذلك المتن
فصر والشام مع ارض العراق له	واذريحان في ملك الى اليمن

ومنها

واك بوران لما نال طاهرهم	الفانك البانك المعنى بالسم
لخلع سين ضعيف السن سين اتي	لا لوقاق ونون ذي قرف
قرم شجاع له عقل ومشورة	يبقى بجاء وامن بعد ذو سم

ومنها

من بعد باء من الاعوام قتله	علي المهورة مع الملك ذو اللسن
----------------------------	-------------------------------

ومنها

هذا هو الاعرج الكلي فاعلم به
 باقي من الشرق في حيتي يقدمهم
 بقتل دال ومثل الشام اجمعها
 اذا اتى رلرت باو بج مصر من اا
 طاء وظلاء وعين كلهم حسوا
 يسير القاف قافاً بعد جمعهم
 ويصون اخاءً وهو صالحهم
 تمت ولايتهم بالحاء لا احد
 في عصره فتى ناهيك من فتى
 عار عن القاف قاف جد بالفتح
 ابنت شجور على الاهلين والوطن
 رزل ما زال حاء غير منقطر
 هلكتا ويمتق اموالاً بلائس
 هون به ان داك الحص في سكن
 لاسم الالف سين لذلك بي
 من السين يداني الملك في الرمن
 ويقال انه اشار الى الملك الظاهر وقدم ابيه عليه بمصر

بأني اليه ايوه بعد هجرتو وطول غيبته والتنظف والزرن

وابانها كثيرة والعالسائها موضوعة ومثل صنعتها كان في القدم كثير ومعروف الانحال
 حكي المورخون لاخبار بغداد ان كان بها ايام مقتدر وراق ذكي يعرف بالدايالي
 بل الاوراق ويكتب فيها بخط عتيق برمز فيجرحوف من اسماء اهل الدولة ويشير بها
 الى ما يعرف ميلهم اليه من احوال الرفعة والحاء كالحاء ملاحم ويحصل على ما يريد منه
 من الدنيا وانه وضع في بعض دفاتره ميم مكررة ثلاث مرات وجاء به الى مطلع مولى المقتدر
 فقال له هذا كناية عليك وهو مطلع مولى المقتدر وذكره ما يرضاء وبالله من الدولة
 ونصب لذلك علامات بموه بها عليه فذل له ما اغناه به ثم وضعه للوزير ان القاسم س
 وهب على مطلع هذا وكان معرولاً فحاه باوراق مثلها وذكر اسم الوزير بمثل هذه الحروف
 وعلامات ذكرها وانه يلي الوزارة للثاني عشر من الحطباء وتستقيم الامور على يديه وينهر
 الاعداء وتعمر الديار في ايامه واقف مفتاحاً هذا على الاوراق وذكر فيها كواش اخرى
 وملاحم من هذا النوع مما وقع ومالم يقع وسب جمعة الى دايال فاعجب به مطلع ووقف
 عليه المقتدر واهتدى من تلك الامور والعلامات الى اس وهبوا كان ذلك سبباً لوزارته
 بمثل هذه الحيلة العريضة في الكذب والجهل بمثل هذه الالغار والظاهرات هذه المحبة
 التي ينسونها الى الباجري من هذا النوع . ولقد سألت اكمل الدين ابن شيخ الخنفة
 من العجم بالديار المصرية عن هذه المحبة وعن هذا الرجل الذي تنسب اليه من الصوفية
 وهو الباجري وكان عارفاً بطرائقهم فقال كان من القلندرية المبتدعة في خلق المحبة

وكان يتحدث عما يكون طريق الكشف ويومي الى رجال معينين عنه وبلغر عليهم
بحروف بعينها في ضمنها لم يراه منهم وربما يظهر نظم تلك في ابيات قليلة كان يتعاهدها
فتنقلت عنه وولع الناس بها وحملوها المحممة مرموزة ورد فيها الخراصون من ذلك الجبس
في كل عصر وشعل العامة فك رموزها وهو امر ممنوع اذ الرمز انما يهدي الى كتمه قامون
يعرف قبلة وبوصلة واما مثل هذه الحروف فدلائلها على المراد منها مخصوصة بهذا
الظم لا يتجاوز فرايت من كلام هذا الرجل الماض شفاء لما كان في النفس من امر هذه
المحممة وما كما لهندي لولا ان هدانا الله والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

الفصل الرابع

من الكتاب الاول

في البلدان والامصار وسائر العرما وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه سوانق ولواحق

الفصل الاول

في ان الدول اقدم من المدن والامصار وانما توجد ثابتة عن الملك وبيانه ان
الساء واخطاط المارل انما هو من مازع الحصار التي يدعوا اليها الترف والدعة كما
قدماء وذلك متأخر عن الدابة ومنار عها وايضا فالمدن والامصار ذات هياكل واجرام
عظيمة وبناء كبير وفي موضوعة للعموم لا للخصوص فحتاج الى اجتماع الايدي وكثرة
التعاون وليست من الامور الضرورية للناس التي نعم بها اللوى حتى يكون نزوعهم
اليها اضطرارا بل لاند من اكرامهم على ذلك وسوقهم اليه مصطهين بعضا الملك او
مرغبين في الثواب والاجر الذي لا يبي ككثيره الا الملك والدولة فلا بد في تصير
الامصار واخطاط المدن من الدولة والملك ثم اذا بنيت المدينة وكل تشييدها بحسب
نظم من شيدها وبما اقتضته الاحوال السماوية والارضية فيها فمر الدولة حينئذ عمرها
فان كان عمر الدولة قصيرا وقف الحال فيها عند انتهاء الدولة وتراجع عمرانها وخرست
وان كان امد الدولة طويلا ومدنها منصفحة فلا تزال المصانع فيها تشاد والتمارل الرحمة
تكثر وتعدد ويطاق الاسواق يتسع وينفتح الى ان تنسع الخطة وتعد المسافة وينفتح
ذرع المساحة كما وقع بغداد وامثالها. ذكر الخطيب في تاريخه ان الحمامات بلغ عددها بعدد
لهد المامون خمسة وستين الف حمام وكانت مشتملة على مدن وامصار متلاصقة ومتقاربة

تجاوز الاربعين ولم تكن مدينة وحدها يجمعها سور واحد لافراط العمران وكذا حال
 النيروان وقرطبة والمدينة في الملة الاسلامية وحال مصر القاهرة بعدها فيها لهذا العهد
 واما بعد اقراض الدولة المنهدة للمدينة فاما ان يكون لصواحي تلك المدينه وما قاربها
 من الحمال والسائط باديه يهدا العمران دائماً فيكون ذلك حافظاً لوجودها ويستمر عمرها
 بعد الدولة كما تراه فاس وبجاية من المغرب وبعراق العجم من المشرق الموجود لها العمران
 من الحمال لان اهل الدواة اذا انتهت احوالهم الى عاياتها من الرفه والكسب تدعو الى
 الدعة والسكون الذي في طبيعة البشر فيترلون المدن والامصار ويتاهلون واما اذا لم
 يكن لتلك المدينة المؤسسة مادة تبنيها العمران بترادف الساكن من بدوها فيكون
 اقراض الدولة حرقاً لساكنها فيزول حفظها ويتناقص عمرانها شيئاً فشيئاً الى ان يذعر
 ساكنها ويخرب كما وقع بمصر. وعداد والكوفة بالمشرق والنيروان والمدينة وقلعة بني
 حماد بالمغرب وامثالها فتهمه وربما ينزل المدينة بعد اقراض محيطها الاولين ملك اخر
 ودولة ثانية يخفها قراراً وكريماً يستغني بها عن اخنطاط مدينة ينزلها فتحفظ تلك الدولة
 سياجها وتترادف مساكنها ومصانعها بتزايد احوال الدولة الثانية وترفها وتنفذ بعمرانها
 عمراً اخر كما وقع فاس والقاهرة لهذا العهد والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

الفصل الثاني

في ان الملك يدعو الى نزول الامصار

وذلك ان الفنائل والعصائب اذا حصل لم الملك اضطروا للاسبلاء على الامصار
 لارمين احدها ما يدعو اليه الملك من الدعة والراحة وحط الانتقال واستكمال ما كان
 ناقصاً من امور العمران في البدو والثاني دفع ما يتوقع على الملك من امر المزارعين
 والمشاعين لان المصر الذي يكون في براجمهم ربما يكون لمحا لم يروم مزارعتهم والخروج
 عليهم وابتراع ذلك الملك الذي سمو اليه من ايديهم فيعتصم بذلك المصر ويقال لهم
 ومقالة المصر على نهاية من الصعوبة والمشقة والمصر يقوم مقام العساكر المتعددة لما فيه
 من الامتناع وبكايه الحرب من وراء الجدران من غير حاجة الى كثير عدد ولا عظيم
 شوكة لان الشوكة والعصانة اما احتيج اليها في الحرب للثبات لما يقع من بعد كره القوم
 بعضهم على بعض عند الجولة وثبات هؤلاء بالجدران فلا يضطرون الى كبر عصابة ولا
 عدد فيكون حال هذا الحصن ومن يعتصم به من المزارعين ما يمت في عضد الامة التي

تروم الاستيلاء ويخضع شوكة استيلائها فإذا كانت بين اجنابهم امصار انتظوها في
استيلائهم للامس من مثل هذا الانخرام وإن لم يكن هناك مصر استحدثت ضرورة لتكامل
عمرانهم أولاً وحط اقتالم وليكون شجاء في حلق من يروم العرة والامتناع عليهم من طوائفهم
وعصائهم فنعين ان الملك يدعوا الى نزول الامصار والاستيلاء عليها والله سبحانه وتعالى
اعلم وبه التوفيق لا رب سواه

الفصل الثالث

في ان المدس العظيمة والهاكل المرتعة انما ينيدها الملك الكثير
قد قدما ذلك في اثار الدولة من المائي وغيرها وانها تكون على نسبتها وذلك ان
تشيد المدس انما يحصل باحتياج العملة وكثرتهم وتعاونهم فاذا كانت الدولة عظيمة متسعة
الملك حتر العملة من اقطارها وجمعت ايديهم على عملها وربما استعين في ذلك في اكثر
الامر بالهدام الذي يصاعف القوي والقدر في حمل اقبال الساء لعجز القوة الشريفة
وصعبها عن ذلك كالخال وغيره وربما يتوهم كثير من الناس اذا نظروا الى آثار الاقدمين
ومصانعهم العظيمة مثل ابيوان كسرى واهرام مصر وحيايا المعلقة وشرشال بالمغرب انما
كانت قد حرم متفرقين او مجتمعين فيخيل لهم احصاءاً تناسب ذلك اعظم من هذه بكثير
في طولها وقدرها لتناسب بينها وبين القدر التي صدرت تلك المائي عنها ويفعل عن
شان الهدام والخال وما اقتضته في ذلك الصناعة الهندسية وكثير من المتفلسين في البلاد
يعاين في شان الساء واستعمال الحبل في نقل الاحرام عند اهل الدولة المعتنين بذلك
من العجم ما ينفذه لما قلناه عياناً واكثر اثار الاقدمين لهذا العهد تسميها العامة عادية
نسبة الى قوم عاد لتوهم ان مساكن عاد ومصانعهم انما عطلت لعظم اجسامهم وتضاعف
قدرهم وليس كذلك فقد شهد اثاراً كثيرة من آثار الذين تعرف مقادير اجسامهم من
الام وهي في مثل ذلك العظم او اعظم كابيوان كسرى ومساكن السيديين من الشيعة
بافريقية والصنهاجيين واثرهم ياتي الى اليوم في صومعة قلعة بني حماد وكذلك ساء الاغالبية
في جامع القيروان وبناء الموحدين في رباط النجع ورباط السلطان ابي سعيد لعهد اربعين
سنة في المنصورة بازاء فلسطين وكذلك الحنايا التي جلب اليها اهل قرطاجنة الماء في
القناة الراكدة عليها ماثلة لهذا العهد وغير ذلك من المائي والهاكل التي نقلت اليها اواخر
اهلها قرياً وبعيداً وتيقنا انهم لم يكونوا بافراط في مقادير اجسامهم وانما هذا رايي ولعل به

القصاص عن قوم عاد وثمود والعاقلة ونجد ميوت ثمود في الحجر مغنوة الى هذا العهد وقد
تست في الحديث الصحيح انها ببولهم يثر بها الركب المجازي أكثر السنين ويناهدونها
لا تريد في حوتها ومساحتها وسكها على المتعاهد وانهم ليس الغنم فيما يعتقدون من ذلك
حتى انهم ليزعمون ان عوج س عناق من جبل العاقلة كان يشاول السمك من البحر
طرباً فيستويه في الشمس يرمعون بذلك ان الشمس حارة فيما قرب منها ولا يعلمون ان الحر فيما
لدنيا هو الضوء لا انعكاس الشعاع بمقابلة سطح الارض والهواء واما الشمس في سها وغير
حارة ولا باردة واما في كوكب مضي لا مراح له وقد تقدم شيء من هذا في الفصل الثاني
حيث ذكرنا ان اثار الدولة على سنة قوتها في اصلها والله يخلق ما يشاء ويحكم ما يريد

الفصل الرابع

في ان الهياكل العظيمة حد الاستقلال سائتها الدولة الواحدة

والسبب في ذلك ما ذكرناه من حاحة البناء الى التعاون ومساعدة القدر البشرية
وقد تكون الماني في عظمها أكثر من القدر مردة او مصاعمة الهدام كما قلناه فيحتاج
الى معاودة قدر اخرى مثلها في ارمية متعاقبة الى ان تتم فينتدى الاول منهم بالساء
ويعتد الثاني والثالث وكل واحد منهم قد استكمل شأنه في حشر النقلة وجمع الايدي
حتى يتم القصد من ذلك ويكمل ويكون مائلاً للعيان بطله مر براه من الاحرس انه
سواء دولة واحدة وانطرق في ذلك ما قلناه المؤرخون في ساء سد مارب وان الذي ساء ساء
اس بنحس وساق اليه سبعين وادياً وعاقبة الموت عن انما هو فأنه ملوك حمير من بعده
ومثل هذا ما نقل في ساء قرطاحنة وقبائنها الراكة على الحيايا العادية وأكثر الماني
العظيمة في العال هذا شأنها ويتهد لذلك ان الماني العظيمة لعهدنا محمد الملك الواحد
يشرع في احنطاطها وتأسيسها فاما لم ينشع اثره من بعده من الملوك في انماها بقيت محالها
ولم يكمل القصد فيها ويتهد لذلك ايضاً انما محمد اتاراً كثيرة من الماني العظيمة نهر
الدول عن هدمها ونحريها مع ان الهدم ايسر من الساء كتكبر لال الهدم رجوع الى
الاصل الذي هو العدم والساء على خلاف الاصل فاذا وجدنا ساء تضعف قوتها البشرية
عن هدمه مع سهولة الهدم علما ان القدرة التي استنته مفرطة القوة وانما ليست اثر دولة
واحدة وهذا مثل ما وقع للعرب في ايوان كسرى لما اعتزم الرشيد على هدمه ونعت الى يحيى
ابن خالد وهو في محسوس يستتيره في ذلك فقال يا امير المؤمنين لا تفعل واتركه مائلاً

يستدل به على عظم ملك ابائك الذين سلبوا الملك لاهل ذلك المهكل فاتهمه في النصيحة وقال اخذته العزة للجد والله لا صرعة وشرع في هدمه وجمع الايدي عليه واتخذ له العوس وحماه بالار وصب عليه الخل حتى اذا ادركه العجز بعد ذلك كله وخاف النصيحة نعت الى يحيى يستنيره ثانياً في التجاني عن الهدم فقال يا امير المؤمنين لا تعمل واستمر على ذلك ثلثا يقال عمر امير المؤمنين وملك العرب عن هدم مصع من مصانع العجم فعرفها الرشيد واقصر عن هدمه وكذلك اتفق للمامون في هدم الاهرام التي بمصر وجمع البعلة لهدمها فلم يحل بطائل وترعوا في مقوفاتهم الى حور بين الحائط والظاهر وما بعده من الحيطان وهالك كان منتهى هدمهم وهو الى اليوم فيما يقال منهد ظاهر ويرعى الراعمون انه وحد ركازاً بين تلك الحيطان والله اعلم وكذلك حايا المعلقة الى هذا العهد تحتاج اهل مدينة تونس الى انتخاب المحارة لسائهم ونسجيد الصاع حجارة تلك الحايا بما حولون على هدمها الايام العديدة ولا يسقط الصغير من جدرانها الا بعد عصب الرين وتجنح له المحافل المشهورة تهتت منها في ايام صاي كثير والله خلقكم وما تعلمون

الفصل الخامس

فيما تحب مراعاته في اوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن المراعاة اعلم ان المدن قرار يتخذ الامم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعي فتور الدعة والسكون وتوجه الى اتحاد المنازل للقرار ولما كان ذلك القرار والملاوي وحسب ان يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لما قاما الحماية من المضار فيراعى لها ان يدار على مازها جميعاً سياج الاسوار وان يكون وضع ذلك في متمتع من الامكة اما على هضبة متوعدة من الحبل واما باستدارة محاورها حتى لا يوصل اليها الا بعد العور على حسر او قسرة فيصعب ما لها على العدو ويتصاعف امتناعها وحصنها وما يراعى في ذلك للحماية من الافات السماوية طيب الهواء للسلامة من الامراض فان الهواء اذا كان ركناً خبيثاً او محاوراً للمياه الفاسدة او مائع متعفة او مروج خبيثة اسرع اليها العفر من محاورتها فاسرع المرض للجوار الكائن في الاحالة وهذا مشاهد والمندس التي لم يراع فيما طيب الهواء كثيرة الامراض في العال وقد استمر بذلك في قطر العرب بلد قاس من بلاد الحريد بافريقية فلا يكاد ساكنها او طارقتها يجلس من حى العن نوحه ولقد يقال ان ذلك حادث فيها ولم تكن كذلك من قبل

ونقل الكري في سبب حدوثه انه وقع فيها حفر ظهر فيه اناء من نحاس مخنوم بالرصاص فلما فص خنامة صعد منه دخان إلى الجوف وانقطع وكان ذلك مبدا امراض الحميات فيه واراد بذلك ان الاماء كان متقللاً على بعض اعمال الطلسمات لوبائوه وانه ذهب سرّة بذهاب فرجع اليها العن والرواء وهذه الحكاية من مذاهب العامة وساحفهم الركيكة والبكري لم يكن من ساحة العلم واستنارة البصرة بحيث يدفع مثل هذا او يبين خرقه فتفلة كما سمعته والذي يكشف لك الحق في ذلك ان هذه الاهوية العننة اكثر ما يهيم بها المتعدين الاجسام وامراض الحميات ركودها فاذا تطلتها الريح ونشت وزهت بها يمينا وشمالاً خف شأن العن والمرض الناديين منها للحيوانات والبلد اذا كان كثير الساكن وكثرت حركات اهله فيتموج الهواء ضرورة وتحدث الريح المتخللة للهواء الراكدة ويكون ذلك معيماً له على الحركة والتموج واذا نف الساكن لم يجد الهواء معيماً على حركته وتوجهه وفي ساكناً راكناً وعظم عنده وكثر ضرره وبلد قاس هذه كانت عند ما كانت افريقية مستجدة العمران كثيرة الساكن تموج باهلها موجاً فكان ذلك معيماً على تموج الهواء واضطرابه وتعميف الاذى منه فلم يكن فيها كثير عس ولا مرض وعبد ما خف ساكنها ركدها واثارها المتعفن مساد مياهها فكثرت العس والمرض فهذا وجه لاغير وقد راينا عكس ذلك في بلاد وصعت ولم يراع نهياطيب الهواء وكانت اولاً قليلة الساكن فكانت امراضها كثيرة فلما كثرت سكانها انتقل حالها عن ذلك وهذا مثل دار الملك ساس لهذا العهد المسمى بالبلد الجديد وكثير من ذلك في العالم فتمهت تجد ما قلته لك واما جلب المافع والمرافق للبلد فبراعى فيه امور منها الماء ان يكون البلد على نهر او بارائها عيون عذبة ثرة فان وجود الماء قريباً من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وفي ضرورة فيكون لهم في وجوده مرفقة عظيمة عامة وما يراعى من المرافق في المدن طيب المراعى لسائقهم اذ صاحب كل قرار لابد له من دواجن الحيوان للتناج والصرع والركوب ولا بد لها من المرعى فاذا كان قريباً طيباً كان ذلك ارفق بحالهم لما يعانون من المشقة في بعده وما يراعى ايضاً المراعى فان الزروع في الاقوات فاذا كانت مزارع البلد بالقرب منها كان ذلك اسهل في اتخاذها واقرب في تحصيلها ومن ذلك الشجر الخشب والبناء فان الخشب ما نعم اللوى في اتخاذها لوقود النيران للاصطلاح والطبخ والخشب ايضاً ضروري لسقيهم وكثير ما يستعمل فيه الخشب من ضرورياتهم وقد يراعى ايضاً قربها من البحر لتسهيل الحاجات القاصية من البلاد النائية الا ان ذلك ليس بمثابة الاول وهذه صكها متفاوتة بتفاوت الحاجات وما

تدعو اليه ضرورة الساكن وقد يكون الواضع غافلاً عن حسن الاختيار الطبيعي او انما
يراعي ما هو اهم على نفسه وقوموه ولا يذكر حاجة غيرهم كما فعله العرب لاول الاسلام في
المدن التي اخطوها بالعراق وافريقية فاتهم لم يراعوا فيها الا الام عندهم من مراعي
الابل وما يصلح لها من الشجر والماء الملح ولم يراعوا الماء ولا المراعي ولا الحطب ولا مراعي
السائمة من ذوات الظلف ولا غير ذلك كالفيروان والكوفة والصرة وامثالها ولهذا كانت
اقرب الى الخراب لما لم تراعى فيها الامور الطبيعية

وما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر ان تكون في جبل او تكون بين امة
من الامم موقوفة العدد تكون صريحاً للمدينة متى طرفها طارق من العدو والسبب في
ذلك ان المدينة اذا كانت حاصرة البحر ولم يكن ساحتها عمران للقتال اهل العصابات
ولا موضعها متوعر من الحمل كانت في غرة للبيات وسهل لطروقها في الاساطيل البحرية
على عدوها وتجيئه لها لما يامس من وجود الصريح لما ورن الحصر المتعودين للدعة قد
صاروا عيالاً وخرجوا عن حكم المقاومة وهذه كالاسكدرية من المشرق وطرابلس من
المغرب وبونة وسلا ومضى كانت القنائل والعصائب موطئ قربها بحيث يبلغهم الصريح
والعبر وكانت متوعدة المسالك على من يرومها ما اخطأها في هصاب الجبال وعلى
اسمها كان لها بذلك سعة من العدو ويشلها من طرفها الماء يكادونه من وعرها وما
يتوقعونه من اجابة صريحها كما في سنته وبجاية وبلد القل على صغرها فاتهم ذلك واعنده
في اخنصاص الاسكدرية باسم الثغر من لدن الدولة العباسية مع ان الدعوة من ورائها
برقة وافريقية واما اعتر في ذلك المحافة المتوقعة فيها من البحر لسهولة وضعها ولذلك
والله اعلم كان طروق العدو للاسكدرية وطرابلس في الملة مرات متعددة والله تعالى اعلم

الفصل السادس

في المساجد والبيوت العظيمة في العالم

اعلم ان الله سبحانه وتعالى فضل من الارض بقاعاً اخنصها شتريه وجعلها مواطن
لعمادته يضاعف فيها الثواب ويموئها الاجور واخبرنا بذلك على السن رسوله وانبيائه
لطفاً بعباده وتسهلاً لطرق السعادة لهم . وكانت المساجد الثلاثة هي افضل بقاع
الارض حسباً ثبت في الصحيحين وهي مكة والمدينة وبيت المقدس اما البيت الحرام الذي
بمكة فهو بيت ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه امره الله سنائه وان يؤذن في الناس بالتحج

اليو فتناه هو واسه اسماعيل كما نصه القرآن وقام بما امره الله فيه وسكن اسماعيل به مع
 هاجرو من رل معهم من جرم الى ابن فضه الله ودفا بالحجر منه . وبنت المقدس سناه
 داود وسليمان عليها السلام امرها الله ساء مسجده . وصب هياكله ودفن كثير من
 الاسياء من ولد اسحاق عليه السلام حواله . والمدينة مهاجر سينا عباد صلوات الله وسلامه
 عليه امره الله تعالى بالهجرة اليها باقامة دين الاسلام بها في مسجده الحرام بها وكان
 لمجده الشريف في ترنها فهد المساجد الثلاثة قرة عين المسلمين ومهوى افتدنتهم وعطية
 دينهم وفي الانار من فصلها ومصاعبة الثواب في مجاورتها والصلاة فيها كثير معروف فلنتر
 الى شيء من الحجر عن اولية هذه المساجد الثلاثة وكيف تدرحت احواها الى ان اكمل
 ظهورها في العالم فاما مكة فالوليتها فيما يقال ان آدم صلوات الله عليه بناها فساله البيت
 المعمور ثم هدما الطوفان بعد ذلك وليس فيه خبر صحيح يعول عليه ولما اقتسب من
 محمل الاية في قوله وادبر مع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ثم بعث الله ابراهيم وكان
 من شاء وتاب روجن سارة وغيرها من هاجر ما هو معروف وادعى الله اليه ان يترك
 ابنه اسماعيل وامه هاجر بالعبادة موضعها في مكان البيت وسارعهما وكيف جعل الله لها
 من اللطف في سب ما رمر ومرور الرفقة من حرم بها حتى احملوها وسكنوا اليها وبرلوا
 معها حواله رمر كما عرف في موضعه فالتحد اسماعيل بموضع الكعبة بيتا باوى البيت وادار
 عليه ساجاس الردم وحمله رربا لعبد وجاء ابراهيم صلوات الله عليه راراً لربارته من
 الشام امر في اخرها ساء الكعبة فكان ذلك الرب فساء واستعان فيو بانو اسماعيل
 ودعا الناس الى حجو وفي اسماعيل ساكناً به ولما قصت امه هاجر وقام سوء من بعده
 بامر البيت مع اخوالهم من حرم ثم العالمين من بعدهم واستمر الحال على ذلك والناس
 يهرعون اليها من كل اقر من جميع اهل الخليفة لا من بني اسماعيل ولا من غيرهم من دنا
 او باى فقد نقل ان التسابعة كانت تحج البيت وتعظمه وان تعاكساها الملاء والوصائل
 وامر تطهيرها وحمل لها متاحاً ونقل ايضا ان الدرس كانت تحج وتقرّب اليه وان غرالي
 الذهب اللدين وجدها عند المطلب حين احنه رمر كانا من قرايهم ولم يزل لحرم
 الولاية عليه من بعد ولد اسماعيل من قبل خوئلهم حتى اذا حرحت خراقة واقاموا بها
 بعدهم ما شاء الله ثم كنز ولد اسماعيل واشتروا ونشعوا الى كانه ثم كانه الى قريش
 وغيرهم وساءت ولاية خراقة فقلنتهم قريش على امره واخرحوم من البيت وملكو عليه
 يومئذ قصى من كلاب في البيت وصقعه بحشب الدوم وحريد الخمل وقال الاعشى

خلفت شوي راهب الدور والتي بناها قصي والمضاض من جرم
 ثم اصاب البيت سيل ويقال حريق وتهدم واعادوا بناءه وجمعوا النفقة لذلك
 من اموالهم وانكسرت سفينة ساحل جدة فاشترى خشبها للسقف وكانت جدرانها فوق
 القامة فعملوها ثمانية عشر ذراعاً وكان الباب لاصفاً بالارض فعملوه فوق القامة لثلاث
 تدخله السيول وقصرت بهم النفقة عن انمامو فقصر على قواعد وتركوا منه ستة اذرع
 وشيراً اداروها بجدار قصير يطاف من ورائه وهو المحرور في البيت على هذا الساء الى
 ان تخصص الزبير بمكة حين دعا لنفسه وزحمت اليه حيوش يريدس معاوية مع
 الحصين بن عمار السكوني ورمى البيت سنة اربع وستين فاصاه حريق يقال من اللفظ
 الذي رموا به على س الزبير فاعاد ساءه احسن مما كان بعد ان اختلفت عليه الصحابة في
 سائوه واخبرهم عنهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها لولا قومك
 حديثو عهد بكمر لرددت البيت على قواعد ابراهيم ولجعلت له ما بين شرقياً وغربياً
 هدمه وكنت عن اساس ابراهيم عليه السلام وجمع الوحوش والاكار حتى عابوه وشار
 عليه س عباس الغفري في حفظ القلعة على الناس فادار على الاساس الحشيب ونصب
 من فوقها الاستار حطباً للقبلة ونعت الى صنعاء في البصة والكلس فعملها وسال عن
 مقطع الحجارة الاول فجمع منها ما احتاج اليه ثم شرع في الساء على اساس ابراهيم عليه السلام
 ورفع جدرانها سبعة وعشرين ذراعاً وحمل لها ما بين لاصفون بالارض كما روى في حديثه
 وحمل فرتها واررها بالرحام وصاع لها المانج وصنائح الابواب من الذهب ثم جاء
 الحجاج لحصاره ايام عد الملك ورمى على المسجد بالمحبيقات الى ان تصدعت حيطانها ثم
 لما طفر ناس الزبير شاوور عد الملك فيما ساءه وراده في البيت فامر بهدمه ورد البيت
 على قواعد قريش كما في اليوم ويقال انه دهم على ذلك حين علم صحة رواية ابن الزبير
 لحديث عائشة وقال وددت اني كنت حملت ما خبيب في امر البيت وسائوه ما تحمل
 فهدم الحجاج منها ستة اذرع وشيراً مكان المحرور بناها على اساس قريش وسد الباب
 الغربي وما تحت عننة بابها اليوم من الباب الشرقي وترك سائر هالم بغير منه شيئاً فكل
 الساء الذي فيه اليوم بناء س الزبير و ساء الحجاج في الحائط صلة ظاهرة للبيان لحمة
 ظاهرة بين البناءين والبناء متميز عن البناء بمقدار اصبع شبه الصدع وقد لم ويعرض
 هها اشكال قوي لما فاتوا لما بقوله الفقهاء في امر الطواف ويجدر الطائف ان يميل على
 الشاذروان الدائر على اساس الجدر من اسفلها فيقع طوافه داخل البيت ساء على ان

الجندر انما قامت على بعض الاساس وترك بعضه وهو مكان الشاخرطان وكذا قالوا في
 نفيل الحجر الاسود لانه من رجوع الطائف من التفيل حتى يستوي قائماً لئلا يقع بعض
 طوافه داخل البيت واذا كانت الجدران كلها من ماء ابن الزبير وهو انما بني على اساس
 ابراهيم فكيف يقع هذا الذي قالوه ولا مخلص من هذا الا ما حد امرين احدهما اما ان يكون
 الحجاج هدم جميعه واعاده وقد قبل ذلك جماعة الا ان العيان في شواهد الساء بالتحام
 ما بين الساءين وتميز احد الثنتين من اعلاه على الاخر في الصفاة برد ذلك واما ان
 يكون ابن الزبير لم يرد البيت على اساس ابراهيم مع جميع جهاته واما فعل ذلك في الحجر
 فقط ليدخله فهي الا ان مع كونه من بناء ابن الزبير ليست على قواعد ابراهيم وهذا بعيد
 ولا يحصى من هذين والله تعالى اعلم . ثم ان مساحة البيت وهو المسجد كان فضاء
 للطائفتين ولم يكن عليه حدر ليام الهي صلى الله عليه وسلم واني بكر من بعده ثم كثر الناس
 فاسترى عمر رضي الله عنه دوراً هدمها وزادها في المسجد وادار عليها جداراً دون القائمة
 وفعل مثل ذلك عقاب ثم ابن الزبير ثم الوليد بن عبد الملك وساء بعد الرخام ثم
 راد فيه المصور وابنة المهدي من بعده ووقعت الريادة واستقرت على ذلك لهذا .
 وتشريف الله لهذا البيت وعيائته به اكثر من ان يحاط به وكفى من ذلك ان جعله مهطاً
 للوحي والملائكة ومكاناً للصادق وفرض شعائر الحج ومساسكه واوجب الحرمه من سائر
 مواحيه من حقوق التعظيم والحق ما لم يوجب لغيره فمع كل من خالف دين الاسلام من
 دخول ذلك الحرم واوجب على داخله ان يتجرد من الخيط الا ازاراً يستتره وحى العائد
 به والرائع في مسارحه من مواقع الافات فلا يرام فيه خائف ولا يصاد له وحش ولا يخطب
 له شجر . وحد الحرم الذي يختص بهذه الحرمه من طريق المدينة ثلاثة اميال الى النعيم
 ومن طريق العراق سبعة اميال الى التنية من جبل المقطع ومن طريق الطائف سعة
 اميال الى بطن ثمره ومن طريق جدة سبعة اميال الى مقطع العشاير . هذا شان مكة
 وخبرها ونسب ام القرى ونسب الكعبة لعلوها من اسم الكعب ويقال لها ابصاً نكة قال
 الاصمعي لان الناس يلك بعضهم بعضاً اليها اي يدفع وقال مجاهد بانه مكة ابدلوهاميا كما
 قالوا لازب ولازم لقرب المخرجين وقال النخعي بالبلاء البيت والملم البلد وقال الزهري
 بالبلاء للمجد كلوه والملم للحرم وقد كانت الامم منذ عهد الجاهلية تعظمه والملوك تبعث
 اليه بالانوال والذخائر كسرى وغيره وقصة الاسياف وغزالي الذهب اللذين وجدها
 عبد المطلب حين احضر رمزم معروفة وقد وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

افتتح مكة في الحب الذي كان فيها سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان الملوك يهدون
 للبيت فيها ألف ألف دينار مكررة مرتين بمائتي قنطار وزناً وقال له علي بن ابي طالب
 رضي الله عنه يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يفعل ثم ذكر لاني مكر
 فلم يجرئه هكذا قال الارقي وفي البخاري يسنده الى ابي وائل قال جلست الى شيبه بن
 عثمان وقال جلس الي عمر بن الخطاب فقال هممت ان لا ادع فيها صفراء ولا بضاء
 الا قسمتها بين المسلمين قلت ما است فاعل قال ولم قلت فلم يفعله صاحبك فقال لها
 اللذان يقتدي بهما وخرجه ابو داود واس ماحه واقام ذلك المال الى ان كانت فتنة
 الافطس وهو المحسن بن الحسين بن علي بن علي زين العابدين سنة تسع وتسعين ومائة
 حين غلب على مكة عمد الى الكعبة فاخذ ما في خرائنها وقال ما تصنع الكعبة بهذا المال
 موضوعاً فيها لا يتبع روح احق به نستعين به على حربنا واخرجه وتصرف فيه وبطلت
 الدخيرة من الكعبة من يومئذ (واما بيت المقدس) وهو المجد الاقصى فكان اول
 امره ايام الصائفة موضع الرهرة وكانوا يقرءون اليه الريت فيما يقرءونه يصوبونه على الصخرة
 التي هناك ثم دثر ذلك المهكل واتخذها بنو اسرائيل حين ملكوها قبلة لصلاتهم . وذلك
 ان موسى صلوات الله عليه لما خرج بني اسرائيل من مصر لتخليكم بيت المقدس كما وعد
 الله امام اسرائيل وامامه يحيى من قبله واقاموا بارض التي امره الله بالتحاققة من خشب
 السند عيس بالوحي مقدارها وصفتها وهياكلها وثمانيتها وان يكون فيها التابوت ومائدة
 بصحافها ومارة فناديها وان يصنع مذبحاً للقران وصف ذلك كله في التوراة اكمل وصف
 فصنع القبة ووضع فيها تابوت العهد وهو التابوت الذي فيه الألواح المصونة عوضاً عن
 الألواح المنزلة بالكلمات العشر لما تكسرت ووضع المذبح عندها . وعهد الله الى موسى بان
 يكون هارون صاحب القران ويصلو تلك القبة بين خيامهم في التي يصلون اليها
 ويقرءون في المذبح امامها ويتعرضون للوحي عندها . ولما ملكوا الشام ونبت تلك القبة
 قبلهم ووضعوها على الصخرة بيت المقدس واراد داود عليه السلام بناء مسجده على
 الصخرة مكانها فلم يتم له ذلك وعهد به الى ابنه سليمان فبناه لاربع سنين من ملكه والخمسمائة
 سنة من وفاة موسى عليه السلام واتخذ عمده من الصخر وحمل به صرح الرجاج وغشى
 انواراً وحيطانه بالذهب وصاغ هياكله وثمانياته واوعيته ومنارته ومفتاحه من الذهب
 وحمل في ظهره قرناً يصع فيه تابوت العهد وهو التابوت الذي فيه الألواح وجاء به من
 صهيون بلداً به دارد فحمله الاساذ والكهوية حتى وضعه في القبر ووضعت القبة والاوعية

والمذبح كل واحد حيث اعد له من المسجد واقام كذلك ما شاء الله ثم خربة بخت نصر
بعد ثمانمائة سنة من بنائه واحرق التوراة والعصا وصاغ الهياكل ونثر الاحجار ثم لما اعادهم
ملوك الفرس بناء عزيز بني اسرائيل لعهده باعانة بهمن ملك الفرس الذي كانت
الولادة لبني اسرائيل عليه من سبي بخت نصر وحد لهم في بنائه حدوداً دون بناء سليمان
بن داود عليها السلام فلم يجاوزوها ثم تداولتهم ملوك يونان والفرس والروم واستفحل الملل
لبني اسرائيل في هذه المدة ثم لبني خمان من كهنتهم ثم لصهرهم هيردوس ولبنيه من بعده
وبني هيردوس بيت المقدس على بناء سليمان عليه السلام وتأثق فيه حتى اكمله في ست
سنين فلما جاء طيطس من ملوك الروم وغلبيهم وملك امهم خرب بيت المقدس ومسجدها
وامران بزرع مكانه ثم اخذ الروم يدين المسيح عليه السلام فدانوا بتعظيمه ثم اختلف حال
ملوك الروم في الاخذ بدين النصارى فارة وتركه اخرى الى ان جاء قسطنطين وتنصرت
امه هيلانة وارتملت الى المقدس في طلب الخشبة التي صلب عليها المسيح بزعمهم فاخبرها
القساوسة بانهم يخشونه على الارض والقي عليها القمامات والقاذورات فاستخرجت الخشبة
وبنت مكان تلك القمامات كنيسة القمامة كانت على قبره بزعمهم وهربت ما وجدت من
عمارة البيت وامرت بطرح الزبل والقمامات على الصخرة حتى غطاها وخفي مكانها جزاء
بزعمها لما فعلوه بقبر المسيح ثم بنوا بازاء القمامة بيت لحم وهو البيت الذي ولد فيه عيسى عليه
السلام وبقي الامر كذلك الى ان جاء الاسلام وحضر عمر الفتح بيت المقدس وسال عن
الصخرة فاري مكانها وقد علاها الزبل والتراب فكشف عنها وبني عليها مسجداً على طريق
البداوة وعظم من شانه ما اذن الله من تعظيمه وما سبق من ام الكتاب في فضله حسبما
ثبت ثم احتفل الوليد بن عبد الملك في تشييد مسجده على سنين مساجد الاسلام بما شاء الله
من الاحتفال كما فعل في المسجد الحرام وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وفي
مسجد دمشق وكانت العرب تسميه بلاط الوليد والزم ملك الروم ان يبعث النعلة والمال
لبناء هذه المساجد وان ينفقوها بالنسيئة فاطاع لذلك وتم بناؤها على ما اقترحه ثم لما
ضعف امر الخلافة اعوام الخمسمائة من الهجرة في اخرها وكانت في ملكة العبيد بن خلفاء
القاهر من الشيعة واخذ امهم زحف الفرنجة الى بيت المقدس فلكروهم وملكوا معه عامة
ثغور الشام وبنوا على الصخرة المقدسة من كنيسة كانوا يعظمونها وينفخون ببناءها حتى اذا
استقل صلاح الدين من ايوب الكردي بملك مصر والشام ومحاربت العبيد بن وبعدهم
زحف الى الشام وجاهد من كان يوم من الفرنجة حتى غلبهم على بيت المقدس وعلى ما كانوا

ملكوه من ثغور الشام وذلك لغوثنايين وخمسمائة من الهجرة وهدم تلك الكنيسة وظهر
الصخرة ونبي المسجد على النحو الذي هو عليه اليوم لهذا العهد ولا يعرض لك الاشكال
المعروف في الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن اول بيت وضع فقال
مكة قيل ثم ابي قال بيت المقدس قيل فكيف بينها قال اربعون سنة فان المدة بين بناء
مكة وبين بناء بيت المقدس بمقدار ما بين ابراهيم وسليمان لارسلان نبيوه وهو يبيف
على الالف بكثير واعلم ان المراد بالوضع في الحديث ليس البناء وإنما المراد اول بيت
عبر للعبادة ولا يعد ان يكون بيت المقدس عين للعبادة قبل بناء سليمان بمثل هذه المدة
وقد نقل ان الصائفة سوا على الصخرة هيكل الزهرة فلعل ذلك انها كانت مكانا للعبادة
كما كانت الجاهلية تصنع الاصنام والتماثيل حوالي الكعبة وفي حوفها والصائفة الذين بنوا
هيكل الزهرة كانوا على عهد ابراهيم عليه السلام فلا تعد مدة الاربعين سنة بين وضع
مكة للعبادة ووضع بيت المقدس وان لم يكن هناك بناء كما هو المعروف وان اول من
بنى بيت المقدس سليمان عليه السلام فتبهمه فيه حل هذا الاشكال . واما المدينة وهي
المسماة يثرب فهي من بناء يثرب اس مهلائيل من العالفة وملكها سوا اسرائيل من ايديهم
فما ملكوه من ارض الخجاز ثم جاورهم سوقيلة من غسان وغلوم عليها وعلى حصونها . ثم
امر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة اليها لما سقى من عناية الله بها فهاجر اليها ومعه اس
نكر وتسعة اصحابه وورل بها ونبي مسجده ويوته في الموضع الذي كان الله قد اعد له لذلك
وشرقة في سابق ازلوا واواه اساء قبيلة ونصروه فلذلك سموا الانصار وسمت كلمة الاسلام
من المدينة حتى علت على الكلمات وغلب على قومه وفتح مكة وملكها وظن الانصار انه
يقول عنهم الى ملده فاهمهم ذلك فحاط بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبرهم انه غير
يقول حتى اذا قضى صلى الله عليه وسلم كان لمحله الشريف بها وجاء في فضلها من
الاحاديث الصحيحة ما لا يخفى به ووقع الخلاف بين العلماء في تفصيلها على مكة ويوقال
مالك رحمه الله لما ثبت عنده في ذلك من النص الصريح عن رافع بن خديج ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال المدينة خير من مكة نقل ذلك عبد الوهاب في المعونة الى احاديث
اخرى تدل بظاهرها على ذلك وخالف ابو حنيفة والثافعي . واصبحت على كل حال ثابة
المسجد المحرام وفتح اليها الامم فاقتدتم من كل اوب فانظر كيف تدرجت البصلة في هذه
المساجد المعظمة لما سقى من عناية الله لها ونعم سر الله في الكون وتدرجه على ترتيب
محكم في امور الدين والدنيا . واما غير هذه المساجد الثلاثة فلا تعلية في الارض الا ما

يقال من شان مسجد ادم عليه السلام بسرنديب من جزائر الهند لكثرة ما يثبت فيه شيء
يعول عليه وقد كانت للامم في القديم مساجد يعطونها على جهة الديانة برغم منها بيوت
النار للفريسيين وهياكل يومان وبيوت العرب بالحجاز التي امر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمها
في غزواته وقد ذكر المسعودي منها بيوتاً لنا من ذكرها في شيء اذ هي غير مشروعة ولا
هي على طريق ديني ولا يلتزم اليها ولا الى المخبر عنها ويكفي في ذلك ما وقع في التواريخ
فمن اراد معرفة الاخبار فعليه بها والله يهدي من يشاء سبجانه

الفصل السابع

في ان المدن والامصار بافريقية والمغرب قليلة

والسبب في ذلك ان هذه الاقطار كانت للبربر منذ الاف من السنين قبل الاسلام
وكان عمرانها كلة بدوية ولم تستمر فيهم الحصار حتى تستكمل احوالها والدول التي ملكهم
من الافريقية والعرب لم يطل امد ملكهم فيهم حتى ترح الحصار منها فلم تزل عوائد الدواة
وتوئمتها فكامل اليها اقرب فلم تكثر مساكنهم وايضاً فالصنائع بعيدة عن البربر لانهم
اعرق في البدو والصنائع من تنوع الحصار ولما تم الماني بها فلا بد من المحذوق في
تعلمها فلما لم يكن للبربر انغال لها لم يكن لهم تشوق الى الماني فصلاً عن المدن وايضاً
فهم اهل عصبية وانساب لا يخلو عن ذلك جمع منهم والانساب والعصبية اجمع الى البدو
ولما يدعوا الى المدن الدعة والسكون ويصبر ساكنها عمالاً على حاميتها فيجد اهل البدو
لذلك يستكفون عن سكى المدينة او الاقامة بها ولا يدعوا الى ذلك الا الترف والغنى
وقليل ما هو في الناس فلذلك كان عمران افريقية والمغرب كلة او اكثر بدوية اهل
خيام وطواغيس وقياطر وكفن في الجبال وكان عمران بلاد العجم كلة او اكثر قرى
وامصاراً ورساتيق من بلاد الاندلس والنام ومصر وعراق الحميم وامثالها لان العجم في
الغالب ليسوا باهل اسباب يحاطون عليها ويتأخرون في صراحتها والتخامها الا في الاقل
واكثر ما يكون سكى البدو لاهل الاسباب لان لعبة النسب اقرب واشد فتكون عصبية
كذلك وتنزع صاحبها الى سكى البدو والتخافي عن المصر الذي يذهب بالسالة ويصره
عمالاً على غيره فاصمة وقس عليه والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

الفصل الثامن

في ان الماني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها الى من كان قبلها من الدول

والسبب في ذلك ما ذكرنا مثله في البربر يعنيوا ذا العرب ايضاً اعرق في البدن
 والبعد عن الصنائع وايضاً فكانوا اجانب من المالك التي استولوا عليها قبل الاسلام ولما
 تملكوها لم ينفع الامد حتى تستوفي رسوم الحضارة مع انهم استغنوا بها وجدوا من مباني
 غيرهم وايضاً فكان الدين اول الامر مانعاً من المغالة والبنيان والاسراف فيدعي غير
 القصد كما عهد لم عمر حين استأذنوه في بناء الكوفة بالحجارة وقد وقع الحريق في القصب
 الذي كانوا ينوون به من قبل فقال افعلو ولا يزيدن احد على ثلاثة ابيات ولا تطالوا
 في البنيان والزمو السنة تلزمكم الدولة وعهد الى الوفد وتقدم الى الناس ان لا يرفعوا
 بنياناً فوق القدر قالوا وما القدر قال مالا يقربكم من السرف ولا يخرجكم عن القصد
 فلما بعد العهد بالدين والفرج في امثال هذه المقاصد وغلبت طبيعة الملك والترف
 واستخدم العرب امة الفرس واخذوا عنهم الصنائع والمباني وودعتم اليها احوال الدعة
 والترف فحينئذ شبهوا المباني بالمصانع وكان عهد ذلك قريباً بانقراض الدولة ولم
 ينفع الامد لكثرة البناء واخطاط المدن والامصار الا قليلاً وليس كذلك غيرهم من
 الامم فالفرس طالت مدتهم الاقام من السنين وكذلك القبط والنبط والروم وكذلك
 العرب الاولى من عاد ونموذ والعائلة والتبابعة طالت آمادهم ورحمت الصنائع فيهم
 فكانت مبانيهم وهياكلهم اكثر عدداً وبقي على الايام اثراً واشتبهت في هذا العجدة كما
 قلت لك والله وارث الارض ومن عليها

الفصل التاسع

في ان المباني التي كانت تخططها العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل
 والسبب في ذلك شان البداوة والبعد عن الصنائع كما قدمناه فلا تكون المباني وثيقة
 في تشييدها وله والله اعلم وجه اخر وهو أسس به وذلك قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في
 اخطاط المدن كما قلناه في المكان وطيب الهواء والمياه والمزارع والمراعي فانه بالتفاوت
 في هذا تتفاوت جودة المصير ورواءة من حيث العمران الطبيعي والعرب بمنزل عن هذا
 وانما يراعون مراعي ابلهم خاصة لا يبالون بالماء طاب او خبت ولا قل او كثرو ولا يسألون
 عن زكاه المزارع والمنايب والاهوية لا تتقالم في الارض ونقلهم الحبوب من البلد البعيد
 واما الرياح فالفرق مختلف للهاب كلها والظمن كنفيل لم بطبيعتها الان الرياح انما تخبت مع
 الفرار والسكى وكثرة الفضلات وانظر لما اخطوا الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم

يراعوا في اخنطاطها الا مراعي ابلهم وما يقرب من الفجر وممالك الظعن فكانت بعيدة
عن الوضع الطبيعي للمدن ولم تكن لها مادة تمد عمرانها من بعدهم كما قد منا انه يجناج اليو
في حفظ العمران فقد كانت موطنها غير طبيعية للقرار ولم تكن في وسط الامم فيعبرها
الناس فلاول وهلة من انحلال امرهم ونهاب عصيهم التي كانت سباجا لها اتى عليها
الخرب والانهلال كان لم تكن والله يحكم لامعقب لحكمو

الفصل العاشر

في سادي الخراب في الامصار

اعلم ان الامصار اذا اخنطت اولاً تكون قليلة المساكن وقليلة آلات الساء من المحر
والجبر وغيرهما ما يعالى على المحيطان عند التاني كالزيج والرخام والريج والزجاج والسيفسا
والصدف فيكون ساوئها هومئيد بنوياً ولائها فاسدة فاذا عظم عمران المدينة وكثر
ساكها كثرت الآلات بكثرة الاعمال حيثئذ وكثرت الصنائع الى ان تبلغ غايتها من
ذلك كما سقى نشانها فاذا ترحع عمرانها وخف ساكها قلت الصنائع لاجل ذلك فندت
الاجادة في السا والاحكام والمعالة عليه بالتسبيق ثم نقل الاعمال لعدم الساكن فيقل
جلب الآلات من المحر والرخام وغيرهما فتفقد ويصير ساوئهم وتشييدهم من الآلات التي
في سايمهم فيقلونها من مصع الى مصنع لاجل خلاه اكثر المصانع والنصور والمنارل
فلة العمران وقصوره عما كان اولاً ثم لاتزال تنقل من قصر الى قصر ومن دار الى دار
الى ان ينفد الكثير منها حملة فيعودون الى البداوة في البناء واتخاذ الطوب عوضاً عن
الحجارة والنصور عن التمييق بالكلية فيعود بناء المدينة مثل ساء القرى والمداشرو يظهر
عليها سيما البداوة ثم تمر في التناقص الى عابنها من الخراب ان قدر لها بسنة الله في خلقو

الفصل الحادي عشر

في ان تناضل الامصار والمدن في كثرة الررق لاهلها وفاق الاسواق

انما هو في تناضل عمرانها في الكثرة والفلة

والسبب في ذلك انه قد عرف وثبت ان الواحد من الشر غير مستقل بمقتضى
حاجاتو في ماشو وانهم متعاونون جميعاً في عمرانهم على ذلك والحاجة التي تحصل بتعاون
طائفة منهم تستد ضرورة الاكثر من عددهم اصعافاً بالقوت من الخنطة مثلاً لا يستقل الواحد
بمقتضى حصو منه واذا اتدب لتحصيلو السنة او العشرة من حنادر ونجار للآلات وقائم

على البقر وإثارة الأرض وحصاد السنبل وسائر مؤن الفلح وتوزعوا على تلك الأعمال
أو احتعملوا وحصل بعضهم ذلك مقدار من القوت فأنه حينئذ قوت لضعافهم مرّات
فالأعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات العاملين وضرورتهم فاهل مدينة أو مصرا
ورعت أعمالهم كلها على مقدار ضرورتهم وحاجاتهم اكتفى فيها بالآقل من تلك الأعمال
وبقيت الأعمال كلها زائدة على الضرورات فتصرف في حالات الترف وعوائده وما يحتاج
اليه غيرهم من اهل الأمصار ويطلبونه منهم بأعواضه وقيمة فيكون لهم بذلك حظ من الغنى
وقد تبين لك في الفصل الخامس في باب الكسب والرزق ان المكاسب إنما هي قيم الأعمال
فاذا كثرت الأعمال كثرت فيها قيمهم فكثرت مكاسبهم ضرورة ودعهم احوال الرفه
والعى الى الترف وحاجاته من الناق في المساكن والملابس والسجادة الآية والماعون واتخاذ
الحدم والمراكب وهذه كلها أعمال تستدعي قيمها ويختار المهمة في صنعائها والقيام عليها
فتسقى اسواق الأعمال والصنائع ويكثر دخل المصرو وخرجه ويحصل اليسار لمخفى ذلك
من قبل أعمالهم ومتى زاد العمار رادت الأعمال تالية ثم راد الترف تابعا للكسب ورادت
عوائده وحاجاته واستسقطت الصنائع لتجصلها فزادت قيمها وتضاعف الكسب في المدينة
لذلك ثانية ونفت سوق الأعمال بها أكثر من الأوّل وكذا في الريادة الثانية والثالثة
لان الأعمال الزائدة كلها تخص بالترف والغنى بخلاف الأعمال الأصلية التي تخص بالمعاش
فالمصر اذا فصل بعدان واحد فصله زيادة كسب ورفه وعوائد من الترف لا توجد في
الاخر فما كان عمرانه من الأمصار أكثر وأوفر كان حال اهله في الترف ابلغ من حال المصر
الذي دونه على وتيرة واحدة في الاضاف القاصي مع القاصي والتاجر مع التاجر والصانع مع
الصانع والسوقي مع السوقي والأمير مع الأمير والشرطي مع الشرطي واعتبر ذلك في المغرب
مثلا بجال فاس مع غيرها من امصاره مثل بجاية وتلمسان وسنة نجد بينها نونا كثيرا
على الجملة ثم على الخصوصيات فحال القاصي بفاس اوسع من حال القاصي بتلمسان وهكذا كل
صنف مع صنف اهله وكذا ايضاً حال تلمسان مع وهران او الجزائر وحال وهران والجزائر
مع ما دونها الى ان تنتهي الى المداشر الذين اعتمدوا في ضروريات معاشهم فقط ويفصرون
عنها وما ذلك الا لتفاوت الأعمال فيها فكانت كلها اسواق للأعمال والخرج في كل سوق
على نسبته فالقاصي بفاس دخله كفاء خرجوه وكذا القاصي بتلمسان وحيث الدخل والخرج
أكثر تكون الاحوال اعظم وهما فاس أكثر لتناق سوق الأعمال بما يدعو اليه الترف
فالأحوال اضمح ثم كذا حال وهران وقسنطينة والجزائر وبسكرة حتى تنتهي كما قلناه الى

الامصار التي لا توفي اعمالها بضرو راعها ولا تعد في الامصار اذ هي من قبيل الثري والمداشر
 فلذلك نجد اهل هذه الامصار الصغيرة ضعفاء الاحوال متقاربين في الفقر والخصاصة
 لما ان اعمالهم لا تفي بضرو راعهم ولا يفضل ما يتأثرونه كسباً فلا تنمو مكاسبهم ومن لذلك
 مساكين محجوج الا في الاقل النادر واعتبر ذلك حتى في احوال الفقراء والموال فان
 السائل بناس احسن حالاً من السائل بلسان او وهران ولقد شاهدت بناس السوال
 يسالون ايام الاضاحي اثمان فحمائهم ورايتهم يسالون كثيراً من احوال الترف واقتراح
 الماكل مثل سवाल اللحم والسمن وعلاج الطبخ والملابس والماعون كالغريبال والآيسة
 ولو سأل سائل مثل هذا بلسان او وهران لاستنكر وعنف وزجر ويبلغنا لهذا العهد عن
 احوال القاهرة ومصر من الترف والغنى في عوائد ما يقضي منه العجب حتى ان كثيراً
 من الفقراء بالمغرب يتزعمون من الثقلة الى مصر لذلك ولما يبلغهم من ان شان الرفه بمصر
 اعظم من غيرها ويعتقد العامة من الناس ان ذلك لزيادة ايثار في اهل تلك الافاق على
 غيرهم او اموال مختزنة لديهم وانهم اكثر صدقة وايثاراً من جميع اهل الامصار وليس كذلك
 وانما هو لما نعرفه من ان عمران مصر والقاهرة اكثر من عمران هذه الامصار التي لديك
 فعضمت لذلك احوالهم . واما حال الدخل والخرج فتكافى في جميع الامصار ومنى
 عظم الدخل عظم الخرج وبالعكس ومنى عظم الدخل والخرج اتسعت احوال الساكن
 ووسع المصر كل شيء يبلغك من مثل هذا فلا تنكره واعتبره بكثرة العمران وما
 يكون عنه من كثرة المكاسب التي يسهل بسببها البذل والا يثار على مبتغيو ومثله بشأن
 الحيوانات العجم مع بيوت المدينة الواحدة وكيف يختلف احوالها في هجرانها او غشمانها
 فان بيوت اهل النعم والثروة والموائد الخصبة منها تكثر بساحتها واقينتها بنثر
 الحبوب وسواقط الفئات فيزدحم عليها غواشي النمل والخشاش ويلقى فوقها عصائب
 الطيور حتى تروح بطاناً وتمتلي شعباً ورثاً وبيوت اهل الخصاصة والفقراء الكاسدة ارزاقهم
 لا يسري بساحتها ديب ولا يملئ بجوها طائر ولا تاوى الى زوايا بيوتهم فارة ولا هرة كا
 قال الشاعر

نسقط الطير حيث تلتقط الحب وتغشى منازل الصرماء

فما مل سر الله تعالى في ذلك واعتبر غاشية الاناسي بغاشية العجم من الحيوانات وفئات
 الموائد بنضلات الرزق والترف وسهولتها على من يذلها لاستغنائهم عنها في الأكثر
 لوجود امثالها لديهم واعلم ان اتساع الاحوال وكثرة النعم في العمران تابع لكثرتهم والله

سبحانه وتعالى اعلم وهو غني عن العالمين

الفصل الثاني عشر

في اسعار المدن

اعلم ان الاسواق كلها تشتمل على حاجات الناس منها الضروري وهي الاقوات من الخنطة وما في معاشها كالانقلاء والصل والثوم واشباهه ومنها الحاجي والكالي مثل الادم والخواكة والملابس والماعون والمراكب وسائر المصانع والمباني فاما استنجر مصر وكثير ساكنة رخصت اسعار الضروري من الثوت وما في معناه وغلت اسعار الكالي من الادم والخواكة وما يتبعها واما قل ساكن مصر وصعب عراة كان الامر بالعكس والسبب في ذلك ان المحبوب من ضرورات الثوت فتتوفر الدواعي على اتخاذها اذ كل احد لا يهمل قوت نفسه ولا قوت غيره لشهره اوستو فيعم اتخاذها اهل المصر اجمع او الاكثر منهم في ذلك المصر او فيما قريب منه لاند من ذلك وكل منخذ لقوته فتفضل عنه وعن اهل بيته فضلا كبيرة تسد خلة كثير من اهل ذلك المصر فتصل الاقوات عن اهل المصر من غير شك فتزحف اسعارها في الغالب الا ما يصيبها في بعض السنين من الآفات السماوية ولولا احتكار الناس لما لما يتوقع من تلك الآفات لبدلت دون ثمن ولا عوض لكثرتها بكثرة العمران. واما سائر المرافق من الادم والخواكة وما اليها فانها لا تعم بها البلوى ولا يستغرق اتخاذها اعمال اهل المصر اجمعين ولا الكثير منهم ثم ان المصر اذا كان مستنجرا موفور العمران كثير حاجات الترف توفرت حيثما الدواعي على طلب تلك المرافق والاستئثار منها كل بحسب حاله فيقصر الموحود منها على الحاجات قصورا بالغا ويكثر المستامون لها وهي قليلة في نفسها فتزدحم اهل الاغراض ويبدل اهل الرفه والترف اغنائها بأسراف في الغلاء لحاجتهم اليها اكثر من غيرهم فيقع فيها الغلاء كما تراه. واما الصنائع والاعمال ايضا في الامصار الموفورة العمران فبسبب الغلاء فيها امور ثلاثة الاول كثرة الحاجة لمكان الترف في مصر بكثرة عماره والثاني اعتزاز اهل الاعمال لخدمتهم وامتنانهم لسهولة المعاش في المدينة بكثرة اقواتها والثالث كثرة المترفين وكثرة حاجاتهم الى امتنانهم غيرهم والى استعمال الصانع في مهمهم فيبدلون في ذلك لاهل الاعمال اكثر من قيمة اعمالهم مزاحمة ومافسة في الاستئثار بها فيعتز العمال والصنائع واهل الحرف وتغفلوا اعمالهم وتكثر نفقات اهل مصر في ذلك. واما الامصار الصغيرة والقليلة الساكن

فأقواتهم قليلة لفلة العمل فيها وما يتوقعونه لصغر مصرهم من عدم القوت فيتمسكون بما يحصل منه في أيديهم ويحذرونه فيعز وجوده لديهم ويقلون ثمنه على مستأموه وأما مرافقهم فلا تدعو اليها أيضاً حاجة بقله الساكن وضعف الاحوال فلا تنفق لديهم سوقه فيخص بالرخص في سعرو وقد يدخل أيضاً في قيمة الأقوات قيمة ما يعرض عليها من المكوس والمغارم للسلطان في الأسواق وأبواب الحفر والحماية في منافع وصولها عن الجوعات لما يسهم وبذلك كانت الاسعار في الامصار اعلى من الاسعار في البادية اذ المكوس والمغارم والفرائض قليلة لديهم او معدومة وكثرتها في الامصار لاسيما في اخر الدولة وقد تدخل أيضاً في قيمة الأقوات قيمة علاجها في الفلح ويحافظ على ذلك في اسعارها كما وقع بالاندلس لهذا العهد وذلك انهم لما الجأهم النصارى الى سيف البحر وبلاد المتوعدة الخيفة الزراعة النكة النبات وملكو عليهم الارض الزاكية والبلد الطيب فاحتاحوا الى علاج المزارع والندى لاصلاح نباتها وفتحها وكان ذلك العلاج باعمال ذات قيم ومواد من الزبل وغيره لها مونة وصارت في فلهم نفقات لها خطر فاعتبروها في سعروا وخص قطر الاندلس بالغلاء منذ اضطروهم النصارى الى هذا المعمور بالاسلام مع سواحلها لاجل ذلك وبحسب الناس اذا سمعوا بغلاء الاسعار في قطرهم انها لفلة الأقوات والحبوب في ارضهم وليس كذلك فهم أكثر اهل المعمور فتحاً فيما علمناه واقومهم عليه وقل ان يخلو منهم سلطان او سوقه عن فدان او مزرعة او فلاح الا قليل من اهل الصناعات والمهن او الطباء على الوطن من الغزاة المجاهدين ولهذا يختصهم السلطان في عطائهم بالعولة وهي اقواتهم وعلوفاتهم من الزرع وإنما السبب في غلاء سعر الحبوب عندهم ما ذكرناه. ولما كانت بلاد البربر بالعكس من ذلك في زكاه منابتهم وطيب ارضهم ارتفعت عنهم المونة جملة في الفلح مع كثرتهم وعمومتهم فصار ذلك سبباً لرخص الأقوات ببلادهم والله مقدر الليل والنهار وهو الواحد النهار لا رب سواه

الفصل الثالث عشر

في قصور اهل البادية عن سكنى المصر الكثير العبران والسبب في ذلك ان المصر الكثير العبران يكثر ترفه كما قدمناه وتكثر حاجات ساكنيه من اجل الترف وتعتاد تلك الحاجات لما يدعو اليها فتقلب ضرورات وتصير فيه الاعمال كلها مع ذلك عزيزة والمرافق غالبية بازدهام الاغراض عليها من اجل الترف

وبالمقام السلطانية التي توضع على الاسواق والبياعات وتعتبر في قيم المبيعات ويعظم فيها الغلاء في المرافق والاقوات والاعمال فتكثر لذلك نفقات ساكنو كثرة باللغة على بسطة عمراؤهم ويعظم خرجه فيحتاج حينئذ الى المال الكثير للنفقة على مسووعماله في ضرورات عيشتهم وسائر مؤنهم والدوي لم يكن دخلة كثيرا اذا كان ساكنا بمكان كاسد الاسواق في الاعمال التي في سبب الكسب فلم يتأكل كسبا ولا مالا فتعذر عليه من اجل ذلك سكى المصر الكبير لعلاء مرافق وعرة حاجاته وهو في مدو يسد خلته باقل الاعمال لانه قليل عوائد الترف في معاشه وسائر موبه فلا يضطر الى المال وكل من يتشوف الى المصر وسكناه من البادية فسر بعا ما يظهر عجرة وينتصح في استيطانه الا من يقدم منهم تأكل المال ويحصل له من فوق الحاجة ويجري الى الغاية الطبيعية لاهل العبران من الدعة والترف فيحينئذ ينتقل الى المصر وينتظم حالة مع احوال اهله في عوائد وترفهم وهكذا نأش بداية عمران الامصار والله بكل شيء محيط

المصل الرابع عشر

في ان الاقطار في اختلاف احوالها بالرقة والفقر مثل الامصار

اعلم ان ما توفر عمراؤه من الاقطار وتعددت الامم في جهات وكثر ساكنه اتسعت احوال اهله وكثرت اموالهم وامصارهم وعظمت دولهم ومالكهم . والسبب في ذلك كل ما ذكرناه من كثرة الاعمال وما سبب في ذكره من انها سبب للثروة بما يصل عنها بعد الوفاء بالضروريات في حاجات الساكن من الصلة البالغة على مقدار العبران وكثرت فيعود على الناس كسبا يتناولونه حسبما ذكر ذلك في فصل المعاش وبيان الرق والكسب فيريد الرقة لذلك وتوسع الاحوال ويجيء الترف والغنى وتكثر الجباية للدولة ساق الاسواق فيكثر ما لها ويشجع سلطانها وتنس في اتخاذ المعاقل والحصون واختطاط المدن وتزيد الامصار . واعتبر ذلك باقطار المشرق مثل مصر والشام وعراق العجم والهند والصين وباحية الشمال كلها واقطارها وراء البحر الرومي لما كثر عمرانها كيف كثر المال فيها وعظمت دولتهم وتعددت مدنها وحوضرهم وعظمت متاجرم واحوالهم فالذي شاهده لهذا العهد من احوال تجار الامم الصراية الواردين على المسلمين بالمغرب في رفهم واتساع احوالهم اكثر من ان يحيط به الوصف وكذا تحار اهل المشرق وما يلفنا عن احوالهم وبلغ منها احوال اهل المشرق الاقصى من عراق العجم والهند والصين فانه يلفنا عنهم

في باب الغني والرفه غرائب سير الركب ان يجدونها وربما نلتقي بالانكار في غالب الامر
ويحسب من يتبعها من العامة ان ذلك لزيادة في اموالهم ولان المعادن الذهبية والفضة
اكثر بارضهم ولان ذهب الاقدمين من الام اشثأ ثروا به دون غيرهم وليس كذلك
فمعدن الذهب الذي نعرفه في هذه الاقطار انما هو من بلاد السودان وهي الى المغرب
اقرب وجميع ما في ارضهم من البضاعة فانما يجلبونه الى غير بلادهم للتجارة فلو كان المال
عنديا موفورا لديهم لما جلبوا بضائعهم الى سواهم يبتغون بها الاموال ولا استغفوا عن
اموال الناس بالجحيلة . ولقد ذهب النجيمون لما راوا مثل ذلك واستغربوا ما في المشرق
من كثرة الاحوال وانساعها ووفور اموالها فقالوا بان عطايا الكواكب والسهم في
مواليد اهل المشرق اكثر منها حصصا في مواليد اهل المغرب وذلك صحيح من جهة
المطابقة بين الاحكام النجومية والاحوال الارضية كاقناؤه وم انما اعطوا في ذلك السبب
النجمي وبقي عليهم ان يعطوا السبب الارضي وهو ما ذكرناه من كثرة العمران واختصاصه
بارض المشرق واقطاره وكثرة العمران تنيد كثرة الكسب بكثرة الاعمال التي هي سببه
فلذلك اخص المشرق بالرفه من بين الافاق لا ان ذلك لمجرد الاثر النجمي فقد فهمت
ما اشرنا لك اولاً انه لا يستقل بذلك وإن المطابقة بين حكمه وعمران الارض وطبيعتها
امر لا بد منه . واعتبر حال هذا الرفه من العمران في قطر افريقية وبرقة لما خف سكناها
وتناقص عمرانها كيف تلاشت احوال اهلها وانتهوا الى الفقر والخصاصة وضعت جباياتها
فقلت اموال دولها بعد ان كانت دول الشيعة وصنهاجة بها على ما بلغك من الرفه
وكثرة الجبايات وانساع الاحوال في تنقائهم واعطياتهم حتى لقد كانت الاموال ترفع من
الفير وان الى صاحب مصر لحاجاته ومهاوته وكانت اموال الدولة بحيث حمل جوهر الكاتب
في سفره الى فخمصر الف حمل من المال يستعد بها لارزاق الجنود واعطياتهم ونفقات الغزاة
وقطر المغرب وان كان في القدم دون افريقية فلم يكن بالقليل في ذلك وكانت احواله
في دول الموحد بن متسعة وجباياته موفورة وهو لهذا العهد قد اقصر عن ذلك لتصور
العمران فيه وتناقصه فقد ذهب من عمران البربر فيه اكثره ونقص عن معهوده نقصا
ظاهرا محسوسا وكاد ان يلحق في احواله بمثل احوال افريقية بعد ان كان عمرانه متصلا
من البحر الرومي الى بلاد السودان في طول ما بين السوس الاقصى وبرقة وهي اليوم
كلها واكثرها قفار وخلا وسحار الا ما هو منها بسيف البحر او ما يقاربة من التلول
والله وارت الارض من عليها وهو خير الوارثين

الفصل الخامس عشر

في تاتل العقار والصياغ في الامصار وحالي موائدها ومستغلاتها
 اعلم ان تاتل العقار والصياغ الكثيرة لاهل الامصار والمدن لا يكون دفعة واحدة ولا
 في عصر واحد اذ ليس يكون لاحد منهم من الثروة ما يملك به الاملاك التي تخرج قيمها عن
 الحد ولو بلغت احوالهم في الرفه ما عسى ان تبلغ ولما يكون ملكهم وتأت لهم لما تدرجها اما
 بالوراثه من ابائهم ودويهم حتى تنأدى املاك الكثيرين منهم الى الواحدواكثر لذلك
 او ان يكون بحواله الاسواق فان العقار في اخر الدولة ولول الاخرى عند فناء الحامية
 وخرق السياج وتداعي المصر الى الحراب نقل القسطه به لقله المنعة فيها تلاشي الاحوال
 فترخص فيها وتملك بالاثام اليسيرة وتخطى بالميراث الى ملك اخر وقد استجد المصر
 شابة باستيغال الدولة الناية وانتظمت له احوال رائقة حسنة تحصل معها القسطه في
 العقار والصياغ لكثرة ما معها حيثئذ فتعظم قيمها ويكون لها خطر لم يكن في الاول وهذا
 معنى الحواله فيها ويصبح مالكمها من اغنى اهل المصر وليس ذلك بيسير واكتسابه اذ قدرته
 نجر عن مثل ذلك . واما فوائده العقار والصياغ فهي غير كافية لما لكها في حاجات معاشه
 اذ هي لا تفي بعوائد الترف واساؤه ولما هي في الغالب لسد الحلة وضرورة المعاش والذي
 سمعاه من متبيحه البلدان ان النصد باقتناء الملك من العقار والصياغ اما هو المحتية
 من يترك خلفه من الدرية الصغفاء ليكون مرماه به وررقه فيه وسوهم موائده ما داموا
 عاجزين عن الاكتساب فاذا اقتدروا على تحصيل المكاسب سعلوا فيها فانفسهم وربما
 يكون من الولد من يعجز عن التكسب لصعفه في بدو او آفة في عقله المعاني فيكون ذلك
 العقار قواما لخاله هذا قصد المترفين في اقتنائهم واما القبول منه واحراء احوال المترفين
 فلا وقد يحصل ذلك منه للقليل او البادر بحواله الاسواق وحصول الكثرة البالغة منه
 والعالي في جسمه وقيمه في المصر الا ان ذلك اذا حصل ربما امتدت اليه اعين الامراء
 والولاة واغنصوه في الغالب او ارادوه على بيعهم منهم وبالت اصحابه منه مضار ومعاطب
 والله غالب على امره وهورب العرش العظيم

الفصل السادس عشر

في حاجات التمويل من اهل الامصار الى الجاه والمدافعة
 وذلك ان الحضري اذا عظم تموله وكثر للعقار والصياغ تأثله واصبح اغنى اهل المصر

ورمقته العيون بذلك وانفسح احواله في الترف والعوائد زاحم عليها الامراء والملوك
وغصوا به ولما في طباع البشر من العدوان تمتد اعينهم الى تملك ما يده وينافسونه فيه
ويحيلون على ذلك بكل ممكن حتى يحصلونه في ربة حكم سلطاني وسبب من المواخذة
ظاهر ينتزع به ماله واكثر الاحكام السلطانية جائرة في الغالب اذ العدل المحض انما هو
في الخلافة الشرعية وهي قليلة اليبث قال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة
ثم تعود ملكاً عضواً فلا بد حينئذ لصاحب المال والثروة الشهيرة في العمرن من حامية
تدود عنه وجاء ينحجب عليه من ذي قرابة الملك او خالصة له او عصبية يتحامها السلطان
فيستظل بظلها ويرتع في امنها من طوارق التعدي وإن لم يكن له ذلك اصبح نهياً بوجوه
التحيلات واسباب الاحكام والله يحكم لامعقب لحكمه

الفصل السابع عشر

في ان الحضارة في الامصار من قبل الذول وانها ترسخ باتصال الدولة ورسوخها
والسبب في ذلك ان الحضارة هي احوال عادية زائدة على الضروري من احوال
العمرن زيادة تنافوت بشفاوت الرفه وتنافوت الام في القلة والكثرة وتفاوتا غير منحصرون تقع
فيها عند كثرة التنفن في انواعها واصنافها فتكون بمنزلة الصنائع ويحتاج كل صنف منها
الى القومة عليه والمهرة فيه وبقدر ما يتزيد من اصنافها تزايد اهل صناعتها ويطلون ذلك
الجمل بها ومقايصلت الايام وتعاقت تلك الصناعات حذق اولئك الصانع في صناعتهم
ومهر وافي معرفتها والاعصار بطولها وانفساح امدتها وتكرير امثالها تزيدها استحكاماً
ورسوخاً واكثر ما يقع ذلك في الامصار لاستجار العمرن وكثرة الرفه في اهلها وذلك كله
انما يجيء من قبل الدولة لان الدولة تجمع اموال الرعية وتنفقها في بضائنها ورجالها وتوسع
احوالهم بها بما اكثر من اتساعها بالمال فيكون دخل تلك الاموال من الرعايا وخرجها
في اهل الدولة ثم في من تعلق بهم من اهل المصروم الاكثر فتعظم لذلك ثروتهم وبكثر
غنائم وتزيد عوائد الترف ومذاهبهم وتستحكم لديهم الصنائع في سائر فنونه وهذه هي
الحضارة . ولهذا تجد الامصار التي في القاصية ولو كانت موفورة العمران تغلب عليها
احوال البداوة وتبعد عن الحضارة في جميع مذاهبها بخلاف المدن المتوسطة في الاقطار
التي هي مركز الدولة ومقرها وما ذاك الا لجاورة السلطان لم وفيض اموالهم فيهم كالماء
يخضر ما قرب منه فما قرب من الارض الى ان ينتهي الى الجفوف على البعد وقد قدمنا ان

السلطان والدولة سوق للعالم فالصانع كلها موجودة في السوق وما قرب منه وإذا ابتعدت
عن السوق افتقدت الصانع جملة ثم انه اذا اتصلت تلك الدولة وتعاقب ملوكها في ذلك
المصر واحداً بعد واحد استحكمت الحصاره فيهم وزادت رسوخاً واعتبر ذلك في اليهود
لما طال ملكهم بالشام نحواً من الف واربعائة سنة رست حصارهم وجدقوا في احوال
المعاش وعوائده والتفنن في صناعته من الطعام والملابس وسائر احوال المنزل حتى
انها لتؤخذ عنهم في الغالب الى اليوم ورست الحصاره ايضاً وعوائدها في الشام منهم ومن
دولة الروم بعدم ستمائة سنة فكانوا في غاية الحصاره وكذلك ايضاً القبط دام ملكهم في
الحليقة ثلاثة الاف من السنين فرست عوائد الحصاره في بلادهم مصر واعقبهم بها ملك
اليونان والروم ثم ملك الاسلام السامح للكل فلم ترل عوائد الحصاره بها متصلة وكذلك
ايضاً رست عوائد الحصاره ما ليس لاتصال دولة العرب بها منذ عهد العالفة والتابعة
الافاً من السنين واعقبهم ملك مصر وكذلك الحصاره بالعراق لاتصال دولة السط
والعرب بها من لدن الكنديين والكبابية والكسروية والعرب بعدم الافاً من السنين
فلم يكن على وجه الارض لهذا العهد احصر من اهل الشام والعراق ومصر وكذا ايضاً
رست عوائد الحصاره واستحكمت بالاندلس لاتصال الدولة العظيمة فيها للقوط ثم ما
اعقبها من ملك بني امية الاقاً من السنين وكلتا الدولتين عظيمة فانصلت فيها عوائد
الحصاره واستحكمت. واما افرقية والمغرب فلم يكن بها قبل الاسلام ملك صمم اما قطع
الا فرقية الى افرقية البحر وملكو الساحل وكانت طاعة البربر اهل الصاحية لم طاعة
غير مستحكمة فكانوا على قلعة ولوفار واهل المغرب لم تحاورهم دولة واسما كانوا يعثوب
بطاعتهم الى القوط من وراء البحر ولما جاء الله بالاسلام وملك العرب افرقية والمغرب
لم يلبث فيهم ملك العرب الا قليلاً اول الاسلام وكانوا لذلك العهد في طور البداوة ومن
استقر منهم ما افرقية والمغرب لم يحد بها من الحصاره ما يقبل فيه من سلته اذ كانوا راسر
منغسين في الدناوة ثم انتفض بريرة المغرب الاقصى لا قرب اليهود على يد مبصرة المطفري
ايام هشام بن عبد الملك ولم يراحوال امر العرب بعد واستقلوا بامر انهم وان بايعوا
لا دريس فلا تعد دولة فيهم عربية لان البربر هم الذين تولوها ولم يكن من العرب فيها
كثير عدد وبقيت افرقية للاعالة ومن اليهم من العرب فكان لهم من الحصاره بعض
الشي بما حصل لهم من ترف الملك وبعيمه وكثرة عمران القبر ولان وورث ذلك عنهم
كتامة ثم صنهاجة من بعدم وذلك كله قليل لم يبلغ اربع مائة سنة وانصرفت دولتهم واستخالت

صبغة الحضارة بما كانت غير مستحكمة وتغلب بدو العرب الملالين عليها وخرّبوها وبقي
 اثر خفي من حضارة العمران فيها وإلى هذا العهد يونس فيمن سلف له بالقلعة او القبروان
 او المهدية سلف فوجد له من الحضارة في شؤون منزله وعوائده احواله اثاراً ملتبسة بغيرها
 يميزها الحضري البصير بها وكذا في اكثر امصار افريقية وليس ذلك في المغرب وامصاره
 لرسوخ الدولة بافريقية اكثر امداً منذ عهد الاغالبة والشيعة وصنهاجة واما المغرب
 فانتقل اليه منذ دولة الموحدين من الاندلس حظ كبير من الحضارة واستحكمت به عوائدها
 بما كان لدولتهم من الاستيلاء على بلاد الاندلس وانتقل الكثير من اهلها اليهم طوعاً
 وكرهاً وكانت من اتساع النطاق ما علمت فكان فيها حظ صالح من الحضارة واستحكامها
 ومعظمها من اهل الاندلس ثم انتقل اهل شرق الاندلس عند جالية النصارى الى افريقية
 فاقبلوا فيها وبامصارها من الحضارة اثاراً ومعظمها بتونس امتزجت بحضارة مصر وما
 ينقله المسافرون من عوائدها فكان بذلك للمغرب وافريقية حظ صالح من الحضارة عني
 عليه الخلاه ورجع الى اعتناؤه وعاد البربر بالمغرب الى اديانهم من البهاو والخشونة وعلى
 كل حال فان اثار الحضارة بافريقية اكثر منها بالمغرب وامصارها لما تداول فيها من الدول
 السالفة اكثر من المغرب ولقرب عوائدهم من عوائد اهل مصر بكثرة المترددين بينهم
 فتفطن لهذا السرفانه خفي عن الناس واعلم انها امور متناسبة وهي حال الدولة في القوة
 والضعف وكثرة الامة او الجليل وعظم المدينة او المصرو كثرة النعمة واليسار وذلك ان
 الدولة والمملك صورة الخليفة والعمران وكلها مادة لها من الرعايا والامصار وسائر الاحوال
 واموال الجباية عائدة عليهم ويسارهم في الغالب من اسواقهم ومتاجرهم واذا افاض السلطان
 عطائه وامواله في اهلها انبثت فيهم ورجعت اليهم ثم اليهم منه فهي ذاهبة عنهم في الجباية
 والخراج عائدة عليهم في العطاء فعلى نسبة حال الدولة يكون يسار الرعايا وعلى نسبة
 يسار الرعايا وكثرتهم يكون مال الدولة واصلة كلة العمران وكثرتهم فاعنده وتاملة في
 الدول تجده والله يحكم لا معقب لحكمه

الفصل الثامن عشر

في ان الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وانها مودنة بفساده
 قد بينا لك فيما سلف ان المملك والدولة غاية للعصية وان الحضارة غاية للبداءة وان
 العمران كلة من بداءة وحضارة ومملك وسوقة له عمر محسوس كما ان للشخص الواحد من

اشخاص المكونات عمراً محسوساً وثنين في المعقول والمنقول ان الاربعين للانسان عاية في ترايد قواه وبموها وانه اذا بلغ سن الاربعين وقمت الطبيعة عن اثر النشوة والنمو برهة ثم تاخذ بعد ذلك في الانحطاط فتعلم ان الحضارة في العمران ايضاً كذلك لانه غاية لا مريد وراهما وذلك ان الترف والعبه اذا حصل لاهل العمران دعاهم بطبعهم الى مذاهب الحضارة والتخلق بعوائدها والحضارة كما علمت في التيس في الترف واستجداء احوالهم والكلف بالصنائع التي تونق من اصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهيئة للطمايح او الملابس او الماني او العرش او الالية ولسائر احوال المنزل وللتناهي في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يجتاج اليها عند البداي وعدم التناهي فيها واما بلغ التناهي في هذه الاحوال الممرية للغاية نعمة طاعة التهورات فقتلون النفس من تلك العوائد بالوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في ديبها ولا ديبها اما ديبها فلا تستحكما صفة العوائد التي يعسر زرعها واما ديبها فلكثرة الحاجات والموبات التي تطالب بها العوائد ويجهرو يكسب عن الوفاء بها . وبيان ان المصريين في الحضارة تعظم نفقات اهلها والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران ففي كل العمران اكثر كانت الحضارة اكمل وقد كنا قدما ان المصري الكثير العمران يحرص بالعلاء في اسواقه واسعار حاجته ثم تردها المكوس غلاء لان الحضارة اما تكون عند انتهاء الدولة في استهلاكها وهور من وضع للمكوس في الدول اكثرية خرجها حينئذ كما تقدم والمكوس تعود الى البياعات بالغلاء لان السوقه والتجار كلهم يحنسون على سلمهم ونضايهم جميع ما ينفقونه حتى في مؤنة اعيانهم فيكون المكس لذلك داخلاً في قيم المبيعات واتقانها فتعظم نفقات اهل الحضارة وتخرج عن القصد الى الاسراف ولا يجدون وليعة عن ذلك لما ملكهم من اثر العوائد وطاعتها وتذهب مكاسبهم كلها في النفقات ويتنازعون في الاملاق والخاصة ويغلب عليهم الفقر ويقل المستامون للصايح فتكسد الاسواق ويسد حال المدينة وداعية ذلك كله افراط الحضارة والترف وهذه مفسدات في المدينة على العموم في الاسواق والعمران واما فساد اهلها في ذاتهم واحداً واحداً على الخصوص فمن الكد والتعب في حاجات العوائد والتلون بالوان الشر في تحصيلها وما يعود على النفس من الضرر بعد تحصيلها بمحصول لون اخر من الوانها فلذلك يكثر منهم النسق والشر والسفسفة والتجول على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه وتصرف النفس الى الكبر في ذلك والغوص عليه واستجماع الحيلة له فمخدم اجرياً على الكذب والمقامرة والغش والخلاعة والسرقة والجهور في الالباس والربا في البياعات ثم تجدم

ابصر بطرق السق ومذاهبه والمجاهرة به وبدوا عيو وإطراح الحشمة في الخوض فيه حتى
 بين الأقارب وذوي المحارم الدين تقتضي الدواة الحياء منهم في الاقتناع بذلك ونجدهم
 ايضاً ابصر بالمكر والخديعة يدفعون بذلك ما عساه ينالهم من القهر وما يتوقعونه من
 العقاب على تلك القبايح حتى يصير ذلك عادة وخلقاً لاكثرهم الا من عصمته الله وبموج بحر
 المدينة بالسفلة من اهل الاخلاق الذميمة وبحارهم فيها كثير من ناشئة الدولة ولديانهم
 من اهل عن الشايب وعلب عليه خلق الجوار وان كانوا اهل اسباب وبيوتات وذلك
 ان الناس شرم متاثلون واما تعاضلوا وتميزوا بالخلق واكتساب الصائل واحساب الرذائل
 فمن استحكمت فيه صفة الرذائل ناي وجه كان وفسد خلق الحير فيو لم يفعه زكاه نسو
 ولا طيب مبتو ولهذا تجد كثيراً من اعتقاب البيوت وذوي الاحساب والاصال والاهل
 الدول مطرحين في العمار متغلبين للحرف الدينية في معاتهم بما فسد من اخلاقهم وما تلونوا
 به من صفة الشر والسفسة واذا كثر ذلك في المدينة او الامة تاذن الله بحرابها وانقراضها
 وهو معنى قوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترقيها فمستورا فيها فحق عليها القول
 فدمرناها تدميراً ووجهه حيث ان مكاسبهم حيث لا تني محاجاتهم لكثرة العوائد ومطالبة
 المس بها فلا تستقيم احوالهم واذا فسدت احوال الاشخاص واحداً واحداً اختل نظام
 المدينة وخرت . وهذا معنى ما يقوله بعض اهل الحواص ان المدينة اذا كثر فيها غرس
 النارج تاذنت بالحراب حتى ان كثيراً من العامة يتغاي غرس النارج بالدور وليس
 المراد ذلك ولا انه خاصية في النارج واما معناه ان الساتين واجراء المياه هو من نواع
 الحصاره ثم ان النارج والليم والسرو وامثال ذلك مما لا طعم فيه ولا مسعة هو من غاية
 الحصاره اذ لا يقصد بها في الساتين الا اشكالها فقط ولا تعرض الا بعد التفتن في مذاهب
 الترف وهذا هو الطور الذي يختص معه هلاك مصر وخرابه كما قلناه ولقد قيل مثل ذلك
 في الدفلى وهو من هذا الباب اذ الدفلى لا يقصد بها الا تلون الساتين بنورها ما بين
 احمر وابيض وهو من مذاهب الترف . ومن معاسد الحصاره الانهماك في الشهوات
 والاسترسال فيها لكثرة الترف فيقع التفتن في شهوات الطم من الماكل والملاذ ويتبع
 ذلك التفتن في شهوات الفرج باسواع المتناكح من الزنا واللواط فيمضي ذلك الى فساد النوع
 اما بواسطة اختلاط الانساب كما في الرا فيجهل كل واحد انه اذ هو لغير رشده لان
 المياه مختلطة في الارحام فتفقد الشمة الطبيعية على البنين والقيام عليهم فيهلكون وبودي
 ذلك الى انقطاع النوع او يكون مهاد النوع كاللواط اذ هو بودي الى ان لا يوجد النوع

والزنا يودي الى عدم ما يوجد منه ولذلك كان مذهب مالك رحمة الله في اللواط اظهر من مذهب غيره ودل على انه ابصر بمقاصد الشريعة واعتبارها للصالح فافهم ذلك واعتبر به ان غاية العمران هي الحضارة والترفع وانه اذا بلغ غاية انقلب الى الفساد واخذ في الهرم كالأعمار الطبيعية للحيوانات بل نقول ان الاخلاق الحاصلة من الحضارة والترفع هي عين الفساد لان الانسان انما هو انسان باقتداره على جلب منافعهم ودفع مضاره واستقامة خلقه للسعي في ذلك والحضري لا يقدر على مباشرة حاجاته اما عجزاً لما حصل للفن الدعة او ترفعاً لما حصل له من المربي في النعيم والترفع وكلا الامرين ذميم وكذا لا يقدر على دفع المضار واستقامة خلقه للسعي في ذلك والحضري بما قد فقد من خلق الانسان بالترف والنعيم في قهر التاديب فهو بذلك عيال على الحماية التي تدافع عنه ثم هو فاسد ايضاً غالباً بما فسدت منه العوائد وطاعنها وما تلونت بوالنفس من مكائنها كما قررناه الا في الاقل النادر واذا فسد الانسان في قدرته على اخلاقه ودينه فقد فسدت انسانيته وصار مستحقاً على الحقيقة وبها الاعتبار كان الذين يترهبون على الحضارة وخلقها موجودين في كل دولة فقد تبين ان الحضارة هي سن الوقوف لعمر العالم في العمران والدولة والله سبحانه وتعالى كل يوم هو في شأن لا يشغله شأن عن شأن

الفصل التاسع عشر

في ان الامصار التي تكون كراسي للملك تخرب بخراب الدولة وانتقاضها قد استقرينا في العمران ان الدولة اذا اختلفت وانتقضت فان المصير الذي يكون كرسياً لسلطانها ينتقض عمرانه وربما ينتهي في انتقاضه الى الخراب ولا يكاد ذلك يختلف والسبب فيه امور. الاول ان الدولة لا بد في اولها من البداءة المقتضية للتجاني من اموال الناس والبعد عن التخلد ويدعو ذلك الى تخفيف الجباية والمغارم التي منها مادة الدولة فتقل النفقات وبقل الترف فاذا صار المصير الذي كان كرسياً للملك في ملكة هذه الدولة المتجددة ونقصت احوال الترف فيها نقص الترف فمين تحت ايديها من اهل المصير لان الرعايا تبع للدولة فيرجعون الى خلق الدولة اما طوعاً لما في طباع البشر من تقليد متبوعهم او كرهاً لما يدعوا اليه خلق الدولة من الانتقاض عن الترف في جميع الاحوال وقلة العوائد التي هي مادة العوائد فتفصر لذلك حضارة المصرو يذهب منه كثير من عوائد الترف وهو معنى ما نقول في خراب المصير. الامر الثاني ان الدولة انما يحصل لها الملك

والاستيلاء بالقلب وإنما يكون بعلم العداوة والحروب والعداوة تقضي منافاة بين أهل
الدولتين وتكثر احداهما على الاخرى في العوائد والاحوال وغلب احد المتنافيين
يدهب بالما في الاخر فتكون احوال الدولة السابقة منكورة عند أهل الدولة الجديدة
ومستشعة وقيحة وخصوصاً احوال الترف فتفقد في عرفهم سكير الدولة لما حتى تشأ لم
بالندرج عوائد اخرى من الترف فتكون عنها حصار مستمرة وفيما بين ذلك قصور
الحصارة الاولى ونقصها وهو معنى اختلال العمران في مصر. الامر الثالث ان كل امة
لا بد لها من وطن وهو مستأتم ومئة اولية ملكهم وإذا ملكوا ملكاً اخر صار نعتاً للاول
وامصاراً تابعة لامصار الاول واتسع نطاق الملك عليهم ولا بد من توسط الكرسي نحو
الممالك التي للدولة لانه شبه المركز للطاق فيعد مكانه عن مكان الكرسي الاول وهو
افتدة الناس من اجل الدولة والسلطان فينتقل اليه العمران ويحف من مصر الكرسي
الاول والحصارة انما هي توفر العمران كما قدمناه فتقص حصارته وتندبه وهو معنى اختلاله
وهذا كما وقع للسلجوقية في عدولهم بكرسيهم عن بغداد الى اصفهان وللغرب قبلهم في العدول
عن المدائن الى الكوفة والصنع ولي العباس في العدول عن دمشق الى بغداد ولني
مرين بالعرب في العدول عن مراكن الى فاس وبالمجمل فلتخاذ الدولة الكرسي في مصر
يجل بعمران الكرسي الاول. الامر الرابع ان الدولة النامية لابد فيها من تنوع اهل الدولة
السابقة واتباعها نحو بلهم الى قطر احر يومن فيه عائلتهم على الدولة واكثر اهل مصر
الكرسي اتباع الدولة اما من الحماية الذين يرلوا به اول الدولة او اعيان المصر لان
لم في العالم محالطة للدولة على طبقاتهم وتنوع اصنافهم بل اكثرهم ناشي في الدولة فهم
شيعة لما وان لم يكونوا بالتوكة والعصبة هم بالميل والهمة والعقيدة وطبيعة الدولة
المتجددة محو آثار الدولة السابقة فيقلهم من مصر الكرسي الى وطنها المتمكن في ملكيتها فتعصم
على نوع التفرير والحس وتعصم على نوع الكرامة والتلطف بحيث لا يؤدي الى الفر
حتى لا يبقى في مصر الكرسي الا الناعة والهيل من اهل العلم والعبارة وسواد العامة وينزل
مكانهم حامينها واتباعها من يستند به مصر وإذا ذهب من مصر اعيانهم على طبقاتهم
نقص ساكنة وهو معنى اختلال عمرانهم ثم لابد من ان يستجد عمران اخر في ظل الدولة
الجديدة وتحصل فيحصارة اخرى على قدر الدولة وإنما ذلك بمثابة من لبيت على اوصاف
مخصوصة فظهر من قدره على تغيير تلك الاوصاف وإعادة نشائها على ما يجتازة وبقرحة
فيخرّب ذلك البت ثم بعد سنة ثانية وقد وقع من ذلك كثير في الامصار التي هي كراسي

للملك وشاهدناه وعلمناه والله يقدر الليل والنهار . والسبب الطبيعي الاول في ذلك على الجملة ان الدولة والمملك للعران بمثابة الصورة للمادة وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها وقد نقرر في علوم الحكمة انه لا يمكن انفكاك احدهما عن الاخر فالدولة دون العران لا تتصور والعران دون الدولة والمملك متعذر لما في طباع البشر من العدوان الداعي الى الوازع فتتعين السياسة لذلك اما الشرعية او الملكية وهو معنى الدولة واذا كانا لا ينفكان فاختلال احدهما موثر في اختلال الاخر كما ان عدمه موثر في عدمه والخلل العظيم انما يكون من خلل الدولة الكلية مثل دولة الروم او الفرس او العرب على العموم او بني أمية او بني العباس كذلك واما الدولة الشخصية مثل دولة انوشروان او هرقل او عبد الملك بن مروان او الرشيد فاشخاصها متعاقبة على العران حافظة لوجوده وبقائه وقريبة الشبه بعضها من بعض فلا تؤثر كثير اختلال لان الدولة بالحققة الفاعلة في مادة العران انما هي العصبية والشوكة وهي مستمرة على اشخاص الدولة فاذا ذهبت تلك العصبية ودفعتمها عصبية اخرى موثرة في العران ذهبت اهل الشوكة باجمعهم وعظم الخلل كما قررناه اولاً والله سبحانه وتعالى اعلم

الفصل العشرون

في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض وذلك انه من البين ان اعمال اهل المصر يستدعي بعضها بعضاً لما في طبيعة العران من التعاون وما يستدعي من الاعمال يختص ببعض اهل المصر فيقومون عليه ويستبصرون في صناعتهم ويختصون بوظيفتهم ويجعلون معاشهم فيه ورزقهم منه لعدم البلوى به في المصر والحاجة اليه وما لا يستدعي في المصر يكون غنائماً اذا فائدة لمتخلو في الاحتراف به وما يستدعي من ذلك لضرورة المعاش فيوجد في كل مصر كالحياط والحديد والنجار وامثالها وما يستدعي لعوائد الترف واحواله فانما يوجد في المدن المستجرة في العارة الآخذة في عوائد الترف والحضارة مثل الزجاج والصانع والدهان والطباخ والصنار والفراش والذبايح وامثال هذه وهي متفاوتة ويقدر ما تزيد عوائد الحضارة وتستدعي احوال الترف تحدث صنائع لذلك النوع فتوجد بذلك المصر دون غيره ومن هذا الباب المحامات لانها انما توجد في الامصار المستغصرة المستجرة العران لما بدع اليه الترف والغنى من التمتع ولذلك لا تكون في المدن المتوسطة وان تزرع بعض

الملوك والروساء اليها فيخضعونها ويحرمون احوالها الا انها اذا لم تكن لها داعية من كافة الناس فسرعان ما تنجر ونحرب وترفع عنها القومة لقله فائدتهم ومعاشهم منها والله يقبض وييسط

الفصل الحادي والعشرون

في وجود العصبية في الامصار وتغلب بعضهم على بعض

من الذين ان الاتهام والاتصال موجود في طباع الشرط لم يكونوا اهل نسب واحد الا انه كما قدمناه اصعب مما يكون بالنسب وانه تحصل به العصبية بعضاً مما تحصل بالنسب واهل الامصار كثير منهم ملتحمون بالصهر يجذب بعضهم بعضاً الى ان يكونوا لحماً لحماً وقرابة قرابة ويخمد بينهم من العداوة والصداقة ما يكون بين القبائل والعشائر مثله فيمتزقون شيعاً وعصائب فاذا رل الهرم بالدولة وتقلص ظل الدولة عن القاصية احتاج اهل امصارها الى القيام على امرهم والنظر في حماية بلدهم ورجعوا الى الشورى ونيز العلية عن السلة والنموس بطاعها متطاولة الى الغلب والرياسة فتطعم المشيخة للحلاء الجوع من السلطان والدولة القاهرة الى الاستعداد وينازع كل صاحبه ويستوصلون بالاتناع من الموالى والشيعة والاحلاف ويدلون ما في ايديهم للاوغاد والاشاب فيعصوب كل لصاحبه ويتعين الغلب لبعضهم فيعطف على اكماؤه لينقص من اعنتهم ويتنعم بالقتل او التعذيب حتى يخلص منهم الشوكات النافذة ويقلم الاظفار الحادشة ويستند بصره اجمع ويرى انه قد استحدث ملكاً بورقة عنة فيحدث في ذلك الملك الاصغر ما يحدث في الملك الاعظم من عوارض الجدة والهرم وربما يسمو بعض هؤلاء الى مازع الملوك الاعاظم اصحاب القبائل والعشائر والعصبيات والرحوف والحروب والاقطار والممالك فيستحلون بها من الجلوس على السرير واتخاذ الالة واعداد المراكب للسير في اقطار البلد والتخيم والحسبة والحطاب بالتمويل ما يسخر منه من يشاهد احوالهم لما انغلغوا من شارات الملك التي ليسوا لها اهل انما دفعهم الى ذلك تقلص الدولة واتهام بعض القربات حتى صارت عصبية وقد يتزعم بعضهم عن ذلك ويحرم على مذهب السذاجة فراراً من التعريض بفساد الشريعة والعسك وقد وقع هذا ما فرقة لهذا العهد في اخر الدولة الحفصية لاهل بلاد الجريد من طرابلس وقابس وتورر ونفطة وقفصة وسكرة والراب ومالى ذلك شبهوا الى مثلها عند تقلص ظل الدولة عنهم منذ عقود من السنين فاستغلوا على امصارهم واستندوا امرها على الدولة في الاحكام والجمابة واعطوا طاعة معروفة وصيقة

ممرضة واقطعوها جاساً من الملاينة والملاطمة والاقبيام وممرل عنه وأورثوا ذلك اعتقائهم
لهذا العهد وحدث في خلعهم من الغلظة والتجبر ما يحدث لاعتقاب الملوك وخلعهم وطمعوا
انفسهم في عداد السلاطين على قرب عهدهم بالسوق حتى محاذ ذلك مولانا امير المؤمنين
ابو العباس وانتزع ما كان بأيديهم من ذلك كما ذكرته في اخبار الدولة وقد كان مثل
ذلك وقع في اخر الدولة الصهاجية واستقل بمصار الجريد اهلها واستندوا على الدولة
حتى انتزع ذلك منهم شيخ الموحدين وملكمهم عبد المومن بن علي ونقلهم كلهم من امارتهم بها
الى المغرب ومحا من تلك البلاد اثارهم كما ذكر في اخباره وكذا وقع سنة لآخر دولة بني
عبد المومن وهذا التغلب يكون غالباً في اهل السروات والبيوتات المرتحون للشيعة
والرياسة في المصرو قد يحدث التغلب لبعض السطة من الفوغاء والدهاء واذا حصلت
به العصية والالتحام بالاوغاد لاسباب يجرها له المقدار فيتغلب على المنتيجة والعلية ادا
كانوا فاقدين للعصاية والله سبحانه وتعالى غالب على امره

الفصل الثاني والعشرون

في لغات اهل الامصار

اعلم ان لغات اهل الامصار اما تكون بلسان الامة او الجبل الغالين عليها او
المخطين لها ولذلك كانت لغات الامصار الاسلامية كلها بالشرق والمغرب لهذا العهد
عربية وان كان اللسان العربي المضري قد فسدت ملكته وتغير اعرابه والسبب في ذلك
ما وقع للدولة الاسلامية من الغلب على الامم والدين والملة صورة للوجود والملك وكلها
مواد له والصورة مقدمة على المادة والدين اما يستفاد من الشريعة وفي لسان العرب لما
ان النبي صلى الله عليه وسلم عربي فوجب هجر ما سوى اللسان العربي من الالس في جميع
مالكها واعتبر ذلك في نهى عمر رضي الله عنه عن بطانة الاعاجم وقال انها خبث اي مكر
وخديعة فلما هجر الدين اللغات الاعجمية وكان لسان الفائقين بالدولة الاسلامية عربياً
هجرت كلها في جميع مالكها لان الناس نع للسلطان وعلى ديو فصار استعمال اللسان العربي
من شعائر الاسلام وطاعة العرب وهجر الامم لغاتهم والسنهم في جميع الامصار والممالك
وصار اللسان العربي لسانهم حتى رح ذلك لغة في جميع امصارهم ومدنهم وصارت الالسنه
العجمية دخيلة فيها وغريبة ثم فسد اللسان العربي بمخالطتها في بعض احكامه وتغير
اواخره وان كان بقي في الدلالات على اصوله وسي لساناً حصرياً في جميع امصار الاسلام

وأيضاً فأكثر أهل الأمصار في المثلثة هذا العهد من اعتقاد العرب المالكين لها المالكين في
 ترفها بما كثر في العجم الذين كانوا بها وورثوا أوصافهم وديارهم واللغات متوارثة فغيت
 لغة الاعتقاد على حبال لغة الأمصار فسدت أحكامها بمخالطة الأعجم تبتاً فثبتاً ومميت
 لغتهم حصرياً منسوبة إلى أهل الحواضر والأمصار بخلاف لغة البدو من العرب فانها
 كانت أعرق في العروبة واثبتت العجم من الديلم والسجوقية بعدم المشرق وزمانه
 والدرر بالمغرب وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية فسد اللسان
 العربي لذلك وكاد يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة اللذين
 بهما حفظ الدين وصار ذلك مرجحاً لبقاء اللغة العربية المصرية من الشعر والكلام إلا
 قليلاً بالأمصار فلما ملك النتر والمعل بالمشرق ولم يكونوا على دين الإسلام ذهب ذلك
 المخرج وفسدت اللغة العربية على الإطلاق ولم يبق لها رسم في الممالك الإسلامية بالعراق
 وحراسان وبلاد فارس وأرض الهند والسند وما وراء الهند وبلاد الشمال وبلاد الروم
 وذهبت أساليب اللغة العربية من الشعر والكلام إلا قليلاً يقع تعليمها صاعياً بالقوانين
 المتدايرة من كلام العرب وحفظ كلامهم لمن يسهو الله تعالى لذلك وربما بقيت اللغة
 العربية المصرية بمصر والشام والأندلس والمغرب لقاء الدين طلباً لها فتمحطت بعض
 الشيء وإما في ممالك العراق وما وراءها فلم يبق له أثر ولا عين حتى أن كتب العلوم صارت
 تكتب باللسان العجمي وكذا تدريس في المدارس والله أعلم بالصواب

الفصل الخامس

من الكتاب الأول

في المعاش ووجوه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله من الأحوال وفيه مسائل

الفصل الأول

في حنيفة الرزق والكسب وشرحها وإن الكسب هو قيمة الأعمال الشترية
 أعلم أن الإنسان مفتر بالطبع إلى ما يقوته ويموته في حالته وأطواره من لدن نشوء
 إلى أشده إلى كبره والله الغني وأتم النقاء والله سبحانه خلق جميع ما في العالم للإنسان
 وأمن به عليه في غير ما أمة من كناية فقال خلق لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً
 منه وسخر لكم البحر وسخر لكم الملك وسخر لكم الأنعام وكثير من شواهد وبد الإنسان

مهسوبة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستغلاف وإيدي الشر منتشرة فهي مشتركة
 في ذلك وما حصل عليه يد هذا امتنع عن الآخر إلا بعوض فلا لسان متى اقتدر على
 نفسه وتجاوز طور الضعف سعى في اقتناء المكاسب لينفق ما آناه الله منها في تحصيل حاجاته
 وضروراته يدفع الأعراض عنها قال الله تعالى فاتبعوا عدا الله الرزق وقد يحصل له
 ذلك بغرر سعي كالطمر المصلح للرعاة وأمثاله إلا أنها إنما تكون معيبة ولا بد من سعيه
 معها كما يأتي فتكون له تلك المكاسب معاتاً إن كانت بمقدار الضرورة والحاجة ورياشاً
 ومتمولاً إن رادت على ذلك ثم إن ذلك الحاصل أو المكتنى إن عادت مسعنة على العبد
 وحصلت له ثمرته من أساق في مصاحبه وحاجاته سي ذلك رزقاً قال صلى الله عليه وسلم
 إنما لك من مالك ما أكلت فأفريت وألست فألميت وتصدقت فأمصيت وإن لم يتنعم بوفي
 شيء من مصاحبه ولا حاجاته فلا يسمى بالسعة إلى المالك رزقاً والمملك منه حيث سعى العبد
 وقدرته يسمى كسباً وهذا مثل التراث فإنه يسمى بالسعة إلى المالك كسباً ولا يسمى رزقاً إذ لم يحصل
 به منفعة والسعة إلى الوارثين متى اتبعوا بوسى رزقاً هذا حقيقة معنى الرزق عداهل
 السعة وقد اشترط المعتزل في تسميته رزقاً أن يكون بحيث يصح تملكه وما لا يملك عدم
 لا يسمى رزقاً وإخراج المصوبات والحرام كله عن أن يسمى شيء منها رزقاً والله تعالى
 يبرق العاصب والظالم والمومن والكافر ويخص رحمته وهدايته من يشاء ولم في ذلك
 حجب ليس هذا موضع بسطها ثم اعلم أن الكسب إنما يكون بالسعي في الاقتناء والقصد إلى
 التحصيل فلا بد في الرزق من سعي وعمل ولو في تناول أو امتناعه من وجوهه قال تعالى
 فاتبعوا عدا الله الرزق والسعي إليه إنما يكون بأقدار الله تعالى وإلهامه فالكسب من عدا الله
 فلا بد من الأعمال الانسانية في كل مكسب وتمول لأنه إن كان عملاً سعة مثل
 الصنائع فظاهر وإن كان مكتنى من الحيوان والنبات والمعدن فلا بد فيه من العمل
 الانساني كما تراه واللام يحصل ولم يقع أو انتفاع ثم إن الله تعالى خلق المخرجين المعديين
 من الذهب والنفضة قيمة لكل متمول وهما الدخيرة والقيمة لأهل العالم في العالب وإن اقتضى
 سواهما في بعض الأحيان فإما هو لقصد تحصيلها بما يقع في غيرها من حوالة الأسواق التي
 لها عنها يعمل فيها أصل المكاسب والقيمة والدخيرة وإذا تقرر هذا كله فاعلم أن ما يبده
 الإنسان ويتنعم به المتمولات إن كان من الصنائع والمعاد المكتنى من قيمة عمله وهو القصد
 بالقيمة إذ ليس هناك إلا العمل وليس بمقصود بمسؤول للقيمة وقد يكون مع الصنائع في
 بعضها غيرها مثل التجارة والحياكة معها الحنطب والغزل إلا أن العمل فيها أكثر قيمة

أكثر وإن كان من غير الصنائع فلا يمد في قيمة ذلك المفاد والقيمة من دخول قيمة العمل الذي حصلت به إذ لولا العمل لم تحصل قنيتها وقد تكون ملاحظة العمل ظاهرة في الكثير منها فيجعل له حصة من القيمة عظمت أو صغرت وقد تخفى ملاحظة العمل كافي أسعار الأقوات بين الناس فإن اعتبار الأعمال والنقات فيها ملاحظ في أسعار الحبوب كما قدمناه لكنه خفي في الاقطار التي علاج الفلح فيها وموته يسيرة فلا يشعر به إلا القليل من أهل الفلح فقد تبين أن المفادات والمكتسبات كلها أو أكثرها إنما هي قيم الأعمال الإنسانية وتبين معنى الرزق وأنه المتنعف به فقد بان معنى الكسب والرزق وشرح مساهما وأعلم أنه إذا فقدت الأعمال أو قلت بانتقاص العمران تأخذ الله برفع الكسب ألا ترى إلى الأمصار القليلة الساكن كيف يقل الرزق والكسب فيها أو يفقد لقلة الأعمال الإنسانية وكذلك الأمصار التي يكون عمرانها أكثر يكون أهلها أوسع أحوالاً وأشد رفاهية كما قدمناه قبل ومن هذا الباب تقول العامة في البلاد إذا تناقص عمرانها أنها قد ذهب رزقها حتى أن النهار والعيون ينقطع جريها في القفر لما أن فور العيون إنما يكون بالانباط والامتراء الذي هو بالعمل الإنساني كالحال في ضروع الأنعام فإلما يكن انباط ولا امتراء نصبت وغارت بالجملة كالبحف الضرع إذا ترك امتراءً وانظره في البلاد التي تعهد فيها العيون لأيام عمرانها ثم يأتي عليها انقرب كيف تغور مياهها جملة كانها لم تكن والله مقدر الليل والنهار

الفصل الثاني

في وجوه المعاش وأصنافها وما هو

أعلم أن المعاش هو عارة عن ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله وهو منفعل من العيش كأنه لما كان العيش الذي هو الحياة لا يحصل إلا بهذه جعلت موضعاً له على طريق المبالغة ثم أن تحصيل الرزق وكسبه إما أن يكون باخذ من يد الغير وانتزاعه بالافتداز عليه على قانون متعارف ويسمى مغرماً وجابياً وإما أن يكون من الحيوان الوحشي باقتراضه واخذ برمي من البر أو الجبر ويسمى اصطلياداً وإما أن يكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله المنصرف بين الناس في منافعهم كاللبن من الأنعام والحزير من دود العسل من نخله أو يكون من النبات في الزرع والشجر بالقيام عليه وإعداده لاستخراج ثمرته ويسمى هذا كله فلحاً وإما أن يكون الكسب من الأعمال الإنسانية إما في مواد معينة وتسمى الصنائع من كناية ونجارة وخياطة وحياكة وفروسة وإمثال ذلك أو في مواد غير معينة وهي جميع

الامتنانات والتصرفات واما ان يكون الكسب من البضائع وإعدادها للاعواض اما بالتقلب بها في البلاد واحتكارها وإرتقاب حوالة الأسواق فيها وبسبب هذا تجارة فهدو وجوه المعاش وإصافه وهي معنى ما ذكره المحققون من اهل الادب والحكمة كالحريزي وغيره فانهم قالوا المعاش اماره وتجارة وفلاحه وصناعه فاما الامارة فليست بدهب طبيعي للمعاش فلاحه سنا الى ذكرها وقد تقدم شي من احوال المجبايات السلطانية واهلها في الفصل الثاني واما الملاحة والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعية للمعاش اما الملاحة فهي متقدمة عليها كلها بالذات اذ هي بسيطة وطبيعية فطرية لا تحتاج الى نظرو ولا علم ولهذا نسب في الحليقة الى ادم ابي الشروانه معلها والقائم عليها اشارة الى انها اقدم وجوه المعاش واسبها الى الطبيعة واما الصانع فهي تايبتها ومتاخرة عنها لانها مركبة وعلمية تصرف فيها الافكار والافكار ولهذا لا يوجد عالماً الا في اهل الحصر الذي هو متأخر عن الدووتان عنه ومن هذا المعنى نسبت الى ادريس الاب الثاني للحليقة فانه مستطها لمن بعده من البشر بالوحي من الله تعالى واما التجارة وان كانت طبيعية في الكسب فالأكثر من طرقها ومذاهبها اما في تخيلات في الحصول على ما بين القيمين في الشراء والبيع لتحصل فائدة الكسب من تلك النقلة ولذلك اباح الشرع فيه المكاسه لما انة من باب المقامرة الا انه ليس اخذاً لمال الغير مجاًماً فهذا يختص بالمشروعية .

الفصل الثالث

في ان الخدمة ليست من الطبيعي

اعلم ان السلطان لانه من اتخاذ الخدمة في سائر اسباب الامارة والمملك الذي هو بسبيله من الخدمي والترطي والكاتب ويستكني في كل باب من يعلم غناء فيه ويتكلم بارزاقهم من بيت ماله وهذا كله مدرج في الامارة ومعاشها اذ كلهم يتسحب عليهم حكم الامارة والمملك الاعظم هو يسوع حداوله واما ما دون ذلك من الخدمة فمسيها ان أكثر المتفرعين يترفع عن مباشرة حاجاته او يكون عاهراً عنها لما ربي عليه من خلق التسم والترف فيتعذر من يتولى ذلك له وينقطع عليه احراً من ماله وهذه الحالة غير محمودة بحسب الجولية الطبيعية للانسان اذ الثقة بكل احد وعجز ولايتها تريد في الوظائف والخرج وتدل على العجز والحمس الذي ينبغي في مداهب الرحولية التره عنها الا ان العوائد تقلب طباع الانسان الى ما لوها فهو اس عوائده لا ان سم ومع ذلك فالخدم الذي يستكني

به ويوثق بعنايته كالمفود اذا اخذهم القاتم بذلك لا يعدو اربع حالات اما مضطلع بامر
ولا موتوق فيما يحصل بيده واما بالعكس فيها وهو ان يكون غير مضطلع بامر ولا موتوق
فيما يحصل بيده واما بالعكس في احدهما فقط مثل ان يكون مضطلاً غير موتوق او
موتوقاً غير مضطلع واما الاول وهو المضطلع الموتوق فلا يمكن احد استعماله لوجه اذ
هو باصطلاحه وتفتوغي* عر اهل الرتب الدينية ومحترمان لاجل من الخدمة لا تقدره
على اكثر من ذلك فلا يستعمله الا الامراء اهل الجاه العريض لعموم الحاجة الى الجاه
واما الصف الثاني وهو من ليس بمضطلع ولا موتوق فلا ينبغي لعاقب استعماله لانه
يخف بمحدومو في الامرين معاً فيصعب عليه لعدم الاصطناع تارة ويذهب ماله بالحمالة
اخرى فهو على كل حال كل على مولاه مهدا الصغار لا يطيع احد في استعمالها ولم
يق الا استعمال الصبيان الاخرين موتوق غير مضطلع ومضطلع غير موتوق وللناس في
الترجح بينهما مذهبان ولكل من الترحمين وجه الا ان المضطلع ولو كان غير موتوق ارجح
لانه يوم من نصيبه ويحاول على الفخر من خيانه جهد الاستطاعة واما المصعب ولو
كان ماموماً فضرره بالتصعب اكثر من نفعه فاعلم ذلك واتخذ قانوناً في الاستكفاء
بالخدمة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يحياه

الفصل الرابع

في ان انتفاء الاموال من الدفائن والكور ليس بمعاش طبيعي
اعلم ان كثيراً من ضعفاء العقول في الامصار يحرصون على استخراج الاموال من
تحت الارض ويتفنون الكسب من ذلك ويعتقدون ان اموال الامم السالفة مختزنة كلها
تحت الارض مخنونة عليها كلها بظلام صحرة لا يبص خناصها ذلك الا من عثر على علمه
واستخضر ما بجمله من الجور والدعا والقراب فاهل الامصار بامر ببقية يرون ان الافرنجة
الذين كانوا قبل الاسلام بها دفنوا اموالهم كذلك واودعوها في الصنف بالكتاب الى
ان يجدوا السبل الى استخراجها واهل الامصار بالشرق يرون مثل ذلك في ام القبط
والروم والفرس ويتناقلون في ذلك احاديث تشبه حديث خرافة من انتهاء بعض الطالبين
لذلك الى حفر موضع المال من لم يعرف طلسمه ولا خيره فيجدونه خالياً او معبوره
بالديدان او يشاهد الاموال والجواهر موضوعة والحرس حولها مستنصين سيوفهم او نمد
يو الارض حتى يظنه خسفاً او مثل ذلك من الهذو ونجد كثيراً من طلبة البر بالمرغرب

العاجزين عن المعاش الطبيعي واسباؤهم يقتربون الى اهل الدنيا بالاوراق المخزومة
 الحواشي اما بخطوط عجيبة او بما ترجم بزعمهم منها من خطوط اهل الدفائن باعطاء
 الامارات عليها في اماكنها يتفقون بذلك الرزق منهم بما يبعثونه على الحفر والطلب
 ويوهون عليهم بانهم انما حملهم على الاستعانة بهم طلب الجاه في مثل هذا من منال المحكام
 والعقوبات وربما تكون عند بعضهم نادرة او غريبة من الاعمال البحرية يموت بها على
 تصديق ما بقي من دعوة وهو بمنزل عن البحر وطرقه فتولع كثير من ضعفاء العقول
 يجمع الايدي على الاحتمار والتسترفيه بظلمات الليل مخافة الرقباء وعيون اهل الدول
 فاذا لم يعثروا على شيء ردوا ذلك الى الجهل بالطلم الذي ختم به على ذلك المال
 يخادعون به انفسهم عن اخفاق مطامعهم والذي يحمل على ذلك في الغالب زيادة على
 ضعف العقل انما هو العجز عن طلب المعاش بالوجه الطبيعية للكسب من التجارة والفن
 والصناعة فيطلبونه بالوجه المخرفة وعلى غير المجرى الطبيعي من هذا وامثاله عجزاً عن
 السعي في المكاسب وركونا الى تناول الرزق من غير تعب ولا نصب في تحصيله واكتسابه
 ولا يعلمون انهم يوقعون انفسهم بابتغاء ذلك من غير وجهه في نصب ومتاعب وجهه
 شديد اشد من الاول ويعرضون انفسهم مع ذلك لمنال العقوبات وربما يحمل على ذلك
 في الاكثر زيادة الترف وعوائد وخروجها عن حد النهاية حتى يقصر عنها وجوه الكسب
 ومذاهبه ولا تفي بمطالبها فاذا عجز عن الكسب بالمجرى الطبيعي لم يجد وليعة في نفسه الا
 التمني لوجود المال العظيم دفعة من غير كلفة ليني له ذلك بالعوائد التي حصل في اسرها
 فيحرص على ابتغاء ذلك ويسعى فيه جهده ولهذا فاكثرت من ترام بحرصون على ذلك م
 المترفون من اهل الدولة ومن سكان الامصار الكثيرة الترف المتسعة الاحوال مثل مصر
 وما في معناها فنجده الكثير منهم مفرمين بابتغاء ذلك وتحصيله ومساءلة الركبان عن شواذه
 كما يحرصون على الكبياء هكذا بلغني عن اهل مصر في مفاضة من يلقونه من طلبه المغاربة
 لعلمهم يعثرون منه على دفين او كنز ويزيدون على ذلك البحث عن تفوير المياه لما يرون
 ان غالب هذه الاموال الدفينة كلها في مجاري النيل وانه اعظم ما يستردفينا او نحتزنا في
 تلك الافاق ويموت عليهم اصحاب تلك الدفاتر المتعقلة في الاعتذار عن الوصول اليها
 بحرية النيل تسترا بذلك من الكذب حتى يحصل على معاشه فيحرص سماع ذلك منهم على
 نضوب الماء بالاعمال البحرية لتحصيل متغاه من هذه كلنا بشأن البحر متوارثا في ذلك
 القطر عن اوليه فعلوهم البحرية واثارها باقية بارضهم في البراري وغيرها وقصة سمرة

فرعون شاهدة باختصاصهم بذلك وقد تناقل اهل المغرب قصيدة ينسبونها الى حكماء المشرق تعطى فيها كيمية العمل بالتغوير بصناعة سحرية حسما تراء فيها وفي هذه

يا طالما للسرى في التغوير	اسمع كلام الصدق من خير
دع عنك ما قد صنوا في كتبهم	من قول بهتان ولفظ غرور
واسمع لصدق مقالتي ونصيحتي	ان كنت ممن لا يرى بالزور
فاذا اردت نفور البشر التي	حارت له الاوهام في التدبير
صور كصورتك التي اوقعتها	والراس راس النسل في التغوير
وبداء ما سكتان للجبل الذي	في الدلو يشل من قرار الير
وبصدرو هاه كما عاينها	عدد الطلاق احذر من التكرير
وبطاع على الطاء انت غير ملاسي	مثنى اللهب الكيس الغرير
ويكون حول الكل خط دائر	تربعة اولى من التكوير
واذبح عليه الطير والطحه به	واقصده عقب الذبح بالتجوير
بالسندروس وباللبان وميعه	والفسطخ والسسه شوب حرير
من احمر او اصفر لا ارقى	لا اخضر فيه ولا تكدير
وبشده خيطا صوف ابيض	او احمر من خالص القدير
والطالع الاسد الذي قد يسوا	ويكون نده النهر غير مبر
والندر متصل بسعد عطار	في يوم سبت ساعة التدبير

يعني ان تكون الطاءات بين قدميه كانه يمشي عليها وعندي ان هذه النصيده من نوبات المخترفين فلم في ذلك احوال غريبة واصطلاحات غمجة وتنتهي التفرقة والكذب بهم الى ان يسكنوا المارل المشهورة والدور المعروفة لمثل هذه ويخندرون الحمر ويصعون المطاقي فيها والتواهد التي يكنونها في صحائف كذبهم ثم يقصدون صعاء العقول بامثال هذه الصحائف ويعتقون على كراء ذلك المنزل وسكناه ويوهمون ان به دفيما من المال لا يبعد عن كثيرته وبطالون بالمال لا شراء العقاقير والنجورات لحل الطلاس وبعدونه ظهور التواهد التي قد اعدوها هنالك بانسهم ومن فعلهم فينبعث لما يرام من ذلك وهو قد خدع ولس عليه من حيث لا يسعرو وينهم في ذلك اصطلاح في كلامهم يلبسون به عليهم ليحى عدد محاورتهم فيما يتلونه من رويجور وديج حيوان وامثال ذلك واما الكلام في ذلك على الحقيقة فلا اصل له في علم ولا خبر واعلم ان الكوز وان كانت

توجد لكنها في حكم النادر على وجه الاتفاق لا على وجه القصد اليها وليس ذلك بامرهم
 به البلوى حتى يدخر الناس اموالهم تحت الارض ويختمون عليها بالطلاسم لافي القدم ولا
 في الحديث والركاز الذي ورد في الحديث وفرضه الفقهاء وهو دفن الجاهلية انما يوجد
 بالعمور والاتفاق لا بالقصد والطلب وايضا فمن اخزن ماله وختم عليه بالاعمال البحرية
 فقد بالغ في اخفائه فكيف ينصب عليه الادلة والامارات لمن يتخبره ويكتب ذلك في
 الصحائف حتى يطلع على ذخيرته اهل الامصار والآفاق هذا يافض قصد الاخفاء وايضا
 فافعال العقلاء لا بد وان تكون لغرض مقصود في الانتفاع ومن اخزن المال فانه
 يحتز به لولده او قريبه او من يورثه واما ان يقصد اخفائه بالكلية عن كل احد وانما
 هو للبلاد والهلاك او لمن لا يعرفه بالكلية من سواي من الامم فهذا ليس من مقاصد العقلاء
 سوجه واما قولهم اين اموال الامم من قبلنا وما علم فيها من الكثرة والوفور فاعلم ان
 الاموال من الذهب والنقصة والجواهر والامتنعة انما هي معادن ومكاسب مثل الحديد
 والنحاس والرصاص وسائر العقارات والمعادن والعيان يظهرها بالاعمال الاساسية
 ويزيد فيها او ينقصها وما يوجد منها بأيدي الناس فهو متاقل متوارث وربما انتقل من
 قطر الى قطر ومن دولة الى اخرى بحسب اعراضه والعمران الذي يستدعي له فان نقص
 المال في المغرب وافريقية فلم ينقص سداد الصقالة والافرنج وان نقص في مصر والشام
 فلم ينقص في الهند والصين وانما هي الآلات والمكاسب والعمران يوفرها او ينقصها مع ان
 المعادن يدركها البلاد كما يدرك سائر الموجودات ويسرع الى التولود والجوهر اعظم ما
 يسرع الى غيره وكذا الذهب والنقصة والنحاس والحديد والرصاص والنقصد يربهاها من
 البلاد والبناء ما يذهب باعيانها لا قرب وقت واما ما وقع في مصر من امر المطالب
 والكنور فسيب ان مصر في ملكه القبط منذ آلاف ويزيد من السنين وكان موتاهم يدفنون
 بموجود من الذهب والنقصة والجوهر والآل على مذهب من تقدم من اهل الدول فلما
 انتقضت دولة القبط وملك العرب بلادهم فقرأ على ذلك في قبورهم وكشفوا عفاخذوا
 من قبورهم ما لا يوصف كالا حرام من قبور الملوك وغيرها وكذا فعل اليونانيون من عدم
 وصارت قبورهم مظنة لذلك لهذا العهد ويعتبر على الدفين فيها كثير من الاوقات
 اما ما يدفنون من اموالهم او ما يكرمون بموتاهم في الدفن من اوعية وتوابيت من الذهب
 والنقصة معدة لذلك فصارت قبور القبط منذ آلاف من السنين مظنة لوجود ذلك فيها
 فلذلك عني اهل مصر بالبحث عن المطالب لوجود ذلك فيها واستخراجها حتى انهم

حين ضرت المكوس على الاطناف اخر الدولة ضرت على اهل المطالب وصدرت
ضريبة على من يشتغل بذلك من الحق والموسين فوجد ذلك المتعاطون من اهل
الاطاع الذريعة الى الكنف عه والدرع باستخراجه وما حصلوا الا على الحجة في جميع
مساعدتهم بعود الله من الحمران فيحتاج من وقع له شيء من هذا الوسواس وانتلي يؤان
يتعود بالله من العجز والكسل في طلب معاشه كما تعود رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ذلك ويصرف عن طرق الشيطان ووسواسه ولا يتعل بنفسه بالهالات والمكاذب من
الحكايات والله يرزق من يشاء بغير حساب

الفصل الخامس

في ان الحماه معيد المال

وذلك انما يجد صاحب المال والحظوة في جميع اصناف المعاش اكثر يساراً وثروة
من فاقد الحماه والسبب في ذلك ان صاحب الحماه محمود بالاعمال بتقرب بها اليه في
سبيل التزلف والحاجة الى جاهه والناس معيوسون له في عالم في جميع حاجاته من ضروري
او حاجتي او كالي فحصل قيم تلك الاعمال كلها من كسبه وجميع ماشاته ان تذلل فيه
الاعراض من العمل يستعمل فيها الناس من غير عوض فتتوفر تلك قيم الاعمال عليهم
بين قيم للاعمال يكتسبها وقيم اخرى تدعو الضرورة الى اخراجها فتتوفر عليهم والاعمال
لصاحب الحماه كثيرة فتزيد الغنى لا قرب وقت ويرداد مع الايام يساراً وثروة ولهذا
المعنى كانت الامارة احد اسباب المعاش كما قدمناه وفاقد الحماه بالكلية ولو كان صاحب
مال فلا يكون يساراً الا بمقدار ماله وعليه سعة سعيه وهؤلاء هم اكثر التجار ولهذا تجد
اهل الحماه منهم يكونون يسر بكثير وما يتهدد لذلك انما يجد كثيراً من الفقهاء واهل الدين
والعبادة اذا اشتهر حسن الظن بهم واعتقد الجمهور معاملته الله في ارفادهم فاخلص الناس
في اعانهم على احوال دنياهم والاعتقال في مصالحهم اسرعت اليهم الثروة واصبحوا مياسير
من غير مال مقنى الا ما يحصل لهم من قيم الاعمال التي وقعت المعونة بها من الناس لم
راياً من ذلك اعتدائاً في المصار والمكس وفي الدويعة لم الناس في الطخ والتجهر
وكل هو قاعد بمنزلة لا يبرح من مكانه فيتموالة ويعظم كسبه ويتأثر الغني من غير سعي
ويحب من لا يفتن لهذا السرفي حال ثروته واسباب غناه ويساره والله سبحانه وتعالى
يرزق من يشاء بغير حساب ..

الفصل السادس

في ان السعادة والكسب انما يحصل غالباً لاهل الخسوع والتلق بأن هذا المخلوق من اسباب السعادة قد سلف لنا فيما سبق ان الكسب الذي يستفيد الشرائع هو قيم اعمالهم ولو قدر احد عطل عن العمل حلة لكان فاقد الكسب بالكلية وعلى قدر عمله وشرافه من الاعمال وحاجة الناس اليه يكون قدر قيمته وعلى نسبة ذلك ثمره كسبه او نقصانه وقد بينا انما ان الجاه ينفد المال لما يحصل لصاحبه من تقرب الناس اليه باعماله وامواله في دفع المصار وجلب المنافع وكان ما يتفكرون به من عمل او مال عوضاً عما يحصلون عليه بسبب الجاه من الاغراض في صالح او طالح وتصور تلك الاعمال في كسبه وقيمتها اموال وثروة فيستفيد الغنى واليسار لا قرب وقت ثم ان الجاه متوزع في الناس ومترب فهم طبقة بعد طبقة ينهي في العلو الى الملوك الذين ليس موقعهم يد عالية وفي السفل الى من لا يملك ضراً ولا معاً بين ابناء جسد وبين ذلك طبقات متعددة حكمة الله في خلقه بما يتظم معانيهم وتيسر مصالحهم ويتم نفاذهم لان النوع الانساني لا يتم وجوده الا بالتعاون وانه وان بدر فقد ذلك في صورة معروضة لا يصح بقاءه ثم ان هذا التعاون لا يحصل الا بالاكراه عليه لجهلهم في الاكثر بمصالح النوع ولما جعل لهم من الاختيار وان افعالهم انما تصدر بالسكر والروية لا بالطبع وقد يمنع من المعاونة فيتعين حمله عليها فلا بد من حامل يكره اساء النوع على مصالحهم لتتم الحكمة الالهية في نفاذ هذا النوع وهذا معنى قوله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليخذل بعضهم بعضاً سجرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون فقد تبين ان الجاه هو القدرة الحاملة للشر على التصرف في من تحت ايديهم من اساء جنسهم بالاذن والمع والتسلط بالنهر والغلة ليجعلهم على دفع مصارم وجلب سافهم في العدل واحكام الشرائع والسياسة وعلى اغراضه فيما سوى ذلك ولكن الاول مقصود في العناية الرامية بالذات والثاني داخل فيها بالعرض كسائر الضرور الداخلة في القضاء الالهي لانه قد لا يتم وجود الخير الكثير الا بوجود شر يسير من اجل المواد فلا ينفوت الخير بذلك بل يقع على ما يطوي عليه من الشر اليسير وهذا معنى وقوع الظلم في الخلقة فنتهم ثم ان كل طبقة من طباق اهل العمران من مدينة او اقليم لها قدرة على من دونها من الطباق وكل واحد من الطبقة السفل يستمد بذي الجاه من اهل الطبقة التي فوقه ويزداد كسبه تصرفاً فيمن تحت يده على قدر ما يستفيد منه والجاه على ذلك داخل على الناس في جميع

ابواب المعاش ويتسع ويضيق بحسب الطبقة والطور الذي فيه صاحبه فان كان الجاه
 متسعاً كان الكسب الناجي عنه كذلك وإن كان ضيقاً قليلاً فمئلاً وفاقد الجاه وإن كان له
 مال فلا يكون يساره الا بمقدار عمله او ماله ونسبة سعيه ذاهباً وايماً في تنبئوا كما كثر
 التجار واهل الفلاحة في الغالب واهل الصنائع كذلك اذا فقدوا الجاه واقتصروا على
 فوائد صنائعهم فانهم يصيرون الى الفقر والخصاصة في الاكثر ولا تسرع اليهم ثروة واما
 يرمقون العيش ترميقاً ويدافعون ضرورة الفقر مدافعة واذا تقرر ذلك وإن الجاه متفرع
 وإن السعادة والخير مقتران بمصوله علمت ان بذله وافادته من اعظم النعم واجلها وان
 باذله من اجل المعصين واما ما يبذله لمن تحت يده فيكون بذله يد عالية وعزة يحتاج طائلة
 ومتبغية الى خصوع وتلقى كما يسأل اهل العز والمالك ولا فيتعذر حصوله فلذلك قلنا
 ان الخسوع والتلقى من اسباب حصول هذا الجاه المحصل للسعادة والكسب وإن اكثر
 اهل الثروة والسعادة بهذا التلقى ولهذا يجد الكثير من يتخلق بالترفع والشتم لا يحصل لم
 غرض الجاه فيقتصرون في الكسب على اعالم ويصرون الى الفقر والخصاصة . واعلم ان
 هذا الكبر والترفع من الاخلاق المذمومة انما يحصل من نوم الكمال وإن الناس يحتاجون
 الى نضاعته من علم او صناعة كالعالم المتبحر في علوه والكتائب المجيد في كتابته والشاعر
 البليغ في شعره وكل محس في صناعته بنوم ان الناس يحتاجون لما بيده فيحدث له ترفع
 عليهم بذلك وكذا بنوم اهل الاساب من كان في امانه ملك او عالم مشهور او كامل في
 طور يعبرون به ما راوه او سمعوه من حال ابائهم في المدينة وبنوم انهم استحقوا مثل
 ذلك بقرابتهم اليهم ووراثتهم عنهم فهم مستسكون في المحاصر بالامر المعدوم وكذلك
 اهل الحيلة والصناعات والتجارب بالامور قد بنوم بعضهم كمالاً في نفسه بذلك واحياجاً اليه
 وتجد هؤلاء الاصناف كلهم مترفعين لا يخضعون لصاحب الجاه ولا يتلقون لمن هو اعلى
 منهم ويستصغرون من سواهم لا اعتقادهم بالنصل على الناس فيستكف احدهم عن الخسوع
 ولو كان للملك ويحده مذلة وهواناً وسهياً ويحاسب الناس في معاملتهم اياه بمقدار ما يتوهم
 في نفسه ويحقد على من قصر له في شيء مما يتوهم من ذلك وربما يدخل على نفسه الهيموم
 والاحزان من تصورهم فيه ويستمر في عناه عظيم من ايجاب الحق لنفسه او اماية الناس
 له من ذلك ويحصل له المقت من الناس لما في طباع الشر من التاله وقل ان يسلم احد
 منهم لاحد في الكمال والترفع عليه الا ان يكون ذلك بنوع من الفقر والغلة والاستطالة
 وهنا كله في ضمن الجاه فاذا فقد صاحب هذا الخلق الجاه وهو مفقود له كما تبين لك

مقنة الناس بهذا الترفع ولم يحصل له حظ من احسانهم وقد الجاه لذلك من اهل الطبقة
التي هي اعلى منه لاجل المقنن وما يحصل له بذلك من القعود عن تعاظم وغشيان
منارلم ففسد معاشه ونفي في خصاصة وفقر او فوق ذلك بقليل واما الثروة فلا تحصل
له اصلاً ومن هذا اشتهر بين الناس ان الكامل في المعرفة محروم من الحظ وانه قد
حوسب بما رزق من المعرفة واقتطع له ذلك من الحظ وهذا معناه ومن خلق لشيء يسر
له والله المقدّر لارب سواه ولقد يقع في الدول اضراب في المراتب من اهل هذا الحلق
ويرتفع فيها كثير من السلة وينزل كثير من العلية بسبب ذلك وذلك ان الدول اذا
بلغت نهايتها من التغلب والاستيلاء انعد منها منبت الملك بملكهم وسلطانهم وبس من
سوام من ذلك واما صاروا في مراتب دون مرتبة الملك ونحت يد السلطان وكانهم
خول له فاذا استمرت الدولة وشيخ الملك تساوى حيثن في المنزلة عند السلطان كل
من انتهى الى خدمته وتقرب اليه بتضيعة واصطعة السلطان لغنائو في كثير من مهماته فجد
كثيراً من السوق يسعى في التقرب من السلطان بجدده ويصحو ويتزلف اليه بوجوه خدمته
ويستعين على ذلك بعظيم من الخسوع والتملق له ولحاشيتو واهل نسبه حتى يرخ قدمه
معهم ويظلمه السلطان في حملته فيحصل له بذلك حظ عظيم من السعادة وينظم في عدد
اهل الدولة وناشئة الدولة حيثن من ابناء قومها الذين ظلوا اضعافهم ومهدوا اكنافهم
مفترون بما كان لامائم في ذلك من الانارلم تسبح به بعوسهم على السلطان ويعتدون
بناثه ويحجرون في مصار الدولة بسببه فيمقتهم السلطان لذلك ويباعدن ويميل الى هؤلاء
المصطعبين الذين لا يعتدون بتقديم ولا يدهون الى دالة ولا ترفع ايمانهم الخسوع له
والتملق والاعمال في غرضه متى ذهب اليه فيتسع جاههم وتعلو منازلهم وتصرف البهم
الوجوه والخواطر بما يحصل لهم من قبل السلطان والملكة عدة ويبقى ناشئة الدولة فيهم
فيه من الترفع والاعتداد بالقديم لا يزيدن ذلك الا بعداً من السلطان ومقناً وابثاراً
لهؤلاء المصطعبين عليهم الى ان تنقرض الدولة وهذا امر طبيعي في الدولة ومنه جاء شان
المصطعبين في الغالب والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لارب سواه

الفصل السابع

في ان الفائمين امور الدين من القضاء والعتيا والتدريس والامامة والخطابة والاذان
ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب

والسبب لذلك ان الكسب كما قدمناه قيمة الاعمال وانها متفاوتة بحسب الحاجة اليها
 فاذا كانت الاعمال ضرورية في العمران عامة الملوى بكانت قيمتها اعظم وكانت الحاجة
 اليها اشد واهل هذه البضائع الدينية لا تنصطر اليهم عامة المخلق وانما يحتاج الى ما عندهم
 المخاص من اقل على ديو وان احتج الى الفيا والقضاء في الخصومات فليس على وجه
 الاصرار والعموم وينتفع الاستغناء عن هؤلاء في الاكثر ولما بهم باقامة مراسيم صاحب
 الدولة بما ماله من النظر في المصالح فيقسم لم حظاً من الرزق على نسبة الحاجة اليهم على
 المموالدي قررناه لا يساوهم ماهر الشوكة ولا ماهر الصنائع من حيث الدين والمراسم
 الشرعية لكنه يقسم بحسب عموم الحاجة وضرورة اهل العرفان فلا يصح في قسمهم الا
 القليل وهم ايضاً لشرف بصائعهم أعزة على المخلق وعد نفوسهم فلا يحصون لاهل الجاه
 حتى يبالوا مة حظاً يستدرون به الرزق بل ولا نترغ اوقاتهم لذلك لما فيه من الشغل
 بهذه البصائع الشريفة المشتملة على اعمال الفكر والدين بل ولا يسعهم ائتمال اسمهم
 لاهل الدنيا اشرف بصائعهم هم بمعزل عن ذلك فذلك لا تعظم ترويحهم في الغالب
 ولقد باحث بعض الصلاء ففكر ذلك على موقع يدي اوراق محرقة من حسابات
 الدواوين بدار المامون تشتمل على كثير من الدخل والمخرج وكانت فيما طالعت فيه
 اوراق النفاة والائمة والمؤذين فوقته عليه وعلم مة صحة ما قلته ورجع اليه وقصينا
 العجب من اسرار الله في خلقه وحكمته في عوالمه والله المالحق القادر لارب سواه

الفصل الثامن

في ان الملاحه من معاش المتصعين واهل العافية من البدو
 وذلك لانه اصبل في الطبيعة وسيط في مخاضه ولذلك لا يجده متخلة احد من اهل
 الحضري العال ولا من المترفين ويخص متخلة بالمداة قال صلى الله عليه وسلم وقد
 رأى السكة بعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم الا دخلت الدل وحلة البجاري
 على الاستكثار مة وترجم عليه باب ما يجذر من عواقب الاشتغال ماله الررع او تجاوز
 الحمد الذي امر به والسبب فيه والله اعلم ما ينسبها من المفرغ المصفي الى التفكك واليد العالية
 فيكون الفارم دليلاً مانساً بما تناولة ايدي التهر والاستطالة قال صلى الله عليه وسلم
 لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة مفرماً اشارة الى الملك المضوض الفاهر للناس الذي معه
 التسلط والجور وسيان حقوق الله تعالى في الممولات واعشار الموقوف كلها مفرم للملوك

والدول والله قادر على ما يشاء والله سبحانه وتعالى اعلم ومو التوفيق

الفصل التاسع

في معنى التجارة ومذاهبها واصنافها

اعلم ان التجارة محاولة الكسب بتسمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء ايام كانت السلعة من رقيق اوزرع اوحوان اوقاش وذلك القدر النامي يسمى ربحاً فالمحاولة لذلك الربح اما ان يحتزن السلعة ويتخمين بها حوالة الاسواق من الرخص الى الغلاء فيعظم ربحه واما ما ينقله الى بلد اخر تنفق فيه تلك السلعة اكثر من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه ولذلك قال بعض الشيوخ من التجار لطلب الكشف عن حقيقة التجارة اما اعلمها لك في كلمتين اشتراء الرخص وبيع الغالي فقد حصلت التجارة اشارة به بذلك الى المعنى الذي قررناه والله سبحانه وتعالى اعلم ومو التوفيق لارب سواه

الفصل العاشر

في اي اصناف الناس يحترف بالتجارة وابهم ينبغي له احساب حرفها

قد قدمنا ان معنى التجارة تسمية المال بشراء الصنائع ومحاولة بيعها باغلى من ثمن الشراء اما ما ننظر حوالة الاسواق او نقلها الى بلد هي فيه اتفق واغلى او بيعها بالغلاء على الاجال وهذا الربح بالنسبة الى اصل المال يسيراً ان المال اذا كان كثيراً عظم الربح لان القليل في الكثير كبير ثم لاند في محاولة هذه التسمية من حصول هذا المال بايدي الباعة في شراء الصنائع وبيعها ومعاملتهم في تقاضي اثمانها واهل الصفة قليل فلا بد من الغش والتطفيف المحجف بالصنائع ومن المثل في الاثمان المحجف بالربح كتعطيل المحاولة في تلك المدة وبها غناؤه ومن المحمود والابتكار المسحت لراس المال ان لم يتقيد بالكتاب والشهادة وغناه بالحكم في ذلك قليل لان الحكم انما هو على الظاهر فيعاني التاجر من ذلك احوالاً صعبة ولا يكاد يحصل على ذلك النافه من الربح الا يعظم الصاء والمشقة او لا يحصل او يتلانى راس ماله فان كان جريئاً على الخصومة بصيراً بالחסان شديد الماحكة مقدماً على الحكم كان ذلك اقرب له الى الصفة بجراؤته منهم وما حكتوه والافلا بد له من جاء يدرب به يوقع له الهبة عند الباعة ويحمل الحكم على اصنافه من معاملته فيحصل له بذلك النصفه في ماله طوعاً في الاول وكراً في الثاني واما من كان فاقداً للجراة والاقدام من نفسه فاقد الجاه من الحكم فينبغي له ان يجنب الاحتراف بالتجارة

لانه يعرض ماله للضياع والذهاب، ويصير ما كلة للباعه ولا يكاد يتصف منهم لان
الغالب في الناس وخصوصاً الرعاع والباعه شرهون الى ما في ايدي الناس سواء متوثبون
عليه ولولا وازع الاحكام لاصبحت اموال الناس نهباً ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين

الفصل الحادي عشر

في ان خلق التجار بازلة عن خلق الاشراف والملوك

وذلك ان التجار في غالب احوالهم انما يعاونون البيع والشراء ولا بد فيه من المكايسة
ضرورية فان اقتصر عليها اقتصرت به على خلقها وهي اعني خلق المكايسة بعيدة عن المروءة
التي تخلق بها الملوك والاشراف واما ان استرذل خلقه بما يتبع ذلك في اهل الطبقة السفلى
منهم من الماحكة والغش والحلابة وتعاهد الايمان الكاذبة على الايمان رداً وقبولاً فاجدر
بذلك الخلق ان يكون في غاية المذلة لما هو معروف ولذلك تجد اهل الرياسة يخامون
الاحتراف بهذه الحرفة لاجل ما يكسب من هذا الخلق وقد يوجد منهم من يسلم من هذا
الخلق ويخاماه لتدرف نفسه وكرم جلاله الا انه في النادرين الوجود والله يهدي من يشاء
بفضله وكرمه وهوب الاولين والآخرين

الفصل الثاني عشر

في نقل التاجر للسلع

التاجر الصير بالتجارة لا ينقل من السلع الا ما تم الحاجة اليه من الغني والغنيير
والسلطان والسوقة اذ في ذلك نفاق سلعتو واما اذا اخنص نقله بما يحتاج اليه البعض
فقط فقد يتعذر نفاق سلعتو حيثئذ ياعوز الشراء من ذلك البعض لعارض من العوارض
فتكسد سوقه وتسد ارباحة وكذلك اذا نقل السلعة المحتاج اليها فانما ينقل الوسط من
صننها فان العالي من كل صنف من السلع انما يختص به اهل الثروة وحاشية الدولة وم
الاقل واما يكون الناس اسوة في الحاجة الى الوسط من كل صنف فليختر ذلك جهده
ففيه نفاق سلعة او كسادها وكذلك نقل السلع من البلد البعيد المسافة او في شدة الخطر
في الطرقات يكون اكثر فائدة للتجار واعظم ارباحاً واكفل بمحوالة الاسواق لان السلعة
المنقولة حيثئذ تكون قليلة معوزة لبعدها مكانها او شدة الضرر في طريقها فيقل حاملوها
ويعجز وجودها واذا قلتموعزت طلبها ثمنها واما اذا كان البلد قريب المسافة والطريق

سائل بالامن فانه حيثئذ يكثر ناقلوها فتكثر وترخص اثمانها ولهذا تجد التجار الذين
يولعون بالدخول الى بلاد السودان ارفه الناس واكثرهم اموالاً لبعدهم طريقهم ومشقتهم
واعتراض المفازة الصعبة المخطرة بالخوف والعطش لا يوجد فيها الماء الا في اماكن معلومة
يهتدي اليها اداء الركبان فلا يرتكب خطر هذا الطريق وبعده الا الاقل من الناس
فبعد سلع بلاد السودان قليلة لدينا فنختص بالفلاحة وكذلك سلعتنا لديهم فتعظم بضائع
التجار من تنافسها ويسرع اليهم الغنى والثروة من اجل ذلك وكذلك المسافرون من
بلادنا الى المشرق لبعده الشقة ايضاً واما المترددون في افق واحد ما بين امصار وبلدانة
فثاندهم قليلة وارباعهم تافهة لكثرة السلع وكثرة ناقلها والله هو الرزاق ذو القوة المتين

الفصل الثالث عشر

في الاحنكار

وما اشتهر عند ذوي البصر والتجربة في الامصار ان احنكار الزرع لتحين اوقات
الغلاء مشوم وانه يعود على فائدتهم بالتلف والخسران وسببه والله اعلم ان الناس لحاجتهم
الى الاقوات مضطرون الى ما يبدلون فيها من المال اضطراراً فتبقى النفوس متعلقة به
وفي تعلق النفوس بما لها سر كبير وفي باله على من ياخذة مجاًناً ولعله الذي اعبره الشارع
في اخذ اموال الناس بالباطل وهذا وان لم يكن مجاًناً فالنفوس متعلقة به لا عطاء وضرورة
من غير سعة في العذر فهو كالمكره وما عدا الاقوات والمأكولات من المبيعات لا اضطرار
للناس اليها وانما يبعثهم عليها التفتن في الشهوات فلا يبدلون اموالهم فيها الا باختيار
وحرص ولا يبقى لهم تعلق بما اعطوه فلماذا يكون من عرف بالاحنكار تجتمع القوى النفسانية
على متابعتها لما ياخذ من اموالهم فيفسد ربحه والله تعالى اعلم . وسمعت فيما يناسب هذا
حكاية ظريفة عن بعض مشيخة المغرب اخبرني شيخنا ابو عبد الله الابلي قال حضرت
عند القاضي بناس لعهد السلطان ابي سعيد وهو الفقيه ابو الحسن المليلي وقد عرض عليه
ان يختار بعض الالقاب الخزنية لجرايمه قال فاطرق ملياً ثم قال لم من مكس الخمر
فاستفحك المحاضرون من اصحابه وعجبوا وواسلوه عن حكمة ذلك فقال اذا كانت
الحجبايات كلها حراماً فاختار منها ما لا تنال نفس معطيه والخمر قل ان يبدل فيها احد
ماله الا وهو طرب مسرور بوجوده غير آسف عليه ولا متعلقة به نفسه وهذه ملاحظة
غريبة والله سبحانه وتعالى يعلم ما تكن الصدور

الفصل الرابع عشر

في ان رخص الاسعار مضر بالمحترفين بالرخص

وذلك ان الكسب والمعاش كما قدمناه اما هو بالصنائع او التجارة والتجارة في شراء البصائع والسلع وادخارها بغير بها حوالة الاسواق بالزيادة في اثمانها ويسمى ربحاً ويحصل منه الكسب والمعاش للمحترفين بالتجارة دائماً فاذا استدتم الرخص في سلعة او عرض من مأكول او ملبوس او ممتول على الجملة ولم يحصل للتاجر حوالة الاسواق فسد الربح والفاد بطول تلك المدة وكسدت سوق ذلك الصنف فقعد التجار عن السعي فيها وفسدت رؤوس امولهم واعتبر ذلك اولاً بالزرع فانه اذا استدتم رخصة يفسد به حال المحترفين سائر اطوارهم من الخلع والزراعة لقلة الربح فيه ونادرت او فقدت فيفقدون الماء في امولهم او يحدونه على قلة ويعودون بالانفاق على روس امولهم وتفسد احوالهم ويصيرون الى الفقر والخصاصة ويتبع ذلك فساد حال المحترفين ايضاً بالطنن والخبز وسائر ما يتعلق بالزراعة من الحرث الى صيرورته مأكولاً وكذا يفسد حال الجند اذا كانت اوراقهم من السلطان على اهل الخلع ررعاً فانها نقل حياتهم من ذلك ويهجرون عن اقامة الجندية التي في نسيها ومطالبون بها ومنقطعون لها فتفسد احوالهم وكذا اذا استدتم الرخص في السكر والعسل فسد جميع ما يتعلق به وقعد المحترفون عن التجارة فيه وكذا الملبوسات اذا استدتم فيها الرخص فاذا الرخص المفرط يوجب بمعاش المحترفين بذلك الصنف الرخيص وكذا الفلاحة المفرط ايضاً وإنما معاش الناس وكسبهم في التوسط من ذلك وسرعة حوالة الاسواق وعلم ذلك يرجع الى العوائد المتفرقة بين اهل العمران وإنما يحمى الرخص في الزرع من بين المبيعات لمعم الحاجة اليه واصطرار الناس الى الاقوات من بين الغني والفقير والعالة من الخلق هم الأكثر في العمران فيعم الرفق بذلك ويرجع جانب القوت على حاسب التجارة في هذا الصنف الخاص والله الرزاق ذو القوة المتين والله سبحانه وتعالى رب العرش العظيم

الفصل الخامس عشر

في ان خلق التجارة بارلة عن خلق الروسا وعبدة من المروءة

قد قدمنا في البصل قلة ان التاجر مدفوع الى معانة البيع والشراء وجلب البوائد والارباح ولا بد في ذلك من المكابسة والمحاكمة والتخلف وممارسة الخصومات والمناجاة

وهي عوارض هذه الحرفة وهذه الاوصاف نقص من الذكاء والمرقة وتجرح فيها لان
 الافعال لا بد من عود آثارها على النفس فافعال الخير تعود بآثار الخير والذكاء وافعال
 الشر والفسفة تعود بضد ذلك فتتمكن وترسخ ان سبقت وتكررت وتنقص خلال الخير
 ان تاخرت عنها بما ينطبع من اثارها المذمومة في النفس شأن الملكات الناشئة عن الافعال
 وتفاوت هذه الآثار بتفاوت اصناف التجار في اطوارهم فمن كان منهم سافل الطور محالفاً
 لاشرار الباعة اهل الغش والخلافة والفجور في الاثام اقراراً وانكاراً كانت رداءة تلك
 المخلق عنه اشد وغلبت عليه السفسفة وبعد عن المرقة واكتسابها بالجملة والا فلا بد له
 من تأثير المكايسة والمحاكة في مروته وفقدان ذلك منهم في الجملة ووجود الصنف الثاني
 منهم الذي قدمناه في الفصل قبله انهم يدعون بالجهل ويعوض لهم من مباشرة ذلك فهم
 نادر واقل من النادر وذلك ان يكون المال قد يوجد عدة دفعة بنوع غريب او ورثة
 عن احد من اهل بيته فحصلت له ثروة تعينه على الاتصال باهل الدولة وتكسبه ظهوراً
 وشهرة بين اهل عصره فيرتفع عن مباشرة ذلك بنفسه ويدفعه الى من يقوم له به من
 وكلائه وحشيوه ويسهل له الحكماء النصفة في حقوقهم بما يؤنسونه من ررور وانحافه فيبعدونه
 عن تلك المخلق الباعد عن معاناه الافعال المتفضية لما كما مر فتكون مروتهم ارسخ وابتعد
 عن تلك الحاجة الا ما يسري من آثار تلك الافعال من وراء الحجاب فانهم يضطرون
 الى مشاركة احوال اولئك الوكلاء ووقاقتهم او خلافتهم فيما ياتون او يذرون من ذلك الا
 انه قليل ولا يكاد يظهر اثره والله خلقكم وما تعملون

الفصل السادس عشر

في ان الصنائع لا بد لها من العلم

اعلم ان الصناعة هي ملكة في امر علمي فكري وبكوتيه علمياً هو جماني محسوس والاحوال
 الجسمانية المحسوسة فتقلها بالمباشرة او عاب لها واكمل لان المباشرة في الاحوال الجسمانية
 المحسوسة اتم فائدة والملكة صنفاً راسخة تفصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة
 بعد اخرى حتى ترسخ صورته وعلى نسبة الاصل تكون الملكة ونقل المعايينة او عاب وانم من
 نقل الخبر والعلم فالملكة الحاصلة عنه اكمل وارسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر وعلى قدر
 جودة التعليم وملكة المتعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته ثم ان الصنائع
 منها البسيط ومنها المركب والبسيط هو الذي يختص بالضرورات والمركب هو الذي

يكون للكماليات والمتقدم منها في التعليم هو السيطر لساطته أولاً ولائه مخصص بالضرورة الذي تتوفر الدواعي على نقله فيكون سابقاً في التعليم ويكون تعليمه لذلك ناقصاً ولا يزال الفكر يخرج اصنافها ومركباتها من القوة الى العمل بالاستسقاط شيئاً فنيئاً على التدرج حتى تكمل ولا يحصل ذلك دفعة وانما يحصل في ارمان واجيال اذ خروج الاتياع من القوة الى الفعل لا يكون دفعة لاسيما في الامور الصناعية فلا بد له اذن من زمان ولهذا تعبد الصنائع في الامصار الصغيرة ناقصة ولا يوجد منها الا السيطر فاذا ترايدت حصارها ودعت امور الترف فيها الى استعمال الصنائع خرجت من القوة الى العمل وتنقسم الصنائع ايضاً الى ما يخص بامر المعاش ضرورياً كالزراعة وغير ضروري والى ما يخص بالافكار التي هي خاصة الانسان من العلوم والصنائع والسياسة ومن الاول المحاكاة والحجارة والنجارة والحداة وامثالها ومن الثاني الوراقة وهي معانة الكتب بالانساخ والتجليد والقضاء والشعر وتعليم العلم وامثال ذلك ومن الثالث المجدبة وامثالها والله اعلم

الفصل السابع عشر

في ان الصنائع اما تكمل كمال العمران الحضري وكثرتو والسبب في ذلك ان الناس ما لم يستوفوا العمران الحضري وتمتد المدينة اما هم في الضروري من المعاش وهو تحصيل الاقوات من الحنطة وغيرها فاذا تمتد المدينة وترايدت فيها الاجمال ووفت بالضرورة ورادت عليه صرف الرائد حيث يد الى الكمالات من المعاش ثم ان الصنائع والعلوم اما هي للانسان من حيث فكره الذي يتميز به عن الحيوانات والقوت له من حيث الحيوانية والغذائية فهو مقدم لضروريته على العلوم والصنائع وهي متأخرة عن الضروري وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأني فيها حيث تد واستفادة ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة واما العمران الدوي او القليل فلا يحتاج من الصنائع الا السيطر خاصة المستعمل في الضروريات من بحار او حاداد او خياط او حائك او جزار واذا وجدت هذه بعد فلا توجد فيه كاملة ولا مستفادة واما يوجد منها بمقدار الضرورة اذ في كلها وسائل الى غيرها وليست مقصودة لذاتها واذا زخر بحر العمران وطلت فيه الكمالات كان من جملتها التاني في الصنائع واستفادتها فكلت بجميع متماتها وترايدت صنائع اخرى معها بما تدعو اليه عوائد الترف واحواله من جزار وديباغ وخرار وصانغ وامثال ذلك وقد تنتهي هذه الاصناف اذا استمر العمران الى ان

يوجد منها كثير من الكمالات والتألق فيها في الغاية وتكون من وجوه المعاش في المصر
لنقلها بل تكون فائدها من اعظم فوائد الاعمال لما يدعوا اليه الترف في المدينة مثل
الدهان والصفار والحماشي والطباخ والسفاح والمراش ومعلم الغناء والرقص وقرع الطبول
على التوقيع ومثل الوراقين الذين يعاون صناعة انتساخ الكتب وتجليدها وتصحيحها فان
هذه الصناعة انما يدعوا اليها الترف في المدينة من الاشتغال بالامور الفكرية وامثال ذلك
وقد نخرج عن الحد اذا كان العمران خارجا عن الحد كما بلغنا عن اهل مصر ان فيهم من
يعلم الطيور العجم والحمر الانسية وتحمل ابناء من العجائب ما بهام قلب الاعيان وتعليم
الحدا والرقص والمشي على الحيوط في الهواء ورفع الانتقال من الحيوط والحجارة وغير
ذلك من الصنائع التي لا توجد عندنا بالمغرب لان عمران امصاره لم يبلغ عمران مصر
والقاهرة ادام الله عمرها بالمسلمين

الفصل الثامن عشر

في ان رسوخ الصانع في الامصار انما هو رسوخ المحاصرة وطول امد
والسبب في ذلك طاهر وهو ان هذه كلها عوائد للعمران والاوان والعوائد انما تروح
بكثرة التكرار وطول امد فتستحكم صفة ذلك وترسخ في الاجيال واذا استحكمت الصفة
عسر رعاها ولهذا نجد في الامصار التي كانت استجرت في المحاصرة لما تراجع عمرانها وتناقص
نبت فيها آثار من هذه الصنائع ليست في غيرها من الامصار المستحدثة العمران ولو بلغت
ما بلغها في الوفور والكنة وما ذاك الا لان احوال تلك القديمة العمران مستحكمة راسخة
بطول الاحقاب وتداول الاحوال وتكررها وهذه لم تبلغ العاية بعد وهذا كالحال في
الاندلس لهذا العهد فانما نجد فيها رسوم الصنائع قائمة واحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما
تدعوا اليه عوائد امصارها كالمباي والطبخ واصناف الغناء واللبوس والالات والاوان
والرقص وتنصيب الرش في القصور وحسن الترتيب والاضواء في الساء وصوغ الآبة من
المعادن والحرف وجميع المزايا واقامة الولائم والاعراس وسائر الصنائع التي يدعوا اليها
الترف وعوائده فنجدهم اقوم عليها وانصر بها ونجد صائغها مستحكمة لديهم فهم على حصة
موفورة من ذلك وحظ متميز بين جميع الامصار وان كان عمرانها قد تناقص والكثير منه
لا يساوي عمران غيرها من بلاد العدو وما ذاك الا لما قدمناه من رسوخ المحاصرة فيهم
برسوخ الدولة الاموية وما قبلها من دولة القوط وما بعدها من دولة الطوائف وهلم

جرأ فبلغت الحصاره فيها مبلغاً لم تبلغه في قطر الا ما ينقل عن العراق والشام ومصر ايضاً
 لطول امد الدول فيها فاستحكمت فيها الصنائع وكلت جميع اصنافها على الاستجداء
 والتخنيق ونبت صنفها ثابته في ذلك العمران لانفارقة الى ان ينتقض بالكلية حال الصبغ
 اذا ربح في الثوب وكذا ايضاً حال تونس فيما حصل فيها بالحصاره من الدول الصنماجية
 والموحدين من عدم وما استكمل لها في ذلك من الصنائع في سائر الاحوال وان كان ذلك
 دون الاندلس الا انه متضاعف رسومها تنقل اليها من مصر لقرب المسافة بينها وتردد
 المسافرين من قطرها الى قطر مصر في كل سنة وبما سكر اهلها هناك عصوراً فيسفلون من عوائد
 ترفهم ومحكم صنائعهم ما يقع لديهم موقع الاستحسان فصارت احوالها في ذلك متشابهة من
 احوال مصر لما ذكرناه ومن احوال الاندلس لما ان اكثر ساكنها من شرق الاندلس حبس
 الحملاء لعهد المائة السابعة ورجع فيها من ذلك احوال وان كان عمراتها ليس بما سبب لذلك
 لهذا العهد الا ان الصفة اذا استحكمت قليلاً ما تحول الانزوال محلها وكذا نجد بالغيروان
 ومراكس وقلعة من حماد اثراً باقياً من ذلك وان كانت هذه كلها اليوم خراباً او في حكم
 الحراب ولا ينتفض لها الا الصبر من الناس فيجد من هذه الصنائع اثاراً تدل على ما كان
 بها كآثار الخط المحق في الكتاب والله الحلاق العليم

الفصل التاسع عشر

في ان الصنائع انما تستجد وتكثر اذا كثر طاهلها

والسبب في ذلك ظاهر وهو ان الانسان لا يسمع بعمله ان يقع محاماً لانه كسوة ومدة
 معاشه اذ لا فائدة له في جميع عمره في شيء مما سواه فلا يصرفه الا فيما له قيمة في مصر
 ليعود عليه بالنفع وان كانت الصناعة مطلوبة وتوجه اليها النماق كانت حيثئذ الصناعة
 بمثابة السلعة التي تنفق سوقها وتحلب للبيع فتحشد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون
 منها معاشهم واذا لم تكن الصناعة مطلوبة لم تنفق سوقها ولا يوجه قصد الى تعلمها فاختصت
 ما لتترك وفقدت للامال ولهذا يقال عن علي رضي الله عنه قيمة كل امرء ما يجس بمعنى ان
 صاعته في قيمته اي قيمة عمله الذي هو معاشه وايضاً فهنا سرائر وهو ان الصنائع واجادتها
 انما تطلبها الدولة فهي التي تنفق سوقها وتوجه الطلاب اليها وما لم تطلبه الدولة وانما يطلبها
 غيرها من اهل المصرف ليس على نسبتها لان الدولة في السوق الاعظم وفيها نفاق كل شيء
 والتليل والكثير فيها على نسبة واحدة فما تنفق منها كان اكثر ثمة ضرورة والسوق وان طلبوا

الصناعة فليس طلبهم بعامّة ولا سوقهم منافقة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

الفصل العشرون

في ان الامصار اذا قاربت الحراب انتقصت منها الصنائع وذلك لما يباين الصنائع انما تستجد اذا احتجج اليها وكثر طالبيها واذا ضعفت احوال المصر واخذ في الهرم بانتفاض عمرائه وقلة ساكني تناقص فيه الترف ورجوع الى الافتقار على الضروري من احوالهم فقتل الصنائع التي كانت من تواع الترف لان صاحبها حينئذ لا يصح له بها معاشة فيفر الى غيرها او يموت ولا يكون خلف منه فذهب رسم تلك الصنائع حيلة كما يذهب القاتنون والصواغ والكتابات والساخ واثامهم من الصنائع لحاجات الترف ولا تزال الصناعات في الناقص ما زال المصر في الناقص الى ان تصهل والله المخلق العظيم وسبحانه وتعالى

الفصل الحادي والعشرون

في ان العرب اعد الناس عن الصنائع

والسبب في ذلك انهم اعرق في الدوا واعد عن العمران الحضري وما يدعوا اليه من الصنائع وغيرها والعجم من اهل المشرق وامم الصراية عدوة البحر الرومي اقوم الناس عليها لانهم اعرق في العمران الحضري واعد عن الدوا وعمرائه حتى ان الابل التي اعادت العرب على التوحش في القفر والاعراق في الدوا منقودة لديهم بالجملة ومنقودة مراعيها والرمال المهيئة لتناجها ولهذا نجد اوطان العرب وما ملكتهم في الاسلام قليل الصنائع بالجملة حتى تجلب اليوم من قطر اخر واطر بلاد العجم من الصين والهند وارص الترك وامم الصراية كيف استكثرت فيهم الصنائع واستجلبها الامم من عندهم وعجم المغرب من البربر مثل العرب في ذلك لرسوخهم في البداوة منذ احقاب من السنين ويتهد لك بذلك قلة الامصار قطرم كما قدمناه فالصنائع بالمغرب لذلك قليلة وغير مستحكمة الا ما كس من صناعة الصوف من سيجو والحلج في خرزه ودعوا فانهم لما استحصروا بنفوس فيها المبالغ لعموم اللوى بها وكون هذين اغلب السلع في قطرم لما هم عليه من حال البداوة واما المشرق فقد رخت الصنائع فيه منذ ملك الامم الاقدمين من الفرس والبط والقط وسبي اسرائيل ويومان والروم احقابا متطاولة فرخت فيهم احوال الحصار ومن جعلتها الصنائع كما قدمناه فلم يحج رسمها واما اليمن والبحرين وعان والبحرية وان ملكه العرب الا

انهم تداولوا ملكة الاقام من السين في ام كثيرين منهم واخططوا امصاره ومدنه وبلغوا
الغاية من الحصار والترف مثل عاد وثمود والعالقة وحير من عدم والتساعة والاذواء
قطال امد الملك والحصار واستحكمت صفتها وتوفرت الصنائع ورسمت فلم تل بلى الدولة
كما قدمناه فقيمت مستجدة حتى الان واخصت بذلك الوطن كصناعة الوشي والعصب وما
يستجد من حوك الثياب والحرير فيها والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الفصل الثاني والعشرون

فيم حصلت له ملكة في صناعة فقل ان يجيد بعد ملكة في اخرى

ومثال ذلك الخياط اذا اجاد ملكة الخياطة واحكمها ورسمت في نسو فلا يجيد من
بعدها ملكة الحجارة او الساء الا ان تكون الاولى لم تستحكم بعد ولم ترشح صفتها والسبب
في ذلك ان الملكات صفات للمس والوان فلا تردم دفعة ومن كان على المطرعة كان
اسهل لقول الملكات واحسن استعداد لحصولها فاذا تلوت المس بالملكة الاخرى
وخرجت عن المطرعة ضعف فيها الاستعداد باللون الحاصل من هذه الملكة فكان
قولها للملكة الاخرى اضعف وهذا بين يشهد له الوجود فقل ان تجد صاحب صناعة
بحكمها ثم يحكم من بعدها اخرى ويكون فيها معاً على رتبة واحدة من الاجادة حتى ان اهل
العلم الذين ملكتهم فكرة مهم بهذه المثابة ومن حصل مهم على ملكة علم من العلوم واحادها
في الغاية فقل ان يجيد ملكة علم اخر على يستو بل يكون مقصراً في ان طلبة الا في الاقل
الناذر من الاحوال ومشي سنة على ما ذكرناه من الاستعداد وتلويبه بلوب المملكة
الحاصلة في المس والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لا رب سواه

الفصل الثالث والعشرون

في الاشارة الى امهات الصنائع

اعلم ان الصنائع في النوع الانساني كثيرة لكثرة الاعمال المتداولة في العمران فهي
بحيث تشذ عن الحصر ولا ياخذها العد الا ان منها ما هو ضروري في العمران او شريف
بالموضع فنحصرها بالذكر وبترك ما سواها فاما الضروري فالعلاحة والساء والمجباطة والنجارة
والحياكة واما الشريفة فالموضع فكان توليد الكثانة والوراقة والغناء والطلب فاما التوليد
فانها ضرورية في العمران وعامة اللوى اذ بها يحصل حياة المولود ويتم عالمه وموضوعها
مع ذلك المولودون وامهاتهم واما الطب فهو حفظ الصحة للانسان ودفع المرض عنه

ويتفرع عن علم الطبيعة وموضوعه مع ذلك بدن الانسان واما الكتابة وما يتبعها من
الوراقة فهي حافظة على الانسان حاجته ومقيدة لما عن السيان وملفة ضائر النفس الى
البعيد الغائب ومخلدة نتائج الافكار والعلوم في الصحف ورافعة رتب الوجود للمعاني واما
الفناء فهو سبب الاصوات ومظهر حماها للاسماع وكل هذه الصنائع الثلاثة داع الى
مخالطة الملوك الاعاظم في خلواتهم ومجالس اسهم فلها بذلك شرف ليس لغيرها وما سوى
ذلك من الصنائع فتاعة ومنهية في الغالب وقد يختلف ذلك باختلاف الاغراض
والدواعي والله اعلم بالصواب

الفصل الرابع والعشرون

في صناعة الفلاحة

هذه الصناعة ثمرتها اتحاد القوات والمحوب بالقيام على ائارة الارض لما وازدراعيها
وعلاج سائنها وتعمده بالاسقي والتسوية الى بلوغ عايتهم حصاد سسلو واستخراج حو من
غلاهم واحكام الاعمال لذلك وتحصيل اساء ودواعيوهم في اقدم الصنائع لما انها محصلة
للقوت المكمل لحياة الانسان عا لما اذ يمكن وجوده من دون جميع الاشياء من دون
القوت ولهذا اخصت هذه الصناعة بالدوا اذ قدما انه اقدم من المحصر وسابق عليه
فكانت هذه الصناعة لذلك بدوية لا يقوم عليها المحصر ولا يعرفونها لان احوالهم كلها
تأبى على الدماة فصائمهم تابة عن صائنها وتاعة لها والله سبحانه وتعالى مقيم العادفيا اراد

الفصل الخامس والعشرون

في صناعة الساء

هذه الصناعة اول صائع العرمان المحصري واقدمها وهي معرفة العمل في اتخاذ
السيوت والمارل للكن والماوى للاندان في المدس وذلك ان الانسان لما جبل عليه
من الفكر في عواقب احوال الالاد ان يفكر فيما يدفع عنه الاذى من الحر والبرد كاتخاذ
السيوت المكتشف بالسقف والمحيطان من سائر جهاتها والشر مختلف في هذه الحلة الفكرية
فتمهم المعتدلون فيها فيتحذون ذلك ما اعتدال اهالي الثاني والثالث والرابع والخامس
والسادس واما اهل الدو فيعدون عن اتخاذ ذلك لقصور افكارهم من ادراك الصنائع
المشرية فيبادرون للغيران والكهوف المعدة من غير علاج ثم المعتدلون المتخذون
للماوى قد يتكاثرون في البسيط الواحد بحيث يتساكرون ولا يتعارفون فينشون طرق

بعضهم بعضاً فيجتاحون الى حفظ مجتمعتهم بادارة ماء او اسوار تحوطهم وبصير جميعاً مدينة
 واحدة ومصرّاً واحداً ويحوطهم الحكماء من داخل يدفع بعضهم عن بعض وقد يجتاحون الى
 الانتصاف ويتخذون الحافل والمحصول لم ولن تحت ايديهم مثل الملوك ومن في معانهم
 من الامراء ووكار القائل في المدن كل مدينة على ما يتعارفون ويصطلحون عليه ويناسب
 مزاج هوائهم واختلاف احوالهم في الغنى والفقر وكذا حال اهل المدينة الواحدة فهم من
 يتخذ القصور والمصانع العظيمة الساحة المشتتة على عدة الدور والبيوت والغرف الكبيرة
 لكثرة ولده وحشم وعماله وتابعه ويوسس جدرانها بالحجارة ويلثم فيها بالكلس ويعالي
 عليها بالاصغة والجص ويبالغ في ذلك بالتجيد والتتميم اظهاراً للسلطة بالصاغة في
 شان الماوى وبهيء مع ذلك الاسراب والمطامير للاختزان لاقواته والاسطبلات لربط
 مقرباته اذا كان من اهل الجبود وكثرة النافع والحاشية كالامراء ومن في معانهم ومنهم
 من يبني الدويرة والبيوت لنفسه وسكو ولده لا ينبغي ما وراء ذلك لقصور حاله عنه
 واقتضاره على الكس الطبعي للشروب من ذلك مراتب غير محصورة وقد يحتاج هذه الصاغة
 ايضاً مناسيس الملوك واهل الدول المدن العظيمة والهيكل المرتفعة ويبالعون في
 انفاق الاصاوغ وعلو الاحرام مع الاحكام لتبلغ الصاغة مبالغها وهذه الصاغة في التيب
 تحصل الدواعي لذلك واكثر ما تكون هذه الصاغة في الاقاليم المعتدلة من الرابع وما
 حواله اذ الاقاليم المحرقة لاساء فيها ولما يتخذون البيوت حظائر من القصب والطين
 ولما يوجد في الاقاليم المعتدلة اهل هذه الصناعة القائلون عليها متعاونون فمنهم الصير
 الماهر ومنهم الفاسر ثم هي تتنوع انواعاً كثيرة منها الساء بالحجارة المحدة بقاء بها الحدران
 ملصقاً بعضها الى بعض بالطير والكلس الذي يعقد معها ويلثم كانتها حسم واحد ومنها
 الساء بالتراب خاصة يتخذها لوحان من الحشب مقدران طولاً وعرضاً باختلاف العادات
 في التقدير واسطه اربعة اذرع في ذراعين فيصان على اساس وقد بوعد ما بينهما بما
 يراه صاحب الساء في عرض الاساس ويوصل بينهما بادرع من الحشب يربط عليها
 بالحبال والجندرويسد الجهتان الباقيتان من ذلك الحلاء بينهما بلوحيين اخرين صغيرين
 ثم يوضع فيه التراب مجلطاً بالكلس ويركز بالمرآكر المعدة حتى يعم ركزاً ويختلط احراؤه
 ثم يراد التراب ثانياً وتالفاً الى ان يمتلي ذلك الحلاء بين اللوحيين وقد تداخلت اجزاء
 الكلس والتراب وصارت جسماً واحداً ثم يعاد نصب اللوحيين على صورة ويركز كذلك
 الى ان يتم وينظم اللوح كلها سطرّاً من فوق سطر الى ان ينتظم الحائط كله ملفحاً كأنه

قطعة واحدة ويسمى الطاية وصناعة الطواب ومن صنائع البناء ايضاً ان تجمل المحيطان
 بالكلس بعد ان يجل بالماء ويخمر اسبوعاً او اسبوعين على قدر ما يعتدل مزاجه عن
 افراط البارية المسددة للحام فادائم له ما يرضاه من ذلك علاء من فوق الحائط
 وذلك الى ان يلغى ومن صنائع البناء عمل السقف بان يمد الخشب المحكمة للجارة والساذجة
 على حائطي البيت ومن فوقها الالواح كذلك موصولة بالمدساتر ويصب عليها التراب
 والكلس ويسط بالمراكر حتى تندخل اجراؤها وتلغى ويعلى عليها الكلس كما يعلى على
 الحائط ومن صناعة البناء ما يرجع الى التزيين والتزيين كما يصنع من فوق المحيطان
 الاشكال المبهمة من الحصن بخمر بالماء ثم يرجع جسداً وفيه بقية اللبل فيشكل على النسب
 فخرماً بمناقب الحديد الى ان يبقى له رونق ورواء وربما عولى على المحيطان ايضاً فقطع
 الرخام والاجر والحرف او بالصدف او السبع يوصل اجراء مخمسة او مختلفة وتوضع في
 الكلس على نسب واصباع مقدرة عدم يدويه الحائط للعيان كانه قطع الرياض المتممة
 الى غير ذلك من بناء الجباب والقهاريج لسفع الماء بعد ان تعد في البيوت قصاع الرخام
 القوراء المحكمة الحرة ما انفوهات في وسطها لسع الماء المحاري الى الصهرج يجلب اليه من
 خارج في القنوات المفضية الى البيوت وامثال ذلك من انواع البناء وتختلف الصواع في
 جميع ذلك باختلاف المحدث والبصر ويعظم عمران المدينة ويتسع فيكثر ون وربما
 يرجع المحكام الى نظرها في ايام انصريه من احوال البناء وذلك ان الناس في المدن
 لكثرة الأزدحام والعمارة يتشاحون حتى في البصاء والهواء الاعلى والاسفل ومن الاتباع
 بظواهر البناء ما يتوقع معه حصول الضرر في المحيطان فمبعض حاره من ذلك الا ما كان
 له فيه حق ويحتملون ايضاً في استحقاق الطرق والمعاهد المياه الجارية والعصارات المسرنة
 في القنوات وربما يدعي بعضهم حتى بعض في حائطه او علوه او قناته لتصانق الحواري
 يدعي بعضهم على حاره اختلال حائطه ختبية سقوطه ويحتاج الى المحكم عليه يهدموه ودفع
 ضرره عن جاره عد من براه او يحتاج الى قسمة دار او عرصة بين شريكين بحيث لا يقع
 معها فساد في الدار ولا اهمال لمنعتها وامثال ذلك ويحتمل جميع ذلك الاعلى اهل البصر
 العارفين بالبناء واحوال المستدلين عليها بالمعاهد والقط ومراكر الخشب وميل المحيطان
 واعداها وقسم المساكن على سسة اوضاعها ومنافعها وتسريب المياه في القنوات مجلوبة
 ومرفوعة بحيث لا تنصرها مرت عليه من البيوت والمحيطان وغير ذلك فلم بهذا كثر الضرر
 والحقبة التي ليست لغهرم وم مع ذلك يختمون بالجوذة والقصور في الاجبال باعتبار

الدول وقوتها فانا قدمنا ان الصانع وكالها اما هو بكمال الحضارة وكثرتها بكثرة الطالب لما فلذلك عندما تكون الدولة بدوية في اول امرها تنفق في امر البناء الى غير قطرها كما وقع للوليد ابن عبد الملك حين اجمع على بناء مسجد المدينة والقدس ومسجد بالشام فبعث الى ملك الروم بالتسطينية في العملة المهرة في البناء فبعث اليهم من حصة غرضه من تلك المساجد وقد يعرف صاحب هذه الصناعة اشياء من الهندسة مثل تسوية المحيطان بالورن واجراء المياه باخذ الارتفاع وامثال ذلك فيحتاج الى البصريين من مسائله وكذلك في جبر الاثقال بالهدام فان الاجرام العظيمة اذا تيدت بالبحارة الكبيرة يعجز قدر العملة عن رفعها الى مكانها من الحائط فيتحيل لذلك بمصاعة قوة الحمل بادخاله في المعالق من انقاب مقدرة على نسب هندسية تصير الثقيل عند معاناة الرفع خفيفا فيتم المراد من ذلك بغير كلمة وهذا اما يتم باصول هندسية معروفة متداولة بين الشرع وبمثلا كان بناء الهياكل الماثلة لهذا العهد التي يحسب انها من ساء الجاهلية وان اشدائم كانت على نسبتها في العظم الجسماني وليس كذلك وانما تم لم ذلك بالحيل الهندسية كما ذكرناه فتمم ذلك والله بخلق ما يشاء سبحانه

الفصل السادس والعشرون

في صناعة الحجارة

هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الخشب وذلك ان الله سبحانه وتعالى جعل للادمي في كل مكون من المكونات منافع تكمل بها ضروراته او حاجاته وكان منها التعرف الى فو من المنافع ما لا ينحصر ما هو معروف لكل احد ومن منافعها اتخاذها خشا اذا يست واول منافعها ان يكون وقودا للبران في معاشهم وعصيا للارتكاز والدود وغيرها من ضرورياتهم ودعائم لما يحشون به من اثمالم ثم بعد ذلك منافع اخرى لاهل البدو والحضر فاما اهل البدو فيتخذون منها العمد والاوراد لحياهم والحجود لظعناتهم والرماح والقسي والسهام لسلحهم واما اهل الحضرة فالتصريف لسيوفهم والاعلاق لاربابهم والكراسي للجلوسهم وكل واحدة من هذه فالتحفة مادة لها ولا تصير الى الصورة الخاصة بها الا بالصناعة والصناعة المتكفلة بذلك المصلحة لكل واحد من صورها في التجارة على اختلاف رتبها فيحتاج صاحبها الى تفصيل الخشب اولاً اما بخشب اصفر منه او الواح ثم تركيب تلك المصائل بحسب الصور المطلوبة وهو في كل ذلك يحاول بصنعته

اعداد تلك الفضائل بالانتظام الى ان تصير اعضاء لذلك الشكل بخصوص والقائم على هذه الصناعة هو النجار وهو ضروري في العمران ثم اذا عظمت الحصاره وجاء الترف وتائق الناس فيما يتخذونه من كل صنف من سقف أو باب أو كرسي أو ماعون حدث التائق في صناعة ذلك واستجادته بغرائب من الصناعة كاليه ليست من الضروري في شيء مثل التخطيط في الابواب والكراسي ومثل عهنة القطع من الخشب بصناعة الخراط بحكم ربيها وبشكيلها ثم تولف على نسب مقدرة ونظم بالديساتر فتدول راي العين ملفحة وقد اخذ منها اختلاف الاشكال على تناسب يصنع هذا في كل شيء يتخذ من الخشب فيجئ انى ما يكون وكذلك في جميع ما يحتاج اليه من الآلات المتخذة من الخشب من ابي نوع كان وكذلك قد يحتاج الى هذه الصناعة في انشاء المراكب البحرية ذات الالواح والديروهي اجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار سيجو في الماء فقادمو وكلكلو ليكون ذلك الشكل اعون لها في مصادمة الماء وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسبك تحريك الرياح وربما اعيت بحركة المفاذيف كما في الاساطيل وهذه الصناعة من اصلها محتاجة الى اصل كبير من الهندسة في جميع اصنافها لان اخراج الصور من القوة الى الفعل على وجه الاحكام محتاج الى معرفة التناسب في المقادير اما عموماً او خصوصاً وتناسب المقادير لا بد فيه من الرجوع الى المهندس ولهذا كان ائمة الهندسة اليونانيون كلهم ائمة في هذه الصناعة فكان اوقليدس صاحب كتاب الاصول في الهندسة نجاراً وبها كان يعرف وكذلك المويوس صاحب كتاب المحروطات وميلاوش وغيرهم وفيما يقال ان معلم هذه الصناعة في الحليقة هو بوح عليه السلام وبها انشأ سفينة الهجة التي كانت بها مجهزة عند الطوفان وهذا الخبر وان كان ممكناً اعني كونه نجاراً الا ان كونه اول من علمها او تعلمها لا يقوم دليل من النقل عليه لعدد الاماد وبما معناه والله اعلم الاشارة الى قدم التجارة لانه لم يصح حكاية عنها قبل خبر بوح عليه السلام فجعل كانه اول من تعلمها فتمهم اسرار الصنائع في الحليقة والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

الفصل السابع والعشرون

في صناعة الحياكة والخياطة

هاتان الصناعتان ضرورتان في العمران لما يحتاج اليه البشر من الرفه فالاولى لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن سماً في الطول والحماسية العرض لذلك النسج

بالالتحام الشديد فيتم منها قطع مقدرة فمنها الأكسية من الصوف للاشتغال ومنها الثياب من القطن والكتان للباس والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات على اختلاف الاشكال والعوائد تنصل او بالمقراض قطعاً مناسبة للاعضاء البدنية ثم تلم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلّاً او تبييناً او نسجاً على حسب نوع الصناعة وهذه الصناعة مختصة بالعمران الحضري لما ان اهل البلد ويستغنون عنها وإنما يشتملون الاثواب اشتالاً وإنما تفصيل الثياب وتقديرها وإلحامها بالخياطة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها وتتم هذه في سر تحرير المحيط في المحج لما ان مشروعية المحج مشتملة على نبذ العلائق الدنيوية كلها والرجوع الى الله تعالى كما خلقنا اول مرة حتى لا يعلق العبد قلبه بشيء من عوائد ترفو لا طيباً ولا نساء ولا محيطاً ولا خفاً ولا تعرض لصيد ولا لشيء من عوائد التي تلونت بها نفسه وخلقه مع انه ينفقها بالموت ضرورة وإنما يحجب كانه يارد الى المحشر ضارعاً بقلبه مخلصاً لربو وكان جزاءه ان تم له اخلاصة في ذلك ان يخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه سبحانه ما ارفقك بعبادك وارحمك بهم في طلب هدايتهم اليك . وهاتان الصنعتان قديمتان في الخليفة لما ان الدقة ضرورية للبشر في العمران المعتدل وأما المخرف الى الحر فلا يحتاج اهله الى دفء ولهذا يلبغنا عن اهل الاقليم الاول من السودان انهم عراة في الغالب واقدم هذه الصنائع ينسبها العامة الى ادريس عليه السلام وهو اقدم الانبياء وربما ينسبونها الى هرمس وقد يقال ان هرمس هو ادريس والله سبحانه وتعالى هو الخلاق العليم

الفصل الثامن والعشرون

في صناعة التوليد

وهي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الادمي من بطن أمو من الرفق في اخراجه من رحمها وتهيئة اسباب ذلك ثم ما يصلح بعد الخروج على ما نذكر وهي مختصة بالنساء في غالب الامر لما انهن الظاهرات بعضهن على عورات بعض ونسبى القائمة على ذلك من هن القابلة استعير فيها معنى الاعطاء والقبول كان النساء تعطيها الجنين وكانتا تقبله وذلك ان الجنين اذا استكمل خلقه في الرحم وطواره وبلغ الى غاية والمدة التي قدرها الله لمكنه وهي تسعة اشهر في الغالب فيطلب الخروج بما جعل الله في المولود من التزويج لذلك ويضيق عليه المنفذ فيعسر وربما مزق بعض جوانب الفرج بالضغط وربما انقطع بعض ما كان من الاغشية من الالتصاق والالتحام بالرحم وهذه كلها الآم يشهد

لما الوجع وهو معنى الطلق فتكون القابلة معينة في ذلك بعض الشيء بغض الظهر والوركين وما يجاذي الرحم من الاسفل تساوق بذلك فعل الدافعة في اخراج الجنين وتسهيل ما يصعب منه بما يمكنها وعلى ما تمتهدي الى معرفة عسرة ثم ان اخراج الجنين بقيت بينة وبين الرحم الوصلة حيث كان يتغذى منها متصلة من سرته بمعاء وتلك الوصلة عصب فضلي لتغذية المولود خاصة فتقطعها القابلة من حيث لا تتعدي مكان العضلة ولا نصره بمعاء ولا رحم أمه ثم تدمل مكان الجراحة منه بالكي او بما تراه من وجوه الاندمال ثم ان الجنين عند خروجه في ذلك المند الصبي وهو رطب العظام سهل الانعطاف ولا شاء فرما تغير اشكال اعضائه ووضاعها لقرب التكوين ورطوبة المواد فتتناوله القابلة بالغمز والاصلاح حتى يرجع كل عصب الى شكله الطبيعي ووضعه المقدرة وبرتد خلفه سوياً ثم بعد ذلك تراجع المساء وتحاذيها بالغمز والملاينة لخروج اغشية الجنين لانها ربما تتأخر عن خروجه قليلاً ويختنق عند ذلك ان تراجع الماسكة حالها الطبيعية قل استكمال خروج الاغشية وفي فضلات فتعفن ويسري عنها الى الرحم فينقع الهلاك فتخادر القابلة هذا وتحاول في اعانة الدفع الى ان تخرج تلك الاغشية التي كانت قد تأخرت ثم ترجع الى المولود فتخرج اعضاءه بالادهاان والذرورات القافصة لتشدّه وتجنّف رطوبات الرحم وتحكمه لرفع لثاته وتسعطة لاستفراغ بطون دماغه وتغريه باللحوق لدفع السدد من معاءه وتجوبها عن الالتصاق ثم تداوي الفسا بعد ذلك من الوهن الذي اصابها بالطلق وما لحق رحمها من ألم الانفصال اذ المولود ان لم يكن عضواً طبيعياً فحالة التكوين في الرحم صيرته بالانتهام كالعضو المتصل فذلك كان في انفصاله لم يقرب من ألم القطع وتداوي مع ذلك ما يلحق الرحم من ألم من حراقة التزريق عند الضغط في الخروج وهذه كلها ادوية محد هواء القوايل ابصر بدونها وكذلك ما يعرض للمولود مدة الرضاع من ادواء في يديه الى حين المصال تحدهن ابصر بها من الطبيب الماهر وما ذاك الا لان بدن الانسان في تلك الحالة اما هو بدن اسائي بالقوة فقط فاداجاوز المصال صار بدنًا اسائياً بالفعل فكانت حاجته حينئذ الى الطبيب اتد هذه الصناعة كما تراه ضرورية في العمران للوع الاسائي لا يتم كون اشخاص في الغالب دونها وقد يعرض لبعض اشخاص النوع الاستغناء عن هذه الصناعة اما بخلق الله ذلك لم معجزة وخرقا للعادة كما في حق الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم او بالهام وهداية بلهم لما المولود وينظر عليها فيتم وجودهم من دون هذه الصناعة فاما شان المعجزة من ذلك فقد وقع

كثيراً ومنه ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد مسروراً مخنوثاً واضعاً يديه على
الارض شاخصاً بصره الى السماء وكذلك شأن عيسى في المهد وغير ذلك واما شان
الالهام فلا ينكر واذا كانت الحيوانات الالهية تخلص من نوائب الالهامات كالنحل
وغيرها فما ظلك بالاسنان المنصل عليها وخصوصاً بمن اخصى بكرامة الله ثم الالهام
العام للمولودين في الاقبال على الثدي اوضح شاهد على وجود الالهام العام لم يشان
العناية الالهية اعظم من ان يحاط به ومن ههنا بينهم بطلان رأي الفارابي وحكامه الا بدلس
فيما اجمعوا به لعدم انقراض الالواع واستحالة انقطاع المكومات وخصوصاً في النوع الانساني
وقالوا لولا انقطعت اختصاصه لاستحال وجودها بعد ذلك لتوقف على هذه الصناعة التي
لا يتم كون الانسان الا بها اذ لو قدرنا مولوا دون هذه الصناعة وكما لها الى حين
النصال لم يتم بقاؤه اصلاً ووجود الصانع دون الفكر منته لانها ثمرته وتابعة له وتكلف
ان سبنا في الرد على هذا الرأي لما لفتوا اياه وذعاه الى امكان انقطاع الالواع وخراب
عالم الكوثر ثم عوده تائلاً لاقتضاءات فلكية واوصاع غريبة تندرج في الاحقاب برعو
فتقتضي تخيير طينة مناسبة لمزاجه بحرارة مناسبة فيتم كونه اسناناً ثم يقبض له حيوان يخلق
فيه الهام لترينته والحنو عليه الى ان يتم وجوده وقصالة واطيب في بيان ذلك في الرسالة
التي سماها رسالة حامي س يظنان وهذا الاستدلال غير صحيح وان كنا نوافق على انقطاع
الالواع لكن من غير ما استدلل به فان دليلاً مني على اسناد الافعال الى العلة الموجبة
ودليل القول بالاعمال المنار مرد عليه ولا واسطة على القول بالاعمال المنار بين الافعال
والقدرة القديمة ولا حاجة الى هذا التكلف ثم لو سلمناه جدلاً فغاية ما ينسب عليه اطراد
وجود هذا الشخص بخلق الالهام لترقيته في الحيوان الاعجم وما الضرورة الداعية لذلك
واذا كان الالهام يخلق في الحيوان الاعجم فما المانع من خلقه للمولود نفسه كما قررناه أولاً
وخلق الالهام في شخص لمصالحه من خلقه فيو لمصالح غيره فكل المذهبن شاهدان
على انفسهما بالاطلاق في منحها لما قررته لك والله تعالى اعلم

الفصل التاسع والعشرون

في صناعة الطب وانها محتاج اليها في الحواضر والامصار دون البادية
هذه الصناعة ضرورية في المدن والامصار لما عرف من فائدها فان غمرتها حفظ
الصحة للاصحاء ودفع المرض عن المرضى بالمناواة حتى يحصل لهم البرء من امراضهم واعلم

ان اصل الامراض كلها انما هو من الاغذية كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الجماع
للطب وهو قوله المعدة بيت الداء والحمية راس الدواء واصل كل داء الردة فاما قوله
المعدة بيت الداء فهو ظاهر واما قوله الحمية راس الدواء فالحمية المجوع وهو الاحساس
من الطعام والمعنى ان المجوع هو الدواء العظيم الذي هو اصل الادوية واما قوله اصل
كل داء الردة فمعنى الردة ادخال الطعام على الطعام في المعدة قبل ان يتم هضم
الاول وشرح هذا ان الله سبحانه خلق الانسان وحفظ حياته بالغذاء يستعمله بالاكل
وينفذ فيه القوى الخاصة والعادية الى ان يصير كمالاً لا لاجراء البدن من اللحم والعظم
ثم ناخذه النامية فيقلب لحماً وعطماً ومعنى الهضم طبع الغذاء بالحرارة الغريزية طوراً بعد
طور حتى يصير حرماً بالعمل من البدن وتفسيره ان الغذاء اذا حصل في الم ولاكتة
الاشداق انثرت فيه حرارة الم طبعاً يسيراً وقلبت مزاجه مضى الشيء كما تراه في اللقمة
اذا تناولتها طعاماً ثم احدثها مصفاً فترى مزاجها غير مزاج الطعام ثم يحصل في المعدة
فتطبخ حرارة المعدة الى ان يصير كيموساً وهو صود ذلك المطبوخ وترسله الى الكبد وترسل
ما رسب منه في المعاء ثلثاً يتعد الى المخرجين ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك الكيموس الى ان
يصير كمالاً عبقاً وتطمو عليه رغو من الطبع في الصفراء وترسب منه اجزاء يابسة في
السوداء وينقص الحار الغريزي بعض الشيء عن طبع الغليظة فهو اللغم ثم ترسلها الكبد
كلها في العروق والجداول وباخذها طبع الحال الغريزي هناك فيكون عى الدم
الحالص بخار حار رطب يمد الروح الحيواني وتأخذ النامية ما خدها في الدم فيكون لحماً
ثم غليظة عظماً ثم يرسل البدن ما يصل عن حاجاته من ذلك فصلا مختلفة من العرق
واللعاب والمخاط والدمع هذه صورة الغذاء وخروجه من القوة الى العمل لحماً ثم ان اصل
الامراض ومعظمها في الحميات وسببها ان الحار الغريزي قد يصف عن تمام النصح في
طبخه في كل طور من هذه فيبقى ذلك الغذاء دون نصح وسببه غالباً كثرة الغذاء في
المعدة حتى يكون اغلب على الحار الغريزي او ادخال الطعام الى المعدة قبل ان تستوفي
طبع الاول مستقل به الحار الغريزي ويترك الاول بحالة او يوزع عليها فينقص عن
تمام الطبع والنصح وترسله المعدة كذلك الى الكبد فلا تنقص حرارة الكبد ايضاً على
اضاجه وربما بقي في الكبد من الغذاء الاول فضلة غير ناضجة وترسل الكبد جميع ذلك
الى العروق غير ناضج كما هو فاذا اخذ البدن حاجته الملائمة ارسله مع الفضلات الاخرى
من العرق والدمع واللعاب ان اقتدر على ذلك وربما يعجز عن الكثير منه فيبقى في العروق

والكبد والمعدة وتزايد مع الايام وكل ذي رطوبة من المتزجات اذا لم يأخذ الطبخ
والنصح بعض فيتعمس ذلك الغذاء غير السامح وهو المسمى بالخلط وكل متعفن فيه حرارة
غريبة وتلك هي المسماة في بدن الانسان بالحمى واخبر ذلك بالطعام اذا ترك حتى
يتعفن وفي الربل اذا تعفن ايضاً كيف تسعت فيه الحرارة وتأخذ ما خدتها من الحميات
في الابدان وفي راس الامراض واصلها كما وقع في الحديث وهذه الحميات علاجها بقطع
الغذاء عن المريض اسابيع معلومة ثم يتناول الاغذية الثلاثة حتى يتم ريقه وذلك في حال
الصحة علاج في التعمظ من هذا المرض واصلة كما وقع في الحديث وقد يكون ذلك العس
في عصب مخصوص فيتولد عنه مرض في ذلك العصب ويحدث جراحات في البدن اما في
الاعضاء الرئيسية او في غيرها وقد يمرض العصب ويحدث عنه مرض التوى الموحدة له
هذه كلها جماع الامراض واصلها في العالين من الاغذية وهذا كله مرفوع الى الطبيب
ووقوع هذه الامراض في اهل الحصر والامصار اكثر لحسب عيشهم وكثرة ما كلهم وقلة
اقتصارهم على نوع واحد من الاغذية وعدم توفيقهم لتناولها وكثيراً ما يخلطون بالاعذية
من التوابل والنقول والمواد كمرطبات وياساً في سبيل العلاج بالطبخ ولا يقتصرون في ذلك
على نوع او انواع وربما عددا في اليوم الواحد من الواح الطبخ اربعين نوعاً من النبات
والحيوان فيصير الغذاء مراعٍ غريب وربما يكون غريباً عن ملائمة البدن واجزائه ثم ان
الاهوية في الامصار تنفس بمخالطة البجعة من كثرة الصلوات والاهوية مستطة
للارواح ومقوية نشاطها لانزاع الحمار المريزي في الهضم ثم الرياضة مفقودة لاهل الامصار
اذ هم في الغالب وادعون ساكنين لانخذ منهم الرياضة شيئاً ولا تؤثر فيهم اثرها فكان وقوع
الامراض كثيراً في المدن والامصار وعلى قدر وقوعه كانت حاجتهم الى هذه الصاعقة واما
اهل الدوا فما كوفهم قليل في الغالب والمجموع اغلب عليهم لقلة الحبوب حتى صار لهم ذلك
عادة وربما يطرأها حلة لاستمرارها ثم الادم قليلة لديهم او مفقودة بالحمل وعلاج الطبخ
بالتوابل والمواد كما يدعون الى ترف الحضارة الذين هم يمرل عنه فيتناولون اغذيتهم
بسيطة بعيدة عما يحالطها ويقرب مراجعها من ملائمة البدن واما اهويتهم فقليلة العس
لقلة الرطوبات والعنونات ان كانوا اهلين او لاختلاف الاهوية ان كانوا ضواغس ثم ان
الرياضة موجودة فيهم لكثرة الحركة في ركض الحمل او الصيد او طلب الحاجات لمهنة
اغشهم في حاجاتهم فيحس بذلك كله المعص ويقتد احوال الطعام على الطعام فتكون
امرئتهم اصلح وابتعد من الامراض فتقل حاجتهم الى الطب ولهذا لا يوجد الطبيب في

البادية بوجه وما ذاك إلا للاستغناء عنه اذ لو اُحتج اليه لوجد لانه يكون له ذلك في
الدوام عاش يدعو الى سكة سنة الله في عبادته ولن تجد لسنة الله تبديلاً

الفصل الثلاثون

في ان الحط والكثانة من عداد الصنائع الانسانية

وهو رسوم واشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس فهو
ثاني رتبة من الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة اذ الكثانة من خواص الاسان التي يمر
بها عن الحيوان وايضاً فهي تطلع على ما في الصائروتنأدى بها الاغراض الى اللادالعيد
فتفصي الحاجات وقد دفعت مؤنة الماترة لها ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف
الاولى وما كنش من علومهم واخبارهم فهي تربية بهذه للوجوه والمفاع وخروجها في
الاسان من القوة الى الفعل اما يكون بالتعليم وعلى قدر الاحتياج والعران والتناغي في
الكثالات والطلب لذلك تكون حودة الحط في المدينة اذ هو من حلة الصنائع وقد قدما
ان هذا شأنها وانها ناعمة للعران ولهذا محد أكثر الدوا ميبس لا يكتسبون ولا يقرأون ومن
قرأ منهم او كتب فيكون خطه قاصراً وقراءة غير مائدة ونجد تعليم الحط في الامصار
الحارج عمرانها عن الحد المبلغ والحس واسهل طريقاً لاستحكام الصعة فيها كما يحكي لنا عن
مصر لهذا العهد وان بها معلمين متصين لتعليم الحط يلقون على المتعلم قوايين واحكاماً في
وضع كل حرف ويريدون الى ذلك المباشرة بتعليم وصعوه فتعصد لديه رتبة العلم والحس
في التعليم وتأتي ملكته على اتم الوجوه وانما اتى هذا من كمال الصنائع ووفورها بكثرة العران
واسماح الاعمال وقد كان الحط العربي بالغا مألوفة من الاحكام والانتان والحودة في
دولة الناعمة لما بلغت من الحصار والترف وهو المسمى بالحط المحميري وانتقل منها الى
الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر سباء الناعمة في العصية والمجدين لملك العرب
بارض العراق ولم يكن الحط عديم من الاحادة كما كان عند الناعمة لفصور ما بين
الدولتين وكانت الحصار وقواصها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحيرة لفنة
اهل الطائف وقرين فيا ذكر يقال ان الذي تعلم الكثانة من الحيرة هو سيمان بن امية
ويقال حرب بن امية واخذها من اسلم بن سدره وهو قول ممكن واقرب من ذهب الى
انهم تعلموها من ابياد اهل العراق لقول شاعرم
قوم لم ساحة العراق اذا ساروا جميعاً والحط والقلم

وهو قول سعيد لان اياماً وان نزلوا ساحة العراق فلم يزلوا على شانهم من الدواة والمخط من الصنائع المحصورة واسما معنى قول الشاعر انهم اقرب الى المخط والقلم من غيرهم من العرب لقرينهم من ساحة الامصار وضواحيها فالقول بان اهل المحار اسما لقربها من الحيرة ولقربها من الحيرة من الصناعة وحير هو الالقي من الاقوال وكان لحير كتابة تسمى المسند حروفا منفصلة وكانوا يسمون من تعلمها الا ما ذمهم ومن حير تعلمت مصر الكتابة العربية الا انهم لم يكونوا يحيدون لما شان الصنائع اذا وقعت باليد فلا تكون محكمة المذاهب ولا مائلة الى الاتقان والتميق لون ما بين اليد والصناعة واستغناء الدواعي في الاكثر وكانت كتابة العرب بدوية مثل او قريبا من كتابتهم لهذا العهد او قول ان كتابتهم لهذا العهد احسن صناعة لان هؤلاء اقرب الى الحصار ومحاطة الامصار والدول واما مصر فكانوا اعرق في اليد والبعد عن المحصر من اهل اليمن واهل العراق واهل الشام ومصر فكان المخط العربي لاول الاسلام غير بالغ الى العاية من الاحكام والاتقان والاحادة ولا الى التوسط لمكان العرب من الدواة والتوحش ونعذم عن الصنائع وانظر ما وقع لاجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الاجادة مخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة المخط عدد اهلها فمات في التابعون من السلف رسمهم فيها تركا بما رسمه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير المخطي من بعده المتلقون لوحه من كتاب الله وكلامه كما يقتضي لهذا العهد خط ولي او عالم تركا ويتبع رسمه خطأ او صوابا وبنسبة ذلك من الصحابة فيما كتبه فانتع ذلك وانت رسماً وبه العلماء بالرسم على مواضع ولا تلتفت في ذلك الى ما رعمه بعض المصلين من اهم كانوا يحكمين لصناعة المخط وان ما يجهل من محالفة خطوطهم لاصول الرسم ليس كما يجهل بل لكل واحد وجه ويقولون في مثل زيادة الالف في لا ادبجة انه تنبيه على ان الذبح لم يقع وفي زيادة الياء في ما يبد انه تنبيه على كمال القدرة الرابية وامثال ذلك مما لا اصل له الا التحكم المحض وما حملهم على ذلك الا اعتقادهم ان في ذلك تنزيها للصحابة عن نوم النقص في قلة اجادة المخط وحسوا ان المخط كمال فزهدوا عن نقصه ونسوا اليهم الكمال ما جادوا وطلبوا تعليل ما خالف الاجادة من رسمه وذلك ليس بصحيح . واعلم ان المخط ليس بكمال في حقهم اذ المخط من حملة الصنائع المدنية المعاشية كما رايته فيما مر والكمال في الصنائع اصافي كمال مطلق اذ لا يعود بقصة على الذات في الدين ولا في الخلل واسما يعود على اسباب المعاش وبحسب العراة والتعاون عليه لاجل دلالة على ما في النفوس . وقد كان صلى الله عليه وسلم امياً وكان

ذلك كلاً في حق وبالنسبة الى مقامه لشرفه وتزهو عن الصنائع العملية التي هي اسباب
المعاش وال عمران كلها وليست الامية كلاً في حقنا نحن اذ هو منقطع الى ربه ونحن متعاونون
على الحياة الدنيا ناس الصنائع كلها حتى العلوم الاصطلاحية فان الكمال في حقه هو تزهو
عنها حملة بخلافنا ثم لما جاء الملك للعرب وفتحوا الامصار وملكوها الملك وزلزل البصرة
والكوفة واحتاجت الدولة الى الكتابة استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلمه وتداولوه
فترقت الاجادة فيه واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الاتقان الا انها كانت دون
الغاية والخط الكوفي معروف الرسم لهذا العهد ثم نشر العرب في الاقطار والممالك وافتتحوا
افريقية والاندلس واخط بهو العباس بغداد وترقت المخطوط فيها الى الغاية لما استجمرت
في العمران وكانت دار الاسلام ومركز الدولة العربية وكان الخط البغدادي معروف
الرسم ونسبة الافريقي المعروف رسمه القديم لهذا العهد ويقرب من اوضاع الخط المشرقي
وتحيز ملك الاندلس بالامويين فتميزوا احوالهم من الحصار والصنائع والمخطوط فتميز
صنف خطهم الاندلسي كما هو معروف الرسم لهذا العهد وطاب بحر العمران والحصارة في
الدول الاسلامية في كل قطر وعظم الملك ومقت اسواق العلوم وانتجت الكتب واجيد
كتيبا وتجليدها وملئت بها القصور والحراش المملوكة مما لا كماله وتنافس اهل الاقطار
في ذلك وتنافسوا في يوم لما احل نظام الدولة الاسلامية وتناقضت تناقص ذلك اجمع
ودرست معالم بغداد بدروس الحلافة فانتقل شأنها من الخط والكتابة بل والعلو الى
مصر والقاهرة فلم تزل اسواقها بها نافذة لهذا العهد وله بها معلون يرسمون بتعليم الحروف
بقواين في وضعها واشكالها متعارفة بينهم فلا يلبث المتعلم او يحكم اشكال تلك الحروف
على تلك الاوضاع وقد لقها حسناً وخذق فيها درنة وكتناً واخذها قواين علمية فنجى
احسن ما يكون ولما اهل الاندلس فافترقوا في الاقطار عند نلاشي ملك العرب بها
ومن خلفهم من البربر وتغلست عليهم ام الصرانية فاشتروا في عدو العرب وافريقية
من لدن الدولة الفتنوية الى هذا العهد وشاركوا اهل العمران بما لديهم من الصنائع
وتعلقوا باديال الدولة فغلب خطهم على الخط الافريقي وعنى عليه ونسي خط القبروان
والمهدية نسيان عواندها وصانعتها وصارت خطوط اهل افريقية كلها على الرسم
الاندلسي تنوس وما اليها لتوفر اهل الاندلس بها عدد الجالية من شرق الاندلس
وبقي منه رسم بلاد المحريد الذين لم يخالطوا كتاب الاندلس ولا يترسوا بحوارم اما
كان بغداد على دار الملك تنوس فصار خط اهل افريقية من احسن خطوط اهل

الاندلس حتى اذا تقلص ظل الدولة الموحدية بعض الشيء وتراجع امر الحضارة والتعرف
تراجع العمران بنقص حيثئذ حال الخط وفسدت رسومه وجعل فيه وجه التعليم فساد
الحضارة وتناقص العمران ونقص فيه اثار الخط الادلسي تشهد بها كان لهم من ذلك لما
قدسوا من ان الصائغ اذا رسمت بالحضارة فيعسر محوها وحصل في دولة بني مرين من
بعد ذلك بالمغرب الأقصى لون من الخط الادلسي لقرب جوارم وسقوط من خرج
منهم الى فارس قريباً واستعمالهم ايام سائر الدولة وبني عهد الخط فيما بعد عن سدة
الملك وداره كانه لم يعرف فصارت الخطوط بأفريقية والمغربيين مائلة الى الرداء بعيدة
عن الجودة وصارت الكتب اذا اشتمت فلا فائدة تحصل لتصحفها سها الا العناء والمتنقة
لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير الاشكال الخطية عن الحودة حتى لا تكاد
تقرأ الا بعد عسر ووقع فيه ما وقع في سائر الصائغ ففساد الحضارة وفساد الدول والله اعلم

الفصل الحادي والثلاثون

في صناعة الوراقة

كانت الصابية قديماً بالدواوين العلمية والسياسات في نسخها وتجليدها وتصحيحها
بالرواية والوسط وكان سبب ذلك ما وقع من صحامة الدولة ونواع الحضارة وقد ذهب
ذلك لهذا العهد بذهاب الدولة وتناقص العمران بعد ان كان منه في الملة الاسلامية بحر
راخر بالعراق والاندلس اذ هو كله من نواع العمران واتساع نطاق الدولة وبقا اسواق
ذلك لديها فكثر التآليف العلمية والدواوين وحرص الناس على تناقلها في الافاق
والاعصار فاشتمت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين المعايين للانساخ والتصحيح
وتجليد وسائر الامور الكتنية والدواوين واختصت بالامصار العظيمة العمران وكانت
السياسات اولاً لانساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والاقطاعات والصكوك في
الرفوق المهيأة بالصناعة من الجلد لكثرة الره وقلة التآليف صدر الملة كما ذكره وقلة
الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك فاقصر واعلى الكتاب في الرق نشرها للكتوبات
وميلها الى الصحة والابقان ثم طابجر التآليف والتدوين وكثر ترسل السلطان وصكوكه
وضاق الرق عن ذلك فاشار الفصل من يجي بصناعة الكاغد وصعته وكتب فيه رسائل
السلطان وصكوكه واتخذ الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية وبلغت
الاجادة في صناعتها ما شاءت ثم وقعت رعاية اهل العلوم وهم اهل الدول على ضبط الدواوين

العلية وتصحيحها بالرواية المسندة الى مؤلفيها وإضعفها لانه الثامن الامم من التصحيح والصبط فذلك تسد الاقوال الى قائلها والفتيا الى الحاكم بها الجتهدي في طريق استنساظها وما لم يكن تصحيح المتن باسادهما الى مدونها فلا يصح اسناد قول لم ولا فتيا وهكذا كان شان اهل العلم وحملته في العصور والاجيال والافاق حتى لقد قصرت فائدة الصناعة الحديثية في الرواية على هذه فقط اذ تمرنها الكثرى من معرفة صحيح الاحاديث وحسبها ومسندها ومرسلها ومنطوعها وموقوفها من موضوعها قد ذهبت ونقصت زبدة في ذلك الامهات المتلقاة بالقول عدالته وصار القصد الى ذلك لغواً من العمل ولم تنق ثمره الرواية والاستغال بها الا في تصحيح تلك الامهات الحديثية وسواها من كتب الفقه للفتيا وغير ذلك من الدواوين والتأليف العلية واتصال سندها بمؤلفيها ليصح النقل عنهم والاساد اليهم وكانت هذه الرسوم بالمشرق والاندلس معدة الطرق واضحة المسالك ولهذا نجد الدواوين المستحقة لذلك العهد في اقطارهم على غاية من الاتقان والاحكام والصحة ومما لهذا العهد ما يدي الناس في العالم اصول عنيقة تشهد ببلوغ الغاية لم في ذلك واهل الافاق يتناقلونها الى الان وينتدون عليها يد الصيانة ولقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد حيلة بالمغرب واهلها لاقطاع صاعقة الحط والصبط والرواية منه انتفاص عمراد ونداء اهله وصارت الامهات والدواوين تسبح بالمخطوط اليدوية تسبحها طلبة الدرر صحائف مستعجبة برداءة الحط وكثرة السداد والتصحيح فتستغلق على منصفها ولا يحصل منها فائدة الا في الاقل النادر وايضاً فقد دخل المحلل من ذلك في الفتيا فان غالب الاقوال المعروفة غير مروية عن ائمة المذهب واما تنقل من تلك الدواوين على ما هي عليه وتبع ذلك ايضاً ما يتصدى اليه بعض ائمتهم من التأليف لقله بصرم بصاعته وعدم الصنائع الوافية بمقاصده ولم يبق من هذا الرسم بالاندلس الا اثاره خفية بالامحاء وفي على الإصحاح فقد كاد العلم ينقطع بالكلية من المغرب والله غالب على امره ويلفتنا لهذا العهد ان صاعقة الرواية قائمة بالمشرق وتصحيح الدواوين لمن يرويه بذلك سهل على متفنيه لفتاق اسواق العلوم والصنائع كما ذكره بعد الا ان الحط الذي بقي من الاجادة في الاستساخ هنالك انما هو للجم وفي خطوطهم واما السخيمر فبعد كما قصد بالمغرب واشد والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

الفصل الثاني والثلاثون

في صناعة الفناء

هذه الصناعة في تلحين الاشعار الموزونة بتقطيع الاصوات على نسب منتظمة معروفة
يوقع كل صوت منها توقيعاً عند قطعه فيكون نغمة ثم تولف تلك النغم بعضها الى بعض
على نسب متعارفة فيلذ سماعها لاجل ذلك التناسب وما يحدث عنه من الكيفية في تلك
الاصوات وذلك انه تبين في علم الموسيقى ان الاصوات تتناسب فيكون صوت نصف
صوت وربع اخر وخمس اخر وجزء من احد عشر من اخر واختلف هذه النسب عند
تاديتها الى السمع بخروجها من البساطة الى التركيب وليس كل تركيب منها ملذوذاً
عند السماع بل تراكم بعضها في التي حصرها اهل علم الموسيقى وتكلموا عليها كما هو
مذكور في موضعه وقد يساوق ذلك التلحين في النغمات الغنائية بتقطيع اصوات اخرى
من الجمادات اما بالقرع او بالنفخ في الآلات فنخذ لذلك فترى لما لذت عند السماع فمها
لهذا العهد اصناف منها ما يسمونه الشبابة وهي قصبة جوفاء بالبخاش في جوانبها معدودة
بنفخ فيها فتصوت فيخرج الصوت من جوفها على سداً من تلك البخاش ويقطع الصوت
بوضع الاصابع من اليدين جميعاً على تلك البخاش وضماً متعارفاً حتى تحدث النسب
بين الاصوات فيه وتصل كذلك متناسبة فيلذ السمع بادراكها للتناسب الذي ذكرناه
ومن جنس هذه الآلة المزمار الذي يسمى الزلامي وهو شكل القصبة مخوفة الجانبيين من
الخشب جوفاء من غير تدوير لاجل اختلافها من قطعتين منفردتين كذلك البخاش
معدودة بنفخ فيها بقصبة صغيرة توصل فيلذ النفخ بواسطتها اليها وتصوت بنغمة حادة
يجري فيها من تقطيع الاصوات من تلك البخاش بالاصابع مثل ما يجري في الشبابة ومن
احسن آلات الزمر لهذا العهد البوق وهو بوق من نحاس اجوف في مقدار الذراع يتسع
الى ان يكون انفراج مخرج في مقدار دون الكف في شكل ربي القلم وبنفخ فيه بقصبة صغيرة
تودي الريح من الفم اليه فيخرج الصوت ثخناً دويماً وفيه البخاش ايضاً معدودة وتقطع نغمة
منها كذلك بالاصابع على التناسب فيكون ملذوذاً ومنها آلات الاوتار وهي جوفاء كلها
اما على شكل قطعة من الكرة مثل المربط والرباب او على شكل مربع كالفانون توضع
الاوتار على بساطها مشدودة في راسها الى دساتر جائلة لياقي شد الاوتار ورخوها عند
الحاجة اليه بادارتها ثم تفرع الاوتار واما بعدوا اخر او بوتر مشدود بين طرفي قوس يمر

عليها بعد ان يطل بالشع والكندرو يقطع الصوت فيه بخفيف اليد في اسرارها او تفلين
وترالى وترواليد اليسرى مع ذلك في جميع الات الاوتار توقع ماصابها على اطراف
الاوتار فيها يقرع او يحك بالوتر فتحدث الاصوات متناسبة ملذودة وقد يكون القرع في
الطسوت بالقصص او في الاعواد بعضها بعض على توقع مناسب يحدث عنه التذاذ
بالمسموع وليس لك السبب في اللذة الناشئة عن العناء وذلك ان اللذة كما تقرر في
موصو في ادراك الملاثم والحسوس اما تدرك منه كيفية فاذا كانت مناسبة للمدرك وملائمة
كانت ملذودة واذا كانت منافية له منافية كانت مولة فالملاثم من الطعوم ما ناسبت
كيفية حاسة الدوق في مراجعها وكذا الملاثم من الموصات وفي الروائح ما ناسب
الروح القلي التجاري لانه المدرك واليه تؤدي الحاسة ولهذا كانت الرياحين والارهار
العطريات احسن رائحة واشد ملائمة للروح لعلنة الحرافة فيها التي في مراجع الروح
القلي واما المرئيات والمسموعات فالملاثم فيها تناسب الاوضاع في اشكالها وكيفيةها فهو
اسبب عند السس واشد ملائمة لها فاما كان المرئي متناسبا في اشكاله وتحاطبه التي
له بحسب مادي بحيث لا يخرج عما تقتضيه مادته الخاصة من كمال المناسبة والوضع وذلك
هو معنى الجمال والحس في كل مدرك كان ذلك حينئذ ماسا للسن المدركة فتلد
بادراك ملائمتها ولهذا تجد العاشقين المتهتمين في المحبة يعطون عن غاية محبتهم وعشقهم
بامتراح ارواحهم بروح المحبوب وفي هذا سر تنبيه ان كسب اهل وهو اتحاد المدا
وان كان ما سواك اذا نظرت وتاملته رأيت سلكا وبه اتحادا في البداية يتهد لك به
اتحاد كما في الكون ومعناه من وجه اخر ان الوحد يترك بين الموحودات كما نقوله
الحكام فتود ان تخرج بمشاهدات فيه الكمال لتجد به بل تروم السس حينئذ الخروج عن
الوحد الى الحقيقة التي في اتحاد المدا والكون ولما كان اسباب الالتئام الى الانسان واقربها
الى ان يدرك الكمال في تناسب موضوعها هو مشكلة الاساني فكان ادراك الجمال والحسن
في تحاطبه واصواته من المداك التي في اقرب الى فطرته فيبلغ كل انسان بالحس من
المرئي او المسموع بمقتضى العطرة والحسن في المسموع ان تكون الاصوات متناسبة لمتناغمة
وذلك ان الاصوات لها كينيات من المهرس والمهر والرخاوة والشددة والقلقة والضغط
وغير ذلك والناسب فيها هو الذي يوجب لها الحسن فالاول ان لا يخرج من الصوت
الى مده دفعة بل يتدرج ثم يرجع كذلك وهكذا الى المثال بل لا بد من توسط المغاير
بين الصوتين وتامل هذا من افتتاح اهل الصناع التراكيب من الحروف المتناغمة او

المتقاربة الخارج فانه من بايو وثانياً تناسبها في الاجزاء كما مرّ اول الباب فيخرج من
 الصوت الى نصو او ثلثو او جزء من كدامته على حسب ما يكون التنقل متناسباً على ما
 حصره اهل الصناعة فاذا كانت الأصوات على تناسب في الكيفيات كما ذكره اهل تلك
 الصناعة كانت ملائمة ملذوذة ومن هذا التناسب ما يكون بسيطاً ويكون الكثير من
 الناس مطبوعاً عليه ليجتاجون فيه الى تعليم ولا صناعة كما نجد المطبوعين على الموازين
 الشعرية وتوقيع الرقص وامثال ذلك ونسب العامة هذه القابلية بالمضمار وكثير من
 القراء بهذه المثابة يقرؤون القرآن فيجيدون في تلاحين اصواتهم كأنها المزامير فيطربون
 بحسن مساقمهم وتناسب نغماتهم ومن هذا التناسب ما يحدث بالتركيب وليس كل الناس
 يستوي في معرفته ولا كل الطباع توافق صاحبها في العمل به اذ اعلم وهذا هو التلحين
 الذي يتكفل به علم الموسيقى كما نشرحه بعد عند ذكر العلوم وقد انكر مالك رحمه الله
 تعالى القراءة بالتلحين واجازها الشافعي رضي الله تعالى عنه وليس المراد تلحين الموسيقى
 الصناعي فانه لا ينبغي ان يختلف في حظره اذ صناعة الغناء مباينة للقرآن بكل وجه لان
 القراءة والاداء تحتاج الى مقدار من الصوت لتعين اداء الحروف لا من حيث اتباع
 الحركات في موضعها ومقدار المد عند من يطلقه او يقصره وامثال ذلك والتلحين ايضاً
 يتعين له مقدار من الصوت لا يتم الا به من اجل التناسب الذي قلناه في حقيقة التلحين
 واعتبار احدها قد يخل بالآخر اذا تعارضا وتقدم الرواية متعين من تغيير الرواية
 المنقولة في القرآن فلا يمكن اجتماع التلحين والاداء المعتبر في القرآن بوجه وانما مرادهم
 التلحين البسيط الذي يهتدي اليه صاحب المضمار بطبعه كما قدمناه فيرد اصواته ترديداً
 على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره ولا ينبغي ذلك بوجه كما قاله مالك هذا هو محل
 الخلاف والظاهر تنزيه القرآن عن هذا كله كما ذهب اليه الامام رحمه الله تعالى
 لان القرآن محل خشوع بذكر الموت وما بعده وليس مقام التذاذ بادراك الحسن من
 الاصوات وهكذا كانت قراءة الصحابة رضي الله عنهم كما في اخبارهم واما قوله صلى الله
 عليه وسلم لقد اوتي مزماراً من مزامير آل داود فليس المراد به التردد والتلحين انما
 معناه حسن الصوت والاداء القراءة والابانة في مخارج الحروف والنطق بها واذ قد ذكرنا
 معنى الغناء فاعلم انه يحدث في العمران اذا توفر وتجاوز حد الضرورة الى الحاجي ثم
 الى الكمالي وتفننوا فحدثت هذه الصناعة لانه لا يستدعيها الا من فرغ من جميع حاجاته
 الضرورية والهمة من المعاش والمنزل وغيره فلا يطلبها الا الفارغون عن سائر احوالهم

نفساً في مذاهب اللذونات وكان في سلطان العجم قل الملة منها بحر زاخر في امصار
 ومدنهم وكان ملوكهم يخذون ذلك و يولعون به حتى لقد كان الملوك الدرس اهتمام باهل
 هذه الصناعة ولم يكن في دولتهم وكانوا يمحرون مشاهدم ومجامعهم ويضون فيها وهذا
 شأن العجم لهذا العهد في كل اقل من افاقهم ومملكة من ممالكهم واما العرب فكان لم
 اولاً فن الشعر يولنون فيه الكلام اجزاء متساوية على تناسب بينها في عدة حروفها
 المتحركة والساكنة ويصلون الكلام في تلك الاجزاء تفصيلاً يكون كل جزء منها مستقلاً
 بالاقادة لا يعطف على الاخر ويسمونه البيت فتلاهم الطبع بالتجزئة اولاً ثم تناسب
 الاجزاء في المقاطع والمادي ثم تادية المعنى المقصود وتطبق الكلام عليها فلهجوا به فامتاز
 من بين كلامهم بحط من الترف ليس لغيره لاجل اختصاصه بهذا المناسب وجعلوه
 ديواناً لاخبارهم وحكمهم وشريهم ومحكاً لقرانهم في اصابة المعاني واجادة الاساليب واستمرروا
 على ذلك وهذا التناسب الذي من اجل الاحراء والمتحرك والساكن من الحروف قطرة
 من بحر من تناسب الاصوات كما هو معروف في كتب الموسيقى الا انهم لم يتعروا بما
 سواه لاهم حينئذ لم يتفعلوا علماء ولا عروفا صناعة وكانت الدواة اغلب نخلهم ثم نفى المحادة
 منهم في حياء الله والعتيان في قضاء خلواتهم فرجعوا الاصوات وترنوا وكانوا يسمون
 الترنم اذا كان بالشعر غناءً واذا كان بالتهليل او نوع القراءة تضيئاً بالغين المعجمة
 والباء الموحدة وعلها اوصافها الرجاء بما تذكر بالعار وهو الباقي اي باحوال الاخرة
 وربما ناموا في غنائهم بين النغبات مناسبة بسيطة كما ذكره ابن رشيق اخر كتاب
 العدة وغيره وكانوا يسمونه الساد وكان اكثر ما يكون منهم في الخفيف الذي يرقص
 عليه ويمشي بالدف والمرار فيضطرب ويصفخ الخنوم وكانوا يسمون هذا المرح وهذا
 البسيط كله من التلاحين هوس او اثلها ولا بعد ان تمنطق له الطماع من غير تعليم شأن
 البسائط كنهاس الصانع ولم يرل هذا شأن العرب في بداوتهم وجاهليتهم فلما جاء الاسلام
 واستولوا على ممالك الدنيا وحازوا سلطان العجم وغلبوا عليه وكانوا من الدواة
 والعصاة على الحال التي عرفت لم مع غصارة الدين وشدة في ترك احوال الفراغ
 وما ليس بنافع في دين ولا معاش فمهرروا ذلك شيئاً ما ولم يكرهوا اللذوذ عدم الا ترجع
 القراءة والترنم بالشعر الذي هو دينهم ومذهبهم فلما جاءهم الترف وعلب عليهم الرفه
 بما حصل لهم من غنائم الام صاروا الى نصارة العين ورقة الخاشية واستغلاء الفراغ
 واقتراق المغنوس من الدرس والروم فوقعوا الى المحل وصاروا موالى للعرب وغلبوا جميعاً

بالعبدان والطناير والمعارف والمراير وسمع العرب تلحينهم للأصوات فلهذا عليها اشعارهم
وظهر بالمدينة شيط العارسي وطويس وسائب حائر مولى عبيد الله ابن جعفر فسمعوا شعر
العرب ولحنوه وجادوا فيه وطار لم ذكرتم اخذ عنهم معبد وطبقته وابن سريج وانظاره
وما زالت صناعة الغناء تندرج الى ان كملت ايام بني العباس عند ابراهيم بن المهدي
وابراهيم الموصلي وابنه اسحاق وابنه حماد وكان من ذلك في دولتهم بغداد ما تنعته الحديث
بعده به وبمجالس هذا العهد واصول في اللهو واللعب واتخذت آلات الرقص في المجلس
والقضاة والاشعار التي يتغم بها عليه وجعل صفاً وحده واتخذت آلات اخرى للرقص
نسى بالكرج وفي ثمانيل خيل مسرحية من الحنطب معلقة باطراف اقية بلسها السوان
ويحاكين بها انتطاء الحيل فيكرونها ويرونها ويتأقنون وامثال ذلك من اللعب المعد
للولائم والاعراس واماير الاعباد ومحال العراع واللهو وكثر ذلك بعدد ايام
العراق وانتشر منها الى غيرها وكان للموصلين علام اسمه رباب اخذ عنهم الغناء فاجاد
فصرى الى المغرب غيرة منه فلقن بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل امير الاندلس
صانع في تكميتهم وركب للقاءه واتى له الخوازم والاقطاعات والبحرايات واحلة من دولته
وندمائه بمكان فاورث الاندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه الى ازمان الطوائف
وطما منها باشبيلية بجزيرة اخر وتناقل منها بعد ذهاب غصارتها الى بلاد العدو بافريقية
والمغرب وانقسم على امصارها وبها آلات منها صانة على تراجم عمرانها وتناقص دولها
وهذه الصناعة اخر ما يحصل في العراة من الصنائع لانها كالية في غير وظيفة من
الوظائف الا وظيفة الفراغ والمرح وهو ايضا اول ما ينقطع من العراة عند اختلاله
وتراجعوا والله اعلم

الفصل الثالث والثلاثون .

في ان الصنائع تكسب صاحبها عقلاً وخصوصاً الكتانة والحساب

قد ذكرنا في الكتاب ان النفس الباطنة للانسان اما توجد فيه بالقوة وان خرجها
من القوة الى العمل اما هو يتجدد العلوم والادراكات عن المحسوسات اولاً ثم ما يكتسب
بعدها بالقوة النظرية الى ان يصير ادراكاً بالعمل وعقلاً محصاً فتكون ذاتاً روحانية
ويستكمل حيث يد وجودها فوجب لذلك ان يكون كل نوع من العلم والنظر بيدها
عقلاً فريداً والصنائع ابداً يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستمد من تلك الملكة

فلهذا كانت الحنكة في التجربة تنيد عقلاً والملكات الصناعية تنيد عقلاً والحضارة الكاملة تنيد عقلاً لأنها مجتمعة من صنائع في شان تدبير المنزل ومعاشرة ابناء الجنس وتحصيل الاداب في محالطتهم ثم القيام بامور الدين واعبا اداها وشرائعها وهذه كلها قواييم تنتظم علومها فيحصل منها ريادة عقل والكتانة من بين الصنائع اكثر اعادة لذلك لانها تستل على العلوم والانظار بخلاف الصنائع ويبان ان في الكتانة انتقالاً من الحروف الخطية الى الكلمات اللفظية في الخيال ومن الكلمات اللفظية في الخيال الى المعاني التي في النفس ذلك دائماً فيحصل لها ملكة الانتقال من الادلة الى المدلولات وهو معنى النظر العقلي الذي يكسب العلوم المجهولة فيكسب بذلك ملكة من التعقل تكون ريادة عقل ويحصل به قوة فطنة وكيس في الامور لما تعودوه من ذلك الانتقال ولذلك قال كسرى في كتابه لما رآهم تلك العظمة والكيس فقال ديوانة اي شياطين وجون قالوا وذلك اصل اشتقاق الديوان لاهل الكتانة ويلحق بذلك الحساب فان في صناعة الحساب نوع تصرف في العدد بالصم والتعريق يحتاج فيه الى استدلال كثير فيبقى متعوداً للاستدلال والنظر وهو معنى العقل والله اعلم

الفصل السادس

من الكتاب الاول

في العلوم واصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه مقدمة ولها حق

الفصل الاول

في ان العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري

وذلك ان الانسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته من المحس والحركة والغذاء والكس وغير ذلك ولما تميز عنها بالعكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه ببناء جنسه والاجتماع المهيء لذلك التعاون وقول ما جاء به من الانبياء عن الله تعالى والعمل به واتباع صلاح اخراة فهو معكر في ذلك كله دائماً لا يترعى العكر فهو طريقة عين بل اختلاج الفكر اسرع من لم الصروع عن هذا الفكر تنشأ العلوم وما قدمناه من الصنائع ثم لاجل هذا الفكر وما جبل عليه الانسان بل الحيوان من تحصيل ما يستدعيه

الطباع فيكون المكرراً في تحصيل ما ليس عنده من الإدراكات فيرجع الى من سبقه
 بعلم او زاد عليه معرفة او ادراك واخذه من تقدمه من الاسياء الذين بلغونه لمن
 تلقاه فيلن ذلك عنهم ويحرص على اخذه وعلو ثم ان فكره ونظرة يتوجه الى واحد واحد
 من الحقائق وينظر ما يعرض له لدائره واحداً بغض اخرون يفرغ على ذلك حتى يصير
 الحاق العوارض تلك الحقيقة ملكة له فيكون حينئذ علة بما يعرض لتلك الحقيقة علماً
 مخصوصاً وتشتوف بنوس اهل الجبل الثاني الى تحصيل ذلك فيعرضون الى اهل معرفته
 ويحيي التعليم من هنا فقد تبين بذلك ان العلم والتعليم طبيعي في البشر

الفصل الثاني

في ان التعليم للعلم من جملة الصانع

وذلك ان المحدث في العلم والتفكير في الاستيلاء عليه اما هو بمحصل ملكة في
 الاحاطة بماديه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من اصوله وما لم تحصل
 هذه الملكة لم يكن المحدث في ذلك النشأ حاصلاً وهذه الملكة هي في غير الهم والوعي
 لا ما نجد هم المسألة الواحدة من النشأ الواحد ووعيا مشتركا بين من شدا في ذلك النشأ
 وبين من هو متدبر فيو بين العاقي الذي لم يحصل علماً وبين العالم الغرير والملكة
 اما هي للعالم او الشادي في السون دون من سواها فدل على ان هذه الملكة غير النهم
 والوعي والملكات كلها حسانية سواء كانت في البدن او في الدماغ من الفكر وغيره
 كالحساب والحسابات كلها محسوسة فتنتفر الى التعليم ولهذا كان السد في التعليم في كل
 علم او صناعة الى مشاهير المعلمين فيها معتبراً عند كل اهل اقل وحيل ويدل ايضاً على
 ان تعليم العلم صناعة اخلاف الاصطلاحات فيو لكل امام من الائمة المشاهير اصطلاح
 في التعليم يختص به شار الصانع كلها فدل على ان ذلك الاصطلاح ليس من العلم والا
 لكان واحداً عند جميعهم الا ترى الى علم الكلام كيف تخالف في تعليمه اصطلاح المتقدمين
 والمتأخرين وكذا اصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه الى مطالعة وتجيد
 الاصطلاحات في تعليمه متخالفة فدل على انها صناعات في التعليم والعلم واحد في نفسه
 واذا تقرر ذلك فاعلم ان شد تعليم العلم لهذا العهد قد كاد ان يقطع عن اهل المغرب
 باختلال عمراء وتناقص الدول فيو وما يحدث عن ذلك من نقص الصانع وفقدانها
 كما مر وذلك ان الفبروان وقرطعة كانتا حاضرتي المغرب والا ندلس واستجر عمراهما

وكان فيها للعلوم والصنائع اسواق بافقه وبجور زاخرة وروح فيها التعليم لا امتداد عصورها
 وما كان فيها من الحصار فلما خربنا انقطع التعليم من المغرب الا قليلا كان في دولة
 الموحدين براكش مستعداً منها ولم ترسخ الحضارة براكش لبداء الدولة الموحدية في اولها
 وقرب عهد انقراضها بمدتها فلم تنصل احوال الحضارة فيها الا في الاقل وبعد انقراض
 الدولة براكش ارتحل الى المشرق من اهر بقة القاضي ابو القاسم بن زيتون لعهد واسط
 المائة السابعة فادرك تليد الامام ابن الخطيب فاخذ عنهم ولقى تعليمهم وحقق في العقليات
 والعقليات ورجع الى تونس بعلم كثير وتعليم حسن وجاء على اثره من المشرق ابو عبد
 الله بن شعيب الدكالي كان ارتحل اليه من المغرب فاخذ عن متبعية مصر ورجع الى تونس
 واستقر بها وكان تعليمه مبدأ فاخذ عنها اهل تونس واتصل سند تعليمها في تلاميذها
 جيلاً بعد جيل حتى انتهى الى القاضي محمد بن عبد السلام فارجع اس الحاجب وتليد
 وانتقل من تونس الى تلمسان في ابن الامام وتليد فانه قرأ مع اس عبد السلام على
 مشيخة واحدة وفي محاليس باعياها وتليد اس عبد السلام بنونس وابن الامام تلمسان
 لهذا العهد الا اهتم من الفقه بحيث بحثى انقطاع سنده ثم ارتحل من رواية في اخر المائة
 السابعة ابو علي ناصر الدين المتدالي وادرك تليد ابي عمرو بن الحاجب واخذ عنهم
 ولقى تعليمهم وقرأ مع تهاب الدين الفرائي في محاليس واحدة وحقق في العقليات
 والعقليات ورجع الى المغرب بعلم كثير وتعليم جيد ورل بجاية واتصل سند تعليمه في
 طلبتها ورجعوا انتقل الى تلمسان عمران المتدالي من تليده ولوطها وبط طريقته فيها
 وتليده لهذا العهد بجاية وتلمسان قليل او اقل من القليل وبقيت فاس وسائر اقطار
 المغرب خلواً من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان ولم يتصل سند
 التعليم فيهم ففسر عليهم حصول الملكة والحقق في العلوم واسو طرق هذه الملكة متى
 اللسان بالهاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مراميها فبعد
 طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من اعمارهم في ملازمة المحاليس العلمية سكوتاً لا يصفون
 ولا يباوضون وعمايتهم بالحفظ اكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف
 في العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من يرى منهم انه قد حصل محمد ملكة قاصرة في علمه ان
 فاض او باطر او علم وما اناهم التصور الا من قبل التعليم وانقطاع سنده والافهمهم
 المنع من حفظ سوام لشدة عمايتهم بوظنهم انه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك
 وما يشهد بذلك في المغرب ان المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة

سنة وهي تونس خمس سنين وهذه المدة بالمدارس على المتعارف هي أقل ما يتأتى فيها
لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية أو اليأس من تحصيلها فطال أمدها في
المغرب لهذه المدة لاجل عسرهما من قلة الجودة في التعليم خاصة لا بما سوى ذلك وإما
أهل الاندلس فذهب رسم التعليم من بينهم وذهبت عنايتهم بالعلوم لتناقص عمران
المسلمين بها مدنيون من السنين ولم يبق من رسم العلم فيهم إلا فن العربية والأدب
اقتصروا عليه وانحفظ سد تعليمه يسير وانحفظ بمحظروا أما الفقه يسير فرسم خلوا واثربعد
عيس وإما العقليات فلا اثر ولا عيس وما ذاك إلا لانقطاع سند التعليم فيها بتناقص
العمران وتغلب العدو على عامتها إلا قليلاً سيف البحر تغلب معايتهم أكثر من شغلهم
بما بعدها والله غالب على امره . وإما المشرق فلم يقطع سد التعليم فيه بل اسواقه نافقة
ومجورة راخرة لاتصال العمران الموقور واتصال السد فيه وإن كانت الامصار العظيمة
التي كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة إلا ان الله تعالى قد
ادال منها امامار اعظم من تلك وانتقل العلم منها الى عراق النعم بخراسان وما وراء
النهر من المشرق ثم الى القاهرة وما اليها من المغرب فلم ترل موقورة وعمرانها متصلاً وسند
التعليم بها قائماً فاهل المشرق على الجملة ارحم في صناعة تعليم العلم بل وفي سائر الصنائع
حتى انه ليلظن كثير من وحالة اهل المغرب الى المشرق في طلب العلم ان غفولهم
على الجملة اكمل من غفول اهل المغرب وانهم اشد ساهة واعظم كساً بطرهم الاولى
وان نفوسهم الناطقة اكمل بطرهم من نفوس اهل المغرب ويعتقدون التفاوت بيننا
وبينهم في حقيقة الانسانية ويشبهون لذلك ويولعون به لما يرون من كسهم في العلور
والصنائع وليس كذلك وليس بين قطر المشرق والمغرب تفاوت بهذا المقدار الذي هو
تفاوت في الحقيقة الواحدة اللهم الا الاقاليم المحرفة مثل الاول والسابع فان الامرجة
فيها محرفة والنفس على سببها كما مرواها الذي فضل به اهل المشرق اهل المغرب هو
ما يحصل في النفس من آثار الحضارة من العقل المزيد كما تقدم في الصنائع وزيد
الان تحقيقاً وذلك ان الحضرة ادا في احوالهم في المعاش والسكن والبناء وامور
الدين والدينا وكذا سائر اعمالهم وعاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم فلم في ذلك كل
اداب يوقف عندها في جميع ما يتناولونه ويتلصسون به من اخذ وترك حتى كانت حدود
لاتتعدى وهي مع ذلك صنائع يتلقاها الاخر عن الاول منهم ولا شك ان كل صناعة
مرتبعة برجع منها الى النفس اثر يكسبها عقلاً جديداً يستعد به لقبول صناعة اخرى وينتهي بها

العقل لسرعة الادراك للمعارف. ولقد بلغنا في تعليم الصنائع عن اهل مصر غايات لا تدرك
 مثل انهم يطهون الحمرة الاسية والمحويات العجم من المائي والطائر مردات من الكلام
 والافعال يستغرب مدورها ويجهز اهل المغرب عن فهمها وحسن الملكات في التعليم
 والصنائع وسائر الاحوال العادية يريد الانسان ذكاء في عقله وإضاءة في فكره بكثرة
 الملكات الحاصلة للنس اذ قدما ان النس انما تنشأ بالادراكات وما يرجع اليها من
 الملكات فيزدادون بذلك كيمساً لما يرجع الى النس من الآثار العلمية فيطنه العامي نواتاً
 في الحقيقة الاسابية وليس كذلك الا ترى الى اهل الحصر مع اهل الدوكيف نجد
 المحصري مغلياً بالذكاء متمكناً من الكيس حتى ان الدوي ليطننه انه قد فاته في حقيقة
 اسابته وعقله وليس كذلك وما ذاك الا لاجادته في ملكات الصنائع والاداب في العوائد
 والاحوال الحصرية ما لا يعرفه الدوي فلما امتلأ المحصري من الصنائع وملكاتها وحسن
 تعليمها ظن كل من قصر عن تلك الملكات انها لكامل في عقله وإن نفوس اهل الدوي
 قاصرة بطريقتها وجليلتها عن مطرعه وليس كذلك فلما بعد من اهل الدوم هو في اعلى رتبة
 من الهم والكمال في عقله ومطرنه انما الذي طهر على اهل الحضر من ذلك هو رونق
 الصنائع والتعليم فان لما اثاراً ترجع الى النس كما قدماه وكذا اهل المشرق لما كانوا في
 التعليم والصنائع ارجح رتبة واعلى قدماً وكان اهل المغرب اقرب الى الدواة لما قدماه في
 النصل قل هذا ظن المعلول في مادي الراي انه لكامل في حقيقة الاسابية اختصاصاً به عن اهل
 المغرب وليس ذلك بصحيح فتمهله والله يريد في الخلق ما يشاء وهو الة السموات والارض

الفصل الثالث

في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران ونظم الحصاره
 والسبب في ذلك ان تعليم العلم كما قدماه من جملة الصنائع وقد كما قدما ان
 الصنائع انما تكثر في الامصار وعلى سعة عمرانها في الكثرة والقلة والحصاره والترف تكون
 نسبة الصنائع في الجودة والكثرة لانه امر رائد على المعاش في فصلت اعمال اهل
 العمران عن معاشهم انصرفت الى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الانسان وهي
 العلوم والصنائع ومن تشوف بطريقه الى العلم ممن نشأ في القرى والامصار غير المتقدمة
 فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعي لفقدان الصنائع في اهل البدو كما قدماه ولا بد له
 من الرحله في طلبه الى الامصار المستبحرة شان الصنائع كلها واعتبر ما قررناه بحال بغداد

وقرطبة والقديريان والبصرة والكوفة لما كثر عمرانها صدر الاسلام واستوت فيها الحضارة
كيف رخرت فيها بحار العلم وتسمي في اصطلاحات التعليم واصاف العلوم وامسائط
المسائل والننون حتى اربوا على المتقدمين وفاتوا المتأخرين ولما تناقص عمرانها وانذر
سكانها انطوى ذلك الساطع على حملة وفقد العلم بها والتعليم وانتقل الى غيرها من
امصار الاسلام ونحن لهذا العهد نرى ان العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما
ان عمرانها مستجمر وحضارتها مستحكمة منذ الآف من السنين فاستحكمت فيها الصانع
وتفتتت ومن حملتها تعليم العلم واكد ذلك فيها وحفظة ما وقع هذه العصور بهامد ما تيسر
من السنين في دولة الترك من ايام صلاح الدين بن ايوب وهلم حراً وذلك ان امراء
الترك في دولتهم يحشون عادية سلطاهم على من يخفون من دريتهم لالة عليهم من الرقاو
الولاء ولما يمتحن من معاضد الملك ونكباته فاستكثر من ساء المدارس والروايا والربط
ووقفوا عليها الاوقاف المغلة يجعلون فيها شركا لولدكم يطر عليها او يصيب منها مع ما فيهم
غالباً المجموع الى الخير والنامس الاحور في المناصد والامعال فكثرت الاوقاف لذلك
وعطيت الغلات والوائد وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة حرايتهم بها وارتحل اليها الناس
في طلب العلم من العراق والمغرب وفتت بها اسواق العلوم ورخرت بحارها والله بخلق ما يشاء

الفصل الرابع

في اصاف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد

اعلم ان العلوم التي يجوز فيها الشر ويتداولونها في الامصار تحصيلاً وتعليماً في
على صبيين صنف طبيعي للانسان بهندي اليه مفكره وصف فني ياخذ عن وصفة
والاول هي العلوم الحكيمة الفلسفية وهي التي يمكن ان يقف عليها الانسان بطبيعة فكهو
وبهندي مداركو الشريعة الى موضوعاتها ومسائلها واهمها ووجه تعليمها حتى
يقف^(١) نظره ويحتم على الصواب من الخطاء فيها من حيث هو اساس ذو مفكر والثاني
هي العلوم القليلة الوصفية وهي كلها مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها
للعقل الا في الحماق الزرع من مسائلها بالاصول لان المحرثات الحادثة المتعاقبة
لا تدرج تحت العقل الكلي بمجرد وضعه فحتاج الى الالحاق بوجه قياسي الا ان هذا
القياس يتبرع عن المحرثات الحكم في الاصل وهو فني مرجع هذا القياس الى العقل
اقوله حتى شقة نظره يستعمل وقف متعدداً فتقول ومفتة على كما اي اطلعت علوقا له نصر

لنفرعه عنه وأصل هذه العلوم العقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي
مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيجها للافادة ثم يستتبع
ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة ويورل القرآن واصناف هذه العلوم
العقلية كثيرة لان المكلف يجب عليه ان يعرف احكام الله تعالى المروضة عليه وعلى ائمة
جبهه وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص او بالاجماع او بالالحاق فلا بد من
الطريق في الكتاب بيان العاطل اولاً وهذا هو علم التفسير ثم ماساد نقله وروايته الى النبي
صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عند الله واختلاف روايات القراء في قراءته وهذا
هو علم القرآن ثم ماسناد السنة الى صاحبها والكلام في الرواة الماقلين لها ومعرفة احوالهم
وعدايتهم ليقع الوثوق باحاديثهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذه هي علوم
الحديث ثم لا بد في استنباط هذه الاحكام من اصولها من وجه قاموني بميد العلم بكمية
هذا الاستنباط وهذا هو اصول الفقه وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة احكام الله تعالى
في افعال المكلفين وهذا هو الفقه ثم ان التكليف منها بدني ومنها قلبي وهو المخلص
بالايمان وما يجب ان يعتقد مما لا يعتقد وهذه هي العقائد الالمانية في الذات والصفات
وامور المحتر والعباد والقدر والمحتاج عن هذه بالادلة العقلية هو علم الكلام ثم
الطريق في القرآن والحديث لادان تقدم العلوم اللسانية لانه متوقف عليها وهي اصناف
فهي علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الاداب حسبما تتكلم عليها كلها وهذه العلوم
العقلية كلها مختصة بالملة الاسلامية واهلها وان كانت كل ملة على الجملة لا بد منها من
مثل ذلك فهي مشاركة لها في المحس العبد من حيث انها العلوم الشرعية المنزلة من عند
الله تعالى على صاحب الشريعة المبلغ لها واما على الخصوص فمما يجمع الملل لانها
ماصة لها وكل ما قلها من علوم الملل فمجموعة والطرف فيها معطور فقد نهى الشرع عن
النظر في الكتب المنزلة غير القرآن قال صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب
ولا تكذبوهم وقولوا آما بالذي ارسل اليها وارسل اليكم والها والمكم واحد وراى النبي
صلى الله عليه وسلم في يد عمر رضي الله عنه ورقة من التوراة فغضب حتى نبس الغضب
في وجهه ثم قال ألم اترككم بها بياض نفية والله لو كان موسى حياً ما وسعه الا انساني ثم ان
هذه العلوم الشرعية العقلية قد سقت اسواقها في هذه الملة بما لا مزيد عليه وانتهت فيها
مدارك الماظرين الى الغاية التي لا فوقها وهذه الاصطلاحات ورتبت النون مجازة
من وراء الغاية في الحسن والتميق وكان لكل فن رجال يرجع اليهم فيه واوضاع يستفاد

منها التعليم واختص المشرق من ذلك والمغرب بما هو مشهور منها حسبما ذكره الان عند تعديد هذه الفنون وقد كسدت لهذا العهد اسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران فيه وانقطاع سند العلم والتعليم كما قدمناه في الفصل قبله وما ادرى ما فعل الله بالمشرق والظن به ساق العلم فيه واتصال التعليم في العلوم وفي سائر الصنائع الضرورية والكالية لكثرة عماليه والحصاره ووجود الاعانة لطالب العلم بالحراية من الاوقاف التي انبعت بها ارزاقهم والله سبحانه وتعالى هو العال لما يريد ويده التوفيق والاعانة

الفصل الخامس

في علوم القرآن من التفسير والقراءات

القرآن هو كلام الله المنزل على سيده المكتوب بين يدي المصحف وهو متواتر بين الامة الا ان الصحابة روه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض العاطل وكبيات الحروف في ادائها وتوكل ذلك واشتهر الى ان استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها ايضاً نادما واختصت بالانتماء الى من اشتهر برويتها من الحم الغفير فصارت هذه القراءات السبع اصولاً للقراءة وربما يريد بعد ذلك قراءات اخر لحقت بالسبع الا انها عند ائمة القراء لا تقوى قوتها في النقل وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها لانها عدم كبيات للاداء وهو غير مصسط وليس ذلك عدم فتادح في تواتر القرآن وانه الاكثر قالوا تواترها وقال اخرون تواتر غير الاداء معها كالمذ والتسهيل لعدم الوقوف على كيميته بالسمع وهو الصحيح ولم ير القراء يتداولون هذه القراءات وروايتها الى ان كتبت العلوم ودوت فكثرت فيها كتب من العلوم وصارت صاعة مخصوصة وعلماء موداً وتناقله الناس بالمشرق والاندلس في جبل بعد جيل الى ان ملك الشرق الاندلس محاهد من مولاي العامر بين وكان معتقاً بهذا العلم من بين فصول القرآن لما اخذه به مولاة المصورس ابني العامر واجتهد في تعليمه وعرضه على من كان من ائمة القراء بحضرتهم فكان سهمه في ذلك وافر واختص محاهد بعد ذلك بامارة دامية والحرائر الشرقية فتعنت بها سوق القراء لما كان هو من ائمتها وبما كان له من العناية فيها ووقفت عليه معرفتها وانتهت الى روايته اساقدها ابو عمرو والداني وبلغ العناية فيها ووقفت عليه معرفتها وانتهت الى روايته اساقدها وتعددت تاليفه فيها وعول الناس عليها وعدلوا عن غيرها واعتمدوا من بينها كتاب

التيسير له ثم ظهر بعد ذلك فيما يلي من العصور والاجيال ابو القاسم ابن فخره من اهل
 شاطبة فعبد الى تهذيب ما دونه ابو عمرو وتلخيصه فنظم ذلك كله في قصيدة لغز فيها
 اسماء القراء بحروف ابجد ترتيباً احكاماً ليتيسر عليه ما قصده من الاختصار ولما كان
 اسهل للمعطل لاجل نظمها فاستوعب فيها الفن استيعاماً حساً وعى الناس بحفظها وتلقينها
 للولدان المتعلمين وجرى العمل على ذلك في امصار المغرب والاندلس وربما اضيف
 الى فن القراءات فن الرسم ايضاً وفي اوصاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الحطية
 لان فيه حروفاً كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الحط كزيادة الهاء في ما يبد
 وزيادة الالف في لا اذبحه ولا اضعوا والواو في جزاء والطالين وحذف الالفات في
 مواضع دون اخرى وما رسم فيه من الفاءات ممدوداً والاهل فيه مربوط على شكل
 الهاء وغير ذلك وقد مرتعليل هذا الرسم المصحفي عند الكلام في الحط فلما جاءت هذه
 المقالة لاوضح الحط وقاسوه احتج الى حصرها فكتب الناس فيها ايضاً عند كتبهم في
 العلوم وانتهت بالمغرب الى ابي عمر الداني المذكور فكتب فيها كتاباً من اشهرها كتاب
 المنع واخذ به الناس وعولوا عليه ونطبه ابو القاسم الشاطبي في قصيدته المشهورة على
 روية الراء وولع الناس بحفظها ثم كثرت الخلاف في الرسم في كلمات وحروف اخرى ذكرها
 ابو داود سليمان بن نجاح من موالي مجاهد في كتبه وهو من تلاميذ ابي عمرو الداني
 والمشتهر بحمل علومه ورواية كتبه ثم نقل بعده خلاف اخر مضمّن المحرار من المتأخرين
 بالمغرب ارحورة اخرى رادفيها على المنع خلافاً كثيراً وعراه لباقله واشهرت بالمغرب
 واقتصر الناس على حفظها وهجروا بها كتب ابي داود وابي عمرو والشاطبي في الرسم .
 (واما التفسير) . فاعلم ان القرآن نزل بلغة العرب وعلى اساليب بلاغتهم فكانوا كلهم
 يفهمونه ويعلمون معانيه في معردياته وتراكيبه وكان ينزل حلاً وحلاً وايات ايات لبيان
 التوحيد والعروض الدينية بحسب الوقائع ومنها ما هو في العقائد الالهية ومنها ما هو
 في احكام الجوارح ومنها ما يتقدم ومنها ما يتأخر ويكون اسماً له وكان النبي صلى الله
 عليه وسلم يبين المحمل ويميز الباطن من الماسوخ ويعرفه اصحابه فعرّفوه وعرفوا سب
 رول الايات ومقتضى الحال منها مقولاً عنه كما علم من قوله تعالى اذا جاء نصر الله
 والفتح انها نبي النبي صلى الله عليه وسلم وامثال ذلك ونقل ذلك عن الصحابة رضوان
 الله تعالى عليهم اجمعين وتناول ذلك التابعون من بعدهم ونقل ذلك عنهم ولم يزل
 ذلك متناقلاً بين الصدر الاول والسلف حتى صارمت المعارف علوماً ودونت الكتب

فكتب الكثير من ذلك ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين وانتهى ذلك
الى الطبري والواقدي والعمادي وامثال ذلك من المفسرين فكتبوا فيه ما شاء الله ان
يكتبوه من الآثار ثم صارت علوم اللسان صناعية من الكلام في موضوعات اللغة واحكام
الاعراب والبلاغة في التراكيب فوضعت الدولاب في ذلك بعد ان كانت ملكات
للعرب لا يرجع فيها الى نقل ولا كتاب فتومي ذلك وصارت تلقى من كتب اهل
اللسان فاجتمع الى ذلك في تفسير القرآن لامة بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم وصار
التفسير على صيغتين تفسير نقلي مسند الى الآثار المنقولة عن السلف وفي معرفة الناح
والمسوخ واسباب النزول ومقاصد الآتي وكل ذلك لا يعرف الا بالنقل عن الصحابة
والتابعين وقد جمع المتقدمون في ذلك وادعوا الا ان كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على
الفن والعلم والمنقول والارث في ذلك ان العرب لم يكونوا اهل كتاب
ولا علم وإنما علست عليهم البدائع والامية واذا تنوقوا الى معرفة بني جمان تنوق اليه العوس
الشريفة في اسباب المكونات وبدء الخليفة واسرار الوجود فانما يسألون عنه اهل الكتاب
قبلهم ويستفيدون منهم وهم اهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من الصاري واهل
التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك الا ما تعرفه العامة
من اهل الكتاب ومعظمهم من حمر الدين اخذوا بدين اليهودية فلما اسلموا نقوا على ما
كان عدم ما لا يتعلق بالاحكام الشرعية التي يحاطون لها مثل اخبار بدء الخليفة
وما يرجع الى الحدتان والملاحم وامثال ذلك وهؤلاء مثل كتب الاحار ووهب من
منه وعد الله من سلام وامثالهم فامتلات التفسير من المنقولات عدم في امثال هذه
الاغراض اخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع الى الاحكام فتقرى في الصحة التي يجب
بها العمل وينسأهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات واصلاها
كما قلنا عن اهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما يقلونه من
ذلك الا انهم بعد صيغتهم وعظمت اقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة
فتلقيت بالقول من يومئذ فلما رجع الناس الى التحقيق والتحريض وجاء ابو محمد من
عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفسير كلها وتحرى ما هو اقرب الى الصحة
منها ووضع ذلك في كتاب متناول بين اهل المغرب والاندلس حسن الخي وتبعة
الفرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب اخر مشهور بالمشرق والصنف
الاخر من التفسير وهو ما يرجع الى اللسان من معرفة اللغة والاعراب والبلاغة في تادبة

المعنى بحسب المقاصد والأساليب وهذا الصنف من التفسير قل ان يفرد عن الاول
اذ الاول هو المقصود بالذات وإنما جاء هذا بعد ان صار اللسان وعلومه صناعة ثم قد
يكون في بعض التفسير غالباً ومن احسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفسير كتاب
الكشاف للزمخشري من اهل خوارزم العراق الا ان مولفه من اهل الاعتزال في العقائد
فيأتي بالحجج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض في آية القرآن من طرق الثلاثة
فصار ذلك للمحققين من اهل السنة انحراف عنة وتخذير للجبهور من مكائده مع اقرارهم
برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة واذا كان الناظر فيه واقفاً على ذلك على المذاهب
السنية محسناً للحجج عنها فلا جرم انه مأمون من غوائله فلتضم مطالعته لغرامة فنونه في
اللسان ولقد وصل اليها في هذه المصنوع تأليف لبعض العراقيين وهو شرف الدين
الطبيعي من اهل نوري من عراق العجم شرح فيه كتابه الزمخشري هذا وتنوع الفاظه
وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بادلة تربها ويبين ان البلاغة انما تنفع في الآية على ما يراه
اهل السنة لا على ما يراه المعتزلة فاحسن في ذلك ما شاء مع امتناعه في سائر فنون البلاغة
وفوق كل ذي علم عليم

الفصل السادس

في علوم الحديث

واما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة لان مهامها ينظر في ما نسخ ومنسوخه وذلك بما
نستفي في شريعتنا من جواز النسخ ووقوعه لقطعاً من الله تعالى ونحوها عنهم باعذار مصالحهم
التي تكفل لهم بها قال تعالى ما تسع من اية او سها ناتٍ بخبرها او مثلها فاذا تعارض
الخبران ما في والاثبات وتعذر الجمع بينهما بعض التاويل وعلم تقدم احدها تعين ان
المتاخر راجع ومعرفة السامح والمنسوخ من اهم علوم الحديث واصعبها قال الزهري أعيا
العقلاء واعجزهم ان يعرفوا ما نسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه وكان
للشافعي رضي الله عنه فيه قدم راسخة ومن علوم الاحاديث الطريفي الاسانيد ومعرفة ما
يجب العمل به من الاحاديث بوقوعه على السد الكامل الشروط لان العمل انما
وجب بما يغلب على الظن صدقه من اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجهد في
الطريق التي تحصل ذلك الظن وهو بمعرفة رواية الحديث بالعدالة والوسط وإنما
يشبه ذلك بالنقل عن اعلام الدين تعديلهم وبرايتهم من الجرح والغفلة ويكون لنا

ذلك دليلاً على القبول أو الترك وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة والتابعين
وتفاوتهم في ذلك وتميزهم فيه واحداً واحداً وكذلك الاسانيد تتفاوت بانصافها وانقطاعها
بان يكون الراوي لم يلق الراوي الذي نقل عنه وبسلامتها من العلل الموهنة لها
وتنتهي بالتفاوت الى طرفين فحكم بقبول الاعلى ورد الاسفل وبمختلف في المتوسط
بحسب المنقول عن ائمة الشافعي ولم في ذلك الفاظ اصطلاحية على وضعها لهذه المراتب
المرتبة مثل الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمعضل والشاذ والغريب وغير
ذلك من القايه المتداولة بينهم ويوجب على كل واحد منها وتقلها ما فيه من الخلاف لائمة
اللسان أو الوفاق ثم النظر في كيفية اخذ الرواية بعضهم عن بعض بقراءة أو كتابة أو
مناولة أو اجازة وتفاوت رتبها وما للعلماء في ذلك من الخلاف بالقبول والرد ثم اتبعوا
ذلك بكلام في الفاظ تقع في تون الحديث من غريب أو مشكل أو نصيف أو مفترق
منها أو مختلف وما يناسب ذلك هذا معظم ما ينظر فيه اهل الحديث وغالبه وكانت
احوال نقلة الحديث في عصور السلف من الصحابة والتابعين معروفة عند اهل بلد
فمنهم بالحجاز ومنهم بالبصرة والكوفة من العراق ومنهم بالشام ومصر بالجميع معروفون
مشهورون في اعصارهم وكانت طريقة اهل الحجاز في اعصارهم في الاسانيد اعلى من
سواهم وامتن في الصحة لاستبديادهم في شروط النقل من العدالة والضبط وخجافهم عن
قبول المجهول الحال في ذلك وسند الطريقة الحجازية بعد السلف الامام مالك عالم
المدينة رضي الله تعالى عنه ثم الصحابة مثل الامام محمد بن ادريس الشافعي والامام احمد
بن حنبل وامثالهم وكان علم الشريعة في مبدا هذا الامر نقلاً صريحاً ثم لما السلف ونحروا
الصحيح حتى اكلوها وكتب مالك رحمه الله كتاب الموطن اودعه اصول الاحكام من
الصحيح المتفق عليه ورتبه على ابواب الفقه ثم عني المحافظ بمعرفة طرق الاحاديث واسانيد
المختلفة وربما يقع اسناد الحديث من طرق متعددة عن رواة مختلفين وقد يقع الحديث
ايضاً في ابواب متعددة باختلاف المعاني التي اشتمل عليها وجاء محمد بن اسماعيل
البخاري امام المحدثين في عصره فخرج احاديث السنة على ابوابها في مسنده الصحيح بالجميع
الطرق التي للحجاز بين والعراقيين والشاميين واعتمدوا منها ما اجمعوا عليه دون ما اختلفوا
فيه وكرر الاحاديث يوصفها في كل باب بمعنى ذلك الباب الذي تضمنه الحديث فتكررت
لذلك احاديثه حتى يقال انه اشتمل على تسعة^(١) الاف حديث ومائتين منها ثلاثة

الاف متكررة وفرق الطرق والاسايد عليها مختلفة في كل باب ثم جاء الامام مسلم بن
 الحجاج القشيري رحمه الله تعالى فألف مسنده الصحيح حدا في حدود الجارية في نقل
 المجمع عليه وحذف المتكرر منها وجمع الطرق والاسايد وتوّه على ابواب الفقه وتراجع
 ومع ذلك فلم يستوعب الصحيح كله وقد استدرك الناس عليها في ذلك ثم كتب ابو داود
 السجستاني وابو عيسى الترمذي وابو عبد الرحمن السائي في السنن باوسع من الصحيح
 وقصدوا ما توفرت فيه شروط العمل اما من الرتبة العالية في الاسايد وهو الصحيح كما
 هو معروف واما من الذي حوته من المحسن وغيره ليكون ذلك اماما للسنة والعمل وهذه
 هي المساييد المشهورة في الملة وهي امهات كتب الحديث في السنة فانها وإن تعددت ترجع
 الى هذه في الغالب ومعرفة هذه الشروط والاصطلاحات كلها في علم الحديث وربما
 يرد عنها السامع والمسخو فيجعل قفا راسا وكذا الغريب والناس فيه تأليف مشهورة ثم
 المؤلف والمختلف وقد ألف الناس في علوم الحديث واكثرها ومن فحول علمائهم واثبتهم
 ابو عبد الله المحاكم وتأليفه فيه مشهورة وهو الذي هذبه واظهر محاسنه واشهر كتاب
 للمناخين فيه كتاب ابي عمرو السالحي كان لهذا وائل المائة السابعة وتلاه يحيى الدين
 السويي يمثل ذلك والنس شريف في مقراء لانه معرفة ما يحفظ به السنن المنقولة عن
 صاحب الشريعة وقد انقطع لهذا العهد تخرج شي من الاحاديث واستندوا كلها على المتقدمين
 اذ العادة تشهد بان هؤلاء الائمة على تعددهم وتلاحق عصورهم وكتابتهم واجتهادهم لم
 يكونوا يعملوا شيئا من السنة او يتركوه حتى يعثر عليهم المتأخر هذا بعيد عنهم وانما تنصرف
 العناية لهذا العهد الى تصحيح الامهات المكتوبة وضبطها بالرؤية عن مفسديها والنظر في
 اسايدها الى مولها وعرض ذلك على ما نقرر في علم الحديث من الشروط والاحكام
 لتصل الاسايد محكمة الى منهاها ولم يزيديا في ذلك على العناية ماكثر من هذه الامهات
 النجيب الا في القليل فاما البخاري وهو اعلاها رتبة فاستصعب الناس شرحه واستغلثوا
 منه من اجل ما يحتاج اليه من معرفة الطرق المتعددة ورجالها من اهل الحجاز والشام
 والعراق ومعرفة احوالهم واختلاف الناس فيهم ولذلك يحتاج الى امعان النظر في اللغة
 في تراجمه لانه يترجم الترجمة ويورد فيها الحديث بسند او طريق ثم يترجم اخرى ويورد
 فيها ذلك الحديث بعبارة اخرى لما تضمنه من المعنى الذي ترجم به الباب وكذلك في ترجمة
 وترجمة الى ان يتكرر الحديث في ابواب كثيرة بحسب معانيه واختلافها ومن شرحه ولم
 يستوف هذا فيه فلم يوف حتى الشرح كان نطال من الملهب وان الثين ونحوهم ولقد

سمعت كثيراً من شيوخنا رحمهم الله يقولون شرح كتاب البخاري دين على الأمة يعنون
 ان احداً من علماء الأمة لم يوف ما يجب له من الصرح بهذا الاعتبار . واما صحيح مسلم
 فكثرت عناية علماء المغرب بواكبوا عليه واجعلوا على تفصيله على كتاب البخاري من
 غير الصحيح ما لم يكن على شرطه واكثر ما وقع له في التراجم واملئ الامام المارزي من فتاها
 المالكية عليه شرحاً وسماه المعلم بفتاها مسلم اشتمل على عيون من علم الحديث وفتون من
 الفقه ثم اكمله القاضي عياض من بعده وثمة وسماه اكمال المعلم وتلاها يحيى الدين السوي
 بشرح استوفى ما في الكتابين وزاد عليها فحجاء شرحاً وافياً . واما كتب السنن الاخرى
 وفيها معظم ماخذ الفقه فاكثرت شرحها في كتب الفقه الا ما يختص بعلم الحديث فكتب
 الناس عليها واستوفوا من ذلك ما يحتاج اليه من علم الحديث وموضوعاتها والاسانيد التي
 اشتملت على الاحاديث المجهول بها من السنة . واعلم ان الاحاديث قد تميزت مراتبها
 لهذا العهد بين صحيح وحسن وضعف ومعلول وغيرها تنزلها ائمة الحديث وجهابذته
 وعرفوها ولم يبق طريق في تصحيح ما يصح من قبل ولقد كان الائمة في الحديث يعرفون
 الاحاديث بطرقها واسانيدها بحيث لو روي حديث بغير سنده وطريقه بفسطون الى انه
 قد قلب عن وضعه ولقد وقع مثل ذلك للامام محمد بن اسماعيل البخاري حين ورد
 على بغداد وقصد المحدثين امتحانه فسألوه عن احاديث قلوا اسانيدنا فقال لا اعرف
 هذه ولكن حدثني فلان ثم اتى بجميع تلك الاحاديث على الوضع الصحيح ورد كل من
 الى سنده واقرؤا له بالائمة . واعلم ايضاً ان الائمة المجتهدين تناوبوا في الاكتفاء من هذه
 الصاعقة والافلال فانوحية رضي الله تعالى عنه يقال بلغت رواية الى سبعة عشر
 حديثاً او نحوها وما لك رحمه الله انما صح عنه ما في كتاب الموطأ^(١) وغابها ثلثائة حديث
 او نحوها . واحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده خمسون الف حديث وكل ما اداء
 اليه اجتهاده في ذلك وقد تقول بعض المفسرين المتعممين الى ان منهم من كان قليل
 الصاعقة في الحديث فلها قلت رواية ولا سبيل الى هذا المعتقد في كبار الائمة لان
 الشريعة انما تؤخذ من الكتاب والسنة ومن كان قليل الصاعقة من الحديث فيتعين عليه
 طلبة ورواية والجد والتشهير في ذلك لياخذ الدين عن اصول صحيحة وينقل الاحكام
 عن صاحبها المبلغ لها وبما قلل منهم من قلل الرواية لاجل المطاعن التي تعترض فيها
 الذي في شرح الرقابي على الموطأ حكايته احوال حسنة في عدة احاديثه او ما^(٢) ثانياً ٧٠٠ ثانياً البصيرف
 رابعاً ١٧٢ احاسها ٦٦٦ وليس فيه قول بما في هذه السجدة قاله نصر الموريني

والعلل التي تعرض في طرقها سببا والمخرج مقدم عند الأكثر فيوديه الاجتهاد الى ترك
الاخذ بما تعرض مثل ذلك فهو من الاحاديث وطرق الاسانيد ويكثر ذلك فقل
رواية لضعف في الطرق هذا مع ان اهل الحجاز أكثر رواية الحديث من اهل العراق
لان المدينة دار الهجرة ومأوى الصحابة ومن انتقل منهم الى العراق كان شغلا بالجهاد
أكبر والامام ابو حنيفة انما قلت رواية لما شدد في شروط الرواية والتحمل وضعف رواية
الحديث البقيني اذا عارضها الفعل النسي وقلت من اجلها رواية قتل حديثه لانه ترك رواية
الحديث متعمدا فحاشاه من ذلك ويدل على انه من كبار المجتهدين في علم الحديث اعتقاد
مذهبه بينهم والتحويل عليه واعتباره ردًا وقبولًا ولما غيره من المحدثين وهم الجمهور
فتوسعوا في الشروط وكثر حديثهم والكل عن اجتهاد وقد توسع اصحابه من بعده في
الشروط وكثرت روايتهم وروى الطحاوي فاكثر وكتب مسنده وهو جليل القدر
الا انه لا يستدل الصحيحين لان الشروط التي اعتمدها البخاري ومسلم في كتابيها جميع
عليها بين الامة كما قالوا وشروط الطحاوي غير متفق عليها كالرواية عن المستور الحال
وغيره فلها قدم الصحيحان بل وكتب السنن المعروفة عليه لتأخر شرطه عن شروطهم
ومن اجل هذا قيل في الصحيحين بالاجماع على قبولها من جهة الاجماع على صحة ما فيها
من الشروط المتفق عليها فلا تأخذك ريبه في ذلك فالقوم احق الناس بالظن الجميل
بهم والقياس الخارج الصحيح لم والله سبحانه ونعالي اعلم بما في حقائق الامور

الفصل السابع

في علم الفقه وما يتبعه من الفرائض

الفقه معرفة احكام الله تعالى في افعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة
والاباحة وهي متلفاه من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفة من الادلة فاذا استخرجت
الاحكام من تلك الادلة قيل لما فقه وكان السلف يستخرجونها من تلك الادلة على
اختلاف فيها بينهم ولا بد من وقوعه ضرورة ان الادلة غالبها من النصوص وهي بالغة
العرب وفي اقتضائات الفاظها لكثير من معانيها اختلاف بينهم معروف وايضا فالسنة
مختلطة الطرق في الثبوت وتعارض في الاكثر احكامها فتحتاج الى الترجيح وهو مختلف
ايضا فالادلة من غير النصوص مختلف فيها وايضا فالوقائع المتجددة لا توفي بها النصوص
وما كان منها غير ظاهر في المنصوص فيحصل على المنصوص لمشابهة بينها وهذا كلها

اشارات للخلاف ضرورة الوقوع ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والائمة من بعدهم
 ثم ان الصحابة كلهم لم يكونوا اهل فتيا ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم وإنما كان ذلك
 مختصاً بالمحاملين للقرآن العارفين شائخه ومسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلائله بما تلقوه
 من النبي صلى الله عليه وسلم او ممن سمعوا منهم من عليتهم وكانوا يسمون لذلك القراء اهل
 الدين يقرءون الكتاب لان العرب كانوا امة امية فاخص من كان منهم قارئاً للكتاب
 بهذا الاسم لغرائبه يومئذ وبقي الامر كذلك صدر الملة ثم عطلت امصار الاسلام وذهبت
 الامية من العرب بممارسة الكتاب وتمكن الاستنساخ وكل الفقه واصبح صناعة وعلماً
 فبدلوا باسم الفقهاء والعلماء من القراء واقسم الفقه فيهم الى طريقتين طريقة اهل الرأي
 والقياس وم اهل العراق وطريقة اهل الحديث وم اهل الحجاز وكان الحديث قليلاً في
 اهل العراق لما قدماء فاستكثر من القياس وصحروا فيه فلذلك قيل اهل الرأي
 ومقدم جماعتهم الذي استقر المذهب فيه وفي اصحابه ابو حنيفة وامام اهل الحجاز مالك
 ابن انس والشافعي من بعده ثم انكر القياس طائفة من العلماء واطلوا العمل يوم
 الظاهرية وجعلوا المدارك كلها محصورة في النصوص والاجماع وردوا القياس المجلي والعلّة
 المنصوصة الى النص لان النص على العلة نص على الحكم في جميع محالها وكان امام هذا المذهب
 داود بن علي واسم اصحابها وكانت هذه المذاهب الثلاثة في مذاهب الجمهور المشتهرة
 بين الامة وشهد اهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه اشدوا به وسوء على مذهبهم في
 سائر بعض الصحابة بالقدح وعلى قولهم بعض الائمة ورفع الخلاف عن اقوالهم وفي كلها
 اصول واهية وتذبذب ذلك الخوارج ولم يحتل الجمهور بمذاهبهم بل اوسعوا جانب
 الانكار والقدح فلا يعرف شيئاً من مذاهبهم ولا يروى كتبهم ولا اثار شي من منها الا في
 مواطنهم فكتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت دولتهم قائمة في المغرب والمشرق واليمن
 والخوارج كذلك وكل منهم كتب وتأليف وازاء في الفقه غريبة ثم درس مذهب اهل
 الظاهر اليوم بدروس اثبتوا انكار الجمهور على منغلو ولم يبق الا في الكتب الجلدة وربما
 يعكف كثير من الطالبين ممن تكلف بالتحال مذهبهم على تلك الكتب يروم اخذ
 ففهم منها ومذهبهم فلا يجلو بظائل ويصير الى مخالفة الجمهور وانكارهم عليه وربما عد
 بهذه الخلة من اهل البدع ينقلو العلم من الكتب من غير مفتاح المعلمين وقد فعل ذلك
 ابن حزم بالاندلس على علورنته في حفظ الحديث وصار الى مذهب اهل الظاهر وصهر
 فيه باجتهاد زعمو في اقوالهم وخالف امامهم داود وتعرض للكثير من الائمة المسلمين فنقم

الناس ذلك عليه واسمعوا مذهباً استهجاناً وإنكاراً وتلقوا كتبه بالأغفال والتفريط حتى
انما ليحصر بها بالاسواق وربما تفرق في بعض الاحيان ولم يبق الا مذهب اهل
الراي من العراق واهل الحديث من الحجاز. فاما اهل العراق فامامهم الذي استقرت
عنده مذهبهم ابو حنيفة النعمان بن ثابت ومقامه في اللغة لا يلحق شهادة ذلك اهل
جلدته وخصوصاً مالك والشافعي. واما اهل الحجاز فكان امامهم مالك بن انس الاصمعي
امام دار الهجرة رحمه الله تعالى واخص بزيادة مدرك اخر للاحكام غير المدارك المعتمدة
عند غيره وهو عمل اهل المدينة لانه روى انهم فيما ينعمون عليه من فعل او ترك متابعون
لمن قلمهم ضرورة لدينهم واقتنائهم وهكذا الى الجبل المباشر لفعل النبي صلى الله عليه
وسلم الاخذين ذلك عنه وصار ذلك عنده من اصول الادلة الشرعية وظن كثير ان
ذلك من مسائل الاجماع فانكره لان دليل الاجماع لا يخص اهل المدينة من سوام بل
هو شامل للامة. واعلم ان الاجماع انما هو الاتفاق على الامر الديني عن اجتهاد ومالك
رحمة الله تعالى لم يعتبر عمل اهل المدينة من هذا المعنى وإنما اعتمد من حيث اتناع
الجماع بالمشاهدة للجيل الى ان ينهي الى الشارع صلوات الله وسلامه عليه وضرورة
اقتنائهم بعين ذلك يوم الملة ذكرت في باب الاجماع والابواب بها من حيث ما فيها من
الاتفاق الجامع بينها وبين الاجماع الا ان اتفاق اهل الاجماع عن نظر واجتهاد في الادلة
واتفاق هؤلاء في فعل او ترك مستندين الى مشاهدة من قلمهم ولو ذكرت المسئلة في باب
فعل النبي صلى الله عليه وسلم ونقيره اومع الادلة المختلف فيها مثل مذهب الصحابي
وشرع من قبلنا والاستصحاب لكان اليتي ثم كان من بعد مالك بن انس محمد بن ادريس
المطلي النافعي رحمهما الله تعالى رحل الى العراق من بعد مالك ولقي اصحاب الامام ابي
حنيفة واخذ عنهم ومزج طريقة اهل النحار بطريقة اهل العراق واخص بمذهب وخالف
مالك رحمه الله تعالى في كثير من مذهبهم وجاه من بعدهما احمد بن حنبل رحمه الله وكان
من علية المحدثين وقرا اصحابه على اصحاب الامام ابي حنيفة مع وفور بصاعتهم من الحديث
فاخصوا بمذهب اخر ووقف التقليد في الامصار عند هؤلاء الاربعة ودرس المقلدون
لمن سوام وسد الناس باب الخلاف وطرقه لما كثرت تنصب الاصطلاحات في العلوم ولما
عاق عن الوصول الى رنة الاجتهاد ولما خشي من اسناد ذلك الى غير اهله ومن لا يوثق
برايه ولا مدينه فصرحوا بالعجز والاعوار ووردوا الناس الى تقليد هؤلاء كل من اخص
يو من المقلدين وحظروا ان يتناول تقليدهم لما فيه من التلاعب ولم يبق الا نقل مذاهبهم

وعمل كل مقلد بمذهب من قلده منهم بعد تصحيح الاصول واتصال سندها بالرواية
 لا يحصل اليوم للغة غير هذا ومدعي الاجتهاد لهذا العهد مردود على عقبه معجور تقليده
 وقد صار اهل الاسلام اليوم على تقليد هؤلاء الائمة الاربعة فاما احمد بن حنبل فقلده
 قليل لعد مذهب عن الاجتهاد واصالتو في معاضدة الرواية وللأخيار بعضها ببعض
 واكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونباحيها وهم اكثر الناس حفظاً للسهة ورواية الحديث
 واما ابو حنيفة فقلده اليوم اهل العراق ومسلمة الهند والصين وما وراء النهر وبلاد الهند
 كلها لما كان مذهب اخص بالعراق ودار السلام وكانت تليذه صحابة الخلفاء من بني
 العباس فكثرت تاليفهم وماظراتهم مع الشافعية وحسنت مباحثهم في الخلافات وجاءوا
 منها علم مستطرف وانظار غريبة وهي بين ايدي الناس وبالمغرب منها شيء قليل نقله
 اليه القاضي ابن العربي وابو الوليد الساجي في رحلتها واما الشافعي فقلده بمصر اكثر مما
 سواها وقد كان انتشر مذهبه بالعراق وخراسان وما وراء النهر وقاسموا الحنيفة في
 الفتوى والتدريس في جميع الامصار وعطفت مجالس المناظرات بينهم وشجعت كتب
 الخلافات بانواع استدلالهم ثم درس ذلك كله بدروس المهرق واقطاره وكان الامام
 محمد بن ادريس الشافعي لما نزل على بني عبد الحكم بمصر اخذ عه جماعة من بني عبد
 الحكم واشهب وان القاسم واس الموار وغيرهم ثم الحارس بن مسكين وسه ثم اقرض فقه
 اهل السه من مصر بظهور دولة الرافضة وتداول بها فقه اهل البيت وثلاثي من سواهم
 الى ان ذهبت دولة الصيديين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف بن ايوب ورجع
 اليهم فقه الشافعي واصحابه من اهل العراق والشام فعاد الى احسن ما كان ويق سوقه
 واشتهر منهم محيي الدين السوي من الحلة التي ربيت في ظل الدولة الايوبية بالشام
 وعز الدين بن عبد السلام ايضاً ثم ابن الرقعة بمصر ونقي الدين بن دقيق العيد ثم نقي الدين
 السبكي بعدها الى ان انتهى ذلك الى شيخ الاسلام بمصر لهذا العهد هو سراج الدين السبكي
 فهو اليوم اكثر الشافعية بمصر كبير العلماء بل اكبر العلماء من اهل العصر واما مالك
 رحمه الله تعالى فاخص بمذهب اهل المغرب والانديلس وان كان يوجد في غيرهم الا انهم
 لم يقلدوا غيره الا في القليل لما ان رحلتهم كانت غالباً الى المحازر وهو متبني سفرهم والمدينة
 يومئذ دار العلم ومنها خرج الى العراق ولم يكن العراق في طريقهم فاقصروا عن الاخذ
 عن علماء المدينة وشيخهم يومئذ واما مالك وشيوخه من قبله وتليذه من بعده فرجع
 اليه اهل المغرب والانديلس وقلدوا دون غيره ممن لم تصل اليهم طريقته وايضاً

فالبداء كانت غالباً على اهل المغرب والاندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي
 لاهل العراق فكانوا الى اهل الحجاز اميل لماسبة البداء ولما لم يزل المذهب المالكي
 غصاً عندهم ولم يأخذوا تنفع الحضارة ونهذيتها كما وقع في غيره من المذاهب ولما صار
 مذهب كل امام عالماً مخصوصاً عند اهل مذهبه ولم يكن لهم سبيل الى الاحتجاج والقياس
 فاحتاجوا الى تنظير المسائل في الاحكام وتعرفها عند الاشتباه بعد الاستناد الى الاصول
 المقررة من مذاهب امامهم وصار ذلك كله يحتاج الى ملكة راسخة يقتدر بها على ذلك
 النوع من التطوير او التفرقة واتباع مذهب امامهم فيها ما استطاعوا وهذه الملكة هي علم
 الفقه لهذا العهد واهل المغرب جميعاً يفتقدون لملك رحمة الله وقد كان تلميذه ائقروفا
 بمصر والعراق فكان بالعراق منهم القاضي اسماعيل وطفتة مثل ابن خويرمداد وابن
 اللبان والقاضي ابو بكر الابري والقاضي ابو حبيب بن القصار والقاضي عبد الوهاب
 ومن بعدهم وكان بمصر ابن القاسم واشهب وابن عبد الحكم والحارث بن مسكين وطفتهم
 ورحل من الاندلس عبد الملك بن حبيب فاخذ عن ابن القاسم وطفتهم وبث مذهب
 مالك في الاندلس ودون فيه كتاب الواضحة ثم دون العتيبي من تلامذته كتاب العتيبة
 ورحل من افريقية اسد بن الفرات فكتب عن اصحاب ابي حنيفة اولاً ثم انتقل الى
 مذهب مالك وكتب على ابن القاسم في سائر ابواب الفقه وجاء الى القيروان بكتابه
 وسي الاسدية نسبة الى اسد بن الفرات فقرأ بها سمعون على اسد ثم ارتحل الى المشرق
 ولقي ابن القاسم واخذ عنه وعارضة بمسائل الاسدية فرجع عن كثير منها وكتب سمعون
 مسائلها ودونها واثبت ما رجع عنه وكتب لاسد ان ياخذ بكتاب سمعون فاف من ذلك
 فترك الناس كتابه واتبعوا مدونة سمعون على ما كان فيها من اختلاط المسائل في الابواب
 فكانت تسمى المدونة والمختلطة وعكف اهل القيروان على هذه المدونة واهل الاندلس
 على الواضحة والعتيبة ثم اختصر ابن ابي ريد المدونة والمختلطة في كتابه المسمى بالمختصر
 ومختص ايضاً ابو سعيد الرادعي من فقهاء القيروان في كتابه المسمى بالنهذيب واعتمده
 المشيخة من اهل افريقية واخذوا به وتركوا ما سواه وكذلك اعتمد اهل الاندلس كتاب
 العتيبة ومجروا الواضحة وما سواها ولم تزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الامهات
 بالشرح والايضاح والجمع فكتب اهل افريقية على المدونة ما شاء الله ان يكتبوا مثل
 ابن يونس والحفي وابن محرر التونسي وابن بشير وامثالهم وكتب اهل الاندلس على العتيبة
 ما شاء الله ان يكتبوا مثل ابن رشد وامثاله وجمع ابن ابي زيد جميع ما في الامهات من

المسائل والخلاف والاقوال في كتاب النواذر فاشتمل على جميع اقوال المذاهب وفرع الامهات كلها في هذا الكتاب ونقل اس يوس معظمه في كتابه على المدونة وزخرت بحار المذهب المالكي في الاقيس الى اقراض دولة قرطبة والقيروان ثم تمسك بها اهل المغرب بعد ذلك الى ان جاء كتاب ابى عمرو بن الحاحب لحص فيه طرق اهل المذهب في كل باب وتعدد اقوالهم في كل مسألة فجاء كالبرنامج للذهب وكانت الطريقة المالكية بقيت في مصر من لدن الحارث بن مسكين وابن المبرور وابن الليث وابن الرتيقي وابن شاس وكانت بالاسكندرية في بني عوف وبني سند واس عطاء الله ولم ادر عن اخذها ابو عمرو بن الحاحب لكنه جاء بعد اقراض دولة العبيديين وذهب فقه اهل البيت وظهر فقهاء السنة من الشافعية والمالكية ولما جاء كتابه الى المغرب اخر المائة السابعة عكف عليه الكثير من طلبة المغرب وخصوصاً اهل بجاية لما كان كبير شيخهم ابو علي ناصر الدين الراوي هو الذي جله الى المغرب فانه كان قرأ على اصحابه بمصر وسخ مختصره ذلك فحاه به وانتشر بقطر بجاية في تلميذه ومنهم من نقل الى سائر الامصار المغربية وطلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد يتناولون قراءته ويتدارسونها لما يؤثر عن الشيخ ناصر الدين من الترغيب فيه وقد شرحه جماعة من شيوخهم كان عبد السلام وابن رشد واس هارون وكلهم من مشيخة اهل تونس وسابق حلنهم في الاجادة في ذلك اس عبد السلام وم مع ذلك يتعاهدون كتاب التهذيب في دروسهم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الفصل الثامن

في علم الفرائض

وهو معرفة فروص الورثة وتصحيح سهام العريضة ما تصح باعذار فروصها الاصول او ما يحتملها وذلك اذا هلك احد الورثة وانكسرت سهامه على فروص ورتبه فانه حينئذ يحتاج الى حسب تصحيح العريضة الاولى حتى يصل اهل الروض جميعاً في العريضتين الى فروصهم من غير تحمزة وقد تكون هذه المناحجات اكثر من واحد واثنين وتعدد لذلك بعدد اكثر وقد تعدد فتحتاج الى الحسبان وكذلك اذا كانت عريضة ذات وجهين مثل ان يفر بعض الورثة بوارث وينكره الاخر فتصحح على الوجهين حينئذ ويظهر مبلغ السهام ثم تقسم التركة على نسب سهام الورثة من اصل العريضة وكل ذلك يحتاج الى الحسبان وكان غالباً فيه وجعلوا فيها مفرداً وللناس فيه تاليف كثيرة اشهرها عند

الملكية من متأخري الأندلس كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي أبي القاسم الخوافي ثم
 الجعدي ومن متأخري إفريقية ابن النمر الطرابلسي وإمامه وأما الشافعية والحنفية
 والمحابلة فلم فيه تأليف كثيرة وأعمال عظيمة صعبة شاهدة لهم بالناسخ النافع في الفقه
 والحساب وخصوصاً أما المعالي رضي الله تعالى عنه وإمالة من أهل المذاهب وهو من
 شريف الجميع بين المعقول والمنقول والوصول به إلى المحقق في الوراثات بوجوه صحيحة
 يقينية عند ما تجهل المحظوظ وتشكل على القاسمين والعلماء من أهل الأمصار بها عناية
 ومن المصنفين من يحتاج فيها إلى الغلو في الحساب وفرض المسائل التي تحتاج إلى استخراج
 الجهولات من فروع الحساب كالحبر والمقالة والتصرف في الجذور وإمالة ذلك فيملاً
 بها تأليفهم وهو وإن لم يكن متداولاً بين الناس ولا يبعد فيما يتداولونه من وراثتهم لغرائز
 وقلة وقوعه فهو بعيد المران ونحصيل الملكة في المتداول على أكمال الوجوه وقد يجفخ
 الأكثر من أهل هذا الفن على فصله بالحدث المنقول عن أبي هريرة رضي الله عنه أن
 الدرائص ثلث العلم وإنما أول ما ينسى وفي رواية نصف العلم خرج به أبو يعقوب المحافظ
 وأصح ما أهل الدرائص ساء على أن المراد بالدرائص فروع الوراثة والذي يظهر أن
 هذا أهل بعيد وإن المراد بالدرائص إنما هي الدرائص الفكرية في الصادات والعادات
 والمعاريت وغيرها وبهذا المعنى يصح فيها النصبة والتولية وإما فروع الوراثة فهي أقل
 من ذلك كله بالنسبة إلى علم الشريعة كلها ويعين هذا المراد أن حمل لفظ الدرائص
 على هذا الفن المخصوص أو تخصيصه بفروع الوراثة إنما هو اصطلاح يأتي للفتناء عند
 حدوث السنن والاصطلاحات ولم يكن صدر الإسلام يطلق على هذا إلا على عموم
 مشتقاً من المرض الذي هو لغة التقدير أو القطع وما كان المراد به في إطلاقه إلا جميع
 الفروض كما قلناه وهي حقيقة الترقية فلا ينبغي أن يحمل إلا على ما كان يحمل في عصره
 فهو البقي برادهم لله سبحانه وتعالى اعلم به والتوفيق

الفصل التاسع

في أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات

اعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وإجلها قدرًا وأكثرها فائدة وهو
 النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف وأصول الأدلة الشرعية
 هي الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة النبوية له فعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانت

الاحكام تلتقي منه بما يوحي اليه من القرآن وبينه بقوله وقيلو بخطاب شعامي لا يحتاج الى
 نقل ولا الى نظر وقياس ومن بعده صلوات الله وسلامه عليه تعدر الخطاب الشعامي
 ونحفظ القرآن بالتواتر واما السنة فاجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على وجوب
 العمل بما يصل اليها منها قولاً او فعلاً بالنقل الصحيح الذي يغلب على الظن صدقة
 وتعمت دلالة الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ثم ينزل الاجماع منزلتها لاجماع
 الصحابة على التكبر على مخالفتهم ولا يكون ذلك الا على مستند لا من مثلهم لا يتفقون من
 غير دليل ثابت مع شهادة الادلة بعصمة الجماعة فصار الاجماع دليلاً ثابتاً في الشرعيات
 ثم نظرياً في طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة فانما هم يقيسون الاشياء
 بالاشياء معها وينظرون الامثال بالامثال باجماع منهم وتسليم بعضهم لبعض في ذلك
 فان كثيراً من الواقعات بعده صلوات الله وسلامه عليه لم تدرج في النصوص الثابتة
 ففاسوها بما ثبت والمحفوظ بما نص عليه بشروط في ذلك الاتحاق تصح تلك المساواة بين
 الشبهين او المثلين حتى يغلب على الظن ان حكم الله تعالى فيها واحصا ذلك دليلاً
 شرعياً باجماعهم عليه وهو القياس وهو رابع الادلة واتفق جمهور العلماء على ان هذه هي
 اصول الادلة وان خالف بعضهم في الاجماع والقياس الا انه شذوذ والحق بعضهم بهذه
 الاربعة ادلة اخرى لا حاجة ما الى ذكرها لضعف مداركها وشذوذ القول فيها فكان
 اول مباحث هذا الفن النظر في كون هذه ادلة فاما الكتاب فدليلة المجردة القاطعة في
 متنه والتواتر في نقله فلم يبق فيه مجال للاحتال واما السنة وما نقل اليها فالاجماع
 على وجوب العمل بما يصح منها كما قلناه معتصداً بما كان عليه العمل في حياته صلوات الله
 وسلامه عليه من اناذ الكتب والرسائل الى النواحي بالاحكام والشرائع آمراً وناهياً واما
 الاجماع فلا تنافهم رضوان الله تعالى عليهم على انكار مخالفتهم مع العصمة الثابتة للامة واما
 القياس فباجماع الصحابة رضي الله عنهم عليه كما قدمناه هذه اصول الادلة ثم ان المنقول
 من السنة يحتاج الى تصحيح المحرر بالظن في طرق النقل وعدالة الناقلين لتتميز الحالة
 المحصلة للظن بصدق الذي هو مناط وجوب العمل وهذه ايضا من قواعد الفن ويلحق
 بذلك عند المعارض بين المخبرين وطلب المتقدم منها معرفة الناسخ والمنسوخ وفي من
 فصوله ايضا وابوابه ثم بعد ذلك يتبع النظر في دلالة الالفاظ وذلك ان استفادة المعاني
 على الاطلاق من تراكيب الكلام على الاطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية
 معرودة ومركبة والقوانين اللسانية في ذلك هي علوم النحو والتصريف والبيان وحين كان

الكلام ملكة لاهولم تكن هذه علومًا ولا قوانين ولم يكن الفقه حينئذٍ يحتاج اليها لانها
 جيلة وملكة فلما فسدت الملكة في لسان العرب فيها المجاهدة المجردون لذلك بنقل
 صحيح ومقاييس مستسطة صحيحة وصارت علومًا يحتاج اليها الفقيه في معرفة احكام الله تعالى
 ثم ان هناك استعادات اخرى خاصة من تراكيب الكلام وهي استعادة الاحكام الشرعية
 بين المعاني من ادلتها الخاصة من تراكيب الكلام وهو الفقه ولا يكفي فيه معرفة الدلالات
 الوضعية على الاطلاق بل لابد من معرفة امور اخرى تتوقف عليها تلك الدلالات
 الخاصة وبها تستعاد الاحكام بحسب ما اصل اهل الشرع وجهادة العلم من ذلك وجعلوه
 قوانين لهذه الاستعادة مثل ان اللغة لا تثبت قياسًا والمشتراك لا يراد به معناه معًا والواو
 لا تقتضي الترتيب والعام اذا اخرجت افراد الخاص منه هل يبقى حجة فيها عداها والامر
 للوجوب او الندب وللور او التراخي والسبي يقتضي المساواة او الصحة والمطلق هل يحمل
 على المتبدل والنص على العلة كاف في التعدد ام لا وامثال هذه فكانت كلها من قواعد
 هذا الفن ولكونها من مباحث الثلاثة كانت لغوية ثم ان النظر في القياس من اعظم
 قواعد هذا الفن لان فيه تحقيق الاصل والبرع فيما يقاس وبماثل من الاحكام وينفع
 الوصف الذي يغلب على الظن ان الحكم علق به في الاصل من نبي اوصاف ذلك
 اهل او وجود ذلك الوصف والبرع من معارض يمنع من ترتيب الحكم عليه في مسائل
 اخرى من توابع ذلك كلها قواعد لهذا الفن (واعلم) ان هذا الفن من العلوم المستحدثة
 في الملة وكان السلف في غيبة عما ان استعادة المعاني من الاماظ لا يحتاج فيها الى ازيد
 مما عدم من الملكة اللسانية واما القوانين التي يحتاج اليها في استعادة الاحكام خصوصًا
 فمنهم اخذ بعضها واما الاسانيد فلم يكونوا يحتاجون الى النظر فيها لقرب العصر وممارسة
 الفقه وخبرتهم بها فلما افترض السلف وذهب الصدر الاول وانقست العلوم كلها صاعه
 كما قررناه من قبل احتاج الفقهاء والمجتهدون الى تحصيل هذه القوانين والقواعد
 لاستعادة الاحكام من الادلة فكتبوها قائمًا راسو سموه اصول الفقه وكان اول من
 كتب فيه الشافعي رضي الله تعالى عنه املي في رسالة المشهورة تكلم فيها في الامر والواهي
 واليمان والمحرم والنصح وحكم العلة المنصوصة من القياس ثم كتب فيها الحمصية فيو وحققوا
 تلك القواعد واوسعوا القول فيها وكتب المتكلمون ايضا كذلك الا ان كتابة الفقهاء
 فيها اسس باعقته واليق بالمرور لكثرة الامثلة منها والشواهد وبناء المسائل فيها على
 النكت الفقهية والمتكلمون بمجرد صور تلك المسائل على الفقه ويميلون الى الاستدلال

العقلي ما أمكن لانه غالب فنونهم ومقتضى طريقهم فكان لفقهاء الحنفية فيها اليد الطولى من الغوص على النكت الفقهية والتقاط هذه القوانين من مسائل الفقه ما أمكن وجاء ابو زيد الدبوسي من ائمتهم فكتب في القياس باوسع من جميعهم ونم الابحاث والشروط التي يحتاج اليها فيه وكتبت صناعة اصول الفقه بكما لو وتهذبت مسائله وتهذبت قواعده وعنى الناس بطريقة المتكلمين فيه وكان من احسن ما كتب فيه المتكلمون كتاب البزهان لامام الحرمين والمستنصرى للغزالي وهما من الاشعرية وكتاب العهد لعبد الجبار وشرحه المعتمد لابي الحسين البصري وهما من المعتزلة وكانت الاربعة قواعد هذا الفن واركانه ثم لخص هذه الكتب الاربعة فحلل من المتكلمين المتأخرين وهما الامام فخر الدين بن الخطيب في كتاب المحصول وسيف الدين الامدي في كتاب الاحكام واختلفت طرائقها في الفن بين التفنيق والحجاج فان الخطيب اميل الى الاستكثار من الادلة والاحتجاج والامدي مولع بتعقيق المذاهب وتفريع المسائل واما كتاب المحصول فاختصره تلميذ الامام سراج الدين الارموي في كتاب التحصيل ونجح الدين الارموي في كتاب الحاصل واقتطف شهاب الدين القرافي منها مقدمات وقواعد في كتاب صغير سماه التنقيحات وكذلك فعل البيضاوي في كتاب المنهاج وعنى المبتدئون بهذه الكتب وشرحها كثير من الناس . واما كتاب الاحكام للامدي وهو اكثر تعقيداً في المسائل فلخصه ابن عمرو بن الحاجب في كتابه المعروف بالختصر الكبير ثم اختصره في كتاب اخر تدولة طلبة العلم وعنى اهل المشرق والمغرب به وعطاعوه وشرحه وحصلت زبدة طريقة المتكلمين في هذا الفن في هذه المختصرات . واما طريقة الحنفية فكتبوا فيها كثيراً وكان من احسن كتاباتها فيها للمتقدمين تاليف ابي زيد الدبوسي واحسن كتابها المتأخرين فيها تاليف سيف الاسلام البزدوي من ائمتهم وهو مستوعب وجاء ابن الساعاتي من فقهاء الحنفية فجمع بين كتاب الاحكام وكتاب البزدوي في الطريقتين وسمي كتابه بالبدائع فحاج من احسن الاوضاع وابدعها وائمة العلماء لهذا العهد يتداولونه قراءة وبحناً وولع كثير من علماء العجم بشرحه والحال على ذلك لهذا العهد هذه حقيقة هذا الفن وتعيين موضوعاته وتعدد التاليف المشهورة لهذا العهد فيو والله يتفعا بالعلم ويجعلنا من اهله بمنوكر مواده على كل شيء قدس . (واما الخلافات) . فاعلم ان هذا الفقه المستنبط من الادلة الشرعية كثر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وانظارهم خلافاً لا بد من وقوعه لما قدمناه واتسع ذلك في الملة اسعاً عظيماً وكان للقلدين ان يقلدوا من

شاءوا منهم ثم لما انتهى ذلك الى الائمة الاربعة من علماء الامصار وكانوا بمكان من حسن
 الظن بهم اقتصر الناس على تقليدهم ومنعوا من تقليد سواهم للذهاب الاجتهاد لصعوبته
 ونسب العلم التي هي مؤاده باتصال الرمان واقتقاد من يقوم على سوى هذه المذاهب
 الاربعة فاقبعت هذه المذاهب الاربعة اصول الملة واجري الخلاف بين المتمسكين بها
 والاخذين باحكامها محجى الخلاف في النصوص الشرعية والاصول الفقهية وحررت بهم
 المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب امامه تجري على اصول صحيحة وطرائق قوية بمخرجها
 كل على مذهبه الذي قلده وتمسك به واجريت في مسائل الشريعة كلها وفي كل باب
 من ابواب الفقه فتارة يكون الخلاف بين الشافعي ومالك وابو حنيفة يوافق احدهما وتارة
 بين مالك وابي حنيفة والشافعي يوافق احدهما وتارة بين الشافعي وابي حنيفة ومالك
 يوافق احدهما وكان في هذه المناظرات بيان ماخذ هؤلاء الائمة ومفادات اختلافهم
 ومواقع اجتهدهم كان هذا الصف من العلم يسمى بالخلافيات ولابد لصاحب من معرفة
 القواعد التي يوصل بها الى استنباط الاحكام كما يحتاج اليها المجتهد الا ان المجتهد يحتاج اليها
 للاستنباط وصاحب الخلافات يحتاج اليها لمحض تلك المسائل المستسطة من ان يهدمها
 المخالف بادلتها وهو لمعري علم جليل العائدة في معرفه ماخذ الائمة وادلتهم ومران المطالعين
 له على الاستدلال فيما يرومون الاستدلال عليه وتاليف الحنيفة والشافعية فيه اكثر من
 تاليف المالكية لان القياس عند الحنيفة اصل للكثير من فروع مذهبهم كما عرفت فهم
 لذلك اهل النظر والبحت. واما المالكية فالاثرا اكثر معتمد وليسوا باهل نظر وايضا
 فاكثروا اهل العرب وهم مادية غفل من الصنائع الا في الاقل وللغرافي رحمة الله تعالى فيه
 كتاب الماخوذولاي زيد الدوسي كتاب التعليقة ولان الفصار من شيوخ المالكية عيون
 الادلة وقد جمع اس الساعاتي في مختصره في اصول الفقه جميع ما ينشئ عليها من الفقه الخلافية
 مدرجا في كل مسألة ما ينشئ عليها من الخلافات. (واما الجندل). وهو معرفة اداب
 المناظرة التي تجري بين اهل المذاهب الفقهية وغيرهم فانه لما كان باب المناظرة في الرد
 والقبول متسعا وكل واحد من المناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنائه في
 الاحتجاج ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ فاحتاج الائمة الى ان يضعوا ادابا
 واحكاما ينفذ المتناظران عند حدودها في الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل
 والمجيب وحيث يسوغ له ان يكون مستدلا وكيف يكون محصوفا منقطعا ومحل اعتراضه
 او معارضته وابن يجب عليه السكوت ولخصه الكلام والاستدلال ولذلك قيل فيه انة

معرفة بالتواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها الى حفظ راي
وهدمو كان ذلك الراي من الفقه او غيره وفي طريقتان طريقة النزدي وفي خاصة
بالادلة الشرعية من النص والاحتجاج والاستدلال وطريقة العبيدي وفي عامة في كل
دليل يستدل به من اي علم كان ولا كثر استدلال وهو من المناحي الحسنة والمغالطات
فيه في نفس الامر كثيرة وإذا اعتبرنا النظر المنطقي كان في الغالب اشبه بالقياس المعالطي
والسوفسطائي الا ان صور الادلة والاقبيسة فيه محفوظة مراعاة تحري فيها طرق الاستدلال
كما ينبغي وهذا العبيدي هو اول من كتب فيها ونسبت الطريقة اليه وصح الكتاب المسمى
بالارشاد مختصراً وتبعه من بعده من المتأخرين كالسبي وغيره جامعا على اثره وسلكوا
مسلكه وكثرت في الطريقة التأليف وفي لهذا العهد مجهزة لنقص العلم والتعليم في الامصار
الاسلامية وهي مع ذلك كاذبة وليست ضرورية والله سبحانه وتعالى اعلم به التوفيق

الفصل العاشر .

في علم الكلام

هو علم يتضمن التحاج عن العقائد الایمیه بالادلة العقلية والرد على المنتدعة المخرفين
في الاعتقادات عن مذاهب السلف واهل السنة وسر هذه العقائد الایمیه هو التوحيد
فلنقدم هنا لطيفة في رمان عقلي يكتف لنا عن التوحيد على اقرب الطرق والمأخذ ثم
نرجع الى تحقيق علمه وفيما يظرو وينتبر الى حدوده في الملة وما دعا الى وضعه فنقول ان
الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الذوات او من الافعال الشرية او الحيوانية
فلا بد لها من اسباب متقدمة عليها بها تقع في مستقر العادة وعنها يتم كونه وكل واحد من
هذه الاسباب حادث ايضاً فلا بد له من اسباب اخرو لا تزال تلك الاسباب مرتبة
حتى تنهي الى مسبب الاسباب وموجداهم وخالقها سبحانه لا اله الا هو وتلك الاسباب
في ارتقائها تتصاعق وتتناقص طولاً وعرضاً وبحار العقل في ادراكها وتعديدها فماذا لا
يحصرها الا العلم المحيط سيما الافعال الشرية والحيوانية فان من حملة اسبابها في الساهد
التصود والارادات اذ لا يتم كون الفعل الا بآرادته والتصد اليه والتصود والارادات
امور نفسانية ناشئة في الغالب من تصورات سابقة يتلو بعضها بعضاً وتلك التصورات
هي اسباب قصد الفعل وقد تكون اسباب تلك التصورات تصورات اخرى وكل ما يقع
في النفس من التصورات مجهول سببه اذ لا يطلع احد على مبادي الامور النفسية ولا على

ترتيبها انها في اشياء بلقبها الله في الفكر يتبع بعضها بعضاً والاسان عاجر عن معرفة سادتها
وغاياتها واما يحيط علماً في الغالب بالاسباب التي هي طبيعة ظاهره ويقع في مداركها على
نظام وترتيب لان الطبيعة محصورة للمس وتحت طورها واما التصورات فمطابقها اوسع
من النفس لانها للعقل الذي هو فوق طور النفس فلا تدرك الكثير منها فضلاً عن الاحاطة
وتأمل من ذلك حكمة الشارع في نهيه عن النظر الى الاسباب والوقوف معها فانه واد
يهم فيه الفكر ولا يحملونه بطائل ولا يظهر بحقيقة قل الله ثم ذرهم في خوصهم يلصقون بها
انقطع في وقوفه عن الارتقاء الى ما فوقه فرلت قسمة واصبح من الصالين المالكين تعود
بالله من الحرمان والخسران الميسر ولا تحسن ان هذا الوقوف او الرجوع عنه في قدرتك
واختيارك بل هو لون يحصل للمس وصعته تستفكم من الخوض في الاسباب على نسبة لا
تعلمها اذا لو علمها لتحررنا منها فلتفكر من ذلك بقطع الطوعها حمله وايضاً فوجه تائير
هذه الاسباب في الكثير من مسابقتها مجهول لانها اما يوقف عليها بالعادة لا قتران الشاهد
بالاستناد الى الطاهر وحقيقة التاثير وكيفية مجهولة وما اوتيت من العلم الا قليلاً فلذلك
امرنا بقطع النظر عنها والعائها حمله والتوجه الى مسبب الاسباب كلها وفعالها وموجدها
لترحم صفة التوحيد في المس على ما علما الشارع الذي هو اعرف بمصالح دينا وطرق
سعادتنا لا اطلاع على ما وراء الحس قال صلى الله عليه وسلم من مات يتهد ان لا اله الا
الله دخل الجنة فان وقف عند تلك الاسباب فقد انقطع وحقت عليه كلمة الكفر وان
سبح في بحر النظر والبحث عنها وعن اسبابها وتأثيراتها واحداً بعد واحد ما الصامن لغا
لا يعود الا بالحكمة فلذلك بها الشارع عن الطر في الاسباب وامرنا بالتوحيد المطلق
قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ولا تنق بما يزعم لك الفكر
من انه مقتدر على الاحاطة بالكائنات واسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله وسه
رايه في ذلك واعلم ان الوجود عند كل مدرك في بادي رايه منحصر في مداركه لا يعدوها
والامر في نفسه بخلاف ذلك والحق من ورائه الا ترى الا صم كيم ينحصر الوجود عنده
في المحسوسات الاربع والمعقولات ويسقط من الوجود عند مصف السموعات وكذلك
الاعى ايضاً يسقط عنده صنف المراتب ولولا ما يردهم الى ذلك تقليد الالباء والمشجعة
من اهل عصرهم والكافة لما اقروا بولكنهم يتعمنون الكفاة في اثبات هذه الاصناف لا يقتضي
فطرتهم وطبيعة ادراكهم ولو سئل الحيوان الاعجم ونطق لوجدناه مكرراً للمعقولات
وساقطة لديه بالكلية فاذا علمت هذا فاعلم هناك ضرراً من الادراك غير مدركنا لان

ادراكاتنا مخلوقة محدثة وخلق الله اكرم من خلق الناس والمحصر مجهول والوجود اوسع
 نطاقاً من ذلك والله من ورائهم محيط فانهم ادراكك ومدركاتك في المحصر واتبع ما
 امرك الشارع به من اعتقادك وعملك فهو احرص على سعادتك واعلم بما يمنحك لانه من
 طور فوق ادراكك ومن نطاق اوسع من نطاق عقلك وليس ذلك بقادح في العقل
 ومدارك بل العقل ميزان صحيح فاحكامه يقينية لا كذب فيها غير انك لا تطيع ان ترزق
 به امور التوحيد والاخرة وحقيقة السوء وحقائق الصفات الالهية وكل ما وراء طوره فان
 ذلك طمع في محال ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب قطع
 ان يزن به الجبال وهذا لا يدرك على ان الميزان في احكامه غير صادق لكن العقل قد
 يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له ان يحيط بالله ووصائفه فانه ذرة من درات
 الوجود الحاصل منه ونظن في هذا الغلط من يقدم العقل على السمع في امثال هذه
 القضايا وقصور فهم واصحلال رايه فقد تبين لك الحق من ذلك واذ تبين ذلك فاعل
 الاسباب اذا تجاوزت في الارتقاء نطاق ادراكنا ووجودنا خرجت عن ان تكون مدركة
 فيضل العقل في بدهاء الاوهام ويحار وينقطع فاذا التوحيد هو العجر عن ادراك
 الاسباب وكميات تأثيرها وتعميض ذلك الى خالقها المحيط بها ادلافاعل غيره وكلها
 ترتقي اليه وترجع الى قدرته وعلمه واسما هو من حيث صدورنا عنه وهذا معنى ما نقل
 عن بعض الصديقين العجزة عن الادراك ادراك تمام المعتز في هذا التوحيد ليس هو الايمان
 فقط الذي هو تصديق حكي فان ذلك من حديث النفس واسما الكمال فيه حصول صفة
 منه تتكيف بها النفس كما ان المطلوب من الاعمال والعبادات ايضاً حصول ملكة الطاعة
 والافتقار وتترغ القلب عن شواغل ما سوى المعبود حتى يقلب المرید السالك راياً
 والفرق بين الحال والعلم في العقائد فرق ما بين القول والانصاف وشرحه ان كثيراً
 من الناس يعلم ان رحمة اليتيم والمسكين قرينة الى الله تعالى مدوب اليها ويقول بذلك
 ويعترف به ويذكر ماخذه من الشريعة وهو لو رأى يتيماً او مسكيناً من اساء المستضعفين
 لمرعته واستبكت ان يشاره فصلاً عن التمتع عليه للرحمة وما بعد ذلك من مقامات
 العطف والحنو والصدقة فهذا اسما حصل له من رحمة اليتيم مقام العلم ولم يحصل له مقام
 الحال والانصاف ومن الناس من يحصل له مع مقام العلم والاعتراف بان رحمة المسكين
 قرينة الى الله تعالى مقام اخر اعلى من الاول وهو الانصاف بالرحمة وحصول ملكته فمضى
 راي يتيماً او مسكيناً باحر اليه ومع غيره والنفس الثواب في الشفقة عليه لا يكاد يصر عن

ذلك ولو دفع عنه ثم يتصدق عليه بما حضره من ذات يده وكذا علك بالوحد مع
اتصافك به والعلم حاصل عن الاتصاف ضرورة وهو اوثق مبنى من العلم بالحاصل قبل
الاتصاف وليس الاتصاف بحاصل عن مجرد العلم حتى يقع العمل ويتكرر مراراً غير
منصرفة فتخرج الملكة ويحصل الاتصاف والتحقيق ويحيى العلم الثاني السامع في الاخرة فان
العلم الاول المجرد عن الاتصاف قليل المجدوى والسبع وهذا علم اكثر النظائر والمطلوب
انما هو العلم المحالي الثاني عن العادة - واعلم ان الكمال عند الشارع في كل ما كلف بيمان
هو في هذا ما طالب اعتقاده فالكمال فيه في العلم الثاني الحاصل عن الاتصاف وما طلب
عمله من العبادات فالكمال فيها في حصول الاتصاف والتحقيق بها ثم ان الاقبال على
العبادات والمواظبة عليها هو المحصل لهذه النعمة الشريفة قال صلى الله عليه وسلم في راس
العبادات جعلت قرعة عمي في الصلاة فان الصلاة صارت له خمسة وحالاً يجذب فيها منتهى
لذاته وقرعة غيره وايس هذا من صلاة الناس ومن لم بها فويل للصالحين الذين هم عن صلاتهم
ساهون اللهم وفقاً واهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين فقد تبين لك من جميع ما قررناه ان المطلوب في التكليف كلها
حصول ملكة راسخة في النفس يحصل عنها علم اضطراري للنفس هو التوحيد وهو العقيدة
الايمانية وهو الذي تحصل به السعادة وان ذلك سواء في التكليف القلبية والبدنية ويتم
منه ان الايمان الذي هو اصل التكليف ويسوعها هو بهن المائة ذو مراتب اولها
التصديق القلبي الموافق للسان واعلاما حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي وما يتبعه
من العمل مستولية على القلب فيستمتع الجوارح وتدرج في طاعتها جميع النصرفات حتى
تفطر الافعال كلها في طاعة ذلك التصديق الايماني وهذا ارفع مراتب الايمان وهو
الايمان الكامل الذي لا يقارب المؤمن معه صغيرة ولا كبيرة اذ حصول الملكة ورسوخها
مانع من الانحراف عن مذهب طرفة عين قال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني
وهو مؤمن وفي حديث هرقل لما سأل ابا سفيان اس حرب عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما حواله فقال في اصحابه هل يرتد احد منهم صحبة ليدى قال لا قال وكذلك الايمان
حين تحالط نشاتنة القلوب ومعناه ان ملكة الايمان اذا استقرت عسر على النفس الفتنها
شان الملكات اذا استقرت فانها تحصل بمثابة الحملة والقطر وهذه هي المرتبة العالية من
الايمان وهي في المرتبة الثانية من العصمة لان العصمة واجبة للاسياء وحوماً ساقاً وهذه
حاصلة المومنية حصلاً تاماً لا اعالم وتصديقهم وبهذه الملكة ورسوخها يقع التفاوت في

الايمان كالذي يتلى عليك من اقوال السلف وفي تراجم البخاري رضي الله عنه في باب
 الايمان كثيرة مثل ان الايمان قول وعمل ويريد ويقتض وان الصلاة والصيام من
 الايمان وان تطوع رمضان من الايمان والحجاء من الايمان والمراد بهذا كل الايمان
 الكامل الذي اشترى اليه والى ملكته وهو معلى واما التصديق الذي هو اول مراتبه فلا
 تفاوت فيه فمن اعتبر احوال الاسماء وحمله على التصديق منع من التفاوت كما قال ائمة
 المتكلمين ومن اعتبر اواخر الاسماء وحمله على هذه الملكة التي هي الايمان الكامل ظهر له
 التفاوت وليس ذلك بقادح في اتحاد حقيقته الاولى التي هي التصديق اذ التصديق موحد
 في جميع رتب لانه اقل ما يطلق عليه اسم الايمان وهو المخلص من عهدة الكفر والبصل بين
 الكافر والمسلم فلا يجري اقل منه وهو في نفسه حقيقة واحدة لا تفاوت وانما التفاوت في
 الحال الحاصلة عن الاعمال كما قلناه فافهم واعلم ان الشارح وصف لنا هذا الايمان الذي
 في المرتبة الاولى الذي هو تصديق وعين امور مخصوصة كلما التصديق بها يفلوئنا واعتقاده
 في امسا مع الاقرار بالسنة وفي العقائد التي تقررت في الدين قال صلى الله عليه وسلم
 حين سئل عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن
 بالقدر خيره وشره وهذه هي العقائد الايمائية المقررة في علم الكلام. ولشر اليها محملة
 لتبين لك حقيقة هذا السر وكيفية حدوده. فقول اعلم ان الشارح لما امرنا بالايمان بهذا
 الخلق الذي رد الاعمال كلها اليه وامره بوجاهة قدماء وعرفنا ان في هذا الايمان نجائنا
 بعد الموت اذا حضرنا لم يعرفنا بكه حقيقة هذا الخالق المعبود اذ داك متعذر على
 ادراكنا ومن فوق طورنا فكلمنا اولاً اعتقاد تربيته في ذاته عن مشابهة المخلوقين والا لما
 صح انه خالق لم لعدم المارق على هذا التقدير ثم تنزهه عن صفات النقص والا لشابه
 المخلوقين ثم توحيده بالاتحاد والام يتم الخلق للتمتع ثم اعتقاده انه عالم قادر فذلك ثم
 الافعال شاهد قصته لكمال الاتحاد والخلق ومريد والام يخصص شي من المخلوقات
 ومقدر لكل كائن والا فالارادة حادثة وانه بعيدا بعد الموت تكبيلاً لسايقه بالاجداد وان
 كان لامرفان كان عتاً فهو للبقاء السرمدى بعد الموت ثم اعتقاد بعثة الرسل للنجاة من
 شقاء هذا المعاد لاختلاف احواله بالشقاء والسعادة وعدم معرفتنا بذلك ونعم لطفه
 بنا في الايتاء بذلك وبيان الطريقين وان الجنة للنعم وجهنم للعذاب هذه امهات العقائد
 الايمائية معللة بادلتها العقلية وادلتها من الكتاب والسنة كثير وعن تلك الادلة اخذها
 السلف وارشد اليها العلماء وحققوا الاثمة الا انه عرض بعد ذلك خلاف في تفاصيل

هذه العقائد أكثر مشارها من آي المتشابهة فدعا ذلك الى الخصام والتناظر والاستدلال
 بالعقل وزيادة الى العقل فحدث بذلك علم الكلام ولنسب لك تفصيل هذا العمل وذلك
 ان القرآن ورد فيه وصف المعبود بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تاويل في آي
 كثيرة وهي سلوب كلها وصريحة في ما بها فوجب الايمان بها ووقع في كلام الشارع صلوات
 الله عليه وكلام الصحابة والتابعين تفسيرها على ظاهرها ثم وردت في القرآن آي أخرى
 قليلة توم التشبيه مرة في الذات وأخرى في الصفات فاما السلف فغلبوا ادلة التنزيه لكثيرها
 ووضح دلالتها وعلوا استغالة التشبيه وقصوا بان الآيات من كلام الله فامتنوا بها ولم
 يتعرضوا لمساها ببحث ولا تاويل وهذا معنى قول الكثير منهم افرأوها كما جاءت ابي امنوا
 بانها من عند الله ولا تنعرضوا لتاويلها ولا تفسيرها لجواز ان تكون ابتلاء فيجب الوقف
 والاذعان له وتذللصم من تدعة اتعوا ما تشاء من الآيات وتوغلوا في التشبيه فمريق
 اشبهوا في الذات باعتماد اليد والقدم والوجه عملاً بظواهر وردت بذلك فوقوا في
 التجسيم الصريح ومخالفة آي التنويه المطلق التي هي أكثر موارد ووضح دلالة لان معقولة
 الجسم تقتضي النقص والافتقار وتغلب آيات السلوب في التنزيه المطلق التي هي أكثر
 موارد ووضح دلالة أولى من التعلق بظواهر هذه التي لماعتنا غيبة وجمع بين الدليلين تناو يلهم
 ثم يبرون من شناعة ذلك فتوهم جسم لا كالأجسام وليس ذلك مدافع عنهم لانه قول
 مناقض وجمع بين بي وإتات ان كان بالمعقولة واحدة من الجسم وان خالوا بينهما ونوا
 المعقولة المتعارفة فقد وافقوا في التنزيه ولم يبق الا جعلهم لفظ الجسم اسماً من اسمائه
 ويتوقف مثله على الادس ومريق منهم ذهبوا الى التشبيه في الصفات كاتات المحبة والاستواء
 والنزول والصوت والحرف وامثال ذلك وآل قولهم الى التجسيم فزعوا مثل الا وليس الى
 قولهم صوت لا كالاصوات حجة لا كالجهاات نزول لا كالنزول يصون من الاجسام
 واندفع ذلك بما اندفع به الاول ولم يبق في هذه الظواهر الا اعتقادات السلف ومذاهبهم
 والايمان بها كما هي اثلا يكر الي على معانيها سبها مع انها صحيحة تاتة من القرآن ولهذا
 ننظر ما تراه في عقيدة الرسالة لاس الي زيد وكتاب المختصر له وفي كتاب المحافظ ان
 عبد البر وروجرهم فانهم يحومون على هذا المعنى ولا تغيب عينك عن القرائن الدالة على
 ذلك في غصون كلامهم ثم لما كثرت العلوم والصنائع وولع للناس بالتدوين والبحث في
 سائر الانحاء والف المتكلمون في التنزيه حدثت مدعة المعتزلة في تعميم هذا التنزيه في ابي
 السلوب ففضوا سبها صفات المعاني من العلم والقدرة والارادة والحياة زائدة على احكامها

لما يلزم على ذلك من تعدد القديم بزعمهم وهو مردود بان الصفات ليست عين الذات ولا غيرها وقصا بني السمع والمصر لكونهما من عوارض الاجسام وهو مردود لعدم اشتراط الدنية في مدلول هذا اللفظ وانما هو ادراك المسموع او المبصر وقصا بني الكلام لشبهه ما في السمع والبصر ولم يعقلوا صفة الكلام التي تقوم بالنفس مقصلا بان القرآن مخلوق بدعة صرح السلف بخلافها وعظم ضرر هذه الدعة ولقتها بعض الخلفاء عن انتمهم فحمل الناس عليها وخالفهم ائمة السلف فاستحل لخلافهم ايسار كثير منهم ودماءهم وكان ذلك سببا لانهما اهل السنة بالادلة العقلية على هذه العقائد دفعا في صدور هذه البدع وقام بذلك الشيخ ابو المحسن الاشعري امام المتكلمين فتوسط بين الطرق وبني التشبيه وانت الصفات المصوية وقصر التنزيه على ما قصرة عليه السلف وشهدت له الادلة المحصنة لعموم فانست الصفات الاربع المصوية والسمع والنصر والكلام الفاعل بالنفس بطريق النقل والعقل ورد على المتدعة في ذلك كلوا وتكلم معهم فيما مهدوه هذه البدع من القول بالصلاح والاصح والتحسين والتفصيح وكل العقائد في العنة واحوال الجنة والنار والثواب والعقاب والحق بذلك الكلام في الامامة لما ظهر حيث ذكر من بدعة الامامية من قولهم انها من عقائد الايمان وانه يجب على الذي تعيينها والخروج عن الهدى في ذلك لم يزل وكذلك على الامة وقصارى امر الامامة انها قضية مطلوبة اجماعية ولا تلحق بالعقائد فلذلك احتوها بمسائل هذا الفن ومنها مجموعة علم الكلام اما لما فيه من المأظرة على البدع وفي كلام صرف وليست براجعة الى عمل وامالان سبب وضعه والخوض فيه هو تنازعهم في اثبات الكلام المسمي وكثر اتناع الشيخ ابي المحسن الاشعري واقتنى طريقتين من بعده تليمة كابر مجاهد وغيره واخذ عنهم القاضي ابو بكر الباقلاني فتصدق للامامة في طريقتهم وهذا ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الادلة والاطار وذلك مثل اثبات الجوهر الفرد والخلاء وان العرض لا يقوم بالعرض وانه لا يبقى رماين وامثال ذلك مما تتوقف عليه ادلتهم وحمل هذه القواعد تبعا للعقائد الالمانية في وجوب اعتقادها لتوقف تلك الادلة عليها وان بطلان الدليل يؤذن بطلان المدلول وجعلت هذه الطريقة وجاءت من احسن الفنون النظرية والعلوم الدينية الا ان صور الادلة تعثر بها الاقيسة ولم تكن حيث تدل طاهرة في الملة ولو ظهر منها بعض الشيء فلم ياخذ المتكلمون للاستعانة بالعلوم الفلسفية المأينة للعقائد الشرعية بالمحملة فكانت مبهورة عندهم لذلك ثم جاء بعد القاضي ابي بكر الباقلاني امام الحرمين ابو الميجالي فامل في الطريقة كتاب الشامل واوسع القول

فهو ثم لخصه في كتاب الارشاد واخذ الناس اماماً لعقائدهم ثم انتشرت من بعد ذلك علوم المنطق في الملة وقرأه الناس وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية بانه قانون ومعياري للدلالة فقط يسير به الادلة منها كما يسير من سواها ثم نظروا في تلك القواعد المقدمات في حق الكلام للقدمين فخالوا الكثير منها بالبراهين التي أدلت الى ذلك وربما ان كثيراً منها مقتبس من كلام الفلاسفة في الطبيعيات والالهيات فلما سرها بمعياري المنطق ردم الى ذلك فيها ولم يعتدوا بطلان المدلول من بطلان دليله كما صار اليه القاضي فصارت هذه الطريقة من مصطلحهم مآينة للطريقة الاولى ونسي طريقة المتأخرين وربما ادخلوا فيها الرد على الفلاسفة فيما خالوا فيه من العقائد الالهية وجعلوا من خصوم العقائد لتناسب الكثير من مذاهب المتنوعة ومذاهبهم واول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنهج الفرابي رحمه الله وتبعه الامام ابن الخطيب وجماعة فعملوا انهم واعتمدوا تقليدهم ثم توغل المتأخرون من بعدهم في مخالطة كتب الفلسفة والنس عليهم تان الموضوع في العلمين فحسوه فيها واحداً من ما اشتبه المسائل فيها . واعلم ان المتكلمين لما كانوا يستدلون في اكثر احوالهم بالكائنات واحوالها على وجود الباري وصفاته وهو نوع استدلالهم غالباً والجسم الطبيعي . ينظر فيه الفيلسوف في الطبيعيات وهو بعض من هذه الكائنات الا ان نظره فيها مخالف لنظر المتكلم وهو ينظر في الجسم من حيث يتحرك ويسكن والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل وكذا نظر الفيلسوف في الالهيات انما هو ينظر في الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته ونظر المتكلم في الوجود من حيث انه يدل على الموجد وبالمجمله فموضوع علم الكلام عند اهلها انما هو العقائد الالهية بعد فرضها صحيحة مع الترفع من حيث يمكن ان يستدل عليها بالدلة العقلية فتترفع البدع وتزول الشكوك والشبه عن تلك العقائد واذا تأملت حال السن في حدوده وكيف تدرج كلام الناس فيه صدرأ بعد صدور كلهم يفرض العقائد صحيحة ويستنهض الحجج والدلة علمت حينئذ ما قررناه لك في موضوع السن وانه لا بدوه ولقد اختلفت الطريقتان عند هؤلاء المتأخرين والتست مسائل الكلام بمسائل الفلسفة بحيث لا يتميز احد المنين من الآخر ولا يحصل عليه طلبة من كتبهم كما فعله اليفساوي في الطوالع ومن جاء بعده من علماء العم في جميع تآليفهم الا ان هذه الطريقة قد يعني بها بعض طلبة العلم للاطلاع على المذاهب والاغراق في معرفة الحجاج لو فور ذلك فيها وما عمادة طريقة السلف بعقائد علم الكلام فانما هو للطريقة القديمة للمتكلمين واصلها كتاب الارشاد وما هنا حدوه ومن اراد ادخال الرد على الفلاسفة

في عقائده فعليه كسب الغزالي والامام ابن الخطيب فانها وإن وقع فيها مخالفة للصالح
 التقدم فليس فيها من الاخلال في المسائل والالتباس في الموضوع ما في طريقة هؤلاء
 المتأخرين من بعدم وعلى الجملة فيصغي ان يعلم ان هذا العلم الذي هو علم الكلام غير
 ضروري لهذا العهد على طالب العلم اذ المحدث والمتحدث قد اقرضوا والائمة من اهل
 السنة كموا شانهم فيما كتبوا ودرنوا والادلة العقلية انما احنا جمل اليها حين دافعوا وانصروا
 واما الان فلم يبق منها الا كلام تنزه الباري عن كثير ايها ماؤه واطلاقه ولقد سئل المجتهد
 رحمه الله عن قوم مر بهم من المتكلمين يبيضون فيه فقال ما هؤلاء فقيل قوم يزهون
 الله بالادلة عن صفات الحدوث وسماة النقص فقال نبي العيب حيث يستعمل العيب
 عيب لكن فائدته في احاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة اذ لا يحسن بحامل السنة المجمل
 بالمعجب الطريقة على عقائده والله ولي المؤمنين

الفصل الحادي عشر

في علم التصوف

هذا العلم من العلوم الشرعية المحادثة في الملة واصلة ان طريقة هؤلاء القوم لم تنزل
 عند سلف الامة وكارها من الصعامة والتابعين ومن بعدم طريقة الحق والهداية واصلها
 العكوف على العادة والاقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا ورسمها والزهد
 فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وحاه والامراد عن الخلق في الخلوة للعادة وكان
 ذلك عاماً في الصعامة والسلف فلما فتنا الاقوال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده
 وحج الناس الى محالطة الدنيا اخص المقلون على العادة باسم الصوفية والمتصوفة وقال
 الفشيري رحمه الله ولا يتهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس والظاهر انه
 لقب ومن قال اشتقاقه من الصبا او من الصفة فمعيد من جهة القياس اللغوي قال
 وكذلك من الصوف لانهم لم يمتصوا لسلو - قلت والاطهر ان قيل بالاشتقاق انه من
 الصوف وهم في الغالب مخلصون لسلو كما كانوا عليه من مخالفة الناس في لس فاخر الثياب
 الى لبس الصوف فلما اخص هؤلاء بمذهب الزهد والامراد عن الخلق والاقبال على
 العادة اخصوا بما أخذ مدوكة لم وذلك ان الانسان بما هو انسان انما يتميز عن سائر
 الحيوان بالادراك وادراكه بوعان ادراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك
 والوهم وادراك للاحوال القائمة من الفرح والحزن والنقص والبسط والرضى والغضب

والصبر والشكر وامثال ذلك فالروح العاقل والمتصرف في البدن تنشأ من ادراكات
وارادات واحوال وهي التي يميزها الانسان وبعضها يشأ من بعض كما ينشأ العلم من
الدلة والفرج والمحرن عن ادراك المولم او المتلذذ في النشاط عن المحام والكلل عن
الاعياء وكذلك المريد في مجاهدته وعبادته لابد وان ينشأ له عن كل مجاهدة حال
نتيجة تلك المجاهدة وتلك الحال اما ان تكون نوع عادة ختريخ وتصبح مقاماً للمريد واما
ان لا تكون عادة واما تكون صفة حاصلة للنفس من حزن او سرور او نشاط او كلل
او غير ذلك من المقامات ولا يزال المريد يترقى من مقام الى مقام الى ان ينتهي الى التوحيد
والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة قال صلى الله عليه وسلم من مات يشهد ان لا اله
الا الله دخل الجنة فالمرید لابد له من الترفي في هذه الاطوار واصلا كلها الطاعة والاخلاص
ويتقدمها الايمان وبصاحبها وتنشأ عنها الاحوال والصفات وتأتي ثمرات ثم تنشأ عنها
اخرى واخرى الى مقام التوحيد والعرفان واذا وقع تقصير في النتيجة او خلل فعلم انه
انما اتى من قبل التقصير في الذي قلناه وكذلك في الخواطر النفسانية والواردات القلبية
فهذا بجناح المريد الى محاسبة نفسه في سائر اعماله وبظرفي حقاقتها لان حصول النتائج
عن الأعمال ضروري وقصورها من الخلل فيها كذلك والمريد يجد ذلك بذوقه ومحاسب
نفسه على اساءه ولا يشاركهم في ذلك الا القليل من الناس لان الغفلة عن هذا كانت
شاملة وعاية اهل العادات اذا لم ينتهوا الى هذا النوع انهم ياتون بالطاعات مخلصه من
نظر الفقه في الاجراء والامثال وهؤلاء يبحثون عن نتائجها بالاذواق والمواجد ليطلعوا
على انها خالصة من التقصير ولا مظهر ان اصل طريقهم كلها محاسبة النفس على الافعال
والثبوت والكلام في هذه الاذواق والمواجد التي تحصل عن المجاهدات ثم تستقر للمريد
مقاماً يترقى منها الى غيرها ثم لم مع ذلك اذاد مخصوصة بهم واصطلاحات في الفاظ
تدور بينهم اذ الاصاح اللغوية اما هي المعاني المتعارفة فاذا عرض من المعاني ما هو
غير متعارف اصطلاحاً عن التعبير عنه بلفظ يتيسر همه منه فهذا اختص هؤلاء بهذا النوع
من العلم الذي ليس لواحد غيرهم من اهل الشريعة الكلام فيه وصار علم الشريعة على
صنفين صنف مخصوص الفقهاء واهل النبيا وهي الاحكام العامة في العادات والعبادات
والمعاملات وصنف مخصوص بالنوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام
في الاذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترفي منها من فوق الى ذوق وشرح
الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك فلما كثبت بالعلوم ودوت والفقهاء في الفقه

واصول والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من اهل هذه الطريقة في طريقهم فمنهم
 من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الاخذ والترك كما فعله القشيري في
 كتاب الرسالة والسهروردي في كتاب عولف المعارف وامثالهم وجمع الغزالي رحمه الله
 بين الامرين في كتاب الاحياء فتون فيه احكام الورع والاقتداء ثم بين ادابه القوم
 وسنتهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم وصار علم التصوف في الملة علماً مدوناً بعد ان
 كانت الطريقة عبادة فقط وكانت احكامها انما تلتقي من صدور الرجال كما وقع في سائر
 العلوم التي دونت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والاصول وغير ذلك . ثم ان
 هذه المجاهدة والمخلوة والذكر ينسبها غالباً لكشف حجاب المحس والاطلاع على عوالم من
 امر الله ليس لصاحب المحس ادراك شيء منها والروح من تلك العوالم وسبب هذا
 الكشف ان الروح اذا رجع عن المحس الظاهر الى الباطن ضعفت احوال المحس وقويت
 احوال الروح وغلب سلطانه وتجدد نشوه وان على ذلك الذكر فانه كالغذاء لتنمية
 الروح ولا يزال في نمو وتزايد الى ان يصير شهوداً بعد ان كان علماً ويكشف حجاب
 المحس ويتم وجود النفس الذي لها من ذاتها وهو عين الادراك فيتعرض حيثئذ للوهاب
 الربانية والعلوم الدنية والفتح الالهي وتقرب ذاته في تحقق حقيقتها من الافق الاعلى افق
 الملائكة وهذا الكشف كثيراً ما يعرض لاهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود
 ما لا يدرك سواه وكذلك يدركون كثيراً من الوقائع قبل وقوعها ويتصرفون بهمهم
 وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية وتصير طوع ارادتهم فالعظماء منهم لا يندبرون
 هذا الكشف ولا يتصرفون ولا يخبرون عن حقيقة شيء لم يومروا بالتكلم فيه بل يعدون
 ما يقع لهم من ذلك محنة ويتعوذون منه اذا هاجهم وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم
 على مثل هذه المجاهدة وكان حظهم من هذه الكرامات او فر المحظوظ لكنهم لم يقع لهم بها
 عناية وفي فضائل ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كثير منها وتبعم في ذلك
 اهل الطريقة ممن اشتملت رسالة القشيري على ذكرهم ومن تبع طريقهم من بعدهم . ثم
 ان قوماً من المتأخرين انصرفوا عنايتهم الى كشف الحجاب والمدارك التي وراءه
 واختلفت طرق الرياضة عنهم في ذلك باختلاف تعليمهم في امانة القوى المحسية وتغذية
 الروح العاقل بالذكر حتى يحصل للنفس ادراكها الذي لها من ذاتها بتمام نشوتها وتغذيتها
 فاذا حصل ذلك زعموا ان الوجود قد انحصر في مداركها حيثئذ وانهم كشفوا ذوات
 الوجود وتصوروا حقائقها كلها من العرش الى الطش هكذا قال الغزالي رحمه الله في

كتاب الاحياء بعد ان ذكر صورة الرياضة . ثم ان هذا الكشف لا يكون صحيحاً كاملاً
عديم الا اذا كان ناشئاً عن الاستقامة لان الكشف قد يحصل لصاحب المجموع والمخلوق
وان لم يكن هناك استقامة كالسحرة والصاري وغيرهم من المرتاضين وليس مرادنا الا
الكشف الناشئ عن الاستقامة ومثاله ان المرأة الصفيلة اذا كانت محببة او مقرفة وحودي
بها جهة المرئي فانه يشكك فيه معوجاً على غير صورته وان كانت مسطحة تشكل فيها
المرئي صحيحاً والاستقامة للنس كالاساط للراة فيما ينقطع فيها من الاحوال ولما عني
المتأخرون بهذا النوع من الكشف تكلموا في حقائق الموجودات العلوية والسفلية وحقائق
الملك والروح والعرش والكسبي وامثال ذلك وقصرت مداركهم لم يشاركهم في طريقهم
عن فهم انواقهم ومواجههم في ذلك واهل الفناء بين مسكر عليهم ومسلم لم وليس البرهان
والدليل منافع في هذا الطريق رداً وقبولاً اذ هي من قبيل الوجدانيات وربما قصد
بعض المصنفين بيان مذهبهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه فاتي بالاغمض فالاغمض
بالنسبة الى اهل النظر والاصطلاحات والعلوم كما فعل الفرغاني شارح قصيدة ابن النارض
في الديباجة التي كتبها في صدر ذلك الترح فانه ذكر في صدور الوجود عن الماعل
وترتيبهم ان الوجود كله صادر عن صفة الوجدانية التي هي مظهر الاحدية وهما صادران
عن الذات الكريمة التي هي عين الوحدة لا غير ويسمون هذا الصدور بالتجلي ولول
مراتب التجليات عديم تجلي الذات على نفسه وهو يتضمن الكمال باضافة الابداد والظهور
لقوله في الحديث الذي يتناقلونه كثر كثرًا مخفياً فاحسب ان اعرف فخلق الحق لي عرفوني
وهذا الكمال في الابداد المنزل في الوجود وتفصيل الحقائق وهو عديم عالم المعاني
والحضرة الكمالية والحقيقة الحميدة وفيها حقائق الصدات واللوح والقم وحقائق الاسماء
والرسل اجمعين والكل من اهل المللة المحمدية وهذا كله تنصيل الحقيقة المحمدية ويصدر
عن هذه الحقائق حقائق اخرى في الحضرة الهبائية وهي مرتبة المثال ثم عنها العرش ثم
الكسبي ثم الافلاك ثم عالم العناصر ثم عالم التركيب هذا في عالم الرقي فاذا تجملت فهي في
عالم الفتق ويسمى هذا المذهب مذهب اهل التجلي والمظاهر والمحصرات وهو كلام
لا يقتدر اهل النظر الى تحصيل مقتضاه لغرضه وانفلاته وبعد ما بين كلام صاحب
المشاهدة والوجدان وصاحب الدليل وربما انكر مظاهر الشوع هذا الترتيب وكذلك
ذهب اخرون منهم الى القول بالوحدة المطلقة وهو رأي اغرب من الاول في تعقله
وتنارهم يزعمون فهو ان الوجود له قوى في تفاصيلها كانت حقائق الموجودات وصورها

وموادها والعناصر انما كانت بما فيها من القوى وكذلك مادتها لها في نفسها قوة بها كان وجودها ثم ان المركبات فيها تلك القوى متصلة في القوة التي كان بها التركيب كالقوة المعدنية فيها قوى العناصر بهولها وزيادة القوة المعدنية ثم القوة الحيوانية تتضمن القوة المعدنية وزيادة قوتها في نفسها وكذا القوة الانسانية مع الحيوانية ثم الملك يتضمن القوة الانسانية وزيادة وكذا الذوات الروحانية والقوة الجامعة للكل من غير تنصيل في القوة الالهية التي استت في جميع الموحودات كلية وجبرية وجمعتها واحاحت بها من كل وجه لا من جهة الظهور ولا من جهة الخفاء ولا من جهة الصورة ولا من جهة المادة فالكمل واحد وهو من الذات الالهية وهي في الحقيقة واحدة بسيطة والاعتبار هو المنصل لها كالانسانية مع الحيوانية الا ترى انها مندرجة فيها وكأنها تكونها فتارة يمثلها بالجنس مع النوع في كل موحود كما ذكرناه وتارة بالكل مع الجزء على غريفة المثال وهم في هذا كله يهرون من التركيب والكثرة توجه من الوجوه ولما اوحيا عدم الوجود والخيال والذي يظهر من كلام ابن دهنان في تقرير هذا المذهب ان حقيقة ما يقولونه في الوحدة شبهة بما نقوله الحكماء في الالوان من ان وجودها مشروط بالضوء فاذا عدم الضوء لم تكن الالوان موحودة توجه وكذا عند الموحودات المحسوسة كلها مشروطة بوجود المدرك المحسوس بل والموحودات المعنوية والخفية ايضاً مشروطة بوجود المدرك العقلي فاذا الوجود المنصل كله مشروط بوجود المدرك الشري فلو فرضنا عدم المدرك البشري حملة لم يكن هناك تنصيل الوجود بل هو بسيط واحد فالحركة والبرد والصلابة واللين بل والارض والماء والنار والهواء والكواكب انما وجدت لوجود الحواس المدركة لها لما جعل في المدرك من التنصيل الذي ليس في الموجود ولما هو في المدرك فقط فاذا فقدت المدرك المنصل فلا تنصيل انما هو ادراك واحد وهو انا لا غيره ويعتبرون ذلك بحال النائم فانه اذا نام وقد احس الظاهر فقد كل محسوس وهو في تلك الحالة الا ما يوصله له الخيال قالوا فكذلك اليقظان انما يعتبر تلك المدركات كلها على التنصيل بنوع مدركه الشري ولو قدر فقد مدركه فقد التنصيل وهذا هو معنى قولهم الموحود لا الوجود الذي هو من حملة المدرك الشري هذا ملخص راجعهم على ما يفهم من كلام ابن دهنان وهو في غاية السقوط لانهما لا يقطع بوحود البلد الذي نحن مسافرون عنه واليه يقبلاً مع غيبته عن اعيننا ووجود السماء المظلمة والكواكب وسائر الاشياء الغائبة عنا والاسان قاطع بذلك ولا يكابر احد منة في البقين مع ان المحققين من المتصوفة المتأخرين يقولون ان المرید عند

الكشف ربما يعرض له توهم هذه الوحدة ويسمى ذلك عندهم مقام الجمع ثم يترقى عنه الى التمييزين الموجودات ويعبرون عن ذلك بمقام الفرق وهو مقام العارف الحق ولا بد للمريد عندهم من عقبة الجمع وهي عقبة صعبة لانه يخشى على المريد من وقوفه عندها فتفسر صفتها فقد تبينت مراتب اهل هذه الطريقة ثم ان هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء المحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم الى المحلول والوحدة كما اشرنا اليه وملاوا الصحف منه مثل المروى في كتاب المقامات له وغيره ونسبهم ابن العربي وابن سبعين وتلميذها ابن العفيف وابن الفارض والنجم الاسرائيلي في قصائدهم وكان سلفهم مخالطين للاسما علية المتأخرين من الرافضة الدائنين ايضاً بالمحلول والهمية الاثمة مذهبا لم يعرف لا ولم فاشرب كل واحد من الفريقين مذهب الاخر واختلط كلامهم ونشأ بهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه راس العارفين يزعمون انه لا يمكن ان يساويه احد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لآخر من اهل العرفان وقد ابحر الى ذلك ابن سينا في كتاب الاشارات في فصول التصوف منها فقال جل جناب الحق ان يكون شرعة لكل واراد او يطلع عليه الا الواحد بعد الواحد وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي وانما هو من انواع الخطابة وهو بعينه ما نقوله الرافضة ودانوا به ثم قالوا بترتيب وجود الابدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقاء حتى انهم لما استدلوا لباس خرقة التصوف ليحلقوا اصلاً لغيرهم وتخلبهم رفعوه الى علي رضي الله عنه وهو من هذا المعنى ايضاً والا فعلي رضي الله عنه لم يخص من بين الصحابة بتخلية ولا طريقة في لباس ولا حال بل كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ازهد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثرهم عبادة ولم يخص احد منهم في الدين بشيء يورث عنه في الخصوص بل كان الصحابة كلهم اسوة في الدين والزهدة والمجاهدة يشهد لذلك من كلام هؤلاء المتصوفة في امر الفاطمي وما تحمى كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنفي وايجاب وانما هو ما خوضن كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي الى الحق ثم ان كثيراً من الفقهاء واهل النية انتدبوا للرد على هؤلاء المتأخرين في هذه المغالات وامثالها وشملوا بالتيكبر سائر ما وقع لهم في الطريقة والحق ان كلامهم معهم فيه تفصيل فان كلامهم في اربعة مواضع احدها الكلام على المجاهدات وما يحصل من الاذواق والمواجد ومحاسبة النفس على الاعمال لتصل تلك الاذواق التي تصير مقاماً و يترقى منه الى غيره كما قلناه وثانيها الكلام في الكشف

والحقيقة المدركة من عالم الغيب مثل الصفات الربانية والعرض والكريمي والملائكة
والوحي والنسوة والروح وحقائق كل موجود غائب أو شاهد وتركيب الأكواف في صدورهما
عن موجدتها وتكوينها كما مروا لهما التصرفات في العوالم والأكواف بأنواع الكرامات
ورابها العاظم موهبة الظاهر صدرت من الكثير من أئمة القوم يعرفونها في اصطلاحهم
بالشجحات تستشكل ظواهرها فمكروهم ومناول فاما الكلام في الهامدات والمقامات
وما يحصل من الاذواق والمواجيد في نتائجها ومحاسن النفس على التفتير في اسبابها فامر
لامدفع فيه لاحد واذا وقع فيه صحة والتحقق بها هو عين السعادة واما الكلام في كرامات
القوم واخبارهم بالمغيبات وتصرفهم في الكائنات فامر صحيح غير مسكور وان مال بعض العلماء
الى انكارها فليس ذلك من الحق وما احتج به الاستاذ اذ هو اسحاق الاسفرايني من أئمة
الاشعرية على انكارها لا لتباضها بالمجربة فقد فرق المحققون من اهل السنة بينها ما للعتدي
وهو دعوى وقوع المجربة على وفق ما جاء به قالوا ثم ان وقوعها على وفق دعوى الكاذب
غير مقدور لان دلالة المجربة على الصدق عقلية فان صفة 'نفسها' التصديق فلو وقعت مع
الكاذب لتبدلت صفة 'نفسها' وهو محال هذا مع ان الوجود شاهد بوقوع الكثير من هذه
الكرامات وانكارها نوع مكابرة وقد وقع المصحة واکار السلف كثير من ذلك وهو
معلوم مشهور واما الكلام في الكنف واعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات
فاكثر كلامهم فيه نوع من التشابه لما هو جدي عندهم وفاقد الوجدان عندهم بهرل
عن اذواقهم وفي اللغات لا تعطي لدلالة على مرادهم من لانها لم توضع للتعريف واكثره
من المحسوسات فيسفي ان لا تعرض لكلامهم في ذلك وتركه فيما تركاه من التشابه
ومن رقة الله فهم تبي من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة فاكرم بها
سعادة واما الالفاظ الموهبة التي يعرفونها بها الشجحات وينالونها بها اهل الشرع فاعلم
ان الانصاف في شأن القوم انهم اهل غيبة عن المحسوس والواردات فانكم حتى ينطقوا عنها
بما لا يقصودونه وصاحب الغيبة غير محاطب والمحور معدور فمن علم منهم فضلا واقتناوه
حمل على التصد الحميل من هذا وان العارة عن المواجد صفة لبقنان الوضع لما كا وقع
لاي يزيد وامثاله ومن لم يعلم فضلا ولا اشتهر فمواخذ بها صدر عنه من ذلك اما لم يتبين
لما ما يجعلنا على تاويل كلامه واما من تكلم بمثلها وهو حاضر في حسو ولم يملكه الحال
فمواخذ ايضا ولهذا افقى الفقهاء واکار المتصوفة يقتل الحلاج لانه تكلم في حضور وهو
مالك للحال والله اعلم وسلف المتصوفة من اهل الرسالة اعلام الملة الذين اشرا اليهم

من قبل لم يكن لم حرص على كشف الحجاب ولا هذا النوع من الادراك انما هم الاتباع
والاقتداء ما استطاعوا ومن عرض له شيء من ذلك اعرض عنه ولم يحفل به بل يفرون
منه ويرون انه من العوائق والحزن وانه ادراك من ادراكات النفس مخلوق حادث وان
الموجودات لا تنصرف في مدارك الانسان وعلم الله اوسع وخلفه اكبر وشريعته بالهداية
املك فلا ينطقون بشيء مما يدركون بل حظروا الخوض في ذلك ومنعوا من يكشف له
الحجاب من اصحابهم من الخوض فيه والوقوف عنده بل يلتزمون طريقهم كما كانوا في
عالم المحس قبل الكشف من الاتباع والاقتداء ويأمرون اصحابهم بالتزامها وهكذا ينبغي
ان يكون حال المرید والله الموفق للصواب

الفصل الثاني عشر

في علم تعبير الرويا

هذا العلم من العلوم الشرعية وهو حادث في الملة عند ما صارت العلوم صنائع وكتب
الناس فيها واما الرويا والتعبير لها فقد كان موجوداً في السلف كما هو في الخلف وربما
كان في الملوك والامم من قبل الا انه لم يصل اليه الاكتفاء فيه بكلام المعبرين من اهل
الاسلام والا فالرويا موجودة في صنف البشر على الاطلاق ولا بد من تعبيرها فلقد
كان يوسف الصديق صلوات الله عليه يعبر الرويا كما وقع في القرآن وكذلك ثبت عن
الصبيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابي بكر رضي الله عنه والرويا مدرك من مدارك
الغيب وقال صلى الله عليه وسلم الرويا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة
وقال لم يبق من المبررات الا الرويا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له واول ما
ما بدى به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا فكان لا يرى روياء الا جاءت مثل
فلق الصبيح وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتقى من صلاة الغداة يقول لاصحابه هل
راى احد منكم الالة روياء سالم عن ذلك ليستبشرا وقع من ذلك مما فيه ظهور الدين
واعزازه واما السبب في كون الرويا مدركاً للغيب فهو ان الروح القلبية وهو الجوار
اللطيف المنبعث من تجويف القلب اللحيم يتشرف في الشريانات يتوحد مع الدم في سائر البدن
ويوكل افعال القوى الحيوانية واحساسها فاذا ادركه الملل بكثرة التصرف في
الاحساس بالحواس الخمس وتصريف القوى الظاهرة وغشي سطح البدن ما يغشاها من
برد الليل انخس الروح من سائر اقطار البدن الى مركزه القلبي فيستجيب بذلك لمعاودة

فعلوه فتعطلت المحاسن الظاهرة كلها وذلك هو معنى اليوم كما تقدم في أول الكتاب ثم
 ان هذا الروح القلبي هو مطية للروح العاقل من الانسان والروح العاقل مدرِك لجميع
 ما في عالم الامر بذاته اذ حقيقته وقائه عين الادراك وإنما يمع من تعلقه للمدارك الغيبية
 ما هو فيه من حجاب الاشتغال بالبدن وقواه وحواسه فلو قد خلا من هذا الحجاب
 ونجّره عنه لرجع الى حقيقته وهو عين الادراك فيعقل كل مدرِك فاذا تجرد عن بعضها
 خبت شواغله فلا بد له من ادراك لجهة من عالمه بقدر ما تجرد له وهو في هذه الحالة قد
 خبت شواغله المحس الظاهر كلها وهي الشاغل الاعظم فاستعد لقول ما هالك من
 المدارك الثلاثة من عالمه واذا ادرك ما يدرك من عالمه ليرجع الى بدنه اذ هو ما دام في
 بدنه وجسماني لا يمكنه التصرف الا بالمدارك الجسمانية والمدارك الجسمانية للعلم اما هي الدماغية
 والمتصرف منها هو الخيال نامة يتزعج من الصور المحسوسة صوراً خيالية ثم يدفعها الى
 المحافظة تحفظها الى وقت الحاجة اليها عند النظر والاستدلال وكذلك تجرد العس
 منها صوراً اخرى مسماة عقلية فيترقى التجريد من المحسوس الى المعنوي والخيال واسطة
 بينهما ولذلك اذا ادركت العس من عالمها ما تدركه الفتنة الى الخيال فيصوره بالصورة
 المناسبة له ويدفعه الى المحس المشترك فيراء النائم كانه محسوس فيتنزل المدرِك من الروح
 العقلي الى الحسي والخيال ايضاً واسطة هذه حقيقة الرويا ومن هذا التقرير يظهر لك الفرق
 بين الرويا والصاححة واضغات الاحلام الكاذبة فانها كلها صور في الخيال حالة النوم ولكن
 ان كانت تلك الصور منتزلة من الروح العقلي المدرِك فهو رويان وان كانت مأخوذة من
 الصور التي في المحافظة التي كان الخيال اودعها اياها منذ اليقظة فهي اضغات احلام
 واما معنى التعبير فاعلم ان الروح العقلي اذا ادرك مدرِكه والتقاء الى الخيال فيصوره فانما
 يصوره في الصور المناسبة لذلك المعنى بعض الشيء كما يدرك معنى السلطان الاعظم
 فيصوره الخيال بصورة الجبر او يدرك العداوة فيصورها الخيال في صورة الحية فاذا استيقظ
 وهو لم يعلم من امره الا انه راي الجبر او الحية فيسطر المعروفة التشبيه بعد ان يتيقن ان
 الجبر صورة محسوسة وان المدرِك وراها وهو يتندي بقرائن اخرى تعين له المدرِك فيقول
 مثلاً هو السلطان لان الجبر خلق عظيم يناسب ان يشبه به السلطان وكذلك الحية يناسب
 ان تشبه بالعدو لعظم ضررها وكذا الاواني تشبه بالساء لانهم اوعية وامثال ذلك
 ومن المرنى ما يكون صريحاً لا يفتقر الى تعبير لجلالته ووضوحها او لقرب الشبه فيها
 بين المدرِك وشبهه ولهذا وقع في الصحيح الرويا ثلاث رويان من الله ورويان من الملك

ورؤيا من الشيطان فالرؤيا التي من الله هي الصريحة التي لا تنفكر الى تاويل والتي من الملك هي الرويا الصادقة تنفكر الى التعبير والرويا التي من الشيطان هي الاضغاث واعلم ايضا ان الخيال اذا التقى اليه الروح مدركة فاما يصوره في القوالب المعتادة للحس وما لم يكن الحس ادركة قط فلا يصور فيه فلا يمكن من ولد اعنى ان يصور له السلطان بالجبر ولا العدو بالحجة ولا النساء بالاولاي لانه لم يدرك شيئا من هذه وانما يصور له الخيال امثال هذه في شبهها ومناسبتها من جنس مداركه التي هي المسموعات والمشومات وليتخفظ المعبر من مثل هذا فربما اختلط به التعبير وفسد قانونه ثم ان علم التعبير علم بقوانين كلية يعني عليها المعبر عبارة ما يقص عليه وتاويله كما يقولون الجبر يدل على السلطان وفي موضع اخر يقولون الجبر يدل على الغبط وفي موضع اخر يقولون الجبر يدل على اله والامر الفادح ومثل ما يقولون الحجة تدل على العدو وفي موضع اخر يقولون في كاتم سر وفي موضع اخر يقولون تدل على الحياة وامثال ذلك فيحفظ المعبر هذه القوانين الكلية ويعبر في كل موضع بما تقتضيه القرائن التي تعين مع هذه القوانين ما هو البقى بالرؤيا وتلك القرائن منها في البقطة ومنها في النوم ومنها ما يتقدح في نفس المعبر بالخاصية التي خلقت فيه وكل ميسر لما خلق له ولم يزل هذا العلم متناقلا بين السلف وكان محمد بن سيرين فيه من اشهر العلماء وكتب عنه في ذلك القوانين وتناقلا الناس لهذا العهد والقب الكرماني فيه من بعده ثم الف المتكلمون المتأخرون واكثر والتمداول بين اهل المغرب لهذا العهد كتب ابن ابي طالب القبرواني من علماء القبروان مثل المتع وغيره وكتاب الاشارة للسالي وهو دالم مضي بنور النبوة المناسبة التي بينها كما وقع في الصحيح والله علام الغيوب

الفصل الثالث عشر

في العلوم العقلية واصنافها

واما العلوم العقلية التي هي طبيعية للانسان من حيث انه ذو فكر فهي غير مختصة ببل بل بوجه النظر فيها الى اهل الملل كلهم ويستنون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع الانساني منذ كان عمران الخليفة ونسب هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة وهي مشتملة على اربعة علوم الاول علم المنطق وهو علم بعصم الذهن عن الخطا في اقتناص المطالب المجهولة من الامور المحاصلة المعلومة وفائدته تمييز الخطاء من الصواب فيما يلتمسه الناظر في الموجودات وعوارضها ليقف على تحقيق الحق في الكائنات بمنتهى فكره

ثم النظر بعد ذلك عدم اما في المحسوسات من الاجسام العنصرية والمكونة عنها من
المعدن والسات والحيوان والاجسام الملكية والحركات الطبيعية والنفس التي تنبعث
عنها الحركات وغير ذلك ويسمى هذا الفن بالعلم الطبيعي وهو الثاني منها واما ان يكون
النظر في الامور التي وراء الطبيعة من الروحانيات ويسمونه العلم الالهي وهو الثالث منها
والعلم الرابع وهو الباطني في المقادير ويتناول على اربعة علوم وتسمى التعاليم او لها علم
الهندسة وهو النظر في المقادير على الاطلاق اما المفصلة من حيث كونها معدودة او
المتصلة وهي اما ذو بعد واحد وهو الخط او ذو بعدين وهو السطح او ذو ابعاد ثلاث وهو
الجسم التعليمي ينظر في هذه المقادير وما يعرض لها اما من حيث ذاتها او من حيث نسبة
بعضها الي بعض وتاثيرها علم الارتماتيقي وهو معرفة ما يعرض للكم المنفصل الذي هو العدد
ويؤخذ له من الخواص والعروض اللاحقة وثالثها علم الموسيقى وهو معرفة نسب الاصوات
والغم بعضها من بعض وتقدرها بالعدد وثمرته معرفة تلاحين الغناء ورابعها علم الهيئة وهي
تعيين الاشكال للافلاك وحصر اوضاعها وتعددها لكن كوكب من السيارة والقيام على
معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المتشاهدة الموحدة لكل واحد منها ومن رجوعها
واستقامتها واقبالها وإدارها مهده اصول العلوم الفلسفية وهي سعة المنطق وهو المقدم
منها وبعده التعاليم فالارتماتيقي اولا ثم الهندسة ثم الهيئة ثم الموسيقى ثم الطبيعيات ثم
الاهليات ولكل واحد منها فروع تندرج عنه من فروع الطبيعيات الطب ومن فروع
علم العدد علم الحساب والبرانس والمعاملات ومن فروع الهيئة الارباح وهي قوانين
لحسابات حركات الكواكب وتعديلها للوقوف على مواضعها متى قصد ذلك ومن فروع
النظر في النجوم علم الاحكام النجومية ونحو تنكلم عليها واحدا بعد واحد الى اخرها واعلم
ان اكثر من عسى بها في الاجيال الذين عرفوا اخبارهم الامتان العظيمتان في الدولة قبل
الاسلام وهما فارس والروم فكانت اسواق العلوم بافقه لديهم على ما بلغا لما كان العراق
موقورا فيهم والدولة والسلطان قبل الاسلام وعصره لم فكان هذه العلوم محور راحة
في افاقهم وامصارهم وكان لا كاد يبين وسقاهم من الذين يابيين ومن عاصرهم من القضاة
عباية السحر والخامة وما يتبعها من التالاسم واخذ ذلك عنهم الامم من فارس ويونان
فاختص بها القسط وطني مجرهما فيهم كما وقع في المثلث من خبر هاروت وماروت وشان
السحرة وما نقله اهل العلم من شان البراني بصدده مصر ثم تناهت الملل بحظر ذلك
وتحريمه قد رست علومه وبطلت كان لم تكن الا نفايا يتناقلها من قبل هذه الصانع والله

اعلم بجهنم مع ان سوف الشرع قائمة على ظهورها مانعة من اخبارها واما الفرس فكان
شان هذه العلوم العقلية عندهم عظيماً ونطاقها متسعاً لما كانت عليه دولتهم من الضخامة
وانصال الملك ولقد يقلل ان هذه العلوم اتما وصلت الى يونان منهم حين قتل الاسكندر
داراً وغلب على مملكة الكينية فاستولى على كتبهم وعلومهم مما لا يابخذ الحصر ولما فتحت
ارض فارس ووجدوا فيها كتباً كثيرة كتب سعد بن ابي وقاص الى عمر ابن الخطاب
ليستأذنه في شأنها وتنقلها للمسلمين فكتب اليه عمران اطروحوها في الماء فان يكن ما فيها
هدى فقد هدانا الله باهدى منه وان يكن ضللاً فقد كفانا الله فطرحوها في الماء او في
النار وذهبت علوم الفرس فيها عن ان تصل الينا . واما الروم فكانت الدولة منهم ليونان
اولاً وكان لهذه العلوم بينهم مجال رحب وحملها مشاهير من رجالهم مثل اساطين الحكمة
وغيرهم واخص فيها المشاهير منهم اصحاب الرواق بطريقة حسنة في التعليم كانوا يقرأون
في رواق يظلم من الشمس والبرد على ما زعموا واتصل فيها سند تعليمهم على ما يزعمون
من لدن لقمان الحكيم في تلميذه بهراط اللدن ثم الى تلميذه افلاطون ثم الى تلميذه ارسطو ثم الى
تلميذه الاسكندر الافروديسي ونامسطيون وغيرهم وكان ارسطو معلماً للاسكندر ملكهم
انذي غلب الفرس على ملكهم وانتزع الملك من ايديهم وكان ارسطو في هذه العلوم قدماً
وابعدهم فيها صيتاً وكان يسمى المعلم الاول فطار له في العالم ذكر . ولما انقرض امر
اليونان وصار الامر للقيصرية واخذوا يدين النصرانية هجروا تلك العلوم كما تقتضيها الملل
والشرائع فيها وبقيت في صحنها ودواوينها مخددة باقية في خزانهم ثم ملكوا الشام وكتب
هذه العلوم باقية فيهم ثم جاء الله بالاسلام وكان لاهل الظهور الذي لا كفاه له وابتزوا
الروم ملكهم فيما ابتزوا للام وابتداء امرهم بالسذاجة والغفلة عن الصنائع حتي اذا تجمّع
من السلطان والدولة واخذوا الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الامم وتفتتوا في
الصنائع والعلوم تشوقوا الى الاطلاع على هذه العلوم المحكيبة بما سمعوا من الاساقفة
والاقسة المعاهدين بعض ذكر منها وبما نسمو اليه افكار الانسان فيها فبعث ابو جعفر
المنصور الى ملك الروم ان يبعث اليه بكتب التعاليم مترجمة فبعث اليه بكتاب
اوقليس وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون واطلعوا علي ما فيها وازدادوا حرصاً
على الظن بما بقي منها وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في العلم رغبة بما كان يتحمله
فانبعث لهذه العلوم حرصاً ووفد الرسل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين
واتساخها بالخط العربي وبعث المترجمين لذلك فاوعى منه واستوعب وعكف عليها

النظار من اهل الاسلام وحذقوا في فونتها وانتهت الى الغاية انظارهم فيها وخالفوا كثيراً
 من اراء المعلم الاول واخصره بالرد والقول لوقوف الشهرة عنده وكونوا في ذلك
 الدواوين واروا على من تقدمهم في هذه العلوم وكان من ما كابرهم في الملة ابو نصر
 الفارابي وابو علي بن سينا بالمشرق والفاصي ابو الوليد بن رشد والوزير ابو بكر بن
 الصائغ بالاندلس الى اخرين طغوا الغاية في هذه العلوم واخصه هؤلاء بالشهرة والذكر
 واقتصر كثير على انغال التعاليم وما يضاف اليها من علوم الفخامة والسحر والطلسمات
 ووقفت الشهرة في هذا المنقل على مسلة بن احمد المجريني من اهل الاندلس وتلميذه
 ودخل على الملة من هذه العلوم واهلها داخلة واستهوت الكثير من الناس بما يخفى اليها
 وقلدوا اراءها والدسب في ذلك لم يرتكبه ولو شاء الله ما فعلوه ثم ان المغرب والاندلس
 لما ركبت ربح العمران بهما وتناقصت العلوم شاقصوا صحصل ذلك منها الا قليلاً من
 رسومهم تجدها في نفازي من الناس وتحت رقعة من علماء السوء يبلغوا عن اهل المشرق
 ان يصانع هذه العلوم لم ترل عدم موفورة وخصوصاً في عراق الحمد وما بعده فيما وراء
 الهر وائم على حج من العلوم العقلية لتوفر عمرائهم واستحكام الحضارة فيهم ولقد وقفت بمصر
 على تاليف متعددة لرجل من عظماء هراة من بلاد خراسان يتهرستعد الدين التشارابي
 منها في علم الكلام واصول الفقه والبيان تشهد بان له ملكة راسخة في هذه العلوم وفي
 اثنائها ما يدل على ان له اطلاعاً على العلوم الحكيمة وقدماً عالية في سائر الصون العقلية
 والله يويد بمصر من يتاه كذلك بلغنا لهذا العهد ان هذه العلوم المسمية ببلاد الفرنجة
 من ارض رومة وما اليها من العدة التالية نافقة الاسواق وان رسومها هناك متجدة
 ومجالس تعليمها متعددة ودواوينها جامعة متوفرة وطلبتها متكررة والله اعلم بما هنالك
 وهو يخلق ما يتاه ويختار

الفصل الرابع عشر

في العلوم العددية

اولها الارتماطيقي وهو معرفة خواص الاعداد من حيث التاليف اما على التوالي
 او بالتصنيف مثل ان الاعداد اذا توالى متفاضلة بعدد واحد فان جمع الطرفين منها
 مساوي لجمع كل عددين بعدهما من الطرفين بعد واحد ومثل ضعف الواسطة ان كانت
 عدة تلك الاعداد فرداً مثل الافراد على تواليها والارواح على تواليها ومثل ان الاعداد

اذا توالى على نسبة واحدة يكون اولها نصف ثانيها وثانيها نصف ثالثها الخ او يكون
 اولها ثلث ثانيها وثانيها ثلث ثالثها الخ فان ضرب الطرفين احدهما في الاخر كضرب كل
 عددين بعدهما من الطرفين بعد واحد احدهما في الاخر ومثل مربع الواسطة ان كانت
 العدد فرداً وذلك مثل اعداد زوج الزوج المتوالي من اثنين فاربعة فثمانية فستة عشر
 وبمثل ما يحدث من الخواص العددية في وضع المثلثات العددية والمربعات والخمسات
 والمسدسات اذا وضعت متتالية في سطورها بان يجمع من الواحد الى العدد الاخير
 فتكون مثلك وتوالي المثلثات هكذا في سطر تحت الاضلاع ثم تزيد على كل مثلث
 ثلث الضلع الذي قبله فتكون مربعة وتزيد على كل مربع مثلث الضلع الذي قبله فتكون
 مخمسة وهلم جرا وتوالي الاشكال على توالي الاضلاع ويحدث جدول ذو طول وعرض
 في عرضيه الاعداد على تواليها ثم المثلثات على تواليها ثم المربعات ثم الخمسات الخ وسيفي
 طوله كل عدد واشكاله بالغا ما بلغ وتحدث في جمعها وقسمتها بعضها على بعض طولاً
 وعرضاً خواص غريبة استقرت منها وتقررت في دولوبينهم مسائلها وكذلك ما يحدث
 للزوج والفرد وزوج الزوج والفرد وزوج الزوج والفرد فان لكل منها خواص
 مختصة به تضمنها هذا الفن وليست في غيره وهذا الفن اول اجزاء التعاليم وثانيها ويدخل
 في براهين الحساب والحكماء المتقدمين والمتأخرين فيه ناكيف واكثرهم بدرجته في التعاليم
 ولا يفرده بالتاكيف فعل ذلك ابن سينا في كتاب الشفا والنجا وغيره من المتقدمين
 واما المتأخرون فهو عندهم مهجور اذ هو غير متداول ومنفعة في البراهين لا في الحساب
 فجهلوه لذلك بعد ان استخلصوا زبدته في البراهين الحسابية كما فعله ابن البنا في كتاب
 رفع الحجاب والله سبحانه وتعالى اعلم . (ومن فروع علم العدد صناعة الحساب) وهي
 صناعة علمية في حساب الاعداد بالضم والتفريق فالضم يكون في الاعداد بالافراد وهو
 الجمع وبالتضخيف تضاعف عدداً باحد عدد اخر وهذا هو الضرب والتفريق ايضاً
 يكون في الاعداد اما بالافراد مثل ازالة عدد من عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح او
 تفصيل عدد باجزاء متساوية تكون عدتها محصلة وهو القسمة وسواء كان هذا الضم
 والتفريق في الصصح من العدد او الكسر ومعنى الكسر نسبة عدد الى عدد وتلك النسبة
 تسمى كسراً وكذلك يكون بالضم والتفريق في الجذور ومعناها العدد الذي يضرب في
 مثله فيكون منه العدد المربع فان تلك الجذور ايضاً يدخلها الضم والتفريق وهذه
 الصناعة حادثة احتيج اليها للحساب في المعاملات والفق الناس فيها كثيراً وتداولوها في

الامصار بالتعليم للولدان ومن احسن التعليم عندم الابتداء بها لانها معارف متضمنة
 وبراہین منتظمة فيشأ عنها في الغالب عقل مضيء درب على الصواب وقد يقال
 من اخذ نفسه بتعليم الحساب اول امره انه يفلت عليه الصدق لما في الحساب من صحة
 الماني ومناقشة النفس فيصير ذلك خلقاً و يعود الصدق ويلزمه مذهباً ومن احسن
 التأليف المسبوقة فيها لهذا العهد بالمغرب كتاب الحصار الصغير ولاس الساء المراكبي
 فيه تلخيص صابط لقوانين اعماله معيد ثم ترحله بكتاب ساء رفع الحجاب وهو مستغلق على
 المندي بما فيه من الراہین الوثيقة الماني وهو كتاب جليل القدر ادركا المشيخة نظمة
 وهو كتاب جدير بذلك ولما جاء الاستغلاق من طريق الرهان ببيان علوم التعاليم
 لان مسائلها واعمالها وصحة كلها واذا قصد شرحها فاما هو اعطاء العلل في تلك الاعمال
 وفي ذلك من العسر على الثم ما لا يوجد في اعمال المسائل فتامله والله يهدي سوره من
 بناء وهو القوي التين . (ومن فروعها الجبر والمقابلة) وهي صناعة يستخرج بها العدد
 المجهول من قبل المعلوم المروض اذا كان بينها نسبة تقتضي ذلك فاصطلحوا فيها على ان
 جعلوا للمجهولات مراتب من طريق التصفيف بالصرب اولها العدولان ويتعين
 المطلوب المجهول باستخراج من نسبة المجهول اليه وثانيها الشيء لان كل مجهول فهو من
 جهة اياه شيء وهو ايضا جذر لما يلزم من تضعيف في المرتبة الثانية وثالثها المال وهو
 امر مبهم وما بعد ذلك فعلي نسبة الاس في المضروبين ثم يقع العمل المروض في المسألة
 فنخرج الى معاداة بين محتملين او اكثر من هذه الاجاس فيقابلون بعضها بعض ونجربون
 ما فيها من الكسر حتى يصير صحيحاً وبحطون المراتب الى اقل الاسوس ان امكن حتى
 يصير الى الثلاثة التي عليها مدار الجبر عندهم وفي العدد والشيء والمال فان كانت المعادلة
 بين واحد واحد تعين فالمال والجذور اول ايهامه بمعادلة العدد ويتعين والمال وان
 عادل الجذور فيتعين بعدتها وان كانت المعادلة بين واحد واثنين اخرجه العمل الهندسي
 من طريق تفصيل الصرب في الاثنين وهي مبهمه فيعينها ذلك الصرب المنفصل ولا يمكن
 المعادلة بين اثنين واثنين واكثر ما انتهت المعادلة بينهم الى ست مسائل لان المعادلة
 بين عدد وجذر ومال مفردة او مركبة فهي ستة واول من كتب في هذا الفن ابو عبد الله
 الخوارزمي وسده ابو كامل شجاع بن اسلم وجاء الناس على اثره فيه وكتابه في مسائل
 الست من احسن الكتب الموضوعة فيه وشرحه كثير من اهل الاندلس فاجادوا ومن
 احسن شروحاته كتاب القرشي وقد بلغنا ان بعض ائمة التعاليم من اهل المشرق انهم

المعاملات الى اكثر من هذه السنة اجناس وبلغها الى فوق العشرين واستخرج لما كلها
 اعمالاً وابتدع بهرايين هندسية والله يزيد في الخلق ما يشاء سبحانه وتعالى . (ومن فروعه
 ايضاً المعاملات) . وهو تصريف الحساب في معاملات المدنى في البياعات والمساكات
 والزكوات وسائر ما يعرض فيه العدد من المعاملات يصرف في ذلك صاعنا الحساب
 في المجهول والمعلوم والكسر والصحيح والجذور وغيرها والقرص من تكثر المسائل المعروضة
 فيها حصول المزان والدربة تكرار العمل حتى ترشح الملكة في صناعة الحساب ولاهل
 الصاعة الحسابية من اهل الابدلس تأليف فيها متعددة من اشتهرها معاملات الزهراوي
 وابن السمع واي مسلم بن خلدون من تلميذ مسلمة الجريطي وامثالهم . (ومن فروعه
 ايضاً الرائض) . وهي صناعة حسابية في تصحيح السهام لذوي العروس في الوراثات اذا
 تعددت وهالك بعض الوارثين وانكسرت سهامه على ورثته او زادت العروس عند
 اجتماعها وتراحها على المال كله او كان في العريضة اقرار وانكار من بعض الورثة
 فيحتاج في ذلك كله الى عمل يقين به سهام العريضة من كم نصيب وسهام الورثة من كل بطن
 صحيحاً حتى تكون خطوط الوارثين من المال على نسبة سهامهم من جملة سهام العريضة
 فيدخلها من صناعة الحساب جزء كبير من صحيحه وكسره وجذره ومعلومه ومجهوله وترتب
 على ترتيب ابواب الرائض الفقهية ومسائلها فتشتمل حيث تشر هذه الصناعة على جزء من
 الفقه وهو احكام الوراثات من العروس والعول والافرار والانكار والوصايا والتدبير وغير
 ذلك من مسائلها وعلى جزء من الحساب وهو تصحيح السهام باعتبار الحكم الفقهية وهي
 من اجل العلوم وقد يورد اهلها احاديث سوية تشهد بعضها مثل الرائض تلت العلم
 وانها اول ما يرفع من العلوم وغير ذلك وعندي ان طواهر تلك الاحاديث كلها اما هي
 في الرائض العينية كما تقدم لا فرائض الوراثات فانها اقل من ان تكون في كميتهما تلك
 العلم واما الرائض العينية فكثيرة وقد الف الناس في هذا الفن قديماً وحديثاً واعول
 ومن احسن التأليف فيه على مذهب مالك رحمه الله كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي
 ابي القاسم الحوفي وكتاب ابن الممر والبخاري والصردى وغيرهم لكن البصل للحوفي فكثارة
 مقدم على جميعها وقد شرحة من شيوخنا ابو عبد الله سليمان الشافعي كبير مشيخة فاس
 فوضح واوعب ولامام الحرمين فيها فكيف على مذهب الشافعي تشهد بانواع باهية في
 العلوم ورسوم قدمو وكذا الحنفية والحنابلة ومقامات الناس في العلوم مختلفة والله يهدي
 من يشاء بهنو وكريمه لا رب سواه .

الفصل الخامس عشر

في العلوم الهندسية

هذا العلم هو النظر في المقادير اما المتصلة كالمخطوط والسطح والجسم واما المنقطعة كالاعداد وفيما يعرض لما من العوارض الذاتية مثل ان كل مثلث فزواياه مثل قائمتين ومثل ان كل خطين متوازيين لا يلتقيان في وجه ولو خرجا الى غير نهاية ومثل ان كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منها متساويتان ومثل ان الاربعة مقادير المتناسبة ضرب الاول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع وامثال ذلك والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة كتاب اوقليدس ويسمى كتاب الاصول وكتاب الاركان وهو اسطوما وضع فيها للمتبحرين ولول ما ترجم من كتاب اليونانيين في الملة ايام ابي جعفر المصور ونسخة مختلفة باختلاف المترجمين فمنها لحسين ابن اسحاق ولثلاث من قرة وليوسف بن المحاجر ويشتمل على خمس عشرة مقالة اربعة في السطوح وواحدة في الاقدار المناسبة واخرى في نسب السطوح بعضها الى بعض وثلاث في العدد والعاشر في المطقات والقوى على المطقات ومعاه الحدور وخمس في المحتمات وقد اخصصه الناس اختصارات كثيرة كما فعله ابن سينا في تجاليم السماء افرد لفجرها منها احصاه هو كذلك ان الصلص في كتاب الاختصار وغيرهم وشرحه اخرون شروحا كثيرة وهو مداد العلوم الهندسية باطلاق واعلم ان الهندسة تميز صاحبها اصابة في عقله واستقامة في فكره لان براهيمها كلها بية الانتظام جليلة الترتيب لا يكاد الغلط يدخل اقيسها لترتيبها وانتظامها فيبعد الفكر بممارستها عن الخطا ويشأ لصاحبها عقل على ذلك المجمع وقد رعمو انه كان مكتوبا على باب اولاطون من لم يكن مهندسا فلا يدخل منزلا وكان شيوخنا رحمهم الله يقولون ممارسة علم الهندسة للمكرهات الصاوب للثوب الذي يغسل منه الاقدار وينقيه من الاوضار والادراس واما ذلك لما اشرنا اليه من ترتيبه وانتظامه . (ومن فروغ هذا الفن الهندسة المخصوصة بالاشكال الكرية والمخروطات) . اما الاشكال الكرية فعبها كتابان من كتب اليونانيين لثاوديسيوس وميلاوش في سطوحها وقطوعها وكتاب ثاوديسيوس مقدم في التعليم على كتاب ميلاوش لتوقف كثير من رايهين عليه ولا بد منها لمن يريد الخوض في علم الهيئة لان رايهين متوقعة عليها فالكلام في الهيئة كلة كلامي الكرات السماوية وما يعرض فيها من القطوع والدوائر باسباب المحركات كما نذكره فقد يتوقف على معرفة

احكام الاشكال الكريمة سطوحها وقطوعها واما المخروطات فهو من فروع الهندسة ايضاً
وهو علم ينظر فيما يقع في الاجسام المخروطية من الاشكال والقطوع ويبرهن على ما يعرض
لذلك من العوارض براهين هندسية متوقفة على التعليم الاول وفائدتها تظهر في الصنائع
العلية التي موادها الاجسام مثل الخمازة والباء وكيف تصنع القنايل الغربية والمياكل النادرة
وكيف يتجمل على جرالاتال ونقل المياكل بالهندام والمجمل وامثال ذلك وقد افرد بعض
المولفين في هذا الفن كتاباً في المجمل العلية يتصن من الصاعات الغربية والمجل المستظرفة
كل عجيبه وربما استغنى على التهور لصعوبة براهين الهندسية وهو موجود بأيدي الناس
بنسوة الى سي شاكر والله تعالى اعلم (ومن فروع الهندسة المساحة) . وهو فن يحتاج اليه
في مسح الارض ومعناه استخراج مقدار الارض المعلومة بنسبة شراو ذراع او غيرها وسنة
ارض من ارض اذ قويت بهتلك ويحتاج الى ذلك في توظيف الحراج على المزارع
والحدس ونسابة الغراسة وفي قسمة الحوائط والاراضي بين الشركاء والورثة وامثال ذلك
والناس فيها موضوعات حسنة وكثيرة والله الموفق للصواب بمنه وكرمه . (الملاحظة من
فروع الهندسة) . وهو علم يتبين به اسباب الغلط في الادراك المصري بمعرفة كيفية وقوعها
سواء على ان ادراك المصري يكون بهبوط شعاعي راسه بقطعة الناصر وقاعدته المرتني ثم
يقع الغلط كثيراً في روية القريب كثيراً والبعد صغيراً وكذا روية الاتساح الصغيرة
تحت الماء ووراء الاحسام التنفاة كبيرة ورؤية النقطة الباردة من المطر خطأ مستقيماً
والسلة دائرية وامثال ذلك فيبين في هذا العلم اسباب ذلك وكيفية التبراهين الهندسية
ويتبين به ايضاً اختلاف المطر في القمر باختلاف العروض الذي يسي عليه معرفة روية
الاهل وحصول الكسوفات وكثير من امثال هذا وقد الف في هذا الفن كثير من اليونانيين
واشهر من الف فيو من الاسلاميين اس الهيثم وغيره فيو ايضاً تأليف وهو من هذه
الرياضة وتاريخها

الفصل السادس عشر

في علم الهيئة

وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمهيضة ويستدل بكيفيات تلك
الحركات على اشكالها ووضايع الافلاك ليرت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق
هندسية كما يبرهن على ان مركز الارض ما بين لمركز فلك الشمس بوجود حركة الاقبال

والادبار وكما يستدل بالرجوع والاستقامة للكواكب على وجود افلاك صغيرة حاملة لها
محركة داخل فلكها الاعظم وكما يبرهن على وجود الفلك الثامن بمحركة الكواكب الثابتة
وكما يبرهن على تعدد الافلاك للكواكب الواحد بتعداد الميول له وامثال ذلك وإدراك
الموجود من المحركات وكيفية اجناسها اما هو بالرصد فانما علمنا حركة الافلاك
والادبار به وكذا تركيب الافلاك في طبقاتها وكذا الرجوع والاستقامة وامثال ذلك
وكان اليونانيون يعنون بالرصد كثيراً ويخذون له الآلات التي توضع لرصد بها حركة
الكواكب المعين وكانت تسمى عندهم ذات الحلق وصناعة عملها والبراهين عليه في مطابقة
حركتها بمحركة الملك مقبول بأيدي الناس واما في الاسلام فلم تقع به عناية الا في القليل
وكان في ايام المأمون شيء من صنع الآلة المعروفة للرصد المسماة ذات الحلق وشرع
في ذلك فلم يتم ولما مات ذهب رسمه واغفل واعتمد من بعده على الارصاد القديمة وليست
بمغنية لاختلاف المحركات بانصال الاحقاب وإن مطابقة حركة الآلة للرصد بمحركة
الافلاك والكواكب اما هو بالتقريب ولا يعطى التحقيق فاذا طال الرمان ظهر تناوت
ذلك بالتقريب وهذه الهيئة صناعة شريفة وليست على ما ينهم في المشهور انها تعطي
صورة السماوات وترتيب الافلاك والكواكب بالحقيقة بل انما تعطي ان هذه الصور والحيثات
للالافلاك لزمت عن هذه المحركات واست تعلم انه لا يبعد ان يكون الشيء الواحد لازماً
لخلفين وان قلنا ان المحركات لازمة فهو استدلال باللازم على وجود الملزوم ولا يعطى
الحقيقة بوجه على انه علم جليل وهو احد اركان العالم ومن احسن التأليف فيه كتاب
المجسطي منسوب لبطليموس وليس من ملوك اليونان الذين اسماهم بطليموس على ما
حقة شراح الكتاب وقد اختصرة الائمة من حكماء الاسلام كما فعله ابن سينا وادرجه في
تعاليم الشفاء ولخصه ابن رشد ايضاً من حكماء الاندلس واس السمع وان الصلت في
كتاب الاقتصار ولان الفرعاني هيئة ملخصة قريها وحذف براهين الهندسية والله اعلم
الانسان ما لم يعلم سبحانه لا اله الا هو رب العالمين . (ومن فروعه علم الازياج) وفي
صناعة حسابة على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما ادى اليه
نهان الهيئة في وضعهم بسرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع
الكواكب في افلاكها لاني وقت فرض من قبل حسابات حركاتها على تلك القوانين
المستخرجة من كتب الهيئة ولهذا الصناعة قوانين كالمقدمات والاصول لما في معرفة الشهور
والايام والتواريخ الماضية واصول مقرررة من معرفة الازوج والحضيض والميول واصناف

الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداول مرتبة تسهلاً على المتعلمين ونسبى الارباح وبسبب استخراج مواضع الكواكب للوقت المفروض لهذه الصناعة تعديلاً وتقويماً وللناس فيه تكليف كثيرة للمتقدمين والمتأخرين مثل الثاني^(١) وإن الكاد وقد عول المتأخرون لهذا الهد بالمغرب على ربح مسوب لاس اسحاق من منجي تونس في اول المائة الساعة ويزعمون ان اسحاق عول فيه على الرصد وإن يهودياً كان بصفية ماهرًا في الهيئة والتعالم وكان قد عنى بالرصد وكان يبعث اليه بما يقع في ذلك من احوال الكواكب وحركاتها فكان اهل المغرب لذلك عوا به لوناقة سنه على ما يزعمون ولحصة اس الساب في اخر سماء المهاج فولج به الناس لما سهل من الاعمال فيه وإنما يحتاج الى مواضع الكواكب من الملك لنسب عليها الاحكام الفخومية وهو معرفة الآثار التي تحدث عنها باوضاعها في عالم الانسان من الملك والدول والوليد الشريعة كما سنبه بعد وبوضح مؤادلتهم ان شاء الله تعالى والله الموفق لما يحب ويرهضه لا معبود سواه

الفصل السابع عشر

في علم المطلق

وهو قوانين يعرف بها الصحيح من العاسد في الحدود المعرفة للماهيات والتجميع المعبدة للتصديقات وذلك ان الاصل في الادراك اما هو المحسوسات بالمحوس الخمس وجميع المحيوات مشتركة في هذا الادراك من الناطق وغيره واما يتميز الانسان عنها بادراك الكليات وهي مجردة من المحسوسات وذلك ما يحصل في الخيال من الاتخاص المتفقة صورة مطبقة على جميع تلك الاشخاص المحسوسة وهي الكلي ثم يطر الذهن بين تلك الاشخاص المتفقة واشخاص اخرى توافقها في بعض فيحصل له صورة تنطق ايضاً عليها باعتبار ما اتفق فيه ولا يزال يرتقي في التجريد الى الكل الذي لا يجد كلياً اخر معه يوافقه فيمكن لاجل ذلك سيطراً وهذا مثل ما مجرد من اشخاص الانسان صورة النوع المنطقية عليها ثم يظريسة وبين الحيوان ومجرد صورة الجنس المطبقة عليها ثم بينها وبين النسات الى ان ينتهي الى الجنس العالي وهو الجوهر ولا يجد كلياً يوافقه في شيء عيقف العقل هنالك عن التجريد ثم ان الانسان لما خلق الله له الفكر الذي به يدرك العلوم والصنائع وكان العلم اما تصور للماهيات ويعني به اهرارك ساذج من غير حكم معه واما تصديقاً اي حكماً بثبوت امر لا مرفصار سعي الفكر في تحصيل المطلوبات اما بان تجميع تلك الكليات بعضها الى

بعض على جهة التأليف ففصل صورة في الذهن كلية مطبقة على افراد في الخارج فتكون تلك الصورة الذهنية مفيدة لمعرفة ماهية تلك الاشخاص واما بان يحكم بامر على امر فيثبت له ويكون ذلك تصديقاً وغاية في الحقيقة راجعة الى الصور لا فائدة ذلك اذا حصل انما هي معرفة حقائق الاشياء التي هي مقتضى العلم وهذا السعي من الفكر قد يكون بطريق صحيح وقد يكون بطريق فاسد فاقضي ذلك تمييز الطريق الذي يسمى بالفكر في تحصيل المطالب العلمية لتمييز فيها الصحيح من العائد فكان ذلك قانون المنطق وتكلم فيه المتقدمون اول ما تكلموا به حملاً ومعتقاً ولم تهذب طريقة ولم تجمع مسائل حتى ظهر في يونان ارسطو فهدب ساحته ورتب مسائله وفصوله وجعله اول العلوم الحكمية وفتحها ولذلك يسمى بالمعلم الاول وكنانة المخصوص بالمنطق يسمى الص وهو يشتمل على ثمانية كتب اربعة منها في صورة القياس واربعة في مادته وذلك ان المطالب التصديقية على احكام . فيها ما يكون المطلوب فيه اليقين بطبعه ومنها ما يكون المطلوب فيه الظن وهو على مراتب فيظهر في القياس من حيث المطلوب الذي يفيد وما ينبغي ان تكون مقدماته بذلك الاعتبار ومن اي جس يكون من العلم او من الظن وقد يظفر في القياس لا باعتبار مطلوب مخصوص بل من جهة اتاحه خاصة ويقال للنظر الاول انه من حيث المادة ويعني به المادة المتخذه للمطلوب المخصوص من يقين او ظن ويقال للنظر الثاني انه من حيث الصورة واتاج القياس على الاطلاق فكانت لذلك كتب المنطق ثمانية الاول في الاحساس العالية التي ينتهي اليها تجريد المحسوسات وهي التي ليس فوقها جس ويسمى كتاب المقولات والثاني في القضايا التصديقية واصنامها ويسمى كتاب العار . والثالث في القياس وصورة اتاجه على الاطلاق ويسمى كتاب القياس وهذا اخر الطرق من حيث الصورة . ثم الرابع كتاب الدهران وهو الظن في القياس المتعمق لليقين وكيف يجب ان تكون مقدماته يقينية ويخص بشروط اخرى لافادة اليقين المذكورة فيه مثل كونها داتية واولية وغير ذلك وفي هذا الكتاب الكلام في المعرفات والحدود اذ المطلوب فيها انما هو اليقين لوجوب المطابقة بين الحد والحدود لا تحتمل غيرها فلذلك اختصت بعد المتقدمين بهذا الكتاب . والخامس كتاب المجدل وهو القياس المفيد قطع المتاعب والقيام الحزم وما يجب ان يستعمل فيه من المشهورات ويختص ايضاً من جهة افادته لهذا الغرض بشروط اخرى من حيث افادته لهذا الغرض وهي مذكورة هناك وفي هذا الكتاب بذكر المواضع التي يستنتج منها صاحب القياس

قياسة وفيه عكوس القضايا . والسادس كتاب المسطرة وهو القياس الذي يعيد خلاف الحق ويقالط به الماظر صاحبه وهو فاسد وهذا انما كتب ليعرف به القياس المغالطي فيعذر منه . والسابع كتاب الخطابة وهو القياس المبيد ترغيبا للجمهور وحملهم على المراد منهم وما يجب ان يستعمل في ذلك من المقالات . والثامن كتاب الشعر وهو القياس الذي يعيد التمثيل والتشبيه خاصة للاقتال على التي او الفقرة عنه وما يجب ان يستعمل فيه من القضايا التحيلية هذه هي كتب المنطق الثمانية عند المتقدمين ثم ان حكماء اليونانيين بعد ان مهدت الصناعة ورتت راوا انه لا بد من الكلام في الكليات الخمس المبيدة للتصور فاستدركوا فيها مقالة تختص بها مقدمة بين يدي الس فصار ت تسعا وترجمت كلها في اللغة الاسلامية وكتبها وتداولها فلاسفة الاسلام بالشرح والتلخيص كما فعله العاراني واس سينا ثم اس رشد من فلاسفة الاندلس ولاسن سينا كتاب التفاه استوعب فيه علوم الفلسفة السبعة كلها ثم جاء المتأخرون فغيروا اصطلاح المنطق واخفوا بالنظر في الكليات الخمس ثمرته وفي الكلام في الحدود والرسوم نقلوها من كتاب البرهان وحذفوا كتاب المقولات لان بطر المنطقي فيه بالعرض لا بالذات واخفوا في كتاب الصار الكلام في العكس لانه من نواع الكلام في القضايا بعض الوحد ثم تكلموا في القياس من حيث اتناه للمطالب على العموم لا بحسب مادة وحدقها النظر فيه بحسب المادة وفي الكتب الخمسة البرهان والحدول والحطابة والشعر والمسطرة وربما يلم بعضهم بالسير منها المائما واعلموها كان لم تكن في المم المعتمد في الس ثم تكلموا فيها وصعدوا من ذلك كلاما مستنجرا وطرؤا فيه من حيث انه من راسولا من حيث انه آلة للعلوم فطال الكلام فيه واتسع ولول من فعل ذلك الامام فخر الدين س الخطيب ومن بعده افضل الدين الحوحي وعلى كنو معتمدا المشاركة لهذا العهد وله في هذه الصناعة كتاب كشف الاسرار وهو طويل واخصر فيها مختصر الموجز وهو حسن في التعليم ثم مختصر الجمل في قدر اربعة اوراق اخذ بجامع الس واصوله فتداولوا المتعلمون لهذا العهد فينتعمون به وهجرت كتب المتقدمين وطرقهم كان لم تكن وفي مماثلة من ثمره المنطق وفائدته كما قلناه والله الهادي للصواب

الفصل الثامن عشر

في الطبيعيات

وهو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون فينظر في الاجسام

السموية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان واسنان ونبات ومعادن وما يتكون في الارض من العيون والرازل وفي الجحوش السحاب والبحار والرعذ والبرق والصواعق وغير ذلك وفي مبدا الحركة للاجسام وهو النفس على تنوعها في الانسان والحيوان والنبات وكتب ارسطو فيه موجودة بين ايدي الناس ترجمت مع ما ترجم من علوم الفلسفة ايام المامون والى الناس على حذونها واوعب من الف في ذلك ابن سينا في كتاب الشفا جمع فيه العلوم السبعة للفلاسفة كما قدمنا ثم لخصه في كتاب النجاة وفي كتاب الاشارات وكأني يخالف ارسطو في الكثير من مسائلها ويقول رايه فيها واما اس رشد فخلص كتب ارسطو وشرحها متعالة غير محال في الف الناس في ذلك كثيرا لكن هذه هي المشهورة لهذا العهد والمعتمدة في الصاعدة لاهل المشرق غاية بكتاب الاشارات لاس سينا واللامام ابن الحطيب عليه شرح حسن وكذا الامدي وشرحه ايضا نصير الدين الطوسي المعروف بخواجه من اهل المشرق ويبحث مع الامام في كثير من مسائله فاوتي على انظاره وبجونه وفوق كل ذي علم عليم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الفصل التاسع عشر في علم الطب

ومن مروج الطبيعيات صناعة الطب وهي صناعة تعطي بدن الانسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالادوية والاعدية بعد ان يتبين المرض الذي يمرض كل عضو من اعضاء البدن واسباب تلك الامراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الادوية مستدلين على ذلك بامرجة الادوية وقواها وعلى المرض بالعلامات المؤذنة صحو وقوله الدواء اولاً في الصحة والصلاات والنص بمبادئ لذلك قوة الطبيعة فانها المدرة في حالتها الصحة والمرض واما الطبيب فيحاذيها ويعيها بعض الشيء بحسب ما تقتضيه طبيعة المادة والنقل والنس ويسعى العلم الجامع لهذا كاه علم الطب وربما افرد في بعض الاعضاء بالكلام وحملوه علماً خاصاً كالعين وعلها وانحازها وكذلك الحقول بالنسبة من مافع الاعضاء ومعها المنفعة التي لاحملها خلق كل عضو من اعضاء البدن الحيواني وان لم يكن ذلك من موضوع علم الطب الا انهم حملوه من لواحقه وتوابعه وامام هذه الصناعة التي ترجمت كتبه فيها من الاقدمين جالينوس يقال انه كان معاصراً لعيسى عليه السلام ويقال انه مات بصقلية في سبيل

تغلب ومطوعة اغتراب وتأليفه فيها هي الامهات التي اقتدى بها جميع اطباء بعده
وكان في الاسلام في هذه الصناعة ائمة جاؤا من وراء العاية مثل الرازي والجوسيان
سينا ومن اهل الاندلس ايمصا كثير واشهرهم ابن زهر وهي لهذا العهد في المدن الاسلامية
كانها مقصت اوقوف العمران وتماقصه وهي من الصنائع التي لا تستند عليها الا الحضارة
والترف كما نبهت بعد . وللبادية من اهل العمران طب مسونة في غالب الامر على تجربة
قاصرة على بعض الاتخاص متوارثا عن مشايخ الحي وعجائره وربما يصح منه البعض الا انه
ليس على قانون طبيعى ولا على موافقة المراج وكان عدد العرب من هذا الطب كثير
وكان فيهم اطباء معروفون كالحارث بن كلدة وغيره والطب المقول في الشرعيات من
هذا القيل وليس من الوحي في شيء وإنما هو امر كان عاديا للعرب ووقع في ذكراحوال
البي صلى الله عليه وسلم من نوع ذكر احواله التي هي عادة وجلة لا من جهة ان ذلك
مشروع على ذلك النحو من العمل فانه صلى الله عليه وسلم لما بعث ليعلم الشرائع ولم
يمع لتعريف الطب ولا غيره من العاديات وقد وقع له في شان تلقيع النخل ما وقع
فقال انتم اعلم بامور دينكم فلا ينبغي ان يحمل شيء من الطب الذي وقع في الاحاديث
الصحيحة المنقولة على انه مشروع فليس هناك ما يدل عليه اللهم الا اذا استعمل على جهة
التبرك وصدق العقد الايماني فيكون له اثر عظيم في البيع وليس ذلك في الطب المرامي
ولما هو من اثار الكلمة الايمانية كما وقع في مداواة المسطور بالعسل والله الهادي الى الصواب
لارب سنوا

الفصل العشرون

في الملاحة

هذه الصناعة من مروع الطبيعيات وهي السفر في السات من حيث تميمته ونشوءه
والسفن والعلاج ونعته مثل ذلك وكان للمتقدمين بها عناية كثيرة وكان الشرق بها
عديم عامما في السات من جهة عرسه ونشئته وس حمة شواص وروحانيته ومشاكنها
ارواحيات الكواكب والهاكل المستعمل ذلك كله في باب البحر فعضيت عاينهم به
لاجل ذلك وترجم من كتب اليونانيين كتاب الملاحة السطية مسونة لعلماء السط
مستتلة من ذلك على علم كبير ولما نظر اهل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب وكان باب
البحر مسودا والظرفيه محظورا فاقصروا منه على الكلام في السات من جهة غرسه

وعلاجه وما يعرض له في ذلك وحذفوا الكلام في النفس الاخرى من جملة واخصر ان
العوام كتاب الملاحة النبطية على هذا المهاج ونفى النفس الاخرى من مغللاً نقل من مسلمة
في كتب الصحابة امهات من مسائله كما نذكره عند الكلام على الصحابة شاء الله تعالى
وكتب المتأخرين في الملاحة كثيرة ولا يعدون فيها الكلام في الفراس والعلاج رحظ
النبات من جواهره وعوائقه وما يعرض في ذلك كلوه وفي موحدة

الفصل الحادي والعشرون

في علم الالهيات

وهو علم ينظر في الوجود المطلق فاولاً في الامور العامة للجسمانيات والروحانيات
من الماهيات والوحدة والاكثرة والوجوب والامكان وغير ذلك ثم ينظر في مادي
الموجودات وانها روحانيات ثم في كمية صدور الموجودات عنها ومراتبها ثم في احوال
النفس بعد مفارقة الاجسام وعودها الى الدنيا وهو عندهم علم شريف يرعون انه يوقهم
على معرفة الوجود على ما هو عليه وان ذلك عين السعادة في زعمهم وسياتي الرد عليهم
وهو نال للطبيعيات في ترتيبهم ولذلك يسمونه علم ما وراء الطبيعة وكتب المعلم الاول
فيه موحدة بين ايدي الناس ولخصه ابن سينا في كتاب النشا والنها وكذلك لخصها
ابن رشد من حكماء الاندلس ولما وضع المتأخرون في علوم النجوم ودواها فيها ورد عليهم
الغزالي ما رد منها ثم خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة
لعروضها في مباحثهم وتناهى موضوع علم الكلام هو صوغ الالهيات ومسائلها بمسائلها فصارت
كأبها من واحد ثم غيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعيات والالهيات وخلطوها فتأ
واحداً قدموا الكلام في الامور العامة ثم اتبعوه بالجسمانيات وتواها ثم بالروحانيات
وتواها الى اخر العلم كما فقه الامام اس الحطيب في المباحث المشرقية وجميع من بعده
من علماء الكلام وصار علم الكلام مختلطاً بمسائل الحكمة وكتبه محشوة بها كان الغرض
من موضوعها ومسائلها واحد والنسب ذلك على الناس وهو غير صواب لان مسائل علم
الكلام انما هي عقائد متلقاة من الشريعة كما نقلها السلف من غير رجوع فيها الى العقل ولا
تعويل عليه بمعنى انها لا تثبت الا به فان العقل معزول عن الشرع وانظاره وما نتجت
فيه المتكلمون من اقامة الحجج فليس بحثاً عن الحق فيها فالتعليل بالدليل بعد ان لم يكن
معلوماً هو شان الفلسفة بل انما هو التباس حجة عقلية تعضد عقائد الايمان ومذهب السلف

فيها وتدفع منه اهل الدع عنها الذين زعموا ان مداركهم فيها عقلية وذلك بعد ان
نعرص صحيحة بالادلة الثقلية كما تلقاها السلف واعتقوها وكثير ما بين المقامين وذلك
ان مدارك صاحب الشريعة اوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الانظار العقلية فهي فوقها
ومحيطة بها الاستمداد من الالوار الالهية فلا تدخل تحت قامون النظر الضعيف والمدارك
المجاط بها فاذا هداما الشارع الى مدرك فيسفي ان مقدمة على مداركنا وشق به دونها ولا
ننظر في تصحيح مدارك العقل ولو عارضة بل نعلم ما امرنا به اعتقادا وعلمنا وسكت عالم
نهم من ذلك وموضوعة الى الشارع ونعزل العقل عنه والمتكلمون انما دعاهم الى ذلك كلام اهل
الاتحاد في معارضات العقائد السلمية بالدع النظرية فاحتاجوا الى الرد عليهم من حسن
معارضاتهم واستدعى ذلك التحجيم النظرية ومحاذاة العقائد السلمية بها واما النظر في مسائل
الطبيعات والالهييات بالتصحيح والاطلاق فليس من موضوع علم الكلام ولا من جس
انظار المتكلمين فاعلم ذلك اتميز به بين الميس فانها محتطان عند المتأخرين في الوضع
والثأكيف والحق معايرة كل منها لصاحبه بالموضوع والمسائل وإنما جاء الالتباس من
اتحاد المطالب عند الاستئلال وصار احتجاج اهل الكلام كانه استألال لطلب الاعتداد
بالدليل وليس كذلك بل انما هورث على المحدث والمطلوب مروض الصدق معلومة
وكذا حاه المتأخرون من علاة المتصوفة المتكلمين بالموجد ايضا فخطوا مسائل الميس
سهم وجعلوا الكلام واحدا فيها كلها مثل كلامهم في السوات والاتحاد والحلول والوحدة
وغير ذلك والمدارك في هذه الصور الثلاثة متغايرة مختلفة وبعدها من حسن السون
والعلوم مدارك المتصوفة لانهم يدعون فيها الوجدان ويسرون عن الدليل والوجدان
بعيد عن المدارك العلمية وإيجاتها وتوانها كما ساء وسببه والله يهدي من يشاء الى
صراط مستقيم والله اعلم بالصواب

الفصل الثاني والعشرون

في علوم السحر والطلسمات

وهي علوم بكمية استعدادات تقدر النوس البشرية على التأثيرات في عالم
العناصر اما بعبر معين او بمعين من الامور السماوية والاول هو السحر والثاني هو الطلسمات
ولما كانت هذه العلوم معجزة عند الشرائع لما فيها من الضرر ولما يشترط فيها من الوجهة
الى غير الله من كوكب او غيره كانت كتما كالمفعودة بين الناس الا ما وجد في كتب

الامم الاقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام مثل السط والكلدانيين فان جميع من
 تقدمه من الاسماء لم يترع على الشرائع ولا جاءوا بالاحكام انما كانت كتبهم مواظ ووحيد
 الله وتذكيراً بالجنة والار وكانت هذه العلوم في اهل بابل من السريانيين والكلدانيين
 وفي اهل مصر من القبط وغيرهم وكان لم فيها التاليف والاثار ولم يترجم لنا من كتبهم
 فيها الا القليل مثل الملاحة النبطية من اوضاع اهل بابل فاخذ الناس منها هذا العلم
 وتسلوا فيه ووضعت بعد ذلك الاوضاع مثل مصاحب الكواكب السبعة وكتاب طلم
 الهندي في صور الدرج والكواكب وغيرها ثم طهر بالشرق جاريين حيار كبير الحجر في
 هذه الملة فتصح كتب القوم واستخرج الصناعة وغاص في رديتها واستخرجها ووضع فيها
 غيرها من التاليف واكثر الكلام فيها وفي صناعة السيميا لانها من توابعها لان احالة
 الاحسام السوعية من صورة الى اخرى انما يكون بالقوة السمية لا بالصناعة العملية فهو من
 قيل البحر كما ذكره في موضعه. ثم جاء مسلمة بن احمد الجرجاني امام اهل الاندلس
 في النعالم والبحريات فلخص جميع تلك الكتب وهدبها وجمع طرقها في كتابه الذي سماه
 غاية الحكيم ولم يكتب احد في هذا العلم بعده. ولقد هما مقدمة يتبين بها حقيقة البحر
 وذلك ان النعوس البشرية وان كانت واحدة بالوع فهي مختلفة بالخواص وفي اصناف
 كل صف مختص بخاصية واحدة بالوع لا توجد في الصف الاخر وصارت تلك الخواص
 فطرة وحلة لصفها فنعوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام لها خاصية تستعد بها للعرفة
 الربانية ومخاطبة الملائكة عليهم السلام عن الله سبحانه وتعالى كما مروا يتسع ذلك من
 التأثير في الاكوار واستجلاب روحانية الكواكب للتصرف فيها والتاثير بقوة سبائية او
 شيطانية فاما تاثير الاسماء فمدد الهي وخاصية رماية ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع
 على المغيبات قوى شيطانية وهكذا كل صف مختص بخاصية لا توجد في الاخر والنعوس
 الساحرة على مراتب ثلاث ياتي شرحها فاولها المؤثرة بالهمة فقط من غير آلة ولا معين
 وهذا هو الذي نسميه الملاسة السحر والثاني بمعين من مراج الافلاك او العاصراو
 خواص الاعداد وبسمونة الطلسمات وهو اضعف رتبة من الاول والثالث تاثير في
 القوى الخفية بعد صاحب هذا التأثير الى القوى الخفية فيتصرف فيها بنوع من التصرف
 ويلقي فيها انواعاً من الخيالات والمحاكاة وصور ما ينعده من ذلك ثم ينزلها الى الحس من
 الراتين بقوة نفس المؤثرة فيه فينظر الراؤن كأنها في الخارج وليس هناك شيء من ذلك
 كما يحكي عن بعضهم انه يرى البساتين والانهار والقصور وليس هناك شيء من ذلك ويسمى

هنا عند الفلاسفة الشعوذة او الشعبة هذا تفصيل مراتب هذه الخاصية تكون في الساحر
 بالقوى البشرية كلها وانما يخرج الى الفعل بالرياسة ورياسة السحر كلها انما
 تكون بالتوجه الى الافلاك والكواكب والعلوم العلوية والشرطيات بانواع التعظيم والعبادة
 والتخضوع والذل ففي ذلك وجه الى غير الله ومجود له والوجه الى غير الله كفر فلذا
 كان السحر كفرة والكفر من مواد وسبابه كما رايت ولهذا اختلف الفقهاء في قتل
 الساحر هل لكفره السابق على فعله او لتصرفه بالافساد وما ينشأ عنه من الفساد في
 الاكوان والكل حاصل منه ولما كانت المرتبتان الاوليان من السحر لما حقيقه في الخارج
 والمرتبة الاخيرة الثالثة لاحقيقه لما اختلف العلماء في السحر هل هو حقيقة او انما هو
 تخيل فالقائلون بان له حقيقة نظروا الى المرتبتين الاوليين والقائلون بان لا حقيقة له
 نظروا الى المرتبة الثالثة الاخيرة فليس بينهم اختلاف في نفس الامر بل انما جاء من قبل
 اشتباه هذه المراتب والله اعلم واعلم ان وجود السحر لامرية فيه بين العقلاء من اجل
 التأثير الذي ذكرناه وقد نطق به القرآن قال الله تعالى ولكن الشياطين كفروا يعلمون
 الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولوا
 انما نحن فتنه فلا تكفر فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من
 احد الا باذن الله وسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان يجيل اليه انه يفعل الشيء
 ولا يفعله وجعل سحره في مشط ومشاقة وجف طلعة ودفع في بذر دروان فانزل الله عز
 وجل عليه في المعوذتين ومن شر النفاثات في العقد قالت عائشة رضي الله عنها كان
 لا يقرأ على عقدة من تلك العقد التي سحر فيها الا انحلت ولما وجود السحر في اهل بابل
 وهم الكلدانيون من النبط والسريانيين فكثير ونطق به القرآن وجاءت به الاخبار وكان
 للسحر في بابل ومصر ازمان بعث موسى عليه السلام اسواق نافقة ولهذا كانت معجزة موسى
 من جنس ما يدعون ويتناغون فيه وبقي من اثار ذلك في البراري بصعيد مصر شواهد
 دالة على ذلك وراينا بالعيان من يصور صورة الشخص المسحور بخواص اشياء مقابلة لما
 نواه وحاوله موجودة بالمسحور وامثال تلك المعاني من اسماء وصفات في التاليف والتفريق
 ثم يتكلم على تلك الصورة التي اقامها مقام الشخص المسحور عينا او معنى ثم ينفث من ريقه
 بعد اجتماعه في فيه بتكرير مخارج تلك الحروف من الكلام السوء ويعقد على ذلك المعنى
 في سبب اعداءه لذلك تقاولا بالعقد والالزام واخذ العهد على من اشرك به من الجن في
 نفيه في فعله ذلك استعصارا للزينة والعزم ولتلك البنية والاسماء السيئة روح خبيثة فخرج

منه مع النخ متعلقة ريقه الخارج من فيه مالمس فتزل عنها ارواح خبيثة ويقع عن ذلك المسحور ما يحاوله الساحر وشاهد ما ايضا من المتخيل للسر وعلمه من يشير الى كساء او جلد ويتكلم عليه في سره فاذا هو مقطوع متحرق ويشير الى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبعج فاذا امعاؤها ساقطة من بطونها الى الارض سمعنا ان مريض الهند لهذا العهد من يشير الى اسنان فيمخت قلة ويقع ميتا وينقلب عن قلبه فلا يوجد في حشاؤه ويشير الى الرمانة وتنفخ فلا يوجد من حبوبها شيء وكذلك سمعنا ان مريض السودان وارض الترك من يبحر السحاب فيمطر الارض المحصورة وكذلك راينا من عمل الطلسمات عجائب في الاعداد المتخانة وهي ركز فدا عدد مائتان وعشرون والاخر مائتان واربعة وثمانون ومعنى المتخانة ان اجراء كل واحد التي فيه من نصف وثلاث ورع وسدس وخمس وامثالها اذا جمع كانت مساوية للعدد الاخر صاحبة فتسمى لاجل ذلك المتخانة ونقل اصحاب الطلسمات ان لتلك الاعداد اثرا في الالة بين المتخابين واجتماعها اذا وضع لها مثالان احدهما طالع الرهن وهي في بينها او شرفها بالثمرة الى القمر نظر مودة وقبول ويحمل طالع الثاني سابع الاول ويضع على احد التمثالين احد العددين والاخر على الاخر ويقتصد الاكثر الذي يراد اثلافة اعني المحبوب ما ادرى الاكثر كية او الاكثر اجراء فيكون لذلك من التاليف العظيم بين المتخابين ما لا يكاد يمسك احدهما عن الاخر قاله صاحب الغاية وغيره من ائمة هذا الشأن وشهدت له التجربة وكذا طالع الاسد ويسمى ايضا طالع الحصى وهو ان يرسم في قالب هند اصبع صورة اسد شائلا دسة عاضا على حصة قد قسمها تسعين وبين يديه صورة حية منسابة من رجليه الى فمالة وجهه فاغرة فاما الى فيه وعلى ظهره صورة عقرب تدب ويتحجب برسمه حلول الشمس بالوجه الاول او الثالث من الاسد بشرط صلاح النيرين وسلامتها من الخسوس فاذا وجد ذلك وعثر عليه طبع في ذلك الوقت في مقدار المثقال فما دونه من الذهب ونمس بعد في الزعفران محلولاً بماء الورد ورفع في خرقة حرير صرا فانهم يرمعون ان لمسكه من العر على السلاطين في ماسترتهم وخدمتهم ونسجهم له ما لا يعبر عنه وكذلك للسلاطين فيه من القوة والعر على من تحت ايديهم ذكر ذلك ايضا اهل هذا الشأن في العاية وغيرها وشهدت له التجربة وكذلك وفق المسدس المختص بالشمس ذكر وان يوضع عند حلول الشمس في شرفها وسلامتها من الخسوس وسلامة القمر بطالع ملوكي يعتبر فيه نهار صاحب العاشر لصاحب الطالع نظر مودة وقبول ويصلح فيه ما يكون في مواليد الملوك من الالة

الشريعة ويرفع في خرقه حرير صفراء بعد ان يغس في الطيب فزعوا ان له اثر في صحابة
 الملوك وخدمتهم ومعاشرتهم وامثال ذلك كثير وكتاب الغاية لمسلحة من احمد المجرطي
 هو مدونة هذه الصاعقة وفيه استنباهها وكمال مسائلها وذكر لنا ان الامام المجرى الخطيب
 وضع كتاباً في ذلك وسماه بالسرا المكتوم وانه بالمشرق يتداوله اهله ونحن لم ننف عليه
 والامام لم يكن من ائمة هذا الشأن فيما نظن ولعل الامر بخلاف ذلك وبالمغرب صف من
 هؤلاء المتفخين لهذه الاعمال السحرية يعرفون بالعاجين وهم الذين ذكرت اولاً انهم
 يشيرون الى الكساء او الجلد فيخرق ويتشرون الى بطون الغنم بالبعج فتنبع ويسمى
 احدهم لهذا العهد باسم العاج لان اكثر ما ينخل من السحريج الاعوام يرهب بذلك
 اهلها ليعطوه من فضلها وهم مستترون بذلك في الغاية خوفاً على انفسهم من المحاكم لغيت
 منهم جماعة وشاهدت من افعالهم هذه بذلك واخبروني ان لم وجهة ورياضة خاصة
 بدعوات كفرة وإشراك الروحانيات المحن والكواكب سطرت فيها صحيفة عدم تسمى
 الخزيرة بتدريسيتها وان بهذه الرياضة والوجهة يصلون الى حصول هذه الافعال لم
 وان التأثير الذي لم انا هو فيها سوى الاساس المحرم من المتاع والحيل والرقيق ويعبرون
 عن ذلك بقولهم انما عمل فيما نمشي فيه الدرهم اي ما يملك ويبيع ويشترى من سائر
 المملكات هذا ما رعموه وسالت بعضهم فاخبرني به واما افعالهم فظاهرة موجودة وقصا
 على الكثير منها وعابيتها من غير ربة في ذلك هذا شان السحر والطلسمات وانارها في العالم
 فاما العلامات ففرقوا بين السحر والطلسمات بعد ان استدلوا انها جميعاً اثر للفس الاسانية
 واستدلوا على وجود الاثر للفس الاسانية بان لما اناراً في بدنها على غير المجرى الطبيعي
 واساها الجسمانية بل اثار عارضة من كميات الالواح تارة كالسحوة الحادثة عن النرج
 والسرور ومن جهة التصورات النسيانية اخرى كالذي يقع من قتل التوم فان الماتني
 على حرف حائط او على حل منتصب اذا قوي عنده توم السقوط سقط بلا شك ولهذا
 نجد كثيراً من الناس يهودون انفسهم ذلك حتى يذهب عنهم هذا التوم فيجدهم يشون
 على حرف الحائط والحمل المنتصب ولا يخافون السقوط فثبت ان ذلك من اثار النفس
 الاسانية ونصورها للسقوط من اجل التوم واذا كان ذلك ماثراً للنفس في بدنها من غير
 الاسباب الجسمانية الطبيعية فحائز ان يكون لها مثل هذا الاثر في غير بدنها اذ نسبتها الى
 الابدان في ذلك النوع من التأثير واحدة لانها غير حالة في البدن ولا منطبعة فيه فثبت
 انها مؤثرة في سائر الاجسام واما التفرقة عندهم بين السحر والطلسمات فهو ان السحر

لا يمتنع الساحر فيه الى معين وصاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب واسرار
 الاعداد وخواص الموجودات واوضاع الملك الموترة في عالم العاصم كما يقولون المتخمين
 ويقولون السحر اتحاد روح والطلسم اتحاد روح يحجم ومصله عندهم ربط الطوائع
 العلوية السماوية بالطوائع السفلية والعلوية هي روحانيات الكواكب ولذلك يستعين
 صاحبه في غالب الامر بالتمائم والساحر عندهم غير مكتسب لسحره بل هو منطور عندهم
 على تلك الجملة المختصة بذلك النوع من التأثير والفرق عندهم بين المهجزة والسحرة ان
 المهجزة قوة الهية تمتع على النفس ذلك التأثير هو مؤيد بروح الله على فعله ذلك والساحر
 انما يفعل ذلك من لدن نفسه وقوته النسائية وبامداد الشياطين في بعض الاحوال
 فيبينها الفرق في المعنوية والحقيقة والذات في نفس الامر وانما استدلل نحن على التفرقة
 بالعلامات الظاهرة وهي وجود المهجزة لصاحب الخبز وفي مقاصد الخبز وللنفس المتحصنة
 للخبز والتفدي بها على دعوى النور والسحر انما يوجد لصاحب النور في افعال الشريفة
 الغالب من التفرقة بين الزوجين وصرر الاعداء وامثال ذلك وللنفس المتحصنة للشر.
 هذا هو الفرق بينها عند الحكماء الالهيين وقد يوجد لبعض المتصوفة واصحاب الكرامات
 تأثير ايضا في احوال العالم وليس معدودا من جس السحر وانما هو بالامداد الالهي لان
 طريقهم ونحلهم من اتار النور وتواضعها ولم في المدد الالهي حفظ على قدر حاله وقيامهم
 وتمسكهم بكلمة الله واذا اقتدر احد منهم على افعال الترفلا ياتيها لانه متفقد فيها ياتي
 ويذره للامر الالهي فما لا يقع لم فيه الا ان لا ياتونه بوجه ومن اتاه منهم فقد عدل عن
 طريق الحق وربما شئب حاله ولما كانت المهجزة بامداد روح الله والقوى الالهية فلذلك
 لا يعارضها شيء من السحر وانظر شان مهرة فرعون مع موسى في مهجرة العصا كيف تلفت
 ما كانوا يافكون وذهب سحرهم واضمحل كان لم يكن وكذلك لما ارسل على النبي صلى الله
 عليه وسلم في المعوذتين ومن شر المانات في العقد قالت عائشة رضي الله عنها فكان
 لا يقرؤها على عقدة من العقد التي سحر فيها الا انحلت فالسحر لا يشت مع اسم الله وذكره
 وقد نقل المؤرخون ان زركش كاويان وهي راية كسرى كان فيها الوفق المثني العددي
 منسوجا بالذهب في اوضاع فلكية رصدت لذلك الوفق ووجدت الاية يوم قتل رسم
 بالقادسية واقعة على الارض بعد انهزام اهل فارس وقتلتهم وهو فيها تزعج اهل الطلسمات
 والافواق مخصوص بالغلب في الحروب وان الاية التي يكون فيها او معها لا تنجز
 اصلا الا ان هذه عارضها المدد الالهي من ايمان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وتمسكهم بكلمة الله فأتى كل عند محرمي ولم يثبت وبطل ما كانوا يعملون وإما
الشريعة فلم تفرق بين السحر والطلسمات وجعلته كلمة بآيا واحداً محظوراً لأن الأفعال
إنما أباح لنا الشارع مهما بها في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا أو في معاشنا الذي فيه
صلاح ديننا وما لا يهتدي في شيء منها فإن كان فيه ضرر أو نوع ضرر كالسحر المحاصل
ضرره بالوقوع ويحتمل به الطلسمات لأن أثرها واحد وكالتهمامة التي فيها نوع ضرر باعتقاد
الناثير فتفسد العقيدة الإيمانية رد الأمور إلى غير الله فيكون حينئذ ذلك الفعل محظوراً
على سببه في الضرر وإن لم يكن مهلاً عليها ولا فيه ضرر فلا أقل من تركه قرينة إلى الله
فإن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه فحلت الشريعة باب السحر والطلسمات
والشعوذة أما واحداً لما فيها من الضرر وخصته بالحظ والغرم وإما البرق وعدم بين
المجزة والسحر فالذي ذكره المتكلمون أنه راجع إلى القهري وهو دعوى وقوعها على وفق
ما ادعاه قائلها والساحر مصروف عن مثل هذا القهري فلا يقع منه وقوع المجزة على
وفق دعوى الكاذب غير مقصور لأن دلالة المجزة على الصدق عقلية لأن صفة مسها
التصديق فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصادق كاذباً وهو محال فإدراك النفع المجزع
الكاذب باطلاً وإما الحكماء فالمرق بينها عدم كما ذكرناه فرق ما بين الخير والشر
في نهاية الطريق فالساحر لا يصدر منه الخير ولا يستعمل في أسباب الخير وصاحب
المجزة لا يصدر منه الشر ولا يستعمل في أسباب الشر وكانها على طرفي النقيض في أصل
فطرتهما والله يهدي من يشاء وهو القوي العزيز لا رب سواه ومن قبيل هذه التناثرات
العسية الإصانة بالعين وهو تأثير من نفس المعين عندما يستحسن معينه مدرّكاً من
الذوات أو الأحوال ويعرط في استخساؤه ويشتا عن ذلك الاستحسان حينئذ أنه يروم
معه سلب ذلك الشيء عن أنصف به فيؤثر فساداً وهو جلبة فطرية أعني هذه الإصانة
بالعين والفرق بينها وبين التناثرات وإن كان منها ما لا يكتسب فصدورها راجع إلى
اختيار فاعلها والعطري منها قوة صدورها لا من صدورها ولهذا قالوا القاتل بالسحر أو
بالكرامة يقتل والقاتل بالعين لا يقتل وما ذلك إلا أنه ليس ما يريد ويقصده أو بتركة
وإنما هو مجبور في صدوره عنه والله أعلم بما في الغيوب ومطلع على ما في السرائر

الفصل الثالث والعشرون

في علم اسرار الحروف

وهو المسمى لهذا العهد بالسمياء نقل وضعة من الطلسمات اليه في اصطلاح اهل
التصرف من المتصوفة فاستعمل استعمال العام في الخاص وحدث هذا العلم في الملة بعد
ان صدر منها وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجوهم الى كشف حجاب الحس وظهور
المخوارق على ايديهم والتصرفات في عالم العناصر وتدوين الكتب والاصطلاحات
ومراعيهم في نزل الوحد عن الواحد وترتيب وزعموا ان الكمال الاسمائي مظاهر ارواح
الافلاك والكواكب وان طبائع الحروف ^(١) واسرارها سارية في الاسماء فهي سارية في
الاكوان على هذا النظام والاكوان من لدن الانداع الاول تنتقل في اطواره وتعرب
عن اسرارها فحدث لذلك علم اسرار الحروف وهو من تفاريع علم السمياء لا يوقف على
موضوعه ولا تحاط بالعدد مماثلة تعددت فيه تاليف النوني وابن العربي وغيرها من
انبياء انارها وحاصلة عندهم وثمرته تصرف النفوس الرمانية في عالم الطبيعة بالاسماء الحسنى
والكلمات الالهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالاسرار السارية في الاكوان ثم اختلفوا
في سر التصرف الذي في الحروف بما هو فنيهم من جملة المزاج الذي فيه وقسم الحروف
بقسمة الطوائع الى اربعة اصناف كما للعناصر واخصت كل طبيعة نصف من الحروف
يقع التصرف في طبيعتها فعلاً وانفعلاً بذلك الصنف فتوالت الحروف بقانون صناعي
يسمونه التكسير الى اربعة وهوائية ومائية وثرابية على حسب تنوع العناصر فالالف للار
والباء للهواء والجيم للحما والذال للتراب ثم ترجع كذلك على الترتابي من الحروف والعناصر
الى ان تعد فتعين لعنصر النار حروف سعة الالف والماء والطاء والميم والعاء والسين
والذال وتعين لعنصر الهواء سبعة ابهاء والواو والياء والنون والصاد والثاء والظاء
وتعين لعنصر الماء ايضاً سبعة الجيم والزاي والكاف والصاد والقاف والثاء والغين ونعين
لعنصر التراب ايضاً سبعة الدال والحاء واللام والعين والراء والحاء والتين والحروف
النارية لدفع الامراض الباردة وللمصاعة قوة الحرارة حيث تطلب مضاعفتها اما حساً او
حكماً كما في تضعيف قوى المريح في الحروب والقتل والقتل والمائة ايضاً لدفع الامراض
الحارة من حمايت وغيرها ولتضعيف القوى الباردة ~~تطلب مضاعفتها حساً~~ وحقاً

اترتب طبائع الحروف بعد الدارمة غير ترتب المتعارفة ومنهم العراقي كان الحمل عدم مخالاف في ستة احرف فان
الصاد عدم ستين والصاد ستين والسين المهمة بلهائة والطاء ثمانية والعين شعاعة والسين بالاصحالة نصر الحروف

كتضعيف قوى القمر ومثال ذلك ومنهم من جعل سر التصرف الذي في الحروف
 للنسبة العددية فان حروف المجد دالة على اعدادها المتعارفة وضماً وطعاً فينبها من
 اجل تناسب الاعداد تناهض في نفسها ايضاً كما بين الثام والكاف والراء لدلالها كلها على
 الاتين كل في مرتبة فالراء على اتين في مرتبة الاحاد والكاف على اتين في مرتبة
 العشرات والراء على اتين في مرتبة المئين وكذلك بينها وبين الدال والميم والتالدلالها
 على الاربعة وبين الاربعة والاثين ستة الصنف وخرج للاسماء اوفاق كما للاعداد يختص
 كل صنف من الحروف نصف من الاوفاق الذي يباسه من حيث عدد الشكل او
 عدد الحروف وامتزج التصرف من السر الحرفي والسر العددي لاجل التناسب الذي
 بينها فاما سر التناسب الذي بين هذه الحروف وامرجة الطوائع او بين الحروف والاعداد
 فامر عسر على الهم اذ ليس من قبل العلوم والقياسات وانما مستندهم فيو الذوق والكشف
 قال السوني ولا يظن ان سر الحروف مما يتوصل اليه بالقياس العقلي وانما هو بطريق
 المشاهدة والتوفيق الالهي واما التصرف في عالم الطبيعة بهذه الحروف والاسماء المركبة فيها
 وتأثير الاكوان عن ذلك فامر لا ينكر لثبوتها عن كثير منهم تواتراً وقد يظن ان تصرف
 هؤلاء وتصرف اصحاب الطلسمات واحد وليس كذلك فان حقيقة الطلسم وتأثيره على ما
 حقة اهله انه قوى روحانية من جواهر النهر تفعل فيها ركبولة فعل غلة وقهر بأسرار
 فلكية وسب عديدة وبخورات جالبات لروحانية ذلك الطلسم مستودعة فيه بالهمة
 فائدها ربط الطوائع العلوية بالطوائع السفلية وهو عديم كالتخيرة المركبة من هوائية
 وارضية ومائية وبارية حاصلة في حملتها تحيل وتصرف ما حصلت فيه الى ذاتها ونقلها الى
 صورتها وكذلك الاكبر للاجسام المعدنية كالتخيرة نقلب المعدن الذي تسري فيه الى
 نفسها بالاحالة ولذلك يقولون موضوع الكيمياء جسد في حشد لان الاكبر اجرائه كلها
 جسدانية ويقولون موضوع الطلسم روح في جسد لانه ربط الطوائع العلوية بالطوائع
 السفلية والطوائع السفلية جسد والطوائع العلوية روحانية وتحقق الفرق بين تصرف
 اهل الطلسمات واهل الاسماء بعد ان تعلم ان التصرف في عالم الطبيعة كله انما هو للنفس
 الانسانية والهم الشريفة لان النفس الانسانية محيطة بالطبيعة ومحاكمة عليها بالذات الا
 ان تصرف اهل الطلسمات انما هو في استئصال روحانية الافلاك وربطها بالصورة والنسب
 العددية حتى يحصل من ذلك نوع مزاج بفعل الاحالة والقلب بطبيعته فعل التخيرة فيما
 حصلت فيه وتصرف اصحاب الاسماء انما هو بما حصل لهم بالمجاهدة والكشف من النور

الالهي والامداد الرباني فيسخر الطبيعة لذلك طائفة غير مستعصية ولا يحتاج الى مدد من
 القوى الفلكية ولا غيرها لان مدده اعلى منها ويحتاج اهل الطلسمات الى قليل من الرياضة
 تفيد المس قوة على استئزال روحانية الافلاك واهون بها وجهة ورياضة بخلاف اهل
 الاسماء فان رياضتهم في الرياضة الكبرى وليست لغرض التصرف في الاكوان اذ هو حجاب
 وانما التصرف حاصل لم بالعرض كرامة من كرامات الله لم فان خلا صاحب الاسماء عن
 معرفة اسرار الله وحقائق الملكوت الذي هو نتيجة المشاهدة والكشف واقتصر على اساسات
 الاسماء وطوائع الحروف والكلمات وتصرف بها من هذه الحبيشة وهؤلاء هم اهل السيمياء
 المشهور كان اذا لافرق بينه وبين صاحب الطلسمات بل صاحب الطلسمات اوتق منه
 لانه يرجع الى اصول طبيعية علمية وقوانين مرتبة واما صاحب اسرار الاسماء اذا فاته
 الكشف الذي يطلع به على حقائق الكلمات وانار الماسات بموات الحلول في الوجهة
 وليس له في العلوم الاصطلاحية قاييس برهاني يعول عليه فيكون حاله اصعب رتبة وقد
 يخرج صاحب الاسماء قوى الكلمات والاسماء بقوى الكواكب فيعين لذكر الاسماء الحسي
 او ما يرسم من اوقافها بل ولسائر الاسماء اوقافاً تكون من خطوط الكواكب الذي يناسب
 ذلك الاسم كما فعله الوبي في كتابه الذي سماه الامايط وهذه الماسة عديم هي من لدن
 المحصرة العمانية وهي سر رغبة الكمال الاسمائي وانما تنزل تنصليها في الحقائق على ما هي عليه
 من الماسة وانبات هذه الماسة عديم انما هو بحكم المشاهدة فاذا خلا صاحب الاسماء
 عن تلك المشاهدة وتلقى تلك الماسة نقلية كان عمله بمثابة عمل صاحب الطلسم بل هو
 اوتق منه كما قلنا وكذلك قد يرجع ايضاً صاحب الطلسمات عمله وقوى كواكب قواه
 الدعوات المولدة من الكلمات المخصوصة لماسة بين الكلمات والكواكب الا ان مناسبة
 الكلمات عديم ليس كما هي عند اصحاب الاسماء من الاطلاع في حال المشاهدة وانما يرجع
 الى ما اقتضته اصول طريقتهم السهرية من اقتسام الكواكب لجميع ما في عالم المكروبات
 من جواهر واعراض وذوات ومعار والحروف والاسماء من حمله ما فيه فكل واحد من
 الكواكب قسم منها بحصة وينون على ذلك ما في غريبة مسكرة من تقسيم سور القرآن
 وآيو على هذا النحو كما فعله سلسة الجربطي في الغاية والظاهر من حال الوبي في اماطه
 انه اعتبر طريقتهم فان تلك الامايط اذا تصفحتها ونهضت الدعوات التي تضمنتها وتقسيمها
 على ساعات الكواكب السعة ثم وقفت على الغاية ونصحت قيامات الكواكب التي فيها
 وفي الدعوات التي تخص بكل كوكب بسمونها قيامات الكواكب اي الدعوة التي يقام

له بها شهد له ذلك اما بانه من مادتها اوبان التناسب الذي كان في اصل الابداع وبرزخ العلم قضي بذلك كله وما اوتيت من العلم الا قليلاً وليس كل ما حرمة الشارع من العلوم بمنكر الثبوت فقد تمت ان المحر حق مع حظره لكن حبسنا من العلم ما علمنا . (ومن فروع علم السيميا عندم استخراج الاجوة من الاسئلة) . بارتباطات بين الكلمات حرفية يوهمون انها اصل في معرفة ما يحاولون علمه من الكائنات الاستقلالية وانما هي شبه المعايير والمسائل السائلة ولم في ذلك كلام كثير من ادعية وانجبه زايرة العالم الستى وقد تقدم ذكرها وسين هنا ما ذكره في كيفية العمل تلك الزايرة بدائرتها وجدولها المكتوب حولها ثم نكتف عن الحق فيها وانما ليست من الغيب وانما هي مطابقة بين مشكلة وجوابها في الافادة فقط وقد اشرا الى ذلك من قبل وليس عددا رواية يعول عليها في صحة هذه القصيدة الا اننا نحررنا اصح النسخ منها في ظاهر الامرو الله الموفق بمنزوي هذه

يقول سني ويحمد ربه	مصل على هادي الى الناس ارسلا
محمد المبعوث خاتم الانبيا	وبرضى عن الصحب ومن لم تلا
الا هذه زايرة العالم الذي	تراه بحبيكم وبالعقل قد حلا
من احكم الوضع فيحكم جسمه	ويدرك احكاماً تدرهما العلا
ومن احكم الربط فيدرك قوة	ويدرك للتقوى وللكل حصلا
ومن احكم التصريف يحكم سره	ويعقل حواه وضح له الولا
وفي عالم الامر تراه محققاً	وهذا مقام من الالذكار كملا
فهذي سرائر عليكم بكتبتها	اقمها دوائر او للماء عدلا
فطالها عرش وميو قوشا	نظم ونثر قد تراه مجدولا
ونسب دوائر كسفة فللكها	وارسم كل كما لا ادراجها العلا
واخرج لاوتار وارسم حروفها	وكور بثله على حد من خلا
اقم شكل ربرم وسو يوته	وحقق بهامهم وبورم جلا
وحصل علوماً للطباع مهندساً	وعلماً لموسيقى والارباع مثلا
وسو لموسيقى وعلم حروفهم	وعلم باللات فحفق وحصلا
وسو دوائراً ونسب حروفها	وعالمها اطلق والافليم جدولا
اميرلسا فهو نهاية دولة	زنانية آبت وحكم لها خلا
وقطر لاندلس فاسن لودم	وجاء بنو نصر وظفرم تلا

ملوك و فرسان و اهل الحكمة
 و مهدي توحيد بتونس حكمهم
 و اقسم على التطر و كن متنفذا
 فنش و برشنون الراء حرفهم
 ملوك كناية ذلوا لقافهم
 فهند حبشي و سند فهرس
 فقصرهم حاء و يزدجرهم
 و عباس كلم شريف معظم
 فان شئت تدقيق الملوك و كلمهم
 علي حكم قانن الحروف و علمها
 فمن علم العلوم تعلم علمنا
 فبرج علمه و يعرف ربه
 و حيث اتى اسم العروض يشقة
 و تاتيك احرف فسو لضربها
 فمن يتكبر و قابل و عوض
 و في العقد و المجدور يعرف غالباً
 و اختر لمطلع و سوي رتبة
 و يدركها المرء فيبلغ قصده
 اذا كان سعد و الكواكب اسعدت
 و ايقساع دالم برمز غمة
 و اوتار زهرم فلطاف بهم
 و ادخل بافلاك و عدل بمجدول
 و جوز شذوذ النجوم و مثله
 فاصل لديتنا و اصل لفتنا
 فادخل لنسطا طعلى الوقي جذره
 فنخرج اياتا و في كل مطلب
 و تنفي بمصرها كذا حكم عذرم

فان شئت نصهم و قطرم حلا
 ملوك الشرق بالارفاق نزلا
 فان شئت للزوم فبالحرش كلا
 و افرسهم نال و بالطاء كلا
 و اعراب قومنا يتريق اعلا
 و فرس ططاري و ما بعدم طلا
 لكاف و قبطهم بلايو طولا
 ولكن تركي بدا الفعل عطلا
 فخم بيوتا ثم نسب و جدولا
 و علم طبائنها و كله مثلا
 و يعلم اسرار الوجود و اكسلا
 و علم ملاجيم بحايم فصلا
 فحكم الحكيم فيه قطعاً ليقنلا
 و احرف سبويو تاتيك فصلا
 بترنيك الغالي للاجزاء مخطلا
 و زد لم و صفيه في العقل فعلا
 و اعكس مجذريو و بالدور عدلا
 و تعطي حروفها و في نظمها انجلا
 فحسبك في الملك و نيل اسمو العلا
 فنسب دنادينا نجد فيو مهلا
 و مثنام المثلث مجمو قدجلا
 و ارس ابا جاد و باقو جملا
 اتى في عروض الشعر عن جملة ملا
 و علم لغونا فاحفظ و حصلا
 و سجع باسمو و كبر و هلا
 بنظم طبيعي و سر من الملا
 فعلم القوانين ترى فيه مهلا

تكون بها قطعاً اذا جدت خدمة وتذكر اسراراً من العالم العلا
 سري بها حاجي ومعروف قبله وياح بها الحلاج جهراً فاعقلا
 وكان بها الشلي يدأب دائماً الى ان وفي فوق المريدن واعقلا
 فصف من الاناس قلبك جاهداً ولازم لا ذكار وصم ونسلا
 فاسال سر القوم الامحق عليم ماسرار العلوم محصلا
 ع صحح وسلم به به الح ٣٣٤ = سماع 88 ح ١٤٥ ك صرح اے ر
 مقامات الهمة وميل النوس والمجاهدة والطاعة والعادة وحب
 وتعتق وفناء الما وتوجه ومراقبة وخلة دائمة

الاسعال الطبيعي

لرحيس في الهمة الوفق صرفوا بفردير او نحاس الحلط اكملوا
 وقيل بصفة صحباً رائنة لمجملك طالماً خطوطه ماعلا
 توح به ريادة الدور للقمير وجعلك للقول شمة اصلا
 وبومة والبخور عود لمدم ووقت لساعة ودعوة الا
 ودعوة بغاية مهب اعلمت وعن طسيبان دعوى ولها جلا
 وقيل بدعوة حروف لوضعها بحر هواء ام مطالب اهلا
 فنفس احرقاً بدال ولاها وذلك وفق للمربع حصلا
 اذا لم يكن بهوى هواك دلالها فدل ليدوا ووزينب معطلا
 فحسن لئله ولئاهم اذا هواك وماقيم قلبك حملا
 ونفس مشاكل بشرط لوضعهم وما زدت اسمة لنفلك عدلا
 ومحتاج مريم فعملها سوس فنوري وسطاي سوربها تلا
 وجعلك بالقصد وكمن متقدداً ادلة وحشي لقصة ميلا
 فاعكس بيوتها نال وبف فاطنهار سر وفي سرها انجلا

فصل في المقامات للنهابة

لك الغيب صورة من العالم العلا وتوجد ما دار لوملسها الحلا
 ويوسف في الحسن وهذا شبيهة بنثر وترقيل حقيقه انزلا
 وفي يد طول وفي الغيب باطق فيحكى الى عود مجاوب بلبل
 وقد جن بهلول بعشق جمالها وعده نجايها لسطام اخذلا

ومات اجليو واشرب حبها
فقطلب في التهليل غايته ومن
ومن صاحب الحسنى له انوز بالمنى
وتخبر بالغيب اذا جدت خدمة
فهذا هو الفوز وحسن تناله
ومنها زيادات لتفسيرها تالا

الوصية والتم والامان والاسلام والتحريم والابهلية

فهذا قصيدنا وتسعون عذو
تجبت لايات وتسعون عدها
فمن فهم السر فيهم نفسة
حرام وشرعي لاظهار سرنا
فان شئت اهليه فغلظ بينهم
لعلك ان نفجو وسامع سرهم
فنجل لعباس لسرو كاتم
وقام رسول الله في الناس خاطبا
وقدر كبر الارواح اجساد مظهر
الى العالم العلوي ينفى فناونا
فقد تم نظما وصلى المنا
وصلى انة العرش ذوالمجد والاعلا
محمد المادسة الشفيع امامنا
وما زاد خطبة وختم وجدولا
تولد ايماننا وما حصرها انجلا
ويهم تفسير مشابه اشكلا
لناس وان خصوا وكان التأهلا
وتهم برحلة ودين تطولا
من القطع والافشاف ترأس بالاعلا
فنال سعادات وتابعة علا
فن يرأس عرشا فذلك اكلا
فاكت لقتلهم بدق تطولا
وبلبس اثواب الوجود على الولا
على خاتم الرسل صلاة بها الاعلا
على سيد ساد الانام وكهلا
واسحابه اهل المكارم والاعلا

مرتبة ناه عن المحلة شرح اسع ص م ١٢٨ - ع وطع ١١١ ٥٥٥ تصحيح البيرين وتعديل
الكواكب عند كل تاريخ مطلوب به سر كل وو ٨١٥ لو طرح الاوتار الكلبة
٢٢١ ع م عم ال ح الاول تم ٨ ع - م ٥ ع م عوه عوه ٨ ع م ح ا ح عوه عوه عوه

كملت الزايرة

كيفية العمل في استخراج اجوبة المسائل من زايرة العالم بحول الله منقولا

عن لقيناه من القاتمون عليها

السؤال له ثلاثمائة وستون جوابا عدة الدرج وتختلف الاجوبة عن سؤال واحد
في طالع مخصوص باختلاف الاسئلة المضافة الى حروف الاوتار وتناسب العمل من

استخراج الاحرف من بيت القصيد . (تنبيه) . تركيب حروف الاوتار والمجدول على ثلاثة اصول حروف عربية تنقل على هيئتها وحروف برسم الفسار وهذه تتبدل فمنها ما ينقل على هيئته متى لم تزد الادوار عن اربعة فان زادت عن اربعة نقلت الى المرتبة الثانية من مرتبة العشرات وكذلك لمرتبة المئين على حسب العمل كما ستبينه ومنها حروف برسم البرام كذلك غير ان رسم الزمام يعطي نسبة ثانية فهي بمنزلة واحد الف وبمنزلة عشرة ولها نسبة من خمسة بالعربي فاستحقى البت من المجدول ان توضع فيه ثلاثة حروف في هذا الرسم وحرفان في الرسم فاخصروا من المجدول بيوتاً خالية فمضى كانت اصول الادوار زائدة على اربعة حسبت في العدد في طول المجدول وان لم ترد على اربعة لم يحسب الا العامر منها . (والعمل في السؤال يتفرأ الى سعة اصول) . عدة حروف الاوتار وحفظ ادوارها بعد طرحها اتني عشر اتني عشر وهي ثمانية ادوار في الكامل وستة في الناقص ابدأ ومعرفة درج الطالع وسلطان الدرج والدور الاكبر الاصلي وهو واحد ابدأ وما يخرج من اضافة الطالع للدور الاصلي وما يخرج من ضرب الطالع والدور في سلطان الدرج واطافة سلطان البرج للطالع والعمل جميعه ينتج عن ثلاثة ادوار مصرونة في اربعة تكون اتني عشر دوراً وستة هذه الثلاثة الادوار التي في كل دور من اربعة نشأة ثلاثية كل نشأة لها انتهاء تمامها تصرب ادواراً رابعة ايضاً ثلاثية تمامها من ضرب ستة في اتني فكل لها نشأة يظهر ذلك في العمل وينتج هذه الادوار الاتني عشر نتائج وهي في الادوار اما ان تكون نتيجة او اكثر الى ستة فاول ذلك نعرب سوالاً عن الزايرة هل هي علم قديم او محدث الطالع اول درجة من القوس انتهاء حروف الاوتار ثم حروف السؤال فوضعا حروف وترأس القوس ونظيره من رأس الجوزاء وثلاثة وترأس الدلو الى حد المركز واضعاً اليه حروف السؤال ونظراً عديتها واقل ما تكون ثمانية وثمانين واكثر ما تكون ستة وتسعين وهي حملة الدور الصحيح فكانت في سوالها ثلاثة وتسعين ويختصر السؤال ان زاد عن ستة وتسعين بان يسقط جميع ادوار الانواع عشرة ويحفظ ما خرج منها وما بقي فكانت في سوالها سبعة ادوار الباقي تسعة اتني في الحروف ما لم يبلغ الطالع اتني عشرة درجة فان بلغها لم تمت لها علة ولا دور ثم تثبت اعدادها ايضاً ان زاد الطالع عن اربعة وعشرين في الوجه الثالث ثم تثبت الطالع وهو واحد وسلطان الطالع وهو اربعة والدور الاكبر وهو واحد واجمع ما بين الطالع والدور وهو اتان في هذا السؤال من اصرب ما خرج منها في سلطان البرج يبلغ ثمانية واضف السلطان

للطالع فيكون خمسة هذه سعة اصول فما خرج من ضرب الطالع والدور الاكثر في
 سلطان القوس ما لم يبلغ اثني عشر فيه تدخل في ضلع ثمانية من اسفل الجدول صاعداً
 وان زاد على اثني عشرة طرح ادواراً وتدخل بالباقي في ضلع ثمانية وتعلم على منتهى العدد
 والخمسة المستخرجة من السلطان والطالع يكون الطالع في ضلع السطح المتوسط الاعلى من
 الجدول وتعد متواليات خمس مرات متوالياتاً وتحفظها الى ان يقف العدد على حرف من اربعة
 وهي الف او باء او جيم او زاي فوقع العدد في عمود على حرف الالف وخلف ثلاثة
 ادوار فضرها ثلاثة في ثلاثة كانت تسعة وهو عدد الدور الاول فائتة واجمع ما بين
 الضلعين القائم والمتوسط يكن في بيت ثمانية في مقابلة البيوت العامة بالعدد من الجدول
 وان وقف في مقابلة الخالي من البيوت الجدول على احدها فلا يعنر وتستمر على ادوارك
 وادخل بعدد لما في الدور الاول وذلك تسعة في صدر الجدول مما يلي البيت الذي
 اجتمع فيه وهي ثمانية ماراً الى جهة اليسار فوقع على حرف لام الف ولا يخرج منها ابداً
 حرف مركب وانما هو اذن حرف تاء اربعة اضعاف رسم الرام فعلم عليها بعد نقلها من بيت
 القصيد واجمع عدد الدور للسلطان يبلغ ثلاثة عشر ادخل بها في حروف الاوتار واثبت
 ما وقع عليه العدد وعلم عليه من بيت القصيد ومن هذا القانون تدريجي تدور الحروف
 في العلم الطبيعي وذلك ان تجمع حروف الدور الاول وهو تسعة لسلطان البرج وهو
 اربعة تبلغ ثلاثة عشر اضربها بمثلها تكون ستة وعشرون اسقط منها درج الطالع وهو
 واحد في هذا السؤال الباقي خمسة وعشرون فعلى ذلك يكون نظم الحروف الاول ثم
 ثلاثة وعشرون مرتين ثم اثنان وعشرون مرتين على حسب هذا الطرح الى ان ينتهي
 للواحد من اخر البيت المظوم ولا تنقف على اربعة وعشرين لطرح ذلك الواحد
 اولاً ثم ضع الدور الثاني واُضف حروف الدور الاول الى ثمانية الخارجة من
 ضرب الطالع والدور في السلطان تكن سبعة عشر الباقي خمسة فاصعد في ضلع ثمانية
 بمجمعة من حيث انتهيت في الدور الاول وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بسعة عشر
 ثم بمجمعة ولا تعد الحالي والدور عشرين فوجدنا حرف تاء ختماية وانما هو نون لان
 دورنا في مرتبة العشرات فكانت الخمسمائة بخمسين لاف دورها سعة عشر فلولم تكن
 سبعة عشر لكات مئين فاثبت نون ثم ادخل بمجمعة ايضاً من اوله وانظر ما حاذى ذلك
 من السطح تجد واحداً فقهر العدد واحداً يقع على خمسة اضف لما واحد السطح تكون
 ستة اثبت واحداً وعلم عليها من بيت القصيد اربعة واضفها للثمانية الخارجة من ضرب الطالع

مع الدور في السلطان تبلغ اثني عشر اضعف لها الباقي من الدور الثاني وهو خمسة تبلغ سبعة عشر وهو ما للدور الثاني فدخلنا سبعة عشر في حروف الاوتار فوقع العدد على واحد اثبت الالف وعلم عليها من بيت القصيد واسقط من حروف الاوتار ثلاثة حروف عدة الخارج من الدور الثاني وضع الدور الثالث واضف خمسة الى ثمانية تكن ثلاثة عشر الباقي واحد انقل الدور في ضلع ثمانية بواحد وادخل في بيت القصيد بثلاثة عشر وخذ ما وقع عليه العدد وهو ق وعلم عليه وادخل ثلاثة عشر في حروف الاوتار وانت ما خرج وهو سين وعلم عليه من بيت القصيد ثم ادخل ما يلي السين الخارجة بالباقي من دور ثلاثة عشر وهو واحد فخذ ما يلي حرف سين من الاوتار فكان ب انتنها وعلم عليها من بيت القصيد وهذا يقال له الدور المعطوف وميزانة صحيح وهو ان نصف ثلاثة عشر بمثلها وتضيف اليها الواحد الباقي من الدور تبلغ سبعة وعشرين وهو حرف باء المستخرج من الاوتار من بيت القصيد وادخل في صدر الجدول بثلاثة عشر وانظر ما قالته من السطح واضعفت بمثلها ورد عليه الواحد الباقي من ثلاثة عشر فكان حرف حيم وكانت للجملة سعة فذلك حرف زاي فاتناء وعلمنا عليه من بيت القصيد وميزانة ان تصعب السعة بمثلها ورد عليها الواحد الباقي من ثلاثة عشر يكن خمسة عشر وهو الخامس عشر من بيت القصيد وهذا اخر ادوار الثلاثيات وضع الدور الرابع وله من العدد تسعة ماضافة الباقي من الدور السابق فاضرب الطالع مع الدور في السلطان وهذا الدور اخر العمل في البيت الاول من الرباعيات فاضرب على حرفين من الاوتار واصعد تسعة في ضلع ثمانية وادخل تسعة من دور الحرف الذي اخذته اخر من بيت القصيد فالتاسع حرف راه فاثنته وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بتسعة وانظر ما قالها من السطح يكون ج قهقر العدد واحداً يكون الف وهو الثاني من حرف الراء من بيت القصيد فاثنته وعلم عليه وعد ما يلي الثاني تسعة يكون الفاً ايضاً اثنته وعلم عليه واضرب على حرف من الاوتار واضعفت تسعة بمثلها تبلغ ثمانية عشر وادخل بها في حروف الاوتار تنقف على حرف راه اثنتها وعلم عليها من بيت القصيد ثمانية واربعين وادخل ثمانية عشر في حروف الاوتار تنقف على س انتنها وعلم عليها اثنتين واضف اثنتين الى تسعة تكن احد عشر وادخل في صدر الجدول باحد عشر نقابلها من السطح الف اثنتها وعلم عليها ستة وضع الدور الخامس وعدته سعة عشر الباقي خمسة اصعد بخمسة في ضلع ثمانية واضرب على حرفين من الاوتار واضعفت خمسة بمثلها واصفها الى سبعة عشر عدد دورها الجملة سبعة وعشرون وادخل بها في حروف

الاوتار تقع على ب اثنتا وعلم عليها اثنين وثلاثين واطرح من سبعة عشر اثنين التي هي في
 اثنى اثنين وثلاثين الباقي خمسة عشر ادخل بها في حروف الاوتار تقف على ق اثنتا وعلم
 عليها ستة وعشرين وادخل في صدر الجدول بست وعشرين تقف على اثنين بالغبار
 وذلك حرف ب اثنتا وعلم عليه اربعة وخمسين واضرب على حرفين من الاوتار وضع
 الدور السادس وعدته ثلاثة عشر الباقي منه واحد فتبين اذ ذاك ان دور النظم من خمسة
 وعشرين فان الادوار خمسة وعشرون وسبعة عشر وخمسة وثلاثة عشر وواحد فاضرب
 خمسة في خمسة تكن خمسة وعشرين وهو الدور في نظم البيت فانقل الدور في ضلع ثمانية
 بواحد ولكن لم يدخل في بيت القصيد بثلاثة عشر كما قدمناه لانه دور ثان من نشأة تركيبية
 ثانية بل اضفنا الاربعة التي من اربعة وخمسين الخارجة على حروف ب من بيت القصيد
 الى الواحد تكون خمسة تضاف خمسة الى ثلاثة عشر التي للدور تبلغ ثمانية عشر ادخل بها
 في صدر الجدول وخذ ما قابلها من السطح وهو الف اثنتا وعلم عليه من بيت القصيد اثني
 عشر واضرب على حرفين من الاوتار ومن هذا الجدول تنظر احرف السؤال وما خرج
 منها زده مع بيت القصيد من اخره وعلم عليه من حروف السؤال ليكون داخلاً في العدد
 في بيت القصيد وكذلك تفعل بكل حرف حرف بعد ذلك مناسباً لحروف السؤال
 فما خرج منها زده الى بيت القصيد من اخره وعلم عليها ثم اضع الى ثمانية عشر ما علمته على
 حرف الالف من الاحاد فكان اثنين تبلغ الجملة عشرين ادخل بها في حروف الاوتار
 تقف على حرف راء اثنتا وعلم عليه من بيت القصيد ستة وتسعين وهو نهاية الدور في
 الحرف الوترى فاضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور السابع وهو ابتداء لاختراع ثان
 ينشأ من الاختراعين ولهذا الدور من العدد تسعة تضاف لها واحداً تكون عشرة للنشأة
 الثانية وهذا الواحد تزيده بعد الى اثني عشر دوراً اذا كان من هذه النسبة او تنقصه
 من الاصل تبلغ الجملة خمسة عشر فاصعد في ضلع ثمانية وتسعين وادخل في صدر الجدول
 بعشرة تقف على خمسمية وانما هي خمسون نون مضاعفة بمثلها وتلك ق اثنتا وعلم عليها من
 بيت القصيد اثنين وخمسين واسقط من اثنين وخمسين اثنين واسقط تسعة التي للدور
 الباقي واحد واربعون فادخل بها في حروف الاوتار تقف على واحد اثنتا وكذلك ادخل
 بها في بيت القصيد تجد واحداً فهذه ميزان هذه النشأة الثانية فعلم عليه من بيت القصيد
 علامتين علامة على الالف الاخير الميزاني واخرى على الالف الاولى فقط والثانية اربعة
 وعشرون واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور الثامن وعدته سبعة عشر الباقي

خمسة ادخل في ضلع ثمانية وخمسين وادخل في بيت القصيد بخمسة تقف على عين بسبعين اثنيها وعلم عليها وادخل في المجدول بخمسة وخذ ما قبالها من السطح وذلك واحد اثني وعلم عليه من البيت ثمانية واربعين واسقط واحداً من ثمانية واربعين للأس الثاني واضف اليها خمسة الدور المجمل اثنان وخمسون ادخل بها في صدر المجدول تقف على حرف غبارية وهي مرتبة مثنية لتزايد العدد فتكون مائتين وهي حرف راء اثنيها وعلم عليها من القصيد اربعة وعشرين فانتقل الامر من ستة وتسعين الى الابتداء وهو اربعة وعشرون فاضف الى اربعة وعشرين خمسة الدور واسقط واحداً تكن المجمل ثمانية وعشرين ادخل بالنصف منها في بيت القصيد تقف على ثمانية اثني^٢ وعلم عليها وضع الدور التاسع وعدده ثلاثة عشر الباقي واحد اصعد من ضلع ثمانية بواحد اصعد في ثمانية بواحد وليست نسبة العمل هنا كسبها في الدور السادس لتضاعف العدد ولاهمة من النشأة الثانية ولانه اول الثلث الثالث من مربعات البروج واخر الستة الرابعة من المثلثات فاضرب ثلاثة عشر التي للدور في اربعة التي هي مثلثات البروج السابقة المجمل اثنان وخمسون ادخل بها في صدر المجدول تقف على حرف اثنين غبارية وانما هي مثنية لتجاوزها في العدد عن مرتبتي الاحاد والعشرات فاثني مائتين راء وعلم عليها من بيت القصيد ثمانية واربعين واضف الي ثلاثة عشر الدور واحد الاس وادخل باربعة عشر في بيت القصيد تبلغ ثمانية فعلم عليها ثمانية وعشرين واطرح من اربعة عشر سبعة يبقى سبعة اضرب على حرفين من الاوتار وادخل بسبعة تقف على حرف لام اثني وعلم عليه من البيت وضع الدور العاشر وعدده تسعة وهذا ابتداء المثلثة الرابعة واصعد في ضلع ثمانية بتسعة تكون خلا فاضد بتسعة ثانية نصير في السابع من الابتداء اضرب تسعة في اربعة لصعودنا بتسعين وانما كانت تضرب في اثنين وادخل في المجدول بستة وثلاثين تقف على اربعة زمامية وهي عشرية فاخذناها احادية لقللة الادوار فاثبت حرف دال وان اصبحت الى ستة وثلاثين واحد الاس كان حدها من بيت القصيد فعلم عليها ولو دخلت بالتسعة لاغير من غير ضرب في صدر المجدول لوقف على ثمانية فاطرح من ثمانية اربعة الباقي اربعة وهو المقصود ولو دخلت في صدر المجدول بثانية عشر التي هي تسعة في اثنين لوقف على واحد زمامي وهو عشري فاطرح منه اثنين تكرر التسعة الباقي ثمانية نصفها المطلوب ولو تدخل في صدر المجدول بسبعة وعشرين بضربها في ثلاثة لوقعت على عشرة زمامية والعمل واحد ثم ادخل بتسعة في بيت القصيد واثبت ما خرج وهو الف ثم اضرب تسعة في ثلاثة التي هي مركب تسعة

الماضية واسقط واحدًا وادخل في صدر الجدول ستة وعشرين واثبت ما خرج وهو مائتان
 بحرف راء وعلم عليه من بيت القصيد ستة وتسعين واضرب على حرفين من الاوتار وضع
 الدور الحادي عشرة ولة سبعة عشر الباقي خمسة اصعد في ضلع ثمانية بخمسة ونحسب ما
 نكرر عليه المشي في الدور الاول وادخل في صدر الجدول بخمسة نقف على حال فخذما
 قابله من السطح وهو واحد فادخل بواحد في بيت القصيد تكن سين اثنية وعلم عليها ربعة
 ولو يكون الوقف في الجدول على بيت عامر لاثبتنا الواحد ثلاثة واضعف سبعة عشر بمثلها
 واسقط واحد واضعنها بمثلها وزدها اربعة تبلغ سبعة وثلاثين ادخل بها في الاوتار نقف
 على ستة اثبتها وعلم عليها واضعف خمسة بمثلها وادخل في البيت نقف على لام اثبتها وعلم
 عليها عشرين واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور الثاني عشرة ولة ثلاثة عشر
 الباقي واحد اصعد في ضلع ثمانية بواحد وهذا الدور اخر الادوار واخر الاختراعين واخر
 المربعات الثلاثة واخر المثلثات الرباعية والواحد في صدر الجدول يقع على ثمانين زمامية
 وانما هي احاد ثمانية وليس معتلن من الادوار الا واحد فلو زاد عن اربعة من مربعات
 اثني عشر او ثلاثة من مثلثات اثني عشر لكانت ح وانما هي د فاثبتها وعلم عليها من بيت
 القصيد اربعة وسبعين ثم انظر ما ناسبها من السطح تكن خمسة اضعنها بمثلها للاس تبلغ
 عشرة اثبت ي وعلم عليها وانظر في اي المراتب وقعت وجدناها في الرابعة دخلنا بسبعة
 في حروف الاوتار وهذا المدخل يسمى التوليد المحرفي فكانت ف اثبتها واضف الى سبعة
 واحد الدور المجملة ثمانية ادخل بها في الاوتار تبلغ س اثبتها وعلم عليها ثمانية واضرب
 ثمانية في ثلاثة الزائدة على عشرة الدور فانها اخر مربعات الادوار بالمثلثات تبلغ اربعة
 وعشرين ادخل بها في بيت القصيد وعلم على ما يخرج منها وهو مائتان وعلامتها ستة
 وتسعون وهو نهاية الدور الثاني في الادوار المحرفية واضرب على حرفين من الاوتار وضع
 النتيجة الاولى ولها تسعة وهذا العدد يناسب ابداً الباقي من حروف الاوتار بعد طرحها
 ادواراً وذلك تسعة فاضرب تسعة في ثلاثة التي هي زائد على تسعين من حروف الاوتار
 واضف لها واحد الباقي من الدور الثاني عشر تبلغ ثمانية وعشرين فادخل بها في حروف
 الاوتار تبلغ الف اثبتة وعلم عليه ستة وتسعين وان ضربت سبعة التي هي ادوار المحروف
 التسعينية في اربعة وهي الثلاثة الزائدة على تسعين والواحد الباقي من الدور الثاني عشر
 كان كذلك واصعد في ضلع ثمانية بسبعة وادخل في الجدول بتسعة تبلغ اثنتين زمامية
 واضرب تسعة فيما ناسب من السطح وذلك ثلاثة واضف لذلك سبعة عدد الاوتار

الحرفية والطرح واحد الباقي من دور اثني عشر تبلغ ثلاثة وثلاثين ادخل بها في البيت تبلغ خمسة فائيتها واضف تسعة يمثلها وادخل في صدر الجدول ثمانية عشر وخذ ما في السطح وهو واحد ادخل به في حروف الاوتار تبلغ مائتين وعلم عليه واصرب على حرفين من الاوتار وضع النتيجة الثانية ولها سبعة عشر الباقي خمسة فاصد في ضلع ثمانية بمخمسه واصرب خمسة في ثلاثة الزائدة على تسعين تبلغ خمسة عشر اضف لها واحد الباقي من الدور الثاني عشر تكن تسعة وادخل بسنة عشر في بيت القصيد تبلغ مائتين وعلم عليه اربعة وستين واضف الى خمسة الثلاثة الزائدة على تسعين ورد واحد الباقي من الدور الثاني عشر يكن تسعة ادخل بها في صدر الجدول تبلغ ثلاثين رماية وانظر في السطح تجد واحداً مائتين وعلم عليه من بيت القصيد وهو التاسع ايضاً من البيت وادخل بتسعة في صدر الجدول نقف على ثلاثة وهي عشرات فائت لأم وعلم عليه وضع النتيجة الثالثة وعددها ثلاثة عشر الباقي واحد فانقل في ضلع ثمانية بواحد واضف الى ثلاثة عشر الثلاثة الزائدة على التسعين وواحد الباقي من الدور الثاني عشر تبلغ تسعة عشر وواحد النتيجة تكن ثمانية عشر ادخل بها في حروف الاوتار تكن لأم مائتين وهذا اخر العمل والمثال في هذا السؤال السابق اردنا ان تعلم ان هذه الزايرة علم محدث او قديم مطالع اول درجة من القوس اثنتا عشرة حروف الاوتار ثم حروف السؤال ثم الاصول وفي عدة الحروف ثلاثة وتسعون ادوارها سبعة الباقي منها تسعة المطالع واحد سلطان القوس اربعة الدور الاكثر واحد درج المطالع مع الدور اثنان ضرب المطالع مع الدور في السلطان ثمانية اضافة السلطان للمطالع خمسة بيت القصيد^(١) سؤال عظيم الحلقى حزت فصن اذن • غرائب تلك صطفاً الجمد مثلاً

حروف الاوتار ص ط هـ ر ث ك هـ م ص و ن ب هـ س ا ن ل م ن ص ع ف ص و
ر س ك ل م ن س ع ف ص ق ر س ت ث خ ذ ظ غ ش ط ي ع ح ص و ج ر و
ج ل ص ك ل م ن ص ا ب ج د هـ و ز ح ط ي

• حروف السؤال ال ز ا ي ر ج ع ل م م ح د ث ا م ق د ي م

الدور الاول ١ الدور الثاني ١٧ الباقي • الدور الثالث ١٣ الباقي ١
الدور الرابع ٦ الدور الخامس ١٧ الباقي • الدور السادس ١٣ الباقي ١
الدور السابع ٦ الدور الثامن ١٧ الباقي • الدور التاسع ١٣ الباقي ١
الدور العاشر ١٣ الدور الحادي عشر ١٧ الباقي • الدور الثاني عشر ١٣ الباقي ١
النتيجة الاولى ٦ النتيجة الثانية ١٧ الباقي • النتيجة الثالثة ١٣ الباقي ١

معجم وءءءءءءءء

١.....	س
٢.....	و
٣.....	ا
٤.....	ل
٥.....	ع
٦.....	ط
٧.....	ي
٨.....	م
٩.....	ا
١٠.....	ل
١١.....	خ
١٢.....	ل
١٣.....	ق
١٤.....	ح
١٥.....	ز
١٦.....	ت
١٧.....	ف
١٨.....	ص
١٩.....	ن
٢٠.....	ا
٢١.....	ذ
٢٢.....	ن
٢٣.....	غ
٢٤.....	ر
٢٥.....	ا
٢٦.....	ي
٢٧.....	ب
٢٨.....	ش
٢٩.....	ك
٣٠.....	ض
٣١.....	ب
٣٢.....	ظ
٣٣.....	هـ
٣٤.....	ا
٣٥.....	ل
٣٦.....	ج
٣٧.....	د
٣٨.....	م
٣٩.....	ث
٤٠.....	ل
٤١.....	ا

ف وزاوس در اساب ارق اع ارض حرجل دارس ال دعوس رادمن ال
 دورها على خمسة وعشرين ثم على ثلاثة وعشرين مرين ثم على واحد وعشرين مرين
 الى ان تنتهي الى الواحد من اخر التيت وتنقل الحروف جميعاً والله اعلم ن فد روح روح
 ال وصر ادرس رال درى س وان س دروا بلا ام رب وال ع ل ل
 هذا اخر الكلام في استخراج الاجوبة من زايحة العالم منظومة وللقوم طرائق اخرى
 مرف غير الزايحة يستخرجون بها اجوبة المسائل غير منظومة وعندم ان السر في استخراج
 الجواب منظوماً من الزايحة انما هو مزجهم بيت مالك بن وهيب وهو سوال عظيم الخلق
 البيت ولذلك يخرج الجواب على روي واما الطرق الاخرى فيخرج الجواب غير منظوم
 فمن طرائقهم في استخراج الاجوبة ما تنقله . قال بعض المحققين منهم

فصل في الاطلاع على الاسرار الخفية من جهة الاربعاطات الحرفية

اعلم اوشدنا الله وايك ان هذه الحروف اصل الاسئلة في كل قضية وانما تستخرج
 الاجوبة على تجزئتها بالكلية وهي ثلاثة واربعون حرفاً كما ترى والله علام الغيوب اول اع
 طس ال م خ ي د ل ز ق ت ا ر ذ ص ف ن غ ش ا ك ي ب م ض ب ح ط ل ج
 . د ن ل م ا .

وقد نظمها بعض النضلاء في بيت جعل فيوكل حرف مشدد حرفين وسماه القطب فقال
 سوال عظيم الخلق حزت فصن اذن غرايب شك ضبطه الجد مثلاً
 فاذا اودت استنتاج المسئلة فاحذف ما تكرر من حروفها واثبت ما فضل منه ثم
 احذف من الاصل وهو القطب لكل حرف فعمل من المسئلة حرفاً يملأه واثبت ما فضل
 منه ثم امزج النضلين في سطر واحد تبداً بالاول من فضله والثاني من فضل المسئلة وهكذا
 الى ان يتم النضلان او ينفذ احدهما قبل الاخر فتضع البقية على ترتيبها فاذا كان عدد
 الحروف الخارجة بعد المزج موافقاً لعدد حروف الاصل قبل الحذف فالعمل صحيح
 فحيث تضيف اليها خمس نونات لتعدل بها الموازين الموسيقية وتكمل الحروف ثمانية
 واربعين حرفاً فتعبر بها جدولاً مربعاً يكون اخرها في السطر الاول اول ما في السطر
 الثاني وتنقل البقية على حالها وهكذا الى ان يتم عمارة الجدول ويعود السطر الاول بعينه
 وتتوالى الحروف في القطر على نسبة الحركة ثم تخرج وتركل حرف بقسمة مربعة على
 اعظم جزء يوجد لتوضع الوتر مقابل الحرف ثم تستخرج النسب العنصرية للحروف الجدولية
 وتعرف قوتها الطبيعية وموازينها الروحانية وغنائرها التفسانية واسوسها الاصلية من

المجدول الموضوع لذلك وهذه صورته

الفوى	الملازمين	الفرائر	الاسوس	و	الملازمين	الاسوس
ب ٥٢٨	٥٢٨	٥٢٨	٥٢٨	٥٢٨	٥٢٨	٥٢٨
ج ٥٢٩	٥٢٩	٥٢٩	٥٢٩	٥٢٩	٥٢٩	٥٢٩
د ٥٣٠	٥٣٠	٥٣٠	٥٣٠	٥٣٠	٥٣٠	٥٣٠
هـ ٥٣١	٥٣١	٥٣١	٥٣١	٥٣١	٥٣١	٥٣١
و ٥٣٢	٥٣٢	٥٣٢	٥٣٢	٥٣٢	٥٣٢	٥٣٢
ز ٥٣٣	٥٣٣	٥٣٣	٥٣٣	٥٣٣	٥٣٣	٥٣٣
ح ٥٣٤	٥٣٤	٥٣٤	٥٣٤	٥٣٤	٥٣٤	٥٣٤
ط ٥٣٥	٥٣٥	٥٣٥	٥٣٥	٥٣٥	٥٣٥	٥٣٥
ي ٥٣٦	٥٣٦	٥٣٦	٥٣٦	٥٣٦	٥٣٦	٥٣٦
٥٣٧	٥٣٧	٥٣٧	٥٣٧	٥٣٧	٥٣٧	٥٣٧
٥٣٨	٥٣٨	٥٣٨	٥٣٨	٥٣٨	٥٣٨	٥٣٨
٥٣٩	٥٣٩	٥٣٩	٥٣٩	٥٣٩	٥٣٩	٥٣٩
٥٤٠	٥٤٠	٥٤٠	٥٤٠	٥٤٠	٥٤٠	٥٤٠

٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠

ثم تأخذ وتر كل حرف بعد ضروبي اسوس اوتاد الملك الاربعة واحذر ما يلي
الوتاد وكذلك السواफलان نستهما مصطربة وهذا الخارج هواول رتب السريان
ثم تأخذ مجموع العناصر وتخط منها اسوس المولدات بقى اس عالم الخلق بعد عروضه
للمدد الكوبية فتمحل عليه بعض المحدثات عن المواد وهي عناصر الامداد يخرج افق
النفس الاوسط وتطرح اول رتب السريان من مجموع العناصر بقى عالم التوسط وهذا
مخصوص بعالم الاكوان السبطة لالمركبة ثم تصرب عالم التوسط في افق النفس الاوسط
بمخرج الافق الاعلى فتمحل عليه اول رتب السريان ثم تطرح من الرابع اول عناصر
الامداد الاصلي بقى ثالث رتبة السريان فتصرب مجموع اجزاء العناصر الاربعة ابدأ
في رابع مرتبة السريان يخرج اول عالم التفصيل والثاني في الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل
والثالث في الثالث يخرج ثالث عالم التفصيل والرابع في الرابع يخرج رابع عالم التفصيل
فجميع عوالم التفصيل وتخط من عالم الكل بقى العوالم المجردة تنقسم على الافق الاعلى
بمخرج الجزء الاول ويقسم المكسر على الافق الاوسط بمخرج الجزء الثاني وما انكسر من
الثالث ويتعين الرابع هذا في الرباعي وان شئت أكثر من الرباعي فتستكثر من عوالم
التفصيل ومن رتب السريان ومن الاوافق بعد الحروف والله يرشدنا وإياك وكذلك

اذا قسم عالم الفريد على اول رتب السريان خرج الجزء الاول من عالم التركيب وكذلك
 الى نهاية الرتبة الاخره من عالم الكون فافهم وتدبر والله المرشد المعين . ومن طريقهم
 ايضاً في استخراج الجواب قال بعض المحققين منهم لعلم ايدنا الله وايك بروج منه ان علم
 الحروف جليل يتوصل العالم به لما لا يتوصل بغيره من العلوم المتداولة بين العالم والعمل
 به شرائط تلزم وقد يستخرج العالم اسرار الخليفة وسرار الطبيعة فيطلع بذلك على نتيجتي
 الفلسفة اعني السيميا واختها ويرفع له حجاب الجهولات ويطلع بذلك على مكنون خبايا
 القلوب وقد شهدت جماعة بارض المغرب من اتصل بذلك فظهر الغرائب وخرق
 العوائد ونصرف في الوجود بتأييد الله واعلم ان ملاك كل فضيلة الاجتهاد وحسن الملكة
 مع الصبر مفتاح كل خير كما ان الحرق والجملة راس الحرمان فاقول اذا اردت ان تعلم
 قوة كل حرف من حروف الفايطوس اعني ايجاد المخ العدد وهذا اول مدخل من علم
 الحروف فانظر ما لذلك الحرف من الاعداد فتلك الدرجة التي هي مناسبة للحرف في
 قوته في جسمانيات ثم اضرب بالعدد في مثله فخرج لك قوته في الروحانيات وهي وترو
 وهذا في الحروف المنقوطة لا يتم بل يتم لغير المنقوطة لان المنقوطة منها مراتب لمعان
 باقي عليها البيان فيما بعد واعلم ان لكل شكل من اشكال الحروف شكلاً في العالم العلوي
 اعني الكرسي ومنها المخرك والساكن والعلوي والسفلي كما هو مرقوم في اماكن من الجداول
 الموضوعة في الزيارج واعلم ان قوى الحروف ثلاثة اقسام الاول وهو اقلها قوة تظهر بعد
 كتابتها فتكون كتابته لعالم روحاني مخصوص بذلك الحرف المرسوم فتخرج ذلك
 الحرف بقوة نفسانية وجمع هذه كانت قوى الحروف موثرة في عالم الاجسام الثاني قوتها في
 الهيئة الفكرية وذلك ما يصدر عن تصريف الروحانيات لها فهي قوة في الروحانيات
 العلويات وقوة شكلية في عالم الجسمانيات الثالث وهو ما يجمع الباطن اعني القوة
 النفسانية على تكوينه فتكون قبل النطق به صورة في النفس بعد النطق به صورة في
 الحروف وقوة في النطق واما طبائنها فهي الطبيعيات المنسوبة للتولدات في الحروف
 وهي الحرارة واليبوسة والحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة والبرودة والرطوبة فهذا
 سر العدد الياني والحرارة جامعة للهواء والنار وهما ا ه ط م ف ش ذ ج زك س ق ث ظ
 والبرودة جامعة للهواء والماء ب وي ن ص ت ض د ج ل ع ر خ غ واليبوسة جامعة
 النار والارض ا ه م ط ف ش ذ ب وي ن ص ت ض د^(١) فهذه نسبة حروف الطبائع
 ١ لعل هذه عبارة بعض المخارقة لان هذا ترتيب المشاركة لا ترتيب المغاربة الذي قدمه في صفحه ٢٤٥ قاله نصر

وتداخل اجزاء بعضها في بعض وتداخل اجزاء العالم فيها علويات وسفليات باسباب
الامهات الاول اعني الطالع الاربع المنفردة متى اردت استخراج مجهول من مسئلة ما
فمحقق طالع السائل او طالع مسئلة راسنطقى حروف اوتادها الاربعة الاول والرابع
والسابع والعاشر مستوية مرتبة واستخرج اعداد القوى والوتاد كما مسين واحمل والنسب
واستنتج الجواب يخرج لك المطلوب اما بصريح اللفظ او بالمعنى وكذلك في كل مسئلة
تقع لك بيانه اذا اردت ان تستخرج قوى حروف الطالع مع اسم السائل والحاجة فاجمع
اعدادها بالحمل الكبير فكان الطالع الحمل رابعة السرطان ساعة الميزان عشرة المجدي
وهو اقوى هذه الوتاد فاسقط من كل برج حرفي التعريف وانظر ما يخص كل برج
من الاعداد المنطقة الموضوعة في دائرتها واحذف اجزاء الكسر في النسب الاستنطاقية
كلها وانبت تحت كل حرف ما يخصه من ذلك ثم اعداد حروف العناصر الاربعة وما
يخصها كالاول وارسم ذلك كلمة احرفاً ورتب الوتاد والقوى والفرائس سطر متزجاً
وكسروا ضرب ما يضرب لاستخراج الموازين واجمع واستنتج الجواب يخرج لك الضمير
وجوابه مثالة افرض ان الطالع الحمل كما تقدم ترسم ح م ل فلحاء من العدد ثمانية لها
النصف والرابع والثمن دب الميم لها من العدد اربعون لها النصف والرابع والثمن
والعشر ونصف العشر اذا اردت التدقيق م ك ي ه دب اللام لها من العدد ثلاثون لها
النصف والثلاثان والثالث والخميس والسادس والعشرون ه ح وهكنا تفعل بسائر
حرف والمثلة والاسم من كل لفظ يقع لك ولما استخراج الوتاد فهو ان تقسم مربع كل
حرف على اعظم جزء يوجد له مثالة حرف دله من الاعداد اربعة مربعها ستة عشر
اقسمها على اعظم جزء يوجد لها وهو اثنان يخرج وتر الدال ثمانية ثم تضع كل وتر مقابلاً
لحرفه ثم تستخرج السبب العنصرية كما تقدم في شرح الاستنطاق ولها قاعدة تطرق في
استقراجها من طبع الحروف وطبع البيت الذي يحمل فيه من المجدول كما ذكر الشيخ لمن
عرف الاصطلاح والله اعلم

فصل في الاستدلال على ما في الضمائر الخفية بالقوانين الحرفية

وذلك لو سأل سائل عن عليل لم يعرف مرضه ما علته وما الموافق لبرئ منه مر
السائل ان يسمى ما شاء من الاشياء على اسم العلة المجهولة لتعمل ذلك الاسم قاعدة لك
ثم استطلق الاسم مع اسم الطالع والعناصر والسائل واليوم والساعة ان اردت التدقيق
في المسئلة والاقتصرت على الاسم الذي هما السائل وفعلت به كما بين فاقول مثلاً سى

المائل فرساقابت الحروف الثلاثة مع اعدادها المنطقية يائة ان للفاء من العدد ثمانين
ولها مكي ح ب ثم الراء لها من العدد مائتان ق ن ك كي ثم السين لها من العدد
ستون ولها م ل كه فالواو عدد تام له ح ب والسين مثله ولها م ل كه فاذا سطلت
حروف الاسماء وجدت عنصرين متساويين فاحكم لاكثرهما حروفاً بالغلبة على الاخر
ثم احمل عدد حروف عناصر اسم المطلوب وحروفه دون سطر وكذلك اسم الطالب
واحكم للاكثر والاقوى باللغة

وصفة قوى استخراج العناصر

(بياض الخ) فتكون الغلبة هنا للتراب وطبعة البرودة واليوسفة طبع السوداء فتفكم على
المريض بالسوداء فاذا الت من حروف الاستنطاق كلاماً على نسبة تقريبية خرج موضع
الوجع في الحلق وبواقفة من الادوية حقنة من الاشارة شراب الليمون هنا ما خرج من
قوى اعناد حروف اسم فرس وهو مثال تقريبي مختصر واما استخراج قوى العناصر من
الاسماء العلمية فهو ان تسمى مثلاً محمد فتسم احرفه مقطعة ثم تصنع اسماء العناصر الاربع
على ترتيب المالك يخرج لك ما في كل عنصر من الحروف والعدد ومثاله

باري	تري	هواي	مائي
١١١	ببب	تتتتت	دددد
...	ووو	رررررر	ححححح
ططط	ي ي ي	كككككك	ل ل ل ل ل
٢٢٢	ن ن ن	ص ص ص ص ص	ع ع ع ع ع
ففف	ض ض ض	ق ق ق ق ق	ر ر ر ر ر
سس س	ث ث ث	ث ث ث ث ث	ت ت ت ت ت
ذ ذ ذ	ظ ظ ظ	ع ع ع ع ع	ش ش ش ش ش

فتجد اقوى هذه العناصر من هذا الاسم المذكور عنصر الماء لانه عدد حروفه
عشرون حرفاً فجعلت له الغلبة على بقية عناصر الاسم المذكور وهكذا يعمل بجميع الاسماء
حينئذ تصاف الى اوتارها اولون المنسوب للطالع في الربوطة اولون البيت المنسوب
لمالك وهو هيب الذي جعله قاعدة لمرج الاسئلة وهو هذا *

سؤال عظيم الخلق حرت فص اذن غرايب تلك صفة الجذ مثلاً
وهو وتر مجهول لاستخراج الجهولات وعليه كان يعتمد ابن الرقام واصحابه وهو

عمل تام قائم بنفسه في المثالات الوصية وصمة العمل بهذا الوتر المذكور ان ترسمه مقطعا
متزجا بالماظ السؤال عن قانون صفة التكسير وعدة حروف الوتر اعني البت
ثلاثة واربعون حرفا لان كل حرف يشدد من حرفين ثم تحذف ما تكرر عند المزج من
الحروف ومن الاصل لكل حرف فضل من المسئلة حرفا بماتلة وتثبت الصلين سطرًا
متزجا بعضه بعض الحروف الاول من فصلة القطب والثاني من فضلة السؤال حتى
يتم الصلتان جميعا فتكون ثلاثة واربعين فتصيف اليها خمس نوبات ليكون ثمانية واربعين
لتعدل بها الموازين الموسيقية ثم تضع الصلة على ترتيبها فان كان عدد الحروف الخارجة
بعد المزج يوافق العدد الاصلي قل المحذف فالعمل صحيح ثم عرما مزجت جدولا
مرعا يكون اخرها في السطر الاول اول ما في السطر الثاني وعلى هذا السقي حتى يعود
السطر الاول بعينه وتوالي الحروف في القطر على سبة الحركة ثم تخرج وتر كل حرف
كما تقدم ^(١) ونصعة مقابلا لحروفه ثم تسخرج السب المصرية للحروب الجدولية لتعرف
قوتها الطبيعية وموازيها الروحانية وغرائرها المسانية واسوسها الاصلية من المجدول
المصوغ لذلك وصمة استخراج السب المصرية هو ان تنظر الحرف الاول من المجدول
سنة وطبيعة البت الذي حل فيه فان انتقت فحس والافاضت فخرج بين الحرفين
تسع هذا القانون في جميع الحروف الجدولية وتحقيق ذلك سهل على من عرف
قوتها هو مقرر في دوائرها الموسيقية ثم تاخذ وتر كل حرف بعد ضربه في اسوس
اوتار تلك الاربعة كما تقدم واحدا ما يلي الاوتاد وكذلك السواقط لان نسبتها
مصرية وهذا الذي يخرج لك هو اول مراتب السريان ثم تاخذ مجموع العاصر وتخط
منها اسوس المولدات يبقى اس عالم الخلق بعد عروضه للعدد الكونية فتحمل عليه بعض
المجرات عن المواد وهي عباصر الامداد يخرج افق المس الاوسط وتطرح اول رتب
السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط وهذا مخصوص بعوالم الاكوان البسيطة
لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في افق المس الاوسط يخرج الافق الاعلى فتحمل عليه
اول رتب السريان ثم تطرح من الرابع اول عناصر الامداد الاصلي يبقى ثالث رتبة
السريان ثم تضرب مجموع اجزاء العاصر الاربعة ابدأ في رابع رتب السريان يخرج
اول عالم التصيل والثاني في الثاني يخرج ثاني عالم التصيل وكذلك الثالث والرابع
فتجميع عوالم التصيل وتخط من عالم الكل تبقى العوالم المجردة فتقسم على الافق الاعلى

١ قاله كما تقدم اي في اول الصفحة ٢٥٨ فان هذه العارة تكرر لما تقدم هناك قاله نصر الموريني

يخرج الجزء الاول ومن هنا يطرد العمل في الثامنة وله مقامات في كتب ابن وحشية
والبوئي وغيرها وهذا التدبير يجري على القانون الطبيعي الحكيم في هذا الفن وغيره من
فنون الحكمة الالهية وعليه مدار وضع الزياجر الحرفية والصعقة الالهية والبيرجات الفلسفية
والله الملمم وبه المستعان وعليه التكلان وحسبنا الله ونعم الوكيل

الفصل الرابع والعشرون

في علم الكيمياء

وهو علم يظفر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة والصناعة ويشرح العمل
الذي يوصل الى ذلك فينبههمون المكونات كلها بعد معرفة امرجنها وقواها لعلم بعثرون
على المادة المستعدة لذلك حتى من المصلاات المحبوبة كالعظام والريش والبيض
والعدرات فصلاً عن المعادن ثم يشرح الاعمال التي تخرج بها تلك المادة من القوة الى
العمل مثل حل الاحسام الى اجزائها الطبيعية بالتصعيد والتقطير وحمد الدائب منها
بالتفليس وامهاء الصلب بالتهر والصلابة وامثال ذلك وفي رعمهم انه يخرج بهذه الصاعات
كلها جسم طبيعي يستوفى الاكسيراوانه يلقى منه على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة
الذهب او الفضة بالاستعداد القريب من العمل مثل الرصاص والقصدير والفساس
بعد ان يحى بالاربعوددها اربزا او يكون عن ذلك الاكسيراوا الغزوا اصطلاحاتهم
بالروح وعن الجسم الذي يلقى عليه بالجسد فشرح هذه الاصطلاحات وصورة هذا العمل
الصاعمي الذي يقبل هذه الاجساد المستعدة الى صورة الذهب والفضة هو علم الكيمياء
وما زال الناس يولون فيها قديماً وحديثاً وربما يمرى الكلام فيها الى من ليس من اهلها
وامام المدوين فيها جارين حيان حتى انهم يخصونها به فيسمونها علم جاور وله فيها سبعون
رسالة كلها شبيهة بالالعار وزعموا انه لا يفتح مقلها الا من احاط علماً بجميع ما فيها
والطغراعي من حكماء المشرق المتأخرين له فيها دولوين ومناظرات مع اهلها وغيرهم من
الحكماء وكتب فيها سلسلة المجرطي من حكماء الاندلس كناية الذي سماه رتبة الحكميم وجعله
قريباً لكتابه الاخر في الصهر والطلسمات الذي سماه عاية الحكميم ورعم ان هاتين الصناعتين
هما شيعتان للحكمة وثمرتان للعلوم ومن لم يقف عليها هو فاقد ثمره العلم والحكمة اجمع وكلامه
في ذلك الكتاب وكلامهم اجمع في تأليفهم في الغاز يتعذر فهمها على من لم يعان اصطلاحاتهم
في ذلك. ونحن نذكر سبب عدولهم الى هذه الرموز في الالغاز ولان المغيري من ائمة هذا

الشان كلمات شعرية على حروف المجد من ادع ما يجيء في الشعر ملفوفة كلها لغز
 الاحاجي والمعاينة فلا تكاد تفهم وقد ينسبون للغزالي رحمه الله بعض التاكيف فيها وليس
 يصحح لان الرجل لم تكن مداركه العالية لتقف عن خطأ ما يدهسون اليه حتى يخطئه
 وربما نسل بعض المذاهب والاقوال فيها لحالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن
 الحكم ومن المعلوم الذين ان خالداً من الجيل العربي والناوة اليه اقرب فهو بعيد عن
 العلوم والصنائع بالجملة فكيف له بصناعة غريبة المحي منية على معرفة طوائع المركبات
 وامزجتها وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم اللهم
 الا ان يكون خالداً بن يزيد اخر من اهل الممالك الصاعدة تشبه باسمه ممكن . واما
 انقل لك هارسالة الي بكر بن شروان لاني السمع في هذه الصناعة وكلاهما من تليد
 مسجلة فيستدل من كلامه فيها على ما ذهب اليه في شأنها اذا اعطينة حقة من التامل
 قال اس شروان بعد صدر من الرسالة خارج عن الغرض والمقدمات التي لهذه
 الصناعة الكريمة قد ذكرها الاولون واقتص جميعها اهل الفلسفة من معرفة تكوين المعادن
 وتخلق الاحجار والجواهر وطباع النافع والاماكن معما اشتهارها من ذكرها ولكن اي
 لك من هذه الصنعة ما يحتاج اليه فتدأ بمعرفته فقد قالوا ينبغي لطلاب هذا العلم ان
 يعلموا اولاً ثلاث حاصل اولها هل تكون والثانية من اي تكون والثالثة من اي كيف
 تكون فاذا عرف هذه الثلاثة واحكمها فقد ظهر بمطلوبه وبلغ نهايته من هذا العلم واما
 البحث عن وجودها والاستدلال عن تكونها فقد كمياكة بها بعضا به اليك من الاكسير
 واما من اي تي تكون فاما يريدون بذلك البحث عن الحجر الذي يمكنه العمل وان كان
 العمل موجوداً من كل شيء بالقوة لانها من الطبايع الاربع منها تركت ابتداء واليها
 ترجع انتهاء ولكن من الانتهاء ما يكون فيه بالقوة ولا يكون بالفعل وذلك ان منها ما
 يمكن تفصيلها ومنها ما لا يمكن تفصيلها فالتى يمكن تفصيلها تعالج وتدروهي التي تخرج من
 القوة الى العمل والتي لا يمكن تفصيلها لاتعالج ولا تدبر لانها فيها بالقوة فقط واما لم يمكن
 تفصيلها لاستغراق بعض طوائعها في بعض وفصل قوة الكبير منها على الصغير فينبغي لك
 وفلك الله ان تعرف اوفق الاحجار المصصلة التي يمكن فيها العمل وحسنه وقوته وعمله
 وما يدر من الحبل والعقد والتقية والتكليس والتضييع والتقليب فان من لم يعرف هذه
 الاصول التي هي عماد هذه الصنعة لم ينفع ولم يطدر بحجر انداء وينبغي لك ان تعلم هل يمكن
 ان يستعان عليه بغيره او يكتب به وحده وهل هو واحد في الانتهاء او شاركة غيره

فصار في التدبير واحداً فسي جبراً وينبغي لك ان تعلم كيفية علمه وكيفية اورانه وارما به
وكيف تركيب الروح فيو والخال المس عليه وهل تقدر النار على تفصيلها منه بعد
تركيبها فان لم تقدر فلاي علة وما السبب الموجب لذلك فان هذا هو المطلوب فافهم
واعلم ان اللامسة كلها مدحت النفس وزعمت انها المدرة للحسد والحاملة له والدافعة
عنه والداعلة فيو وذلك ان الجسد اذا خرجت النفس منه مات وبرد فلم يقدر على الحركة
والامتناع من غيره لانه لا حياة فيه ولا نور وانما ذكرت الحسد والمس لان هذه الصفات
شبهة بجسد الانسان الذي تركبته على الغذاء والعشاء وقوامه ونماه بالمس الحية الوراثة
التي بها يعمل العظام والاشياء المتقابلة التي لا يقدر عليها غيرها بالقوة الحية التي فيها
وانما اسعمل الانسان لاختلاف تركيب طوائفه ولو اتفقت طائفة لسلت من الاعراض
والنصاد ولم تقدر المس على الخروج من بدنه ولكن خالداً قابلاً فسبحان مدبر الاشياء
تعالى . واعلم ان الطوائع التي يحدث عنها هذا العمل كيفية دافعة في الانتداء فيضية
محتاجه الى الانتهاء وليس لها افا صارت في هذا الحد ان تسهيل الى مائة تركت كما
قلناه انما في الانسان لان طوائع هذا الجوهر قد لزم بعضها بعضاً وصارت شيئاً واحداً
شبهها بالمس في قوتها وفعلها والجسد في تركيبه ومحسنه بعد ان كانت طوائع مفردة
باعيائها فيا عجباً من افعال الطوائع ان القوي للضعيف الذي يقوى على تفصيل الاشياء
وتركيبها ونماها فلذلك قلت قوي وضعيف وانما وقع التغيير والفناء في التركيب الاول
للاختلاف وعدم ذلك في الثاني للاتفاق . وقد قال بعض الاولين التفتيح والتفتيح
في هذا العمل حياة ونقاء والتركيب موت وفناء وهذا الكلام دقيق لمعنى لان الحكميم
اراد بقوله حياة وبنا خروجه من العدم الى الوجود لانه ما دام على تركيبه الاول فهو
فان لا يحالة فاذا ركب التركيب الثاني عدم الماء والتركيب الثاني لا يكون الا بعد
التفصيل والتفتيح فاذا التفتيح والتفتيح في هذا العمل خاصة فاذا بقي الجسد المحلول
اسسط فيو لعدم الصورة لانه قد صار في الجسد بمنزلة النفس التي لا صورة لها وذلك انه
لا ورلة فيه وسترى ذلك ان شاء الله تعالى وقد ينبغي لك ان تعلم ان اختلاط
اللطيف باللطيف اهن من اختلاط الغليظ بالغليظ وانما اريد بذلك التشاكل في
الارواح والاجساد لان الاشياء تتصل باتسكالها وذكرت لك ذلك لتعلم ان العمل اوفق
وليس من الطوائع اللطائف الروحانية منها من الغليظة الحسائية وقد يتصور في العقل
ان الاحجار اقوى واصبر على النار من الارواح كمن ترى الذهب والحديد والحاس اصبر

على النار من الكبريت والرفق وغيرها من الارواح فاقول ان الاحساد قد كانت
ارواحاً في بدنها فلما اصابها حراكها قلبها اجساداً الرجة غليظة فلم تقدر النار على اكلها
لافراط غلظتها وتلرجحها فاذا افترطت النار عليها صيرتها ارواحاً كما كانت اول خلقها وان
تلك الارواح اللطيفة اذا اصابتها النار امنت ولم تقدر على البناء عليها فينبغي لك ان
تعلم ما صير الاحساد في هذه الحالة وصير الارواح في هذا الحال فهو اجل ما تعرفه .
اقول انما امنت تلك الارواح لا تستعالمها ولطافتها وانما اشتعلت لكثرة رطوبتها ولان النار
اذا احست بالرطوبة تعلقت بها لانها هوائية تشاكل النار ولا ترال تعدي بها الى ان
تغنى وكذلك الاحساد اذا احست بوصول النار اليها لقلتها تلرجحها وغلظتها وانما صارت
تلك الاجساد لا تستعل لانها مركبة من ارض وماء صارت على النار فلطيفة مخد كتيبة
لطول الطبع اللين المارح اللين . وذلك ان كل متلاش اما يتلاشى بالنار للمارقة اطبعو
من كتيبة ودخول بعضه في بعض على غير التحليل والموافقة فصار ذلك الانصام
والنداخل محاورة لا مارة فسهل بذلك افتراقها كالماء في الدهن وما انتبهها وانما وصمت
ذلك استندل به على تركيب الطبايع وتقالها فاذا علمت ذلك علماً شافياً فقد احدث
حطك منها وبسعي لك ان تعلم ان الاخلاط التي في طبايع هذه الطبايع موافقة بعضها
لبعض مصلة من جوهر واحد يجمعها نظام واحد تدير واحداً يدخل عليه عريب في
الحركة ولا في الكل كما قال الفيلسوف انك اذا احكمت تدير الطبايع وتاكلها ولم
تدخل عليها غريباً فقد احكمت ما اردت احكامه وقوامه اذ الطبيعة واحدة لا غريب
فيها فمن ادخل عليها غريباً فقد راع عنها ووقع في الخطاء . واعلم ان هذه الطبيعة اذا
حل لها حسد من قرائنها على ما يسغي في الحل حتى يشاكلها في الرقة واللطافة استطعت
فيو وحررت معه حينما حرى لان الاحساد ما دامت غليظة حافية لا تنسبط ولا تتراوح
وحل الاجساد لا يكون بغير الارواح فانهم هداك الله هذا القول واعلم هداك الله ان
هذا الحل في حسد المحبوبات هو الحق الذي لا يصح ولا يسقص وهو الذي بقلب
الطبايع ويمسكها ويظهر لها اللون ابرهاراً عجيبة وليس كل جسد يحمل خلاف هذا من
الحل التام لانه محال للحياة وما حاله مما يوافقه ويدفع عنه حرق النار حتى يبرول عن
الغلظ وتقلب الطبايع عن حالها الى ما لها ان تغلب من اللطافة والباطن فاذا بلغت
الاحساد هابتها من التحليل والتلطيف ظهرت لها هالك قوة تمسك وتغوص وتقلب
وتند وكل عمل لا يرى له مصداق في ما لو ولا خير فيه . واعلم ان البار من الطبايع

هو يبيس الاشياء ويفقد رطوبتها والحار منها يظهر رطوبتها ويعقد بيسها وإنما افردت
الحار والبرد لانها فاعلان والرطوبة واليبس منفعلان وعلى انفعال كل واحد منها
لصاحبه تحدث الاجسام وتكون وإن كان الحار كثر فاعلاً في ذلك من البرد لان البرد
ليس له نقل الاشياء ولا تحركها والحار هو علة الحركة متى ضعفت علة الكون وهو الحرارة
لم يتم منها شيء ابداً كما انه اذا افترطت الحرارة على شيء ولم يكن ثم برد احرقته واهلكته
فمن اجل هذه العلة احتج الى البارد في هذه الاعمال ليقوى به كل ضد على ضده ويدفع
عنه حر النار ولم يجذر الفلاسفة أكثر شيء الا من النيران المحرقة وامرت بتطهير الطبائع
والانفاس وإخراج دنسها ورطوبتها ونقي آفاتنا وإوساخها عنها على ذلك استقام رأيهم
وتدبيرهم فانما علمهم انما هو مع النار اولاً واليها يصير اخيراً فلذلك قالوا اياكم والنيران
المحرقات وإنما ارادوا بذلك نفي الافات التي معها فيجمع على الجسد ايتين فتكون اسرع
لهلاكه وكذلك كل شيء إنما يتلاشى ويفسد من ذاته لتضاد طبائعه واختلافه فينوسط
بين شيئين فلم يجد ما يقويه ويعينه الا قهرته الآفة واهلكته واعلم ان الحكماء كلها ذكرت
ترداد الارواح على الاجساد مراراً ليكون الزم اليها واقوى على قتال النار اذا هي
باشرتها عند الالة المحيى بذلك النار العنصرية فاعلمه . ولنقل الان على الحجر الذبي
يمكن منه العمل على ما ذكرته الفلاسفة فقد اختلفوا فيه ففهم من زعم انه في الحيوان ومنهم
من زعم انه في النبات ومنهم من زعم انه في المعادن ومنهم من زعم انه في الجميع وهذه
الدعاوى ليست بنا حاجة الى استقصائها ومناظرة اهلها عليها لان الكلام بطول جداً
وقد قلت فيما تقدم ان العمل يكون في كل شيء بالقوة لان الطبائع موجودة في كل شيء
فهو كذلك فتريد ان تعلم من اي شيء يكون العمل بالقوة والنقل فنقص الى ما قاله
الحارثي ان الصبغ كله احد صبغين اما صبغ جسد كالزعفران في الثوب الايض حتى
يحول فيه وهو مضمحل متقضب التركيب والصبغ الثاني تغليب الجوهر من جوهر تنسوا الى
جوهر غيره ولونه كتغليب الشجر بل التراب الى نفس وقلب الحيوان والنبات الى نفس
حتى يصير التراب نباتاً والنبات حيواناً ولا يكون الا بالروح المحي والكيان الفاعل الذي
له توليد الاجرام وقلب الاعيان فاذا كان هذا هكذا فنقول ان العمل لابد ان يكون
اما في الحيوان واما في النبات وبرهان ذلك انها مطبوعان على الغذاء وبوقوامها وانما هما
فاما النبات فليس فيه ما في الحيوان من اللطافة والقوة ولذلك قل خوض الحكماء فيه
واما الحيوان فهو اخر الاستحالات الثلاث ونهايتها وذلك ان المعدن يستحيل نباتاً والنبات

يستقبل حيواناً والحيوان لا يستقبل الى شيء هو اللطف منه الا ان ينعكس راجعاً الى الغلظ
وانه ايضاً لا يوجد في العالم شيء تنعلق به الروح المحية غيره والروح اللطف ما في العالم ولم
تنعلق الروح بالحيوان الا بمشاكلها ما بالروح التي في النبتات فانها يسيرة فيها غلظ
وكثافة وهي مع ذلك مستغرقة كاسية فيه لغلظها وغلظ جسد النبات فلم يقدر على الحركة
لغلظها وغلظ روحه والروح المتحركة اللطف من الروح الكاسية كثيراً وذلك ان المتحركة
لها قسول الغذاء والتشغل والنفس وليس للكاسية غير قسول الغذاء وحده ولا تجري اذا
قيست بالروح المحية الا كالارض عند الماء كذلك النبات عند الحيوان فالعمل في
الحيوان اعلى وارفع واهون وايسر فيسفي للعاقل اذا عرف ذلك ان يحرب ما كان سهلاً
ويترك ما يمتحن فيه عسراً . واعلم ان الحيوان يعد الحكماء ينقسم اقساماً من الامهات التي
هي الطنائع والحديثة التي هي المواليد وهذا معروف متيسر اليهم فلذلك قسمت الحكماء
العناصر والمواليد اقساماً حية واقساماً ميتة فجعلوا كل مخرك فاعلاً حياً وكل ساكن
ميتاً وقسموا ذلك في جميع الاشياء وفي الاجساد الدائمة وفي العقاقير المعدية
فجعلوا كل شيء يدور في النار ويطور ويتنقل حياً وما كان على خلاف ذلك سموه
ميتاً فاما الحيوان والنبات فسموا كل ما اعصل منها طنائع ارباعاً حياً وما لم يوصل سموه
ميتاً ثم اسمهم طلولو جميع الاقسام المحية فلم يجدوا لوفى هذه الصبغة ما ينصل فصولاً
اربعة ظاهرة للعيان ولم يجدوا غير الحجر الذي في الحيوان فيمتلئ عن حسه حتى عرفوه
واخذوه ودروه فتكيف لم منه الذي ارادوا وقد يتكيف مثل هذا في المعادن والنبات
بعد جمع العقاقير وغلظها ثم تنصل بعد ذلك فاما النبات فمما ما ينصل ببعض هذه
الفصول مثل الانسان واما المعادن فمبها احساد وارواح واناس انا مرجت ودرت
كان منها ما له تاثير وقد دبر ما كل ذلك فكان الحيوان منها اعلى وارفع وتديره اسهل
وايسر فيسفي لك ان تعلم ما هو الحجر الموحود في الحيوان وطريق وجوده اما بما ان
الحيوان ارفع المواليد وكما ما تركب منه فهو اللطف منه كالنبات من الارض وانما كان
النبات اللطف من الارض لانه انما يكون من جوهره الصافي وجسده اللطيف فوجب
له بذلك اللطافة والرقه وكما هذا الحجر الموحود في بوزلة النبات في التراب والجملة فانه
ليس في الحيوان شيء ينصل طنائع ارباعاً غيره فافهم هذا القول فانه لا يكاد ينحى الا على
جاهل بين الجهالة ومن لا عقل له فقد احزنك ماهية هذا الحجر واعلمتك جسده واما
ايون لك وجوه تدبيره حتى يكمل الذي شرطناه على انفسنا من الانصاف ان شاء الله سبحانه

(التدبير على بركة الله) خذ الحجر الكريم فاودعه القرعة والانيق وفصل طبائعه الاربع التي هي النار والهواء والارض والماء وهي الجسد والروح والنفس والصيغ فاذا عزلت الماء عن التراب والماء عن النار فارفع كل واحد في اناء على حدة وخذ الهابط اسفل الاناء وهو الفل فاغسله بالنار الحارة حتى تذهب النار عنه سواده وبزول غلظه وجفافه وببيضه تبييضاً محكماً وطير عنه فضول الرطوبات المستحبة فيه فانه يصير عند ذلك ماء ابيض لا ظلمة فيه ولا رشح ولا تضاد ثم اعد الى تلك الطبائع الاول الصاعدة منه فطهرها ايضاً من السواد والتضاد وكرر عليها الغسل والتصعيد حتى تلتف وتزق وتصفو فاذا فعلت ذلك فقد فتح الله عليك فابدأ بالتركيب الذي عليه مدار العمل وذلك ان التركيب لا يكون الا بالتزويج والتعفين فاما التزويج فهو اختلاط اللطيف بالغليظ واما التعفين فهو التمشية والصحى حتى يختلط بعضه ببعض ويصير شيئاً واحداً لا اختلاف فيه ولا نقصان بمنزلة الامتزاج بالماء فعند ذلك يقوى الغليظ على امساك اللطيف وتقوى الروح على مقاومة النار وتصر عليها وتقوى النفس على الغوص في الاجساد والديسب فيها وانما وجد ذلك بعد التركيب لان الجسد المحلول لما ازوج بالروح مازجه بجميع اجزائه ودخل بعضها في بعض لتساكها فصار شيئاً واحداً ووجب من ذلك ان يعرض للروح من الصلاح والنساذ والبقاء والثبوت ما يعرض للجسد لموضع الامتزاج وكذلك النفس اذا امتزجت بها ودخلت فيها بخدمة التدبير اخلطت اجزائها بجميع اجزاء الاخرين اعني الروح والجسد وصارت فيهما شيئاً واحداً لا اختلاف فيه بمنزلة الجزء الكلي الذي سلمت طبائعه وانفقت اجزائه فاذا اتى هذا المركب الجسد المحلول والحق عليه النار واظهر ما فيه من الرطوبة على وجهه ذاب في الجسد المحلول ومن شأن الرطوبة الاشتعال وتعلق النار بها فاذا ارادت النار التعلق بها منها من الاتحاد بالنفس مازجه الماء لما فان النار لا تنفذ بالدهن حتى يكون خالصاً وكذلك الماء من شأنه النور من النار فاذا اتمحت عليه النار وارادت تطهيره حسبه الجسد اليابس المازج له في جوفه فتمتعة من الطيران فكان الجسد علة لاسماك الماء والماء علة لبقاء الدهن والدهن علة لثبات الصيغ والصيغ علة لظهور الدهن واظهار الدهنية في الاشياء المظلمة التي لا نور لها ولا حياة فيها فهذا هو الجسد المستقيم وهكذا يكون العمل وهذه التصفية التي سالت عنها وهي التي سمتها الحكماء يصفون اياها بمعنوي لا بيضة الدجاج واعلم ان الحكماء لم يسموها بهذا الاسم لغوي معنى بل اشبهتها ولقد سالت مسلمة عن ذلك يوماً وليس عنده

غيري فقلت له ايها الحكميم العاضل اخبرني لاي شيء سمعت الحكماء مركب الحيوان بيضة
اختياراً منهم اذ ذلك ام لمعى دعاهم اليه فقال بل لمعى غامض فقلت ايها الحكميم وما ظهر
لم من ذلك من المصنعة والاستدلال على الصناعة حتى شهوها وسموها بيضة فقال لشهها
وقرائتها من المركب فمكر فيوه فانه سيظهر لك معناه فقيت بين يديه مكرراً الا اقلد على
الوصول الى معناه فلما راي ما بي من العكروان تسمى قد مصت فيها اخذ بعصدي
وهرني هزة خفيفة وقال لي يا انا مكر ذلك للنسبة التي يسها في كمية الالوان عند امتزاج
الطوائع وتاليها فلما قال ذلك انجلت عني الطلعة واصاء لي نور قلبي وقوى عقلي على فهمي
فهضت شاكرًا لله عليه الى منزلي واقمت على ذلك شكلاً هندسياً يدرى به على صحة ما قاله
مسئلة واما واصعه لك في هذا الكتاب . مثال ذلك ان المركب اذا تم وكل كان بسما
فيه من طبيعة الهواء الى ما في البيضة من طبيعة الهواء كسمة ما في المركب من طبيعة النار
الى ما في البيضة من طبيعة النار وكذلك الطبعتان الاخرى ان الارض والماء فاقول ان
كل شيئين متساويين على هذه الصفة هما متساويان ومثال ذلك ان تحمل لسطح البيضة هروج
فاذا اردنا ذلك فاما نأخذ اقل طوائع المركب وهي طبيعة اليوسة ونضيف اليها مثلها من
طبيعة الرطوبة وبدرها حتى تستف طبيعة اليوسة طبيعة الرطوبة وتقل قوتها وكان في
هذا الكلام رمزاً ولكن لا يخفى عليك ثم تحمل عليها جميعاً مثلها من الروح وهو الماء فيكون
المجبع ستة امثال ثم تحمل على الجميع بعد التدبير مثلاً من طبيعة الهواء التي في النفس وذلك
ثلاثة احرار فيكون الجميع تسعة امثال اليوسة بالقوة وتحمل تحت كل صلعين من المركب
الذي طبيعة محيطه لسطح المركب طبيعتين فتجفل اولاً الصلعين المحيطين بسطح طبيعة
الماء وطبيعة الهواء وهما ضلعان اح د و سطح ابجد وكذلك الصلعان المحيطان لسطح البيضة
اللدان هما الماء والهواء ضلعان ه وروح فاقول ان سطح ابجد يشبه سطح ه وروح طبيعة الهواء التي
تسمى نسيماً وكذلك بح من سطح المركب والحكماء لم تسم شيئاً باسم شيء الا لشبهه بواحد الكلمات
التي سالت عن شرحها الارض المقدسة وهي المعقدة من الطوائع العلوية والسلبية والخماس
هو الذي اخرج سواده وقطع حتى صار هاء ثم حمر بالراج حتى صار نحاسياً والمغيسما
حجر الم الذي تحمد فيه الارواح ونحرمة الطبيعة العلوية التي تسخن فيها الارواح لتقال
عليها النار والفرفرة لون احمر فان بجدته الكيان والارصاص حجر له ثلاث قوى مختلطة
الشخص و لكنها متناكدة ومجاسة فالواحدة روحانية نيرة صافية وهي العاعلة والثانية
نفسانية وهي متحركة حساسة غيرها انما اغلظ من الاولى ومركها دون مركز الاولى والثالثة

قوة ارضية حاسنة فابضة منعكسة الى مركز الارض لتقلها وهي الماسكة الروحانية والنفسانية
 جميعاً والمحيط بها وإما سائر الباقيات فمبتدعة ومخترة الباساً على الجاهل ومن عرف
 المقدمات استغنى عن غيرها . فهذا جميع ما سألني عنه وقد بعثت به اليك منسراً
 ونزهو بتوفيق الله ان تبلغ املك والسلام انتهى كلام ابن بشرن وهو من كبار تلاميذ
 مسلمة الجريطي شيخ الاندلس في علوم الكيمياء والسيميا والسحر في القرن الثالث وما بعده
 وأنت ترى كيف صرف الفاظهم كلها في الصناعة الى الرمز والالغاز التي لا تكاد تبين ولا
 تعرف وذلك دليل على انها ليست بصناعة طبيعية . والذي يجب ان يعتقدي امر الكيمياء
 وهو الحق الذي يعضده الواقع انها من جنس اثار النفوس الروحانية وتصرفها في عالم
 الطبيعة اما من نوع الكرامة ان كانت النفوس خيرة او من نوع السحر ان كانت النفوس
 شريرة . اجرة فاما الكرامة فظاهرة وإما السحر فلان الساحر كما ثبت في مكان تحقيقه بقلب
 الاعيان المادية بقوته السحرية ولا بد له مع ذلك عندهم من مادة يقع فعلة السحري فيها كخلق
 بعض الحيوانات من مادة التراب او الشجر والنبات وبالجمل من غير مادتها المخصوصة بها
 كما وقع لسحرة فرعون في الحبال والعصي وكما ينقل عن سحرة السودان والهنود في قاصية
 الجنوب والترك في قاصية الشمال انهم يسحرون المجرى للامطار وغير ذلك . ولما كانت هذه
 تخليفاً للذهب في غير مادته الخاصة به كان من قبيل السحر والمتكلمون فيه من اعلام الحكماء
 مثل جابر ومسلمة ومن كان قبلهم من حكماء الامم انما انحوا هذا المنحى ولهذا كان كلامهم فيه
 الغاز أحذراً عليها من انكار الشرائع على السحر وانواعه لان ذلك يرجع الى الضنانية بها كما
 هو رأي من لم يذهب الى التحقيق في ذلك وانظر كيف سمي مسلمة كتاباً بغيتها رتبة الحكميم وسمي
 كتابه في السحر والطلسمات غاية الحكميم اشارة الى عموم موضوع الغاية وخصوص موضوع
 هذه لان الغاية اعلى من الرتبة فكأن مسائل الرتبة بعض من مسائل الغاية وتشاركها في
 الموضوعات ومن كلامي في الفنين يتبين ما قلناه ونحن نبين فيما بعد غلط من يزعم ان
 مدارك هذا الامر بالصناعة الطبيعية والله العليم الخبير

الفصل الخامس والعشرون

في ابطال الفلسفة وفساد منطلقاتها

هذا الفصل وما بعده مهم لان هذه العلوم عارضة في العمران كثيرة في المدن
 وضررها في الدين كثير فوجب ان يصدر بشأنها يكشف عن المعتقد الحق فيها وذلك

ان قوماً من عقلاء النوع الاسافي زعموا ان الوجود كله المحسوس مقوماً وراء المحسوس تدرك
دواته واحواله اساسها وعللها بالانظار العنصرية والاقسية العقلية وان تصحح العقائد
الايمانية من قبل النظرة من جهة الجمع فانها بعض من مدارك العقل وهؤلاء يعمون
فلاسفة جمع فيلسوف وهو باللسان اليوناني محب الحكمة فبحثوا عن ذلك وتعمقوا في
وحوموا على اصابة الغرض منه ووضعوا قانوناً يهتدي به العقل في نظره الى التمييز بين
الحق والباطل وسوءه بالمطلق ومحصل ذلك ان النظر الذي يميز الحق من الباطل
انما هو للذهن في المعاني المترعة من الموجودات الشخصية فيجرد منها اولاً صور مطبقة
على جميع الاشخاص كما يطق الطامع على جميع القروش التي ترسمها في طين او تسمع وهذه
مجردة من المحسوسات تسمى المعقولات الاولى ثم تجرد من تلك المعاني الكلية اذا كانت
مشتركة مع معان اخرى وقد تبرزت عنها في الذهن فتجرد منها معان اخرى وهي التي
اشتركت بها ثم تجرد نائياً ان شاركها غيرها وثالثاً الى ان ينتهي التجريد الى المعاني البسيطة
الكلية المطبقة على جميع المعاني والاشخاص ولا يكون منها تجريد بعد هذا وهي الاحاس
العالية وهذه المجردات كلها من غير المحسوسات هي من حيث تاليف بعضها مع بعض
لتحصيل العلوم مهتسى المعقولات الثواني فاذا نظر الفكر في هذه المعقولات المجردة وطلب
تصور الوجود كما هو فلا بد للذهن من اضافة بعضها الى بعض وبني بعضها عن بعض
بالبرهان العقلي اليقيني ليحصل تصور الوجود تصوراً صحيحاً مطابقاً اذا كان ذلك قانون
صحيح كما مر وصف التصديق الذي هو تلك الاضافة والحكم متقدم عندهم على صنف
التصور في النهاية والتصور متقدم عليه في البداية والتعليم لان التصور التام عندهم هو غاية
الطلب الادراكي وانما التصديق وسيلة له وما تسمعه في كتب المتطهين من تقدم التصور
وتوقف التصديق عليه فسمعي الشعور لا بمعنى العلم التام وهذا هو مذهب كبيرهم ارسطو
ثم يزعمون ان السعادة في ادراك الموجودات كلها ما في المحسوس وما وراء المحسوس بهذا
النظر وتلك الرايين . وحاصل مداركهم في الوجود على الجملة وما آلت اليه وهو الذي
فرعوا عليه قضايا اظاارهم انهم عثروا اولاً على الجسم السفلي بحكم الشهود والمحسوس ثم ترقى
ادراكهم قليلاً فثعروا بوجود النفس من قبل الحركة والمحسوس في الحيوانات ثم احسوا من
قوى النفس بسلطان العقل ووقف ادراكهم ففصلوا على الجسم العالي السماوي بنحو من
القضاء على امر الذات الانسانية ووجب عندهم ان يكون للفلك نفس وعقل كما للانسان
ثم انهوا ذلك نهاية عدد الاحاد وهي العشر تسع منفصلة ذواتها حبل واحد اول مفرد

وهو العاشر ويزعمون ان السعادة في ادراك الوجود على هذا النوعين القضاء مع عجز
 النفس وتخليها بالنفائل وان ذلك ممكن للانسان ولولم يرد شرع لتمييزه بين الفضيلة
 والرذيلة من الافعال بمقتضى عقله ونظره وميله الى الحمود منها واجتنابه للذموم بنظره
 وان ذلك اذا حصل للنفس حصلت لها البهجة واللذة وان الجهل بذلك هو الشقاء
 البسرمدى وهذا عندم هو معنى النعيم والعذاب في الاخرة الى خبط لم في تفاصيل ذلك
 معروف من كلامهم وامام هذه المذاهب الذي حصل مسائلها ودون عليها وسطر حجمها
 فيما بلغنا في هذه الاحقاب هو ارسطو المقدوني من اهل مقدونية من بلاد الروم من
 تلاميذ افلاطون وهو معلم الاسكندرو ويسمونه المعلم الاول على الاطلاق يعنون معلم
 صناعة المنطق اذ لم تكن قبله مهذبة وهو اول من رتب قانونها واستوفى مسائلها واحسن
 بسطها ولقد احسن في ذلك القانون ما شاء لو تكفل له بقصدهم في الاهليات ثم كان من
 بعده في الاسلام من اخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رأيه جذو النعل بالنعل الا في
 القليل وذلك ان كتب اولئك المتقدمين لما ترجمها الخلفاء من بني العباس من اللسان
 اليوناني الى اللسان العربي تصفها كثير من اهل الملّة واخذ من مذاهبهم من اضلة الله من
 متعالي العلوم وجادلوا عنها واختلفوا في مسائل من تفاربعها وكان من اشهرهم ابونصر
 الفارابي في المائة الرابعة لسيد سيف الدولة وابوعلي بن سينا في المائة الخامسة لسيد نظام
 الملك من بني بويه باصبيان وغيرها. واعلم ان هذا الرأي الذين ذهبوا اليه باطل بجميع
 وجوهه فاما اسنادهم الموجودات كلها الى العقل الاول واكتفاءهم به في الترتيب الى الواجب
 فهو قصور عما وراء ذلك من رتب خلق الله فالوجود اوسع نطاقاً من ذلك ويخلق ما
 لا تعلمون وكانهم في اقتصارهم على اثبات العقل فقط والغفلة عما وراءه بمثابة الطبيعيين
 المقتصرين على اثبات الاجسام خاصة المعرضين عن النقل والعقل المعتقدين انهم ليس
 وراء الجسم في حكمة الله شيء وإما البراهين التي يزعمونها على مدعياتهم في الموجودات
 ويعرضونها على معيار المنطق وقانونه فهي قاصرة وغير وافية بالفرض اما ما كان منها
 في الموجودات الجسمانية ويسمونه العلم الطبيعي فوجه قصوره ان المطابقة بين تلك النتائج
 الذهنية التي تستخرج بالحدود والاقسة كما في زعمهم وبين ما في الخارج غير يقيني لان تلك
 احكام ذهنية كلية عامة والموجودات الخارجية متشخصة بموادها ولعل في المواد ما يمنع من
 مطابقة الذهني الكلي للخارجي الشخصي اللهم الا ما لا يشهد له الحس من ذلك فدليلة
 شهود لا تلك البراهين فابن اليقين الذي يحدونه فيها وربما يكون تصرف الذهن ايضاً

في المعنولات الاولى المطابقة للشخصيات بالصورة الخيالية لا في المعنولات الثواني التي
تجردها في الرتبة الثانية فيكون الحكم حيثئذ يقينياً بمثابة المحسوسات اذ المعنولات الاولى
اقرب الى مطابقة الخارج لكال الانطباق فيها فنسلم لم حيثئذ دعاوهم في ذلك الا انه
ينبغي لنا الاعراض عن النظر فيها اذ هو من ترك المسلم لئلا يعنيه فان مسائل الطيحيات
لا تنهنا في ديننا ولا معاشنا فوجب علينا تركها . واما ما كان منها في الموجودات التي
وراء المحس وهي الروحانيات ويسمونه العلم الالهي وعلم ما بعد الطبيعة فان ذواتها
مجهولة راساً ولا يمكن التوصل اليها ولا البرهان عليها لان تجريد المعنولات من الموجودات
الخارجية الشخصية انما هو ممكن فيها هو مدرك لنا ونحن لا ندرك الذوات الروحانية
حتى نتجرب منها ماهيات أخرى بحجاب المحس بيننا وبينها فلا يتاق لنا برهان عليها
ولا مدرك لنا في اثبات وجودها على الجملة الا مانجده بين جبيننا من امر النفس
الانسانية واحوال مداركها وخصوصاً في الرؤيا التي هي وجدانية لكل احد وما وراء
ذلك من حقيقتها وصفاتها فامر غامض لا سبيل الى الوقوف عليه وقد صرح بذلك
محققهم حيث ذهبوا الى ان ما لا مادة له لا يمكن البرهان عليه لان مقدمات البرهان
من شرطها ان تكون ذاتية وقال كبيرم افلاطون ان الالهيات لا يوصل فبقها الى
بنين وانما يقال فيها بالاخلاق والاولى يعني الظن واذا كنا انما نحصل بعد التعب والنصب
على الظن فقط فيمكننا الظن الذي كان اولاً فاي فائدة لهذه العلوم والاستغفال بها ونحن
انما عنايتنا بتحصيل اليقين فيها وراء المحس من الموجودات وهذه هي غاية الافكار الانسانية
عندهم واما قولهم ان السعادة في ادراك الموجودات على ما هي عليه بتلك البراهين فقول
مزيف مردود وتفسيره ان الانسان مركب من جزأين احدهما جسماني والاخر روحاني
ممتزج به ولكل واحد من الجزأين مدارك مختصة به والمدرك فيها واحد وهو الجزء الروحاني
يدرك نارة مدارك روحانية وتارة مدارك جسمانية الا ان المدارك الروحانية يدركها بذاته
بغير واسطة والمدارك الجسمانية بواسطة آلات الجسم من الدماغ والحواس وكل مدرك
فله ابتهاج بما يدركه واعتبره بحال الصبي في اول مداركه الجسمانية التي هي بواسطة كيف
يستطيع بما يبصره من الضوء وبما يسمعه من الاصوات فلا شك ان الابتهاج بالادراك الذي
لنفس من ذاتها بغير واسطة يكون اشد والذ فالنفس الروحانية اذا شعرت بادراكها
الذي لها من ذاتها بغير واسطة حصل لها ابتهاج ولذا فلا يعبر عنها وهذا الادراك لا يحصل
بنظر ولا علم وانما يحصل بكشف حجاب المحس ونسيان المدارك الجسمانية بالجملة والمتصوفة

كثيراً ما يعنون بمحصل هذا الإدراك للنفس بمحصل هذه البهجة فيحاولون بالرياضة
 إمامة القوى الجسمية ومداركها حتى الفكر من الدماغ ليحصل للنفس إدراكها الذي لها من
 ذاتها عند زوال الشواغيب والموانع الجسمية فيحصل لهم بهجة ولذة لا يعبر عنها وهذا الذي
 زعموا بتقدير صحته مسلم لم وهو مع ذلك غير وافي بمقصودهم فاما قولهم ان البراهين والأدلة
 العقلية محصلة لهذا النوع من الإدراك والابتهاج عنه فباطل كما رأيت اذ البراهين والأدلة
 من جملة المدارك الجسمية لايتها بالقوى الدماغية من الخيال والفكر والذكرو نحن اول
 شيء نغني به في تحصيل هذا الإدراك إمامة هذه القوى الدماغية كلها لانها منازعة لقادة
 فيو وتجد الماهر منهم عاكفاً على كتاب الشفاء والإشارات والنجاة وتلاخيص ابن رشد
 للنفس من تأليف أرسطو وغيره يبعثوا ورأها ويتوثق من براهينها ولبس هذا القسط
 من السعادة فيها ولا يعلم انه يستكثر بذلك من الموانع عنها ومستخدم في ذلك ما ينقلونه
 عن أرسطو والنارابي وابن سينا ان من حصل له ادراك العقل النعال واتصل به في حياته
 فقد حصل حظاً من هذه السعادة والعقل النعال عديم عبارة عن اول رتبة ينكشف عنها
 المحس من رتب الروحانيات ويحملون الاتصال بالعقل النعال على الإدراك العليّ
 وقد رأيت فسادها وإنما يعني أرسطو واصحابه بذلك الاتصال والإدراك ادراك النفس
 الذي لها من ذاتها وبغير واسطة وهو لا يحصل الا بكشف حجاب المحس واما قولهم ان
 البهجة الناشئة عن هذا الإدراك هي عين السعادة الموعود بها فباطل ايضاً لاننا نبين
 لنا بما قررناه ان وراء المحس مدرگا اخر للنفس من غير واسطة وانها تنبج بادراكها ذلك
 ابتهاجاً شديداً وذلك لا يعين لنا انه عين السعادة الاخرى ولا بد من جملة الملاذ
 التي لتلك السعادة واما قولهم ان السعادة في ادراك هذه الموجودات على ما هي عليه فقول
 باطل مبني على ما كنا قد مناه في اصل التوحيد من الاوهام والاعلاط في ان الوجود عند
 كل مدرك منحصر في مداركه وبيننا فساد ذلك وان الوجود اوسع من ان يحاط به او
 يستوفى ادراكه بمجملته روحانياً او جسمانياً والذي يحصل من جميع ما قررناه من مذاهيم
 ان الجزء الروحاني اذا فارقت القوى الجسمية ادراك ادراكاً ذاتياً له مختصاً بصف من
 المدارك وهي الموجودات التي احاط بها علمنا وليس بعلم الإدراك في الموجودات كلها اذ لم
 تنفصل وانما يتبع بذلك الغم من الادراك ابتهاجاً شديداً كما يستتبع الصبي بمداركة الحسية
 في اول نشوءه ومن لنا بعد ذلك بادراك جميع الموجودات او بمحصل السعادة التي وعدنا
 بها الشارع ان لم نعمل لها هيبات هيبات لما نعدون واما قولهم ان الانسان مستقل

بتهديب نفسو وإصلاحها بملاسة الحمود من المخلوق وبجانية المذموم فامر مبني على أن
 ابتهاج النفس بأدراكها الذي لها من ذاعها هو عين السعادة الموعود بها لأن الرذائل عاقبة
 للنفس عن تمام ادراكها ذلك بما يحصل لها من الملكات الجسمية والروانية وقد بينا أن اثر
 السعادة والشقاوة من وراة الادراكات الجسمية والروحانية فهذا التهديب الذي يتوصل
 الى معرفته انما نفعه في البهجة الناشئة عن الادراك الروحاني فقط الذي هو على مقاييس
 وقوانين وإما ما وراء ذلك من السعادة التي وعدنا بها الشارع على امتثال ما امر به من
 الاعمال والأخلاق فامر لا يحيط بمدارك المدركين وقد تنبه لذلك زعيمهم ابو علي ابن
 سينا فقال في كتاب المبدأ والمعاد ما معناه ان المعاد الروحاني واحواله هو ما يتوصل
 اليه بالبراهين العقلية والمقاييس لانه على نسبة طبيعية محفوظة ووثيرة واحدة فلنا في البراهين
 عليه سعة وإما المعاد الجسماني واحواله فلا يمكن ادراكه بالبرهان لانه ليس على نسبة واحدة
 وقد بسطنا لنا الشريعة المحقة الهديية فلينظر فيها ولنرجع في احواله اليها فهذا العلم كما
 رأيت غير واف بمقاصدهم التي حومل عليها مع ما فيه من مخالفة الشرائع وظواهرها وليس
 له فيما علمنا الا ثمة واحدة وهي شخذ الذهن في ترتيب الأدلة والتحجج لتحصيل ملكة
 الجودة والصواب في البراهين وذلك ان نظم المقاييس وتركيبها على وجه الاحكام والانتان
 هو كما شرطوه في صناعتهم المنطقية وقولهم بذلك في علومهم الطبيعية وهم كثير ما يستعملونها
 في علومهم الحكيمة من الطبيعيات والتعاليم وما بعدها فيستولي الناظر فيها بكثرة استعمال
 البراهين بشروطها على ملكة الانتان والصواب في التحجج والاستدلالات لانها وإن كانت
 غير وافية بمقاصدهم فهي اصح ما علمنا من قوانين الانظار هذه هي ثمة هذه الصناعة مع
 الاطلاع على مذاهب اهل العلم واراغهم ومضارها ما علمت فليكن الناظر فيها مخرجا لجهده
 من معاطبها وليكن نظره من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير
 والفقه ولا يكن احد عليها وهو خلو من علوم الملة فقل ان يسلم لذلك من معاطبها والله
 الموفق للصواب وللحق والمآدي اليه وما كنا لننتهي لولا ان هدانا الله

الفصل السادس والعشرون

في ابطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها

هذه الصناعة يزعم اصحابها انهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها
 من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجموعة فتكون

لذلك اوضاع الافلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع نوع من انواع الكائنات
الكلية والجمعية فالتقدمون منهم يرون ان معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها بالتجربة وهو
امر تقصر الاعمار كلها لو اجتمعت عن تحصيلها اذ التجربة انما تحصل في المرات المتعددة
بالتكرار ليحصل عنها العلم او الظن وادوار الكواكب منها ما هو طويل الزمن فيحتاج
تكرره الى آحاد واحقاب متطاولة يتقاصر عنها ما هو طويل من اعمار العالم وربما ذهب
ضعفاء منهم الى ان معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها كانت بالوحي وهو رأي فائل وقد
كنونا مونة ابطاله ومن اوضح الادلة فيه ان تعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابعد
الناس عن الصنائع وانهم لا يتعرضون للاخبار عن الغيب الا ان يكون عن الله فكيف
يدعون استنباطه بالصناعة وبشؤون بذلك لتابعهم من الخلق وما بطليموس ومن تبعه
من المتأخرين فيرون ان دلالة الكواكب على ذلك دلالة طبيعية من قبل مزاج يحصل
للكواكب في الكائنات العنصرية قال لان فعل النيران واثرها في العنصرينات ظاهر
لا يسع احداً جمده مثل فعل الشمس في تبدل الفصول وازجتها ونضج الثمار والزرع
وغير ذلك وفعل القمر في الرطوبات والماء وانضاج المواد المتعفة وفولكه القمام وسائر
افعاله ثم قال ولنا فيما بعدهما من الكواكب طريقان الاولى التقليد لمن نقل ذلك عنه
من أمة الصناعة الا انه غير مقنع للنفس الثانية المحس والتجربة بقياس كل واحد منها الى
النير الاعظم الذي عرفنا طبيعته واثرة معرفة ظاهرة فننظر هل يزيد ذلك الكوكب عند
القران في قوته ومزاجه فتعرف موافقته له في الطبيعة او ينقص عنها فتعرف مضادته ثم
اذا عرفنا قواها مفردة عرفناها مركبة وذلك عند تناظرها بأشكال التثليث والتربيع
وغيرها ومعرفة ذلك من قبل طبائع البروج بالقياس ايضاً الى النير الاعظم واذا عرفنا
قوى الكواكب كلها فهي مؤثرة في الهواء وذلك ظاهر والمزاج الذي يحصل منها للهواء
يحصل لما تحته من المولدات وتخلق به النطف والبرزق فتصير حالاً للبدن المتكون عنها
وللنفس المتعلقة به الفائضة عليه المكتسبة لما لها منه ولما يتبع النفس والبدن من الاحوال
لان كينيات البرزق والنطفة كينيات لما يتولد عنها وينشأ منها قال وهو مع ذلك ظني
وليس من اليقين في شيء وليس هو ايضاً من القضاء الالهي يعني القدر انما هو من جملة
الاسباب الطبيعية للكائن والقضاء الالهي سابق على كل شيء وهذا يحصل كلام بطليموس واصحابه
وهو منصوص في كتابه الاربع وغيره ومنه يتبين ضعف مدرك هذه الصناعة وذلك ان
العلم للكائن او الظن به انما يحصل عن العلم بجملة اسبابه من الفاعل والقابل والصورة

والغاية على ما يتبين في موضعه والقوى النجمية على ما قررناه إنما هي فاعلة فقط والمنجزه
العنصري هو القابل ثم إن القوى النجمية ليست هي العامل بمجملتها بل هناك قوى أخرى
فاعلة معها في الحركه المادي مثل قوة التوليد للآب والوع التي في الطقة وقوى الخاصة
التي تميز بها صف من النوع وغير ذلك والقوى النجمية اذا حصل كمالها وحصل
العلم فيها إنما هي فاعل واحد من جملة الاسباب الفاعلة للكائنات ثم انه يشترط مع العلم بقوى
النجوم وتاثيراتها مريد حديد ونخبين وحيث يحصل عدده الطل بوقوع الكائنات
والحدس والتخمين قوى للناظر في فكره وليس من عل الكائنات ولا من اصول الصاعه
فاذا فقد هذا الحدس والتخمين رجعت ادراجها عن الطل الى التلك هذا اذا حصل
العلم بالقوى النجمية على سداد ولم تعتزضه آفة وهذا معور لما فيه من معرفة حسابات
الكواكب في سيرها لتتعرف به اوصاعها ولما ان اختصاص كل كوكب بقوة لا دليل عليه
ومدرك بطليوس في اثبات القوى للكواكب الخمسة بقياسها الى الشمس مدرك ضعيف
لان قوة الشمس عالة لجميع القوى من الكواكب ومستولية عليها فقل ان يشعر بالريادة
فيها او النقصان منها عند المقارنة كما قال وهذه كلها قاذحة في تعريف الكائنات الواقعة
في عالم العناصر بهذه الصاعه ثم ان تاثير الكواكب فيما تحتها مائل اذ قد تبين في باب
التوحيد ان لا فاعل الا الله بطريق استدلال كما رأيت واحتمل له اهل علم الكلام بما
هو غني عن البيان من ان اسناد الاسباب الى المسببات مجهول الكيفية والعقل مبهم على
ما يقص به فيما يظهر بادي الرأي من التاثير لعل استادهاعلى غير صورة التاثير المتعارف
والقدرة الالهية رابطة بينهما كما ربطت جميع الكائنات علواً وسفلاً بما والشرع بردها لحوادث
كلها الى قدرة الله تعالى ويرامها سوى ذلك والسوات ايضاً مسكرة لشار الحوم وتاثيراتها
واستفراء الشرعيات شاهد بذلك في مثل قوا ان الشمس والقمر لا يجسمان لموت احد
ولا لحيات وفي قوله اصبح من عبادي مومن وكافري فاما من قال مطرباً بعقل الله
ورحمته فذلك مؤمن في كاهر الكواكب واما من قال مطرباً سوء كذا فذلك كافري
مومن بالكواكب الحديث الصحيح فقد بان لك بطلان هذه الصاعه من طريق الشرع
وصعب مداركها مع ذلك من طريق العقل مع ما لها من المضار في العبران الانساني بما
تبعث في غفائده العوام من السداد اذا اتفق الصدق من احكامها في بعض الاحايين
انفاقاً لا يرجع الى تعليل ولا تحقيق فيلج بذلك من لا معرفة له ويطن اطراد الصدق في
سائر احكامها وليس كذلك فيقع في رد الاتباء الى غير خالفها ثم ما يشأ عنها كثيراً في

الدول من توقع القواطع وما يعتك عليه ذلك التوقع من تطاول الاعداء والمترصين بالدولة الى التثك والتثورة وقد شاهدنا من ذلك كثيراً فبقي ان نخطر هذه الصاعقة على جميع اهل العمار لما ينشأ عنها من المضار في الدين والدول ولا يقدح في ذلك كون وجودها طبعياً للشر يقتضي مداركهم وعلومهم فالحير والشرطيتان موحودتان في العالم لا يمكن نزعها ولما يتعلق التكليف باسباب حصولها فينبغي السعي في اكتساب الحير باسباب ودفع اسباب الشر والمضار هذا هو الواجب على من عرف مناسد هذا العلم ومضاره وليعلم من ذلك انها وان كانت صحيحة في نفسها فلا يمكن احداً من اهل الملة تفصيل علمها ولا ملكتها بل ان نظر فيها باظروطن الاحاطة بها فهو في غاية القصور في بس الامور الشريعة لما حطرت الطرف فيها فقد الاجتماع من اهل العمار لقراءتها والتخليق لتعليمها وصار المولى بها من الناس وم الاقل واقل من الاقل اما بطالع كتبها ومقالاتها في كسر بنو متراً عن الناس ونحت رقة الجمهور مع تشعب الصاعقة وكثرة فروعها واعتياصها على الهم فكيف يحصل منها على طائل ونحن نحمد الله الذي عم بعمه حياً ودينا وسهلت ماخذه من الكتاب والسنة وعكس الجمهور على قراءته وتعليمه ثم بعد التحقيق والتعميق وطول المداينة وكثرة المحاسن وتعدد ما يصدق فيه الواحد بعد الواحد في الاعصار والاحيال فكيف يعلم محور للشيعة مصروب دونه سد الخطر والتعظيم مكتوم عن الجمهور صعب الماخذ مخنح بعد الممارسة والتحصيل لاصوله وفروعه الى مرشد حدث وتحمي يكتسب من الباطن فاهن التحصيل والحدق فيه مع هذه كلها ومدعى ذلك من الناس مردود على عقبيه ولا شاهد له يقوم بذلك لعدوانه الى بين اهل الملة وقله حملته فاعتذر ذلك بيمين لك صحة ما ذهبنا اليه والله اعلم بالعيب فلا يطهر على عيبه احداً وما وقع في هذا المعنى لبعض اصحابنا من اهل العصر عندما غلب العرب عساكر السلطان ابي الحس وحاصروه بالقبروات وكثر ارحاف العريقين الاولياء والاعداء وقال في ذلك ابو القاسم الروحي من شعراء اهل توس .

استغفر الله كل حين	قد ذهب العيش والهنا
اصبح في توس واممي	والصبح لله والامساء
الخوف والحوار والدماء	يحدث المهرج والواناء
والناس في مربة وحرب	وما عسى ينفع المراء
فاحمدية ترى علياً	حل مع الملك والنواء

واخر قال سوف يأتي
 والله من فوق ذاهذا
 يا راصد الخنثى الجوارى
 مطلقتموا وقد رعنتم
 مرحبوس على خميس
 ونصف شهر وعشرتان
 ولا ترى غير زور وقول
 اما الى الله قد علمنا
 رضيت بالله لي المأ
 ما هذه الانجم السوارى
 يقضى عليها وليس نقضى
 صلت عقول ترى قديما
 وحكمت في الوجود طبعاً
 لم تر حلوا اراء مره
 الله ربي ولست ادري
 ولا المبولى التي تنادي
 ولا وجود ولا انعدام
 ولست ادريها الكسلا
 ولما مذهبي وديني
 اذ لا فصول ولا اصول
 مانع الصدر واقتبسا
 كانوا كما يعلمون منهم
 يا اشعري الزمان افي
 اما اجزي بالشر شراً
 واسي انت اكن مطيعاً
 واسي تحت حكمه بار
 وليس باستطاركم ولكن
 هو اليكم صبارخاء
 يقضى لصدوب ما يشاء
 ما فعلت هذه السماء
 انكم اليوم املياء
 وجاء سبت واربعاء
 وتالك صبة القضاء
 اذ لك حهل امر ازدراء
 ان ليس يستدفع القضاء
 حاكم الدر او دكاه
 الا عباديد او امام
 وما لها في الوري اقتضاء
 ما شاة للحرم والساء
 يحدث الماء والهواء
 تغدو هو تررة وماء
 ما الجواهر الرد والخلاء
 ما لي عن صورة عراء
 ولا ثوب ولا اثناء
 ما جلب البيع والشراء
 ما كان للناس اولياء
 ولا جدال ولا ارباء
 يا احدا كان الاقتناء
 ولم يكن ذلك الهذاء
 اشعري الصيف والشتاء
 والخبر عن مثل جراء
 قريب اعصى ولي رجاء
 اطاعة العرش والثناء
 لتأخذه المحكم والقضاء

لو حدث الاشعري عن له الى رايه انما
لقال اخبرم يائي ما يقولونه براه

الفصل السابع والعشرون

في انكار ثمة الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من الماسد عن انفعالها

اعلم ان كثيرا من العاجزين عن معاشهم تعلمهم المطامع على انفعال هذه الصانع
ويرون انها احدى مذاهب المعاش ووجوده وان اقتناء المال منها يسر واسهل على
مستغنيه فيرتكسون فيها من المتاعب والمشاق ومعاينة الصعاب وعسف المحاكم وخسارة
الاموال في النفقات ريادة على البهل من غرضه والطب اخرا اذا طهر على خيبة وم
يحسبون انهم يحسبون صعبا وانما اطعمهم في ذلك روية ان المعادن تسخيل ويقلب بعضها
الى بعض للمادة المشتركة فيحاولون بالعلاج صيرورة النصة ذهبا والحاس والقصدير
فصه ويحسبون انها من ممكنات عالم الطبيعة ولم يفي علاج ذلك طرق مختلفة لاختلاف
مذاهبهم في التدبير وصورته وفي المادة الموصوعة عديم للعلاج المسماة عديم بالمحر المكرم
هل في العذرة او الدم او الشعر او البيص او كذا او كذا ما سوس ذلك وجملة التدبير
عديم بعد تعين المادة ان تبنى بالهر على محر صلد امس وتسقى اثناء امهاتها بالماء وبعد
ان يضاف اليها من العقاقير والادوية ما يناسب القصد منها ويورثي انقلابها الى المعدن
المطلوب ثم تجلب بالشمس من بعد السقي او نطع بالنار او تصعد او تنكس لاستخراج
ما فيها او ترابها فادارضي بذلك كله من علاجها وتم تدبيره على ما تقتضيه اصول صنعتها
حصل من ذلك كله تراب او مانع يسمونه الاكسبر ويرغمون انه اذا انقي على النصة الهامة
بالنار عادت ذهبا او الحاس الحمى بالنار عاد فضة على حسب ما قصد به في عمله ويرغم
المحققون منهم ان ذلك الاكسبر مادة مركبة من العناصر الاربعه حصل فيها بذلك العلاج
الخاص والتدبير مزاج ذو قوى طبيعية تصرف ما حصلت فيه اليها وتقلبه الى صورتها
ومراجها وتنسب فيه ما حصل فيها من الكيفيات والقوى كالحميرة للحزن وتقلب العين الى
ذاتها وتعمل فيه ما حصل لها من الامشاش والمشاشة لجسمه في المعدة وتسخيل
سريعا الى الغذاء وكذا اكسبر الذهب والنصة فيما يحصل فيه من المعادن بصرفه اليها
وتقلبه الى صورتها هذا محصل رعمهم على الجملة فتقدم عاكبين على هذا العلاج يتفنون
الرزق والمعاش فيه ويتناقضون احكاما وقواعد من كتب لائمة الصاعه من قلمهم

يتداولونها بينهم ويتناظرون في فهم لغوزها وكشف اسرارها اذ هي في الاكثر تشبه
المعنى ككتاب جارس حيان في رسائل السعير ومصلحة الجريبي في كتاب رنة الحكيم
والطغرائي والمغبري في قصائده العزيقة في اجادة النظم وامثالها ولا يحلون من بعد هذا
كله بطائل منها . فعاصت يوماً شيخنا ابا الركات التلميذ كبير مشيخة الادلس في مثل
ذلك ووقفته على بعض التأليف فيها فتصححة طويلاً ثم رده الي وقال لي واما الصامن لة
ان لا يعود الى بيتي الا بالحجبة ثم منهم من يقتصر في ذلك على الدلسة فقط اما الظاهرة
كتمويه البصة بالذهب او الححاس بالنصة او خلطها على نسة حرء او جرءين او ثلاثة
او الحمية كالفا التسه بين المعادن بالصاعه مثل تبيض الححاس وتلبس بالورق المصعد
فيجيء حسماً معدنياً شبيهاً بالنصة ويحى الا على القاد المهرة فيقدر اصحاب هذه الدلس
مع دلتهم هذه سكة يسريوها في الناس ويطعمونها بطابع السلطان تويهاً على الجمهور
بالخلاص وهؤلاء احسن الناس حرفة واسوأ ثم عاقبة لتلسهم سرقة اموال الناس فان
صاحب هذه الدلسة انما هو يدفع نجاحاً في البصة وقصة في الذهب ليستخلصها لنفسه في
سارق او اشترى السارق ومعظم هذا الصف لديها بالمغرب من طلبة الدرر المنتهين
باطراف القناع ومساكن الاغمار باوون الى مساحد البادية وبهمون على الاغبياء منهم
ناس ما يديهم صاعه الذهب والبضة والعوس مولعة بحبها والاستهلاك في طلبها فيحصلون
من ذلك على معاش ثم يبقى ذلك عديم تحت الخوف والرقعة الى ان يظهر العهر ونقع
المصيحة فيمرون الى موضع اخر ويستجدون حالاً اخرى في استهواء بعض اهل الدنيا
باطاعهم فيما لديهم ولا يرالون كذلك في انتفاء معاشهم وهذا الصف لا كلام معهم لانهم
بلغوا الغاية في الجهل والرداءة والاحتراف بالسرقة ولا حاسم لعلهم الا اشتداد الحكم
عليهم وتناولهم من حيث كانوا وقطع ايديهم متى طهروا على شائهم لان فيه افساد للسكة
التي نعم بها الملوك وهي متمول الناس كافة والسلطان مكلف باصلاحها والاحتيال عليها
والاشتداد على مسديها واما من اتحل هذه الصاعه ولم يرض بحال الدلسة بل استنكف
عنها ونز نفسه عن افساد سكة المسلمين ونقودهم واما يطلب احالة البصة للذهب
والرصاص والححاس والقصدير الى البضة بذلك الغشوم العلاج وبالاكثير المحاصل
عنده فلنا مع هؤلاء متكلم وبحث في مداركهم لذلك مع اننا لا علم ان احداً من اهل العالم
ثم لة هذا الغرض او حصل منه على بقية اما تذهب اعمارهم في التدبير والنهر والصلاة
والتصعيد والتكليس واعنيام الاخطار بجميع العقاقير والبحث عنها ويتناقلون في ذلك

حكايات وقعت لعيرهم من ثملة الغرض منها او وقف على الوصول ينعمون باستماعها
 والمفاوصات فيها ولا يستريحون في تصديقها شان الكليلين المعربين بوساوس الاخبار فيها
 يكلمون بوفاداة شلوا عن تحقيق ذلك بالمعاينة انكروا وقالوا انما سمعنا ولم نره هكذا
 شانهم في كل عصر وحيل واعلم ان انحال هذه الصعقة قديم في العالم وقد تكلم الناس
 فيها من المتقدمين والمتأخرين فلسفل مذهبهم في ذلك ثم تلوه بما يظهر فيها من التحقيق
 الذي عليه الامر في نسو فنقول ان معنى الكلام في هذه الصعقة عدد الحكماء على حال
 المعادن السبعة المتطرفة وفي الذهب والنصه والرصاص والتصدير والحاس والحديد
 والحارصيني هل في مختلفات بالنصول وكلها انواع قائمه باسمها وانما مختلفة بخواص
 من الكيمياء وفي كلها اصناف لنوع واحد بالذي ذهب اليه ابو النصر الناراني وتابعة
 عليه حكماء الاندلس انها نوع واحد وان اخلاصا انما هو بالكيمياء من الرطوبة واليوسه
 واللبن والصلابة والالهيان من الصفرة والياض والسواد وفي كلها اصناف لذلك النوع
 الواحد والذي ذهب اليه اس سيبا وتابعة عليه حكماء المشرق انها مختلفة بالنصول وانها
 انواع متباينة كل واحد منها قائم بنسب متحقق مخيفتة لفصل وحس شان سائر الانواع
 ونسب ابو نصر الناراني على مذهبه في انما فيها بالنوع امكان انقلاب بعضها الى بعض
 لا يمكن تبدل الاعراض حيث تدبر وعلاصها بالصعقة من هذا الوجه كانت صناعة الكيمياء
 عده ممكنة سهلة الماخذ ونسب ابو علي اس سيبا على مذهبه في اخلاصها بالنوع انكار هذه
 الصعقة واستحالة وجودها بناء على ان الفصل لاسيل بالصناعة اليه وانما بخلفة خالتي
 الاشياء ومقدرها وهو الله عز وجل والنصول مجهولة الخفائق راسا بالنسور فكيف يحاول
 انقلابها بالصعقة وغلطة الطفراني من اكثار اهل هذه الصناعة في هذا القول ورد
 عليه بان التدبير والعلاج ليس في تخليق الفصل وابداعه وانما هو في اعداد المادة لقولوا
 خاصة والفصل يأتي من بعد الاعداد من لدن خالقو وارثو كما بيض النور على الاحسام
 بالفصل والامهاء ولا حاجة ما في ذلك الى تصويره ومعرفته قال واذا كما قد عتريا على
 تخليق بعض الحيوانات مع الجهل بعصولها مثل العقرب من التراب والنت ومثل الحيات
 المتكونة من الشعر ومثل ما ذكره اصحاب الملاحة من تكوين الخلل اذا فقدت من
 عجاجيل القرو وتكوين القصب من قريون ثوات الظلف وتغييره سكرًا بجثو القرون
 بالعسل بين يدي ذلك الفلح للقرون فما المانع اذا من العثور على مثل ذلك في الذهب
 والفضة فتجد مادة تصيها للتدبير بعد ان يكون فيها استعداد اول لقول صورة الذهب

والنضة تم تحاوها بالعلاج الى ان يتم فيها الاستعداد لقبول فصلها انتهى كلام الطبراني
 بمعناه وهو الذي ذكره في الرد على اس سيبا صحيح لكن لنا في الرد على اهل هذه الصناعة
 ماخذ اخر ينسب منه استحالة وجودها وظلان مرعهم اجمعين لا الطبراني ولا ابن سينا
 وذلك ان حاصل علاجهم انهم بعد الوقوف على المادة المستعدة بالاستعداد الاول
 يعملونها موضوعاً ويجاذون في تدبيرها وعلاجها تدبير الطبيعة في الجسم المعدني حتى
 احالة ذهبا او فضة ويصاعفون القوى المعالة والمنفعة ليم في زمان اقصر لانه تبين في
 موضوعه ان مضاعمة قوة المعال تنقص من رمس فعله وتبين ان الذهب انما يتم كونه في
 معدني بعد الف وثمابين من السنين دورة الشمس الكرى فاذا تصاعفت القوى والكيميات
 في العلاج كان رمس كونه اقصر من ذلك فخرورة على ما قلناه او يتخرون بعلاجهم ذلك
 حصول صورة مريحة لتلك المادة نصيرها كالحبيرة فتعمل في الجسم المعالج الافاعيل
 المطلوبة في احاليه وذلك هو الاكسير على ما تقدم . واعلم ان كل متكون من المولدات
 العصرية فلا بد فيه من اجتماع العناصر الاربعة على نسبة متفاوتة اذ لو كانت متكافئة
 في النسبة لما تم امتزاجها فلا بد من المحرر الغالب على الكل ولا بد في كل منتج من
 المولدات من حرارة غريبة هي المعالة لكونه الحافظة لصورته ثم كل متكون في زمان
 فلا بد من اختلاف اطواره وانتقاله في رمس التكوين من طور الى طور حتى ينتهي الى
 غايته وانظر شان الانسان في طور الطلعة ثم العطفة ثم المصغة ثم التصوير ثم التجسيم ثم المولود
 ثم الرضيع ثم الى بهائيه وسب الاجراء في كل طور تختلف في مفاديرها وكيمياتها والا
 لكاف الطور بعينه الاول هو الاخر وكذا الحرارة الغريبة في كل طور بحالة لها في
 الطور الاخر فانظر الى الذهب ما يكون له في معدني من الاطوار منذ الف سنة وثمابين
 وما ينتقل فيه من الاحوال فيحتاج صاحب الكيمياء الى ان يساوق فعل الطبيعة في المعدن
 ويجاذبه بتدبيره وعلاجه الى ان يتم ومن شرط الصناعة اذ تصور ما يقصد اليه بالصناعة
 فمن الامتال السائرة للحكام اول العمل اخر الفكرة واخر الفكرة اول العمل فلا بد من
 تصور هذه الحالات للذهب في احواله المتعددة وسبها المتفاوتة في كل طور واختلاف
 الحار الغريزي عند اختلافها ومقدار الزمان في كل طور وما يوجب عنه من مقدار القوى
 المضاعمة ويقوم مقامه حتى يجاذي بذلك كله فعل الطبيعة في المعدن او تعد لبعض
 المواد صورة مريحة تكون كصورة الحبيرة للحزوتفعل في هذه المادة بالمناسبة لقواها
 ومقاديرها وهذه كلها انما يحصرها العلم المحيط والعلوم الشريفة قاصرة عن ذلك وانما حال

من يدعي حصوله على الذهب بهذه الصنعة بمثابة من يدعي بالصنعة تخليق انسان من
المنى ونحن اذا سلسلنا الاحاطة باجرائه ونسبته واطواره وكيفية تخليفه في رجو وعلم
ذلك علماً محصلاً تناصلوا حتى لا يشذ منه شيء لا عن علو سلسلته تخليق هذا الانسان
ولا في ذلك ولنقرب هذا الرهان بالاختصار ليسهل فهمه فقول حاصل صناعة الكيمياء
وبما يدعونه بهذا التدبير انه مساوقة للطبيعة المعدية بالفعل الصناعي ومحاذاتها به الى
ان يتم كون الجسم المعدني او تخليق مادة تقوى وافعال وصورة مراجعة تفعل في الجسم
فعلاً طبيعياً فتصيره وتقلبه الى صورتها بالفعل الصناعي مسوق نتصورات احوال
الطبيعة المعدية التي يقصد مساوقتها او محاذاتها او فعل المادة ذات القوى فيها تصوراً
محصلاً واحدة بعد اخرى وتلك الاحوال لا نهاية لها والعلم الشري عاجز عن الاحاطة
بما دونها وهو بمثابة من يقصد تخليق انسان او حيوان او نبات هذا يحصل هذا الرهان
وهو اوتق ما علمته وليست الاستغالة فيه من جهة الفصول كما رايت ولا من الطبيعة اما
هو من تعدد الاحاطة وقصور البترة عما وما ذكره ان سبها بعزل عن ذلك وله وجه
اخر في الاستغالة من جهة غايته وذلك ان حكمة الله في التجريس وبدورها انها قيم لمكاسب
الباش ومتمولاتهم فلو حصل عليها بالصنعة لطلت حكمة الله في ذلك وكثر وجودها
حتى لا يحصل احد من اقتنائها على شيء موله وجه اخر من الاستغالة ايضاً وهو ان الطبيعة
لا تترك اقرب الطرق في افعالها وترتكب الاعوجاج والا بعد فلو كان هذا الطريق
الصناعي الذي يزعمون انه صحيح وانه اقرب من طريق الطبيعة في معدنها او اقل رماً
لما تركته الطبيعة الى طريقها الذي سلكته في كون النصة والذهب وتخليقها واما تنبيه
الطغرافي هذا التدبير بما عثر عليه من مفردات لامثاله في الطبيعة كالعقرب والحل
والحية وتخليقها فامر صحيح في هذه ادى اليه العنبر كما رعم . واما الكيمياء فلم يقل عن احد
من اهل العالم انه عثر عليها ولا على طريقها وما زال منخلوها بمنخلون فيها عشواء الى هلم
جرا ولا يطردون الا بالحكايات الكاذبة ولو صح ذلك لاحد منهم لحظة عه اولاده او
تلميذه واصحابه وتوكل في الاصدقاء وضمن تصديقه صحة العمل بعده الى ان ينتشر
ويبلغ اليها او الى غيرنا واما قولهم ان الاكسبر بمثابة الحميرة وانه مركب مجمل ما يحصل
فيه وينقله الى ذلك فاعلم ان الحميرة اما قلب العجيب وتعدده للهمز وهو فساد والفساد
في المواد سهل يقع بايسر شيء من الافعال والطبايع والمطلوب بالاكسبر قلب المعدن الى
ما هو اشرف منه واعلى فهو تكوين وصلاح والتكوين اصعب من الفساد فلا يقاس

الأكسير بالخبرة وتحقيق الامر في ذلك ان الكيمياء ان صح وجودها كما تزعم الحكماء
 المتكلمون فيها مثل جابر بن حيان ومسلمة بن احمد الجرجاني وامثالهم فليست من باب
 الصنائع الطبيعية ولا تتم بامر صناعي وليس كلامهم فيها من معنى الطبيعيات انما هو من
 معنى كلامهم في الامور السحرية وسائر الخوارق وما كان من ذلك للحلاج وغيره وقد ذكر
 مسلمة في كتاب الغاية ما يشبه ذلك وكلامه فيها في كتاب رتبة الحكيم من هذا المعنى وهذا
 كلام جابر في رسائله ونحو كلامهم فيه معروف ولا حاجة بنا الى شرحه وبالجمله فامرها
 عندهم من كليات المواد الخارجة عن حكم الصنائع فكما لا يتدبر ما منه الخشب والحجر
 في يوم او شهر خشباً او حيواناً فيما عدا مجرى تخليقه كذلك لا يتدبر ذهب من مادة الذهب
 في يوم ولا شهر ولا يتغير طريق عادته الا بآفراد ما وراء عالم الطبايع وعمل الصنائع
 فكذلك من طلب الكيمياء طلباً صناعياً ضيع ماله وعمله ويقال لهذا التدبير الصناعي
 التدبير العقيم لان نيلها ان كان صحيحاً فهو واقع ما وراء الطبايع والصنائع فهو كالمشي على
 الماء وامتناء الهواء والنوذ في كثائف الاجساد ونحو ذلك من كرامات الاولياء المخارقة
 للعادة او مثل تخليق الطير ونحوها من معجزات الانبياء قال تعالى واذ تخلق من الطين
 كهينة الطير باذني فتنفخ فيه فتكون طيراً باذني وعلى ذلك فسيل تسييرها مختلف بحسب
 حال من يوتاهما وربما اوتياها الصالح ويوتيا غيره فتكون عنده معارة وربما اوتياها الصالح
 ولا يملك اتيانها فلا تتم في يد غيره ومن هذا الباب يكون علمها سحرية فقد تبين انها انما
 تقع بتأثيرات النفوس وخوارق العادة اما معجزة او سحرية ولهذا كانت كلام الحكماء
 كهم فيها الغائراً لا يظفر بحقيقته الا من غاض لجة من علم السحر واطلع على تصرفات
 النفس في عالم الطبيعة وامور خرق العادة غير مخصصة ولا يقصد احد الى تحصيلها والله
 بما يعملون محيط واكثر ما يحمل على التماس هذه الصناعة واتقانها هو كالفناء العجز عن
 الطرق الطبيعية للمعاش والتغافل عن غير وجوه الطبيعة كالزراعة والتجارة والصناعة
 فيستصعب العاجز ابتغاء من هذه ويروم الحصول على الكثير من المال دفعة بوجوه
 غير طبيعية من الكيمياء وغيرها واكثر من يعني بذلك الفقراء من اهل العمران حتى في
 الحكماء المتكلمين في انكارها واستحالتها فان ابن سينا القائل باستحالتها كان عليه الوزراء
 فكان من اهل الغنى والثروة والفارابي القائل بإمكانها كان من اهل الفقر الذين يعوزهم
 ادنى بلغة من المعاش واسبابه وهذه تهمة ظاهرة في انظار النفوس المولعة بطرقها واتقانها
 والله الرزاق ذو القوة المتين لا رب سواه

الفصل الثامن والعشرون

في ان كثرة التأليف في العلوم عاقبة عن التحصيل

اهل آفة ما اضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غايته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها ثم مطاللة المتعلم والتلميذ باستحصار ذلك وحينئذ يسلم له مصب التحصيل فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها او اكثرها ومراعاة طرقها ولا يفي عمره بما كتب في ساعة واحدة اذا تجرد لما يقع القصور ولا يدون رتبة التحصيل ويمثل ذلك من شان الفقه في المذهب المالكي بكتاب المدونة مثلاً وما كتب عليها من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس والحسي وابن بشير والتسيهات والمقدمات والبيان والتفصيل على العناية وكذلك كتاب ابن الحاجب وما كتب عليه ثم انه يحتاج الى تمييز الطريقة التبريدية من الفرطية والنفادية والمصرية وطرق المتأخرين عنهم والاحاطة بذلك كله وحينئذ يسلم له مصب التتبع وفي كلها متكررة والمعنى واحد والمتعلم مطالب باستحصار جميعها وتبويبها والعمر ينقص في واحد منها ولو اقتصر المعلمون بالتعليم على المسائل المدهية فقط لكان الامر يدور ذلك بكثير وكان التعليم سهلاً وما خذه قريباً ولكنه اذا لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحوّلها ويمثل ايضاً علم العربية من كتاب سيبويه وجميع ما كتب عليه وطرق البصريين والكوفيين والعداديين والاندلسيين من عدم وطرق المتقدمين والمتأخرين مثل ابن الحاجب وابن مالك وجميع ما كتب في ذلك كيف يطالب هو المتعلم وينقضي عمره دونه ولا يطبع احد في الغاية منه الا في القليل النادر مثل ما وصل اليه بالغرب لهذا العهد من تأليف رجل من اهل صاعقة العربية من اهل مصر يعرف بالناس هاتم ظهر من كلامه فيها انه استولى على عاية من ملكة تلك الصاعقة لم تحصل الا لسبويه واس جيب واهل طقعتها لعظم ملكته وما احاط به من اصول ذلك الفن وتناوبه وحسن تصرفه فيه ودل ذلك على ان العسل ليس محصوراً في المتقدمين سيما مع ما قدمناه من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتأليف ولكن فصل الله بوثيقه من يشاء وهذا نادر من بواجر الوجود والا فالظاهر ان المتعلم ولو قطع عمره في هذا كله فلا يفي له بتحصيل علم العربية مثلاً الذي هو آفة من الآلات ووسيلة فكيف يكون في المقصود الذي هو الثمرة ولكن الله يهدي من يشاء

الفصل التاسع والعشرون

في ان كثرة الاختصارات المولدة في العلوم محلة بالتعليم

ذهب كثير من المتأخرين الى اختصار الطرق والانحاء في العلوم بولعون بها ويدونون منها رايها مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وإدلتها باختصار في الالفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الس و صار ذلك محلاً بالبلاغته وعسراً على النهم وربما عدوا الى الكتب الامهات المطولة في السون للتفسير والبيان فاخصروها تقريباً للحفظ كما فعله اس الحاحب في الفقه واصول الفقه وان مالك في العربية والخونجي في المطلق وامثالهم وهو فساد في التعليم وفيه اخلال بالتحصيل وذلك لان فيه تخليطاً على المبتدي بالنقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقولها بعد وهو من سوء التعليم كما سيأتي ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع الفاظ الاختصار العويصة للنهم يتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها لان الفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك صعبة عويصة فيقطع في فهمها حظ صالح عن الوقت ثم بعد ذلك فالمملكة المحاصلة من التعليم في تلك المختصرات اذا تم على سداد ولم تعفه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثر ما يقع في تلك من التكرار والاحالة للمبتدئين للحصول الملكة التامة واذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلتها كتمان هذه الموضوعات المختصرة فتقصروا الى تسهيل الحفظ على المتعلمين مما ركوم صعباً يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكها ومن بهذا الله فلا مصل له ومن يصل فلا هادي له والله سبحانه وتعالى اعلم

الفصل الثلاثون

في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته

اعلم ان تلقين العلوم للمتعلمين اما يكون مفيداً اذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً و قليلاً قليلاً بلقي عليه اولاً مسائل من كل باب من العلم في اصول ذلك الباب ويقر له في شزخها على سبيل الاحمال ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقول ما يرد عليه حتى ينتهي الى اخر العلم وبعد ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم الا انها حريئة وضعيفة وغابتها انها هيأته لنهم والتحصيل مسائل ثم يرجع به الى الن تانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة الى اعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الاجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه الى ان ينتهي الى اخر العلم فيجود ملكة ثم يرجع به وقد شد فلا يترك

عوباً ولا مهماً ولا متعلقاً الا وضحه وفتح له مقفله فيخلص من النسي وقد استولى على ملكوته
هذا وجه التعليم المفيد وهو كما رايت انما يحصل في ثلاث تكرارات وقد ينصل للنقص
في اقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد
الذي اذكركم بمجهولون طرق التعليم وافادته ويحضرون المتعلم في اول تعليمه المسائل المتقلة
من العلم وبطالونه ما حصار ذهوه في حلها وبحسب ذلك مرأياً على التعليم وصولاً فهو
ويكلمونه رعي ذلك وتحصيله ويخلطون عليهما يلتقون له من غايات النسي في ماديها وقيل
ان يستعد لهما فان قبول العلم والاستعدادات لهما تشا تدرجاً ويكون المتعلم اول
الامر عاجراً عن الفهم بالجملة الا في الاقل وعلى سبيل التفرغ والاحمال وبالامثال
الحسية ثم لا يزال الاستعداد فيو يتدرج قليلاً قليلاً بحال مسائل ذلك النسي وتكرارها
عليه ولا انتقال فيها من التفرغ الى الاستيعاب الذي فوقه حتى يتم الملكة في الاستعداد
ثم في التفصيل ويحيط هو بمسائل النسي واذا التفت عليه الغايات في البدايات وهو حينئذ
عاجز عن الفهم والوعي وبعد عن الاستعداد له كل ذهوه عنها وحسب ذلك من صعوبة
العلم في نفسه فتكاسل عنه وتغرف عن قوله وتماذى في هجره وإما اني ذلك من سوء
التعليم ولا ينبغي للعلم ان يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي اكب على التعليم مع حسب
طاقته وعلى نسبة قوله للتعليم متدنياً كان او متنبهاً ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى
يعيه من اوله الى اخره ويحصل اغراضه ويستولي معه على ملكة بها ينفع في غيره لان
المتعلم اذا حصل ملكة ما في علم من العلوم استعد بها لقول ما بقي وحصل له نشاط
في طلب المزيد والهوض الى ما فوق حتى يستولي على غايات العلم واذا خلط عليه
الامر عجز عن الفهم وادركه الكلال والطمس ففكره وبس من التفصيل ومهر العلم
والتعليم والله يهدي من يشاء وكذلك ينبغي لك ان لا تطول على المتعلم في النسي الواحد
تتريق المحاليس وتقطع ما بينها لانه ذريعة الى السيان وإعطاع مسائل النسي بعضهم
نعض فيعسر حصول الملكة تتريقها واذا كانت اوائل العلم واواخره حاضرة عند الفكرة
مجاورة للسيان كانت الملكة ايسر حصولاً واحكم ارتباطاً واقرّب صفة لان الملكات انما
تحصل تتابع الفعل وتكراره واذا تنومي الفعل توسيت الملكة الناشئة عنه والله علمكم مالم
تكونوا تعلمون ومن المذاهب المجبلة والطرق الواجبة في التعليم ان لا يخلط على المتعلم
علمان معاً فانه حينئذ قل ان يظفر واحد منها لما فيه من تقسيم البال وانصافه عن كل
واحد منها الى تنهم الاخر فيستغلان معاً ويستصعبان ويعود منها بالجملة واذا تفرغ

الفكر لتعليم ما هو بسيله مقتصرًا عليه فربما كان ذلك اجدر لتحصيله والله سبحانه وتعالى
الموفق للصواب . واعلم ايها المتعلم اني اتخفك بفائدة في تعلمك فان تلقيتها بالقبول
وامسكتها بيد الصناعة ظفرت بكثرة عظيم وذخيرة شريفة واقدم لك مقدمة تعينك اني
فهمها وذلك ان الفكر الانساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبتدعائه وهو
وجدان حركة للنفس في البطن الاوسط من الدماغ تارة يكون مبداء للافعال الانسانية
على نظام وترتيب وتارة يكون مبداء لعلم ما لم يكن حاصلًا بان يتوجه الى المطلوب وقد
بصور طرفيه ويروم نفيه او اثباته فيلوح له الوسط الذي يجمع بينهما اسرع من لمح البصر
ان كان واحدًا او ينتقل الى تحصيل اخر ان كان متعددًا . ويصير الى الظفر بمطلوبه هذا
شان هذه الطبيعة الفكرية التي تميز بها البشر من بين سائر الحيوانات ثم الصناعة المنطقية
هي كنية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية تصنة لتعلم سداده من خطائولاها وان
كان الصواب لها ذاتيًا الا انه قد يعرض لها الخطاء في الاقل من تصور الطرفين على
غير صورتها من اشتباه الهيات في نظم القضايا وترتيبها للتاج فتعجز المنطق للتخلص
من ورطة هذا الفساد اذا عرض فالمنطق اذا امر صناعي مساوق للطبيعة الفكرية
ومنتطبق على صورة فعلها ولكونه امرًا صناعيًا استغني عنه في الاكثر ولذلك نجد كثيرًا
من فحول النظائر في الخليفة يحصلون على المطالب في العلوم دون صناعة المنطق ولا سيما
مع صدق النية والتعرض لرحمة الله فان ذلك اعظم معنى ويسلكون بالطبيعة الفكرية
على سدادها فينضي بالضيع الى حصول الوسط والعلم بالمطلوب كما فطرها الله عليه ثم من
دون هذا الامر الصناعي الذي هو المنطق مقدمة اخرى من التعلم وهي معرفة الانفاظ
ودلائنها على المعاني الذهنية تردها من مشافهة الرسوم بالكتاب ومشافهة اللسان
بالخطاب فلا بد ايها المتعلم من مجاوزتك هذه المحجب كلها الى الفكر في مطلوبك قولا
دلالة الكتابة المرسومة على الانفاظ المتولة وهي اخنها ثم دلالة الانفاظ المتولة على المعاني
المطلوبة ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قولها المعروفة في صناعة المنطق
ثم تلك المعاني مجردة في الفكر اشتراطًا يقتض بها المطلوب بالطبيعة الفكرية بالتعرض
لرحمة الله ومواسمه وليس كل احد يجاوز هذه المراتب بسرعة ولا يقطع هذه المحجب في
التعليم بسهولة بل ربما وقف بالذهن في حجب الانفاظ بالمناقشات او عثر في اشتراك
الادلة بشغب الجدل والشبهات وقعد عن تحصيل المطلوب ولم يكد بفصل من تلك
الغمرة الا قليلا من هداة الله فاذا ابتليت بمثل ذلك وعرض لك ارتباك في فهمك او

تشفب بالشبهات في ذهنك فاطرح ذلك واتخذ حجب الالفاظ وعوائق الشبهات واترك الامر الصناعي جملة واخلص الى فضاء الفكر الطبيعي الذي فطرت عليه وسرح نظرك فيه وفتح ذهنك فيد الغوص على مرامك منه واضعاً لها حيث وضعها آكار النظر قللك مسعراً للنع من الله كما فتح عليهم من ذهم من رحمته وعلمهم مالم يكونوا يعلمون فاذا فعلت ذلك اشرفت عليك اوار النعم من الله بالظلم بظولك وحصل الامام الوسط الذي جعله الله من مقتضيات هذا الفكر ونظره عليه كما قلناه وحيث قد فارجع الى قوالب الادلة وصورها فافرح فيها ووفه حق من القانون الصناعي ثم اكسه صور الالفاظ واررره الى عالم الخطاب والمتشافة وتبين العرى صحيح النيان . ولما ان وقفت عند المناقشة والشبهة في الادلة الصاعية ونجس صوابها من خطائها وهذه امور صاعية وصعبة تستوي حينئذ المتعددة وتنشأ لاجل الوضع والاصطلاح فلا تميز جهة الحق منها اذ جهة الحق اما تستبين اذا كانت بالطبع فيستمر ما حصل من الشك والارتياب وتسدل المحجب على المطلوب وتتعبد بالناظر عن تحصيله وهذا شان الاكثرين من النظر والمتأخرين سيما من سقت له عجمة في لسانه فربطت عن ذهنه ومن حصل له تشبب بالقانون المنطقي تعصب له فاعتقد انه الدريعة الى ادراك الحق بالطبع فيقع في الحيرة بين شبه الاداة وشكوكها ولا يكاد يخلص منها والدريعة الى ادراك الحق بالطبع اما هي الفكر الطبيعي كما قلناه اذا حرد عن جميع الاوهام وتعرض الناظر فيه الى رحمة الله تعالى واما المنطقي فاما هو واصف لعل هذا الفكر فبساوقة لذلك في الاكثر فاعتبر ذلك واستمطر رحمة الله تعالى متى اعورك فهم المسائل تشرق عليك اواره بالالهام الى الصواب والله الهادي الى رحمته وما العلم الا من عند الله

الفصل الواحد والثلاثون

في ان العلوم الالهية لا توسع فيها الا نظار ولا تفرع المسائل

اعلم ان العلوم المتعارفة بين اهل العرفان على صيغ علوم مفصودة بالذات كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام وكالطبيعات والالهيات من الفلسفة وعلوم هي آية وسيلة هذه العلوم كالعربية والحساب وغيرها للشرعيات كالمنطق للفلسفة وربما كان آلة لعلم الكلام ولاصول الفقه على طريقة المتأخرين فاما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفرع المسائل واستكشاف الادلة والنظار

فان ذلك يزيد طالبيها تمكناً في ملكته وايضاً لمعانيها المقصودة واما العلوم التي هي آلة
لغيرها مثل العربية والمنطق واماها فلا ينبغي ان ينظر فيها الا من حيث هي آلة لذلك
الغير فقط ولا يوسع فيها الكلام ولا تنوع المسائل لان ذلك يخرج لها عن المقصود اذ
المقصود منها ما هي آلة له لا غير فكلما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار
الاشتغال بها لغواً مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها وربما
يكون ذلك عائقاً عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها مع ان شأنها ام
والعمر يقصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة فيكون الاشتغال بهذه العلوم الالية
تضييعاً للزمن وشتلاً بما لا يعني وهذا كما فعل المتأخرون في صناعة الفخ و صناعة المنطق
واصول الفقه لانهم اوسعوا دائرة الكلام فيها ولم يكتفوا من التفاريع والاستدلالات بما
اخرجها عن كونها آلة وصيروها من المقاصد وربما يقع فيها انظار لاحاجة بها في العلوم
المقصودة فهي من نوع اللغو وهي ايضاً مضرة بالمتعلمين على الاطلاق لان المتعلمين
اهتمامهم بالعلوم المقصودة أكثر من اهتمامهم بوسائلها فاذا قطعوا المعرفي تحصيل الوسائل
فتمت يظفرون بالمقاصد فهذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الالية ان لا يستعجلوا في شأنها
وينبهوا المتعلم على الغرض منها ويقولوا به عنده فمن نزعته به همة بعد ذلك الى شيء من
التبرغل فليرق له ما شاء من المراقي صعباً او سهلاً وكل ميسر لما خلق له

الفصل الثاني والثلاثون

في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقه

اعلم ان تعليم الولدان للقرآن شعار من شعار الدين اخذ به اهل الملّة ودرجوا عليه
في جميع امصارهم لما يسبق فيه الى القلوب من رسوخ الايمان وعقائده من آيات القرآن
وبعض متون الاحاديث وصار القرآن اصل التعليم الذي ينبغي عليه ما يحصل بعد من
الملكات وسبب ذلك ان التعليم الصفاشد رسوخاً وهو اصل لما بعده لان السابق
الاول للقلوب كالاساس للملكات وعلى حسب الاساس والسايلو يكون حال ما ينبغي عليه
واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلافهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من
الملكات فاما اهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط واخذهم
انشاء المدارس بالرسم ومسائل واختلاف حملة القرآن فيه لا يخطئون ذلك بسواً في شيء
من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعرو ولا من كلام العرب الى ان

بمحقق فيه او ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً عن العلم بالجملة وهذا
 مذهب اهل الامصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر ام المغرب في ولدانهم الى ان
 يجاوزوا حد البلوغ الى الشيبه وكذا في الكبير اذا رجع مدارس القرآن بعد طائفة من
 عمره فهم لذلك اقوم على رسم القرآن وحفظه من سوام واما اهل الاندلس فذهبهم
 تعليم القرآن والكتاب من حيث هو وهذا هو الذي براعونه في التعليم الا انه لما كان
 القرآن اصل ذلك واسه ومنع الدين والعلوم جعلوه اصلاً في التعليم فلا يقتصرون
 لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل واخذم
 بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن
 دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها الى ان يخرج الولد من عمر البلوغ الى
 الشيبه وقد شذا بعض الشيء في العربية والشعر والبصريها وبرز في الخط والكتاب
 وتعلق بأذيال العلم على الجملة لو كان فيها سند لتعليم العلوم لكنهم ينقطعون عن ذلك
 لانقطاع سند التعليم في افاقهم ولا يحصل بايديهم الا ما حصل من ذلك التعليم الاول
 وفيه كفايه لمن ارشده الله تعالى واستعداد اذا وجد المعلم واما اهل افريقية فيخلطون في
 تعليمهم الولد ان القرآن بالحديث في الغالب ومدارس قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها
 الا ان عنايتهم بالقران واستنظار الولدان اياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقرآته
 أكثر مما سواه وعنايتهم بالخط تبع لذلك وبالجملة فطريقهم في تعليم القرآن اقرب الى
 طريقة اهل الاندلس لان سند طريقهم في ذلك متصل بمشجئة الاندلس الذين اجازوا
 عند تغلب النصارى على شرق الاندلس واستفروا بنونس وعثم لهم لخذ ولدانهم بعد ذلك
 واما اهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا ولا ادري بم عنايتهم منها والذي
 ينقل لنا ان عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشيبه ولا يخلطون
 بتعليم الخط بل لتعليم الخط عندم قانون ومعلمون له على انفراد كما تتعلم سائر الصنائع ولا
 يتداولونها في مكاتب الصبيان واذا كتبوا لم الالواح فيخط قاصر عن الاجادة ومن اراد
 تعلم الخط فعلى قدر ما يسغ له بعد ذلك من المهمة في طلبه ويتغنى من اهل صنعته فاما
 اهل افريقية والمغرب فاقدام الاقتصار على القرآن القصير عن ملكة اللسان جملة
 وذلك ان القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما ان البشر مصروفون عن الاتيان بمثلوه
 فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال على اساليب والاحتناء بها وليس لهم ملكة في غير
 اساليب فلا يحصل لها حيو ملكة في اللسان العربي وحظه الجهد في العبارات وقلة

التصرف في الكلام وربما كان اهل افريقية في ذلك اخف من اهل المغرب لما يخلطون
 في تعليمهم القرآن بعبارة العلوم في قوانينها كما قلناه فيقندرون على شيء من التصرف
 ومحاذاة المثل بالمثل الا ان ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة لما ان اكثر محفوظهم عبارات
 العلوم النازلة عن البلاغة كما سيأتي في فصله واما اهل الاندلس فاقدوا الفنون في التعليم
 وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من اول العمر حصول ملكة صاروا بها
 اعرف في اللسان العربي وقصروا في سائر العلوم لبعدهم عن مدارسة القرآن والحديث
 النسب هو اصل العلوم واساسها فكانوا لذلك اهل حظ وادب بارع ام مقصر على حسب
 ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبي ولقد ذهب القاضي ابو بكر ابن العربي في
 كتاب رحلته الى طريقة غريبة في وجه التعليم واعاد في ذلك وابداً وقدم تعليم العربية
 والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب اهل الاندلس قال لان الشعر ديوان العرب
 ويدعو على تقديمه وتعليم العربية في التعليم ضرورة فساد اللغة ثم ينتقل منه الى الحساب
 فيتمرن فيه حتى يرى القوانين ثم ينتقل الى درس القرآن فانه يتيسر عليك بهذه المقدمة
 ثم قال وما غفلة اهل بلادنا في ان يواخذ الصبي بكتاب الله في اوامره بقراً ما لا ينهم
 وينصب في امر غيره ام عليه ثم قال ينظر في اصول الدين ثم اصول الفقه ثم الجدل ثم
 الحديث وعلومه ونهى مع ذلك ان يخلط في التعليم علماً الا ان يكون المتعلم قابلاً لذلك
 بمجودة النهم والنشاط هذا ما اشار اليه القاضي ابو بكر رحمه الله وهو لعربي مذهب حسن
 الا ان العوائد لا تساعد عليه وفي املك بالاحوال ووجه ما اخصت به العوائد من
 تقدم دراسة القرآن ايتار التبرك والثواب وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبي من
 الاقات والقواطع عن العلم فينوته القرآن لانه مادام في الحجر متفاد للحكم فاذا تجاوز البلوغ
 واغفل من ربة التهر فربما عصفت به رياح الشبهة فالتفت بساحل البطالة فيفتنهمون في
 زمان الحجر وربة الحكم تحصيل القرآن لئلا يذهب خلواً منه ولو حصل اليقين باستمراره
 في طلب العلم وقبوله التعليم لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي اولى ما اخذ به اهل
 المغرب والمشرق ولكن الله يحكم ما يشاء لا معقب لحكمه سبحانه

الفصل الثالث والثلاثون

في ان الشدة على المتعلمين مضرة بهم

وذلك ان ارهاف الحدي في التعليم يضر بالمتعلم سيما في اصاغره الولد لانه من سوء

الملكة ومن كان مرءاه بالعصف والنهر من المتعلمين او المالك او الخدم سطا به النهر
وضيق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعا الى الكسل وحمل على الكذب
والخبيث وهو الظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الايدي بالنهر عليه وعلمه المكر
والخدعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقا ففسدت معاني الانسانية التي له من حيث
الاجتماع والتمرن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله وصار عيالاً على غيره في ذلك
بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها ومدى
انسانيتها فارتكس وعاد في اسفل السافلين وهكذا وقع لكل امة حصلت في قبضة النهر
ونال منها العصف واعتبره في كل من يملك امره عليه ولا تكون الملكة الكافلة له رفيقة
يو وتجد ذلك فيهم استفراء وانظره في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء حتى
انهم يوصفون في كل افق وعصر بالحرج ومعناه في الاصطلاح المشهور الخباث والكد
وسببه ما قلناه فينبغي للعالم في متعلمه والوالد في ولده ان لا يستبدوا عليهم في التاديب
وقد قال محمد بن ابي زيد في كتابه الذي الفه في حكم المعلمين والمتعلمين لا ينبغي
لمؤدب الصبيان ان يزيد في ضربهم اذا احتاجوا اليه على ثلاثة اسواط شيئاً ومن كلام
عمر رضي الله عنه من لم يودبه الشرع لادبه الله حرصاً على صون النفوس عن مذلة التاديب
وعلماً بان المقدار الذي عينه الشرع لذلك املك له فانه اعلم بمصلحته ومن احسن
مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الامين فقال يا احمران امير المؤمنين
قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعة لك واجبة فكن له
بحيث وضعك امير المؤمنين اقرئه القرآن وعرفه الاخبار وروى الاشعار وعلمه السنن
وبصره بمواقع الكلام وبدته وامتنعه من الضحك الا في اوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بني
هاشم اذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ولا تمرن بك ساعة الا وانت
مجتنب فائدة تفيده اياها من غير ان تمرن فتميت ذهنه ولا تمن في مساحته فيستعلي الفراغ
ويا لفة وقومة ما استطعت بالقرب والملاينة فان اباهما فعليك بالشدة والغلظة انتهى

الفصل الرابع والثلاثون

في ان الرحلة في طلب للعلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم!

والسبب في ذلك ان البشر ياخذون معارفهم واخلاقهم وما يتعلمون به من المذاهب
والفضائل نارة علماً وتعلماً والقاء وتارة محاكاة وتلقيناً بالباشرة الا ان حصول الملكات عن

المباشرة والتلفين استنداً استحكاماً وأقوى رسوخاً فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها والاصطلاحات أيضاً في تعليم العلوم محلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جرم من العلم ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرة لاختلاف الطرق فيها من المعلمين ولقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ بعيدة تميز الاصطلاحات عما يراد من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم أنها انحاء لتعليم وطرق توصيل وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في المكان وتصح معارفه ويميزها عن سواها مع نفوية ملكته بالمباشرة والتلفين وكثرة من المنتفعة عند تعدد وتنوعهم وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب العوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

الفصل الخامس والثلاثون

في أن العلماء من بين البشر أعدى السياسة ومناهبيها

والسبب في ذلك أنهم معتادون النظر الفكري والغوص على المعاني وإتراءها من المحسوسات وتجريدها في ذهنهم أموراً كلية عامة ليحكم عليها بأمرا أعموم لا بخصوص مادة ولا تخصص ولا حيل ولا أمم ولا صف من الناس ويطلقون من بعد ذلك الكلي على الحارجات وإيضاً يقيسون الأمور على انتسابها وإمتثالها بما اعتادوه من القياس العقلي فلا تزال أحكامهم وانظارهم كلها في ذهنهم ولا نصير إلى المطابقة إلا بعد السراع من البحث والطر ولا نصير بالجملة إلى مطابقة وإنما يتدبر ما في الخارج عما في الذهن من ذلك كالأحكام الشرعية فإياها فروع عما في المخطوط من أدلة الكتاب والسنة فتطلب مطابقة ما في الخارج لها عكس الانظار في العلوم العقلية التي تطلب في صحتها مطابقتها لما في الخارج فهم متعودون في سائر انظارهم الأمور الذهبية والانظار الفكرية لا يعرفون سواها والسياسة يحتاج صاحبها إلى مراعاة ما في الخارج وما يلحقها من الأحوال ويتبعها فإياها خفية ولعل أن يكون فيها ما يمنع من الحاقها بنسب أو مثال ويبقى الكلي الذي يحاول تطبيقه عليها ولا يقاس شيء من أحوال العرار على الآخر كما انتبه في أمر واحد فعلها اختلفا في أمور فنكون العلماء لاجل ما تعودوه من تعميم الأحكام وقياس الأمور بعضها على بعض إذا نظروا في السياسة أفرغوا ذلك في قالب انظارهم وبوع استدلالهم فيقعون في الغلط كثيراً ولا يؤمن عليهم ويلحق بهم أهل الذكاء والكيس من أهل العرار لأنهم يزعجون

ثقوب اذهانهم الى مثل شان الفقه من الغوص على المعاني والقياس والمحاكاة فيقعون في الغلط والعامي السليم الطبع المتوسط الكيس لقصور فكره عن ذلك وعدم اعتياده اياه يقتصر لكل مادة على حكمها وفي كل صف من الاحوال والاشخاص على ما اختص به ولا يعدني الحكم بقياس ولا نعيم ولا يمارق في أكثر نظره المواد المحسوسة ولا يجاورها في فهمها كالساح لا يمارق البر عند الموج قال الشاعر

فلا نوعلى اذا ما سمجت فان السلامة في الساحل

فيكون مامونا من الطر في سياسته مستقيم النظري معاملة اساء حسنه فيحسن معاشه وتدفع آفاته ومصاره باستقامة نظره وفوق كل ذي علم عليم ومن هنا ينشأ ان صاعة المطن غير مامونة الغلط لكثرة ما فيها من الاتزاع ونعدها عن المحسوس فانها تنظر في المعقولات الثواني ولعل المواد فيها ما يمانع تلك الاحكام ويباقيها عند مراعاة التطبيق اليقيني واتما الشر في المقولات الاول وهي التي تجر يدها قريب فليس كذلك لانها خيالية وصور المحسوسات حاوية مودة تصديق انطباعه والله سبحانه وتعالى اعلم وبالتوفيق

الفصل السادس والثلاثون

في ان حملة العلم في الاسلام اكرمهم الله

من العرب الواقع ان حملة العلم في الملة الاسلامية اكرمهم الله لا من العلوم الترغية ولا من العلوم العقلية الا في القليل النادر وان كان منهم العربي في سببه فمن عجمي في لغته ومرابه ومتبحره مع ان الملة عربية وصاحب شر يعنها هري والسبب في ذلك ان الملة في اولها لم يكن فيها علم ولا صاعة لمقتضى احوال السداجة والداقة وانما احكام الشريعة التي هي اوامر الله ونواهيه كالرجال ينقلونها في صدورهم وقد عرفوا ما خداه من الكتاب والسنة مما تلقوه من صاحب الشرع واصحابه والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا امر التعليم والتأليف والتدوين ولا دفعوا اليه ولا دعته اليه حاجة وحري الامر على ذلك زمن الصحابة والتابعين وكانوا يسمون المختصين بحمل ذلك ونقله القراء اي الذين يقرأون الكتاب وليسوا اميين لان الامية يومئذ صفة عامة في الصحابة بما كانوا عربا فليل حملة القرآن يومئذ قراء اشارة الى هدا فهم قراء لكتاب الله والسنة الماتورة عن الله لا هم لم يعرفوا الاحكام الشرعية الا منة ومن الحديث الذي هو في غالب موارد تفسيره وشرح قال صلى الله عليه وسلم تركت فيكم امرين لن ينفصلوا ما منسكم بهما كتاب الله وسنتي ولما

بعد النقل من لندن دولة الرشيد فما بعد احتيج الى وضع التفسير القرآنية وتقييد الحديث
 مخافة صياحه ثم احتيج الى معرفة الاساييد وتعديل الباقلين للتمييز بين الصحيح من الاساييد
 وما دونه ثم كثر استخراج احكام الواقعات من الكتاب والسنة وفسد مع ذلك اللسان
 فاحتيج الى وضع القوانين العنوية وصارت العلوم الشرعية كلها ملكات في الاستنباطات
 والاستخراج والتنظير والقياس واحتاجت الى علوم اخرى وفي الوسائل لها من معرفة قوانين
 العربية وقوانين ذلك الاستسباط والقياس والذب عن العقائد الايمانية بالادلة لكثرة
 الدع والايحاد فصارت هذه العلوم كلها علومًا ذات ملكات محتاجة الى التعليم فاندحرت
 في حلة الصنائع وقد كما قدما ان الصنائع من منزل المحصر وان العرب بعد الناس
 عنها فصارت العلوم لذلك حصرية وبعد عنها العرب وعن سوقها والمحصر لذلك العهد
 هم العجم اوس في معاصم من الموالي واهل المحاصر الذين هم يومئذ نبع للعجم في الحصار
 واحوالها من الصنائع والحرف لانهم اقوم على ذلك للحصارة الراضحة فيهم منذ دولة العرس
 فكان صاحب صناعة الفخوسبيو والماري من بعده والرجاج من بعدهما وكلهم عجمي في
 اسابهم واما ربا في اللسان العربي فاكتسوه بالمرى ومخالطة العرب وصيروه قوايين
 وفان لم يعدم وكذا حملة الحديث الذين حفظوه عن اهل الاسلام اكثرهم عجمي ان
 مستعملين باللغة والمارى وكان علماء اصول الفقه كلهم عجمي كما يعرف وكذا حملة علم
 الكلام وكذا اكثر المعسرين ولم يبق بمحيط العلم وتدوينه الا الاعاجير وظهر مصداق قوله
 صلى الله عليه وسلم لو تعلق العلم ما كاف السماء لانه قوم من اهل فارس واما العرب
 الذين ادركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا اليها عن الدواة فتغلغلت الرئاسة في الدولة
 العباسية وما دفعوا اليه من القيام بالملك عن القيام بالعلم والطرف فيهم قائموا كانوا اهل
 الدولة وحاميتها واولي سياستها مع ما يلحقهم من الامة عن اتحال العلم حينئذ بما صار من
 حلة الصنائع والروساء اذ يستكفون عن الصنائع والمهن وما يجرب اليها ودفعوا ذلك الى
 من قام به من العجم والمولدين وما رالوا يرون لهم حق القيام به فانه ديبهم وعلومهم ولا
 يخفرون حملها كل الاحتقار حتى اذا خرج الامر من العرب حيلة وصار للعجم صارت
 العلوم الشرعية غريبة السمة عند اهل الملك بما هم عليه من البعد عن نسبتها وامتنع
 حملتها بما يرون انهم بعداء عنهم مشتغلين بما لا يعي ولا يجدي عنهم في الملك والسياسة
 كما ذكرناه في نقل المراتب الدينية فهذا الذي قررناه هو السبب في ان حملة الشرعيات
 عامتهم من العجم واما العلوم العقلية ايضاً فلم تظهر في الملة الا بعد ان تميز حملة العلم ومولعوا

واستقر العلم كله ساعة فاخصت بالعجم وتركها العرب وانصرفوا عن انخاضها فلم يحملها
 الا العربون من العجم شان الصنائع كما قلناه اولاً فلم يزل ذلك في الامصار ما دامت
 الحصار في العجم وبلادهم من العراق وخراسان وما وراء النهر فلما خربت تلك الامصار
 وذهبت منها الحصار التي هي سر الله في حصول العلم والصنائع ذهب العلم من العجم حلة
 بلما شملهم من الدواة واخصن العلم بالامصار الموفرة الحصار ولا اوفر اليوم في الحصار
 من مصرفي ام العالم وابول الاسلام وينوع العلم والصنائع وبقي بعض الحصار في ما
 وراء النهر لما هناك من الحصار بالدولة التي فيها فلم يزل ذلك حصه من العلوم والصنائع
 لا تنكرو قد دلنا على ذلك كلام بعض علمائهم في تأليف وصلت البنا الى هذه البلاد وهو
 سعد الدين التتاراني واما غيره من العجم فلم ير لم من بعد الامام بن الخطيب وبصير
 الدين الطوسي كلاماً يعول على نهايته في الاصابة فاعثر ذلك وتامله ترعماً في احوال
 الخليفة والله يخلق ما يشاء لا اله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على
 كل شيء قدير وحسبنا الله ومع الوكيل والحمد لله

الفصل السابع والثلاثون

في علوم اللسان العربي

اركانه اربعة وهي اللغة والنحو والبيان والادب ومعرفتها ضرورية على اهل الشريعة
 اذا ماخذ الاحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة
 والتابعين عرب وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلاند من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان
 لمن اراد علم الشريعة وتناوت في التاكيد تفاوت مراتبها في التوفيق بمقصود الكلام حسبما
 يتبين في الكلام عليها فافناً والذي يفصل ان الامم المتقدم منها هو النحو اذ به يتبين
 اصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل اصل
 الافادة وكان من حق علم اللغة التقدم لولا ان اكثر الاوضاع باقية في موضوعاتها لم تغير
 بخلاف الاعراب الدال على الاساد والمسند والمسند اليه فاعثر بغير الجملة ولم يبق الفاتر فذلك
 كان علم النحوي من اللغة اذ في جهله الاخلال بالتعام حلة وليست كذلك اللغة والله
 سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

علم النحو

اعلم ان اللغة في المعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك الصارة فعل لساني

فلا بد ان تصبح ملكة متفرقة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل امة بحسب اصطلاحاتهم وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك احسن الملكات واوضحها ابانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني مثل الحركات التي تعين الفاعل من المنعول من الجرور اعني المضاف ومثل الحروف التي تنضي بالافعال الى الذوات من غير تكلف الفاظ اخرى وليس يوجد ذلك الا في لغة العرب واما غيرها من اللغات فكل معنى او حال لا بد له من الفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم من مخاطباتهم اطول مما ندره بكلام العرب وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم اتهمت جوامع الكلم واخصر لي الكلام اختصاراً فصار للحروف في لغتهم والحركات والمبنيات اي الاوضاع اعتبار في الدلالة على المقصود غير متكلنين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها انما هي ملكة في السنتم ياخذها الاخر عن الاول كما تاخذ صبيانا لهذا العهد لغاتنا فلما جاء الاسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في ايدي الامم والدول وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما اتى اليها السمع من المخالافات التي المتفرقين والسمع لهم الملكات اللسانية فسدت بما اتى اليها مما يغيرها لجنوحها اليه باعياذ السمع وخشي اهل العلوم منهم ان تنسد تلك الملكة راساً وبطول العهد بها فينقل القرآن والحديث على المفهوم فاستنطول من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد فيفسون عليها سائر انواع الكلام ويلحقون الاشياء بالاشياء مثل ان الفاعل مرفوع والمنعول منصوب والمبتدا مرفوع ثم راوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميتها اعراباً وتسمية الموجب لذلك التغير عملاً وامثال ذلك وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم ففقدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو واول من كتب فيها ابو الاسود الدؤلي من بني كنانة ويقال باشارة علي رضي الله عنه لانراى تغير الملكة فاشار عليه بحفظها فنزع الى ضبطها بالقوانين المحاضرة المستقرأة ثم كتب فيها الناس من بعده الى ان انتهت الى الخليل بن احمد الفراهيدي ايام الرشيد احوج ما كان الناس اليها لذهاب تلك الملكة من العرب فهذب الصناعة وكمل ابوابها واخذها عنه سيبويه فكلل بتأريعها واستكثر من ادلتها وشواهدا ووضع فيها كتابه المشهور الذي صار اماماً لكل ما كتب فيها من بعده ثم وضع ابو علي الفارسي وابو القاسم الزجاج كتاباً مختصرة للتعلمين يحذون فيها حذو الامام في كتابه ثم طال الكلام في هذه الصناعة وحدث الخلاف بين اهلها في الكوفة والبصرة المصرين التديين للعرب وكثرت الادلة والحجج بينهم وتباينت

الطرق في التعليم وكثرة الاختلاف في اعراب كثير من آي القرآن باختلافهم في تلك
القواعد وطال ذلك على المتعلمين وجاء المتأخرون بمذاهبهم في الاختصار فاخصروا
كثيراً من ذلك الطول مع استيعابهم لجميع ما قبل كما فعله اس مالك في كتاب التسهيل
وايهاله او اقتصارهم على المادى للمتعلمين كما فعله الرحمتري في المصل واس الحاجب في
المقدمة له وربما نظمو ذلك نظماً مثل اس مالك في الامروزتين الكبرى والصغرى واس
معطي في الاحرورة الالهية والمحملة فالتأليف في هذا الفن أكثر من ان تحصى او يحاط
بها وطرق التعليم فيها مختلفة فطريقة المتقدمين مغايرة لطريقة المتأخرين والكوفيون
والصربون والغناديون والاندلسيون مختلفة طرقهم كذلك وقد كادت هذه الصناعة
ان تودس بالذهاب لما رايها من النقص في سائر العلوم والصنائع شاقص العبران ووصل
اليها بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر مسوب الى جمال الدين بن هتام من علمائها
استوفى فيه احكام الاعراب مجملة ومصلة وتكلم على الحروف والمعدرات والجمل وحذف
ما في الصناعة من التكرار في اكثر اولها وسماه بالمغني في الاعراب وانتار الى نكت اعراب
القرآن كلها وصفتها بابواب وفصول وقواعد استطعت سائر ما فوقها من علم جم
يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفور تصاعده منها وكأنه يغوص في طريقتي معجزة اهل
الموصل الذين اقموا اتراس جي واتعلوا مصطلح تعليمه فاتي من ذلك نتيء عجيب دال
على قوة ملكته وإطلاعه والله يريد في الخلق ما يشاء

علم اللغة

هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية وذلك انه لما فسدت ملكة اللسان العربي
في الحركات المسماة عد اهل النحوى بالاعراب واستنطت القوايين لحفظها كما قلناه ثم
استمر ذلك السداد بلاسة المعجم ومحالطتهم حتى نادى السداد الى موضوعات الالفاظ
فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عذم ميلا مع مهمة المتعربين في
اضطلاحاتهم المخالفة لصرح العربية فاحتجج الى حط الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين
ختية الدروس وما يشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث فتمت كثير من ائمة اللسان
لذلك واملا في الدواوين وكان سابق الحلة في ذلك الحليل بن احمد الرازيدي الف
فيها كتاب العين محصر في مركبات حروف المعجم كلها من الثنائي والثلاثي والرباعي
والخماسي وهو غاية ما ينهي اليه التركيب في اللسان العربي وتاتي له حصر ذلك بوجوه
عديدة حاضرة وذلك ان جملة الكلمات الشائبة تخرج من جميع الاعداد على التوالي من

واحد الى سبعة وعشرين وهو دون نهاية حروف المعجم بواحد لان الحرف الواحد منها
يؤخذ مع كل واحد من السبعة والعشرين فتكون سبعة وعشرين كلمة ثنائية ثم يؤخذ الثاني
مع الستة والعشرين كذلك ثم الثالث والرابع ثم يؤخذ السابع والعشرون مع الثامن
والعشرين فيكون واحداً فتكون كلها اعداداً على التوالي العدد من واحد الى سبعة وعشرين
فتجمع كما هي بالعمل المعروف عند اهل الحساب ثم تضاعف لاجل قلب الثاني لان
التقديم والتأخير بين الحروف معتبر في التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات وتخرج
الثلاثيات من ضرب عدد الثنائيات فيما يجمع من واحد الى ستة وعشرين لان كل ثنائية
يزيد عليها حرفاً فتكون ثلاثية فتكون الثنائية بمنزلة الحرف الواحد مع كل واحد من
الحروف الباقية وهي ستة وعشرون حرفاً بعد الثنائية فتجمع من واحد الى ستة وعشرين
على التوالي العدد ويضرب فيه جملة الثنائيات ثم تضرب الخارج في ستة جملة مقلوبات
الكلمة الثلاثية فيخرج مجموع تراكيبها من حروف المعجم وكذلك في الرباعي والخماسي
فانحصرت له التراكيب بهذا الوجه ورتب ابوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف
واعتمد فيه ترتيب الخارج فبدأ بحروف الحلق ثم بعده من حروف الحنك ثم الاضراس ثم
الشفة وجعل حروف اللثة الحراً وهي الحروف الهوائية وبدأ من حروف الحلق بالعين
لانه الاقصر منها فلذلك سمي كتابة بالعين لان المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم
الى مثل هذا وهو تسمية باول ما يقع فيه من الكلمات والانفاذ ثم بين المهمل منها من
المستعمل وكان المهمل في الرباعي والخماسي اكثر لقلة استعمال العرب له انقلولوحق به الثاني
لقلة دوارتو وكان الاستعمال في الثلاثي اغلب فكانت اوضاعه اكثر ادوارتو وضمن التحليل
ذلك كله في كتاب العين واستوعبه احسن استيعاب وادعاه وجاء ابو بكر الزبيدي وكتب
لهشام المؤيد بالاندلس في المائة الرابعة فاختصره مع المحافظة على الاستيعاب وحذف
منه المهمل كله وكثيراً من شواهد المستعمل ولخصه للحنظ احسن تلخيص والى الجوهري
من المشاركة كتاب الصحاح على الترتيب المتعارف لحروف المعجم فجعل البداية منها
بالهمزة وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الاخير من الكلمة لاضطرار الناس في الاكثر
الى اواخر الكلم وحصر اللغة اقتداءً بحصر التحليل ثم الف فيها من الاندلسيين ابن سيده
من اهل دانية في دولة على بن مجاهد كتاب الحكم على ذلك النسخي من الاستيعاب وعلى
نحو ترتيب كتاب العين وزاد فيه التعرض لاشتقاقات الكلم ونصاريفها المجاه من احسن
الدواوين ولخصه محمد بن ابي الحسين صاحب المهنصر من ملوك الدولة الحفصية

تونس وقلب ترتيبه الى ترتيب كتاب الصحاح في اعتبار او اخر الكلم و بناء التراجم عليها
فكنا نؤامي رحم وسليبي ائمة هذه اصول كتب اللغة فيها علماء وهناك مختصرات اخرى
مختصة بصنف من الكلم ومستوعبة لبعض الابواب او لكلاها الا ان وجه الحصر فيها خفي
ووجه الحصر في تلك جلي من قل التراكم كما رايت ومن الكتب الموصوعة ايضا في
اللغة كتاب الرمحشري في المجاز بين فيو كل ما تجوزت به العرب من الالفاظ وفيما تجوزت
به من المدلولات وهو كتاب شريف الافادة ثم لما كانت العرب تضع الشيء على العموم
ثم تستعمل في الامور الخاصة بالفاظ اخرى خاصة بها فوق ذلك عندما بين الوضع
والاستعمال واحتاج الى فقه في اللغة عزيز الماخذ كما وضع الايض بالوضع العام لكل ما
فيه بياض ثم اخضع ما فيه بياض من التحيل بالانتهب ومن الاسان بالارهر ومن الغنم
بالامح حتى صار استعمال الايض في هذه كلها لحنًا وخروجًا عن لسان العرب واخص
بالتأليف في هذا المعنى التعالي وافرده في كتاب له سماه فقه اللغة وهو من أكد ما ياخذ
به اللغوي بسنة ان يحرف استعمال العرب عن مواضعه فليس معرفة الوضع الاول بكاف
في الترتيب حتى يتهدد استعمال العرب لذلك واكثر ما يحتاج الى ذلك الاديب في فني
نظمه ونثره حذرًا من ان يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في معرداتها وتراكيبها وهو اشد
من اللحن في الاعراب والحنس وكذلك الف بعض المتأخرين في الالفاظ المشتركة
وتكسر بحصرها وان لم نلج الى النهاية في ذلك فهو مستوعب للاكثر واما المختصرات
الموجودة في هذا الفن المخصوصة بالمتداول من اللغة الكثير استعمال تسهيلًا لمصطلها على
الطالب فكثيرة مثل الالفاظ لاس السكيت والنصح لثعلب وغيرها وبعضها اقل لغة من
بعض لاختلاف نظرم في الامم على الطالب للمحظ والله المحلاق العليم لارب سواء

علم البيان

هذا العلم حادث في الملة بعد علم العربية واللغة وهو من العلوم السانية لانه متعلق
بالالفاظ وما تنبذه ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني وذلك ان الامور التي يقصد
المتكلم بها افادة السامع من كلامه في اما تصور معردات تسند ويسند اليها وينفي بعضها
الى بعض والدالة على هذه هي المعردات من الاسماء والافعال والحروف واما تمييز المسندات
من المسند اليها والازمنة وبدل عليها بتغير الحركات من الاعراب وابنية الكلمات وهذه
كلها هي صناعة النحوي وبقي من الامور المكتشفة بالواقعات المحاجة للدلالة احوال المخاطبين
او الفاعلين وما يقتضيه حال العمل وهو محتاج الى الدلالة عليه لانه من تمام الافادة واذا

حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الافادة في كلامه وإذا لم يشتمل على شيء منها فليس من جنس
 كلام العرب فان كلامهم واسع ولكل مقام عدم مقال يخص به بعد كمال الاعراب
 والامانة الا ترى ان قولهم زيد جاءني مغاير لقولهم جاءني زيد من قبل ان المتقدم منها هو
 الاسم عند المتكلم من قال جاءني زيد افاد ان اهتمامه بالجيء قبل التخصيص المستلزم
 ومن قال زيد جاءني افاد ان اهتمامه بالتخصيص قبل الجيء المسد وكما التعبير عن اجراء
 الجملة بما يناسب المقام من موصول او ميم او معرفة وكذا تأكيد الاسناد على الجملة
 كقولهم زيد قائم وان زيدا قائم وان زيدا لغايم متعارفة كلها في الدلالة وان استوت من طريق
 الاعراب فان الاول العاري عن التأكيد اما ينفيد الحالي الدهس والثاني المؤكد بان يبيد
 المتردد والثالث يبيد المكروه مخففة وكذلك تقول جاءني الرجل ثم تقول مكانه عيبو جاءني
 رجل اذا قصدت بذلك التذكير تعظيماً وانه رجل لا بعدالة احدهم الرجال ثم الجملة الاسادية
 تكون خبرية وهي التي لها خارج نطاقاً اولاً وانثائية وهي التي لا خارج لها كالطلب
 وابواعه ثم قد يتعين ترك العاطف بين الجملتين اذا كانت للثانية محل من الاعراب
 فيترك بذلك منزلة النافع المرد دعاً وتوكيداً وبدلاً بلا عطف او يتعين العطف اذا
 يكن للثانية محل من الاعراب ثم يقتضي المحل الاطبات والابحار فيورد الكلام عليها ثم قد
 يدل باللفظ ولا يريد منطوقه ويريد لارمة ان كان مفرداً كما تقول زيد اسد فلا تريد حقيقة
 الاسد المنطوقه وانما تريد تشباهة اللارمة وتسندها الى زيد ونسبها هذه استعاره وقد تريد باللفظ
 المركب الدلالة على ملرومو كما تقول زيد كثير الرماد وتريد به ما لزم ذلك عنه من
 الخود وقرى الصبغ لان كثرة الرماد ناشئة عنها فهي دالة عليها وهذه كلها دلالة رائدة
 على دلالة الالفاظ المفرد والمركب وانما هي هيأت واحوال الوقائع جعلت للدلالة عليها
 احوال وهيأت في الالفاظ كلياً بحسب ما يقتضيه مقامه فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان
 على البحث عن هذه الدلالة التي للهيأت والاحوال والمقامات وجعل على ثلاثة اصناف
 الصنف الاول يبحث فيو عن هذه الهيأت والاحوال التي نطاقها باللفظ جميع مقتضيات
 الحال ويسمى علم الدلالة والصنف الثاني يبحث فيه عن الدلالة على اللارم اللعطي وملرومو
 وهي الاستعارة والكناية كما قلناه ويسمى علم البيان والحقول بهما صنف اخر وهو النطري
 تزيين الكلام وتحسينه سوع من التفتيح اما لسمع يصبه او تفتيح يشاه بين الماظة ان
 ترصع بقطع اوراة او تورية عن المعنى المقصود بابهام معني اخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما
 وامثال ذلك ويسمى علم البديع واطلق على الاصناف الثلاثة عند المحدثين اسم

البيان وهو اسم الصف الثاني لان الاقدمين اول ما تكلموا فيوتم تلاحت مسائل الس
 واحدة بعد اخرى وكتب فيها جعفر بن يحيى والجاحظ وقدامة وامثالهم املاءات غير وافية
 فيها تم تريل مسائل الس بكل شيئاً فشيئاً الى ان محض السكاكي ربدته وهذب مسائله
 ورتب ابوابه على نحو ما ذكرناه اعماً من الترتيب والى كثرة المسئلة بالمتناج في المعنى
 والتصريف والبيان فعمل هذا الس من بعض احرائق واحدة المتأخرون من كتابه ولحقوا
 منه امهات في المتداولة لهذا العهد كما فعله السكاكي في كتاب النيان وابن مالك في كتاب
 المصباح وجلال الدين التروبي في كتاب الاصحاح والتلخيص وهو اصغر محمداً من
 الاصحاح والعناية به لهذا العهد عدد اهل المشرق في الشرح والتعليم منه أكثر من غيره
 وما جملة والمشاركة على هذا الس اقوم من المغاربة وسببه والله اعلم انه كالي في العلوم
 اللسانية واللسان الكالية توجد في العرمان والمشرق وافر عمراناً من المغرب كما ذكرناه ان
 نقول لسايبه العجم وم معظم اهل المشرق كتفسير الرمحشري وهو كله مبني على هذا الس
 وهو اصله وانما اخص اهل المغرب من اصنافه علم الدبيع خاصة وحملوه من حملة علوم
 الادب الشعرية ووزعوا له القاءاً وعددوا ابواباً وبوعوا ابواباً ورعوا انهم احصوها من
 اسان العرب وانما جئهم على ذلك الولوع بترتيب الاناط وان علم الدبيع سهل الماخذ
 وصعدت عليهم ماخذ الملاعة والبيان لدقة انظارها وغوص معانيها فتجافوا عنها ومن
 الف في الدبيع من اهل افريقية اس رشيق وكتاب العدة له مشهور وحرى كثير من
 اهل افريقية والاندلس على تفهاه واعلم ان غرة هذا الس انما هي في فهم الاعجاز من القرآن
 لان اعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الاحوال مطوقة ومعمومة وهي اعلى مراتب
 الكلام مع الكمال فيما يختص بالاناط في انتقاءها ووحدة رصنها وتركيبها وهذا هو الاعجاز
 الذي نقصر الافهام عن دركه وانما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق مخاطبة اللسان
 العربي وحصول ملكته فيدرك من اعجازه على قدر ذوقه فلهذا كانت مدارك العرب
 الذين سمعوه من ملفو اعلى مقاماً في ذلك لانهم فرسان الكلام وجهادته والدوق عدم
 موحود ما وفر ما يكون واصحة واحوج ما يكون الى هذا الس المسرور واكثر تناسير
 المتقدمين عمل عه حتى ظهر حار الله الرمحشري ووضع كثرة في التفسير ونفع آي القرآن
 ما حكام هذا الس بما يدي البعض من اعجازه فاندرج بهذا الفصل على جميع التناسير لولا
 انه يويد عقائد اهل الدع عند اقتباسها من القرآن بوجه الملاعة ولاجل هذا يخاماه
 كثير من اهل السنة مع وفور بصاعته من البلاغة من احكم عقائد السنة وشارك في هذا

الذين بعض المشاركة حتى يقتدر على الرد عليهم من جنس كلامهم او يعلم انه ندعة فيعرض عنها ولا نصر في معتقده فانه يتعين عليه النظر في هذا الكتاب للظن بشي من الاعجاز مع السلامة من البدع والاهواء والله الهادي من يشاء الى سواء السبيل

علم الادب

هذا العلم لا موضوع له ينظر في اثبات عوارضه او نفيها وإنما المقصود منه عدد اهل اللسان ثمرته وهي الاجادة في فني المعلوم والمثبور على اساليب العرب ومناحيهم فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة من شعرا في الطبقة ويجمع متساوي في الاجادة ومسايل من اللغة والنحو متنوعة اثناء ذلك متفرقة يستفري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من ايام العرب بهم به ما يقع في اشعارهم منها وكذلك ذكر المهم من الاسباب الشهيرة والاخبار العامة والمقصود بذلك كلوا ان لا ينجى على الناظر فيوشي من كلام العرب واساليبهم ومساحي بلاغتهم اذا تصحح لانه لا يتحصل الملكة من حفظه الا بعد فهمه فيجتاح الى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه ثم انهم اذا ارادوا حد هذا الفن قالوا الادب هو حفظ اشعار العرب واخبارها والاخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان او العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وفي القرآن والحديث اذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب الا ما ذهب اليه المتأخرون عند كثرة تصانعة البدع من التورية في اشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية فاحاج صاحب هذا الفن حينئذ الى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائما على فهمها ومسمعا من شيوخنا في مجالس التعليم انه اصول هذا الفن اربعة اركانها اربعة دواوين وفي ادب الكاتب لاس قنية وكتاب الكامل المبرد وكتاب البيان والتهذيب للمحافظ وكتاب الواو لابي علي القاسمي البغدادي وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع عنها وكتب المحدثين في ذلك كثيرة وكان العناء في الصدر الاول من احراء هذا الفن لما هو تابع للشعر اذ العناء بما هو تلخيصه وكان الكتاب والصلاء من الخواص في الدولة العباسية باخذون اسمهم به حرصا على تحصيل اساليب الشعر وفنونه فلم يكثر انجاله قادحا في العدالة والبرقة وقد الف القاضي ابو الفرج الاصبهاني وهو ما هو كثرة في الاعاني جمع فيه اخبار العرب واشعارهم وانسابهم وابائهم ودولهم وجعل مساه على العناء في المائة صوت التي اخبرها المغبون للترديد فاستوعب فيه ذلك اتم استيعاب واوفاء ولعمري انه ديوان العرب وجامع اشئناات المحاسن التي سلكت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والجماء وسائر الاحوال ولا

يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه وهو الغاية التي يسمو اليها الاديب ويقف عندها واني له بها
ونحن الان نرجع بالتحقيق على الاجمال فيما تكلمنا عليه من علوم اللسان والله الهادي للصواب

الفصل الثامن والثلاثون

في ان اللغة ملكة صناعية

اعلم ان اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة اذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن
المعاني وجودها وقصورها بحسب تمام الملكة او نقصانها وليس ذلك بالنظر الى المفردات
ولما هو بالنظر الى التراكيب فاذا حصلت الملكة النامة في تركيب الالفاظ المنردة للتعبير
بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التاليف الذي يطبق الكلام على مفروض الحال بلغ المتكلم
حيث ان الغاية من افادة مقصوده للسامع وهذا هو معنى البلاغة والملكات لا تحصل الا
بتكرار الافعال لان الفعل يقع اولاً وتعوده للذات صفة ثم تتكرر فتكون حالاً ومعنى
الحال انها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة اي صفة راسخة فالتكلم من العرب
حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمعون كلام اهل جيل واحد ليس في مخاطباتهم
وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها اولاً ثم
يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن
كل متكلم واستعماله يتكرر الى ان يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كاحدم هكذا
تصيرت الالسن واللغات من جيل الى جيل وتعلمها العجم والاطفال وهذا هو معنى ما
نقوله العامة من ان اللغة للعرب بالطبع اي بالملكة الاولى التي اخذت عنهم ولم ياخذوها
عن غيرهم ثم انه لما فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الاعاجر وسبب فسادها ان
الناسي من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كينيات اخرى غير الكينيات التي
كانت للعرب فيعبر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم ويسمع كينيات
العرب ايضاً فاخطلط عليه الامر واخذ من هذه وهذه فاستحدثت ملكة وكانت ناقصة عن
الاولى وهذا معنى فساد اللسان العربي ولهذا كانت لغة قريش افصح اللغات العربية
واصبر حها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم من امكنتمهم من ثقيف وهذيل
وخزاعة وبني كنانة ومغطفان وبني لاسد وبني تميم واما من بعد عنهم من ربيعة ولخم
وجذام وعثمان وايداد وقضاة وعرب اليمن المجاورين لاسد الفرس والروم والحبشة فلم
تكن لغتهم نامة الملكة بمخالطة الاعاجم وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتياج بلغاتهم

في الصحة والساد عد اهل الصناعة العربية والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

الفصل التاسع والثلاثون

في ان لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مصر وحير

وذلك اما معدها في بيان المقاصد والوفاء بالدلالة على سن اللسان المضري ولم
ينقد منها الا دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول فاعنا صوامها بالتقديم والتاخير
وقرائش تدل على خصوصيات المقاصد الا ان البيان والبلاغة في اللسان المصري اكثر
واعرف لان الالفاظ ما عيها دالة على المعاني ما عيها وبقي ما نقيصه الاحوال ويسمى
سائط الحال محتاجا الى ما يدل عليه وكل معنى لابد وان تكشفه احوال تحصى فيجب
ان تعتبر تلك الاحوال في تاديبه المقصود لانها صماته وتلك الاحوال في جميع الاسن اكثر
ما يدل عليها الالفاظ فخصها بالوضع وما في اللسان العربي فانما يدل عليها احوال وكليات
في تراكيب الالفاظ وتاليها من تقديم او تاخير او حذف او حركة اعراب وقد يدل
عليها بالحرروف غير المستقلة ولذلك تفاوتت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب
تفاوت الدلالة على تلك الكليات كما قدمناه فكان الكلام العربي لذلك اوجز واقل
الفاظا وعارة من جميع الالس وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم اوتيت حوامع الكلم
واختصر لي الكلام اختصارا واعتذر ذلك بما يحكي عن عيسى بن عمر وقد قال له بعض
الحماة اي اجد في كلام العرب تكرارا في قولهم زيد قائم وان ريدا قائم وان ريدا قائم
والمعنى واحد فقال له ان معانيها مختلفة فالاول لافادة الخالي الذه من قيام زيد والثاني
لم سمعة فانكره والثالث لمن عرف بالاصرار على انكاره فاختلعت الدلالة باختلاف
الاحوال وما رالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد ولا تلتفت
في ذلك الى خرفة الحماة اهل صاعة الاعراب الفاصرة مداركهم عن التحقيق حيث
يرعون ان البلاغة لهذا العهد ذهبت وان اللسان العربي فسد اعتناراً بما وقع اواخر النكلم
من فساد الاعراب الذي يتدارسون قوانينه وفي مقالة سما التنيع في طابعهم والقاهما
القصور في افنتهم والافض نجد اليوم الكثير من الالفاظ العرب لم تزل في موصوفاتها
الاولى والتعبير عن المقاصد والتعاون فيه تتفاوت الامانة موجود في كلامهم لهذا العهد
واساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة في محاطباتهم وفهم الخطيب المصقع في
محافلهم ومجامعهم والشاعر المنلق على اساليب لغتهم والذوق الصحيح والطبع السليم

شاهدان بذلك ولم يقف من احوال اللسان المدون الا حركات الاعراب في اواخر
الكلم فقط الذي لزم في لسان مصر طريقة واحدة ومهيبة معروفة واوهو الاعراب وهو بعض
من احكام اللسان وانما وقعت العناية بلسان مصر لما فعد بها العظم الا عا حمر حين استولوا
على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب وصارت ملكية على غير الصورة التي كانت
اولاً فانقلب لغة اخرى وكان القرآن منزلاً به والحديث السوي مقولاً لغتيوها اصلاً
الدين والملة محتي تناسبها والعلاقة الاهام عنها بقدر اللسان الذي تدرأ به فاحتج الى
تدوين احكامه ووضع مقاييسه واستساطر قوايه وصار علماً ذا فصول واجاب ومقدمات
ومسائل سماه اهله تعلم النحو وصناعة العربية فاصبح مآً محبوطاً وعلماً مكتوناً وسماً الى فهم
كتاب الله وسنة رسوله وايقا ولعلنا لو اعندنا بهذا اللسان العربي لهذا العهد واستقر بها
احكامه نعمنا من الحركات الاعرابية في دلالتها بامور اخرى موحدة فيه تكون لها
قوايين تحدياً واعلمها تكهن في اواخره على غير المباح الاول في لغة مصر فليست اللغات
وملكاتها عتاً ولقد كان اللسان المصري مع اللسان المحميري بهذه المثابة وتغيرت عدد
مصر كثيراً من موضوعات اللسان المحميري وتصاريف كلماته تشهد بذلك الا ان اللسان الموحدة
لدينا خلافاً لما يجمله القصور على انها لغة واحدة وليتيسر احراء اللغة المحميرية على
مقاييس اللغة المصرية وقوايه كما يرغم بعضهم في اشتقاق القل في اللسان المحميري انه
من القول وكثير من اشتباه هذا وليس ذلك الصحيح واعدة حمير لغة اخرى معبرة لغة مصر
في الكثير من اوضاعها وتصاريفها وحركات اعرابها كما هي لغة العرب لهذا مع لغة مصر
الا ان العناية بلسان مصر من اجل الشريعة كما قلناه حمل ذلك على الاشتراط والاستقرار
وليس عدداً لهذا العهد ما يجملنا على مثل ذلك ويدعون اليه وما وقع في لغة هذا الجيل
العربي لهذا العهد حيث كانوا من الاقصار شأنهم في اللغات فانهم لا يذوقون
بها من مخرج اللغات عدداً اهل الامصار كما هو مذكور في كتب العربية انه من اقصى
اللسان وما فوقه من المحك الاعلى وما يخلقون بها ايضاً من مخرج الكاف وان كان
اسهل من موضع اللغات وما يليه من المحك الاعلى كما هي بل يجنون بها متوسطة بين
الكاف واللغات وهو موحود الجيل اجمع حيث كانوا من غربنا وشرق حتى صار ذلك
علامة عليهم من بين الامم والاحيال محضاً بهم لا يشاركون فيها غيرهم حتى ان من يريد
التعرب والانتساب الى الجيل والدخول فيه يحاكمهم في اللغات بها وعدمه انما يتغير
العربي الصريح من الدخيل في العروبة والحصري نالطق هذه اللغات ويظهر بذلك

انها لغة مصر بعينها فان هذا الجليل الباقيين معظمهم وروسائهم شرقا وغربا في ولد منصور
 بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن سليم بن منصور ومن بني عامر بن صعصعة
 اس معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور وهذا العهد أكثر الامم في المصور واعليهم وهم
 من اعقاب مصر وسائر الجليل منهم في النطق بهذه القاف اسوة وهذه اللغة لم يتدعها هذا
 الجليل بل هي متوارثة فيهم متعاقبة ويظهر من ذلك انها لغة مصر الاولى ولعلها لغة النبي
 صلى الله عليه وسلم نعيمها قد ادعى ذلك فقهاء اهل البيت وزعموا ان من قرأ في ام
 القرآن اهدى الصراط المستقيم عبر القاف التي لهذا الجليل فقد لحق واصد صلته ولم
 ادر من اين جاء هذا فان لغة اهل الامصار ايضا لم يستخدموها وانما تناقلوها من لدن
 سلمهم وكان اكثرهم من مصر لما نزلوا الامصار من لدن النخ واهل الجليل ايضا لم يستخدموها
 الا انهم اعد من محاطة الا عاخر من اهل الامصار فهذا يرجح فيما يوجد من اللغة لديهم
 ان من لغة سلمهم هذا مع اتفاق اهل الجليل كلمهم شرقا وغربا في النطق بها واما الخاصة
 التي يميز بها العربي من النجيين والمحصري فتتم ذلك والله الهادي المبين

الفصل الاربعون

في ان لغة اهل المحصر والامصار لغة قائمة بنفسها للغة مصر

اعلم ان عرف النحاطب في الامصار وبين المحصر ليس بلغة مصر القديمة ولا بلغة
 اهل الجليل بل هي لغة اخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مصروع لغة هذا الجليل العربي
 الذي لهدما وهي عن لغة مصر اعد فاما انها لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر يشهد له ما فيها
 من التباير الذي يعد عد صاعدا اهل النخولحنا وهي مع ذلك تختلف باختلاف الامصار
 في اصطلاحاتهم فلعنة اهل المشرق مائة بعض الشيء للغة اهل المغرب وكذا اهل الاندلس
 معها وكل منهم متوصل بلغته الى تادية مقصوده والابانة عما في نفسه وهذا معنى اللسان
 واللغة وفقدان الاعراب ليس بصائر لم كما قلناه في لغة العرب لهذا العهد واما انها اعد
 عن اللسان الاول من لغة هذا الجليل فلان العدد عن اللسان اما هو بمخالطة العجبة من
 خالط الجهم أكثر كانت لغة عن ذلك اللسان الاصلي اعد لان الملكة انما تحصل
 بالتعليم كما قلناه وهذه ملكة متميزة من الملكة الاولى التي كانت للعرب ومن الملكة
 الثانية التي للجهم فعلى مقدار ما يسمونه من العجم ويربون عليه يعدون عن الملكة
 الاولى واعتبر ذلك في امصار افريقية والمغرب والاندلس والمشرق اما افريقية والمغرب

فخالطت العرب فيها البرابرة من العجم بوفور عمرانها بهم ولم يكذب مخلوعهم مصر ولا
 جيل فغلبيت العجمة فيها على اللسان العربي الذي كان لم وصارت لغة اخرسى متمزجة
 والعجمة فيها اغلب لما ذكرناه فهي عن اللسان الاول ابعد وكذا المشرق لما غلب العرب
 على اعمى من فارس والترك فخالطوهم وتداولت بينهم لغاتهم في الاكرة والنلاحين والسبي
 الذين اتخذوهم خولا ودامات واظناراً ومراضع ففسدت لغتهم بفساد الملكة حتى انقلبت
 لغة اخرى وكذا اهل الاندلس مع عجم الجبالقة والافرنجة وصار اهل الامصار كلهم من
 هذه الاقاليم اهل لغة اخرى مخصوصة بهم تخالف لغة مضر ويخالف ايضاً بعضهم بعضاً
 كما ذكره وكأنه لغة اخرى لاستحكام ملكتها في اجبالهم والله يخلق ما يشاء ويندر

الفصل الحادي والاربعون

في تعليم اللسان المضري

اعلم ان ملكة اللسان المضري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ولغة اهل الجبل كلهم
 مضارة للغة مضر التي نزل بها القران وإنما هي لغة اخرى من امتزاج العجمة بها كما قدمناه
 الا ان اللغات لما كانت ملكات كما مر كان تعلمها ممكناً شأن سائر الملكات ووجه التعليم
 لمن ينبغي هذه الملكة ويروم تحصيلها ان ياخذ نفسه بحفظ كلامهم القدم الجاري على
 اساليبهم من القران والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في اجماعهم واشعارهم
 وكلمات المولدين ايضاً في سائر فنونهم حتى يتنزل لكثرة حفظهم لكلامهم من المنظوم والمنثور
 منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في
 ضميره على حسب عباراتهم وتاليف كلماتهم وما وعاء وحفظه من اساليبهم وترتيب
 الناظم فحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتهما رسوخاً وقوة
 ويحتاج مع ذلك الى سلامة الطبع والنهم المحسن لمنارح العرب واساليبهم في التراكيب
 ومراعاة التطبيق بينها وبين مقتضيات الاحوال والذوق يشهد بذلك وهو ينشأ ما بين
 هذه الملكة والطبع السليم فيها كما نذكره على قدر الحفظ وكثرة الاستعمال تكون جودة
 القول المصنوع نظماً ونثراً ومن حصل على هذه الملكات فقد حصل على لغته مضر وهو الناقد
 البصير بالبلاغة فيها وهكذا ينبغي ان يكون تعلمها والله يهدي من يشاء يفضله وكرموا

الفصل الثاني والاربعون

في ان ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم

والسبب في ذلك ان صاعغة العربية انما هي معرفة قوايين هذه الملكة ومقاييسها خاصة هو علم بكيفية لاس كيمية فليست من الملكة وانما هي بمثابة من يعرف صاعطة من الصنائع علماً ولا يحكمها عملاً مثل ان يقول يصير بالحياطة غير محكم للمكينة في التعبير عن بعض انواعها الحياطة هي ان يدخل الحيط في خرت الامة ثم يعرضها في انفي الثوب مخممين ويخرجها من الحالب الاخر بمقدار كذا ثم يردّها الى حيث ابتدأت ويخرجها قدام مفدها الاول، مطرح ما بين الفقيين الاولين ثم ينادى على ذلك الى اخر العمل ويعطي صورة الحك والتسيت والتفتيح وسائر انواع الحياطة واعمالها وهو اذا طوّل ان يعمل ذلك يده لا يحكم منه شيئاً وكذا لو سئل عالم بالحجارة عن تفصيل الحشبة فيقول هو ان تضع المشار على رأس الحشبة وتمسك بطرفه واحرقا تلك ممسك بطرفه الاخر وتعاقداه بيكما واطرافه المصرة المحددة تقطع ما مرت عليه داهية وحائبة الى ان يمتني الى اخر الحشبة وهو لو طوّل بهذا العمل او نهي منه لم يحكمه وهكذا العلم بقوايين الاعراب مع هذه الملكة في نفسها فان العلم بقوايين الاعراب انما هو علم بكيفية العمل وليس هو نفس العمل ولذلك نجد كثيراً من جهادة الحجة والمهارة في صاعطة العربية المحيطين علماً بتلك القوايين اذا سئل في كناية سطرين الى احبه او دي مودته او شكوى ظلامة او قصد من قصوده اخطأ فيها عن الصواب واكثر من اللحن ولم يجد تاليف الكلام ادلك والعارية عن المقصود على اساليب اللسان العرب، وكذا نجد كثيراً من بحس هذه الملكة وبجيد الدين من المظوم والمتنور وهو لا يحس اعراب الفاعل من المعول ولا المرفوع عن المحرور ولا شيئاً من قوايين صاعطة العربية من هذا تعلم ان تلك الملكة هي غير صاعطة العربية وانها مستغنية عنها بالجملة وقد نجد بعض المهارة في صاعطة الاعراب بصيراً بآجال هذه الملكة وهو قليل واثباتي واكثر ما يقع للمحاضرين لكتاب سيبويه فانه لم ينتصر على قوايين الاعراب فقط بل ملاً كتابه من امثال العرب وشواهد اشعارهم وعباراتهم فكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة فنجد العالمك عليه والمحصل لة قد حصل على حظ من كلام العرب واندرج في محبوطه في اما كبه ومناصل حاجاته وتنبه به انسان الملكة فاستوفى تعليمها فكان الابع في الافادة ومن هؤلاء المحاضرين لكتاب سيبويه من يعمل عن التعليل لهذا فيحصل على علم اللسان صاعطة ولا يحصل عليه ملكة واما المحاضرون لكتاب المتاخرين العاربية عن ذلك الا من القوايين المحبوبة مجردة عن اشعار العرب وكلامهم فقل ما يشعرون لذلك امر هذه الملكة او يتنبهون لاشائها فنقدم

يحسبون انهم قد حصلوا على رتبة في لسان العرب وهم بعد الناس على اهل صناعة
العربية بالاندلس ومعلوم اقرب الى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سوام لتياهم فيها
على شواهد العرب وامثالهم والتفقه في الكثير من التراكيب في محال تعليمهم فيسقى الى
المتدعي كثير من الملكة اثناء التعليم فتقطع النفس لها وتستعد الى تحصيلها وقبولها واما
من سوام من اهل المغرب وافريقية وغيرهم فاحروا صناعة العربية بحرى العلوم بجنأ
وقطعوا عن الطر عن التفقه في تراكيب كلام العرب الا ان اعرابا شاهدا او رجولا مدهما
من جهة الافتضاء الذهني لا من جهة محامل اللسان وتراكيبه فاصبحت صناعة العربية
كانها من حيلة قوايس المطلق العقلية او الجدل واعدت عن مساجي اللسان وملكتها وما
ذلك الا لعدولهم عن البحث في شواهد اللسان وتراكيبه وتغيير اساليبهم وعقلتهم عن المران
في ذلك المتعلم هو احسن ما نعيده الملكة في اللسان وتلك القوايس انما هي وسائل للتعليم
لكم احروها على غير ما قصد بها واصاروها علما محنا وعدول عن ثمرتها وتعلم ما قرناه
في هذا الباب ان حصول ملكة اللسان العربي انما هو بكترة الحفظ من كلام العرب حتى
يوسم في حباله الدوال الذي يحول عليه تراكيهم فيسمع هو عليه ويتدرج بذلك مرحلة
من ثبات معهم وحالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستنيرة في العبارة عن
المقاصد على نحو كلامهم والله مقدر الامور كلها والله اعلم بالصواب

الفصل الثالث والاربعون

في تفسير الدوق في مصطلح اهل البيان وتحقيق معناه وبيان ما لا يحصل عالم اللسان من العلم
اعلم ان لفظة الدوق يتداولها المعنويون معون البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة
للسان وقد مر تفسير البلاغة وانها مطابقة للكلام للمعنى من جميع وجوهه بجواص تقع
للتراكيب في اعادة ذلك فالمتكلم بلسان العرب والليح فيه يغري الهيئة المديدة لذلك
على اساليب العرب واتجاه محاطاتهم ويظم الكلام على ذلك الوجه هذه فاذا اتصلت
مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه وسهل عليه
امر التركيب حتى لا يكاد يحوفه غير معنى البلاغة التي للعرب وان سمع تركيا غير جار
على ذلك المنهج وساعة سمعه بآدى فكر بل وتغير فكر الا انما استعاد من حصول هذه
الملكة فان الملكات اذا استقرت ورسخت في محالها طهرت كانتا طبيعة وجملة لذلك
الهل ولذلك يظن كثير من المعطلين من لم يعرف شان الملكات ان الصواب للعرب في

لغتهم اعراباً وبلاغة امر طبيعي ويقول كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وإنما هي
ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسمت فظهرت في بادي الرأي انها جلبة وطبع
وهذه الملكة كما تقدم انما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص
تراكيبه وليست تحصل بعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها اهل صناعة اللسان
فان هذه القوانين انما تنفذ علماً بذلك اللسان ولا تنفذ حصول الملكة بالفعل في محلهما
وقد مر ذلك وإذا تقرر ذلك فملكة البلاغة في اللسان تهدي البليغ الى وجود النظم
وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم ولورام صاحب هذه الملكة
حيداً عن هذه السبيل المعينة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه ولا وافقه عليه لسانه لانه
لا يعتاده ولا تهديه اليه ملكة الراححة عنده وإذا عرض عليه ان الكلام حائداً عن اسلوب
العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم اعرض عنه ومجه وعلم انه ليس من كلام العرب الذين
مارس كلامهم وربما يعجز عن الاحتجاج لذلك كما تصنع اهل القوانين الفخوية والبيانية
فان ذلك استدلال بما حصل من القوانين المفادة بالاستقراء وهذا امر وجداني حاصل
بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم ومثاله لو فرضنا صبيّاً من صبيانهم نشأ وربي
في جيلهم فانه يتعلم لغتهم ويحكم شان الاعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غائبها وليس
من العلم القانوني في شيء وإنما هو بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه وكذلك تحصل هذه
الملكة لمن بعد ذلك الجليل بمنحظ كلامهم واشعارهم وخطبهم والمداومة على ذلك بحيث
يحصل الملكة ويصير كواحد ممن نشأ في جيلهم وربي بين اجيالهم والقوانين بمعزل عن
هذا واستعير لهذه الملكة عندما ترسخ وتستقراسم الذوق الذي اصطلح عليه اهل صناعة
البيان وإنما هو موضوع لادراك الطعوم لكن لما كان محل هذه الملكة في اللسان من حيث
النطق بالكلام كما هو محل لادراك الطعوم استعير لها اسم وإيضاً فهو وجداني اللسان كما
ان الطعوم محسوسة له فليل له ذوق وإذا تبين لك ذلك علمت منه ان الاعاجم الداخلين
في اللسان العربي الطارئین عليه المضطرين الى النطق بالمخالطة اهل كالنرس والروم
والترك بالمشرق وكالبربر بالمغرب فانه لا يحصل لهم هذا الذوق لتصور حظهم في هذه
الملكة التي قررنا امرها لان قصارهم بعد طائفة من العروسبق ملكة اخرى الى اللسان
وهي لغاتهم ان يعتنوا بما يتناولوه اهل مصر بينهم في المحاورة من مفرد ومركب لما
يضطرون اليه من ذلك وهذه الملكة قد ذهبت لاهل الامصار وبعدها عنها كما تقدم
وانما لم في ذلك ملكة اخرى وليست هي ملكة اللسان المطلوبة ومن عرف تلك الملكة

من القوانين المسطرة في الكتب فليس من تحصيل الملكة في شيء انما حصل احكامها كما
 عرفت وانما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتياد والتكرار لكلام العرب فان عرض لك
 ما تسمعه من ان سبويه والعمري والزمخشري وامثالهم من فرسان الكلام كانوا عجماء مع
 حصول هذه الملكة لم فاعلم ان اولئك القوم الذين نسمع عنهم انما كانوا عجماء في نسبهم فقط
 واما المرنى والشاة فكانت بين اهل هذه الملكة من العرب ومن تعلمها منهم فاستولوا بذلك
 من الكلام على عاية لا وراءها وكانهم في اول نشأتهم من العرب الذين نشأوا في احياءهم
 حتى ادركوا كنه اللغة وصاروا من اهلها فهم وان كانوا عجماء في النسب فليسوا بعجماء في
 اللغة والكلام لانهم ادركوا الملة في عموماها واللغة في شايها ولم تذهب اثار الملكة ولا
 من اهل الامصار ثم عكسوا على الممارسة والمداينة لكلام العرب حتى استولوا على عابو
 واليوم الواحد من العم اذا خاطب اهل اللسان العربي بالامصار فاول ما يجد تلك
 الملكة المقصودة من اللسان العربي متعبة الاثار ويجد ملكتهم الخاصة بهم ملكة اخرى
 محالة لملكة اللسان العربي ثم لهذا فرصا انه اقل على الممارسة لكلام العرب واشعارهم
 بالمداينة والمحيط يستفيد تحصيلها فقل ان يحصل له ما قدمناه من ان الملكة اذا سقتها
 ملكة اخرى في الهل فلا تحصل الا ناقصة محدودة وان فرضا عجماء في السب سلم من
 محالطة اللسان العجمي بالكلية وذهب الى تعلم هذه الملكة بالمداينة فربما يحصل له ذلك
 لكنه من الدور عجت لا يحى عليك بما تقرر وربما يدعي كثير من يطرف في هذه القوانين
 البانية حصول هذا الذوق له بها وهو غلط او معالطة وانما حصلت له الملكة ان حصلت في
 تلك القوانين البانية وليس تمن ملكة العارة في شيء والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الفصل الرابع والاربعون

في ان اهل الامصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللساية التي نستفاد
 بالتعليم ومن كان منهم اعد عن اللسان العربي كان حصولها له اصعب واعسر
 والسبب في ذلك ما يسبق الى المتعلم من حصول ملكة مفاعية لملكة المطلوبة بما
 سبق اليه من اللسان الحضري الذي اعادة العجمة حتى يرل بها اللسان عن ملكته الاولى
 الى ملكة اخرى هي لغة المحصر لهذا العهد ولهذا نجد المعلمين يدهون الى المساقعة بتعليم
 اللسان للولدان وتعتقد الفحاة ان هذه المساقعة تصاعثم وليس كذلك وانما هي تعليم هذه
 الملكة بمخالطة اللسان بكلام العرب ثم صناعة العواقب الى محالطة ذلك وما كان

من لغات اهل الامصار اعرق في العجمة واعد عن لسان مصر قصر نصاحه عن تعلم
 اللغة المضرية وحصول ملكتها تمكن المنافاة حينئذ واعتبر ذلك في اهل الامصار فاهل
 افريقية والمغرب لما كانوا اعرق في العجمة واعد عن اللسان الاول كان لم قصور تام
 في تحصيل ملكته بالتعليم ولقد نقل ابن الرقيق ان بعض كتاب القير وان كتب الى
 صاحب له يا اخي ومن لا عدمت فقد اعلمى ابو سعيد كلاماً انك كنت ذكرت انك
 تكون مع الدين تاني وعاقبا اليوم فلم ينهيا لما الخروج ولما اهل المنزل الكلاب من امر
 الشين فقد كذب هذا باطلاً ليس من هذا حرفاً واحداً وكتاني اليك وانا منتاق اليك
 ان شاء الله وهكذا كانت ملكتهم في اللسان المصري شبيه ما ذكرنا وكذلك انعارهم كانت
 بعيدة عن الملكة بارلة عن الطقة ولم ترل كذلك لهذا العهد ولهذا ما كان بافريقية من
 مشاهير الشعراء الا ان رثيق وان ترف وأكثر ما يكون فيها الشعراء طائرين عليها
 ولم ترل طغتهم في اللاعة حتى الا ان مائلة الى التصور واهل الاندلس افرت منهم الى
 تحصيل هذه الملكة بكثره معاناتهم وامتلائهم من المحفوظات اللغوية نظماً ونثراً وكان
 فيهم ابن حيان المورخ امام اهل الصاعة في هذه الملكة ورافع الراية لم فيها وان عدد ريو
 والقسطلي وامتالم من شعراء ملوك الطوائف لما رحرت فيها بحار اللسان والادب
 وتداول ذلك فيهم مئين من السنين حتى كان الانصاص والحلاء ايام تغلب الصراية
 وشغلوا عن تعلم ذلك وتنافس العمران فتناقص ذلك شان الصامع كلها فنصرت الملكة
 فيهم عن شايها حتى بلغت المحصيص وكان من اخرهم صالح بن شريف ومالك بن مرهل
 من تليد الطقة الانبيليين سبته وكتاب دولة ابن الاحمر في اولها والفت الاندلس
 افلاذ كدها من اهل تلك الملكة بالجللاء الى العدو لعدو الانبيلية الى سبته ومن
 شرق الاندلس الى افريقية ولم يلتوا الى ان افرصوا وانقطع سد تعليمهم في هذه الصاعة
 لعصر قول العدو لها وصونها عليهم بعوج السنهم ورسوهم في العجمة الدرية وبني
 صافية لما قلناه ثم عادت الملكة من بعد ذلك الى الاندلس كما كانت ومجدها ابن شريف
 وان جابر وان الجباب وطغتهم ثم ابراهيم الساحلي الطريحي وطغته وفنام ابن المحطوب
 من بعدم المالك لهذا العهد تهيداً لسعاية اعدائه وكان له في اللسان ملكة لا تدرك
 وانع انره تليده وبالجملة ففان هذه الملكة بالاندلس أكثر وتعليمها ايسر واسهل
 بما هم عليه لهذا العهد كما فنشاه من معاناة علوم اللسان ومحافظتهم عليها وعلى علوم الادب
 وسد تعليمها ولان اهل اللسان العجمي الدين تغسد ملكتهم انما هم طائرون عليهم وليست

عجمتهم أصلاً للغة أهل الأندلس والبربر في هذه العدة ولم أهلها ولسانهم لسانها إلا في
 الأمصار فقط ولم فيها متعصبون في بحر عجمتهم وروايتهم البربرية فيصعب عليهم تحصيل
 الملكة اللسانية والتعليل بخلاف أهل الأندلس واعتبر ذلك بحال أهل المشرق لعهد
 الدولة الأموية والعباسية فكان شأنهم شأن أهل الأندلس في تمام هذه الملكة وإجادتها
 لعدم لذلك العهد عن الأعمام ومخالفتهم إلا في القليل فكان أمر هذه الملكة في ذلك
 العهد أقوم وكان فحول الشعراء والكتاب أوفر لتوفر العرب وأسائهم بالمشرق وانظر ما
 اشتمل عليه كتاب الأعمام من نظمهم ونثرهم فإن ذلك الكتاب هو كتاب العرب
 وديوانهم وفيه لغتهم وأخبارهم وأيامهم وملتهم العربية وسيرتهم وأثار خلائهم وملوكهم
 وأشعارهم وغاوتهم وسائر معانيهم له فلا كتاب أوعب منه لأحوال العرب وفي أمر هذه
 الملكة مستحكمًا في المشرق في الدولتين وربما كانت فهم اللغ من سوام من كان في
 الجاهلية كما يذكره بعد حتى ثلاثي أمر العرب ودرست لغتهم وفسد كلامهم وانقضى أمرهم
 ودولتهم وصار الأمر للأعمام والملك في أيديهم والتعليل لم وذلك في دولة الدبلم والسجوقية
 وخاطبوا أهل الأمصار والحواسر حتى بعدوا عن اللسان العربي وملكو وصار متعلميها
 منهم مقصرًا عن تحصيلها وعلى ذلك بعد لسانهم لهذا العهد في في المعلوم والمتنور وإن
 كانوا أكثر من من الله يخلق ما يتشاء ويخار والله سبحانه وتعالى أعلم به والتوفيق لأرب سواه

الفصل الخامس والأربعون

في انقسام الكلام إلى في النظم والنثر

اعلم أن لسان العرب وكلامهم على في في الشعر المعلوم وهو الكلام الموزون المنفي
 ومعناه الذي تكون أوراؤه كلها على روي واحد وهو القافية وفي النثر وهو الكلام غير
 الموزون وكل واحد من اليمين يشتمل على صون ومذاهب في الكلام فاما الشعر فمنه
 المدح والهجاء والرثاء وأما النثر فمنه السجع الذي يوتى به قطعاً ويلتزم في كل كلمتين
 من قافية واحدة يسمى سجعاً وهو المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقاً ولا يقطع
 أجزاء بل يرسل إرسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها ويستعمل في الخطب والدعاء
 وترغيب الجمهور وترهيبهم وأما القرآن وإن كان من المعلوم إلا أنه خارج عن الوصفين
 وليس يسمى مرسلًا مطلقاً ولا سجعاً بل تفصيل آيات ينهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء
 الكلام عندها ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها وبشي من غير التزام حرف يكون

مجعاً ولا قافية وهو معنى قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر
 منه جلود الذين يخشون ربهم وقال قد فصلنا الايات وبسي اخر الايات منها فواصل اذ
 ليست اسجاعاً ولا التزم فيها ما يلتزم في السجع ولا هي ايضاً قوافٍ واطلق اسم المثاني على
 ايات القرآن كلها على العموم لما ذكرناه واختصت بام القرآن للغة فيها كالنجد للربيع
 ولهذا سميت السبع المثاني وانظر هذا مع ما قاله المفسرون في تعليل تسميتها بالمثاني
 يشهد لك الحق برجحان ما قلناه . واعلم ان لكل واحد من هذه الفنون اساليب تختص به
 عند اهلها ولا تصلح للفن الاخر ولا تستعمل فيه مثل النسيب المختص بالشعر والحمد
 والدعاء المختص بالخطب والدعاء المختص بالمخاطبات وامثال ذلك وقد استعملت
 المتأخرون اساليب الشعر وممازيتها في المنشور من كثرة الاسجاع والتزام التقفية وتقديم
 النسيب بين يدي الاغراض وصار هذا المنشور اذا تأملت من باب الشعروفيه ولم يقتربا
 الا في الوزن واستمر المتأخرون من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها في المخاطبات
 السلطانية وقصوا الاستعمال في المنشور كله على هذا الفن الذي ارتضوه وخططوا لاساليب
 فيه وهجروا المرسل وتناسوه وخصوصاً اهل المشرق وصارت المخاطبات السلطانية لهذا
 العهد عند الكتاب الغفل جارية على هذا الاسلوب الذي اشرنا اليه وهو غير صواب
 من جهة البلاغة لما يلاحظ في تطبيق الكلام على مقتضى الحال من احوال المخاطب
 والمخاطب وهذا الفن المنشور آلفني ادخل المتأخرون فيه اساليب الشعر فوجب ان
 تنزه المخاطبات السلطانية عنه اذ اساليب الشعر تنافيا للودعية وخط الجحد بالهزل
 والاطناب في الاوصاف وضرب الامثال وكثرة التشبيهات والاستعارات حيث لا تدعى
 ضرورة الى ذلك في الخطاب والتزام التقفية ايضاً من اللودعة والتزيين وجلال الملك
 والسلطان وخطاب الجمهور عن الملوك بالترغيب والترهيب يتنافيان ذلك وبما ينسب
 والمحمود في المخاطبات السلطانية الترسل وهو اطلاق الكلام وارسالة من غير تسجيح الا
 في الاقل النادر وحيث ترسل الملكة ارسالاً من غير تكلف له ثم اعطاء الكلام حقه في
 مطابقته لمقتضى الحال فان المقامات مختلفة ولكل مقام اسلوب يختص من اطناب او ايجاز
 او حذف او اثبات او تصريح او اشارة او كناية واستعارات وما اجراء المخاطبات السلطانية
 على هذا النحو الذي هو على اساليب الشعر فمذموم وما حمل عليه اهل العصر الاستيلاء
 المعجبة على الستم وقصورهم لذلك عن اعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال
 فهجروا عن الكلام المرسل لجد امد في البلاغة وانفاس خطوه وولعوا بهذا السجع

يلتفون به ما نقصهم من تطبيق الكلام على المقصود ومقتضى الحال فيه ويجبرونه بذلك
 القدر من التزيين بالامجاع والالفاظ البديعة ويفعلون عما سوى ذلك واكثر من اخذ
 بهذا العس والبالغ فيه في سائر انحاء كلامهم كتاب المشرق وشعرائه لهذا العهد حتى انهم
 ليضلون بالاعراب في الكلمات والتصريف اذا دخلت لم في تجيس او مطابقة لا يجتمعان
 معها فيرجعون ذلك الصنف من التجيس ويدعون الاعراب ويمسدون بنية الكلمة
 عساها تصادف التجيس فتأمل ذلك بما قدمناه لك تقف على صحة ما ذكرناه والله الموفق
 للصواب به وكرموا الله تعالى اعلم

الفصل السادس والاربعون

في انه لا تنفع الاجادة في في المخطوم والمنثور معاً الا للالقل
 والسبب في ذلك انه كما ساء ملكة في اللسان فاذا نسقت الى محلو ملكة اخرى قصرت
 بالحل عن تمام الملكة اللاحقة لان تمام الملكات وحصولها للطائع التي على العطرة الاولى
 اسهل وايسر واذا تقدمتها ملكة اخرى كانت مازعة لها في المادة القائمة وعائقة عن
 سرعة القول فوقعت الممافة وتعدر التام في الملكة وهذا موحد في الملكات الصناعية
 كلها على الاطلاق وقد برها عليه في موضوعه من هذا الرهان فاعتبر مثله في اللغات
 فانها ملكات اللسان وفي بمرلة الصناعة وانظر من تقدم له يتيء من العجبة كيف يكون
 قاصراً في اللسان العربي انداً فالاعجمي الذي نسقت له اللغة الفارسية لا يستولي على ملكة
 اللسان العربي ولا يزال قاصراً فيه ولو تعلية وعلة وكذا البربري والرومي والافرنجي
 قل ان نجد احداً منهم محكماً لملكة اللسان العربي وما ذلك الا لما سقى الى يستهم من
 ملكة اللسان الاخر حتى ان طالب العلم من اهل هذه الالسا اذا طلبة بين اهل اللسان
 العربي جاء مفصراً في معارفه عن الغاية والتفصيل وما اوتي الا من قل اللسان وقد
 تقدم لك من قل ان الالسن واللغات تشبه بالصانع وقد تقدم لك ان الصانع
 وملكاته لا تردحمر وان من سقت له اجادة في صاعة فقل ان يجيد اخرى او يستولي
 فيها على الغاية والله خلقكم وما تعلمون

الفصل السابع والاربعون

في صناعة الشعر ووجه تعلوه

هذا الفن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عديم ويوجد في سائر اللغات

الا ان الان انما تنكلم في الشعر الذي للعرب فان امكن ان تجد فيه اهل الالسن الاخرى
 مقصودهم من كلامهم والا فلنكلم لسان احكام في البلاغة تحضة وهو في لسان العرب غريب
 الزعة عزيز المعنى اذ هو كلام مفصل قطعاً قطعاً متساوية في الوزن متحدة في الحرف
 الاخير من كل قطعة ونسى كل قطعة من هذه القطعات عدم بيتاً ويسى الحرف
 الاخير الذي تنفق فيه رويًا وقافية ويسى حمله الكلام الى اخره قصيدة وكلمة وينفرد
 كل بيت منه بافادته في تراكيبه حتى كانه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده واذا
 افرد كان تاماً في ما هو في مدح او تنسيب اورثاء فيعرض الشاعر على اعطاء ذلك البيت
 ما يستقل في افادته ثم يتناف في البيت الاخر كلاماً اخر كذلك ويستطرد الخروج
 من فن الى فن ومن مقصود الى مقصود بان يوطي المقصود الاول ومعانيه الى ان تناسب
 المقصود الثاني وبعد الكلام عن الشاعر كما يستطرد من التنسيب الى المدح ومن وصف
 البيداء والظلول الى وصف الركاب والحمل او الطيع ومن وصف المدوح الى وصف
 قومه وعساكره ومن التمتع والعراء في الرثاء الى التاتر ومثال ذلك ويراعي فيه اتفاق
 القصيدة كلها في الوزن الواحد حذراً من ان يتساهل الطبع في الخروج من وزن الى
 وزن يقارنه فقد يجي ذلك من اجل المقارنة على كثير من الناس ولهذا الموازين شروط
 واحكام تصبها علم العروض وليس كل وزن يتفق في الطبع استعملته العرب في هذا
 الس وانما هي اوران مخصوصة تسميها اهل تلك الصاعه البحور وقد حصروها في خمسة
 عشر محراً معنى انهم لم يجدوا للعرب في غيرها من الموازين الطبيعية نظماً واعلم ان فن
 الشعر من بين الكلام كان شريعاً عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم واخبارهم
 وشاهد صوابهم وخطائهم واصلاً يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم وكانت
 ملكة مستحكمة فيهم شأن الملكات كلها والملكات اللساية كلها انما تكتسب بالصاعه
 والارياض في كلامهم حتى يحصل شبه في تلك الملكة والسعر من بين الكلام صعب الماخذ
 على من يريد اكتساب ملكته بالصاعه من المتأخرين لاستقلال كل بيت منه بانه كلام
 تام في مقصوده ويصلح ان يمدد دون ما سواه فيحتاج من اجل ذلك الى نوع تالطف في
 تلك الملكة حتى يبرغ الكلام الشعري في قواله التي عرفت له في ذلك المعنى من شعر
 العرب ويبرزه مستقلاً سموه ثم يأتي بيت اخر كذلك ثم بيت ويستكمل العنوان الوافيه
 بمقصوده ثم يناسب بين البيوت في موالاة بعضها مع بعض بحسب اختلاف الفنون التي
 في القصيدة ولصعوبة مخاضه وغرابة فنو كان محكاً للفراخ في استجداءه لسانه وشخذ الافكار

في تنزيل الكلام في قواله ولا يكفي فيه ملكة الكلام العربي على الاطلاق بل يحتاج
بخصوصه الى تلمظ ومحاولة في رعاية الاساليب التي اخصت العرب بها واستعمالها ولذا ذكر
هنا سلوك الاسلوب عند اهل هذه الصناعة وما يريدون بها في اطلاقهم فاعلم انها عبارة
عند من عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب والقالب الذي يفرغ فيه ولا يرجع الى الكلام
باعتبار افادته اصل المعنى الذي هو وظيفة الاعراب ولا باعتبار افادته كمال المعنى من
تخصيص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب
فيه الذي هو وظيفة العروض فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية وانما
يرجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك
الصورة ينتزعها الذهن من اعيان التراكيب واتخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب
او المنوال ثم يتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الاعراب والبيان فيرصها فيه
وصا كما ينطو البناء في القالب او النساج في المنوال حتى يسع القالب بمحصل التراكيب
الوافية بمقصود الكلام وينع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه فان
لكل فن من الكلام اساليب تختص به وتوجد فيه على انحاء مختلفة فسوال الطلول في الشعر
يكون بخطاب الطلول كقولو يا دارمية بالعلاء فالسندو يكون باستدعاء الصبح للوقوف
والسوال كقولو . قفا نسال الدار التي خف اهلها . او باستبكا الصبح على الطلل كقولو .
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل . او بالاستنهام عن الجوانب لمخاطب غير معين كقولو .
الم نسال فخبرك الرسوم . ومثل تحية الطلول بالامر لمخاطب غير معين بخبرها كقولو .
حي الديار بجانب الغزل . او بالدعاء لها بالسقيا كقولو .

اسقي طولم أجش هذم وعدت عليهم نضرة ونعيم

او سؤالا السقيا لها من البرق كقولو

يا برق طالع منزلاً بالبرق واحد العحاب لها حذاء الانيق

او مثل التفع في الجزع باستدعاء البكاء كقولو

كدا فليل الخطب وليندح الامر وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

او باستعظام الحادث كقولو . ارايت من حملوا على الاعوان . او بالتسجيل على الاكوان

بالمصيبة لفقده كقولو

منابت العشب لاحام ولا راع مضي الردى بطويل الرمح والباع

او بالانكاه على من لم يتفجع له من المجلدات كقول الخارجة

ايا شجر الخابور مالك مورقا كالك لم تجزع على ابن طريف
 او بنهشة فريقه بالراحة من ثقل وطائمه كقولوه
 التي الرماح ربيعة بن زرار اودى الردى بفريقك المغوار
 وامثال ذلك كثير في سائر فنون الكلام ومذاهيم وتنظم التراكيب فيه بالتجمل وسر
 الجمل استائية وخبرية اسمية وفعلية متفقة وغير متفقة معصولة وموصولة على ما هو شأن
 التراكيب في الكلام العربي في مكان كل كلمة من الاخرى يعرفك فيه ما تستمده
 بالارتياض في اشعار العرب من القالب الكلي المجرد في الدهن من التراكيب المعينة التي
 ينطبق ذلك القالب على جميعها فان مولف الكلام هو كالبناء او النسيج والصورة
 الذهبية المبطنة كالقالب الذي يبي فيه او المتوال الذي ينسج عليه فان خرج عن
 القالب في بناءه او عن المتوال في نسجه كاي فاسداً ولا نقول ان معرفة قوانين البلاغة
 كافية في ذلك لا بقول قوانين البلاغة انما في قواعد علمية قياسية تبيد جواز استعمال
 التراكيب على هيئتها الخاصة بالقياس وهو قياس علمي صحيح مطرد كما هو قياس القوانين
 الاعرابية وهذه الاساليب التي نحن نقررها ليست من القياس في شيء انما هي هيئة تمسح
 في النفس من نفع التراكيب في شعر العرب لجرانها على اللسان حتى تستقيم صورتها
 فيستفيد بها العمل على مثالها والاحتذاء بها في كل تركيب من الشعر كما قدما ذلك في
 الكلام باطلاق وان القوانين العلمية من العربية والبيان لا نبيد تعليمه بوجه وليس كل
 ما يصح في قياس كلام العرب وقوانينه العلمية استعماله وانما المستعمل عنهم من ذلك
 انحاء معروفة بطبع عليها المحافظون لكلامهم تدرج صورتها تحت تلك القوانين القياسية
 فاذا نظري شعر العرب على هذا النحو ويهد الاساليب الذهبية التي نصير كالقوالب
 كان نظراً في المستعمل من تراكيبهم لا فيما يقتضيه القياس ولهذا قلنا ان المحصل لهذه
 القوالب في الدهن انما هو حفظ اشعار العرب وكلامهم وهذه القوالب كما تكون في المنطوق
 تكون في المنشور فان العرب استعمالوا كلامهم في كلامهم وجاءوا بمصداق في الوعظ
 ففي الشعر القطع الموزونة والقوافي المقيدة واستقلال الكلام في كل قطعة وفي المنشور
 يعتبرون الموازنة والتشابه بين القطع غالباً وقد يقدونه بالاجماع وقد يرسلونه وكل
 واحدة من هذه معروفة في لسان العرب والمستعمل منها عدم هو الذي يبي مولف
 الكلام عليه تاليفه ولا يعرفه الا من حفظ كلامهم حتى يجرد في ذهنه من القوالب المعينة
 الشخصية قالب كلي مطلق مجزئ جزئ في التاليف كما يجزئ البناء على القالب والساج

على المسائل فلماذا كان من تأليف الكلام متفرداً عن نظر القوي والبياني والعروضي نعم
ان مراعاة قوانين هذه العلوم شرط فيلا يتم بدونها فاذا تحصلت هذه الصفات كلها في
الكلام اخضع بنوع من البطر لطيف في هذه القوالب التي يعمونها اساليب ولا يفيد
الا حفظ كلام العرب نظماً ونثراً واذا تقرر معنى الاسلوب ما هو فلنذكر بعده جداً ان
رسماً للشعريو نهم حقيقة على صعوبة هذا الفرض فانما لم نثق عليه لاحد من المتقدمين
فيما رايناه وقول العروضيين في حده انه الكلام الموزون المنقح ليس بمجد لهذا الشعر الذي
نحن نصدده ولا رسم له وصناعته انما تنظر في الشعر باعتبار ما فيه من الاعراب والالاف
والورن والقوالب الخاصة فلا حرم ان حدهم ذلك لا يصلح له عدداً فلا بد من تعريف
بسطها حقيقة من هذه المحتوية فنقول الشعر هو الكلام المبلغ المسمى على الاستعارة
والاوصاف المصطلح باجزاء متفقة في الورن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه
ومقصده عما قلناه وبعده المجاري على اساليب العرب المخصوصة به فقولنا الكلام المبلغ
جس وقولنا المسمى على الاستعارة والاوصاف فصل عما يحلوه من هذه فانه في الغالب ليس
بشعر وقولنا المصطلح باجزاء متفقة الوزن والروي فصل له عن الكلام المنثور الذي ليس
بشعر بعد الكل وقولنا مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قلناه وبعده بيان
للحقيقة لان الشعر لا تكون اياته الا كذلك ولم يحصل به شيء وقولنا المجاري على الاساليب
المخصوصة به فصل له عما لم يجرمه على اساليب العرب المعروفة فانه حينئذ لا يكون
شعراً انما هو كلام مظلوم لان الشعر له اساليب تخصه لا تكون للنثور وكذا اساليب
المنثور لا تكون للشعر فما كان من الكلام مطوياً وليس على تلك الاماليب فلا يكون
شعراً وبهذا الاعشار كان الكثير من لقياء من شيوخنا في هذه الصناعة الادبية يرون
ان نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء لانها لم يجر بها على اساليب العرب من
الاجم عندما يرى ان الشعر يوجد للعرب وغيرهم ومن يرى انه لا يوجد لغيرهم فلا يحتاج
الى ذلك ويقول مكانه المجاري على الاساليب المخصوصة واذا قد فرغنا من الكلام على
حقيقة الشعر فلنرجع الى الكلام في كمية عمله فنقول اعلم ان لكل الشعر واحكام صاعته
شروطاً اولها المحظ من جنسه اي من جنس شعر العرب حتي تنشأ في النفس ملكة
يسمع على متواليها ويتغير المحفوظ من الجمح الذي الكثير الاساليب وهذا المحفوظ المختار اقل
ما يكفي فيه شعر شاعر من العهول الاسلاميين مثل ابن ابي زبيدة وكثير وذوي الرمة
وجرير وابي نواس وحبيب والمجترى والرضي وابي فراس واكثره شعر كتاب الاغاني لانه

جمع شعر اهل الطبقة الاسلامية كله والخيار من شعر الجاهلية ومن كان خالياً من المحفوظ
 فنظمه قاصر ردي ولا يعطيه الروق والحلاوة الا كثرة المحفوظ فمن قل حفظه او عدم
 لم يكن له شعر وانما هو نظم ساقط واجتناب الشعر اولى به من يكن له محفوظ ثم بعد الامتلاء
 من المحفظ وشخذ القريحة للنسخ على المتوال يقبل على النظم وبالاكثر منه تسخيم ملكته
 وترسخ وربما يقال ان من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتحيي رسومه الحرفية الظاهرة اذ
 هي صادرة عن استعمالها بعينها فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الاسلوب فيها
 كانه متوال ياخذ بالنسخ غلبه بماثاله من كلمات اخرى ضرورة ثم لا بد له من الخلقة
 واستجداء المكان المنظور فيه من المياه والازهار وكذا السمع لاستنارة القريحة باستجاءها
 وتنشيطها بلاذ السور ثم مع هذا كله فشرطه ان يكون على جمام ونشاط فذلك اجمع
 له وانشط للقريحة ان تاتي بمثل ذلك المتوال الذي في حفظه قالوا وخير الاوقات لذلك
 اوقات البكر عند الهبوب من النوم وفراغ المعدة ونشاط الفكر وفي هولة الجمال وربما
 قالوا ان من بواعثه العشق والانتشاء ذكر ذلك ابن وشيق في كتاب العدة وهو الكتاب
 الذي انرد به هذه الصناعة واعطاء حقها ولم يكتب فيها احد قبله ولا بعده مثله قالوا
 فان استصعب عليه بعد هذا كله فليتركه الى وقت اخر ولا يكره نسه عليه وليكن بناء
 البيت على القافية من اول صوغه ونسجه بعضها ويبنى الكلام عليها الى اخره لانه ان غفل
 عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها في محلها وربما تحجى نافرة قلقة واذا سمح
 المخاطر بالبيت ولم يناسب الذي عنده فليتركه الى موضعه الا ليق به فان كل بيت مستقل
 بنفسه ولم تبق الا المناسبة فليغير فيها كما يشاء وليراجع شعره بعد الخلاص منه بالتفجع
 والنقد ولا يرض به على الترك اذ لم يبلغ الاجادة فان الانسان مفتون بشعره اذهونيات
 فكره واختراع قريحته ولا يستعمل فيه من الكلام الا الافصح من التراكيب والمخلص
 من الضرورات اللسانية فليجربها فانها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة وقد حظرت ائمة
 اللسان عن المولد ارتكاب الضرورة اذ هو في سعة منها بالعدول عنها الى الطريقة المثلى
 من الملكة ويحتمل ايضاً المعتمد من التراكيب جهده وانما يقصد منها ما كانت معانيه
 تسابق الفاظه الى الفهم وكذلك كثرة المعاني في البيت الواحد فان فيه نوع تعقيد على
 الفهم وانما الخيار منه ما كانت الفاظه طبقات على معانيه او اوفى فان كانت المعاني كثيرة كان
 حشواً واستعمل الذهن بالفصوص عليها فتمنع الذوق عن استيفاء مدركوه من البلاغة ولا
 يكون الشعر سهلاً الا اذا كانت معانيه تسابق الفاظه الى الذهن ولهذا كان شيوخنا رحمهم

الله يعيرون شعراي بكر^(١) من خماجة شاعر شرق الاندلس لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد كما كانوا يعيرون شعرا المنيني والمعري بعدم التسجع على الاساليب العربية كما مر فكان شعرهما كلاما يظنوما نارا لا عن طرفة الشعر والحكم بذلك هو الدوق ولجنس الشاعر ايضا الخوض من الالفاظ والمقصر وكذلك السوقى المتنزل بالتناول بالاستعمال فانه يزل بالكلام عن طرفة اللاعة ايضا فيصير متدلا ويثرب من عدم الافادة كقولم النار حارة والسماء فوقا ويقدر ما يقرب من طرفة عدم الافادة بعد عن رقة اللاعة اذا ما طرفان ولهذا كان الشعر في الربايات والسويات قليل الاحادة في الغالب ولا يحدق فيه الا المحول وفي القليل على العثر لان معانيها متداولة بين الجمهور فتصير متدلة لذلك وادانعد الشعر بعد هذا كله فليراوضة ويعاوده فان الفريجة مثل الصرع يدور بالامتراء ويحب بالترك والاهمال والخلطة هذه الصاعة وتعلمها مستوفى في كتاب العدة لان رشتيق وقد ذكرنا منها ما حصرنا بحسب الحمد ومن اراد استيعا ذلك فعليه بذلك الكتاب فهو المعية من ذلك وهذه مدة كافية والله المعين وقد نظم الناس في امر هذه الصاعة الشعرية ما يحب فيها ومن احسن ما قيل في ذلك واطملا بن رشتيق

لن الله صعة الشعر ما	من صوف الحمال منه لقينا
يوترون العريب منه على ما	كان سهلا للسامعين مينا
ويرون المحال معنى صحيحا	وخسيس الكلام شيئا تميما
يمهلون الصواب منه ولا يد	رون للخلل انهم يجهلون
هم عد من سوانا يلامو	ن وفي الحق عدنا يعيدرونا
اما الشعر ما ياسب في الظم	وان كان في الصفات فمونا
فاني نعضه بشا كل نعضا	واقامت له الصدور المتونا
كل معنى اناك منه على ما	نمى ولم يكن او يكوما
فماهي من البيان الى ان	كاد حسا بين الناظرينا
فكان الالفاظ منه وحن	والعاني ركن فيها عيونا
انما في المرام حسب الاماني	يخلى بحسب المستودنا
فادا ما مدحت بالشعر حمدا	رمت فيه مذاهب المشتينا
فجعلت السبب سهلا قريبا	وحملت المدح صدقا مينا

وتعلمت ما بهجن في السبع وإن كان لفظه موزونا
 وإذا ما عرضته بهجاه عبت فيه مذاهب المرقبها
 فجعلت التصريح منه دواء وجعلت التعريض داء دفيها
 وإذا ما نكيت فيه على العا دس يوماً للدين والطاعنيا
 حلت دون الاسمى وذلت ما كان من الدمع في العيون مصوبا
 ثم ان كنت عاتاً حثت بالوعد وعبداً بالصعوبة بها
 فتركك الذي عنتت عليه جدراً آمساً عزيزاً مهيناً
 واضح القريض ما قارب الطم وإن كان واحداً مستفيها
 فاذا قيل اطعم الناس طراً وإذا رمى عمر المعزها
 ومن ذلك ايضاً قول بعضهم

الشعر ما قومت ربع صدوره وشددت بالتهذيب اس مثونه
 ورايت بالاطياب شعث صدوره وفتح ما لا يجار عور عيوبه
 وجمعت بين قريه وبعده وجمعت بين محبو ومعيه
 وإذا مدحت وحواداً ما جذا وقضيت بالشكر حق ديوبه
 اصيبت بتنتي ورصيته وخصصته بحظيره ونميه
 فيكون جرلاً في مساق صوفه ويكون سهلاً في انفاق صوفه
 وإذا نكيت بالديار واهلها اجريت للهرون ماء شؤوبه
 وإذا اذنت كاية عن رية نابت بين ظهوره وطوبه
 فجعلت سامعة ينوب شكوة تنوت وطوبه ببقوبه

الفصل الثامن والاربعون

في ان صناعة الظم والنرا ما هي في الالفاظ لا في المعاني

اعلم ان صناعة الكلام نظماً ونراً اما هي في الالفاظ لا في المعاني واما المعاني نبع لها
 وهي اصل فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في الظم والنرا اما يجاها في الالفاظ بمحض
 امثالها من كلام العرب فيكثر استعماله وجريه على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان
 مضروب بخلص من العجمة التي ربي عليها في حياته ويمرض بسنة امثل وليد سفا في جبل
 العرب ويلقن لغتهم كما يلقتما الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم وذلك اما قدما

ان للسان ملكة من الملكات في الطق بمحاول تحصيلها تكررهما على اللسان حتى تحصل
والذي في اللسان والطق اما هو الالفاظ واما المعاني فهي في الضمائر وايضا فالمعاني موحدة
عد كل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرى فلا يحتاج الى صاعقة وتاليف
الكلام للعارفة عنها هو المنحاح للصاعقة كما قلناه وهو مائة التاليف المعاني فكما ان الاواني
التي يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والرجاج والحرف والماء
واحد في نفسه وتختلف المحوذة في الاواني المملوءة بالماء باختلاف حسنها باختلاف الماء
كذلك حوذة اللغة ولاعتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تاليفه
ما غنار تطبيقه على المقاصد والمعاني واحدة في نفسها واما المحاول تاليف الكلام واساليبه
على مقنض ملكة اللسان اذا حاول العارفة عن مقصوده ولم يحس مائة المنفذ الذي يروم
النهوض ولا يستطيعه لقدان القدرة عليه والله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

الفصل التاسع والاربعون

في ان حصول هذه الملكة بكثرة المحفظ وحوذتها بجودة المحفوظ

قد قدما انه لا بد من كثرة المحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي وعلى قدر حوذة
المحفوظ وطبقته في حسه وكثرته من قلته تكون حوذة الملكة الحاصلة عنه للمحفظ من كان
محمولة شعر حبيب او العتاني او اس المعنوا او هاني او الشريف الرضي او رسائل
اس المنفع او سهل اس هارون او اس الريات او الدبيع او الصاني تكون ملكة احود
واعلى مقاما ورنة في البلاغة من يحفظ شعرا من سهل من المتأخرين او اس النبيه او ترسل
البياسي او العباد الاصهاني لنزول طبقة هؤلاء عن اولئك يظهر ذلك للتدبير الباقد
صاحب الدوق وعلى مقدار جودة المحفوظ او المسموع تكون حوذة الاستعمال من بعده ثم
اجادة الملكة من بعدها فارتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ترفي الملكة الحاصلة لان
الطبع انما يمنع على سواها ونمو قوى الملكة تتدربها وذلك ان السان وإن كانت في حلتها
واحدة بالسوء فهي تختلف في الشدة والقوة والصعوبة في الادراكات واختلافها اما هو
ماختلف ما يرد عليها من الادراكات والملكات والالوان التي تكلمها من خارج فبهذه يتم
وحودها وتخرج من القوة الى العمل صورها من الملكات التي تحصل لها اما تحصل على التدرج
كما انه اذا ملكة الشعرية تنشأ بمحط الشعر وملكة الكتانة بمحط الاشباع والترسل والعلمية
بمحالطة العلوم والادراكات والابحاث والاطار والفتية بمحالطة الفقه وتطير المسائل

وتفريعها ونخرج الروع على الاصول والتصوفية الرمانية بالصادات والاذكار وتعطيل
 الحواس الظاهرة بالخلوة والامعاد عن الخلق ما استطاع حتي تحصل له ملكة الرجوع الى
 حسه الباطن وروحه ويفلس بآيها وكذا سائرهما والتمس في كل واحد منها لون تتكيف
 به وعلى حسب ما نشأت الملكة عليم جودة اورداة تكون تلك الملكة في سبيلها فملكة
 البلاغة العالية الطنقة في جنبها انما تحصل بمحيط العالي في طنقتوس الكلام ولهذا كان
 الفناء واهل العلوم كلهم قاصرين في البلاغة وما ذلك الا لما يسقى الى محوهم ويمتلي به
 من القوايس العلمية والصادات الفقيه الحارحة عن اسلوب البلاغة والبارلة عن الطنقة
 لان الصادات عن القوايس والعلوم لاحظ لها في البلاغة فاداسق ذلك المحو الى الفكر
 وكثرت ولوت به التمس حاءت الملكة النانثة عنه في عاية التصور وبحرفت عباراته عن
 اساليب العرب في كلامهم وهكذا نجد شعر الفناء والمجاهة والمتكلمين والظهار وغيرهم من
 لم يمتلي من محيط التي المحر من كلام العرب . اخبرني صاحبنا العاقل . ابو القاسم بن
 رضوان كاتب العلامة بالدولة المربية قال ذكرت يوماً صاحبنا ابا العباس بن شعيب
 كاتب السلطان ابي المحسن وكان المقدم في مصر باللسان لعهده فاستدته مطلع قصيدة
 اس النحوي ولم اسبها له وهو هذا

لم ادر حين وقت بالاطلال ما العرق بين حديدها والبال

فقال لي على السديهة هذا شعر فنيه فقلت له ومن اين لك ذلك قال من قول ما
 العرق اذ هي من عبارات الفناء وليست من اساليب كلام العرب فقلت له الله ابوك انه
 اس النحوي . واما الكتاب والشعراء فليسوا كذلك فنجبرهم في محوهم ومحاظتهم كلام
 العرب واساليبهم في الترتيل وتنظيمهم له الحميد من الكلام . ذاكرت يوماً صاحبنا ابا
 عبد الله بن المحطوب وزير الملوك بالاندلس من بني الاحمر وكان الصدر المقدم في الشعر
 والكتابة فقلت له احد استمعنا علي في نظم الشعر متى رمت مع نصري يو وحظي الحميد من
 الكلام من القرآن والحديث ومن من كلام العرب وان كان محوطني قليلاً وإنما اتيت
 والله اعلم من قل ما حصل في حظي من الاشعار العلمية والقوايس التاليفية فاني حفظت
 قصيدتي الشاطبي الكبرى والصغرى في القراءات وتدارست كتابي اس المحاسب في الفقه
 والاصول وجل النحوي في المنطق وبعض كتاب التسهيل وكثيراً من قوايس التعليم في
 المجالس فامتلا بمحوطني من ذلك وخدش وجه الملكة التي استعدت لها بالمحفوظ الحميد
 من القرآن والحديث وكلام العرب نعاق القرحة عن بلوغها فطر الى ساعة مجباً ثم قال

لله انت وهل يقول هذا الا مثلك . ويظهر لك من هذا النصل وما تقر فيه سر آخر
 وهو اعطاء السبب في ان كلام الاسلاميين من العرب اعلى طبقة في البلاغة واخواتها من
 كلام الجاهلية في مثورهم ومنظومهم فانما نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن ابي ربيعة
 والمهلبية وجريير والفرزدق ونصيب وغيلان ذي الرمة والاحوص وبشار ثم كلام السلف
 من العرب في الدولة الاموية وصدرًا من الدولة العباسية في خطبهم وترسلهم ومحاوراتهم
 للملوك ارفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبدة
 وطرفة بن العبد ومن كلام الجاهلية في مثورهم ومحاوراتهم والطبع السليم والذوق الصحيح
 شاهدان بذلك للنقاد الجديرين بالبلاغة والسبب في ذلك ان هؤلاء الذين ادركوا الاسلام
 سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الاتيان بمثليهما
 لكونهما ولجت في قلوبهم ونشأت على اساليبها نفوسهم فنهضت طباعهم وارنقت ملكاتهم في
 البلاغة على طمكات من قبلهم من اهل الجاهلية من لم يسمع هذه الطبقة ولانها عليها فكان
 كلامهم في نظهم ونعزم احسن ديباجة واصفى رونقًا من اولئك وارصف مبنى واعدل
 تنقيفًا بما استنادوا من الكلام العالي الطبقة وتامل ذلك يشهد لك به ذوقك ان كنت
 من اهل الذوق والتبصر بالبلاغة . ولقد سالت يوماً شيخنا الشريف ابا القاسم قاضي
 غرناطة لعهدنا وكان شيخ هذه الصناعة اخذ بسبحة عن جماعة من مشيختها من تلاميذ
 الشلوبيين واستمر في علم اللسان وجاء من وراء الغاية مخبره فسالته يوماً ما بال العرب
 الاسلاميين اعلى طبقة في البلاغة من الجاهليين ولم يكن ليستكر ذلك بذوقه فسكت
 طويلاً ثم قال لي والله ما ادري فقلت اعرض عليك شيئاً ظهر لي في ذلك ولعله السبب فيه
 وذكرت له هذا الذي كتبت فسكت محبباً ثم قال لي يافيه هذا كلام من حق ان يكتب
 بالذهب وكان من بعدها يؤثر محلي وبصيح في مجالس التعليم الى قولي ويشهد لي بالنباهة
 في العلوم والله خلق الانسان وعلمه البيان

الفصل الخمسون

في ترفع اهل المراتب عن انفعال الشعر

اعلم ان الشعر كان دليلاً للعرب في علومهم واخبارهم وحكمهم وكان رؤساء العرب
 منافسين فيه وكانوا يقفون بسوق عكاظ لانشاده وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول
 الشان واهل البصر لتبميز حوله حتى انتهوا الى المناغاة في تعليق اشعارهم باركان البيت

الحرام موضع جمعهم بيت ابراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حجر والنافعة الذي يابى وزهير بن
 ابي سلى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلقمة بن عدة والاعشى وغيرهم من اصحاب
 المعلقات السبع فانه اما كان يتوصل الى تعليق الشعر بها من كان له قدرة على ذلك
 يقوم وعصيتو ومكاه في مضر على ما قيل في سبب تسميتها بالمعلقات ثم انصرف العرب
 عن ذلك اول الاسلام بما شغلهم من امر الدين والسياسة والوجي وما ادهشهم من اسلوب
 القرائن ويطوي فاخرسوا عن ذلك وسكتوا عن المحوس في الظم والنثر زمانا ثم استنقروا
 ذلك واوس الرشد من الملة ولم ينزل الوجي في تحريم الشعر وحظره وسمعة النبي صلى الله
 عليه وسلم واتاب عليه فرحوا حينئذ الى دينهم منه وكان لعرب ابي ربيعة كبير قریش
 لذلك العهد مقامات فيه عالية وطفة مرتفعة وكان كثيرًا ما يعرض شعره على ابن عباس
 فيقف لاستماعه مجبًا به ثم جاء من بعد ذلك الملك والدولة العربية وتقرّب اليهم العرب
 باشعارهم يتدحونهم بها ويميزهم بالخلعاء باعظم المجاز على بسطة الجودة في اشعارهم ومكاهم
 من قومهم ويحرصون على استهداء اشعارهم يطلعون منها على الآثار والاخبار واللغة وشرف
 اللسان والعرب يطالبون وليدم يحفظها ولم يزل هذا الشأن ايام بني امية وصدرًا من
 دولة بني العباس وانظر ما نقله صاحب العقد في مسامرة الرشيد للاصمعي في باب الشعر
 والشعراء تجد ما كان عليه الرشيد من المعرفة بذلك والروح فيه والعناية بالخلع والالتفات
 بحمد الكلام وردئه وكثرة محنوطه منه ثم جاء خلق من بعدهم لم يكن اللسان لسانهم من
 اجل العجبة وتقصيرها باللسان وانما تعلموه صاعقة ثم مدحوا باشعارهم امراء العجم الذين
 ليس اللسان لهم طاليل، معروفهم فقط لاسوى ذلك من الاغراض كاقفلة حبيب والجنري
 والمثنوي وان هاني ومن بعدهم وهلم جرا فصار غرض الشعر في الغالب انما هو الكذب
 والاستجداء لدهاب المافع التي كانت فيه الاولين كما ذكرناه انما وافق منه لذلك اهل
 الهم والمراغب من المتأخرين وتعبير الحال واصح تعاطيه همة في الرئاسة ومذمة لاهل
 الماصب الكبيرة والله مقلب الليل والنهار

الفصل الحادي والخمسون

في اشعار العرب واهل الامصار لهذا العهد

اعلم ان الشعر لا يختص باللسان العربي فقط بل هو موجود في كل لغة سواء كانت
 عربية او عجمية وقد كان في الفرس شعراء وفي يونان كذلك وذكر منهم ارسطو في كتاب

المنطق أو ميروس الشاعر وإثني عليه وكان في حمير أيضاً شعراء متقدمون ولما فسد لسان مصر ولغتهم التي دونت مقاييسها وقوانين أعرابها وفستت اللغات من بعد بحسب ما خالطها ومارحها من العجمة فكادت تحبل العرب بأنفسهم لغة خالفت لغة سلمهم من مصر في الأعراب حملة وفي كثير من الموضوعات اللغوية وبناء الكلمات وكذلك الحضرة أهل الأمصار نشأت فيهم لغة أخرى خالفت لسان مضر في الأعراب وأكثر الأوصاف والتعاريف وخالفت أيضاً لغة الجبل من العرب لهذا العهد واختلعت في نفسها بحسب اصطلاحات أهل الأفاق فلهذا الشرق وأمصاره لغة غير لغة أهل المغرب وأمصاره وتحالفاً أيضاً لغة أهل الأندلس وأمصاره ثم لما كان الشعر موجوداً بالطبع في أهل كل لسان لأن المواريس على نسة واحدة في أعداد المحركات والسواكن وتقالها موجودة في طابع الشرق لم يهر الشعر بقدر لغة واحدة وهي لغة مصر الذين كانوا فحولاً وقرناً مبداء حسناً اشتهر بين أهل الخلقة بل كل جبل وأهل كل لغة من العرب المستعربين والمحصر أهل الأمصار يتعاطون منه ما يطاوعم في انجاليه ورصف سائو على مبيع كلامهم فاما العرب أهل هذا الجبل المستعربون عن لغة سلمهم من مصر فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الأعراب يص على ما كان عليه سلمهم المستعربون ويأتون منه بالمطولات مستتملة على مذاهب الشعر وأغراضه من السبب والمدح والرتاء والهجاء ويستطردون في الخروج من من إلى في الكلام ويرى مجموعاً على المقصود لاول كلامهم وأكثر اندائهم في قصائدهم باسم الشاعر ثم بعد ذلك يسوس فاهل امصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالاصغيات نسبة الى الاصمعي راوية العرب في اشعارهم واهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالدوي وربما يلحون فيه الحاناً بسيطة لا على طريقة الصاعقة الموسيقية ثم يفسون به ويسمون العناء به باسم الحوراني نسبة الى حوران من اطراف العراق والتمام وفي من منازل العرب البادية ومساكنهم الى هذا العهد . ولم من آخر كثير التداول في نظمهم ينجثون به معصاً على أربعة احرار بحال اخرها الثلاثة في رويه ويلتزمون الناقية الرابعة في كل بيت الى اخر القصيدة شيئاً بالمرع والخمس الذي احده المتأخرون من المولدين ولهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاعة فائقة وفيهم الفحول والمتأخرون والكثير من المتغلبين للعلوم لهذا العهد وخصوصاً علم اللسان يستنكر هذه الفنون التي لم اذا سمعها ويحج نظمهم اذا انتدو ويعتقد ان ذوقه انما ما عنها لاستهجانها وفقدان الاعراب منها وهذا انما اتى من فقدان الملكة في لغتهم فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه وذوقه بلاغتها ان

كان سليماً من الافات في فطرنه ونظيره والافلاعراب لا مدخل له في البلاغة انما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولتقتضى الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع دالاً على الماعل والنصب دالاً على المفعول او بالعكس وانما يدل على ذلك قرائن الكلام كما هو لغتهم هذه فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة فاذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر صحة الدلالة واذا طابقت تلك الدلالة للمقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة ولا عمة نقاب من النخاة في ذلك واساليب الشعر وفنونه موحدة في اشعارهم هذه ما عدا حركات الاعراب في اواخر الكلم فان غالب كلماتهم موقوفة الاخر ويميز عدم الماعل من المفعول والمتدا من المحر قرائن الكلام لا بحركات الاعراب من اشعارهم على لسان الشريف ابن هاتم يكي الحارثية . ست سرحان ويذكر طعها مع قومها الى المغرب

قال الشريف ابن هاتم علي	تمري كندي حراً شكت من ربه
يعر للاعلام ابن مارات خاطري	يرد اعلام الدو يلقي عصيهما
وماذا شكت الروح ما طرا لها	عذاب ودائع تلف الله خيرها
بحسب قطاع عامري صبرها	طوى وهدا في دكرها
وعادت كما حوارة في يد عائل	على مثل تنوك الفلح عقدوا يسيرها
نجا بدوها انيس والزع بهم	على تول له والمعاني حريرها
وبانت دموع العين دازجات لسانها	شبه دوار السواني يدبرها
تدارك منها الجرح حدرًا ورادها	مروان بجي متراكما من صبرها
لصبت من القيعان حاسا الصما	عمون ولحان البرق في عديرها
ها ابني مي سالت عدوة	لعداد باحت مي حتى فنيها
وبادى المهادي بالرحيل وتدحو	وعرج غاربها على مستعيرها
وشد لها الادم دياب من عام	على يد ماضي وليد مقرب مسيرها
وقال لم حسن من سرحان غريب	وسوقوا النعوج ان كان باهو مبرها
ويدلص وسدها بالتساع	والبين لا يحدو في صبرها
غدرني رمان السبح من عاس الوعي	وما كان يرمي من حمير ومبرها
غدرني وهو رعا صديقي وصاحي	وباليه ما من درمي ما يدبرها
ورجع يقول لم بلاد اس هاتم	لحير البلاد المعطشة ما يجبرها
حرام علي باب بغداد وارصها	داخل ولا عائد له من نعيها

فصدق دري من بلاد ابن هاشم على الشمس أو حول الغمام من هجيرها
وبانت نيران العذارى قوادح فخرطاً بجرحات فيبرط أسيرها
ومن قولهم في رثاء أمير زنادة أبي سعدى البكري مفارغهم بأفريقية وأرض الزاب
ورثاؤهم له على جهة التهكم

نقول فتاة الحى سعدى وماضها ولما في ظنون الباكين عويل
أيا سائلني عن قبر الزناني خليفه خذ النعت مني لا تكون هيل
تراه العالي الواردات وفوقه من الربط عيساوي بناءً طويل
وله ميل الأنور من سائر النسا في الواد شرقاً والبراع دليل
أيا هلف كبدي على الزناني خليفه قد كان لأعقاب الجياد سليل
قتيل فتى العجما دباب بن غام جراحه كافوا المزد نسيل
يا جحرنا مات الزناني خليفه لا ترحل إلا أن يريد رحيل
وبالأمس رحلنا ثلاثين مرة وعشرًا وستًا في النهار قليل

ومن قولهم على لسان الشريف ابن هاشم يذكر عناباً وقع بينه وبين ماضي بن مقرب
تبدى لي ماضي الجياد وقال لي أيا شكر ما احناشي عليك رضاش
أيا شكرًا عدي ما بقي ود بيننا ورانا عريب عرباً لا بسين نماش
نحن عدينا خصادقوا ما قضى لنا كما صادفت طعم الزناد طشاش
باعدنا يا شكر عدي لبرسلامه لنجد ومن عمر بلاده عاش
إن كانت بنت سيدهم بارضهم في العزب ما ردنا لمن طياش
ومن قولهم في ذكر رحلتهم إلى الغرب وغلبهم زنادة عليه

وأي جميل ضاع لي في الشريف ابن هاشم وأي جميل ضاع قبلي جميلها
أنا كنت أنا وياه في زهو بيننا عناني فحبه ما عناني دليلها
وعدت كاني شارب من مدامه من الخمر قهوة ما قدر من جميلها
أو مثل شمسها مات مضبون كبدها غريباً وهي مدوخة عن قبيلهما
أنا هارمان السوء حتى أدوتحت وهي بين عرب غافلاً عن نزيلها
كذلك أنا ما لحاني من الوحى شاكي بكلياً بادياً من عليهما
وأمرت قومي بالرحيل وبكروا وقولوا وشداد الحوايا جميلها
فعدنا سبعة أيام محبوس نجحنا والهدو ما ترفع عموداً بقيلها

تظل على أحداث الثنايا سوري يظف الحمر فوق التصاري نصبها
ومن شعر سلطان بن مظهر سيجي من الروادة احد بطون رباح واهل الرياسة فيهم
يقول وفي نوح اللجا بعد ذمة حرام على اجفان عيني مناسها
ايا من لقي حال الوجذ والاسى وروحاً هيامي طال ما في سقامها
سحارية بدوية عربية صداوية ولها بعيداً مراها
مولعة بالدول تالف القري سوا عا بل الوعسا بولي غيامها
عمان ومتتبعها بها كل سرية مضمونة بها ولها صحح غرامها
ومرنا عنها عتسب الاراضي من الحيا لولي من الحور الخلايا حسامها
نسوق نسوق العين ما تداركت ثقلها من السحب السواري غامها
وما دانتك بالما وما ذا نبطحت عيون عذاري المرن عذناً حمامها
كأن عروس الكرك لا تحت نايها عليها ومن يور الاقاضي حرامها
فلاة ودها واتساع ومنه ومرعى سوى ما في مراعي عامها
ومشرويهام محض اللان شولها عليهم ومن لم الحواري طعامها
تعاسب على الاسواق الموقف الذي يتسبب النقي ما يقاسي زحامها
سقى الله ذا الوادي الشجر بالحيا وبلا ويجي ما يلي من رماها
فكافاتها بالودى مي وليتني طمرت نايام مصت في ركامها
ليالي اقواس الصافي سوا عدي اذا فمت لا تخطي من ايدي سهامها
موفرى عدياً تحت سرجي مسافة زمان الصاسر جاو يدي لحامها
وكم من رباح اسهرني ولم ارى من الخلق ابهى من نظام انتاسها
وكم غيرها من كاعب مرجحة مطرزة الاجفان ناي وشاحها
وصفت من وجدي عليها طريحة بكبي ولم ينس جداما ذمامها
ونار يخطب الوجذ نوح في الحشا وتوهم لا يطعا من الما ضرامها
ايا من وعدني الوعد هذا الى متى فني العرفي دارعاني ظلالها
ولكن رايست الشمس تكسف ساعة ويغنى عليها ثم يرا غمامها
بنود ورايات من السعد اقلت الينا بعون الله بهنو علامها
ارى في الملا بالعين اظمان عزوتي ورعي على كفتي وسيري امامها

يجرعاً عناق النوق من غير شامس احب بلاد الله عندي حشامها
 الى منزل بالمجهرية للذي مقيم بها ما لد عدي مقامها
 وتلقى سراء من هلال بن عامر بزيل الصدى والف عني سلامها
 بهم نصرب الامثال شرقاً ومغرباً اذا قاتلوا قوماً سريع انهبها
 عظيم ومن هو في حمام نخبة من الدهر ما غنى بقية حمامها
 فدع دا ولا تأسف على سالف مضى ترى الدنيا ما دام لاحد دوامها
 ومن اشعار المتأخرين منهم قول خالد بن حمزة بن عمر شيخ الكعوب من اولاد ابي الليل
 يعاتب اقاتلهم اولاد مهمل ويحجب شاعرهم شبل من مسكينة من مهمل عن ابيات فخر عليهم
 فيها يقوم

يقول وداقول المصاب الذي نتقا قوارع قيعان يعاني صعاها
 . . . ويح بها حادي المصاب اذا اتقى فوياً من انشاد القوافي عرابها
 محبرة محبرة من انشادها تحدي بها تام الوشا ملتهاها
 معركة عن ناقد في عصونها محكمة القيعان داني وداهها
 ويص شدكاري لها يا ذوي الدى قوارع من شبل وهذي جواها
 اشبل جيبها من حماك طرائف فراح يرحج الموحمين العاها
 فحرت ولم تقصر ولا انت عادم سوى قلت في جمهورها ما عاها
 لقولك في ام المتين من حمزة وحامي حماها عادياً في حراها
 اما تعلم انه قامها بعد ما لقي رصاص بن يحيى وعلاق داهها
 تنها ناس اهل الامر يا شبل خارق وهل ريت من حال الوغي واصطلى بها .
 تنواهد طماها واصرت بعد طمبو واتنا طماها حاسر لا آهاها
 واضرم بعد الطمبين التي صحت نعاماً الى بيت المنا يقتدي بها
 كما كان هو يطلب على داجميت رجال بني كعب الذي يتقى بها

ومنها في الغاب

وليداً تعافتموا اما اغنى لاني غنيت علاق القنا واغتصابها
 علي ونا ندفع بها كل بصع بالاسياف نتشاش العدى من رقابها
 فان كانت الاملاك نغت عرايس عليا باطراف القنا اغتصابها
 ولا نقرها الارهاق ودبل وزرق السايما والمطايا ركابها

بني عنما نرتضي الذل علة تسير كالسنة الخناش انسلابها
وهي عالمًا بان المنايا ثقلها بلا شك والدنيا سريع انقلابها
ومنها في وصف الطعائن

بطعن قطع اليد لا تخشى العدا فتوق بحجوبات مخوف جنابها
تري العين فيها قل لشيل عرائف وكل مهاة مخنظها زبابها
تري اهلها غص الصباح ان يقلها بكل حلوب الجوف ما سد بابها
لما كل يوم في الارامي قتائل ورا الفاجر المزوج عنوا صابها
ومن قولهم في الامثال الحكمية

وطلبك في المنوع منك سفاقة وصدك عن صدك صواب
اذا ريت ناسًا يفلتوا عنك باهم ظهور المطايا ينفع الله باب
ومن قول شبل يذكر اتساب الكعوب الى رجم

فشايب وشباب من اولاد برجم جميع البرايا تشتكي من ضهادها

ومن قوله يعاتب اخوانه في مولاة شيخ الموحدين ابي محمد بن تافراكين المستبد بمجاعة
السلطان بتونس على سلطانها مكفولة ابي اسحاق ابن السلطان ابي يحيى وذلك فيا قرب
من عصرنا

يقول بلا جهل فني الجود خالد مقالة قوال وقال صواب
مقالة حيران بذهن ولم يكن هربًا ولا فيا يقول ذهاب
نهجست معنانا بها لا الحاجة ولا هرج ينقاد منه معاب
وليت بها كبدي وهي نعم صاحبه حزينه فكر والحزين بصاب
تقوهت بادي شرحها عن مارب جرت من رجال في القليل قراب
بني كعب ادنى الاقرين لدننا بني عم منهم شايب وشباب
جرى عند فتح الوطن منا لبعضهم مصافاه وذر واتساع جناب
وبعضهم ملنا له عن خصمه كما يعلو قولي يقينه صاب
وبعضهم موهوب من بعض ملكنا ضرابًا وفي حر الظهير كتاب
وبعضهم جانا جربًا تسعت خواطرنا للتزيل وهاب
وبعضهم نظاؤ فينا بسوء نقناه حتى ما عنا بوساب
رجع ينتهي ما سنهنا قبيحة مرارًا وفي بعض المرار بهاب

ونعصم شاكى من اوغاد قادر
 مصماة عنه واقضى منه مورد
 ونحن على دافى المدا يطلب العلا
 وحرماحي وطرت ترشيت بعد ما
 وشهد من الاملاك ما كان خارج
 ردع قروم من قروم قبلا
 حرياسهم عن كل تاليف في العدا
 الى ان عاد من لا كان فيهم حمة
 وركن السبايا المتصات من اهلها
 وساقوا المطايا بالشر لا تسولة
 وكسوا من اصاف السعا بادحائر
 وعادوا بغير اليرمكيين قبل دا
 وكابوا لما درعا لكل مهمة
 خلوا الداء في حج الطلام ولا انتوا
 كسوا الحى حباب اليبم لستره
 لذلك مهم حاس ما درى القنا
 يظن ظنونا ليس بحى ما هلهما
 حطا هو ومن واتاه في سوطيه
 قوا عروتي ان الذي بمحمد
 ورحمت الاعداد منه وبجسول
 حروا بطلوا تحت السحاب شرائع
 وهو لوعطى ما كان للرأى عارف
 وان نحن ما استاملوا عنه راحة
 وان ما وطارت ترشيت يضياق وسعها
 وانه منها عن قريب مفاصل
 وعن فائنات الطرف بيض غوانج
 بنيه اذا تاهوا ويصوا اذا صوا

علق عنه في احكام السفائف باب
 على كره مولى اليا لقي ودياب
 لم ما حططنا للعجور رقاب
 نقنا عليها سقا ورقاب
 على احكامنا الى امرها له ناب
 بي كعب لا واهما العرم وطاب
 وقبا لم عن كل قيد مهاب
 ربيها وخيراته عليه مصاب
 ولسوا من انواع الحرير تياب
 حماهير ما يعلو بها بجلاب
 ضحاح لحرار الرمان تصاب
 والا هلالا في رمان دياب
 الى ان بان من نار العدو ونهاب
 ملامه ولا دار الكرام غثاب
 وهم لودروا لسوا قبيح حباب
 ذهل حلي ان كان عقلة عاب
 تمى يكن له في السماح تعاب
 بالانبات من طن القنايح عاب
 وهوب لا آلف بغير حساب
 بروحه ما بجي روح محاب
 لقوا كل ما يستاملوه سراب
 ولا كان في قلة عطاء صواب
 وانه باسهم التلاف مصاب
 عليه ويمشي بالروع لراب
 خوج عباز هواها وقاب
 ربوا خلف استار وخلف محاب
 بحس قوانين وصوت رباب

يضلوه من عدم اليقون وربما
 بهم حاركة ربه وطوع اوامر
 حرام على اس تافراكين ما مضى
 وان كان له عقل رجح وفطنة
 واما الدلائل لانها من فياغل
 ويحيي بها سوق عيسا سلاعه
 وبمسي علام طالب رجح بلكننا
 ايا واكلين المحر تنفوا ادامة
 ومن شعر علي بن عمر سارهيم من روساء بني
 بني عمو المتطاويلين الى رياستو

محبرة كالدر في يد صانع
 ابا حها مسها فيه اسباب ما مضى
 غدا مئة لام الحبي وانتطلت
 ولكن صموي يوم نان بهم اليها
 والا كاراتص النهائي قوادح
 والالكان القلب في يد قافض
 لما قلت سما من شقا العين زاري
 الا باربع كان ما لامن عامر
 وغيد تداني للخطا في ملاعب
 ونعم يشوف الناظرين التهامها
 وعروود باسمها ليدعو لسريها
 واليوم ما فيها سوى اليوم حولها
 وقفنا بها طورا طويلا ساهما
 ولا حبي منها سوى وحش خاطري
 ومن بعد ذا تدي لميصور موعلي
 وقولوا له يا ابو الوفا كلم رايك
 زواخر ما تنفاس بالعود انما

اذا كان في سلك المحرير نظم
 وشاء سارك والصفون تسام
 عصاها ولا صسا عليه حكمار
 تدم على شوك التناد برام
 وبين عواج الكامات صرام
 اتام بمشار القطيع غشام
 اذا كان يادي بالمراق وخام
 يبعي وحلة والقطين لمام
 دجى الليل فيهم ساهرو بام
 لما ما ندا من مرق وكظام
 واطلاق من شرب الماها وبعام
 ينوح على اطلال لما وخيام
 نعمن مخفيا والدموع سجام
 وسقي من اسباب ان عرفتنا وهام
 سلام ومن بعد السلام سلام
 دخلتم بحور غامقات دهام
 لها سيلات على النفا واكام

ولا قسم فيها قياساً بديلكم
وعانوا على ملكانكم في ورودها
أما عزوة ركبى الضلالة ولا لم
الا عنا هو لو ترى كيف رايهم
خلوا الفتا وبغوا في مرقب العلا
وحق النبي والبيت واركانه الذي
لبر اللبائي فيو ان طالت الحيا
ولا برها تبقى البوادي عواكف
وكل مسافة كالد اياه عابر
وكل كبيت يكتص عض نابه
وتعمل بنا الارض العقيمة مدة
بالابطال والقود العجان وبالقتا
انجحتني وانا عقيد نقودها
ونحن كاضر اس المواقف فيجكم
متى كان يوم القسط يا ميرا بوعلي
كذلك برحو الى السرا بعته
وخلي رجالاته يرى الضم جارم
الا بقبسوها وعقد يؤوسهم
وكم نار طعننا على البدو سابق
فتي نار قطار الصوى يومنا على
وكم ذا يجيبوا اثرها من غنيمه
وان جافاً جنوا الملوك وسعوا
عليكم سلام الله من لسن قام

ومن شعر عرب نمر بنو اسدي حوران لامرأة قتل زوجها فبعثت الى اخلافه من قيس
تفريهم بطلب ثاره نقول

نقول فئات الحمي ام سلامة
تبيت بطول الليل ما تالف الكرى
بعين اراع الله من لارئي لها
موجة كان الشقا في مجالها

على ما جرى في دارها وبوعياها بلحظة عين البين غير حالها
فقد تاوي شهاب الدين يا قيس كلهم وثنوا عن اخذ النار ما ذامها
اما قلت اذا ورد الكتاب يسري ويرد من يبرأ قلبي ذابها
ايا حين تسرج الذوائب والحي وبص العذاري ما حيتوا اجالها
(الموتحات والازجال للاندلس)

واما اهل الاندلس فلما كثرت التعر في قطرم ونهذت ماحيو وفنوه وبلغ التنيق فيه
الغاية استحدث المتأخرون منهم فنامة بهموم الموشح ينظمونه اسباطا اسباطا واعصانا
يكترون منها ومن اعار يضا المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ويلتزمون عند قوافي
تلك الاغصان واورانها متتاليا فيما بعد الى اخر القطعة واكثر ما تنهي عندهم الى سعة
ايات ويستعمل كل بيت على اغصان عددها بحسب الاغراس والمذاهب ويسون فيها
ويمدحون كما يفعل في القصائد ونحوها وفي ذلك الى العاية واستطرفة السارح جملة المحاسة
والكفاة لسهولة تناوله وقرب طريقه وكان المخرع لما يجريرة الاندلس مقدم من معافر
البربري من شعراء الامير عبداللّه بن محمد المرواني واخذ ذلك عنه ابو عبداللّه احمد بن
عدير صاحب كتاب العقود لم يظهر لها مع المتأخرين ذكر وكسدت موتحاتها ففكان
اول من سرق في هذا الشأن عمادة الفرار شاعر المعتصم بن صاوح صاحب المربة وقد
ذكر الاعلام الطليوسي انه سمع ابا بكر بن زهير يقول كل الوشاحين عيال على عمادة
الفرار فيما اتفق له من قوله

در نم . شمس صحا . غصن بقا . مسك تم

ما تم ما اوصحا ما اورقا . ما انم

لاحرم . من لها قد عتقا . قد حرم

وزعموا انه لم يسبق عمادة وشاح من معاصريه الذين كانوا في رن الطوائف . وجاء
مصلحا خلفه منهم اس ارفع راسه شاعر المامون بن ذي النون صاحب طليطة قالوا وقد
احس في انتدائه في موشحتي التي طارت له حيث يقول
العود قد ترنم . ما بدع تلحين . وسقت المذائب رياض البساتين
وفي انتهائه حيث يقول .

نحظر ولا نسلم . عساك المامون مروع الكنائس . يجي بن ذي النون

ثم جاءت المحلة التي كانت في دولة الملتهين فظهرت لهم الدائم وسابق فرسان حلبيهم

الاعشى الطليطي ثم يجيى من بقى وللطليطي من الموثحات المهدنة قوله
كعب السبيل الى . صدي وفي المعالم امتحان والركب في وسط اللا . بالخرد الواع قد مان
وذكر غير واحد من المشايخ اهل هذا الشأن بالاندلس يذكرون ان جماعة من
الوشاحين اجتمعوا في مجلس بانتيلة وكان كل واحد منهم اصطاع موشحة وثاني فيها فتقدم
الاعشى الطليطي للانشاد فلما افتتح موشحته المنهورة بقوله

صاحك عن حمان . سافر عن دري ضاق عنة الرمان . وحواء صدي

صرف ابن بني موشحة ونعمة الناقون وذكر الاعشى الطليطسي انه سمع ابن رهير يقول ما
حسدت قط وشاحاً على قول الا ابن بني حين وقع له

اما ترى احمد في محدة العالي لا يلحق اطلعة العرب . فاريا مثله بامشرق

وكان في عصرهما من الموشحين المضوعين ابو بكر الايص وكان في عصرهما ايضاً الحكيم
ابو بكر ابن بلجة صاحب التلاحين المعروفة ومن الحكايات المنهورة انه حصر مجلس
محدومه ابن تيلويت صاحب سر قسطة فالتى على بعض قبياته موشحة

حرر الدليل ايما حرر وصل النصر منك بالتهكر

قطرب المديوح لذلك لما احتما بقوله

عقد الله راية النصر لامير العلا اي بكر

فلما طرق ذلك المجلس سمع ابن تيلويت صاح واطرباه وثق ثيابه وقال ما احسن ما
بدات وما ختمت وحلف بالايام المعلقة لا يمتي ابن باحه الى داره الا على الذهب
محاف الحكيم سوء العاقبة فاحتمل ما نحل دهما في يعلو ومشي عليه وذكر ابو الخطاب
ابن رهرة حرى في مجلس اي بكر بن رهير ذكر اي بكر الايص انوشاح المتقلم الذكر
فقص منه بعض الحاضرين فقال كيف تعص من يقول

مالدي شراب راح على رياض الافاح لولا مصيب الوشاح ادا اسي في الصباح

او في الاصيل . اصحى يقول ما للشمول . لعنت خدي

وللشمال . هت . فالحب غصن اعتدال . صم . بردي

ما اناذ القلوب ما يمتي لنا مسترياً بالحضة رد يوناً . وبالماء التسيما

برد . عليل . صب . عليل لا يستحيل . فيه عن عهد

ولا . بزال . في كحل حال يرحو الوصال . وهو في الصد

واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحد بن محمد بن ابو النضر من ترف قال الحسن بن

دويذة رايت حاتم بن سعيد على هذا الافتتاح

شمس قاربت مراً راح

وندم

واس بهرودس الذي له باليلة الوصل والسعود بالله عود

واين موهل الذي له ما العيد في حلة وطاق . وتم وطيب : وانما العيد في التلاقي . مع الحبيب
وايو اسحاق الرومي قال ابن سعيد سمعت ابا الحسن سهل بن مالك يقول انه دخل
على ابن رهير وقد أسن وعلو زى المادية اذ كان يسكن بحصن استيه فلم يعرفه فجلس
حيث انتهى يد المجلس وجرت المحاضرة فاشد لنفسه موشحة وقع فيها

كحل الدجى بجري . من مقله البحر . على الصباح

ومعصم البهر . في حالي خصر . من الطاح

فمرك اس زهير وقال انت تقول هذا قال اخبر قال ومن تكون معرفه فقال ارتفع فوالله
ما عرفتك قال ابن سعيد وساق الحلة التي ادركت هولاء او بكر بن رهير وقد شرقت
موشحاته وغرقت قال وسمعت ابا الحسن سهل بن مالك يقول قبل لان رهير لو قبل
لك ما امدع لارفع ما وقع بك في التوشح قال كنت اقول

ماللوله . من سكره لا يبق . ياله سكران من غير خمر ماللكيس المذوق . يدب الاوطان

هل تستعاد . اياها بالخلج . وليا ليا

او تستعد . من السيم الاريج . مسك داريا

واد يكاد . حسن المكان السعج . ان يجيبا

مهر ظله . دوح عليه اسق . مورق ميان . ولما بجري . وعام وغريق . من حى الریحاب

واشتهر بعده ابن جيون الذي له من الرجل المشهور قوله

توق بينهم كل حين بما سب من يد وعين

وينتد في النصيد

علت ملجأ علت رامي فليس بخل ساع من قتال

ويعل يذي العينين سامي ما يعمل فيما يذي السال

واشتهر معها يومئذ بغداطة المهر من العرس قال ابن سعيد ولما سمع ابن رهير قوله

لله ما كان من يوم يعج سهر حصص على تلك المروج

تم اعطما على فم بالخلج نفص في حان مسك الخنام

عن عبيد راء صافي والمدم ورد الاصيل ضمة كفس الظلام

قال ابن زهير كما نحن عند هذا الرءاء وكان معه في بلدة مطرف . اخبر ابن سعيد
عن والده ان مطرفاً هذا دخل على ابن العرس فقام له واكرمه فقال لا تفعل فقال ابن
العرس كيف لا أقوم لمن يقول

قلوب مصائب . بالمحاذ نصيب . فقل كيف يبقى بلا وجد

وبعد هذا ان جرهمون بمرسية ذكر ابن الراسين ان يحيى الحررجي دخل عليه في مجلسه
نوشحة لعمس فقال له ابن جرهمون لا يكون الموشح بهوتم حتى يكون عارياً عن التكلف قال
علي مثل ماذا قال علي مثل قولي

ياهاجري هل الى الوصال منك سبيل
او هل ترى عن هواك سالي قلب العليل

وابو المحس سهل بن مالك بمرطاة قال ابن سعيد كان والدي يحب بقوله
ان سهيل الفاح في الشرق عاد محراً في اجمع الامق فتداعت بواب الورق
انراها خافت من الفرق فكنت سمرة على الورق

واتنهر باتبيلية لذلك العهد ابو المحس بن النصل قال ابن سعيد عن والده سمعت سهل
ابن مالك يقول يا ابي النصل لك على الوشاحين النصل بقولك

واحسرتنا لزمان مضى عنية بان الهوى واقصى
واوردت بالرم لا بالرصى وست على حمراء العصى
اعانق بالكر تلك الطلول والتم بالوم تلك الرسوم

قال وسمعت ابا بكر الصائبي يستد الاستاذ ابا المحس الرجاء بوشحاته غير ما مرة فما
سمعته يقول له لله درك الا في قوله

قسماً بالهوى لدى حمر قسماً بالليل المشوق من فجر
حداً للصبح ليس بطرد ما لليلي فيما اطرد سخ باليل امك الابد
او قطعت قوائم السر فقوم السماء لا تسري

ومن موشحات ابن الصائبي قوله

ما حل صب ذي صبي واكشاب امرصة و يلتناه الطبيب
عاملة محبوبة ما جناب ثم اقتدى فيه الكري بالحبيب
جما حنوني اليوم لكمني لم احسوا الا لنقد الخيال
واذا الوصال اليوم قد غرني منه كما شاء وساء الوصال

فلست باللائم من صدي صورة الحق ولا بالمثل
 واشتهرين اهل المدوة ان خلف الجرائري صاحب الموشحة المشهورة
 يد الصاح قد قدحت رباد الابوار في محامر الزهر
 وان هرر الجاني وله من موشحة

تعر الزمان موافق حياك منه بانقسام
 ومن محاسن الموشحات للفنا حريش موشحة ان سهل شاعر استبيلية وسبته من بعدها فمهاقولة
 هل درى طلى الحوان قد جى قلب صب حلة عن مكس
 فهو في نار وصبى مثل ما لعنت ريح الصبا بالفس
 وقد سجع على مناله فيها صاحبها الورير ابو عبد الله بن الخطيب شاعر الاندلس والمغرب
 لعصره وقد مر ذكره فقال

جادك العيت اذا العيت ها
 لم يك وصلك الا حلا
 اذ يقول الدهر اسباب المي
 زمراً بين فرادى وتي
 والحيا قد جلل الروص سا
 وروي النعان عن ماء السما
 فكساه الحسن نونا معلما
 في ليال كتبت سرا هو
 مال بحم الكاس فيها وهوى
 وطراً ما في من عيب سوى
 حين لد النوم ما او كا
 عارت النهب سا اورما
 اي نبي لامرئ قد خلاصا
 نهب الارهاق فيه الرضا
 فادا الماء تاجي والحفا
 تنصر الورد غيورا ندما
 وتري الآس لبيبا مها

يارما بالوصل بالندليس
 في الصبري او حلقة المجلس
 تنقل الخطو على ما ترسم
 مثل ما بدعو الومود الموسم
 فسا الارهاق فيه نسم
 كيف يروي مالت عن اس
 يردي منه ناهي ملسم
 بالدجى لولا تبوس التدر
 مستقيم السير سعد الانر
 انه مر كلح الصبر
 هجم الصبح بحوم الجرس
 انرت فيما عيون الرحس
 فيكون الروص قد كس فيه
 امت من مكره ما ثقبة
 وخلا كل خليل ناحيه
 يكتسى من غيطه ما يكتسي
 يسرق الدمع نادى فرس

يا أهبل المحي من وادي الغضا
 ضاق عن وجدي بكر حب الغضا
 فاعيدوا عهد اس قد مضى
 وانتوا الله واجعلوا معرباً
 خبس القلب عليكم كرمًا
 وبقلي فيكمو مقرب
 قمرًا بطلع من المغرب
 قد تسامعوا محسن أو مذنب
 ساحر المقلبة معصور اللي
 سد السهم وسحى ورمى
 ابن بكر حار وخاب الامل
 هو للسهم حبيب اول
 امره معتل ممثل
 حكم الخط بها فاحكمها
 بصم المظلوم من ظلمها
 ما اقلبي كلما هت صا
 كان في اللوح له مكنتها
 حلب الهم له والوصا
 لا عجب في اسلي قد اصرما
 لم تدع من مهني الا الدما
 سلمي باسم في حكم الغضا
 وانركي ذكرى رمان قد مضى
 واصرفني التول الى المولى الرضى
 الكرم المنهى والمنهى
 ينزل الصرع عليه مثل ما
 وقلبي مسكن انتم به
 لا انالي شرقه من غربه
 تقذوا عائدكم من كربه
 بتلاتي نسا في نفس
 افترضون حراب الحس
 باحاديت المي وهو بعد
 شقوة المعرب وهو سعيد
 في هواه بين وعد ووعيد
 جال في السس محال السس
 عوادي بهمة المنتس
 وعود الصب بالتوق يدوب
 ليس في الحب المحبوب دوب
 في صلوع قد راها وقلوب
 لم يراق في صعاغ الانس
 ويجاري الر منها والمسي
 عادة عيد من التوق جديد
 قوله اب عداي لتديد
 هو للاتحان في حديد جهيد
 فهي مار في هنيئ الياس
 كفاء الصبح بعد الفلاس
 واعبري الوقت برحبي ومتاب
 بين عني قد نقصت وعتاب
 ملهم التوفيق في ام الكتاب
 اسد السرح وندر المجلس
 يتزل الوحي بروح القدس

واما المشاركة فالتكليف طاهر على ما عاينه من الموشحات ومن احسن ما وقع لهم في ذلك
 موشحة ابن سنا الملك المصري اشتهرت شرقا وغربا واولها

بماحيبي ارفع حجاب النور عن العذار
 تنظر المسك على الكافور في جلتار
 كلي يا محب نيجان الربى
 بالمحلى واجلي سوارها منعطف المجدول
 ولما شاع فن التوشيح في اهل الاندلس واخذ به الجمهور لسلاسه وتنسيق كلامه وترصيع
 اجزائه نجت العامة من اهل الامصار على منواله ونظموه في طريقته بلغتهم الحضرمية من
 غير ان يلتزموا فيها اعراباً واستحدثوه فتأسموه بالزجل والتزموا النظم فيه على مناحيهم الى
 هذا العهد فجاءوا فيه بالفرائب واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجبة واول من
 ابدع في هذه الطريقة الزجلية ابو بكر بن قرمان وان كانت قبلت قبلة بالاندلس لكن لم
 يظهر حلاها ولا انسبكت معانيها واشتهرت رشاقته الا في زمانه كان له المثلثين وهو امام
 الزجاليين على الاطلاق قال ابن سعيد ورايت ازجاله مروية ببغداد اكثر مما رايتها بمواضر
 المغرب قال وسعت ابا الحسن ابن حميد الاشيلي امام الزجاليين في عصرنا يقول ما وقع لاحد من
 ائمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن قرمان شيخ الصناعة وقد خرج الى منزله مع بعض اصحابه فجلسوا
 تحت عريش وامامهم تمثال اسد من رخام يصب الماء من فيه على صفايح من الحجر مدرجة فقال
 وعريش قد قيام على دكان بحال رواق واسد قد ابتلع ثعبان في غلظ اساق
 وقع فيه بحال انسان فيه الفواق وانطلق يجري على الصناج ولقى الصباح
 وكان ابن قرمان مع ائمة قرطبي الدار كثيراً ما يتردد الى اشيلية ويبيت بنهرها
 فانفق ان اجتمع ذات يوم جماعة من اعلام هذا الشأن وقد ركبوا في النهر للزهوة ومعهم
 غلام جميل الصورة من سروات اهل البلد ويومهم وكانوا مجتبعين في زورق للصيد
 فنظموه في وصف الحال وبدأ منهم عيسى البلدي فقال

بطبع بالخالص قلبي وقد فانتو وقد ضو عشقو بسهمانتو
 تراه قد حصل مسكين حملاتو فقلني ولذلك امر عظيم صابانتو
 نوحش الجفون الكحل اذا عانتو وذلك الجفون الكحل ابلاتو

ثم قال ابو عمرو بن الزاهر الاشيلي

نشب والهوى من لح فيه ينشب ترى اش كان دعاه يشق ويتعذب
 مع العشق قام في مالو يلعب وخلق كثير من ذا اللعبيات

ثم قال ابو الحسن المقرئ الداني

بهار ملج نعيمني اوصافو شراب وملاح من حولي طافو
 ومعلمين يقولوا بصفا صافو والنورى احرى بمقلاتو

ثم قال ابو بكر مرتين

الحق يريد حديث تعالى عاد في الواد الحبيب والمنزه والصاد
تنبيه حيتان ذلك الذي بصطاد قلوب الوري في شيكاتو

ثم قال ابو بكر بن قزمان

اذا شرب كما هو يرميها ترى النور يشرق لديك الجبها
وليس مرادو ان يقع فيها الا ان يقل يد يداتو
وكان في عصرهم يشرق الابدلس محلف الاسود وله محاسن من الرجل منها قوله
قد كنت مشوف واحتشيت النسيب ورفني دا العتق لامر صعب
يقول صيد

حين تنظر الحد الشريف البهي : تنهي في الحبرة الى ما تنهي
يا طالب الكيمياء عبي في نظريها النصة ترجع ذهب
وجاءت بعدم حلقة كان ساقها مدغيس وقعت له العجائب في هذه الطريقة من
قوله في رجله المشهور

ور يا ددق يرل وتعاك الشمس بصرب
فترى الواحد ببص وتري الآخر بذهب
والسبات يشرب ويسكر والعصون ترقص وتطرب
وتيد تقي اليها تم تستحي ويهرب

ومن محاسن احواله قوله

لاح الصبا والعموم حباري ففر ما نزع الكسل
شربت ممر وحاسن قراعا احلى في عدي من العسل
يا من يلعي كما تقلد فلدك الله بما تقول
يقول بان الدوب مولد وانه يسد العقول
لارض الحجاز يكون لك ارشد اش ما ساقك لد الفضول
مرات للحمج والريارا ودعي في الشرب منهمل
من ليس لو قدره ولا استطاع البية ابلغ من العمل

وظاهر بعد هؤلاء باشيلية ابن جندر الذي فصل على الرجالين في فتح مبرقة بالرجل

الذي اوله هذا

وكان من المجيدين لهذه الطريقة لاول هذه المائة الاديب ابو عبد الله الالوسي وله من قصيدة يمدح فيها السلطان ابن الاحمر

ظل الصباح ثم يانديني بشربو
 سبيكة الفجر احلت شفقا
 ترى غمارا خالص ابيض نقي
 وسفلا سكنوا عند الشر
 هو الهار يا صاحبي للعاش
 والليل نصا للقل والهاق
 جادا الزمان من بعدما كان يحيل
 كما حرع مرو فيما قد مضى
 قال الرقيب يا ادبا لاش ذا
 وتعبوا هنالي من ذا الخمر
 يعشق ملح الارقيق الطماع
 ليس برج المحس الا شاعر ادب
 اما الكاس فحرام نعم هو حرام
 ويد الذي يحسن حسانو ولم
 واهل العقل والفكر والمجون
 ظلي بهي فيها يطوي الجدر
 غزال بهي ينظر قلوب الاسود
 ثم يجيهم اذا انتهم بضحكوا
 قوم كالحاتم وثغر نقي
 جوهر ومرجان اي عقد يا فلان
 وشارب اخضر يريلاش يريد
 يسدل دلال مثل جناح الغراب
 على بدن ابيض بلون الحليب
 وزوج هندات ما عشت قلبها
 تحت العكاك من منها خصر ارقيق
 ونضحكو من بعدما بطربو
 في ملاق الليل وقوم قاصو
 قصة هو لكن الشفق دهر
 نور الجعون من بورها تكسو
 عيش الفتى فيه ماله ما اطيب
 على سرير الوصل يتقلو
 واش كمقلتو من يريو عفرين
 يشرب سواء وياكل طيبو
 في الشرب والعشق ترى نصو
 قلت يا قوم ما تنصو
 علاش تكفروا بالله او يكتبو
 يفض نكرو ويضع نيق
 على الذي ما يدري كيف يشربو
 يقدر يحسن الناظان يحلو
 يعمر ذنوبهم لهذا ان اذسو
 وقلبي في حمر الفضا يلهو
 وما لم قل الطر يذهو
 ويرحلو من بعدما يدنو
 خطيب الامة للقل يحطو
 قد صه الناظم ولم يتنبو
 من شبهو بالمسك قد عيسو
 لبالي مجرم منه يستغريو
 ما قط رأيي للغم يحلو
 ديك الصلاها ربت ما اصلو
 من رقتو يخفي اذا نطلو

ارق هو من ديني فيما نقول
 اي دين نقالي معاك واي عقل
 تحمل ارداد نقال كالرقب
 ان لم ينفس غدر او يفتشع
 يصبر ليك المكان حين تحي
 محاسك مثل خصال الامير
 عماد الامصار وفصح العرب
 بجمل العلم اسرد والعسل
 ففي الصدور بالريح ما اطعنو
 من السما بحمد في اربع صفات
 الشمس نور والنمر همتو
 يركب جوادا بجود يطلق عمان
 من خلعتو بلس كل يوم بطيب
 لعبتو تظهر على كل من يجه
 قد اظهر الحق وكان في حجاب
 وقد سى بالسر ركن التقى
 تخاف حين تلقاه كما ترهبو
 يلتقي الحروب ضاحكا وفي ماسه
 اذا جد سيفه ما بين الردود
 وهو سمي المصطفى والاله
 نراه خليفة امير المؤمنين
 لذي الامارة تخضع الروس
 بينه بقي بدور الزمان
 وفي المعالي والشرف يبعثو
 والله يقيم ما ابار الفلك
 وما يضي ذاك الفصيد في هروض
 جدد عنك حق ما اكذب
 من يتبعك من ذا وذا تسلب
 حين ينظر العاشق وحين يرقس
 في طرف ديسا والشر تطلب
 وحين تغيب ترجع في غيبي نس
 او الرمل من هو الذي يحسو
 من فصاحة لظهو يتقربوا
 ومع بديع النمر ما اكتسب
 وفي الرقاب بالسيف ما اضرى
 فمن بعد قلبي او يحسو
 والغيث جودوا للجم من نص
 الاغنيا والجمد حين يركب
 منه نبات المعالي نطبلوا
 قاصد ووارد قط ما يحسو
 لاش يقدر الباطل بعدما يجه
 من بعدما كان الزمان خرب
 فمع سماحة وجهه ما اسيس
 غلاب هو لاشي في الدنيا يعلو
 فليس تي يغي من يصري
 السلطنة اخناروا واستغنى
 يقود جيوشه ويزين موكن
 نعم وفي تقبيل يديو يرغو
 يطلعو في المجد ولا يفري
 وفي التواضع والحما يقرب
 واشرفت شمس ولاج كوكب
 باسمه خدر ما لها مغرب

ثم استحدث اهل الامصار بالمغرب قتا اخر من الشعر في اعاريس مزدوجة كالموثق نظموا فيه

بلغتهم الحضرة أيضاً وسمو عروض البلد وكان أول من استخفنة فيهم رجل من أهل الاندلس نزل
بفاس يعرف بان عمور فنظم قطعاً على طريقنا الموشح ويخرج فيها عن مذاهب الاعراب مطلعها

إبكائي بشاطي النهر تروح الحمام
وكب السحر بمحو مبداء الظلام
تأكرت الرياض والطلل فيها افتراق
ودمع النواعر يتهرق انهراف
لولا بالفصون الخيال على كل ساق
وأيدي الندى تخرق جيوب الكلام
وعاج الصا يطلى بمسك الغمام
رايت الحمام بين الورق في القصب :
تنبج مثل ذاك المستهام الغريب
ولكن بما احمر وساقو خصب
جلس بين الاغصان جلسة المستهام
وصار يبتكي ما في الفؤاد من غرام
فقلت يا حمام احرمت عيني الهجوع
قال لي كيست حتى صفت لي الدموع
على فرخ طار لي لم يكن لورجوع
كذا هو الوفا كذا هو الرمام
وانم من اعلى منكم اذا ثم عام
قلت يا حمام لو خست بجر الصنا
ولو كانت ثقلك ما نغلي انا
اليوم فاسي الهجر كم من سنا
وما كسا جسمي الفول والمقام
لوجني المنايا كان يموت في المقام
قال لي لور قدت لا وراق الرياض
ونظمت من دمعي وذلك اللياس
واما طرف متقاري حديثواستفاض

على الفصن في السنان قريب الصباح
وما الذي يجري بغفر الاقحاح
سر الجواهر في نغور الجوار
بحاكي تماثيل حلفت بالغار
ودار الجميع بالروض دور السوار
ويحمل نسيم المسك عنهارياح
وجر النسيم ذبلو عليها وفاح
قد ابتلت ارباشو قطر النداء
قد التفت من توبو الجديد في ردا
ينظم سلوك جوهري ويتقلدا
جناحاً توسد والثوى في حناج
مها صم منقاره لصدرة وصاح
اراك ما تزال تنكي بدمع سموح
لا دمع نقي طول حياي سموح
المت النكا والحزن من عهد نوح
ما نظر جمعون صارت بحال الحراج
يقول عنائي ذا البكا والواج
كست تنكي وترقي لي بدمع هتون
ما كان بصير تخنك فروع الفصون
حتى لا سبيل جملة تراقي العيون
اخفاي نغولي عن عبون اللواح
ومن مات بعن يا قوم لقد استراح
من خوفي على وود النفوس للفؤاد
طوق المعهد في عني ليوم التناد
باطراف البلد والجسم صار رماد

فاستحسنه اهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته وتركوا الاعراب الذي ليس من شأنهم
وكثر سماعه بينهم واستفحل فيه كثير منهم ونوعوه اصنافاً الى المزدوج والكاري والمعبدة
والغزل واختلفت اسماؤها باختلاف اردواجها وملاحظاتهم فيها فمن المزدوج ما قاله ابن
شجاع من فحولم وهو من اهل تازا

المال زينت الدنيا وعجز النفوس	يبهي وجوها ليس هي بأهيا
فها كل من هو كثير الفلوس	ولو الكلام والرنية العليا
يكبر من كثرة ما لو ولو كان صغير	ويصغر عزيز القوم اذا يفتقر
من ذا ينطبق صدري ومن ذا يصير	يكاد ينفقع لولا الرجوع للقدر
حتى يلتقي من هو في قوم كبير	لمن لا اصل عندو ولا لو خطر
لذا ينبغي يحزن على ذي العكوس	: وبصغ عليه توب فراش صافيا
التي صارت الاذنان امام الروس	وصار يستفيد الواد من الهافيا
ضعف الناس على ذا وفسد الزمان	ما يدروا على من يكثر واذا العنان
التي صلا فلان يصيح بو فلان	ولو رأيت كيف يرد الجواب
عشنا والاسلام حتى راينا عيان	انفاس السلاطين في جلود الكلاب
كبار النفوس جدا ضعاف الاسوس	هم ناحيا والمجد في ناحيا
يروا انهم والناس يروم نبوس	وجوه البلد والعمدة الراسيا

ومن مذاهيم قول ابن شجاع منهم في بعض مزدوجاته

نعب من تبع قلبو ملاح ذا الزمان	اهل يا فلان لا يلعب المحسن فيك
ما منهم ملج عاهد الا وخاف	قليل من عليه نجس ويحبس عليك
يهبوا على العشاق ويتمنعوا	ويستعبدوا تقطيع قلوب الرجال
وان اصلوا من حينهم يقطعوا	وان عاهدوا خانوا على كل حال
ملج كان هو بنو وثنت قلبي معو	وصبرت من خدي لقدمو نعال
ومهدت لوزن وسط قلبي مكان	وقلت لقلبي اكرم من حل فيك
وهون عليك ما يعتريك من هوان	فلا بد من هول الهوى يعتريك
حكمتو علي وارضيبت بو امير	فلو كان يرى حالي اذا يبصروا
يرجع مثل درحولي بوجه الغدير	مرديه ويتعطلس بحال انصروا
وتعلمت من ساعا بسبق الضمير	وينهم مرادو قبل ان يذكروا

ويجمل في مطلوبو بلوان كان
عصر في الربيع او في الليالي بريك
ويشي بسوق كان ولو باصبيان
وايش ما يقل بجناح يقل لويجمل
حتى اتى على اخرها - وكان منهم علي بن الموفن سلمان وكان لهذه العصور القربة من
فخوم بزرهون من ضواحي مكينة رجل يعرف بالكيف ابداع في مذاهب هذا الفن ومن
اجسن ما علق له بمخوطني قوله في رحلة السلطان ابي الحسن وبني مرين الى افريقية
يصف هزيمتهم بالقبولان ويعزهم عنها ويونسهم بما وقع لغيرهم بعد ان عيهم على غزائهم
الى افريقية في ملعبة من فنون هذه الطريقة يقول في مفتحتها وهو من ابداع مذاهب
البلاغة في الاشعار بالمقصد في مطلع الكلام وافتتاحه ويسمى براعة الاستهلال
سبحان مالك خواطر الامرا ونواصيا في كل حين وزمان
ان طعننا عظمهم لنا قسرا : وان عصيئنا عاقب بكل هوان
الى ان يقول في السوال عن جيوش المغرب بعد الفتح
كن مرعي قل ولا تكن راعي فالراعي عن رعيه مسئول

واستفتح بالصلاة على الناعي
على الخلفاء الراشدين والانباغ
اجاجا تحلوا الصحرا
عسكر فاس المنيرة الفراء
اجاج بالنبي الذي زرع
عن جيش الغرب حين يسالكم
ومن كان بالعطايا يزودكم
قام قل للسد صاف الجزرا
ويزف كروم ونهب في الغبرا
لو كان ما بين تونس الغربا
مبنى من شرقها الى غربا
لا بد الطير ان تجيب نبا
ما اعوصها من امور وما ترى
لجرت بالدم وانصدع حجرا
ادري بعقلك الفخاص
والارضى السنى الكبول
واذكر بعدم اذا تحب وقول
وتواسح البلاد مع سكان
وين سارت بوغازم السلطان
وقطعتم لو كلاكل الينا
الثلوف في افريقيا السودا
وبدع برية انجاز رغدا
ويجز شوط بعد ما بجفان
اي ما زان غزالهم سجان
وبلاد الغرب سد السكندر
طبقا بجديد او ثانيا بصفر
او ياتي الربيع عنهم بفرد خبر
لو تقرأ كل يوم على الديوان
وهوت الحرات وخافت الغزلان
وتفكر لي بخاطرك جمعا

ان كان تعلم حمام ولا رقص
 تطهر عند الميمن القصاص
 الا قوم عاريين فلا ستر
 ما يدريو كيف بصوروا كسرا
 املاي اوا المحس خطيبا الباب
 فقنا كما على الجريد والزاب
 ما ملكت عن عرفتي الخطاب
 ملك الشاموا بحجاروتاج كسرى
 رد ولدت لو كره ذكرى
 هذا الباروق مردي الاعوان
 ونفت حتى الى رمن عثمان
 لم دخلت غنائها الديوان
 وافترق الناس على ثلاثة امرا
 اذا كان دا في مدة الدرا
 واصحاب الحصر في مكناسه
 تذكر في صحنها ابيانا
 ان مريت اذا انكف برامانا
 قد ذكرنا ما قال سيد الوزرا
 قال لي رايت واما دا ادري
 ويقول لك ما دق المرييا
 اراد المولى بموت اس بجي
 عن السلطان شهر وقبله سعا
 وعلامات تشر على الصبعا
 مجهولين لا مكان ولا امكان
 وكيف دخلوا مدينة القيروان
 قضية سيرنا الى تونس
 وات لك في اعراب افرقيا الفوير
 الفاروق فاتح القرى المولس
 وفخ من افرقيا وكان
 ونقل فيها تفرق الاخوان
 بمرح في افرقيا نذا التصريح
 وفقها ابن الربيع ^{اصح}
 مات عثمان وانقلب عليها الرج
 ونفي ما هو للسكوت عوان
 اش نعمل في اواخر الارمان
 وفي تاريخ كائنا وكيوانا
 شق وسطح واسد مرانا
 لجدا ونوس قد سقط سمانا
 عيسى بن المحس الرفيع الثنا
 لكن اذا جاء القدر عمت الاعيان
 من حصرة فاس الى عرب فاس
 سلطان تونس وصاحب الانواب

ثم اخذ في ترحيل السلطان وحوثوا الى اخر رحلته ومنتهى امره مع اعراب افرقيا واتى
 فيها بكل غريبة من الاداع واما اهل تونس فاستخذنوا في الملعة ايضا على لغتهم الحصرية
 الا ان اكثره رديولم يعلق بمخفوطي منه تي لرداته وكان لعامة بعداد ابصاف من الشعر
 يسمونه المواليا وتحت فصوص كثيرة يسمون منها القوما وكان ومنه مرد ومنه في يتين
 و يسمونه دويت على الاختلافات المعنرة عندهم في كل واحد منها وغالبها مزدوجة من
 اربعة اغصان وتبعهم في ذلك اهل مصر القاهرة واتوا فيها بالفرائب وتجر وافيهي اساليب

الملاغة بمقتضى لغتهم الحضرية فجاءوا بالعجائب ومن اعجب ما علق بمقتضى منه قول شاعرهم
هذه جراجي طريا والدماء ينضج وقائي يا اخيا في الفلايح
قالوا وناخذ بشارك قلت فا اقم

ولغيره

طرفت باب الخبا قالت من الطارق قلت مفتون لا ناهب ولا سارق
تبسمت لاح لي من ثغرها بارق رجعت حيران في بحر اداعي غارق

ولغيره

عهدي بها وهي لا تامن عليّ البين وان شكوت الهوى قالت فدنك العين
لمن تعني لها غيري غلام زين ذكرتها العهد قالت لك عليّ دين

ولغيره في وصف الحشيش

دي خمر صرف التي عهدي بها باقي تغني عن الخمر والخمار والساقبي
فجبا ومن فجبها تعمل على احراقني خبيثها في الحشيش طلت من احداقي

ولغيره

يامن وصالو لا طفال الهبة مج كم توجع القلب بالهجران اوّه اح
اودعت قلبي حوحو والتصبر مج كل الوري كح في عيني ونخصك دـ

ولغيره

ناديتها ومشيى قد طواني طي جودي عليّ بقبله في الهوى بامي
قالت وقد كوت داخل فوادكي ما هككوا القطن بحشي فم من هوجي

ولغيره

راني ابتسم سبقت محب اداعي برفو ماط اللثام تبدي بدر في شرقو
اسبل دحي الشعر تاه القلب في طرفو رجع هدانا بنظ الصبح من فرقو

ولغيره

يا حادي العيس ارجر بالمطاي ارجر وقف على منزل احبائي قبيل الفجر
وصبح في حبيهم يامن يريد الاجر بنهض يصلي على ميت قبيل الفجر

ولغيره

عوني التي كنت ارفعكم بها بانث ترعى النجوم وبالتسبيد افتانت
واسم العين صابني ولا فانت وسلوتي عظم الله اجركم مانت

ولغيره

هويت في قطرتكم ياملاح المحكر غزال يلي الاسود الصاريا بالسكر
غصن ادا ما اشي يسي السات النكر وان يهلل فما للدر عندودكر
ومن الذي يسمونه دويسته

قد اقسم من احبة بالباري ان يعث طيفة مع الاسحار
يامار شوقي بو فاقدي ليلاً عساه يهندي بالبار

واعلم ان الاذواق في معرفة البلاغة كلما تحصل لمن خالط تلك اللغة وكثرت استماعه لها
لها ومخاطبته بين احياها حتى يحصل ملكتها كما قلناه في اللغة العربية ولا الا بدلسي بالبلاغة
التي في شعراهل المغرب ولا المغربى بالبلاغة التي في شعراهل الاندلس والمشرق ولا
المشرقي بالبلاغة التي في شعر الاندلس والمغرب لان اللسان المحصري وتراكيبه
مختلفة فيهم ولكل واحد منهم مدرك لملاغة لغته وذائق محاسن الشعر من اهل جلدته وفي
خلق السماوات والارض واختلاف السنتكم والوايكم ايات وقد هكذا ان نخرج عن
الغرض وعزمنا ان نقض العار عن التول في هذا الكتاب الاول الذي هو طبيعة العربان
وما يعرض فيه وقد استوفينا من مسائلها حساء كفاية ولعل من يأتي بعدنا ممن يوبده
الله تفكر صحيح وعلم ميسر يعوض من مسائله على اكثر مما كتبنا فليس على مستنطالين
احصاء مسائله وانما عليه تعيين موضع العلم وتوزيع فصوله وما يتكلم فيه والمتأخرون يلحقون
المسائل من بعده شيئاً فشيئاً الى ان يكمل والله يعلم وانتم لاتعلمون

قال مولف الكتاب عني الله عفا عنه انتم هذا الجزء الاول بالوضع والتأليف قبل التنقيح والتذهيب
في مدة خمسة اشهر آخرها منتصف عام تسعة وسبعين وسبع مائة ثم نقضه بعد ذلك وهذه
والحق بو توارى الامم كما ذكرت في اوله وشرطته وما العلم الا من عند الله العزيز الحكيم



قدم طبعة بالمطبعة الادبية في عام ١١٩٦ فاطهره في شهر عام ١٢١١ هـ به وشبه كريمة اخرجت من كور
المقدس بهدى الفاتحين سائلاً منطرون ووسواً مسجون عليه ذلك من جملة الاسباب التي حباها على طبعه ونقيض
تمو على ان داق المعارف والاداب منساة في حجة التأليف عني عن كل تأليف

وطبع ثانية بالمطبعة المذكورة وعلى نفقتها في تشرين الاول سنة ١٨٨٦

